


# إيلانتريس

ترجمة: أحمد صلاح المهدي

براندون ساندرسون

أول مؤلفات الأب الروحي لكتب الفانتازيا الأكثر مبيعًا

# إيلانتريس

**تأليف: براندون ساندرسون**

**ترجمة: أحمد صلاح المهدي**



ⓒ دار حكايا للنشر و التوزيع ، ١٤٤٤هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

ساندرسون ، براندون
إيلانتريس. / براندون ساندرسون ؛ احمد صلاح المهدي - ط١. .-
الدمام ، ١٤٤٤هـ

٩٥٨ ص ؛ ..سم

ردمك: ٧-٢-٩٢٠١٤-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص الانجليزية - الولايات المتحدة أ.المهدي، احمد صلاح
(مترجم) ب.العنوان

ديوي ٨٢٣,٠٣٩٧٣ ١٤٤٤/٩٢٧٦

**رقم الإيداع: ١٤٤٤/٩٢٧٦**
**ردمك: ٧-٢-٩٢٠١٤-٦٠٣-٩٧٨**

رسم الغلاف: آمال المالكي

إشراف وتنفيذ: فاطمة بوخمسين



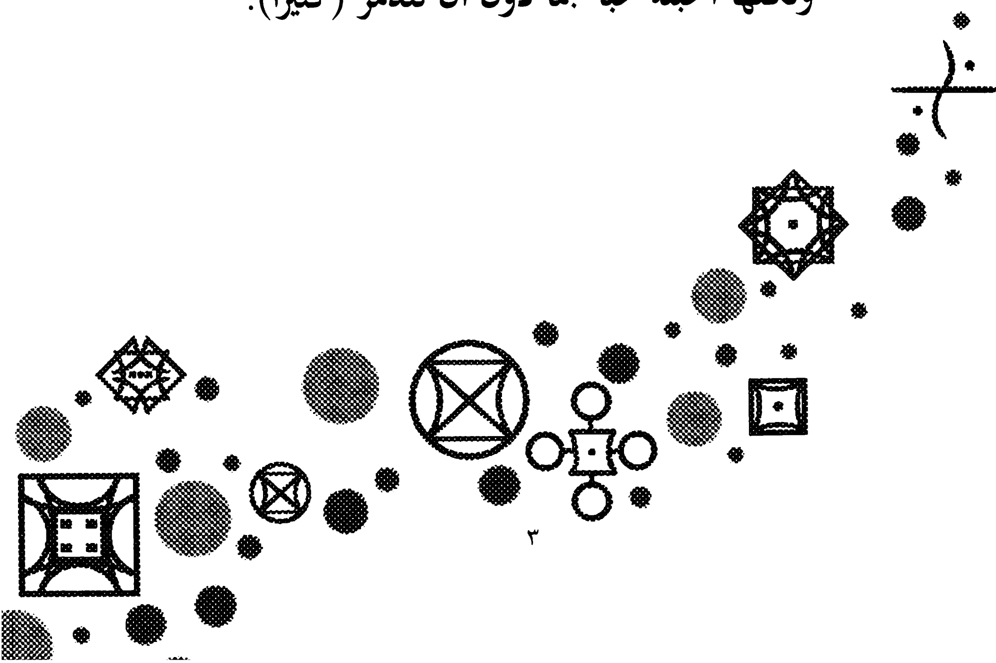

darhakaya
darhakaya.com
info@darhakaya.com

إهداء إلى أمي،

التي أرادت طبيبًا،

فانتهى بها الأمر إلى كاتب،

ولكنها أحبته حُبًّا جمًّا دون أن تتذمر (كثيرًا).



إيلانتريس كانت هي أول كتاب أجلس لكتابته عام ٢٠٠٥ بعد أن اتخذت قرارًا بأن الفانتازيا الملحمية هي ما أريد أن أكتبه، كانت أول رواية أقرر أن أضيف إليها ميثولوجيا الكوزمير وشخصياته وسحره.

لم يكن الكتاب الذي جعلني أدخل عالم النشر كتابًا مفعمًا بالحركة والإثارة، أو كتابًا به بناء موسع للعالم، بل كان كتابًا تأمليًّا، عن رجل يحاول أن يعيد بناء مجتمع بين البؤساء، وامرأة ترفض أن يفرض عليها المجتمع دورًا محددًا، وكاهن لديه أزمة في إيمانه.

يُمكنني أن أتحدث عن مصادر الإلهام وراء هذا الكتاب؛ سارين مستوحاة من صديقة لي تُدعى آبي، وينبع هراثن عن الوقت الذي قضيته كمبشر من طائفة المرمون. أما السحر فنبع عن الطريقة الممتعة التي تتفاعل بها الكورية والصينية كلغتين مكتوبتين. أما رايودن فقد استوحيته من رغبتي في سرد قصة ـ على سبيل التغيير ـ عن رجل ليس لديه ماضٍ من العذاب الشديد، بل كان رجلًا صالحًا وجد نفسه في موقف فظيع.

أنا فخور غاية الفخر بهذا الكتاب، وعلى مدار عشر سنوات تحسن أسلوبي في الكتابة ونضج صوتي السردي، ولكني أجد أنه من الجوهري أن أتذكر أن القصة النابضة بالحياة والمشاعر التي تدور حول شخصيات مثيرة للاهتمام تكون أكثر أهمية من الأنظمة السحرية الرائعة، أو مشاهد القتال الملحمية.

الشخصيات والمشاعر هي السحر الحقيقي، وهمسة من إيلانتريس تحذرني ألا أنسى هذا أبدًا.

براندون ساندرسون – فبراير ٢٠١٥

# تمهيد

كانت إيلانتريس جميلة، ذات يوم. كانت تُسمى مدينة الآلهة، بقعة تنعم بالقوة والبهاء والسحر. يقول الزائرون إن أحجار المدينة ذاتها تتوهج بضوء داخلي، وإن المدينة تحوي عجائب سحرية مدهشة. في الليل تلمع إيلانتريس كنيران فضية، يُمكن رؤيتها حتى من مسافة بعيدة.

ولكن رُغم عظمة إيلانتريس كان سكانها أكثر عظمة. كان شعرهم أبيض ناصعًا، وبشرتهم بلون فضي أشبه بالمعدن، ويلمع الإيلانتريون كالمدينة نفسها. تزعم الأساطير أنهم كانوا خالدين، أو على الأقل أقرب ما يكون إلى هذا، فأجسادهم تتعافى بسرعة، وقد وُهِبوا القوة العظيمة والبصيرة والسرعة، ويمكنهم فعل أشياء سحرية بمجرد التلويح بيدهم. البشر من جميع أنحاء أوبيلون قد زاروا إيلانتريس ليتلقوا العلاج أو الطعام أو الحكمة، لقد كانوا آلهة.

ويُمكن لأي واحد أن يصير إلهًا.

كان هذا يُسمى الشايود[1]؛ التحول. إنه يضرب عشوائيًا، وعادة في الليل، في تلك الساعات الغامضة التي تُبطئ فيها الحياة لتستريح. يُمكن للشايود أن يضرب شحاذًا أو حرفيًا أو نبيلًا أو مُحارِبًا. عندما يأتي فإن حياة سعيد الحظ تنتهي وتبدأ من جديد، فيترك وراءه حياته الدنيوية القديمة وينتقل إلى إيلانتريس. إيلانتريس حيث يمكنه أن يعيش حياة مباركة، ويسود بحكمة، ويُبَجَّل إلى الأبد.

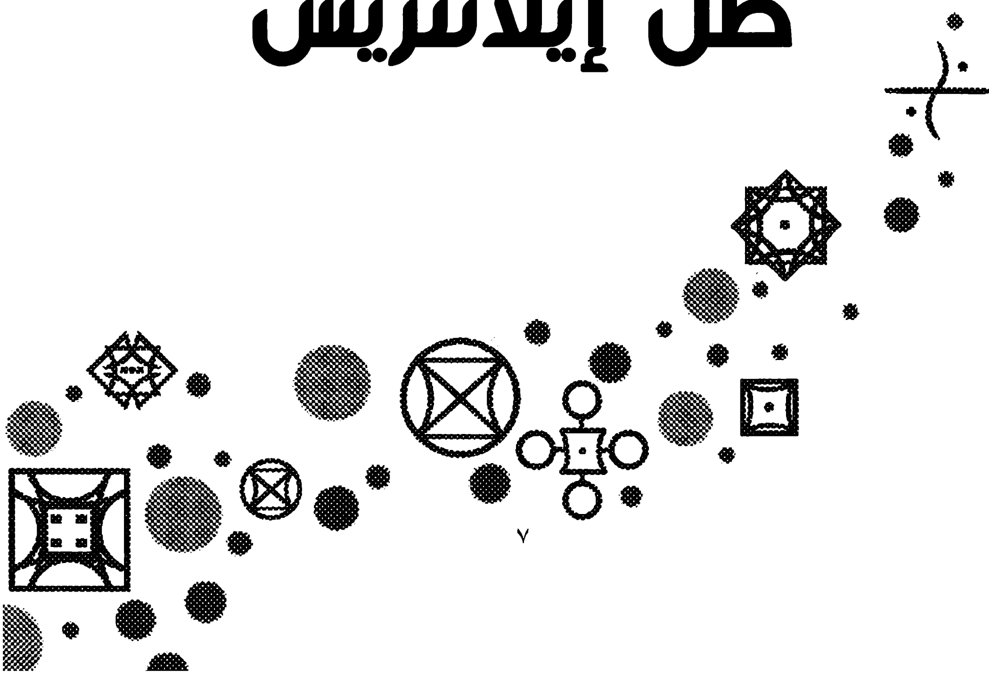
ولكن الأبدية انتهت قبل عشر سنوات.

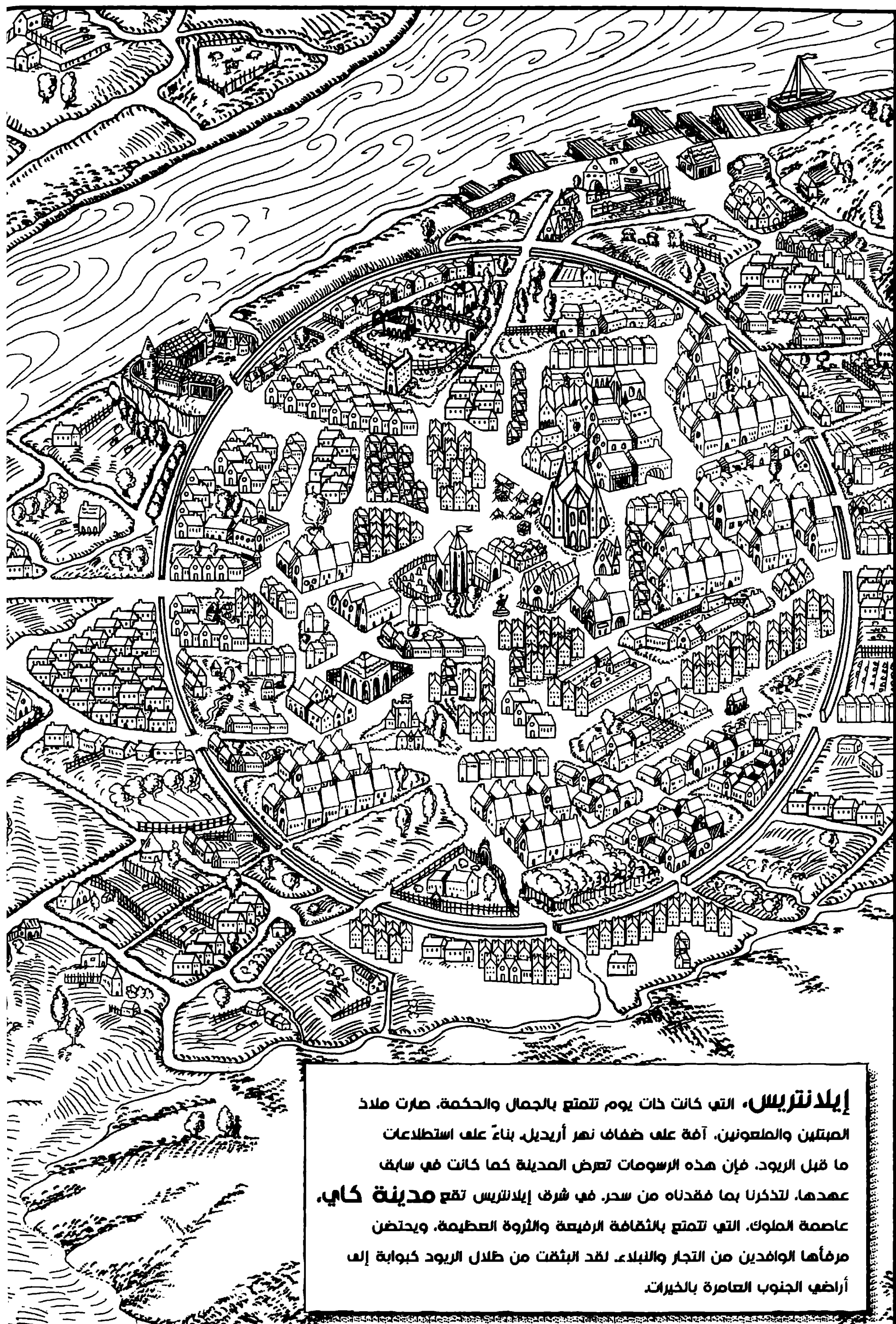
---

[1] الشايود: يعني التحول، وهو الاسم الذي أُطلق على الحدث الغامض الذي يحول الإنسان العادي إلى إيلانتري.

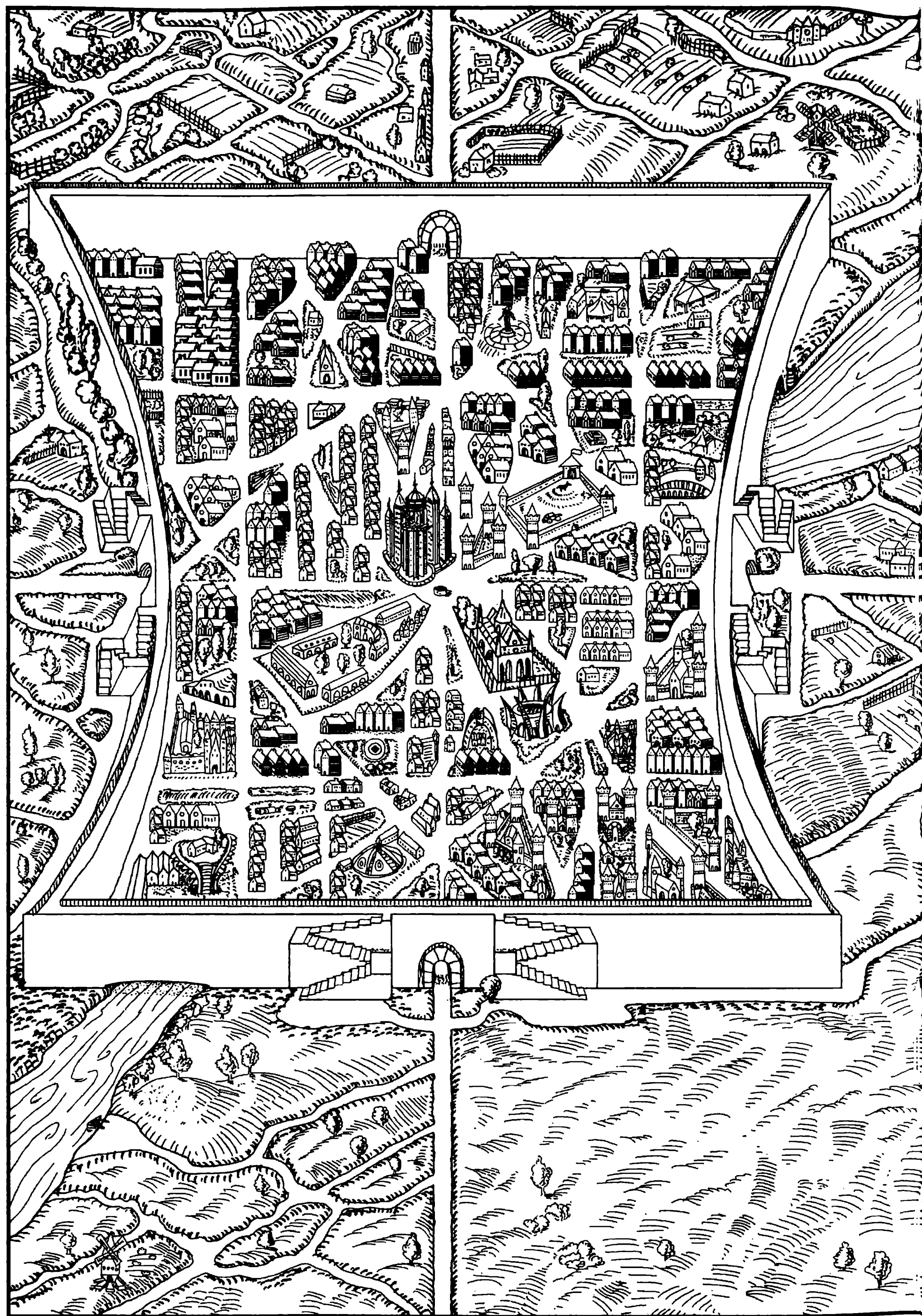
# الجزء الأول

# ظل إيلانتريس





**إيلانتريس**، التي كانت ذات يوم تتمتع بالجمال والحكمة، صارت ملاذ المبتلين والملعونين، آفة على ضفاف نهر أريديل. بناءً على استطلاعات ما قبل الريود، فإن هذه الرسومات تعرض المدينة كما كانت في سابق عهدها، لتذكرنا بما فقدناه من سحر. في شرق إيلانتريس تقع **مدينة كاي**، عاصمة الملوك، التي تتمتع بالثقافة الرفيعة والثروة العظيمة، ويحتضن مرفأها الوافدين من التجار والنبلاء. لقد انبثقت من ظلال الريود كبوابة إلى أراضي الجنوب العامرة بالخيرات.



# الفصل الأول

استيقظ رايودن أمير أريلون في وقت مبكر من ذلك الصباح، دون أن يُدرك أنه قد لُعِن أبد الدهر. اعتدل جالسًا والنعاس لم يبرحه بعد، فرمش بعينيه في ضوء الصباح الهادئ. خارج نافذة غرفته المفتوحة استطاع أن يرى مدينة إيلانتريس الهائلة في الأفق وأسوارها البارزة تُلقي بظلالها على مدينة كاي الأصغر حجمًا، حيث يعيش رايودن. كانت أسوار إيلانتريس شاهقة الارتفاع بشكل لا يُصدق، ولكن كان باستطاعة رايودن أن يرى قمم الأبراج السوداء تعلو من ورائها، وأبراجها المتداعية تدل على المجد المتهاوي المستتر وراء الأسوار.

بدت المدينة المهجورة مُظلمة أكثر من المعتاد، حدَّق رايودن إليها للحظة ثم أشاح بنظره، كان من المستحيل تجاهلها، ولكن قاطني كاي كانوا يبذلون قصارى جهدهم لفعل هذا. يحز في النفس تذكر جمال المدينة، والتعجب من أنه قبل عشر سنوات تحول الشايود من هبة إلى لعنة.

هز رايودن رأسه وهو يخرج من فراشه. كان الجو دافئًا على غير العادة في مثل هذه الساعة المبكرة، لم يشعر حتى بالقليل من البرودة بينما يرتدي روبه، ثم جذب حبل الخدم بجانب فراشه إشارة إلى أنه يريد الفطور.

كان هذا شيئًا غريبًا آخر، لقد كان جائعًا، جائعًا للغاية، بل يكاد أن يتضور جوعًا. لم يكن يحب وجبات الإفطار العامرة، ولكنه في هذا الصباح وجد نفسه ينتظر وصول وجبته بفارغ الصبر. وأخيرًا قرر أن يُرسل أحدًا ليرى سبب هذا التأخر الشديد.

نادى عبر الغرف المُظلمة: "آين؟".

لم يكن هناك إجابة، فعقد رايودن حاجبيه بسبب غياب السيون[2]، أين يُمكن أن يكون آين؟

اعتدل رايودن واقفًا على قدميه وبينما يفعل هذا وقع بصره على إيلانتريس مرة أخرى، بدت كاي في ظل المدينة العظيمة كقرية متواضعة بالمقارنة معها. كانت إيلانتريس هائلة الحجم، كتلة من اللون الأسود الأبنوسي، لم تعد مدينة حقًا، بل جثة مدينة. ارتجف جسد رايودن.

جاءت طرقة على الباب، قال رايودن وهو يخطو ليفتح الباب: "أخيرًا". كانت إيلاو العجوز تقف بالخارج ومعها صينية من الفاكهة والخبز الساخن.

سقطت الصينية لترتطم بالأرض بعد أن انزلقت من بين أصابع الخادمة، بينما رايودن يمد يده لأخذها. تجمد رايودن في موضعه وصدى دوي الارتطام المعدني يتردد عبر الرواق في صمت الصباح.

همست إيلاو: "بحق دومي[3] الرحيم!". كانت عيناها مرتعبتين ويدها ترتجف وهي تُمسك بالقلادة الكوراثية التي تحيط بعنقها.

مد رايودن يده ناحيتها ولكن الخادمة قطعت خطوة مرتجفة إلى الوراء فتعثرت في بطيخة صغيرة أثناء فرارها المتعجل.

سألها رايودن: "ما الخطب؟". ثم رأى يده، ما كان مخفيًا في ظلال غرفته المظلمة صار واضحًا في ضوء مصباح الرواق المتوهج.

---

[2] السيونات: مخلوقات سحرية عاقلة على هيئة كرات من الضوء مرتبطة بإيلانتريس. وكل سيون يحمل حرفًا آيونيًا في منتصفه، يتوهج ويمنحه ضوءه.
[3] دومي: إله الديانة الكوراثية، وتزعم الديانة أنه الأب المحب لكل البشرية.

استدار رايودن على عقبيه مُلقيًا بقطع الأثاث بعيدًا عن طريقه وهو يُسرع متعثرًا إلى المرآة الطويلة في نهاية غرفته. كان ضوء الفجر قد صار قويًّا بما يكفي لكي يرى الانعكاس الذي يُبادله التحديق؛ انعكاس شخص غريب.

كانت عيناه الزرقاوان لا تزالان نفس العينين، ولكنهما تحدقان إليه متسعتين في رعب، وقد تغير شعره من البني الرملي إلى الرمادي الفاتح، وكان ما حدث لبشرته أسوأ. كان الوجه في المرآة مُغطى ببقع سوداء شنيعة، ككدمات داكنة، ولا يمكن لهذه البقع أن تعني سوى شيء واحد.

لقد حل به الشايود.

***

أُغلقت بوابة مدينة إيلانتريس بدوي هائل من ورائه يؤكد أن الأمر نهائي لا رجعة فيه، فهوى رايودن بجسده عليها وقد تخدر جسده وهو يفكر في أحداث اليوم.

بدا الأمر وكأن ذكرياته تنتمي إلى شخص آخر. لم ينظر أبوه الملك آيادون إلى عينيه وهو يأمر الكهنة بتهيئة ابنه وإلقائه داخل إيلانتريس. حدث الأمر بسرعة وهدوء، فلم يكن آيادون مستعدًّا لتحمل تبعات أن يعرف الجميع أن ولي العهد إيلانتري. قبل عشر سنوات كان الشايود ليجعل رايودن إلهًا، والآن بدلًا من أن يحول الناس إلى كائنات نورانية ببشرة فضية صار يحولهم إلى هذه المخلوقات الوحشية البغيضة.

هز رايودن رأسه في استنكار، الشايود شيء يحدث لأشخاص آخرين، أشخاص بعيدين، أشخاص يستحقون اللعنة، وليس ولي عهد أريلون.

كانت مدينة إيلانتريس ممتدة أمامه، وأسوارها العالية محفوفة بمخافر الحراسة، والجنود الذين مهمتهم ليس أن يُبقوا الأعداء خارج المدينة بل أن يمنعوا قاطنيها من الهرب. منذ الريود[٤]، عندما سقطت إيلانتريس، وكل شخص يضربه الشايود يُلقى بداخل الأسوار لكي يتعفن، لقد صارت المدينة مقبرة شاسعة لهؤلاء الذين نسيت أجسادهم كيف تموت.

كان بمقدور رايودن أن يتذكر وقوفه على هذه الأسوار لينظر بازدراء إلى قاطني إيلانتريس المرعبين، تمامًا كما كان الحراس ينظرون إليه بازدراء في تلك اللحظة. كانت المدينة تبدو بعيدة للغاية حينها، حتى وهو يقف خارجها تمامًا. لطالما تساءل بشكل فلسفي عن حال المرء وهو يمشي في هذه الشوارع المسودة.

والآن سيكتشف بنفسه.

ضغط رايودن بجسده على البوابة للحظة كأنما ليُجبر جسده على المرور منها، أن يُطهِّر بدنه من دنسه. أطرق برأسه وأطلق أنينًا خافتًا. أحس برغبة في أن يتكوم على نفسه على الأحجار المتسخة وأن ينتظر حتى يستيقظ من هذا الحلم. ولكنه كان يعرف أنه لن يستيقظ أبدًا. قال الكهنة إن هذا الكابوس لن ينتهي أبدًا.

ولكن شيئًا بداخل رايودن حثه على المضي قُدُمًا، كان يعرف أن عليه مواصلة السير، فقد كان يخشى أنه إن توقف عن الحركة فربما يستسلم، لقد أصاب الشايود جسده، ولكنه لن يجعله يصيب عقله أيضًا.

وهكذا استخدم رايودن كبرياءه كدرع في مواجهة اليأس والانكسار، والأهم من ذلك الشفقة على الذات، ورفع رأسه ليحدق إلى لعنته الأبدية في عينيها.

---

[٤] الريود: الاسم الذي منحه الناس لسقوط إيلانتريس.

***

**من قبل عندما كان رايودن يقف على أسوار إيلانتريس ليحدق بازدراء إلى قاطنيها كان يرى القذارة التي تغطي المدينة، والآن يقف فيها.**

**كل سطح ـ بداية من جدران المباني وحتى الشقوق العديدة في أحجار الرصف ـ كان مُغطى بطبقة من الأوساخ. كان للمادة الزيتية الملساء تأثير مُعادِل على ألوان إيلانتريس، حيث مزجها جميعًا في لون واحد مثير للإحباط، وهو اللون الذي يمزج تشاؤم الأسود مع الألوان الخضراء والبنية للمجاري.**

**من قبل كان بمقدور رايودن أن يرى عددًا قليلًا من قاطني المدينة، والآن بمقدوره أن يسمعهم أيضًا، دزينة أو ما يُقارب هذا من الإيلانتريين متناثرون على الأحجار النتنة عبر الباحة، العديد منهم يجلسون غير مكترثين ـ أو غير مدركين ـ في برك من المياه الداكنة، بقايا العاصفة المطيرة في الليل. وكانوا جميعًا يئنون، معظمهم يفعل هذا بخفوت وهم يتمتمون لأنفسهم أو يتأوهون من ألم ما خفي. ولكن كان هناك امرأة في الطرف الآخر البعيد من الباحة صرخت بصوت ينم عن معاناة شديدة، ولكنها صمتت بعد لحظة وقد نفدت أنفاسها أو خارت قواها.**

**معظمهم كان يرتدي ما يبدو كأسمال بالية، ملابس داكنة وفضفاضة، قذرة كالشوارع. ولكن عندما حدق رايودن إلى الملابس عن كثب تعرف عليها. خفض بصره لينظر إلى ملابس الدفن البيضاء التي يرتديها، كانت طويلة وواسعة، كشرائط قد خيطت معًا لتصير ثوبًا فضفاضًا. كان الكتان على ذراعيه وساقيه قد تلطَّخ بالأوساخ بالفعل، بعد احتكاكه ببوابة المدينة والأعمدة الحجرية. خمَّن رايودن أنه سرعان ما سيكون من الصعب التفرقة بينها وبين ملابس الإيلانتريين الآخرين.**

قال رايودن لنفسه: *هذا ما سأصير عليه، لقد بدأ الأمر بالفعل، في غضون أسابيع قليلة لن أكون أكثر من مجرد جسد منكسر، جثة تئن في أحد الأركان.*

انتزع رايودن من شفقته على نفسه حركة بسيطة على الجانب الآخر من الباحة. كان بعض الإيلانتريين رابضين في مدخل تكتنفه الظلال على الناحية المقابلة له. لم يستطع أن يُميز الكثير من أشكالهم المظللة، ولكن بدا وكأنهم ينتظرون شيئًا ما، كان باستطاعته أن يشعر بنظراتهم تحدق إليه.

رفع رايودن يده ليظلل عينيه، وحينها فقط تذكر السلة الخوصية الصغيرة التي يحملها في يديه، كانت تحتوي على قربان كرات الطقوس الذي يُرسل ليرافق الميت إلى الحياة الأخرى، أو في هذه الحالة إلى إيلانتريس. كانت السلة تحتوي على رغيف من الخبز وقليل من الخضراوات الضئيلة وحفنة من الحبوب وزجاجة صغيرة من النبيذ. تكون قرابين الموت أكثر استفاضة في المعتاد، ولكن حتى ضحية الشايود يجب أن يُعطى شيئًا.

حدق رايودن من جديد إلى الأشخاص الموجودين عند المدخل، وفي عقله ومضت شائعات قد سمعها بالخارج، حكايات عن الوحشية الإيلانترية. لم تتحرك الهيئات التي تكتنفها الظلال بعد، ولكن تفحصهم له كان يصيبه بالتوتر.

أخذ رايودن نفسًا عميقًا ثم بدأ يخطو بمحاذاة سور المدينة نحو الجانب الشرقي من الباحة. بدا أن الهيئات لا تزال تراقبه، ولكنها لم تلحق به. في غضون لحظة لم يعد قادرًا على رؤية ما وراء المدخل، وبعد ثانية أخرى كان قد دلف بأمان إلى أحد الشوارع.

تنفس رايودن الصعداء وهو يشعر أنه قد نجا من شيء ما، رغم أنه لم يعرف ماهيته. بعد لحظات قليلة صار متيقنًا من أن أحدًا لا يلحق به، وبدأ يشعر بالحماقة لإحساسه بالذعر. لم

يرَ حتى الآن شيئًا يدعم الشائعات التي تحيط بإيلانتريس. هز رايودن رأسه وواصل المضي قُدُمًا.

كانت الرائحة الكريهة تغلب على كل شيء تقريبًا، كان للطين المترسب على كل شيء رائحة عطنة متعفنة، كرائحة فطر متحلل. كان رايودن منزعجًا كثيرًا لهذه الرائحة حتى أنه كاد أن يخطو مباشرة على الجسد المتغضن لرجل عجوز متكوم بجانب أحد المباني. كان الرجل يئن بشكل مثير للشفقة وهو يمد بذراع ذابلة إلى الأعلى. نظر إليه رايودن وأحس فجأة بقشعريرة باردة، فهذا "الرجل العجوز" لم يكن عمره أكثر من ستة عشر عامًا. كان جلد المخلوق المغطى بالسخام داكنًا ومرقطًا، ولكن وجهه كان وجه طفل لا رجل، ورغمًا عنه خطا رايودن خطوة للوراء.

وكأنما أدرك الفتى أن هذه الفرصة لن تدوم طويلًا فقد مد ذراعه إليه بقوة مفاجئة ناتجة عن اليأس. تمتم بفم قد فقد نصف أسنانه: "طعام؟ أرجوك".

ثم هوت ذراعه بجانبه كأنما قد استنزف قدرته على التحمل، وعاد جسده ليتكوم على الجدار الحجري البارد. إلا أن عينيه واصلتا التحديق إلى رايودن، عينين حزينتين يملأهما الألم. كان رايودن قد رأى شحاذين من قبل في المدن الخارجية، وربما قد خدعه بعض المحتالين بضع مرات، ولكن هذا الفتى لم يكن يتظاهر.

مد رايودن يده وأخرج رغيف الخبز من قربانه وأعطاه للفتى. كانت نظرة عدم التصديق المرتسمة على وجه الفتى أكثر إثارة للقلق من اليأس الذي حلت محله. هذا المخلوق قد تخلى عن الأمل منذ زمن طويل، ربما توسل بدافع العادة وليس الأمل في الحصول على شيء ما حقًا.

ترك رايودن الفتى وراءه، وهو يلتفت ليواصل سيره عبر الشارع الصغير. كان يأمل أن المدينة ستصير أقل بشاعة بعدما يغادر الفناء الرئيسي، وهو يفكر أن الأوساخ كانت نتيجة

للاستخدام المتكرر نسبيًّا لهذه المنطقة، ولكنه كان مخطئًا، كان الزقاق مغطى بالأوساخ تمامًا كالباحة، إن لم يكن أكثر.

جاء صوت ارتطام مكتوم من وراء رايودن فالتفت في دهشة، كان هناك مجموعة من الأشكال المظلمة تقف بالقرب من مدخل الشارع الجانبي متجمعين حول جسد على الأرض. انتابت رايودن قشعريرة وهو يراقب خمسة رجال يلتهمون رغيفًا من الخبز وهم يتصارعون فيما بينهم ويتجاهلون صرخات الفتى اليائسة. في نهاية المطاف بدا أحد الوافدين منزعجًا بوضوح، ثم هوى بهراوة بدائية على عنق الفتى فتردد صدى صوت الانسحاق عبر الزقاق الصغير.

أنهى الرجال الخبز ثم التفتوا لينظروا إلى رايودن، فخطا خطوة متخوفة إلى الوراء. يبدو أنه قد تعجل في افتراض أن أحدًا لن يلاحقه. تقدم الرجال الخمسة ببطء ناحية رايودن، فاستدار على عقبيه وبدأ يركض مبتعدًا.

جاء صوت المطاردة من وراء رايودن وهو يُسرع مبتعدًا في خوف، وهو شيء لم يكن بحاجة لأن يفعله من قبل عندما كان أميرًا. راح يركض في جنون وهو يتوقع أن أنفاسه ستنفد سريعًا وأن الألم سيطعنه في جانبه كما يحدث عادة عندما يُرهق نفسه. لم يحدث هذا ولا ذاك، وبدلًا منهما بدأ ببساطة يشعر بالتعب الشديد، وبالضعف، حتى أدرك أنه سرعان ما سينهار. كان شعورًا مروعًا، كما لو أن حياته تنسل منه ببطء.

في يأسه ألقى رايودن بسلة القرابين وراءه، وأدت هذه الحركة المربكة إلى إفقاده توازنه، وجعله شقٌّ ما غير مرئي في أحجار الرصف يتعثر بشكل أخرق لم ينتهِ حتى اصطدم بكتلة متعفنة من الخشب. تحطَّم الخشب - الذي ربما كان يومًا كومة من الصناديق - وخفف من سقوطه.

اعتدل رايودن واقفًا على الفور فأدت هذه الحركة إلى تناثر شظايا الخشب في أنحاء الزقاق الرطب، ولكن مهاجميه لم يعودوا مكترثين به. جلس الرجال الخمسة القرفصاء في قذارة الشارع

وهم يجمعون الخضراوات والحبوب المتناثرة من البرك الداكنة. أحس رايودن بمعدته تنقبض عندما دس أحد الرجال إصبعه عبر شق لينتشل حفنة داكنة كانت وحلًا أكثر منها ذرة، ثم دفع بالكتلة اللزجة بين شفتيه المتلهفتين. تقاطر اللعاب الموحل على ذقن الرجل متساقطًا من فم يبدو أشبه بقدر مليء بالطين يغلي على موقد.

رأى أحد الرجال رايودن وهو يراقبهم فزمجر المخلوق وهو يمد يده ليُمسك بالهراوة التي كاد أن ينساها الموضوعة بجانبه. راح رايودن يبحث بشكل محموم عن سلاح فوجد قطعة من الخشب كانت أقل تعفنًا من البقية. أمسك بالسلاح بيدين مرتعدتين وهو يحاول أن يبدو منذرًا بالخطر.

توقف المجرم في موضعه للحظة، وبعد ثانية لفت انتباهه صرخة فرح جاءت من ورائه، فقد عثر واحد من الآخرين على زجاجة النبيذ الصغيرة، يبدو أن الصراع الذي تلا ذلك قد أبعد كل تفكير في رايودن عن عقول الرجال، وسرعان ما اختفى الخمسة، أربعة منهم يلاحقون ذلك المحظوظ. أو الأحمق. بما فيه الكفاية لكي يهرب بهذا الخمر الثمين.

جلس رايودن في الحطام وهو يشعر بالانهزام. هذا ما ستصير عليه.

قال صوت: "يبدو أنهم قد نسوا بشأنك يا سول[٥]".

جفل رايودن وهو ينظر ناحية مصدر الصوت، كان رجلًا ينعكس ضوء الصباح على رأسه الأصلع الأملس، وهو مستلقٍ بتكاسل على مجموعة من الدرجات، على مسافة قريبة منه. كان إيلانتريًّا بكل تأكيد، ولكن لا شك أنه قبل التحول كان من عرق مختلف، ليس من أريلون مثل رايودن. كان جلد الرجل يحمل البقع السوداء التي تدل على الشايود، ولكنه البقع غير المصابة لم تكن شاحبة، بل كانت بلون بني داكن. توتر رايودن في وجه الخطر المحتمل،

---

[٥] سول: كلمة باللغة الدولادية تعني صديق.

ولكن هذا الرجل لم يُبدِ أي علامات على الوحشية البدائية أو الضعف المتهالك اللذين قد رآهما رايودن في الآخرين. كان الرجل طويل القامة وقوي البنية، بكفين عريضين وعينين ثاقبتين، وكان ينظر إلى رايودن متفحصًا.

تنفس رايودن الصعداء وقال: "أيًّا من كنت فأنا مسرور لرؤيتك، كنت على وشك أن أعتقد أن الجميع هنا إما يحتضرون أو مسهم الجنون".

أجابه الرجل ساخرًا: "لا يمكننا أن نموت، فنحن موتى بالفعل، كولو[٦]؟".

"كولو؟". كانت الكلمة الأجنبية مألوفة بشكل مبهم، تمامًا كلكنة الرجل الثقيلة. "ألست من أريلون؟".

هز الرجل رأسه وقال: "أنا جالادون، من جمهورية دولادل، ومؤخرًا أنا من إيلانتريس، أرض الوحل والجنون والضياع الأبدي. سعيد بلقائك".

قال رايودن: "دولادل؟ ولكن الشايود لا يؤثر إلا على قاطني أريلون". اعتدل واقفًا وهو ينفض عن نفسه قطع الخشب التي كانت في مراحل مختلفة من التحلل. ثم تلوى مع الألم من إبهام قدمه المصاب. كان مغطى بالطين ورائحة إيلانتريس النتنة تفوح منه بدوره.

"إن دولادل خليط من الأعراق يا سول؛ الأريلي، والفيوردي، التيودي، ستجدهم جميعًا. أنا...".

قاطع الرجل سباب خافت من رايودن.

---

[٦] كولو: كلمة باللغة الدولادية توضع في نهاية الحديث يُمكن ترجمتها بشكل تقريبي إلى "هل تفهم؟".

رفع جالادون حاجبًا وهو يقول: "ما الأمر يا سول؟ هل أصابتك شظية في المكان الخاطئ؟ أفترض أنه ليس هناك الكثير من الأماكن الصحيحة لهذا".

قال رايودن وهو يعرج عبر أحجار الرصف الزلقة: "إنه إبهام قدمي، هناك خطب ما به، لقد أُصيب عندما سقطت، ولكن الألم لا يختفي".

هز جالادون رأسه في أسى وقال: "مرحبًا بك في إيلانتريس يا سول، أنت ميت، وجسدك لن يُصلح نفسه كما يُفترض به".

"ماذا؟". قالها رايودن وهو يعرج نحو الدرجات التي يجلس عليها جالادون. ظل إبهام قدمه يؤلمه بحدة مثل اللحظة التي صدمه فيها.

همس جالادون: "كل ألم يا سول، وكل جرح، وكل قطع، وكل كدمة، وكل وجع، سيبقى معك حتى تصاب بالجنون من المعاناة. كما قلتُ لك؛ مرحبًا بك في إيلانتريس".

سأله رايودن بينما يدلك إبهام قدمه، وهو ما لم يخفف من ألمه: "كيف تتحملون الأمر؟". كانت مجرد إصابة بسيطة تافهة، ولكنه أحس أنه يقاوم لمنع عينيه من أن تترقرق بدموع الألم.

"نحن لا نتحمله، إما أن نكون حذرين للغاية، أو سينتهي بنا المطاف مثل هؤلاء الرولوس[٧] الذين رأيتهم في الباحة".

"في الباحة... آيدوس[٨] دومي!". أجبر رايودن نفسه على الوقوف على قدميه ثم مشي وهو يعرج نحو الفناء. وجد الفتى الشحاذ في نفس المكان بالقرب من مدخل الزقاق. كان لا يزال حيًّا... بطريقة ما.

---

[٧] رولو: كلمة باللغة الدولادية تعني أحمق، وجمعها رولوس.

[٨] آيدوس: تعني الرحيم. وعادة ما تستخدم مرتبطة باسم دومي.

كانت عينا الفتى تحدقان بخواء إلى الفراغ، وبؤبؤ كل عين يرتجف، بينما شفتاه تتحركان بصمت دون أن يند عنهما أدنى صوت. كان عنق الفتى قد تحطم تمامًا، وهناك جرح عميق في جانب العنق يكشف عن الفقرات والحلق. كان الفتى يحاول بلا جدوى أن يتنفس عبر هذه الفوضى.

فجأة لم تعد إصابة إبهام رايودن تبدو سيئة للغاية. همس رايودن وهو يشيح برأسه ومعدته تنقبض: "آيدوس دومي...". مد يده واتكأ على جانب أحد المباني ليحافظ على توازنه وهو يحني رأسه ويحاول أن يتفادى إضافة المزيد من الأوساخ على الأرض.

قال جالادون بنبرة عملية وهو يربض بجانب الشحاذ: "لم يتبقَّ الكثير من أجل هذا الفتى".

قال رايودن: "كيف...؟". ثم بتر حديثه عندما انقبضت معدته مرة أخرى. ألقى بجسده ليجلس في الوحل، وبعد بضعة أنفاس عميقة استكمل حديثه قائلًا: "إلى متى سيعيش هكذا؟".

قال جالادون ولكنته تحمل نبرة من الحزن: "ما زلت لم تفهم يا سول، إنه ليس حيًّا، لا أحد منا حي، لهذا نحن هنا، كولو؟ سيبقى الفتى هكذا إلى الأبد، فهذه في نهاية المطاف هي المدة الزمنية القياسية لكل لعنة أبدية".

"هل هناك شيء يمكننا فعله؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "يمكننا أن نحاول حرقه، بافتراض أن بإمكاننا أن نشعل نارًا. يبدو أن الأجساد الإيلانترية تحترق أفضل من أجساد البشر الطبيعيين، والبعض يعتقد أن هذا موت مناسب لمن هم على شاكلتنا".

قال رايودن وهو لا يزال غير قادر على النظر إلى الفتى: "و... وإن فعلنا هذا فماذا سيحدث له... لروحه؟".

قال جالادون: "ليس لديه روح، أو هذا ما يقوله الكهنة لنا. الكوراثيون، والديريثيون، والجسكريون، جميعهم يقولون نفس الشيء؛ إننا ملعونون".

"هذا لا يُجيب عن سؤالي، هل سيتوقف الألم إن أحرقناه؟".

نظر جالادون إلى الفتى، وأخيراً هزَّ كتفيه وقال: "البعض يقول إنك إن أحرقتنا، أو قطعت رؤوسنا، أو فعلت بنا أي شيء من شأنه أن يُدمر أجسادنا تمامًا، فإننا سنتوقف عن الوجود. يقول آخرون إن الألم سيستمر، إننا سنصير الألم، يعتقدون أننا سنطفو بلا تفكير، غير قادرين على الشعور بأي شيء سوى المعاناة. لا يُعجبني أيًّا من الخيارين، لذا أحاول فقط أن أحافظ على نفسي سليمًا، كولو؟".

همس رايودن: "أجل، كولو". ثم التفت وقد استجمع أخيراً من الشجاعة ما يكفي لأن ينظر إلى جرح الفتى. كان الجرح الهائل يُحدق إليه، والدم ينساب ببطء من الجرح كما لو كان السائل مستقرًّا في الأوردة، كالماء الراكد في بركة.

فجأة انتابت رايودن قشعريرة باردة وهو يمد يده ليتحسس صدره قبل أن يقول: "ليس لديَّ نبضات قلب". لقد أدرك هذا للمرة الأولى.

نظر جالادون إلى رايودن كأنما قد نطق بجملة حمقاء تمامًا وقال له: "أنت ميت يا سول، كولو؟".

***

لم يحرقا الفتى، ليس فقط لأنهما يفتقران إلى الأدوات المناسبة لإشعال النار، ولكن أيضًا لأن جالادون قد نهى عن الأمر. قال: "لا يمكننا أن نأخذ قرارًا من هذا القبيل، ماذا لو لم يكن له روح حقًّا؟ ماذا لو توقف عن الوجود عندما نحرق جسده؟ إن وجودًا من المعاناة أفضل من عدم الوجود على الإطلاق بالنسبة للكثيرين".

تركا الفتى حيث سقط، فعل جالادون هذا دون تردد، فلحق به رايودن لأنه لا يستطيع التفكير في أي شيء آخر لفعله، رغم أنه كان يشعر بألم الإحساس بالذنب أكثر من ألم إبهامه.

كان من الجلي أن جالادون لا يُبالي إن كان رايودن قد لحق به أم لا، وهو يخطو في الاتجاه المعاكس، أو يقف ليحدق باهتمام إلى بقعة من الأوساخ على الجدار. كان الرجل الضخم أسمر البشرة يسير عائدًا عبر الطريق الذي أتيا منه، وهو يمر من آن لآخر بجسد متأوه في الأوساخ، موليًا ظهره إلى رايودن بلا مبالاة تامة.

حاول رايودن أن يستجمع أفكاره وهو يُراقب الدولادي أثناء سيره، لقد تدرب طيلة حياته في السياسة، سنوات من الإعداد قد جعلته مهيأً لاتخاذ قرارات سريعة، وقد اتخذ قرارًا حينها، قرر أن يثق في جالادون.

كان هناك شيء حيال هذا الدولادي يجعله مثيرًا للإعجاب بشكل فطري، شيء وجده رايودن جذابًا بشكل مبهم، حتى لو كان مغطى بأوساخ من التشاؤم سميكة كالوحل على الأرض. لم يكن الأمر فقط هو وضوح جالادون أو سلوكه المتأني، يزعم جالادون أنه قد قبل المحتوم، ولكنه أحس بالحزن لأنه كان مضطرًا لهذا.

وجد الدولادي مجلسه السابق على الدرجات فاستقر عليها مرة أخرى. أخذ رايودن نفسًا حازمًا ثم اقترب من الرجل ووقف أمامه في ترقب. رفع جالادون عينيه وهو يقول: "ماذا؟".

قال رايودن وهو يجلس القرفصاء على الأرض أمام الدرجات: "أنا بحاجة إلى مساعدتك يا جالادون".

قال جالادون في سخرية: "هذه إيلانتريس يا سول، لا يوجد شيء اسمه المساعدة، لن تجد هنا سوى الألم والجنون والكثير من الوحل".

"يبدو أنك تصدق هذا حقًّا".

"أنت تسأل في المكان الخاطئ يا سول".

قال رايودن: "أنت الشخص الوحيد غير الفاقد للوعي الذي التقيته هنا ولم يحاول مهاجمتي. إن تصرفاتك مقنعة أكثر من كلماتك".

"ربما لم أحاول إيذاءك لأنك ببساطة لم تعد تملك شيئًا يمكن سلبه".

"لا أصدق هذا".

هزَّ جالادون كتفيه كأنما يقول "لا أُبالي بما تصدقه". ثم أمال رأسه متكئًا على جانب المبنى وأغلق عينيه.

سأله رايودن بصوت خافت: "هل أنت جائع يا جالادون؟".

فتح الرجل عينيه على الفور.

قال رايودن مفكرًا: "كثيرًا ما تساءلت متى يُطعم الملك آيادون الإيلانتريين، لم أسمع من قبل عن أي مؤن تدخل المدينة، ولكني لطالما افترضت أنها تُرسل، فالإيلانتريون يبقون أحياء على أي حال. لم أفهم الأمر قط. إن كان الناس في هذه المدينة يُمكنهم العيش بدون نبضات قلب إذن فعلى الأرجح يُمكنهم العيش بدون طعام. هذا لا يعني بالطبع أن الجوع يزول. كنت أشعر بنهم شديد عندما استيقظت هذا الصباح، وما زلت أشعر به، ومن النظرات في أعين أولئك الرجال الذين هاجموني أفترض أن الجوع لا يزداد إلا سوءًا".

مد رايودن يده تحت روبه القرباني الملطخ بالأوساخ ليُخرج شيئًا نحيفًا ويرفعه لأعلى كي يراه جالادون؛ قطعة من اللحم المجفف. انفتحت عينا جالادون على اتساعهما، وتغير وجهه من الملل إلى الاهتمام. كان هناك بريق في هاتين العينين، شيء من الجموح الذي قد رآه رايودن في

الرجال المتوحشين باكرًا. كان تحت السيطرة بشكل أكبر، ولكنه هناك. وللمرة الأولى يُدرك رايودن قدر مقامرته على انطباعه الأول عن الدولادي.

سأله جالادون ببطء: "من أين جئت بهذه؟".

"لقد سقطت من سلتي عندما كان الكهنة يقتادونني إلى هنا، لذا دسستها في ملابسي. هل تريدها أم لا؟".

لم يُجبه جالادون للحظة، ثم قال: "ما الذي يجعلك تعتقد أنني ببساطة لن أهاجمك وآخذها؟". هذه الكلمات لم تكن مجرد افتراض، فقد كان بمقدور رايودن معرفة أن جزءًا من جالادون يضع مثل هذا التصرف في الحسبان. ولكنه لم يكن قادرًا على تحديد حجم هذا الجزء.

"لقد ناديتني بـ (سول) يا جالادون، كيف يمكنك أن تقتل شخصًا قد أطلقت عليه لقب صديق؟".

اعتدل جالادون ونظره مُعلَّق بقطعة اللحم الصغيرة، ثم سالت قطرة صغيرة غير ملحوظة من اللعاب على جانب فمه، قبل أن يرفع عينيه لينظر إلى رايودن الذي كان قلقه يتزايد. عندما التقت أعينهما لمع شيء في عيني جالادون وانكسر التوتر. فجأة ضحك الدولادي ضحكة مدوية قبل أن يقول: "هل تتحدث اللغة الدولادية يا سول؟".

قال رايودن بتواضع: "عدد قليل من الكلمات فقط".

"رجل متعلم؟ قربان ثمين من أجل إيلانتريس اليوم! حسنًا أنت رولو ماكر، ما الذي تريده؟".

قال رايودن: "ثلاثين يومًا، ستصحبني في أرجاء المكان لثلاثين يومًا وتخبرني بكل ما تعرفه".

"ثلاثين يومًا يا سول؟ أنت كايانا[٩]".

قال رايودن وهو على وشك أن يعيد قطعة اللحم إلى داخل ملابسه: "حسبما أرى فإن الطعام الوحيد الذي يدخل هذا المكان يأتي مع الوافدين الجدد، لا شك أنك تشعر بالجوع الشديد مع قلة القرابين وكثرة الأفواه التي يجب إطعامها. أتصور أن الجوع يكاد أن يكون مثيرًا للجنون".

قال جالادون وقد عاد إليه لمحة من حدته السابقة: "عشرين يومًا".

"ثلاثين يا جالادون، إن لم تكن ترغب في مساعدتي فشخص آخر سيفعل".

جزَّ جالادون على أسنانه ثم تمتم قائلًا وهو يمد يده إلى الأمام: "ثلاثين يومًا يا رولو. لحسن الحظ أنني لم أخطط لأي رحلات طويلة من أجل الشهر المقبل".

ألقى إليه رايودن بقطعة اللحم وهو يضحك.

انتزع جالادون اللحم، ورغم أن يده تحركت غريزيًا نحو فمه إلا أنه توقف، وبحركة حذرة دس اللحم في جيبه وهو يعتدل واقفًا قبل أن يقول: "إذن بماذا يجب أن أناديك؟".

صمت رايودن للحظة؛ *ربما من الأفضل ألا يعرف أحد في الوقت الحالي أنني من العائلة من الملكية*. قال: "سول لا بأس بها بالنسبة لي".

ضحك جالادون وقال: "أرى أنك من النوع المحب للخصوصية، حسنًا فلنذهب إذن، حان الوقت لكي تحظى بالجولة الكبرى".

---

[٩] كايانا: كلمة باللغة الدولادية تعني مجنون.

# الفصل الثاني

نزلت سارين عن السفينة لتكتشف أنها صارت أرملة، كان خبرًا صادمًا بالطبع، ولكنها لم تكن محطمة كما يُفترض بها أن تكون، فهي لم تلتقِ بزوجها. في الواقع عندما رحلت سارين عن وطنها كانت هي ورايودن مخطوبين فقط، افترضت أن مملكة أريلون ستنتظر وصولها قبل أن يُعقد الزفاف، أو على الأقل من حيث جاءت كان من المفترض أن يكون الشريكان حاضرين عندما يتزوجان.

"لم يعجبني قط هذا البند في عقد الزفاف يا سيدتي". قالها مُرافق سارين؛ كرة من الضوء بحجم بطيخة تحوم بجانبها.

كانت سارين تنقر بقدمها على الأرض في انزعاج وهي تشاهد الحمالين يحملون متاعها إلى عربة. كان عقد الزواج عبارة عن وثيقة ضخمة من خمسين صفحة، وأحد الشروط يجعل زواجها مُلزمًا قانونيًّا إن ماتت هي أو خطيبها قبل حفل الزفاف.

قالت: "إن هذا الشرط شائع إلى حد كبير يا آش، وبهذا يضمنون عدم إلغاء معاهدة الزواج السياسي إذا حدث شيء لأحد الشريكين. ولكني لم أرَه يُنفذ على أرض الواقع من قبل".

أجابها كرة الضوء بصوت عميق، حتى أن كلماته كانت واضحة تمامًا: "حتى اليوم".

وافقته سارين قائلة: "حتى اليوم. ولكن كيف كنت سأعرف أن الأمير رايودن لن يظل حيًّا الخمسة أيام التي نستغرقها لعبور بحر فيوردن؟". صمتت قليلًا وهي تعقد حاجبيها مفكرة قبل أن تقول: "فلتذكر لي نص هذا الشرط يا آش، أُريد أن أعرف فحواه بالضبط".

قال آش: "إن حدث واستدعى دومي الرحيم أحد الزوجين إلى بيته قبل موعد الزفاف المحدد مُسبقًا فستعد الخِطبة مُعادلًا للزواج من جميع النواحي القانونية والاجتماعية".

"لم يتركوا مجالًا للمجادلة، أليس كذلك؟".

"يؤسفني هذا يا سيدتي".

عقدت سارين حاجبيها في انزعاج وهي تطوي ذراعيها وتنقر على خدها بسبابتها بينما تُراقب الحمالين. كان هناك رجل طويل نحيف يوجه العمل بعينين ملولتين ونظرة مستسلمة. كان الرجل هو أحد أفراد البلاط الأريلي، ويُدعى كيتول، وهو الاستقبال الوحيد الذي رآه الملك آيادون مناسبًا لإرساله لملاقاتها. كان كيتول هو من "أخبرها بأسف" أن خطيبها "قد مات بمرض غير متوقع" أثناء رحلتها. كان قد نقل إليها الخبر بنفس النبرة الملولة غير المكترثة التي يأمر بها الحمالين.

قالت سيرين تستوضح الأمر: "إذن فأنا الآن أميرة أريلون بحسب القانون".

"هذا صحيح يا سيدتي".

"والعروس الأرملة لرجل لم ألتقِ به قط".

"هذا أيضًا صحيح".

"سيضحك أبي حتى يتعب عندما يسمع بهذا، لن ينسى هذا الأمر أبدًا".

ومض آش قليلًا في انزعاج ثم قال: "لن يتلقى الملك مثل هذا الخبر الحزين باستخفاف يا سيدتي، لا شك أن وفاة الأمير رايودن قد جبلت الكثير من الحزن للأسرة الملكية في أريلون".

"أجل الكثير من الحزن، حتى أنهم لم يتكبدوا عناء المجيء للقاء ابنتهم الجديدة".

"ربما كان الملك آيادون ليأتي بنفسه لو كان لديه خبر بوصولنا...".

عقدت سارين حاجبيها، ولكن هذا السيون كان محقًّا، إن وصولها المبكر قبل حفل الزفاف الرئيسي ببضعة أيام كان من المفترض أن يكون مفاجئة ما قبل الزفاف للأمير رايودن. أرادت أن تحظى ببضعة أيام على الأقل لتقضيها معه على انفراد وبشكل شخصي. إلا أن تكتمها لم يكن في صالحها في نهاية المطاف.

قالت: "أخبرني يا آش، كم ينتظر الناس في أريلون عادة ما بين وفاة الشخص ودفنه؟".

اعترف آش قائلًا: "لست واثقًا يا سيدتي، لقد رحلت عن أريلون منذ وقت طويل ولم أعش هنا إلا لوقت قصير، حتى أنني لا أتذكر إلا القليل من التفاصيل. ولكن تُخبرني دراستي أن عادات أريلون متشابهة إلى حد كبير مع عادات وطنك".

أومأت سيرين برأسها ثم لوحت إلى مبعوث الملك آيادون.

سألها كيتول بنبرة متكاسلة: "ما الأمر يا سيدتي؟".

سألته سارين: "هل أعددتم جنازة من أجل الأمير؟".

أجابها المبعوث: "أجل يا سيدتي، خارج الكنيسة الكوراثية، سيجري الدفن هذا المساء".

"أُريد الذهاب لرؤية النعش".

صمت كيتول للحظة ثم قال: "آه... أمر جلالة الملك بإحضارك إليه على الفور...".

قالت سارين وهي تمشي ناحية العربة: "إذن لن أقضي وقتًا طويلًا في خيمة العزاء".

***

تفحصت سارين خيمة العزاء المزدحمة بعين ناقدة وهي تنتظر أن يمهد لها كيتول وعدد من الحمالين الطريق لكي تصل إلى النعش. اعترفت في قرارة نفسها أن كل شيء يبدو لا غبار عليه، الزهور، والقرابين، والكهنة الكوراثيين الذين يتلون الصلوات. كان الشيء الغريب الوحيد هو مدى ازدحام الخيمة.

قالت لآش: "بالتأكيد يوجد عدد كبير من الناس هنا".

أجابها السيون وهو يحوم بجانبها: "كان الأمير محبوبًا للغاية يا سيدتي. ووفقًا لتقاريرنا كان الشخصية العامة الأكثر شعبية في البلاد".

أومأت سارين برأسها وهي تخطو عبر الممر الذي أعده لها كيتول. كان نعش الأمير رايودن موضوعًا في منتصف الخيمة، تحرسه دائرة من الجنود الذين لا يسمحون للجماهير بالاقتراب أكثر من اللازم. وبينما تمشي أحست بالحزن الحقيقي في وجوه هؤلاء الحاضرين.

قالت لنفسها: *إذن فهذا حقيقي، الناس يحبونه حقًا.*

أفسح لها الجنود الطريق لكي تقترب من النعش، الذي يحمل نقوشًا من الأحرف الآيونية، معظمها رموز للأمل والسلام، بحسب التقاليد الكوراثية. كان النعش الخشبي كله محاطًا بدائرة من الأطعمة الفاخرة، وهو القربان الذي يُقدَّم بالنيابة عن المتوفى.

التفتت إلى واحد من الكهنة الكوراثيين، رجل ضئيل الحجم تبدو عليه الطيبة، ثم سألته: "هل يمكنني رؤيته؟".

قال الكاهن: "المعذرة يا طفلتي، ولكن مرض الأمير قد شوهه بشكل غير سار. لقد أمر الملك بدفن الأمير بكرامته".

أومأت سارين برأسها وهي تُعيد نظرها إلى النعش، لم تعرف ما الذي كانت تتوقع أن تشعر به وهي تقف أمام الرجل الميت الذي كان سيتزوجها، الغريب أنها أحست... بالغضب.

أزاحت مشاعرها جانبًا للحظة وجالت ببصرها في الخيمة، لقد بدت رسمية أكثر من اللازم، على الرغم من أن الحزن قد بدا على الزائرين بوضوح، ولكن الخيمة والقرابين والزخارف كلها بدت عقيمة.

قالت لنفسها: *رجل في عمر رايودن من المفترض أن يتمتع بالحيوية، يموت من رعشات السعال. يُمكن أن يحدث هذا ولكنه لم يكن مرجحًا بالتأكيد.*

سألها آش بصوت خافت: "سيدتي... هل هناك خطب ما؟".

لوَّحت بيدها إلى السيون ثم مشت عائدة إلى العربة وهي تقول بهدوء: "لا أعرف، شيء ما هنا لا يبدو صحيحًا يا آش".

قال آش مُذكِّرًا: "أنتِ مرتابة بطبيعتك يا سيدتي".

"لم لا يقيم الملك آيادون سهرة عزاء لابنه؟ قال الكيتول إنه سيعقد البلاط، كأن موت ابنه لا يُزعجه إطلاقًا". هزت سارين رأسها ثم قالت: "لقد تحدثت مع رايودن قبل أن أُغادر تيود مباشرة وقد بدا أنه بخير. هناك خطب ما يا آش وأُريد أن أعرف ما هو".

قال آش: "أوه... أنتِ تعرفين يا سيدتي أن أباك قد طلب مني أن أحاول إبقاءك بعيدة عن المتاعب".

ابتسمت سارين وقالت: "هذه مهمة مستحيلة... هيا بنا، أُريد أن أذهب لملاقاة أبي الجديد".

***

اتكأت سارين على نافذة العربة وهي تُراقب المدينة تمضي بجوارها بينما تتوجه ناحية القصر. كانت جالسة في صمت ولا يشغل بالها إلا فكرة واحدة.

*ما الذي أفعله هنا؟*

كانت كلماتها لآش تبدو واثقة ولكنها لطالما كانت بارعة في إخفاء مخاوفها. صحيح أنها تشعر بالفضول تجاه موت الأمير، ولكن سارين تعرف نفسها جيدًا. جزء كبير من هذا الفضول كان محاولة لإبعاد عقلها عن مشاعر الدونية والإحراج. أي شيء يجعلها تتجنب الاعتراف بحقيقتها؛ امرأة نحيلة وفظة تكاد أن تتخطى ريعان شبابها. إنها في الخامسة والعشرين من العمر، وكان يجب أن تتزوج منذ سنوات مضت، وكان رايودن هو فرصتها الأخيرة.

قالت سارين في قرارة نفسها بسخط: *كيف تجرؤ على الموت قبل أن تتزوجني يا أمير أريلون!* ولكن لم يفتها المفارقة في الأمر، كان من المناسب أن يموت هذا الرجل الذي ظنَّت أنها ستعتاد عليه وتحبه قبل حتى أن تلتقي به. لقد صارت وحيدة في بلد غير مألوف مرتبط سياسيًّا بملك لا تثق فيه. لقد كان شعورًا مضنيًّا من الوحدة.

قالت لتذكر نفسها: *لقد كنتِ وحيدة من قبل يا سارين، ستتجاوزين الأمر، عليك فقط أن تجدي شيئًا لتشغلي به بالك، سيكون أمامك بلاط جديد لتستكشفيه، فلتستمتعي بالأمر.*

تنهدت سارين وهي تعيد انتباهها إلى المدينة، على الرغم من خبرتها الكبيرة في العمل في الأمور الدبلوماسية مع والدها إلا أنها لم تزر أريلون من قبل، لقد عزلت معظم الممالك الأخرى أريلون بشكل غير رسمي منذ سقوط إيلانتريس. لا أحد يعرف سبب لعنة المدينة الأسطورية، وكان الجميع قلقًا من انتشار هذا المرض الإيلانتري.

كانت سارين مندهشة من الازدهار الذي رأته في كاي، كانت شوارع المدينة واسعة وتحظى بالاعتناء. وكان الناس في الشوارع يرتدون ملابس أنيقة ولم ترَ متسولًا واحدًا. رأت إلى جانبها

مجموعة من الكهنة الكوراثيين في أروابهم الزرقاء يمشون بهدوء عبر الحشد يتقدمون شخصًا غريبًا يرتدي روبًا أبيض. راقبت الموكب وهي تتساءل من يكون حتى اختفت المجموعة بأن انعطفت عند إحدى النواصي.

من منظورها لم تعكس كاي أيًّا من المصاعب الاقتصادية التي كان من المفترض أن تُعاني منها أريلون. مرت العربة بالعشرات من القصور المسيجة، وكل قصر منها مبني بطراز معماري مختلف، كانت بعض القصور شاسعة بأجنحة واسعة وأسقف مدببة على الطراز المعماري الدولادي، وقصور أخرى كانت أشبه بالقلاع، حيث بدت أسوارها الصخرية وكأنها قد نُقلت مباشرة من ريف فيوردن العسكري. ولكن جميع القصور كانت تتشارك شيئًا واحدًا ألا وهو الثراء. ربما يتضور أناس هذا البلد جوعًا، ولكن كاي ـ عاصمة أرستقراطية أريلون ـ لم يبدُ عليها أنها قد لاحظت هذا.

بالطبع لا يزال هناك ظل مزعج يخيم على المدينة، كان سور إيلانتريس الهائل يلوح في الأفق، وارتجفت سارين لمرأى أحجاره السوداء المهيبة، لقد سمعت حكايات حول إيلانتريس طيلة الوقت تقريبًا منذ أن نضجت، حكايات عن السحر الذي كان ينبع عنها ذات يوم، والوحشية التي تقطن شوارعها المظلمة الآن. مهما كانت البيوت فخمة، ومهما كانت الشوارع ثرية، فإن هذا النصب التذكاري يُمثل شهادة على أنه ليس كل شيء على ما يرام في أريلون.

قالت سارين: "أتساءل لِمَ يعيشون هنا من الأساس؟".

"سيدتي؟".

"لِمَ بنى الملك آيادون قصره في كاي؟ لِمَ اختار مدينة قريبة للغاية من إيلانتريس؟".

قال آش: "أعتقد أن الأسباب اقتصادية في المقام الأول يا سيدتي. لا يوجد سوى عدد قليل من الموانئ التي يُمكن العيش فيها على الساحل الشمالي لأريلون، وهذا هو أفضلها".

أومأت سارين برأسها، فالخليج الذي يُشكله اندماج نهر أريدل مع المحيط يصنع ميناءً يُحسدون عليه، ولكن مع هذا...

قالت سارين وهي تفكر في الأمر: "ربما الأسباب سياسية، لقد اعتلى آيادون سدة الحكم في أوقات مضطربة. ربما يعتقد أن البقاء بالقرب من العاصمة القديمة سيمنحه السلطة".

قال آش: "ربما يا سيدتي".

فكرت أن الأمر ليس مهمًا حقًّا، فمن الواضح أن القرب من إيلانتريس. أو الإيلانتريين. لا يزيد من فرصة أن يستولي الشايود على المرء.

أشاحت بوجهها بعيدًا عن النافذة لتنظر إلى آش الذي كان يحوم فوق الكرسي بجانبها. لم تشاهد أي سيون بعد في شوارع كاي، على الرغم من أن هذه المخلوقات. قيل إنها من صنائع إيلانتريس السحرية القديمة. من المفترض أن تكون شائعة في أريلون أكثر من وطنها. إن ضيقت عينيها فيمكنها بالكاد أن تميز الأيون المتوهج في قلب ضوء آش.

قالت سارين أخيرًا: "على الأقل المعاهدة ليست مهددة بالخطر".

قال آش بصوته العميق: "هذا على افتراض أنك ستبقين في أريلون يا سيدتي، على الأقل هذا ما ينص عليه عقد الزواج. ما دمتِ ستبقين هنا وتظلين مخلصة لزوجك فإن الملك آيادون سيحترم تحالفه مع تيود".

تمتمت سارين: "أظل مخلصة لرجل ميت". ثم تنهدت قبل أن تقول: "حسنًا هذا يعني أن عليَّ البقاء، بزوج أو بدون زوج".

"إن كنتِ تشائين هذا يا سيدتي".

قالت سارين: "نحن بحاجة إلى هذه المعاهدة يا آش، إن فيوردن تبسط نفوذها بمعدل لا يُصدق. قبل خمس سنوات كنت سأقول إننا لسنا بحاجة للقلق، فلن يملك كهنة فيوردن أي سلطة في أريلون، ولكن الآن...". هزَّت سارين رأسها، لقد تغير الكثير مع انهيار جمهورية دولادل.

قالت: "لم يكن من المفترض أن نُبقي أنفسنا بمعزل عن أريلون طيلة السنوات العشرة الماضية يا آش. ربما لم أكن لأتورط في هذا الموقف إن كنا قد أقمنا علاقات قوية مع الحكومة الأريلية قبل عشر سنوات".

قال آش: "كان والدك يخشى من أن تنتقل عدوى اضطرابهم السياسي إلى تيود، ناهيك بذكر الريود، لم يكن أحد متيقنًا إن كان ما أصاب الإيلانتريين سيصيب الأشخاص العاديين أيضًا أم لا".

أبطأت العربة فتنهدت سارين وأنهت النقاش. كان والدها يعلم أن فيوردن تُمثل خطرًا، وأنه يجب إعادة تشكيل التحالفات القديمة، وهذا سبب وجودها في أريلون. انفتحت بوابة القصر أمامهم على مصراعيها. وحيدة أو لا، لقد وصلت، وتيود تعتمد عليها. يجب عليها أن تعد أريلون من أجل الحرب الموشكة، الحرب التي ستصير حتمية لحظة سقوط إيلانتريس.

***

كان والد سارين الجديد، آيادون ملك أريلون، رجلًا نحيلًا بوجه ماكر، كان يتشاور مع العديد من مسئوليه عندما دلفت سارين إلى قاعة العرش ووقفت دون أن يُلاحظها لخمس عشرة دقيقة تقريبًا قبل حتى أن يومئ إليها برأسه. شخصيًّا لم تمانع الانتظار، فقد منحها هذا فرصة لمُراقبة الرجل الذي أقسمت على الولاء له، ولكن كرامتها جعلتها تشعر بالإهانة رغمًا عنها لهذه المعاملة. إن مكانتها كأميرة تيود وحدها من المفترض أن تجعلها تحظى بالاستقبال اللائق على الأقل.

بينما تنتظر خطر لها شيء ما، لم يبدُ آيادون كرجل في حداد على رحيل ابنه وولي عهده، لم يكن هناك أدنى دلالة على الحزن في عينيه، ولا شيء من الإنهاك الذي يصحب عادة وفاة أحد الأحباء. في الواقع بدا البلاط نفسه خاليًا بشكل ملحوظ من أمارات الحداد.

تساءلت سارين في فضول: *هل آيادون رجل قاسي القلب إذن؟ أم أنه ببساطة رجل يعرف كيف يتحكم في عواطفه؟*

إن السنوات التي قضتها سارين في بلاط أبيها قد علمتها أن تكون خبيرة في الشخصيات النبيلة. رغم أنها لا تستطيع سماع ما يقوله آيادون . فقد طلب منها كيتول أن تبقى في نهاية القاعة وتنتظر الإذن بالاقتراب . ولكن تصرفات الملك وسلوكياته قد أفصحت عن شخصيته. كان آيادون يتحدث بحزم، ويوجه الأوامر مباشرة، ومن آن لآخر يصمت ليكز الخريطة الموضوعة على طاولته بإصبعه النحيفة. كان يحمل كل أمارة على أنه رجل يتمتع بشخصية قوية، ولديه فكرة محددة عن الطريقة التي يجب أن تجري بها الأمور، لم تكن هذه أمارة سيئة. قررت سارين مؤقتًا أنها قد تكون قادرة على العمل مع هذا الرجل.

لوَّح لها الملك آيادون بيده لكي تقترب. أخفت انزعاجها من الانتظار بعناية وهي تقترب منه بهالة لائقة من الخضوع النبيل. وبينما هي على وشك أن تنحني في لباقة قاطعها قائلًا: "لم يخبرني أحد أنك طويلة للغاية هكذا".

قالت وهي ترفع نظرها إليه: "سيدي؟".

"حسنًا، أعتقد أن الشخص الوحيد الذي كان سيهتم بهذا لم يعد موجودًا لرؤيته. إيشن!". قالها بحدة مما جعل امرأة تكاد تكون مختفية بالقرب من الطرف الآخر للقاعة تقفز امتثالًا لأمره.

"اصحبي هذه المرأة إلى جناحها، واحرصي أن يكون لديها الكثير من الأشياء لتبقيها منشغلة، التطريز أو أيًّا كان ما يسليكن أيتها النسوة". وما إن انتهى الملك من حديثه حتى أولى اهتمامه إلى المقابلة التالية، مجموعة من التجار.

تجمَّدت سارين في منتصف انحناءتها مذهولة من عدم تحلي آيادون بأدنى قدر من اللباقة. لم يمنعها من أن تفغر فاها إلا سنوات من التدريب على آداب البلاط. بسرعة ولكن في تردد اقتربت المرأة التي وجه لها آيادون الأمر ـ الملكة إيشن زوجة الملك ـ وأمسكت بذراع سارين. كانت إيشن قصيرة ونحيلة، وشعرها الأشقر البني الأيوني لم يخطه الشيب إلا قليلًا.

قالت إيشن بصوت رفيع: "تعالي يا طفلتي، يجب ألا نضيع وقت الملك".

سمحت لها سارين بأن تجذبها عبر واحد من أبواب القاعة الجانبية، ثم تمتمت بصوت هامس: "بحق دومي الرحيم، ما الذي ورطتُ نفسي فيه؟".

***

"... وستبتهجين عندما تتفتح الزهور، لقد أمرت البستانيين بأن يزرعوها، لكي تتمكني من شم رائحتها دون حتى أن تميلي خارج النافذة. ولكني أتمنى لو لم تكن بمثل هذه الضخامة".

عقدت سارين حاجبيها في حيرة وقالت: "الزهور؟".

أكملت الملكة حديثها دون أن تكاد تتوقف: "لا يا عزيزتي، النوافذ. لا يمكنك أن تصدقي مدى سطوع الشمس عندما تشرق من خلالها في الصباح. لقد طلبت منهم ـ أعني البستانيين ـ أن يجلبوا لي زهورًا برتقالية لأنني أحب اللون البرتقالي، ولكن حتى الآن كل ما وجدوه هو بعض الألوان الصفراء الشاحبة. قلت لهم إن كنت أريد زهورًا صفراء لأمرت بزراعة زهور الأبرتين. كان يجب عليك أن تريهم وهم يعتذرون، أنا واثقة من أنه سيكون لدينا بعض الزهور

البرتقالية بحلول نهاية العام القادم. ألا تعتقدين أن هذا سيكون جميلًا يا عزيزتي؟ بالطبع لا تزال النوافذ ضخمة للغاية، ربما يُمكنني أن آمر بإغلاق بعضها بالقرميد".

أومأت سارين برأسها وهي تشعر باهتمام شديد، لا بالمحادثة، بل بالملكة. كانت تعتقد أن المحاضرين في أكاديمية والدها ماهرون في أن ينطقوا بالكثير من الكلمات دون أن يقولوا شيئًا، ولكن إيشن تتفوق عليهم جميعًا. كانت الملكة تقفز من موضوع لآخر كفراشة تبحث عن مكان لتهبط فيه، ولكنها لا تجد أي مكان مناسب للبقاء فيه لفترة طويلة. ربما كان أي واحد من هذه المواضيع ليصير وقودًا لمحادثة مثيرة للاهتمام، ولكن الملكة لم تسمح لسارين بالتشبث بأي موضوع لوقت طويل لإيفائه حقه.

أخذت سارين نفسًا عميقًا لتهدئ نفسها، وهي تحض نفسها على التحلي بالصبر. لا يُمكنها أن تلوم الملكة لكونها هكذا، فمن تعاليم دومي أن كل شخصيات البشر هي هدايا يجب الاستمتاع بها. كانت الملكة جذابة حتى في طريقتها المتعرجة في الحديث. لسوء الحظ بعد لقاء سارين بالملك والملكة بدأت تشعر أنها ستواجه صعوبة في العثور على حلفاء سياسيين في أريلون.

شيء آخر أزعج سارين، شيء غريب حيال الطريقة التي تتصرف بها إيشن، لا يُمكن لأحد أن يتحدث بنفس القدر الذي تتحدث به الملكة، فهي لم تترك لحظة تمر في صمت. بدا الأمر وكأن المرأة لا تشعر بالارتياح في وجود سارين، وفجأة أدركت سارين ما يحدث، إن إيشن تتحدث في كل موضوع يُمكن أن يخطر على البال باستثناء الموضوع الأكثر أهمية، الأمير الراحل. ضيقت سارين عينيها في ريبة، لا يمكن أن تكون واثقة، فقد كانت إيشن على أي حال امرأة متقلبة، ولكن بدا أن الملكة تتصرف بمرح أكثر من اللازم بالنسبة لامرأة قد فقدت ابنها للتو.

"ها هي غرفتك يا عزيزتي، لقد أفرغنا متاعك وأضفنا بعض الأشياء أيضًا، لديك ملابس من كل لون، حتى الأصفر، رغم أنني لا أتخيل لم قد ترغبين في ارتدائه، لون فظيع. هذا لا يعني أن شعرك فظيع بالطبع، فاللون الأشقر لا يُشبه اللون الأصفر بالطبع، ليس أكثر من الشبه بين الحصان والخضراوات. ليس لدينا حصان من أجلك بعد، ولكن يُمكنك استخدام أي حصان في إسطبلات الملك كما يحلو لكِ. لدينا الكثير من الحيوانات كما ترين. تكون دولادل جميلة في مثل هذا الوقت من العام".

قالت سارين وهي تتفحص الغرفة: "بالطبع". كانت الغرفة صغيرة ولكنها تُناسب ذوقها، فالمساحة الشاسعة تُشعرها بالرهبة تمامًا كما تُشعرها المساحة الضيقة بالاختناق.

قالت إيشن: "ستحتاجين إلى هذه يا عزيزتي". كانت تشير بيدها الصغيرة إلى كومة من الملابس لم تكن معلقة مثل البقية، كأنما قد وصلت مؤخرًا، وجميع الفساتين التي في الكومة كانت تتشارك سمة واحدة.

سألت سارين: "سوداء؟".

"بالطبع، أنتِ... أنتِ في...". تعثرت الكلمات على لسان إيشن.

قالت سارين وقد أدركت ما تعنيه: "أنا في حداد". راحت تنقر بقدمها على الأرض في استياء، لم يكن الأسود من ألوانها المفضلة.

أومأت إيشن برأسها وقالت: "يُمكنك أن ترتدي واحدًا منها في الجنازة هذا المساء، ستكون مراسم لائقة، لقد رتبت لها بنفسي". بدأت تتحدث عن زهورها المفضلة مرة أخرى، وسرعان ما تحول حديثها غير المنقطع إلى خطاب حول مدى كراهيتها للمطبخ الفيوردي. برفق ولكن بحزم اقتادت سارين المرأة إلى الباب وهي تومئ للمرأة بلُطف، وما إن وصلتا إلى الردهة حتى اعتذرت سارين متحججة بتعبها من أسفارها وسدت سيل حديث الملكة بأن أغلقت الباب.

قالت سارين لنفسها: "لن يمضي وقت طويل قبل أن أشعر بالضجر من هذا".

وافقها صوت آش العميق قائلًا: "إن الملكة لديها بالفعل موهبة في الإفراط في الحديث".

سألته سارين: "ما الذي عثرت عليه؟". وهي تقترب من كومة الملابس السوداء لتنتقي من بينها، بينما آش يحلق إلى الداخل عبر النافذة المفتوحة.

"لم أجد العديد من السيونات كما كنت أتوقع. أتذكر بشكل ما أن هذه المدينة كانت تعج بنا ذات يوم".

قالت سارين: "لقد لاحظت هذا أيضًا". بينما تمسك بفستان أمام المرآة، قبل أن تلقيه جانبًا وتقول: "أعتقد أن الأمور قد تغيرت".

"لقد تغيرت بالفعل، فقد سألت وفقًا لتعليماتك السيونات الآخرين عما يعرفونه عن موت الأمير المفاجئ. لسوء الحظ يا سيدتي فإنهم كانوا مترددين في مناقشة الحادثة، فهم يعتبرون أن موت الأمير قبل زواجه بوقت قصير هو نذير شؤم".

تمتمت سارين وهي تخلع ملابسها لتجرب الفستان: "وخصوصًا في حالته. هناك شيء غريب يحدث يا آش، أعتقد أنه ربما شخص ما قد قتل الأمير".

"قتله يا سيدتي؟". كان صوت آش مستنكرًا ونبض قليلًا أثناء حديثه. "لم قد يفعلون شيئًا كهذا؟".

"لا أعرف ولكن... هناك شيء غريب. لا يبدو هذا كبلاط في حالة حداد، فالملكة ـ على سبيل المثال ـ لم تبدُ مكلومة وهي تتحدث إليَّ. قد تعتقد أنها ستكون على الأقل منزعجة قليلًا لحقيقة أن ابنها قد مات بالأمس".

"هناك تفسير بسيط لهذا يا سيدتي، فربما نسيتِ أن الملكة إيشن ليست أم الأمير رايودن. كان رايودن ابن زوجة الملك آيادون الأولى، التي ماتت قبل أكثر من اثني عشر عامًا.

"متى تزوج مرة أخرى؟".

قال آش: "بعد الريود مباشرة، قبل استيلائه على العرش بأشهر قليلة".

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "ما زلت أشعر بالريبة". مدت يدها وراءها بصعوبة لتربط الأزرار في ظهر فستانها. ثم نظرت إلى نفسها في المرآة وتفحصت الفستان بعين ناقدة قبل أن تقول: "حسنًا إنه يُلائمني على الأقل، رُغم أنه يجعلني أبدو شاحبة، كنت أخشى إلى حد ما أن ينقطع عند ركبتي، أولئك النسوة الأرليات قصيرات بشكل غير طبيعي".

أجابها آش: "كما ترين يا سيدتي". كان يعرف جيدًا - مثلما تعرف سارين - أن النسوة الأرليات لسن قصيرات إلى هذا الحد، فحتى في تيود كانت سارين أطول من معظم النسوة الأخريات بمقدار رأس. كان أبوها يُناديها عصا الرما وهي طفلة، مستعيرًا الاسم من العمود الطويل الرفيع الذي يحدد خط المرمى في رياضته المفضلة، وحتى بعد امتلاء جسدها في فترة المراهقة كانت سارين لا تزال نحيلة بشكل لا يُمكن إنكاره.

قال آش مُقاطعًا أفكارها: "سيدتي".

"أجل يا آش؟".

"والدك في أمس الحاجة إلى الحديث معك، أعتقد أن لديكِ بعض الأخبار التي يستحق أن يسمعها".

أومأت سارين برأسها وهي تمنع نفسها من التنهد، بينما بدأ آش ينبض بسطوع. بعد لحظة ذابت كرة الضوء التي تشكل جوهره لتتحول إلى رأس متوهج؛ إيڤينتيو ملك تيود.

تحركت شفتا الرأس المتوهج بينما أبوها يسأل: "إين؟". كان رجلًا متين البنية برأس بيضاوي وذقن عريض.

"أجل يا أبي، أنا هنا". إن أباها يقف في هذا اللحظة بجانب سيون مشابه. على الأرجح ديو . سيتبدل ليمثل صورة متوهجة لرأس سارين.

سألها إيڤينتيو في قلق: "هل أنتِ متوترة بشأن الزفاف؟".

قالت ببطء: "حسنًا، بشأن هذا الزفاف... على الأرجح سترغب في أن تلغي خطتك للمجيء الأسبوع القادم. لن يكون هناك الكثير لتراه".

"ماذا؟".

كان آش محقًّا، لم يضحك أبوها عندما سمع أن رايودن قد مات. بدلًا من هذا تحول صوته إلى اهتمام حاد وظهر القلق على الوجه المتوهج. تضاعف قلقه عندما شرحت له سارين أن شرط الوفاة قبل الزواج قيد التنفيذ.

قال أبوها: "يؤسفني سماع هذا يا إين، أنا أعرف كم كنتِ تتطلعين لهذا الزواج".

"هذا غير صحيح يا أبي". إن إيڤينتيو يعرفها جيدًا أكثر من اللازم. "أنا لم ألتقِ بالرجل حتى، كيف يُمكن أن يكون لي أي تطلعات؟".

"أنتِ لم تلتقِ به ولكنك تحدثتِ معه عبر السيون، وكتبتِ له كل هذه الخطابات، أنا أعرفك يا إين، أنتِ رومانسية. لم تكوني لتقرري المضي قُدُمًا في هذا الأمر إن لم تُقنعي نفسك تمامًا بأنك يُمكن أن تُحبي رايودن".

كانت الكلمات صحيحة، وفجأة عاد إلى سارين إحساسها بالوحدة. لقد أمضت رحلتها عبر بحر فيوردن في حالة من التوتر وعدم التصديق، وهي متحمسة ومتخوفة في الوقت ذاته من مقابلتها للرجل الذي سيصير زوجها. ولكن حماسها كان أكبر من تخوفها.

لقد ابتعدت عن تيود في مناسبات عديدة، ولكنها كانت دومًا ما تُغادر موطنها بصُحبة آخرين، هذه المرة جاءت بنفسها، فقد سافرت قبل بقية القادمين إلى حفل الزفاف، لكي تُفاجئ رايودن. لقد قرأت خطابات الأمير وأعادت قراءتها مرات عديدة، حتى باتت تشعر أنها تعرفه، وأن الشخص الذي شكّلته من هذه الأوراق هو شخص معقد وعطوف، رجل تتوق بشدة لملاقاته.

والآن لن تلقاه، أحست بالمزيد من الوحدة، أحست أنها مرفوضة مرة أخرى، لا أحد يُريدها. لقد انتظرت كل هذه السنوات تُعاني من أب صبور لا يعرف كم يتجنبها رجال موطنها، وكيف يخافون من شخصيتها المباشرة أو حتى المتغطرسة. على الأقل وجدت رجلًا مستعدًّا لأن يتزوجها، وقد انتزعه دومي منها في اللحظة الأخيرة.

سمحت سارين لنفسها أخيرًا أن تشعر ببعض هذه المشاعر التي كانت تكبح جماحها منذ نزولها من السفينة، كانت مسرورة لأن السيون لا ينقل إلا ملامحها فقط، لأنها كانت ستشعر بالخجل إن رأى أبوها دمعة تسيل على وجنتها.

قالت: "هذا سخيف يا أبي، فهذا مجرد زواج سياسي بسيط، وجميعنا نعرف هذا. الآن هناك قواسم مشتركة بين بلدينا أكثر من اللغة، فقد صار هناك قرابة بين العائلتين الملكيتين".

همس أبوها: "أوه يا عزيزتي... يا صغيرتي سارين. كنت آمل أن ينجح هذا، فأنتِ لا تعرفين كم صليت أنا وأمك لكي تجدي السعادة هناك. آيدوس دومي! لم يكن علينا الموافقة على هذا الأمر".

قالت سارين: "كنت سأجعلك توافق يا أبي، نحن في حاجة ماسة للمعاهدة مع أريلون، لن يتمكن أسطولنا من ردع فيوردن عن شواطئنا لوقت طويل. البحرية السڤوردية كلها تحت قيادة الويرن[١٠]".

قال أبوها عبر رابط السيون: "لقد كبرتِ يا صغيرتي".

"كبرتُ وصرت قادرة على أن أزوج نفسي إلى جثة". ضحكت سارين بضعف. "ربما هذا هو الأفضل، لا أعتقد أن الأمير رايودن كان سيُشبه الصورة التي رسمتها عنه، عليك أن ترى أباه".

"لقد سمعت الحكايات، آمل أنها ليست حقيقية".

قالت سارين وقد سمحت لاستيائها من ملك أريلون أن يبدد حزنها: "لا شك أن الملك آيادون هو أبغض رجل قد قابلته في حياتي، بالكاد رحَّب بي قبل أن يصرفني لأشغل نفسي مع "التطريز أو أيًّا كان ما يسليكن أيتها النسوة" كما قال بنفسه. لو أن الأمير رايودن كان يُشبه والده ولو قليلًا فأنا أفضل حالًا هكذا".

كان هناك صمت قصير قبل أن يقول والدها: "ألا تريدين العودة إلى الوطن يا سارين؟ يُمكنني أن ألغي العقد إذا أردتُ مهما كان ما تنص عليه القوانين".

كان العرض مغريًا، اعترفت لنفسها بهذا، ولكنها ترددت قبل أن تقول أخيرًا وهي تهز رأسها: "لا يا أبي، يجب أن أبقى. هذه كانت فكرتي، وموت رايودن لن يغير من حقيقة أننا بحاجة إلى هذا التحالف، كما أن عودتي إلى الوطن ستكسر التقاليد. كلانا يعرف أن آيادون هو أبي الآن. ليس من المستحب أن تعيدني إلى بيتك".

[١٠] الويرن: هو لُقب يُمنح لإمبراطور فيوردن وقائد الكنيسة الديريثية في كوكب سيل الذي يُعد جزءًا من عالم الكوزمير، الذي تدور فيه أحداث العديد من روايات الكاتب.

"سأكون دومًا أباكِ يا إين، لعنة دومي على التقاليد. أبواب تيود دومًا مفتوحة لكِ".

قالت سارين بهدوء: "شكرًا لك يا أبي، كنت بحاجة إلى سماع هذا، ولكني ما زلت أعتقد أن عليَّ البقاء، مؤقتًا على الأقل. كما أن الأمر قد يكون مثيرًا للاهتمام، فلدي بلاط جديد مليء بالناس الذين يُمكنني اللعب معهم".

قال أبوها في تخوف: "إين... أنا أعرف هذه النبرة، ما الذي تخططين له؟".

قالت: "لا شيء، هناك فقط بعض الأشياء التي أرغب في دس أنفي فيها قبل أن أتخلى تمامًا عن هذا الزواج".

ساد الصمت للحظة ثم ضحك والدها وقال: "فليحمِهم دومي، إنهم لا يعرفون ما أرسلته إليهم. رفقًا بهم يا عصا الرما، لا أُريد أن أتلقى رسالة من الوزير نايولن في غضون شهر تُخبرني أن الملك آيادون قد ركض لينضم إلى أحد الأديرة الكوراثية، وأن الأريليين قد نصبوكِ ملكة بدلًا منه".

قالت سارين بابتسامة شاحبة: "لا بأس، سأنتظر شهرين على الأقل إذن".

انفجر والدها مرة أخرى في نوبة من ضحكاته المميزة، وبدا أن هذا قد أفادها أكثر من تعازيه ونصائحه. قال بعد أن هدأت ضحكاته: "انتظري دقيقة يا إين، دعيني أُحضر والدتك، سترغب في الحديث معك". وبعد لحظة من الضحك أكمل قائلًا: "سيُغشى عليها عندما أُخبرها أنك قد قتلت المسكين رايودن بالفعل".

قالت سارين: "أبي!". ولكنه كان قد اختفى.

# الفصل الثالث

لم يحيِّ أي من شعب أريلون مُخلِّصَهم عندما وصل، إنما إهانة، ولكنها كانت متوقعة. إن شعب أريلون - وخاصة أولئك الذين يعيشون بالقرب من مدينة إيلانتريس سيئة السمعة - معروفون بحياتهم المهرطقة المارقة. لقد جاء هراثن لتغيير هذا، لقد قضى ثلاثة أشهر يُقنع مملكة أريلون بأسرها باعتناق ديانته وإلا فإن جادث[11] المقدس - سيد كل الخلق - سيدمرها.

خطا هراثن هابطًا من السفينة عبر الجسر الخشبي المؤدي إلى أرصفة الميناء بصخبها المتواصل من التحميل والتفريغ، ومن وراء الأرصفة تمتد مدينة كاي. ووراء كاي بمسافة قصيرة كان هراثن قادرًا على رؤية الأسوار الحجرية الشاهقة؛ مدينة إيلانتريس القديمة. على الجانب الآخر من كاي إلى يسار هراثن كانت الأرض ترتفع في منحدر حاد إلى تل مرتفع، سفح التل الذي سيصير لاحقًا جبال داثريكي، ومن وراء هراثن كان المحيط.

عمومًا لم يكن هراثن منبهرًا، في العقود الماضية كان هناك أربع مدن صغيرة تحيط بإيلانتريس، ولكن وحدها كاي - عاصمة أريلون الجديدة - لا تزال مأهولة بالسكان. كانت كاي فوضوية للغاية، وممتدة للغاية بحيث لا يُمكن الدفاع عنها، وبدا أن تحصيناتها الوحيدة عبارة عن سور صغير بارتفاع خمسة أقدام من الحجر، يُعتبر حدًّا أكثر من كونه تحصينًا.

سيكون الانسحاب إلى إيلانتريس صعبًا، ولن يكون مفيدًا للغاية، ستوفر مباني كاي غطاءً رائعًا للقوة الغازية، والعديد من مباني كاي الخارجية تبدو وكأنها قد بُنيت ملاصقة لأسوار إيلانتريس.

---

[11] جادث: يُعد تاريخيًّا إله العالم السفلي في فيوردن، والمعتقد السائد هو أن مملكة جادث موجودة تحت الأرض وليس في السماوات.

لم تكن هذه أمة معتادة على الحرب، ومع هذا من بين كل الممالك في قارة سيكلا[12] . الأرض التي يطلق عليها الأريليون اسم أوبيلون . وحدها أريلون نجت من الخضوع إلى سيطرة الإمبراطورية الفيوردية، وهذا بالطبع شيء سيغيره هراثن قريبًا.

خطا هراثن مبتعدًا عن السفينة، وقد أثار وجوده حفيظة الناس، توقف العمال عن عملهم أثناء مروره وهم يحدقون إليه في ذهول وانبهار، انقطعت المحادثات عندما وقعت عليه أعين الناس. لم يبطئ هراثن من أجل أي شخص، ولكن هذا لم يكن مهمًّا لأن الناس كانوا يفسحون له الطريق بسرعة. ربما كان السبب عينيه، ولكنه على الأرجح دروعه، فقد كانت حمراء قانية وتلمع في ضوء الشمس. كانت دروع الكاهن الأكبر الديريثي الإمبراطوري المعدنية مشهدًا مهيبًا حتى بعدما يعتاد المرء رؤيتها.

بدأ يفكر أنه سيكون عليه أن يجد طريقه بنفسه إلى الكنيسة الديريثية بالمدينة عندما رأى بقعة حمراء تشق طريقها إليه عبر الحشد. سرعان ما تحولت البقعة إلى رجل أصلع قصير يرتدي الروب الديريثي الأحمر. صاح الرجل: "سيدي هراثن!".

توقف هراثن في موضعه وهو يسمح لفيون . الأرتيث[13] الديريثي الأكبر في كاي . بأن يقترب منه. زفر فيون وهو يمسح جبهته بمنديل حريري قبل أن يقول: "أنا آسف للغاية يا مولاي، لقد ذكر السجل أنك ستأتي على سفينة أخرى. لم أعرف أنكَ على متن السفينة حتى بدأت في إنزال حمولتها. يؤسفني أني اضطررت لترك العربة ورائي، فلا يُمكنني أن أجعلها تشق الطريق وسط هذا الحشد".

---

[12] سيكلا: الكلمة الفيودرية التي تشير إلى القارة التي تتضمن كل الأمم باستثناء تيود، ويُطلق عليها في اللغة الآيونية اسم أوبيلون.
[13] الأرتيث: هو من يحصل على رتبة كاهن في الديانة الديريثية، وهو أقل مرتبة في الكهنوت ممن يُمكنهم ترأس كنيسة.

**ضيق هراثن عينيه في استياء ولكنه لم يقل شيئًا، وواصل فيون الثرثرة، قبل أن يقرر أخيرًا أن يصحب هراثن إلى الكنيسة الديريثية، وهو يعتذر مرة أخرى عن عدم وجود وسيلة نقل. سار هراثن وراء دليله البدين بخطوات محسوبة، وهو لا يزال يشعر بعدم الرضا. كان فيون يهرول بابتسامة على شفتيه وهو يلوح من آن لآخر للمارة في الشوارع ويلقي عليهم بالتحية. كان الناس يجيبونه بلطف، على الأقل إلى أن يروا هراثن، وعباءته الحمراء القانية تخفق وراءه، ودروعه المهولة ذات الزوايا الحادة والخطوط الصارمة. حينها يلوذون بالصمت وتتلاشى التحيات وأعينهم تتبع هراثن حتى يختفي. هكذا يجب أن يكون الأمر.**

**كانت الكنيسة عبارة عن مبنى حجري طويل، تغطي جدرانه مفروشات حمراء زاهية، وبه أبراج شاهقة. هنا على الأقل وجد هراثن بعض الفخامة التي اعتاد عليها، ولكن واجهه بالداخل مشهد مزعج، حشد من الناس منخرطون في نشاط اجتماعي ما. كان الناس يروحون ويجيئون متجاهلين الهيكل المقدس الذي يقفون فيه، يضحكون ويمزحون. كان هذا أكثر من اللازم، لقد سمع هراثن التقارير وصدقها، والآن تيقن من الأمر.**

**قال هراثن: "اجمع كهنتك يا أرتيث فيون". كانت هذه أول كلمات ينطق بها منذ وصوله إلى أريلون.**

**جفل الأرتيث كأنما تفاجأ لسماع الصوت الصادر عن ضيفه المميز. قال وهو يشير بيده لفض الحشد: "أمرك سيدي".**

**استغرق الأمر وقتًا طويلًا بشكل مزعج، ولكن هراثن انتظر بصبر وبوجه خالٍ من التعبيرات. عندما غادر الناس اقترب من الكهنة وحذاء درعه يقرع على أرضية الكنيسة الحجرية. عندما تحدث أخيرًا كانت كلماته موجهة إلى فيون.**

قال مستخدمًا اللقب الديريثي للرجل: "أيها الأرتيث، السفينة التي جلبتني إلى هنا ستغادر إلى فيوردن في غضون ساعة، وأنت ستكون على متنها".

فغر فيون فاه في دهشة وقال: "ماذ...". 

قال هراثن بحدة: "تحدث بالفيوردية يا رجل! لا شك أن عشر سنوات بين الأريليين المارقين لم تفسدك إلى حد أن تنسى لغتك الأم، أليس كذلك؟".

أجابه فيون وهو ينتقل من اللغة الآيونية إلى اللغة الفيوردية: "ولكن أنا...".

قاطعه هراثن مرة أخرى: "يكفي! لقد تلقيتُ الأوامر من الويرن نفسه، لقد قضيتَ وقتًا أطول من اللازم في الثقافة الأريلية حتى إنك نسيت نداءك المقدس. ولم تعد قادرًا على رؤية التقدم الذي تحرزه إمبراطورية جادث. هؤلاء الناس لا يحتاجون إلى صديق، بل إلى كاهن، كاهن ديريثي. قد يظن المرء أنك كوراثي عندما يراك تتآخى معهم. نحن لسنا هنا لنحب الناس، نحن هنا لمساعدتهم، لذا سترحل".

تهاوى فيون بظهره إلى أحد أعمدة الحجرة وعيناه متسعتان، بينما شفتاه ترتعشان وهو يقول: "ولكن من سيصير أرتيث الكنيسة الأكبر في غيابي يا سيدي؟ الأراتثة الآخرون يفتقرون إلى الخبرة".

قال هراثن: "هذه لحظات فارقة أيها الأرتيث، سأبقى في أريلون لأوجه العمل هنا بنفسي. فليوفقك جادث".

***

كان يأمل أن ينال مكتبًا يطل على مشهد أفضل، ولكن الكنيسة رغم فخامتها لم يكن بها طابق ثانٍ، لحسن الحظ أنهم اعتنوا جيدًا بالطابق السفلي، وكان مكتبه ـ حجرة فيون القديمة ـ يطل على أسيجة من الأشجار المشذبة بشكل جميل، وأحواض الزهور المتراصة بعناية.

بعدما نظف الجدران من اللوحات ـ معظمها مشاهد طبيعية زراعية ـ وتخلص من متعلقات فيون الشخصية العديدة اقتربت الحجرة من مستوى النظام الوقور اللائق من أجل جيورن[١٤] ديريثي. كل ما تحتاج إليه هو بعض المفروشات الجدارية، وربما درع أو اثنتان.

أومأ هراثن لنفسه قبل أن يولي اهتمامه إلى اللفافة الموجودة على مكتبه التي تحوي الأوامر الموجهة إليه. بالكاد جرؤ على حملها بيديه النجستين، لقد كرر الكلمات مرارًا وتكرارًا وطبعها في روحه بهيئتها المادية ومعناها اللاهوتي.

"سيدي... مولاي؟". ناداه صوت خافت باللغة الفيوردية.

رفع هراثن عينيه، دلف فيون إلى الحجرة ثم جثا على الأرض خاضعًا وجبينه يكاد أن يحتك بالأرض. سمح هراثن لنفسه بالابتسام، رغم علمه بأن الأرتيث التائب لا يُمكنه أن يرى وجهه، ربما لا يزال هناك أمل من أجل فيون.

قال هراثن: "تحدث".

"لقد أخطأت يا مولاي، لقد تصرفت بشكل يتعارض مع خطط سيدنا جادث".

"كانت خطيئتك هي الرضا أيها الأرتيث، لقد دمَّرت القناعة أممًا أكثر من أي جيش، وقد حصدت أرواح رجال أكثر من هرطقات إيلانتريس".

---

[١٤] الجيورن: هو الأعلى مرتبة في الكهنوت الديريثي. باستثناء الجرادجت وهو الكاهن الذي يتزعم ديرًا.

"هذا صحيح يا سيدي".

قال هراثن: "ما زال عليك الرحيل أيها الأرتيث".

تهدل كتفا الرجل وهو يقول: "ألا يوجد أي أمل لي إذن يا سيدي؟".

"هذه هي حماقة الأريلي تتحدث أيها الأرتيث وليس كبرياء الفيوردي". مد هراثن يديه ليُمسك بكتفي الرجل ويقول آمرًا: "انهض يا أخي!".

رفع فيون عينيه وقد عاد إليهما الأمل.

"لقد تلوث عقلك بالأفكار الأريلية، ولكن روحك لا تزال فيوردية. أنتم شعب جادث المختار، كل الفيورديين لهم دور في خدمة إمبراطوريته. عد إلى الوطن والتحق بأحد الأديرة لتتعرف من جديد على الأشياء التي نسيتها، وستُمنح وسيلة أخرى تخدم بها الإمبراطورية".

"أجل يا سيدي".

أمسكه هراثن بقوة أكبر وهو يقول: "فلتفهم هذا قبل رحيلك أيها الأرتيث، إن وصولي بركة لا يُمكنك تصورها، لا يُمكنك أن تفهم كل صنائع جادث، وإياك أن تحاول أن تتكهن بما سيفعله إلهنا". صمت وهو يفكر فيما يجب أن يفعله تاليًا، وبعد لحظة حسم أمره، هذا الرجل لا يزال مفيدًا. كان لدى هراثن فرصة نادرة لإصلاح الكثير مما أفسدته أريلون في روح فيون بضربة واحدة. "انظر هناك على الطاولة أيها الأرتيث، اقرأ هذه اللفافة".

نظر فيون ناحية المكتب وعثرت عيناه على اللفافة مستقرة عليه. ترك هراثن كتف الرجل ليسمح له بأن يلتف حول المكتب ويقرأ اللفافة.

قال فيون وهو يُمسك باللفافة: "هذا هو الختم الرسمي للوير نفسه".

قال هراثن: "ليس الختم فحسب أيها الأرتيث، هذا هو توقيعه أيضًا، اللفافة التي تحملها قد خطَّها قداسته بنفسه. هذا ليس مجرد خطاب، بل نص مقدس".

انفتحت عينا فيون على اتساعهما وبدأت أصابعه ترتجف وهو يقول: "الويرن نفسه؟". وعندما أدرك تمامًا ما يحمله بيديه النجستين ألقى بالمخطوطة على المكتب بصرخة خافتة، ولكن عينيه لم تبتعدا عن الخطاب. كان في حالة ذهول وهو يقرأ الكلمات بنهم رجل جائع يلتهم قطعة من اللحم. قلة من الناس قد أُتيحت لهم الفرصة لقراءة الكلمات المكتوبة بيد نبي جادث؛ الإمبراطور المقدس.

منح هراثن الكاهن الوقت الكافي لقراءة اللفافة مرارًا وتكرارًا، وعندما رفع فيون عينيه أخيرًا كان هناك فهم وامتنان على ملامحه. كان الرجل ذكيًّا بما يكفي، ويعرف ما كانت ستتطلبه منه هذه الأوامر إن ظل هو المسئول عن كاي.

تمتم فيون: "شكرًا لك".

أومأ هراثن برأسه في وقار وقال: "هل كان بمقدورك أن تفعلها؟ هل كان بمقدورك أن تنفذ أوامر الويرن؟".

هز فيون رأسه وعيناه تنظران إلى المخطوطة قبل أن يقول: "لا يا مولاي، لم أكن لأقدر... لم أكن لأقدر على تنفيذ العمل أو حتى التفكير فيه بوجود هذا العبء على ضميري، أنا لا أحسدك على المكان الذي أنت فيه يا سيدي، ليس بعد الآن".

قال هراثن: "عد إلى فيوردن بمباركتي يا أخي". ثم أخرج مظروفًا صغيرًا من حقيبة على الطاولة وقال: "أعطِ هذا للكهنة هناك، إنها رسالة مني تُخبرهم بأنني قبلت إعادة تكليفك بكل إجلال يليق بواحد من خدام جادث. سيرون أنك قد أُلحقت بأحد الأديرة، ربما سيُسمح لك يومًا بقيادة كنيسة مرة أخرى، كنيسة داخل حدود فيوردن".

"أجل يا سيدي. شكرًا لك يا سيدي".

انسحب فيون مُغلقًا الباب وراءه. مشى هراثن إلى مكتبه وأخرج من حقيبة الرسائل مظروفًا آخر، يبدو ظاهريًّا مُطابقًا للمظروف الذي أعطاه لفيون. أمسكه لبضع لحظات ثم التفت إلى واحدة من شموع المكتب، الكلمات التي يحويها والتي تدين الأرتيث فيون باعتباره خائنًا ومرتدًّا لن يقرأها أحد أبدًا، ولن يعرف الأرتيث المبتهج المسكين قدر الخطر الذي كان معرضًا له.

***

"بعد إذنك يا سيدي الجيورن". قالها كاهن وهو ينحني، دورڤن[١٥] قليل الشأن قد خدم تحت إمرة فيون لأكثر من عقد. لوَّح هراثن بيده سامحًا للرجل بالمغادرة. انغلق الباب بصمت بينما الكاهن يتراجع مبتعدًا عن الحجرة.

لقد أضر فيون بأتباعه، حتى أصغر ضعف قد يبني أوجه قصور هائلة على مدار عقدين من الزمان، ولم تكن مشكلات فيون صغيرة. كان الرجل متساهلًا بشكل صارخ، فكان يدير الكنيسة بدون نظام، منحنيًا أمام الثقافة الأريلية، بدلًا من أن يجلب إلى الناس القوة والانضباط، نصف الكهنة الذين خدموا في كاي صاروا فاسدين بشكل ميؤوس منه، بما فيهم رجل جديد لم يمضِ في المدينة سوى ستة أشهر. في غضون الأسابيع القليلة القادمة سيرسل هراثن أسطولًا كبيرًا من الكهنة عائدين إلى فيوردن. سيتعين عليه اختيار كبير أراتثة مِن بين مَن تبقوا، أو القلة الذين سيبقون.

جاء طرق على الباب فقال هراثن: "ادخل". كان يلتقي بالكهنة واحدًا تلو الآخر، وقد أحس بمدى الدنس فيهم. لم يشعر بالإعجاب تجاه الكثير منهم حتى هذه اللحظة.

---

[١٥] الدورڤن: أدنى مرتبة في الكهوت الديريثي.

قال الكاهن وهو يُعرِّف نفسه بعد دخوله: "الأرتيث ديلاف".

رفع هراثن عينيه، كان الاسم والكلمات فيوردية، ولكن اللهجة كانت غريبة بعض الشيء، لقد بدت... "أنت أريلي؟". قالها هراثن في دهشة.

انحنى الكاهن بالقدر المناسب من الخنوع ولكن كان بعينيه شيء من التحدي.

سأله هراثن: "كيف صرت كاهنًا ديريثيًّا؟".

قال الرجل بصوت حاد: "أردت أن أخدم الإمبراطورية. لقد هداني جادث".

أدرك هراثن أن ما في عيني الرجل ليس تحديًا، بل حماسًا دينيًّا. نادرًا ما يجد المرء متعصبين دينيين في الديانة الديريثية، عادة ما ينجذب هؤلاء الأشخاص إلى الفوضى المسعورة في الباطنية الجسكرية بدلًا من التنظيم العسكري في ديانة شو-ديريث. ولكن وجه هذا الرجل كان يحترق بشغف متعصب. لم يكن هذا شيئًا سيئًا، فرغم أن هراثن نفسه يزدري مثل هذا الافتقار إلى السيطرة، إلا أنه في كثير من الأحيان يجد المتعصبين أدوات مفيدة.

قال هراثن بدقة: "جادث يهدي الجميع، كن أكثر وضوحًا".

"لقد التقيت بأرتيث ديريثي في دولادل قبل اثني عشر عامًا، دعاني إلى الإيمان فآمنت. لقد منحني نسختين من الدو-كاندو والدو-ديريث، وقرأتهما في ليلة واحدة. أرسلني الأرتيث المقدس عائدًا إلى أريلون لأُساعد في تبشير الناس في وطني، وأقمت في ناين، لقد بشَّرت هناك لسبعة أعوام حتى سمعت أن هناك كنيسة ديريثية قد بُنيت في كاي نفسها. لقد تغلبت على بغضي للإيلانتريين وعرفت أن جادث المقدس قد أنزل عليهم عقابًا أبديًّا، فجئت لألتحق بإخوتي الفيورديين.

لقد جلبت معي من آمنوا على يدي، نصف المؤمنين في كاي قد جاؤوا معي من ناين. لقد أُعجب فيون بمثابرتي ومنحني لقب أرتيث وسمح لي بأن أواصل التبشير".

فرك هراثن ذقنه مفكرًا وهو يتأمل الكاهن الأريلي ثم قال: "أنت تعرف أن ما فعله الأرتيث فيون كان خاطئًا".

"أجل يا سيدي، لا يُمكن لأرتيث أن يُعين شخصًا آخر في منصبه. عندما أتحدث إلى الناس لا أشير إلى نفسي ككاهن من شو-ديريث، بل مبشر فحسب".

مبشر بارع للغاية، أحس هراثن بهذا من نبرة صوت ديلاف، ثم سأله: "ما رأيك في الأرتيث فيون؟".

"كان أحمق غير منضبط، إن تراخيه قد منع مملكة جادث من الازدهار في أريلون، وجعل ديانتنا أضحوكة".

ابتسم هراثن، فرغم أن ديلاف ليس من العرق المختار إلا أنه يفهم تعاليم ديانته وثقافتها، ولكن حماسته قد تكون خطيرة. إن الحماس الجامح في عيني ديلاف كان بالكاد تحت السيطرة، سيكون عليه إما أن يُراقبه عن كثب أو أن يتخلص منه.

قال هراثن: "يبدو أن الأرتيث فيون قد فعل شيئًا واحدًا صحيحًا، رغم أنه لم يكن يُملك السلطة لهذا". التهبت عينا ديلاف ببريق أكبر مع سماعه لهذا التصريح. "سأجعل منك أرتيثًا كاملًا يا ديلاف".

انحنى ديلاف فلمس رأسه الأرض. كان سلوكه فيورديًا على أكمل وجه، ولم يسمع هراثن من قبل أي شخص أجنبي يتحدث اللغة المقدسة بمثل هذه الطلاقة. قد يُثبت هذا الرجل أنه مفيد، فقد كانت إحدى الشكاوى الشائعة ضد ديانة شو-ديريث هي أنها تحابي الفيورديين.

سيُثبت الكاهن الأريلي أن الجميع مرحب بهم داخل إمبراطورية جادث، حتى لو كانت أكثر ترحيبًا بالفيورديين.

هنَّأ هراثن نفسه على صنع مثل هذه الأداة المفيدة، وهو يشعر بالرضا التام، حتى اعتدل ديلاف من انحناءته وهو ينظر إليه. كان الشغف لا يزال موجودًا في عيني ديلاف، ولكن كان بهما شيء آخر؛ الطموح. عقد هراثن حاجبيه وهو يتساءل إن كان الرجل قد تلاعب به.

لم يتبقَّ سوى شيء واحد لفعله. "قل لي أيها الأرتيث، هل أقسمت بقسم الأوديف لأي رجل آخر".

اتسعت عينا ديلاف في دهشة وهو يحدق إلى هراثن، وقد لمع فيهما التردد، قبل أن يقول: "لا يا سيدي".

"حسنًا، سأجعلك لي إذن".

"سيدي... أنا خادمك المتواضع بالطبع".

قال هراثن: "ستكون أكثر من هذا أيها الأرتيث. إن أصبحت أوديفًا[١٦] لي فسأصير أنا هرودن[١٧] لك. ستصير مِلكي قلبًا وروحًا. إن كنت ستتبع جادث فستتبعه من خلالي. إن خدمت الإمبراطورية فسيكون هذا تحت إمرتي، كل ما تفكر فيه أو تفعله أو تقوله سيكون بتوجيهاتي، هل فهمتني؟".

---

[١٦] الأوديف: هو نصف رابط القسم الديريثي. فالمجتمع الديريثي مبني على أن كل شخص يتصل بجادث، فالعامة يقسمون بالرابط إلى كهنتهم، والكهنة يقسمون بالرابط إلى الكهنة الأعلى مرتبة منهم، وهكذا حتى تنتهي السلسلة بالويرن، وهو الوحيد الذي يخدم جادث. هناك نوعان من القسم، قسم الأوديف-هرودن، وقسم الكروندت-هرودن.

[١٧] الهرودن: تعني السيد، ويجب على الأوديف أن يُلبي كل ما يأمره به الهرودن.

تأججت النيران في عيني ديلاف وهو يهتف: "أجل". إن حماس الرجل لن يسمح له برفض مثل هذا العرض، على الرغم من أن رتبته المتدنية كأرتيث لن تتغير، إلا أن كونه أوديڤًا بالنسبة لجيورن سيمنحه قدرًا كبيرًا من السلطة والاحترام. سيكون عبدًا لهراثن، وهذه العبودية سترفع من مكانته. كان شيئًا لا يفعله إلا فيوردي، إن الطموح هو الشعور الوحيد الذي يقبله جادث بسهولة مثل الإخلاص.

قال هراثن: "جيد. إذن فأول أمر لك هو أن تلحق بالكاهن فيون، يجب أن يكون قد صعد على متن السفينة المتوجهة إلى فيوردن في هذه اللحظة، أُريد منك أن تتيقن من أنه قد فعل هذا، وإن هبط فيون عن السفينة لأي سبب فلتقتله".

"أمرك يا سيدي الجيورن". أسرع ديلاف خارجًا من الحجرة، لقد صار لديه أخيرًا متنفس لحماسه، كل ما كان على هراثن أن يفعله هو أن يُبقي هذا الحماس مركزًا في الاتجاه الصحيح.

وقف هراثن للحظة بعد رحيل الأريلي ثم هز رأسه وعاد إلى مكتبه. كانت اللفافة لا تزال موضوعة حيث سقطت من أصابع فيون الدنسة. أمسك بها هراثن في إجلال وهو يبتسم. لم يكن من الرجال الذين يبتهجون بما يمتلكونه، كان يصوب نظره على أهداف أعظم من مجرد تكديس الحلي عديمة الجدوى. ومع ذلك يأتيه في بعض الأحيان شيء فريد من نوعه، فيبتهج هراثن لأنه ببساطة يمتلك هذا الشيء. لم يكن يقتني شيئًا كهذا لنفعه أو لقدرته على إثارة إعجاب الآخرين، ولكن لكي يحظى بامتياز امتلاكه، وكانت اللفافة واحدة من هذه الأشياء.

لقد كُتبت أمام هراثن بيد الويرن نفسه، كان وحيًا مباشرًا من جادث، نصًّا مقدسًا خصَّ به رجلًا واحدًا. قلة من الناس قد التقوا برسول جادث، وحتى بين الجيورنات كان لقاؤه شخصيًّا شيئًا نادرًا، أن تتلقى أوامر مباشرة من يد الويرن... كان هذا هو أسمى شرف يُمكن أن يناله المرء.

أجال هراثن عينيه على الكلمات المقدسة مرة أخرى، رغم أنه قد حفظ كل تفاصيلها منذ وقت طويل.

فلتسمع وتعِ كلمات جادث من خلال عبده الويرن وولفدين الرابع، الإمبراطور والملك.

ابننا الكاهن الأكبر، أذنتُ لك بما طلبت. فلتذهب إلى شعوب الغرب المارقة وتحذرهم تحذيري الأخير، فإمبراطوريتي أبدية ولكن صبري سينفد قريبًا، لن أرقد لوقت أطول داخل قبر صخري. لقد اقترب يوم الإمبراطورية، وسيُشرق مجدي قريبًا، شمس ثانية ستتوهج من فيوردن.

إن أمتي أريلون وتيود الوثنيتين قد لطختا أرضي بندوب سوداء طويلًا بما يكفي. لقد خدم كهنتي لثلاثمئة عام بين هؤلاء الذين دنستهم إيلانتريس، ولم يستجب لندائي إلا قلة منهم. فلتعرف هذا أيها الكاهن الأكبر، إن محاربيّ المخلصين مستعدون ولا ينتظرون سوى كلمة من تابعي الويرن. لديك ثلاثة أشهر لدعوة شعب أريلون للإيمان، ومع انتهاء هذه المدة سينقض جنود فيوردن المخلصون على هذه الأمة كالسباع المفترسة، لتنهش وتمزق الحياة الدنسة لهؤلاء الذين لم يستجيبوا لكلماتي. ثلاثة أشهر فقط ستمضي قبل تدمير كل من يعارضون إمبراطوريتي.

لقد اقتربت لحظة الانقضاض يا بني، كُن جسورًا وكُن مثابرًا.

كلمات جادث، سيد كل الخلق، من خلال عبده الويرن وولفدين الرابع، إمبراطور فيوردن، ونبي الشو–ديريث، وحاكم مملكة جادث المقدسة، والوصي على كل الخلق.

لقد حان الوقت أخيرًا، لا يُقاومهم سوى أمتين، لقد استعادت فيوردن مجدها السابق، المجد الذي ضاع قبل مئات الأعوام عندما انهارت الإمبراطورية الأولى، ومن جديد لا يوجد سوى

مملكتين وحيدتين في العالم المعروف تقاومان حُكم فيوردن؛ أريلون وتيود. هذه المرة ستنتصر فيوردن مع قوة نداء جادث المقدس من ورائها. ومن ثم سيتوحد كل البشر تحت حكم الويرن، وسينهض جادث من على عرشه تحت الأرض ويحكم في مجد جليل.

وسيكون هراثن هو المسئول عن هذا، فواجبه الملح هو إدخال أريلون وتيود في ديانتهم، لديه ثلاثة أشهر لتغيير المعتقد الديني لثقافة كاملة. إنها مهمة هائلة ولكن من الضروري أن تنجح، فإن لم ينجح ستدمر جيوش فيوردن كل مخلوق حي في أريلون، وسرعان ما ستلحق بها تيود، فالأمتان اللتان لا يفرق بينهما سوى الماء كانتا تتشاركان العرق والدين والعناد.

ربما لا يعرف الناس هذا بعد، ولكن هراثن هو الشيء الوحيد الذي يحول بينهم وبين الإبادة التامة. لقد قاوموا جادث وشعبه في تحدٍّ متعجرف لزمن طويل، إن هراثن هو فرصتهم الأخيرة.

يومًا ما سيسمونه المُخلِّص.

# الفصل الرابع

صرخت المرأة حتى تعبت؛ تتوسل من أجل النجدة، من أجل الرحمة، تتوسل إلى دومي. كانت تخمش بأظافرها البوابة العريضة فتركت آثارًا على طبقة الوحل. وفي النهاية هوت إلى الأرض متكومة على نفسها، وهي ترتجف بنحيبها المتقطع. عندما رأى رايودن معاناتها تذكر ألمه، الوخز الحاد في إبهام قدمه، وخسارته لحياته بالخارج.

همس جالادون: "لن ينتظروا أكثر من هذا". ثم أمسك ذراع رايودن بحزم، ليجذب الأمير إلى الوراء.

وأخيرًا اعتدلت المرأة واقفة على قدميها وهي تبدو مذهولة كأنما قد نسيت أين هي. قطعت خطوة واحدة مترددة إلى يسارها وهي تتكئ إلى الجدار براحة يدها، كأنما تلتمس منه الراحة، كأنما هو شيء يربطها بالعالم الخارجي وليس حاجزًا يفصلها عنه.

قال جالادون: "لقد انتهى الأمر".

سأله رايودن: "بهذه البساطة؟".

أومأ جالادون برأسه وقال: "هذا أفضل اختيار لها، أو أقرب ما يكون إليه".

تحركت الظلال في زقاق على الناحية المقابلة من الباحة. كان رايودن وجالادون يُراقبان بالداخل مبنى حجريًّا متداعيًا، من تلك المباني العديدة التي تصطف في باحة الدخول إلى إيلانتريس. تحولت الظلال إلى مجموعة من الأشخاص يقتربون من المرأة بخطوات حازمة محسوبة ليحيطوا بها. مدت واحدة منهم يدها لتأخذ سلة القرابين منها. خارت قوى المرأة تمامًا، فلم تقدر على

المقاومة وانهارت مرة أخرى. أحسَّ رايودن بأصابع جالادون تنغرس في كتفه عندما تقدم للأمام لا إراديًّا وهو يرغب أن يندفع لمواجهة اللصوص.

همس جالادون: "هذه فكرة سيئة يا سول، احتفظ بشجاعتك لنفسك. إن كان ألم إبهامك يكاد أن يُفقدك الوعي، ففكر كيف سيكون شعورك عندما تكسر إحدى هذه الهراوات رأسك الصغير الشجاع".

أومأ رايودن برأسه واسترخى. لقد سُرقت المرأة، ولكن لم يبدُ أنها معرضة لخطر آخر. ورغم هذا يحز في النفس مُراقبتها، لم تكن فتاة صغيرة، بل كانت تحمل هيئة امرأة معتادة على الولادة أو تدبير شئون عائلة. إنها أم وليست فتاة. كانت ملامحها الصارمة تشي بحكمة وشجاعة ناجمتين عن حياة شاقة، وهذا جعل مراقبتها أكثر صعوبة بطريقة ما. إن كانت إيلانتريس قادرة على هزيمة امرأة كهذه فأي أمل هناك من أجل رايودن.

أكمل جالادون: "قلت لك إنها أحسنت الاختيار، ربما تكون قد خسرت بضعة أرطال من الطعام، ولكن ليس بها أي جروح. إن انعطفت يمينًا ـ كما فعلت أنت يا سول ـ لصارت تحت رحمة رجال شايور الأوغاد، وإن تقدمت للأمام لزعم آندين بحقه في قرابينها. إن الانعطاف لليسار هو الخيار الأفضل قطعًا. ربما يأخذ رجال كاراتا طعامك ولكنهم نادرًا ما يؤذونك. من الأفضل أن تجوع على أن تقضي بضع السنوات التالية بذراع مكسورة".

سأله رايودن: "بضع السنوات التالية؟". ثم أبعد عينيه عن الباحة ليتأمل رفيقه الطويل الأسمر. "ظننت أنك قلت إن جروحنا ستستمر إلى الأبد".

"نحن نفترض هذا فحسب، فلتربي إيلانتري قد تمكن من الحفاظ على عقله حتى تنتهي الأبدية، وربما سيكون قادرًا على إثبات هذه النظرية".

"كم يقضي المرء هنا عادة؟".

قال جالادون: "سنة، ربما سنتين".

"ماذا؟".

"ظننتَ أننا خالدون، أليس كذلك؟ نحن لا نشيخ ولكن هل هذا يعني أننا نعيش إلى الأبد؟".

قال رايودن: "لا أعرف، ظننتُ أنك قلت إننا لا نموت".

قال جالادون: "لا يُمكن أن نموت، ولكن الجروح والكدمات والرضوض... إنها تتراكم ولا يمكن للمرء أن يتحمل فوق طاقته".

سأله رايودن بصوت خافت: "هل يقتلون أنفسهم؟".

"هذا ليس خيارًا، معظمهم يتكومون على أنفسهم في الأنحاء وهم يتمتمون أو يصرخون، رولوس مساكين".

"منذ متى وأنت هنا إذن؟".

"بضعة أشهر". هذه الحقيقة كانت صدمة أخرى، تراكمت فوق الكومة المترنحة بالفعل. لقد افترض رايودن أن جالادون قضى في إيلانتريس بضع سنوات على الأقل. هذا الدولادي يتحدث عن الحياة في إيلانتريس كأنما كانت وطنه لعقود، وقد كان بارعًا إلى حد مثير للإعجاب في شق طريقه عبر شوارع المدينة الضخمة.

أعاد رايودن نظره إلى الباحة ولكن المرأة كانت قد اختفت بالفعل، ربما كانت خادمة في قصر أبيه، أو زوجة تاجر ثري، أو ربة بيت متواضعة. لا يفرق الشايود بين الطبقات الاجتماعية، فيصيب الجميع على حد سواء. كانت قد اختفت بعد أن ابتلعتها تلك الهاوية المسماة إيلانتريس. كان من المفترض أن يقدر على مساعدتها.

تمتم رايودن: "كل هذا من أجل رغيف من الخبز وقليل من الخضراوات الذابلة".

"قد لا يبدو هذا كثيرًا بالنسبة لك الآن، ولكن فلتنتظر بضعة أيام. الطعام الوحيد الذي يدخل هذا المكان يأتي مع الوافدين الجدد وهم يحتضنونه بين أذرعهم. فلتنتظر يا سول، ستشعر بهذه الرغبة أيضًا، إن الأمر ليتطلب قدرًا كبيرًا من القوة لكي يقاوم المرء نداء الجوع".

"أنت تقاومه".

"ليس إلى حد كبير، وأنا لم أمضِ هنا سوى بضعة أشهر. لا أحد يعرف ما الذي سيدفعني إليه الجوع بعد عام من الآن".

قال رايودن بسخرية: "فلتنتظر حتى تنتهي الثلاثين يومًا التي اتفقنا عليها قبل أن تتحول إلى وحش بدائي من فضلك. لا أُريد أن أشعر أنني أهدرت قطعة اللحم دون أن أنال مقابلها منك".

صمت جالادون للحظة ثم ضحك وقال: "ألا يُخيفك شيء يا سول؟".

"في الواقع كل شيء هنا تقريبًا يُخيفني، ولكني بارع في تجاهل خوفي، إن أدركت مدى رعبي فعلى الأرجح ستجدني أحاول أن أختبئ تحت أحجار الرصف تلك. والآن أخبرني المزيد عن هذه العصابات".

هز جالادون كتفيه وهو يمشي مبتعدًا عن الباب المحطم ليجذب كرسيًّا من الجدار، تفحص قوائمه بعين ناقدة ثم جلس عليه بحذر. ما إن جلس عليه حتى اعتدل واقفًا على الفور وقوائمه تتشقق. ألقى بالكرسي جانبًا في اشمئزاز ثم جلس على الأرض.

"هناك ثلاثة قطاعات في إيلانتريس يا سول، وثلاث عصابات. قطاع السوق يحكمه شايور، لقد التقيت ببعض أتباعه بالأمس، رغم أنهم كانوا مشغولين عن تقديم أنفسهم إليَّك بلعق

الوحل عن قرابينك. في قطاع القصر ستجد كاراتا، إنها تلك التي خلَّصت المرأة من طعامها في تهذيب شديد. والأخير هو آندين، وهو يقضي معظم الوقت في قطاع الجامعة".

"رجل مثقف؟".

"بل رجل يجيد اغتنام الفرص. كان أول من أدرك أن العديد من أقدم النصوص بالمكتبة مكتوبة على الرق. إن كلاسيكيات الأمس قد صارت طعام الغد، كولو؟".

صاح رايودن: "آيدوس دومي! هذا شنيع! من المفترض أن تحوي لفافات إيلانتريس أعدادًا لا تُحصى من الأعمال الأصلية. إنها لا تُقدر بثمن!".

نظر جالادون بعينين متألمتين وقال: "هل أنا بحاجة لأن أردد على مسمعيك خطابي عن الجوع؟ ما فائدة الأدب عندما تؤلمك معدتك كثيرًا حتى تدمع عيناك؟".

"هذه أسوأ حجة ممكنة. من المستحيل على لفافات من جلد الأغنام عُمرها قرنين أن يكون مذاقها مستساغًا".

هز جالادون كتفيه وقال: "أفضل من الوحل. يُفترض أن اللفافات قد نفدت من آندين قبل بضعة أشهر على أي حال. لقد حاولوا غلي الكتب ولكن هذا لم ينجح بشكل جيد".

"أنا مندهش أنهم لم يحاولوا غلي أحدهم الآخر".

قال جالادون: "أوه، لقد حاولوا هذا، ولكن لحسن الحظ شيئًا ما حدث لنا أثناء الشايود، من الواضح أن مذاق لحم الموتى سيئ للغاية، كولو؟ في الواقع إنه مر إلى حد شنيع حتى إنه لا أحد يقدر على ابتلاعه".

قال رايودن بسخرية: "من اللطيف معرفة أنهم وبشكل منطقي قد استبعدوا أكل لحوم البشر من الخيارات المطروحة".

"قلت لك يا سول إن الجوع يجبر الرجال على فعل أشياء غريبة".

"وهذا يبرر الأمر؟".

تعقل جالادون فلم يُجبه.

أكمل رايودن قائلًا: "أنت تتحدث عن الجوع والألم كأنهما قوتان لا يُمكن مقاومتهما، أي شيء مقبول ما دام الجوع قد أجبرك عليه. نتحول إلى حيوانات لأننا فقدنا سبل الرفاهية".

هز جالادون رأسه وقال: "المعذرة يا سول، ولكن هكذا تجري الأمور فحسب".

"ليس من الضروري أن تجري هكذا".

***

عشر سنوات ليست وقتًا طويلًا بما يكفي، حتى في الرطوبة الكثيفة في أريلون، كان يجب أن يتطلب الأمر وقتًا أطول من هذا حتى تتدهور المدينة إلى هذا الحد. بدت إيلانتريس وكأنها مهجورة منذ قرون، الخشب يتحلل، والجص والطوب يتفكك، حتى أحجار المباني بدأت تتداعى. وكان هناك غشاء من الوحل يُغطي كل شيء وفي كل مكان.

كان رايودن قد اعتاد أخيرًا المشي فوق أحجار الرصف الزلقة غير المستوية. حاول أن يمنع نفسه من الاتساخ بالوحل ولكن ثبت له أن هذه المهمة مستحيلة، كل جدار يحتك به - وكل حافة يُمسك بها - يترك أثرًا عليه.

كان الرجلان يمشيان ببطء عبر شارع عريض، أكبر من أي طريق من نوعه في كاي. لقد بُنيت إيلانتريس على نطاق هائل، وبينما الحجم مهيبًا من الخارج، إلا أن رايودن لم يبدأ في إدراك مدى ضخامة المدينة إلا الآن. لقد مشى بصحبة جالادون لوقت طويل، وقال جالادون إن أمامهما مسافة كبيرة قبل الوصول إلى وجهتهما.

ولكن الاثنين لم يتعجلا، كان هذا أول شيء قد علمه له جالادون. لا أحد يتعجل في إيلانتريس، فهناك متسع من الوقت. كل شيء يفعله الدولادي بدقة شديدة وكانت حركته متمهلة وحذرة. إن أقل خدش مهما كان بسيطًا يضيف إلى ألم الإيلانتري. كلما ازداد المرء حرصًا ظل عاقلًا لوقت أطول. ومن ثم حذا رايودن حذو جالادون محاولًا أن يقلد مشيته اليقظة. كلما بدأ رايودن يشعر أن الحذر مبالغًا فيه يكون كل ما عليه فعله هو أن ينظر إلى أحد الأشكال العديدة المتكومة على أنفسها في المجاري وعند نواصي الشوارع، وحينها يسترد عزيمته.

إنهم الهويد كما يُسميهم جالادون، هؤلاء الإيلانتريون الذين استسلموا للألم. لقد ضاعت عقولهم وامتلأت حياتهم بالعذاب المستمر الذي لا يلين. نادرًا ما يتحركون، رغم أن بعضهم لديه ما يكفي من الغريزة الوحشية لكي يربض في الظلال. معظمهم كانوا هادئين، ولكن قلة منهم كانوا صامتين تمامًا. كان رايودن قادرًا على سماع تمتماتهم ونحيبهم وأنينهم أثناء مروره. معظمهم بدا أنه يكرر كلمات أو عبارات لنفسه؛ مانترا تُصاحب معاناتهم.

"دومي، دومي، دومي...".

"جميل للغاية، ذات يوم، جميل للغاية...".

"توقف، توقف، توقف. اجعله يتوقف...".

أجبر رايودن نفسه على غض السمع عن هذه الكلمات. بدأ صدره ينقبض، كأنما يُعاني مع البؤساء المساكين المجهولين. إذا أولاهم الكثير من الاهتمام سيُصاب بالجنون قبل أن يستحوذ عليه الألم بوقت طويل.

ومع ذلك إن ترك عقله يشرد فإنه حتميًا يتحول إلى حياته خارج الأسوار؛ هل سيواصل أصدقاؤه اجتماعاتهم السرية؟ هل سيتمكن كين وروريال من الحفاظ على ترابط المجموعة؟ وماذا

عن أعز أصدقائه لوكل؟ لم يجد رايودن وقتًا للتعرف على زوجة لوكل الجديدة، والآن لن يرى ابنهما الأول أبدًا.

والأسوأ كان أفكاره عن زواجه؛ لم يلتقِ قط بالمرأة التي كان سيتزوجها، رغم أنه قد تحدث إليها عبر السيون في مرات عديدة. هل هي ذكية حقًّا ومثيرة للاهتمام كما يبدو عليها؟ لن يعرف أبدًا. على الأرجح سيُخفي آيادون حقيقة التحول الذي حدث لرايودن، ويزعم أن ابنه قد مات. لن تأتي سارين إلى أريلون، فبمجرد أن تسمع الأخبار ستبقى في تيود وتبحث عن زوج آخر.

تمنى لو كان قادرًا على أن يلقاها ولو لمرة واحدة، ولكن مثل هذه الأفكار كانت عديمة النفع، لقد صار إيلانتريًا.

بدلًا من هذا ركز على المدينة نفسها، كان من الصعب تصديق أن إيلانتريس كانت ذات يوم أجمل مدينة في أوبيلون، وربما في العالم بأسره. كان الوحل هو كل ما يراه، العفن والتآكل. ومع ذلك تحت هذه القذارة كانت بقايا عظمة إيلانتريس السابقة، برج مستدق، بقايا نقوش جدارية منحوتة بدقة، كنائس عظيمة وقصور شاسعة، أعمدة وأقواس. منذ عشر سنوات كانت هذه المدينة تتألق ببهائها الأسطوري، مدينة من اللونين الأبيض والذهبي الصافيين.

لا أحد يعرف ما تسبب في الريود، كان هناك الذين وضعوا فرضيات . معظمهم من الكهنة الديريثيين . بأن سقوط إيلانتريس كان من صنيع الرب. قبل الريود كان الإيلانتريون الذين يحيون كآلهة يسمحون بالأديان الأخرى في أريلون، ولكنهم لا يتقبلونها إلا كما يتقبل السيد أن يلعق كلبه فتات الطعام من على الأرض. إن جمال إيلانتريس والقوة التي كان سكانها يتمتعون بها قد منع عامة الناس من التحول إلى ديانة الشو–كيسج. لِمَ تبحث عن إله غير مرئي عندما يكون لديك آلهة أحياء أمام عينيك؟

لقد جاء الأمر مصحوبًا بعاصفة، هذا القدر حتى رايودن يتذكره، تشققت الأرض ذاتها، وظهر صدع هائل في الجنوب، بينما أريلون بأسرها ترتجف. مع هذا الدمار فقدت إيلانتريس مجدها. تغير الإيلانتريون من كائنات ذات شعر أبيض لامع إلى مخلوقات ببشرة مبقعة ورأس أصلع، مثل هؤلاء الذين يعانون من مرض شنيع في مرحلة متأخرة من التعفن. توقفت إيلانتريس عن التوهج وصارت مظلمة. ولم يحدث هذا إلا قبل عشرة أعوام، وهذه الأعوام العشرة ليست وقتًا كافيًا، لا ينبغي للأحجار أن تتداعى بعد عقد واحد من الإهمال. لا ينبغي أن تتراكم القذارة بهذه السرعة، ليس مع هذا العدد القليل من السكان، ومعظمهم عاجزون عن الحركة. بدا الأمر وكأن إيلانتريس تريد الموت، مدينة تنتحر.

***

قال جالادون: "قطاع السوق في إيلانتريس، كان هذا المكان ذات يوم أعظم سوق في العالم، يأتيه التجار من جميع أنحاء أوبيلون لبيع بضائعهم العجيبة للإيلانتريين. كان المرء قادرًا على أن يأتي إلى هنا ليشتري أفخم عجائب إيلانتريس السحرية، إنهم لم يمنحوا أي شيء مجانًا، كولو؟".

توقفا على قمة مبنى مسطح السقف، فيبدو أن بعض الإيلانتريين كانوا يفضلون الأسقف المسطحة على الأسقف المحدبة أو القباب. فهذا الجزء المسطح يسمح بزراعة البساتين عليه. امتد أمامهما قطاع من المدينة يبدو مُشابهًا لبقية إيلانتريس، مُظلمًا ومتداعيًا. كان باستطاعة رايودن أن يتخيل أن شوارعه كانت ذات يوم مُزينة بمظلات قماشية ملونة لباعة جائلين، ولكن لم يتبقَّ من كل هذا سوى قطع قماشية قذرة متناثرة هنا وهناك.

مال رايودن إلى الأمام ليطل على قطاع السوق وهو يسأل: "ألا يُمكننا أن نقترب أكثر من هذا؟".

قال جالادون مفكرًا: "يُمكنك أن تقترب إن أردت يا سول، ولكني سأبقى هنا، فرجال شايور مغرمون بملاحقة الناس. إنها على الأرجح واحدة من الملذات القليلة التي قد تبقت لهم".

"أخبرني عن شايور نفسه إذن".

هزَّ جالادون كتفيه وقال: "في مكان كهذا يبحث عديد من الناس عن قادة، شخص ما يُمكنه أن يردع قليلًا من الفوضى، وكأي مجتمع يكون الأقوى من بينهم هم القادة في نهاية المطاف. إن شايور واحد من هؤلاء الذين يجدون متعة في السيطرة على الآخرين. ولسبب ما فإن أكثر الإيلانتريين جموحًا وأفسدهم أخلاقًا يجدون طريقهم إليه".

سأله رايودن: "وهو يأخذ القرابين من ثلث الوافدين؟".

"حسنًا، نادرًا ما يشغل شايور نفسه بهذه الأشياء، ولكن أجل، ينال أتباعه حق المطالبة بثلث القرابين".

سأله رايودن: "ولِمَ هذه التسوية؟ إن كان من الصعب السيطرة على رجال شايور كما تتضمن كلماتك فما الذي يقنعهم بالالتزام بمثل هذا الاتفاق التعسفي".

قال جالادون: "إن العصابتين الأخريين كبيرتان مثل عصابة شايور يا سول. يميل الناس في الخارج إلى الاقتناع بخلودهم، نحن هنا أكثر واقعية، نادرًا ما ينتصر المرء في معركة بدون بضعة جروح على الأقل، وهنا يُمكن لأكثر الجروح بساطة أن تصير أكثر إيلامًا وتدميرًا من جز سريع للعنق. رجال شايور جامحون ولكنهم ليسوا حمقى تمامًا، لن يقاتلوا ما لم تكن الاحتمالات في صفهم إلى درجة كبيرة، أو أن هناك مكافأة تستحق المخاطرة. هل تعتقد أن بنيتك الجسمانية هي ما منعت ذلك الرجل من مهاجمتك بالأمس؟".

قال رايودن معترفًا: "لم أكن واثقًا".

قال جالادون: "حتى أدنى تلميح بأنك ستقاوم سيكون كافيًا لكي يهرب هؤلاء الرجال خائفين يا سول. إن متعة تعذيبك لا تستحق المقامرة بأنك قد تصيب أحدهم بضربة غير محسوبة".

ارتجف رايودن لهذه الفكرة قبل أن يقول: "أرني أين تعيش العصابتان الأخريان".

***

كانت الجامعة والقصر متجاورين، وبحسب ما قاله جالادون فإن كاراتا وآندين بينهما هدنة مضطربة للغاية، وعادة ما يُنشَر الحراس على الجانبين للمراقبة. مرة أخرى اقتاده جالادون إلى مبنى ذي سقف مسطح، وسلم آخر غير جدير بالثقة يؤدي إلى الأعلى.

ولكن بعد أن صعد رايودن السلم. وكاد أن يسقط عندما تشققت إحدى الدرجات من تحته. اعترف رغمًا عنه أن المشهد يستحق هذا العناء. كان قصر إيلانتريس ضخمًا بما يكفي لأن يكون مذهلًا رغم الاضمحلال الحتمي، خمس قباب تعلو خمسة أجنحة، ولكل منها برج مهيب. ولكن كان هناك برج واحد. البرج الذي في المنتصف. قد تبقى سليمًا. ولكنه كان شاهق الارتفاع، وكان أطول بناء قد رآه رايودن في حياته على الإطلاق.

قال جالادون وهو يشير إلى البرج: "يُقال إنه يقع في مركز إيلانتريس بالضبط، ذات يوم كان المرء قادرًا على أن يصعد درجات السلم الملتفة من حوله ليرى المدينة بأسرها. ولكني لن أثق في درجاته هذه الأيام، كولو؟".



ثم قال جالادون وهو ينظر إلى القصر: "والجدير بالذكر أن كاراتا أقسى زعماء العصابات، وفي الوقت ذاته أكثرهم تسامحًا". كان هناك شيء غريب في عينيه، كأنما يرى أشياء لا يراها رايودن. واصل وصفه لخصالها بنبرة مرتعشة كأن فمه لا يُدرك أن عقله يُركز على شيء آخر.

"إنها لا تسمح عادة بانضمام أعضاء جدد إلى عصابتها، كما أنها تدافع عن نطاق نفوذها بحزم شديد. قد يُطاردك رجال شايور لفترة من الوقت إن تجولت في أراضيهم، فقط إن أحسوا برغبة

في هذا. لا تسمح كاراتا بوجود أي دخلاء، ولكن إن تركتها وشأنها فستتركك وشأنك، ونادرًا ما تؤذي الوافدين الجدد وهي تأخذ طعامهم. لقد رأيتَها باكرًا اليوم، لقد أخذت الطعام بنفسها، إنها دومًا ما تأخذ الطعام بنفسها، ربما لا تثق في أتباعها بما يكفي للتعامل مع الأمر".

قال رايودن: "ربما. هل تعرف أي شيء آخر عنها؟".

"ليس الكثير، لا يتميز قادة عصابات اللصوصية العنيفة عادة بكونهم من النوع الذي يقضي ما بعد الظهيرة في تجاذب أطراف الحديث".

قال رايودن وهو يبتسم: "من منا لا يأخذ الأمر على محمل الجد الآن؟".

"إن تأثيرك سيئ عليَّ يا سول، ليس من المفترض أن يبتهج الموتى. على أي حال الشيء الوحيد الذي يُمكنني أن أقوله لك عن كاراتا هو إنها لا تحب الوجود في إيلانتريس كثيرًا".

عقد رايودن حاجبيه وهو يقول: "ومن يحبه؟".

"جميعنا نكرهه يا سول، ولكن قلة منا لديهم الشجاعة لمحاولة الهرب والنجاح في هذا. لقد قُبض على كاراتا في كاي ثلاث مرات حتى الآن، ودومًا ما يكون هذا في محيط قصر الملك. إن أمسكوا بها مرة أخرى فسيأمر الكهنة بإحراقها".

"ما الذي تريده من القصر؟".

"إنها ليست طيبة بما يكفي لكي تشرح الأمر لي، ولكن معظم الناس يعتقدون أنها تُريد اغتيال الملك آيادون".

سأله رايودن: "لماذا؟ ما الذي سيحققه هذا؟".

"الانتقام، الاضطراب، سفك الدماء. كلها أسباب مقنعة عندما تكون ملعونًا بالفعل، كولو؟".

عقد رايودن حاجبيه، ربما العيش مع أبيه، الذي كان مُصابًا بجنون الارتياب حيال قتله على يد قاتل مأجور، قد جعله يفقد حساسيته تجاه الأمر، ولكن قتل الملك لم يبدُ هدفًا محتملًا بالنسبة له. "ماذا عن قائد العصابة الأخرى؟".

سأله جالادون وهو ينظر ناحية الجامعة: "آندين؟". كانت ضخمة وأقل مهابة من القصر، تتكون من خمسة مبانٍ مسطحة طويلة أو ستة، والكثير من المساحات المفتوحة، أراضٍ كانت ذات يوم على الأرجح مغطاة بالحشائش أو البساتين، وهي الأشياء التي أكلها قاطنو إيلانتريس المتضورين جوعًا حتى جذورها منذ زمن بعيد. "يزعم أنه كان نبيلًا ما قبل أن يُلقى هنا، بارون على ما أعتقد. حاول أن يُنصب نفسه ملكًا لإيلانتريس، وهو يشعر بانزعاج شديد لأن كاراتا تُسيطر على القصر، إنه يعقد بلاطًا ويزعم أنه سيُطعم هؤلاء الذين سينضمون إليه، رغم أن كل ما تحصل عليه هو عدد قليل من الكتب المغلية، ويضع خططًا للهجوم على كاي".

سأله رايودن في دهشة: "ماذا؟ الهجوم؟".

قال جالادون: "إنه ليس جادًّا، ولكنها دعاية رائعة. إنه يزعم أن لديه خطة لتحرير إيلانتريس، وقد أكسبه هذا عددًا من الأتباع. ولكنه أيضًا وحشي للغاية. لا تؤذي كاراتا إلا هؤلاء الذين يحاولون التسلل إلى القصر، أما آندين فمشهور عنه أنه يُصدر الأحكام بناء على نزواته. لا أعتقد أنه عاقل تمامًا يا سول".

عقد رايودن حاجبيه، لو كان آندين بارون حقًّا لسمع عنه، ولكنه لم يتعرف على الاسم، إما أن آندين يكذب بشأن ماضيه، أو أنه قد اتخذ لنفسه اسمًا جديدًا بعد أن جاء إلى إيلانتريس.

تفحص رايودن المنطقة الواقعة بين الجامعة والقصر، شيء ما هناك لفت انتباهه، شيء عادي للغاية حتى إنه لم يكن لينتبه إليه لولا أنه كان الأول من نوعه الذي يراه في إيلانتريس.

سأله في تردد: "هل هذه... بئر؟".

أومأ جالادون برأسه وقال: "البئر الوحيدة في المدينة".

"كيف يُعقل هذا؟".

"لقد كانت أعمال توصيل المياه الداخلية يا سول، شيء من المجاملة بجانب سحر آيوندور[١٨]، فالآبار لم تكن ضرورية".

"إذن لماذا بنوا هذه البئر؟".

"أعتقد أنها كانت تُستخدم في المراسم الدينية، العديد من طقوس العبادة الإيلانترية تتطلب ماءً قد جُمِع حديثًا من نهر جارٍ".

قال رايودن: "إذن فنهر أريديل يجري حقًّا تحت المدينة".

"بالطبع، إلى أي مكان آخر يُمكن أن يذهب؟ كولو؟".

ضيق رايودن عينيه مفكرًا ولكنه لم يتطوع بتقديم أي معلومات. بينما يقف هناك يُراقب المدينة لاحظ كرة الضوء التي تطفو عبر أحد الشوارع بالأسفل. كان سيون يتحرك على غير هدى، ومن آن لآخر يحوم في دوائر، كان بعيدًا للغاية على أن يميز الآيون في مركزه.

لاحظ جالادون نظرة رايودن المتمعنة فقال: "إنه سيون، وهذا ليس أمرًا غريبًا على المدينة".

سأله رايودن: "إنه حقيقي إذن؟".

أومأ جالادون برأسه وقال: "عندما يصيب الشايود سيد سيون فإن السيون نفسه يُصاب بالجنون، هناك عدد منهم يحوم في أرجاء المدينة. إنهم لا يتحدثون، بل يكتفون بالتحليق في الأرجاء على غير هدى".

[١٨] الآيوندور: شكل قديم من أشكال السحر كان يُمارسه الإيلانتريون.

أشاح رايودن بنظره بعيدًا، فمنذ أن أُلقي في إيلانتريس وهو يحاول أن يتجنب التفكير في مصير سيونه آين.

نظر جالادون إلى السماء وقال: "ستمطر قريبًا".

رفع رايودن حاجبًا وهو ينظر إلى السماء الخالية من الغيوم وقال: "إن كنت ترى هذا".

"ثق بي، يجب أن ندلف إلى الداخل ما لم ترغب في قضاء الأيام التالية في ملابس رطبة. يصعب إشعال النار في إيلانتريس، فالحطب إما رطب للغاية أو متعفن للغاية على أن يحترق".

"أين يجب أن نذهب؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "فلتختر بيتًا يا سول، الاحتمال الأكبر أنه لن يكون مأهولًا".

كان عليهما قضاء الليلة التالية نائمين في بيت مهجور، ولكن في هذه اللحظة خطر شيء لرايودن. "أين تعيش يا جالادون؟".

أجابه جالادون على الفور: "في دولادل".

"أعني هذه الأيام".

فكر جالادون للحظة وهو ينظر إلى رايودن مترددًا، ثم هز كتفيه وأشار إلى رايودن أن يلحق به هابطين السلم المتداعي وهو يقول: "تعالَ".

***

صاح رايودن في حماس: "كتب!".

تمتم جالادون: "لم يكن يجب عليَّ أن أجلبك إلى هنا، الآن لن أتمكن من التخلص منك أبدًا".

كان جالادون قد اقتاد رايودن إلى ما بدا أنه قبو نبيذ مهجور، ولكن تبين أنه شيء مختلف تمامًا. كان الهواء أكثر جفافًا في هذا المكان رغم وجوده تحت الأرض، وأكثر برودة أيضًا. وبما يتناقض مع تحذير جالادون المسبق بشأن النار أخرج مصباحًا من تجويف خفي وأشعله بفولاذ وحجر صوانٍ صغير. ما كشف عنه الضوء كان مُدهشًا بالفعل.

بدا المكان وكأنه حجرة دراسة لرجل متعلم، كان هناك آيونات ـ الأحرف الغامضة القديمة التي تُشكل اللغة الآيونية ـ مرسومة على كل الجدران، وكان هناك العديد من أرفف الكتب.

سأله رايودن في لهفة: "كيف عثرت على مثل هذا المكان؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "عثرت عليه مصادفة".

أمسك رايودن بكتاب من على أحد الأرفف، كان متعفنًا بعض الشيء ولكن لا يزال من الممكن قراءته، ثم قال: "ربما يُمكن لكل هذه الكتب أن تعلمنا سر الآيونات يا جالادون! هل فكرت يومًا في هذا؟".

قال رايودن: "سحر إيلانتريس. يقولون إنه قبل الريود كان الإيلانتريون قادرين على صنع أشياء سحرية قوية برسم الآيونات فحسب".

"آه، أنت تقصد شيئًا كهذا". سأله الرجل الأسمر الضخم وهو يرفع يده ويرسم رمزًا في الهواء؛ آيون ديو. فتركت إصبعه خطًّا أبيض متوهجًا من ورائها.

فتح رايودن عينيه على اتساعهما والكتاب يرتجف في قبضته، الآيونات! من المفترض تاريخيًّا أن الإيلانتريين وحدهم كانوا قادرين على استدعاء القوة المحبوسة بداخلها، القوة التي من المفترض أنها قد اندثرت، من المفترض أنها سقطت مع سقوط إيلانتريس.

ابتسم جالادون وهو ينظر إليه من وراء الرمز المتوهج المعلق في الهواء بينهما.

# الفصل الخامس

قالت سارين بدهشة: "بحق دومي الرحيم! من أين ظهر هذا الرجل؟".

خطا الجيورن إلى داخل قاعة عرش الملك بغطرسة تميز أمثاله، كان يرتدي دروع الكاهن الأكبر الديريثي الحمراء القانية، ويتدلى من ورائه عباءة حمراء قرمزية، ولكنه لا يحمل أي سلاح. كان الغرض من هذا الزي هو إثارة الإعجاب، ورغم ما تعتقده سارين بشأن الجيورنات أنفسهم اعترفت أن ملابسهم مثيرة للإعجاب. بالطبع كان الغرض منه هو الاستعراض، فحتى في مجتمع فيوردن العسكري لا يُمكن للكثير أن يمشوا بمثل هذا اليسر وهم يرتدون دروعًا معدنية كاملة. ربما كان المعدن رقيقًا وخفيفًا للغاية، حتى أنه سيكون عديم الجدوى في أي معركة.

مر الجيورن من جوارها دون أن يُلقي نظرة عليها وعيناه مصوبتان مباشرة نحو الملك. كان أصغر من أن يكون يكون جيورنًا، ربما في الأربعينيات من عمره، ولم يكن هناك إلا القليل من الشيب في شعره القصير المصفف بعناية.

قال آش وهو يحوم إلى جوارها كالمعتاد، لم يكن هناك سوى سيون آخر في القاعة: "أنتِ تعرفين أن هناك حضورًا ديريثيًا في إيلانتريس يا سيدتي. لِمَ تتفاجئين لرؤية كاهن فيوردي؟".

"هذا جيورن كامل يا آش، لا يوجد سوى عشرين منهم في الإمبراطورية الفيوردية بأسرها، قد يكون هناك بعض المؤمنين الديريثيين في كاي، ولكن هذا ليس كافيًا لتبرير زيارة من كاهن أكبر. إن الجيورنات بخلاء للغاية في إنفاق وقتهم".

راقبت سارين الرجل الفيوردي وهو يخطو عبر القاعة، ويشق طريقه عبر مجموعة من الناس كطائر يخترق سحابة من البعوض. همست لآش: "هيا بنا". وهي تشق طريقها عبر الحشد نحو مقدمة القاعة، لم ترغب في أن يفوتها ما يقوله الجيورن.

لم تكن بحاجة للقلق بشأن هذا، فعندما تحدث الرجل دوى صوته عبر جميع أنحاء قاعة العرش. قال وهو يومئ برأسه إيماءة طفيفة بدلًا من الانحناء: "أيها الملك آيادون، أنا الجيورن هراثن، أحمل لك رسالة من الويرن وولفدين الرابع. إنه يعلن أن الوقت قد حان لكي تتقاسم أُمَّتانا ما هو أكثر من الحدود المشتركة". كان يتحدث بلهجة أهل فيوردن الثقيلة المتناغمة.

رفع آيادون بصره عن سجلاته، وهو لا يكاد يُخفي عبوسه، ثم قال: "ما الذي يريده الويرن أكثر من هذا؟ لدينا بالفعل اتفاقيات تجارية مع فيوردن".

قال هراثن: "قداسته يخاف على أرواح شعبك يا جلالة الملك".

"حسنًا إذن، فليدعهم إلى دينه، لقد منحت كهنتكم الحرية الكاملة للتبشير في أريلون".

"الناس يستجيبون ببطء شديد يا مولاي، إنهم بحاجة إلى دفعة... إلى توقيع إن جاز التعبير. لقد قرر الويرن أن الوقت قد حان لكي تعتنق بنفسك الشو-ديريث".

هذه المرة لم يكلف آيادون نفسه عناء إخفاء الانزعاج في نبرة صوته وهو يقول: "أنا أعتنق الشو-كوراث بالفعل أيها الكاهن، نحن نخدم نفس الإله".

قال هراثن بوجوم: "الشو-ديريث هي الهيئة الحقيقية الوحيدة من الشو-كيسج".

لوَّح آيادون بيده وهو يقول: "أنا لا أُبالي بالمشاحنات بين الطائفتين أيها الكاهن، فلتذهب لتدعو غير المؤمنين للإيمان، لا يزال هناك الكثير من الأريليين الذين يتشبثون بالديانة القديمة".

قال الجيورن محذرًا: "لا يُمكنك أن ترفض عرض الويرن بمثل هذه البساطة".

"اصدقني القول أيها الكاهن، هل نحن بحاجة لأن نخوض هذا الحديث؟ إن تهديداتك لا تحمل أي ثقل، فطيلة القرون الثلاثة الماضية لم يكن لفيوردن أي تأثير حقيقي. هل تعتقد حقًّا أنك سترهبني بناءً على القوة التي كنتم تتمتعون بها في الماضي؟".

ازدادت عينا هراثن غضبًا وتهديدًا وهو يقول: "إن فيوردن أقوى الآن من أي وقت مضى".

سأله آيادون: "حقًّا؟ أين إمبراطوريتكم الشاسعة؟ أين جيوشكم؟ كم دولة تمكنتم من غزوها في القرن الأخير؟ ربما سيُدرك شعبك يومًا ما أن إمبراطوريتكم قد انهارت قبل ثلاثة قرون".

صمت هراثن للحظة ثم كرر إيماءته الطفيفة قبل أن يدور على عقبيه، وخفقت عباءته بشكل درامي وهو يمشي ناحية الباب. لم تُجَب دعوات سارين، وهو لم يتعثر في عباءته ويسقط أرضًا. قبل أن يُغادر هراثن التفت ليُلقي نظرة أخيرة على قاعة العرش تحمل خيبة أمل، ولكن نظره توقف عند سارين بدلًا من الملك، وتبادلا التحديق للحظة، وكان باستطاعتها أن ترى لمحة من الارتباك وهو يتفحص طولها غير المعتاد، وشعرها الأشقر التيودي، ثم رحل فاشتعلت القاعة بثرثرة مئات من المحادثات.

نظر الملك آيادون بسخرية إلى حيث اختفى، قبل أن يولي اهتمامه إلى سجلاته من جديد.

همست سارين: "إنه لا يُدرك الأمر، ولا يفهمه".

سألها آش: "يفهم ماذا يا سيدتي؟".

"مدى خطورة هذا الجيورن".

"إن جلالة الملك تاجر يا سيدتي، وليس ملكًا حقيقيًّا، فلا يرى الأشياء كما ترينها".

قالت سارين بصوت خافت حتى لا يسمعها أحد سوى آش: "ومع ذلك يجب أن يكون الملك آيادون قد اكتسب ما يكفي من الخبرة ليُدرك أن ما قاله هراثن. على الأقل بشأن فيوردن.

حقيقي تمامًا. الويرنات أقوى الآن مما كانوا عليه قبل قرون، حتى في ذروة قوة الإمبراطورية القديمة".

قال آش: "من الصعب النظر إلى أي شيء بجانب القوة العسكرية، وخصوصًا عندما يكون المرء ملكًا جديدًا. لا يستطيع الملك آيادون أن يتخيل كيف يُمكن لجيش كهنة فيوردن أن يكون أكثر نفوذًا مما كان عليه محاربوها من قبل".

نقرت سارين بإصبعها على وجنتها وهي تفكر قبل أن تقول: "حسنًا يا آش، على الأقل لن يكون هناك داعٍ لأن تقلق حيال أن أتسبب في الكثير من الاضطراب بين نبلاء كاي".

"أشك في هذا حقًّا يا سيدتي، فأي شيء آخر يُمكنك أن تقضي فيه وقتك؟".

قالت بعذوبة: "أوه يا آش، لِمَ قد أُزعج نفسي بمجموعة من مدعي النبل غير المؤهلين بينما يُمكنني أن أتصارع بذكائي مع واحد من الجيورنات؟". ثم أكملت بجدية أكثر: "إن الويرن يُحسن اختيار كبار الكهنة، إن لم يحترس آيادون من هذا الرجل. ولا يبدو أنه سيفعل هذا. فسيسحب هراثن البساط من تحت قدميه وسيجعل المدينة كلها تتبعه. ما الفائدة التي ستعود على تيود بتضحيتي بنفسي في هذا الزواج إن سلمت أريلون نفسها لأعدائنا؟".

قال آش وهو ينبض: "ربما تبالغين في رد فعلك يا سيدتي". كانت الكلمات مألوفة، فقد بدا أن آش يشعر في كثير من الأحيان بالحاجة لأن يقولها لها.

هزت سارين رأسها وقالت: "ليس هذه المرة، ما حدث اليوم كان اختبارًا يا آش، الآن سيشعر هراثن بأن أي تصرف سيأخذه تجاه الملك سيكون مبررًا، لقد أقنع نفسه أن من يحكم أريلون هو بالفعل مهرطق. سيحاول أن يجد طريقة للإطاحة بعرش آيادون، وستنهار حكومة أريلون للمرة الثانية خلال عشر سنوات. هذه المرة لن تكون طبقة التجار هي من ستملأ الفراغ في القيادة، بل الكهنة الديريثيون".

سألها آش وهو يبدو مندهشًا: "هل ستحاولين مساعدة آيادون؟".

"إنه ملكي الذي أدين له بالولاء".

"رغم رأيك فيه بأنه لا يُطاق؟".

"أي شيء أفضل من حكم فيوردن، كما أنني قد أكون مخطئة بشأن آيادون". لم تسِر الأمور بينهما على نحو سيئ منذ ذلك اللقاء الأول المحرج. لقد تجاهلها آيادون عن عمد في جنازة رايودن، ولكن سارين لم تُمانع هذا، لقد كانت منشغلة بمراقبة الاختلافات في المراسم. لسوء الحظ كان الحدث على مستوى مخيب للآمال وفقًا للتقاليد الدينية القويمة. ولم يفضح أي من النبلاء البارزين نفسه بأن يتخلف عن الحضور أو يبدو عليه الإحساس بالذنب أثناء المراسم.

قالت: "أجل... ربما يُمكن أن أكون أنا والملك آيادون على وفاق بأن نتجاهل أحدنا الآخر".

"ما الذي تفعلينه في بلاطي بحق دومي المنتقم يا فتاة؟".

نظرت سارين إلى الأعلى في استسلام، بينما نبض آش في ضحك خافت وهي تلتفت لتواجه الملك آيادون.

قالت وهي تضع في صوتها أكبر قدر من البراءة: "ماذا؟".

صاح آيادون وهو يشير إليها: "أنتِ!". كان في مزاج سيئ لسبب مفهوم، وحسبما سمعت نادرًا ما يكون آيادون في مزاج طيب. "ألا تفهمين أن النساء لا يحضرن إلى بلاطي إلا بناءً على دعوة مني؟".

نظرت سارين إليه وهي ترمش بعينيها في حيرة قبل أن تقول: "لم يُخبرني أحد بهذا يا مولاي". كانت تحاول عن عمد أن تبدو وكأنها لا تتمتع بأي ذكاء في رأسها.

زمجر آيادون وهو يقول شيئًا عن حماقة النساء، ويهز رأسه بسبب افتقارها الواضح إلى الذكاء.

قالت بصوت جعلته مرتجفًا كأنما هي على وشك البكاء: "لقد أردت فقط أن أرى اللوحات".

رفع آيادون يده كأنما ليمنع المزيد من هرائها قبل أن يعود إلى سجلاته. بالكاد منعت سارين نفسها من الابتسام وهي تمسح عينيها وتتظاهر بأنها تتفحص اللوحة الموجودة وراءها.

قال آش بصوت خافت: "كان هذا متوقعًا".

تمتمت سارين: "سأتعامل مع آيادون لاحقًا، فهناك شخص يستحق قلقي الآن أكثر منه".

"لم أعتقد أنني سأرى اليوم الذي تتصرفين فيه أنتِ . من بين كل النساء . بالصورة الأنثوية النمطية، حتى لو كان مجرد تظاهر".

سألته سارين وهي ترمش بعينيها: "ماذا؟ أنا أتظاهر؟".

قال آش ساخرًا: "هل سأُعاني من رؤيتك تنتحبين كلما تحدث معك الملك؟".

هزَّت سارين كتفيها وقالت: "إنه يتوقع أن تكون النساء حمقاوات، لذا سأكون حمقاء. من السهل التلاعب بالناس عندما يفترضون أنك لا تملك من الذكاء حتى ما يكفي لأن تتذكر اسمك".

فجأة تردد صوتًا يقول: "إين، أهذه أنتِ؟". كان الصوت العميق الأجش مألوفًا بشكل غريب. بدا الأمر وكأن المتحدث مُصاب بالتهاب في حلقه، رغم أنها لم ترَ من قبل أحدًا بحلق ملتهب يُمكنه أن يصيح عاليًا هكذا.

دارت سارين على عقبيها، كان هناك رجل ضخم . طويل وعريض ومفتول العضلات بشكل يبدو مستحيلًا . يشق طريقه عبر الحشد مقتربًا منها. كان يرتدي سترة حريرية زرقاء عريضة .

ارتجفت وهي تفكر في عدد ديدان القز التي عانت لإنتاج هذا القدر من الحرير . وسروالًا مُكشكشًا عند الأقدام، الثياب التي تُميز البلاط الأريلي.

صاح الرجل في دهشة: "إنه أنتِ حقًّا! ظننت أنك لن تأتي قبل أسبوعٍ آخر!".

تمتمت قائلة: "من هذا المخبول يا آش؟ وما الذي يُريده مني؟".

"إنه يبدو مألوفًا يا سيدتي، المعذرة فذاكرتي لم تعد كالسابق".

قال الرجل الضخم وهو يحتضنها كالدب: "مرحى!". كان شعورًا غريبًا، نصفها السفلي يغوص في كرشه الضخم، بينما وجهها يكاد أن يتحطم على صدره الصلب مفتول العضلات. قاومت الرغبة في التذمر وهي تنتظر على أمل أن يُطلق الرجل سراحها قبل أن تفقد الوعي. على الأرجح سيتدخل آش لمساعدتها إن تغير لون وجهها.

لحسن الحظ تركها الرجل قبل أن تختنق، وبدلًا من هذا أمسكها من كتفيها وهو يقول: "لقد تغيرتِ، عندما رأيتك آخر مرة كنتِ بارتفاع ركبتي". ثم نظر إلى جسدها الطويل قبل أن يقول: "حسنًا، ربما لم تكوني بارتفاع ركبتي، ولكنك بالتأكيد لم تكوني أطول من خصري. قالت أمك إنك عندما تكبرين ستصيرين طويلة ونحيفة!".

هزَّت سارين رأسها، كان الصوت مألوفًا إلى حد ما ولكنها لم تستطع أن تتذكر وجهه، عادة ما تكون جيدة في تذكر الوجوه ما لم...

سألته في تردد: "هانكي كي؟ بحق دومي الكريم! ما الذي حدث للحيتك؟".

"نبلاء أريلون لا يُطيلون اللحى يا صغيرتي، لم أُطلق لحيتي منذ أعوام".

إنه هو حقًا، كان الصوت مختلفًا، والوجه الحليق غير مألوف، ولكن كانت العينان هما ذاتهما. تذكرت النظر إلى هاتين العينين البنيتين الواسعتين المليئتين دومًا بالضحك. تمتمت في شرود: "هانكي كي، أين هديتي؟".

ضحك عمها كين، ولكن صوته الأجش الغريب جعل ضحكته تبدو صفيرًا. لطالما كانت هذه هي الكلمات الأولى التي تخرج من فمها عندما يأتي لزيارتهم، ولطالما جلب عمها أعجب الهدايا، الأشياء المبهجة التي كانت باهظة بما يكفي لتكون فريدة من نوعها حتى بالنسبة لابنة ملك.

"يؤسفني أنني نسيت هديتك هذه المرة يا صغيرتي".

احمر وجه سارين خجلًا ولكن قبل أن تتمكن من تقديم اعتذارها أحاط عمها كتفها بذراعه الضخمة وبدأ يجذبها إلى خارج قاعة العرش.

"تعالي، يجب عليك أن تلتقي بزوجتي".

قالت سارين في صدمة: "زوجتك؟". لقد مضى أكثر من عقد منذ آخر مرة رأت فيها كين، ولكنها تتذكر حقيقة واحدة بوضوح، أن عمها كان عازفًا عن الزواج، وميالًا إلى العربدة. "هانكي كي تزوج؟".

أجابها كين بصوته الخشن: "لست وحدك من كبر في السنوات العشرة الماضية. ورغم أنه من اللطيف أن أسمعك تناديني هانكي كي وأنتِ طفلة، فربما يجب أن تُناديني العم كين الآن".

احمر وجهها خجلًا مرة أخرى.

سألها الرجل الضخم: "إذن كيف حال والدك؟ أفترض أنه يتصرف بالشكل الملكي الملائم".

أجابته: "إنه يُبلي حسنًا يا عماه، رغم أنني واثقة من أنه سيتفاجأ لمعرفة أنك تعيش في بلاط أريلون".

"إنه يعرف".

"لا، إنه يعتقد أنك قد غادرت في واحدة من رحلاتك البحرية وأقمت في واحدة من الجزر النائية".

"إن كنتِ امرأة حادة الذكاء يا سارين كما كنتِ وأنتِ طفلة فيُفترض بكِ أن تكوني قد تعلمتِ كيف تفرقين بين الحقيقة والحكايات".

نزلت عليها الجملة كدلو من الماء المثلج، إنها تتذكر بشكل مبهم مراقبة سفينة عمها وهي تُبحر مبتعدة ذات يوم بينما تسأل أباها متى سيعود هانكي كي؟ كان وجه إيڤينتيو حزينًا وهو يخبرها أن هانكي كي سيذهب في رحلة طويلة للغاية.

سألته: "ولكن لماذا؟ طيلة هذه الأيام وأنت تعيش على مسافة بضعة أيام من الوطن ولم تأتِ قط لزيارتنا".

هز كين رأسه وقال: "فلنترك هذه الحكايات ليوم آخر يا صغيرتي، الآن يجب أن تلتقي بزوجتي؛ الوحش الذي أوقع بعمك في الأسر لكي يتزوج أخيرًا".

***

بالكاد يُمكن وصف زوجة كين بالوحش، بل في الواقع كانت واحدة من أجمل النساء الناضجات اللاتي رأتهن سارين. كانت دايورا تملك وجهًا جميلًا حاد القسمات وشعرًا كستنائيًّا مُصففًا بعناية. لم تكن تتوقع أن يتزوج عمها امرأة مثلها، ولكن أحدث ذكرياتها عن كين قديمة بأكثر من عقد بالطبع.

لم تكن مندهشة لرؤية قصر عمها الضخم الأشبه بالحصن. فكرت أن عمها كان تاجرًا من نوعٍ ما، وأبرز ذكرياتها كانت عن الهدايا الباهظة وملابس كين الفاخرة. لم يكن الابن الأصغر لملك فحسب، بل كان تاجرًا ناجحًا للغاية، ويبدو أنه لا يزال كذلك. كان قد خرج من المدينة في رحلة عمل، ولم يعد حتى هذا الصباح، ولهذا لم ترَه في الجنازة.

الصدمة الأكبر كانت أطفاله، فرغم حقيقة أن سارين قد عرفت بزواجه لكنها لم تستطع أن توفق بين ذكرياتها عن هانكي كي الجامح ومفهوم الأبوة. تحطمت تصوراتها المسبقة تمامًا في اللحظة التي فتح فيها كين ودايورا الباب إلى قاعة تناول الطعام في القصر.

نادى صوت فتاة صغيرة: "عاد أبي إلى البيت!".

قال كين بأسف: "أجل لقد عدت إلى البيت، ولكني لم أجلب شيئًا، فأنا لم أغب إلا لبضع دقائق".

قالت: "أنا لا أُبالي إن كنت قد جلبت لي شيئًا أو لا، فقط أُريد أن آكل". كانت المتحدثة فتاة صغيرة في العاشرة من عمرها تقريبًا، ولها صوت جاد تمامًا كأصوات البالغين، ترتدي فستانًا ورديًّا بشريط أبيض، ولها شعر أشقر زاهٍ.

"أنتِ تريدين أن تأكلي طيلة الوقت يا كايسي". قالها ولد صغير يكاد أن يكون مُطابقًا للفتاة وهو ينظر إليها بحنق.

قالت دايورا بحزم: "لا تتشاجرا أيها الطفلان، لدينا ضيف".

قال كين: "أُعرّفِك على ابني عمك يا سارين، كايسي ودايورن. أكبر صداع في حياة عمك المسكين".

"أنت تعرف أنك كنت لتصاب بالجنون بسبب الملل منذ زمن بعيد من دونهما يا أبي". قالها رجل من الباب المقابل على الناحية الأخرى. كان الوافد الجديد بالطول الأريلي المعتاد، بما يعني أنه أقصر من سارين ببوصة أو اثنتين، ممشوق القوام ووسيم بشكل ملحوظ، مع وجه حاد القسمات، شعره مفروقًا من المنتصف وينسدل على جانبي وجهه. كان هناك امرأة بشعر أسود تقف إلى جواره تزم شفتيها وهي تتفحص سارين.

انحنى الرجل لسارين انحناءة طفيفة وهو يقول: "مولاتي". كان هناك ابتسامة شاحبة على شفتيه.

قال كين: "ابني لوكل".

قالت: "ابنك؟". كانت هذه مفاجأة، يُمكن لسارين أن تقبل وجود الطفلين الصغيرين، ولكن لوكل كان أكبر مِنها ببضع سنوات، هذا يعني...

قال كين وهو يهز رأسه: "لوكل هو ابن دايورا من زواجها السابق".

قال لوكل وابتسامته تزداد اتساعًا: "هذا لا يعني أنني لست ابنه، لا يُمكنك الهرب من المسؤولية تجاهي بهذه البساطة".

قال كين: "دومي نفسه لن يجرؤ على تحمل مسؤوليتك. على أي حال هذه الواقفة بجواره هي جالا".

تساءلت سارين بينما جالا تنحني لها في مجاملة: "ابنتك؟".

قالت المرأة ذات الشعر الأسود: "زوجة ابنه". كانت تتحدث بلكنة غريبة.

سألتها سارين: "أنتِ فيوردية؟". كان لون شعرها دليلًا على هذا، ولكن الاسم واللكنة لم يدعا مجالًا للشك.

قالت جالا لتصحح لها الأمر: "سڤوردية". ولكن الأمر ليس مختلفًا كثيرًا، فمملكة سڤوردن كانت ولا تزال مقاطعة فيوردية.

قال لوكل مفسرًا: "لقد درسنا معًا في الجامعة السڤوردية، وتزوجنا الشهر الماضي".

قالت سارين: "تهانئي. يسعدني أن أعرف أنني لست وحدي في الغرفة من تزوج حديثًا". أرادت سارين أن تقول هذا بمرح ولكنها لم تستطع أن تخفي المرارة من صوتها.

أحست بيد كين الضخمة تُمسك بكتفها وهو يقول برفق: "المعذرة يا إين، لم أكن عازمًا على الحديث في الأمر، ولكن... أنتِ تستحقين ما هو أفضل من هذا. لطالما كنتِ طفلة سعيدة".

قالت سارين وهي تتظاهر بعدم الاكتراث: "لم أخسر شيئًا، ليس الأمر وكأنني كنت أعرفه يا عماه".

قالت دايورا: "ولكن لا شك أنكِ شعرتِ بالصدمة".

وافقتها سارين قائلة: "يُمكنكِ أن تقولي هذا".

قال كين: "لا أعرف إن كان هذا سيخفف عنكِ ولكن رايودن كان رجلًا صالحًا، واحدًا من أفضل الرجال الذين عرفتهم على الإطلاق. إن عرفتِ المزيد عن سياسة أريلين فستفهمين حينها أنني لا أستخدم هذه الكلمات ببساطة عندما أُشير إلى واحد من بلاط آيادون".

أومأت سارين برأسها، جزء منها كان سعيدًا لأنها لم تُسئ الحكم على رايودن مُسبقًا، والجزء الآخر فكَّر أنه سيكون من الأسهل عليها أن تواصل التفكير في أنه كان تمامًا مثل أبيه.

"يكفي حديثًا عن الأمير الميت!". قالها صوت صغير لحوح من عند الطاولة. "إن لم نأكل قريبًا فسيكون على أبي أن يتوقف عن الشكوى مني، لأنني سأكون ميتة".

وافقتها دايورا قائلة: "أجل يا كين، ربما من الأفضل أن تذهب إلى المطبخ وتحرص على أن وليمتك لم تحترق".

قال كين ساخرًا: "إن كل طبق لديَّ يُطهى وفقًا لجدول زمني محدد، سيكون من المستحيل على واحد منهم أن...". بتر الرجل الضخم حديثه وهو يتشمم الهواء ثم أطلق سُبَّة، قبل أن يُسرع خارجًا من الحجرة.

تساءلت سارين في دهشة: "العم كين هو من يطهو العشاء؟".

قالت دايورا: "إن عمك واحد من أفضل الطهاة في البلدة يا عزيزتي".

كررت سارين في دهشة: "العم كين؟ يطهو؟".

أومأت دايورا برأسها كأنه أمر يومي معتاد وقالت: "لقد سافر كين إلى أماكن في العالم أكثر من أي شخص في أريلون، وقد جلب وصفات طعام من كل مكان. أعتقد أنه سيعد لنا الليلة شيئًا قد تعلمه في جيندو".

تساءلت كايسي بإلحاح: "هل يعني هذا أننا سنأكل؟".

قال دايورن متذمرًا: "أنا أكره طعام جيندو، فهو حار للغاية". كان صوته مُطابقًا تقريبًا لصوت أخته.

قال لوكل ممازحًا وهو يبعثر شعر أخيه: "أنت لا تحب أي شيء ما لم يكن به الكثير من السكر".

"اذهب يا دايورن وأحضر آداين".

تساءلت سارين: "واحدًا آخر؟".

أومأت دايورا وقالت: "الأخير، شقيق لوكل".

قالت كايسي: "إنه على الأرجح نائم، دومًا ما يكون آداين نائمًا. أعتقد لأن عقله نصف مستيقظ فقط".

قالت دايورا: "عادة ما ينتهي المطاف بالفتيات الصغيرات اللاتي يقلن مثل هذه الأشياء عن إخوتهن بالذهاب إلى الفراش دون عشاء يا كايسي. تحرك يا دايورن".

***

قالت كايسي: "أنتِ لا تبدين أميرة". كانت الفتاة تجلس كما يليق على كرسيها بجانب سارين. كانت حجرة الطعام ذات طابع مريح، أقرب إلى مكتب، حيث كانت مليئة بالألواح الخشبية الداكنة، والتحف التذكارية من أيام سفر كين.

سألتها سارين: "ما الذي تعنينه؟". بينما تحاول أن تستخدم أدوات مائدة جيندو الغريبة. كان هناك اثنتان منهم، واحدة ذات طرف حاد، والأخرى بنهاية مسطحة أشبه بالمجرفة. كان الجميع يأكلون بهما كأنه شيء فطري، وكانت سارين مصممة على عدم قول أي شيء، ستكتشف الأمر بنفسها أو لن تأكل الكثير، وكان الخيار الثاني هو الأكثر احتمالًا.

قالت كايسي: "على سبيل المثال أنتِ طويلة للغاية".

قالت أمها بنبرة محذرة: "كايسي".

"ولكنها حقيقة، كل الكتب تقول إن الأميرات هيفاوات. أنا لا أعرف بالضبط ما تعنيه كلمة هيفاوات ولكنها بالتأكيد ليست كذلك".

قالت سارين: "أنا تيودية". لقد نجحت أخيرًا في أن تغرس الأداة الحادة فيما يبدو أنه قطعة متبلة من الجمبري. "جميعنا بهذا الطول".

قال دايورن: "أبي تيودي أيضًا يا كايسي، وأنتِ ترين مدى طوله".

قالت كايسي: "ولكن أبي بدين، لمَ لستِ بدينة يا سارين؟".

كان كين قد ظهر من باب المطبخ فضرب على رأس ابنته بأسفل صينية التقديم المعدنية التي يحملها أثناء مروره، ثم تمتم قائلًا وهو يصغي إلى صوت الرنين: "تمامًا كما توقعت، إن رأسك أجوف تمامًا، أعتقد أن هذا يُفسر الكثير".

فركت كايسي رأسها في انزعاج قبل أن تولي اهتمامها إلى وجبتها مرة أخرى وهي تتمتم قائلة: "ما زلت أعتقد أن الأميرات يجب أن يكن أصغر حجمًا، كما أنه من المفترض بهن أيضًا أن يتمتعن بآداب الطعام. ابنة عمي سارين أسقطت نصف وجبتها على الأرض، من سمع عن أميرة لا تعرف كيفية استخدام عصا المايبون؟".

احمر وجه سارين خجلًا وهي تنظر إلى أدوات المائدة الغريبة عليها.

ضحك كين وهو يضع طبقًا آخر شهي الرائحة على الطاولة قبل أن يقول: "لا تنصتي إليها يا إين، هذا طعام جيندو، إنه مصنوع من الكثير من الشحوم، وسيكون هناك خطأ ما إن لم يسقط نصفه على الأرض. سرعان ما ستتقنين استخدام هذه العصا".

قال دايورن: "يُمكنك استخدام ملعقة إن أردتِ، آداين دائمًا ما يفعل هذا".

انجذبت عينا سارين على الفور إلى الطفل الرابع. كان آداين صبيًّا نحيل الوجه في أواخر سن المراهقة، بشرته بيضاء شاحبة، وقسمات وجهه غريبة وغير مريحة. كان يأكل بخجل، وحركاته متعثرة وغير منضبطة. كان يتمتم لنفسه وهو يأكل، مُكررًا بعض الأرقام حسبما سمعت سارين. لقد التقت سارين بأشخاص مثله من قبل، أطفال لا تكون عقولهم كاملة.

قال لوكل: "الوجبة شهية يا أبي، لا أعتقد أنك قد أعددت طبق الجمبري هذا من قبل".

قال كين بصوته الخشن: "إنه يُدعى هايكو، لقد تعلمته من تاجر جوال، بينما كنت تدرس في سڤوردن العام الماضي".

تمتم آداين: "مليونان ومئة وستة ألف ومئتان وثمانية وثلاثون، هذه عدد الخطوات إلى سڤوردن".

تفاجأت سارين من تعليق آداين، ولكن بقية العائلة لم تولِ الأمر اهتمامًا، ففعلت مثلهم. قالت: "إنه لأمر رائع حقًّا يا عماه، لم أظن من قبل أنك طاهٍ".

قال كين وهو يجلس في كرسيه: "لطالما استمتعت بالأمر، كنت سأعد لكِ بعض الأشياء عندما كنت أزور تيود، ولكن كبيرة الطهاة لدى والدتك كان لديها تلك الفكرة السخيفة بأن أفراد العائلة الملكية لا ينتمون إلى المطبخ. حاولت أن أشرح لها بطريقة ما أن المطابخ ملك لي جزئيًّا، ولكنها مع ذلك لم تسمح لي قط أن أضع قدمي بداخلها لكي أعد وجبة".

قالت سارين: "لقد ظلمتنا جميعًا بذلك. أنت لا تطهو كل شيء وحدك، أليس كذلك؟".

هز كين رأسه وقال: "لا لحسن الحظ، فدايورا طاهية بارعة".

رمشت سارين بعينيها في دهشة وقالت: "هل تعني أنه ليس لديكم طاهٍ ليعد لكم الوجبات؟".

هز كين ودايورا رأسيهما في نفس الوقت.

قالت كايسي: "إن أبي هو طاهينا".

سألته سارين: "ولا خدم أيضًا؟". لقد افترضت أن سبب عدم رؤيتها لأي خدم هو رغبة غريبة من كين أن يُبقي هذه الوجبة شخصية.

قال كين: "لا على الإطلاق".

"ولكن لماذا؟".

نظر كين إلى زوجته ثم أعاد نظره إلى سارين وقال: "هل تعرفين ما حدث هنا قبل عشرة أعوام يا سارين؟".

سألته سارين: "الريود؟ العقاب؟".

"أجل، ولكن هل تعرفين ما يعنيه هذا؟".

فكَّرت سارين للحظة ثم هزَّت كتفيها وقالت: "نهاية الإيلانتريين".

أومأ كين برأسه ثم قال: "ربما لم تلتقي بأي إيلانتري من قبل، كنتِ لا تزالين صغيرة عندما أصابهم الريود، من الصعب شرح كم تغيرت هذه البلد منذ أن حلت هذه الكارثة. كانت إيلانتريس أجمل مدينة في العالم، صدقيني، لقد ذهبت إلى كل مكان آخر، كانت نصبًا من الحجر المتوهج والمعدن اللامع، وبدا قاطنوها كأنهم منحوتون من نفس المواد، ثم... ثم سقطوا".

قالت سارين وهي تومئ برأسها: "أجل، لقد درست هذا من قبل. اسودت بشرتهم ببقع سوداء، وبدأ شعرهم يتساقط من على رؤوسهم".

قال كين: "يُمكنك أن تقولي هذا بناءً على ما تعرفينه من الكتب، ولكنك لم تكوني هنا عندما حدث الأمر، لا يُمكنك أن تتخيلي مدى الرعب الذي أصابهم من رؤية آلهتهم يتحولون إلى أشياء بشعة وكريهة، لقد دمر سقوطهم الحكومة الأريلية، وألقى بالبلد في حالة من الفوضى التامة".

صمت للحظة ثم أكمل: "كان الخدم هم من بدأوا الثورة يا سارين، لقد انقلبوا على سادتهم في اليوم الذي سقطوا فيه. يقول البعض ـ معظمهم من النبلاء الحاليين ـ إن معاملة الطبقات الدنيا في إيلانتريس بشكل حسن وطبيعتهم المدللة هو ما دفعهم لإسقاط حكامهم السابقين مع أول بادرة ضعف. أعتقد أنه كان مجرد خوف، الخوف الجاهل من أن الإيلانتريين قد أُصيبوا

بمرض كريه، ممتزج بالرعب الذي يصيب المرء عندما يرى الشخص الذي كان يعبده يسقط أمامه.

على أي حال تسبب الخدم في أكبر قدر من الضرر، أولًا في مجموعات صغيرة، ثم في ثورة مدمرة بشكل لا يُصدق، حيث قتلوا أي إيلانتري يُمكنهم العثور عليه، سقط أقوى الإيلانتريين أولًا، ثم اتسع القتل ليشمل الأضعف من بينهم.

لم يقتصر الأمر على الإيلانتريين أيضًا، لقد هاجم الناس العائلات والأصدقاء وحتى هؤلاء الذين عيَّنهم الإيلانتريون في مناصبهم. راقبنا أنا ودايورا كل هذا في فزع، وكنا ممتنين لأنه لا يوجد أي إيلانتري في العائلة. بسبب ما حدث في تلك الليلة لا نقدر على إقناع أنفسنا بأن نوظف خدمًا".

قالت دايورا: "نحن لا نحتاج إليهم حقًّا، ستُدهشين لمعرفة القدر الذي يُمكنكِ إنجازه بنفسك".

قال كين بابتسامة ماكرة: "وخصوصًا عندما يكون لديك أطفال يؤدون مهام التنظيف".

قال لوكل ضاحكًا: "أهذا هو كل ما نصلح له يا أبي؟ مسح الأرضيات؟".

قال كين: "هذا هو السبب الوحيد الذي دفعني لإنجاب أطفال، لم نقرر أنا وأمك أن ننجب دايورن إلا لأننا كنا بحاجة إلى من يساعدنا في تنظيف المراحيض".

قالت كايسي: "أبي، أرجوك، أنا أحاول أن آكل".

قال لوكل مقهقهًا: "فليكن دومي الرحيم في عون من يقاطع عشاء كايسي".

قالت الفتاة الصغيرة مُصححة: "الأميرة كايسي".

سألها كين متصنعًا الدهشة: "إذن فابنتي الصغيرة قد صارت أميرة؟".

"إن كانت سارين أميرة فيُمكنني أن أصير أميرة أيضًا. فأنت عمها على أي حال، ومن المفترض بهذا أن يجعلك أميرًا، أليس كذلك يا أبي؟".

قال كين: "أعتقد أن هذا صحيح من الناحية العملية، رغم أنني لا أعتقد أنني ما زلت أحمل اللقب رسميًّا".

قالت كايسي: "على الأرجح طردوك لأنك تتحدث عن المراحيض أثناء العشاء، الأمراء لا يفعلون مثل هذه الأشياء كما تعرف. إنه سلوك شنيع يتنافى مع آداب المائدة".

ابتسم كين بحنو وهو يقول: "بالطبع، أتساءل لِمَ لَمْ أُدرك هذا من قبل".

أكملت كايسي: "إن كنتَ أميرًا إذن فهذا يجعل ابنتك أميرة".

قال لوكل: "الأمر لا يجري على هذا النحو يا كايسي، أبوكِ ليس ملكًا، لذا يُمكن لأبنائه أن يصيروا بارونات أو كونتات، لا أمراء".

سألت كايسي وقد بدت عليها خيبة الأمل: "هل هذا صحيح؟".

قال كين: "يؤسفني هذا، ولكن ثقي بي، أي شخص يزعم أنكِ لستِ أميرة فهو لم يُنصت إليكِ وأنتِ تتذمرين وقت النوم".

فكَّرت الفتاة الصغيرة للحظة، وبدا عليها أنها غير واثقة من كيفية فهم هذا التعليق، فاكتفت بأن أولت انتباهها من جديد إلى عشائها. لم تكن سارين تولي الأمر اهتمامًا كبيرًا، فقد كان عقلها متجمدًا عند النقطة التي قال فيها عمها "لا أعتقد أنني ما زلت أحمل اللقب رسميًّا". كان الأمر يحمل رائحة السياسة، كانت سارين تظن أنها تعرف كل حدث مهم قد جرى في بلاط تيود خلال الخمسين عامًا الماضية، ولكنها لم تعرف أي شيء عن تجريد كين من لقبه رسميًّا.

قبل أن تطيل التفكير في هذا التناقض جاء آش محلقًا عبر النافذة. لقد انشغلت تمامًا بما يجري أثناء تناول العشاء، حتى نسيت تمامًا أنها قد أرسلته ليلحق بالجيورن.

توقف كرة الضوء بتردد في الهواء بالقرب من النافذة قبل أن يقول: "هل أنا أُقاطعكم يا سيدتي؟".

"لا يا آش، تعالَ لأعرفك على عائلتي".

صاح دايورن في حماس: "لديكِ سيون!". ولأول مرة بدت أخته مندهشة بما يمنعها من الحديث.

قالت سارين: "إنه آش، وقد خدم عائلتي لأكثر من قرنين، وهو أحكم سيون عرفته في حياتي".

قال آش بتواضع: "أنتِ تبالغين يا سيدتي". ولكنها لاحظت في الوقت ذاته أنه توهج بسطوعٍ أكثر بعض الشيء.

قالت كايسي في انبهار وقد نسيت عشاءها: "سيون...".

قال كين: "لطالما كانوا نادرين، وهم الآن أكثر ندرة من ذي قبل".

سألت كايسي: "كيف حصلتِ عليه؟".

قالت سارين: "من أمي، لقد منحتني السيون عندما وُلِدت". إن السيون واحد من أفضل الهدايا التي يُمكن أن يتلقاها المرء. يومًا ما سيكون على سيرين أن تمنح آش لشخص آخر، أن تختار له وصيًّا جديدًا ليراقبه ويعتني به. كانت قد خططت لأن يكون أحد أبنائها، أو ربما أحفادها. ولكن احتمال أن يصير لها أبناء أو أحفاد قد صار مستبعدًا إلى حد كبير.

قالت كايسي مرة أخرى: "سيون". ثم التفتت إلى سارين بعينين متقدتين بالحماس وهي تقول: "هل يُمكن أن ألعب معه بعد العشاء؟".

سألها آش في تردد: "تلعبين معي؟".

قالت كايسي متوسلة: "هل يُمكنني هذا من فضلك يا ابنة عمي سارين؟".

ابتسمت سارين وقالت: "لا أعرف، يبدو أنني أتذكر بعض التعليقات عن طولي".

إن نظرة الانزعاج وخيبة الأمل التي ترتسم على وجه كايسي كانت مصدر تسلية للجميع، وفي هذه اللحظة ما بين ضحكاتهم بدأت سارين تشعر بتوترها يخف لأول مرة منذ مغادرتها لوطنها قبل أسبوع.

# الفصل السادس

" أخشى أنه لم يتبقَّ أمل للملك". قالها هراثن وهو يعقد ذراعيه على صدره مفكرًا بينما ينظر وراءه إلى قاعة العرش.

سأله ديلاف: "مولاي؟".

قال هراثن: "الملك آيادون، كنت آمل أن أنقذه، رغم أنني لم أفترض أن النبلاء سيتبعونني بدون قتال. إن معتقداتهم مترسخة فيهم. ربما لو جئت إليهم بعد الريود مباشرة. لكن حينها لم نكن واثقين من أن المرض الذي أصاب الإيلانتريين ـ أيًّا ما كان ـ لن يُصيبنا أيضًا".

قال ديلاف في حماس: "لقد أنزل جادث عقابه على الإيلانتريين".

قال هراثن دون أن يكلف نفسه عناء النظر إلى الرجل الأقصر منه: "أجل، ولكن أحيانًا ما يستخدم جادث قوى الطبيعة لتحقيق مشيئته. أي وباء قد يقتل الفيورديين كما يقتل الأريليين".

"سيحمي جادث شعبه المختار".

قال هراثن في شرود: "بالطبع". ثم ألقى نظرة مستاءة أخرى عبر الردهة ناحية قاعة العرش. لقد قدَّم هذا العرض بدافع الواجب، فهو يعرف أن أسهل طريقة لإنقاذ أريلون هي تحويل إيمان حاكمها، ولكنه لم يكن واثقًا من أن آيادون سيقبل هذا العرض. تمنى لو أن الملك يعرف قدر المعاناة التي يُمكن أن يمنعها بإقرار بسيط بالإيمان.

ولكن الأوان قد فات، لقد رفض آيادون الإيمان بجادث، يجب أن يصير عبرة لمن يعتبر، ولكن هراثن بحاجة إلى توخي الحذر. كانت ذكريات ثورة دولادل لا تزال واضحة في عقل هراثن؛ الموت، والدماء، والفوضى. يجب عليهم تجنب مثل هذه الكارثة. كان هراثن رجلًا صارمًا وحازمًا، ولكنه لم يكن من محبي المذابح.

ولكن مهلة الثلاثة أشهر قصيرة ولا تترك له خيارًا آخر، إن أراد أن ينجح فربما سيكون عليه أن يشعل ثورة. المزيد من الموت والمزيد من الفوضى؛ أشياء شنيعة لأن تُبلى بها أمة لا تزال تتعافى من ثورتها العنيفة الأخيرة، ومع ذلك لن تقف إمبراطورية جادث مكتوفة اليدين لأن قلة من النبلاء الجهلة يرفضون قبول الحقيقة.

تمتم هراثن: "أفترض أنني بالغت في توقعاتي بشأنهم، فهم على أي حال مجرد أريليين".

لم يُبدِ ديلاف أي رد فعل تجاه هذا التعليق.

"لقد لاحظت شخصًا غريبًا في قاعة العرش أيها الأرتيث". قالها هراثن وهما ينعطفان ويمشيان للخروج من القصر دون أن ينظرا وراءهما نظرة واحدة. "ربما يُمكنك أن تساعدني على تحديد هويتها. إنها آيونية ولكنها أطول من معظم الأريليين، كما أن لون شعرها فاتح أكثر من اللون البني الأريلي المعتاد. لقد بدت دخيلة على هذا المكان".

سأله ديلاف: "ما الذي كانت ترتديه قداستك؟".

"كانت ترتدي ملابس سوداء بالكامل مع حزام أصفر".

امتلأ صوت ديلاف فجأة بالكراهية وهو يقول: "إنها الأميرة الجديدة يا مولاي".

"أميرة جديدة؟".

"لقد وصلت بالأمس مثلك، كان من المفترض أن تتزوج رايودن ابن آيادون".

أومأ هراثن برأسه، إنه لم يحضر جنازة الأمير ولكنه سمع عن الحدث، إلا أنه لم يكن على علم بالزواج الوشيك. لا شك أن الخطبة لم تكن منذ وقت طويل. سأله: "وهي لا تزال هنا رغم وفاة الأمير؟".

أومأ ديلاف برأسه وقال: "لسوء حظها فإن عقد الزواج الملكي يجعلها زوجته في لحظة موته".

قال هراثن: "آها، من أين هي؟".

قال ديلاف: "تيود يا مولاي".

أومأ هراثن برأسه وقد فهم سبب الكراهية في صوت ديلاف. فرغم مدينة إيلانتريس المهرطقة تُظهر أريلون احتمالًا للخلاص، أما تيود على الجانب الآخر كانت موطن الشو-كوراث، طائفة فاسدة من الشو-كيسج، الديانة الأم للشو-ديريث. اليوم الذي تخضع فيه تيود لمجد فيوردن سيكون يومًا مبهجًا بالفعل.

قال هراثن مفكرًا: "إن الأميرة التيودية قد تمثل معضلة".

"لا شيء يُمكنه أن يعرقل إمبراطورية جادث".

"إن لم يكن هناك شيء يُمكن أن يعرقلها أيها الأرتيث لكانت قد شملت الكوكب كله بحلول هذا الوقت. يسعد جادث بالسماح لخدمه أن يخدموا إمبراطوريته ويمنحنا المجد بإخضاع الحمقى لمشيئتنا، ومن بين جميع الحمقى في العالم فإن الحمقى التيوديين هم الأخطر".

"كيف يُمكن لامرأة واحدة أن تشكل خطرًا عليك قداستك؟".

"إن زواجها على سبيل المثال يعني أن هناك رابطة دم رسمية بين تيود وأريلون، إن لم نتوخَ الحذر فقد نضطر إلى محاربتهما معًا في وقت واحد. من المرجح أن يعد المرء نفسه بطلًا عندما يكون لديه حليف يؤازره".

"فهمتك يا مولاي".

أومأ هراثن برأسه وهو يخرج إلى ضوء الشمس، ثم قال: "أعرني انتباهك أيها الأرتيث وسأعلمك درسًا مهمًا للغاية، درسًا لا يعرفه سوى عدد قليل من الناس، وأقل القليل يُمكنهم تطبيقه على أكمل وجه".

سأله ديلاف وهو يسرع الخطى وراءه: "أي درس هذا؟".

ابتسم هراثن ابتسامة باهتة وهو يقول: "سأريك كيف تدمر أمة، الوسائل التي يُمكن لأحد رجال جادث أن يستخدمها للإطاحة بالممالك وإحكام قبضته على أرواح الناس".

"أنا... متلهف للتعلم يا مولاي".

"جيد". قالها هراثن وهو ينظر عبر كاي إلى سور إيلانتريس الهائل، الذي يعلو فوق المدينة كالجبل. "خذني إلى الأعلى هناك، أُريد أن أرى سادة أريلون الذين قد سقطوا".

***

عندما وصل هراثن إلى الجزء الخارجي من مدينة كاي، لاحظ مدى صعوبة الدفاع عنها. بينما يقف أعلى سور إيلانتريس كان قادرًا على رؤية أنه قد بالغ في تقدير تعزيزات كاي المثيرة للشفقة. كان هناك سلالم جميلة تصعد على الجزء الخارجي من سور إيلانتريس، مما يسمح لمن هم بالخارج بالصعود إلى قمته. كانت منشآت حجرية صلبة وسيكون من المستحيل تدميرها في حالة الطوارئ. إن انسحب سكان كاي إلى إيلانتريس فسيكونون محاصرين لا محميين.

لم يكن هناك أي رماة أسهم، بل كان حراس مدينة إيلانتريس يحملون رماحًا ثقيلة غير عملية، لا يبدو عليهم أنهم سيقدرون على رميها. كان الكبرياء باديًا عليهم، ويرتدون أزياء رسمية غير مدرعة من اللونين الأصفر والبني، ومن الواضح أنهم يعدون أنفسهم أسمى من جنود المدينة

التقليديين. وحسبما سمع هراثن فإن الحرس ليسوا ضروريين حقًّا لإبقاء الإيلانتريين داخل المدينة. نادرًا ما تحاول هذه المخلوقات الهرب، وكان سور المدينة كبيرًا للغاية على أن يُسَيِّر الحرس دوريات مراقبة على نطاق واسع. لم تكن هذه قوات عسكرية حقيقية، بل أقرب إلى مناورات للحفاظ على الصورة العامة، فقاطنو كاي يشعرون براحة أكبر في العيش بجانب إيلانتريس وهم يعرفون أن هناك دوريات من الجنود تراقب المدينة. ولكن هراثن خمَّن أنه في حالة الحرب سيواجه الحرس صعوبة شديدة في الدفاع عن أنفسهم، ناهيك بالدفاع عن سكان كاي.

كانت أريلون جوهرة ثمينة تنتظر من ينهبها. لقد سمع هراثن عن أيام الفوضى التي تلت سقوط إيلانتريس مباشرة، وعن الكنوز النفيسة التي نُهبت من المدينة العظيمة. هذه الثروات تتركز الآن في كاي، حيث يعيش النبلاء الجدد بدون حراسة حقيقية. لقد سمع أيضًا أنه . رغم السرقات . لا يزال هناك نسبة كبيرة من ثروات إيلانتريس . قطعة فنية كبيرة لا يُمكن نقلها بسهولة، أو مقتنيات أصغر لم تُنهب قبل أن يفرض آيادون عزلة المدينة . عالقة وراء أسوار إيلانتريس المحظورة.

لم يحمِ إيلانتريس وكاي من التعرض إلى النهب على يد الغزاة إلا الخرافات وصعوبة الوصول إليهما. لا تزال عصابات النهب الصغيرة خائفة من سمعة إيلانتريس، والعصابات الكبيرة إما أنها تحت سيطرة فيوردن . ومن ثم لا يُمكنها الهجوم ما لم تتلقَّ أمرًا بذلك . أو تلقت رشوة من نبلاء كاي للبقاء بعيدًا. كلا الموقفين مؤقت بطبيعة الحال.

وكان هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل هراثن يشعر بأن الحذر مبرر في اتخاذ تدابير صارمة لوضع أريلون تحت حكم فيوردن وحمايتها. هذه الأمة بيضة متوازنة على قمة جبل، تنتظر أول هبة رياح لكي تُسقطها على الأرض الصلبة تحتها. إن لم تغزُ فيوردن أريلون قريبًا فمن المؤكد أن المملكة ستنهار تحت وطأة عشرات المشكلات المختلفة. فبجانب القيادة التي تفتقر إلى

الكفاءة تعاني أريلون من إرهاق الطبقة العاملة بالضرائب وزعزعة العقيدة وتضاؤل الموارد. كل هذه العوامل تتنافس لتوجيه الضربة الأخيرة.

قاطع أفكاره صوت تنفس خشن من ورائه. كان ديلاف واقفًا على الجانب الآخر من ممشى السور ينظر إلى إيلانتريس. كانت عيناه متسعتين كعيني رجل قد تلقى لكمة في معدته، وهو يجز على أسنانه، حتى توقع هراثن أن يسيل الزبد من فمه.

همس ديلاف بصوت خشن يكاد يكون غير مفهوم: "أنا أكرههم".

قطع هراثن ممشى السور ليقف بجانب ديلاف، ونظرًا لأن السور لم يُشيد لأغراض عسكرية لم يكن هناك أي تحصينات، ولكن كان هناك حواجز على الجانبين من أجل الأمان. اتكأ هراثن على أحد هذه الحواجز وهو ينظر إلى إيلانتريس متفحصًا إياها.

لم يكن هناك ما يستحق المشاهدة، فقد رأى أحياء فقيرة أفضل حالًا من إيلانتريس، كانت المباني متداعية حتى إنها كانت معجزة أن أيًّا منها لا يزال يحمل سقفًا، وكانت الرائحة الكريهة مقززة للغاية، كان يشك في وجود أي شيء على قيد الحياة في المدينة، ثم رأى بعض الأشكال تتحرك خلسة بجانب أحد المباني. كانوا رابضين وأيديهم ممدودة كأنما يستعدون للسقوط على أطرافهم الأربعة. توقف أحدهم ونظر لأعلى فرأى هراثن إيلانتريًّا لأول مرة في حياته.

كانت أول فكرة خطرت لهراثن هي أنه أصلع بجلد أسود، مثل أفراد طبقة الجيندو النبيلة، ولكنه لاحظ بقعًا من اللون الرمادي الفاتح على بشرة المخلوق أيضًا، كتلًا عظيمة شاحبة غير مستوية، كالإشنيات على الأحجار. ضيَّق عينيه وهو يميل للأمام متكئًا على الحاجز. لم يستطع أن يميز عيني الإيلانتري، ولكن بطريقة ما عرف هراثن أنهما ستكونان جامحتين ووحشيتين، كعيني حيوان خائف.

أسرع المخلوق ليلحق برفاقه... بقطيعه. إذن هذا ما فعله الريود، قالها هراثن لنفسه مفكرًا، لقد جعل الآلهة وحوشًا. كل ما فعله جادث هو أن أخرج ما في قلوبهم وأظهره للعالم. وفقًا للفلسفة الديريثية فإن الدين هو الشيء الوحيد الذي يميز البشر عن الحيوانات، البشر يخدمون إمبراطورية جادث، والوحوش لا يخدمون سوى شهواتهم. كان الإيلانتريون يمثلون الخلل المُطلق للغطرسة البشرية، لقد نصبوا أنفسهم آلهة، واستعلاؤهم جعلهم يستحقون مصيرهم. في حالة أخرى كان هراثن سيكون قانعًا بتركهم لعقوبتهم.

ولكن تصادف أنه بحاجة إليهم.

التفت هراثن إلى ديلاف وقال: "أول خطوة في السيطرة على أمة هي الأبسط أيها الأرتيث؛ عليك أن تجد شخصًا لتكرهه".

***

قال هراثن متسائلًا وهو يدلف إلى حجرته بداخل الكنيسة: "أخبرني عنهم أيها الأرتيث، أُريد أن أعرف كل شيء تعرفه".

قال ديلاف بصوت كالفحيح: "إنهم مخلوقات كريهة بغيضة، التفكير فيهم يجعل قلبي ينقبض، ويُشعر عقلي بالدنس. أُصلي كل يوم من أجل دمارهم".

أغلق هراثن الباب المؤدي إلى حجرته وهو يشعر بعدم الرضا؛ من الممكن أن يصير المرء متحمسًا أكثر من اللازم. قال هراثن بحزم: "أنا أتفهم مشاعرك القوية أيها الأرتيث، ولكن إن أردت أن تصير أوديقًا لي فستكون بحاجة إلى التخلص من نظرتك المتحيزة. لقد وضع جادث هؤلاء الإيلانتريين أمامنا لغرض في نفسه، ولا يُمكنني أن أكتشف هذا الغرض إن رفضت أن تُخبرني بأي شيء مفيد".

رمش ديلاف بعينيه مأخوذًا، ثم عاد مستوى من العقلانية إلى عينيه لأول مرة منذ زيارتهما لإيلانتريس. قال: "أجل يا مولاي".

أومأ هراثن برأسه وقال: "هل رأيت إيلانتريس قبل سقوطها؟".

"أجل".

"هل كانت جميلة كما يقول الناس".

أومأ ديلاف برأسه متجهمًا وقال: "كانت نقية، وقد أبقتها أيدي العبيد بيضاء".

"العبيد؟".

"جميع شعب أريلون كانوا عبيدًا للإيلانتريين يا مولاي، كانوا آلهة مزيفين، وقد منحوا وعود الخلاص نظير الكد والعمل".

"وماذا عن قواهم الأسطورية؟".

"أكاذيب، كألوهيتهم المزعومة. خدعة متقنة لتكسبهم احترام الناس وخوفهم".

"كان هناك فوضى في أعقاب الريود، أليس هذا صحيحًا؟".

"فوضى، وقتل، وثورة، وذعر يا مولاي. ثم استولى التجار على السلطة".

سأله هراثن وهو يجلس على كرسيه أمام المكتب: "وماذا عن الإيلانتريين".

قال ديلاف: "لم يتبقَّ منهم إلا القليل، معظمهم قد قُتل في الثورة. وهؤلاء الذين تبقوا محتجزون في إيلانتريس، وكذلك كل من أصابهم الشيود منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا. إنهم يبدون تمامًا كما رأيتهم للتو، مسوخًا بائسين. إن بشرتهم مبقعة بندوب سوداء، كأنما شخص ما قد انتزع اللحم ليكشف عن الظلام من تحته".

سأله هراثن: "وماذا عن التحولات؟ هل انحسرت بأي قدر بعد الريود؟".

"إنها مستمرة يا مولاي، وتحدث في جميع أنحاء أريلون".

"لِمَ تكرههم إلى هذا الحد أيها الأرتيث؟".

كان السؤال مُباغتًا، فصمت الأرتيث للحظة قبل أن يُجيب: "لأنهم رجس يا مولاي".

"وماذا أيضًا؟".

"لقد كذبوا علينا يا مولاي، لقد وعدونا بالخلود، ولكنهم لم يتمكنوا حتى من الحفاظ على ألوهيتهم. لقد استمعنا لهم لقرون، وكانت مكافأتنا هي مجموعة من العاجزين الضعفاء المنحطين".

قال هراثن: "أنت تكرههم لأنهم قد خيبوا أملك".

"ليس أملي، بل أمل شعبي. لقد صرت من أتباع الشو-ديريث قبل الريود بسنوات".

عقد هراثن حاجبيه وقال: "إذن فأنت على يقين من أنه لا يوجد شيء خارق للطبيعة حيال الإيلانتريين بخلاف حقيقة أن جادث قد لعنهم؟".

"أجل يا مولاي، كما قلت، لقد ابتكر الإيلانتريون العديد من الأكاذيب لتعزيز ألوهيتهم".

هز هراثن رأسه، ثم وقف وبدأ ينتزع دروعه، فتحرك ديلاف لمساعدته، ولكن هراثن أشار للأرتيث أن يبقى مكانه. "كيف يُمكن إذن تفسير تحول الأشخاص العاديين إلى إيلانتريين أيها الأرتيث؟".

لم يُجب ديلاف.

"لقد أعمت الكراهية بصيرتك أيها الأرتيث". قالها هراثن مبتسمًا وهو يعلق درع الصدر على الجدار بجانب مكتبه. لقد انتابه في هذه اللحظة وميض من العبقرية، جزء من خطته صار فجأة في موضعه المناسب. "أنت تفترض أنهم لا يمتلكون أي قوى لأن جادث لم يمنحهم أي قوى".

امتقع وجه ديلاف وهو يقول: "إن ما تقوله...".

"ليس هرطقة أيها الأرتيث، بل عقيدة، هناك قوى أخرى خارقة للطبيعة إلى جانب إلهنا".

قال ديلاف بصوت خافت: "السڤراكيس[١٩]".

"بالضبط". السڤراكيس، أرواح الموتى الذين يكرهون جادث، والذين يعارضون كل ما هو مقدس. بحسب الشو-ديريث لا يوجد شيء أكثر مرارة من روح قد نالت فرصتها وأهدرتها.

سأله ديلاف: "هل تعتقد أن الإيلانتريين سڤراكيس؟".

قال هراثن وهو يحل درع ساقه: "إن العقيدة المتفق عليها تقول إن السڤراكيس قادرون على التحكم في أجساد الأشرار. هل من الصعب تصديق أنهم طيلة هذا الوقت كانوا يتحكمون في أجساد الإيلانتريين ويجعلونهم يبدون كآلهة لخداع البسطاء ومن هم بعيدون عن الدين؟".

لمع ضوء في عيني ديلاف فأدرك هراثن أن هذا المفهوم لم يكن جديدًا على الأرتيث. فجأة لم يعد وميض الإلهام يبدو عبقريًا للغاية.

تأمل ديلاف هراثن للحظة ثم سأله: "أنت لا تؤمن بهذا حقًا". كان صوته يحمل اتهامًا غير مريح بالنسبة لشخص يتحدث إلى سيده الهرودن.

[١٩] السڤراكيس: هو مصطلح سڤوردي دخل الديانة الديريثية، وهو يُعبر عن مخلوقات محرومة من دخول الملكوت، فتُجبر على التجول في العالم وافتراس الأحياء. أما في الديانة الديريثية فهم نصف أشباح نصف شياطين، ويُستخدم المصطلح عادة للتعبير عن كل ما هو شرير.

كان هراثن حريصًا على ألا يظهر انزعاجه على ملامحه وهو يقول: "لا يهم أيها الأرتيث، والرابط منطقي وسيؤمن به الناس. الآن كل ما يرونه هو البقايا المقيتة لما كان هو الأرستقراطية ذات يوم. الناس لا يبغضون شيئًا كهذا، بل يُشفقون عليه، ولكن الشياطين شيء يُمكن للجميع أن يكرهه. إن اعتبرنا أن الإيلانتريين شياطين فسننجح، أنت تكره الإيلانتريين بالفعل، ولا بأس بهذا. ولكن لجعل الآخرين ينضمون إليك علينا أن نمنحهم سببًا أكثر من أنهم قد خيبوا أملنا".

"أجل يا مولاي".

"أنت رجل متدين أيها الأرتيث، ويجب أن يكون لنا أعداء متدينون. الإيلانتريون هم السفراكيس بالنسبة لنا، بغض النظر عن إن كانوا يستحوذون على أرواح البشر الأشرار الذين ماتوا قبل وقت طويل، أو البشر الأشرار الذين يعيشون الآن".

"بالطبع قداستك. سوف ندمرهم حينها". كان هناك تلهف في وجه ديلاف.

"في نهاية المطاف. الآن سنستخدمهم، ستجد أن الكراهية يُمكنها أن توحد الناس بشكل أسرع وأكثر حماسة من الإخلاص الديني".

# الفصل السابع

طعن رايودن الهواء بإصبعه، فتوهج الهواء بالضوء، تركت إصبعه من ورائها أثرًا أبيض متوهجًا وهو يحرك ذراعه، كأنما يكتب بطلاء على حائط، غير أنه لم يكن هناك طلاء ولا حائط.

كان يتحرك بحذر وهو يحرص على ألا ترتجف إصبعه. رسم خطًّا بطول شبر تقريبًا من اليسار إلى اليمين ثم حرك إصبعه بانحراف طفيف ليرسم خطًّا منحنيًا للأسفل عند الزاوية. ثم رفع إصبعه عن اللوحة غير المرئية قبل أن ينزلها مرة أخرى ليرسم نقطة في المنتصف، هذه العلامات الثلاثة ـ خطَّان ونقطة ـ هي بداية كل آيون.

واصل رسم نفس النمط الثلاثي بزوايا مختلفة ثم أضاف عددًا من الخطوط القطرية. كان الرسم النهائي أشبه بساعة رملية، أو صندوقين موضوعين أحدهما فوق الآخر، منكمشين قليلًا بالقرب من المنتصف. كان هذا آيون آش، الرمز القديم للضوء. توهج الحرف للحظات وبدا كأنه ينبض بالحياة ثم ومض بضعف كرجل يلفظ أنفاسه الأخيرة. اختفى الآيون وتلاشى ضوؤه من التوهج إلى الخفوت إلى اللاشيء.

قال جالادون: "أنت أفضل بكثير مني في هذا يا سول، عادة ما أجعل أحد الخطوط كبيرًا بعض الشيء، أو منحرفًا أكثر من اللازم، فيتلاشى الشيء برمته قبل أن أنتهي منه".

قال رايودن متذمرًا: "ليس من المفترض أن يكون الأمر على هذا النحو". لقد مضى يوم منذ أن علمه جالادون كيف يرسم الآيونات، وقد قضى كل لحظة تقريبًا منذ ذلك الحين وهو يتدرب. كل آيون قد أنهاه بشكل صحيح تصرف بنفس الطريقة، بأن يختفي دون أن يترك وراءه أي أثر ملحوظ. كان تعرفه الأول على سحر الإيلانتريين الأسطوري مخيبًا للآمال.

أكثر شيء مفاجئ كان مدى سهولته. لقد افترض في جهله أن الآيوندور ـ سحر الآيونات ـ يتطلب تعاويذ أو طقوسًا ما. لقد مضى عقد من الزمن دون أن يتولد عن الآيوندور جحافل من الشائعات؛ بعض الناس ـ معظمهم من الكهنة الديريثيين ـ يزعمون أن السحر كان مجرد أكذوبة، بينما الآخرون ـ ومعظمهم أيضًا من الكهنة الديريثيين ـ قد نددوا بهذا الفن وعَدُّوه طقوسًا تجديفية تنطوي على قوى الشر. الحقيقة أن لا أحد يعرف بالضبط ما هو الآيوندور، وخصوصًا الكهنة الديريثيين، فكل واحد من ممارسي هذا السحر قد سقط ضحية الريود.

ومع ذلك يزعم جالادون أن الآيوندور لا يتطلب أكثر من يد ثابتة ومعرفة وثيقة بالآيونات. نظرًا لأن الإيلانتريين وحدهم من يمكنهم رسم الأحرف في الضوء، فقد تمكنوا وحدهم من ممارسة الآيوندور، ولم يسمحوا لأي شخص خارج إيلانتريس بأن يعرف مدى بساطته. يُمكن لأي شخص قد استحوذ عليه الشايود أن يُمارس الآيوندور، هذا بالطبع على افتراض أنه يعرف الأحرف.

باستثناء أن الأمر لم ينجح، كان من المفترض أن تفعل الآيونات شيئًا ما، على الأقل شيئًا أكثر من مجرد وميض ضعيف يتلاشى. كان باستطاعة رايودن أن يتذكر صورًا عن إيلانتريس عندما كان صغيرًا؛ رؤى عن رجال يطيرون في الهواء، وقوى خارقة لا تصدق، وشفاءً رحيمًا. لقد كسر ساقه ذات مرة، ورُغم اعتراض أبيه إلا أن أمه حملته إلى إيلانتريس لشفائه. كان هناك امرأة بشعر برَّاق أعادت وصل عظام رايودن بتلويحة بسيطة من يدها. لقد رسمت آيونًا تمامًا كما يفعل، ولكن هذا الحرف أطلق قدرًا كبيرًا من السحر الغامض.

قال رايودن مرة أخرى بصوت عالٍ: "من المفترض أن تفعل شيئًا".

"كانت تفعل ذات مرة يا سول، ولكن أيًّا كان ما أخذ الحياة من إيلانتريس فقد سرق قوة الآيوندور أيضًا. الآن كل ما يُمكننا فعله هو أن نرسم أحرف جميلة في الهواء".

أومأ رايودن برأسه وهو يرسم آيونه الخاص؛ آيون رايو. أربع دوائر ومُربع كبير في المنتصف، والخمسة متصلون معًا بخطوط. تفاعل الآيون كالبقية، بأن يتوهج كأنما ليُطلق قدرًا من القوة، ثم يحتضر مرتجفًا.

"تشعر بخيبة الأمل، كولو؟".

قال رايودن معترفًا: "أشعر بالكثير من خيبة الأمل". ثم جذب كرسيًّا ليجلس عليه. كانا لا يزالان في مكتب جالادون الصغير تحت الأرض. "سأكون صادقًا معك يا جالادون، عندما رأيت ذلك الآيون الأول يحوم في الهواء أمامك نسيت كل شيء، الوسخ، الاكتئاب، وحتى إصبع قدمي".

ابتسم جالادون وقال: "إن كان الآيوندور يعمل لظل الإيلانتريون يحكمون أريلون، سواء كان هناك ريود أو لا".

"أعرف، ولكني فقط أتساءل ما الذي حدث، ما الذي تغير؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "العالم بأسره يتساءل معك يا سول".

قال رايودن مفكرًا: "لا شك أن هناك رابطًا بين كل شيء، التغير في إيلانتريس، والطريقة التي صار الشايود يحول بها الناس إلى شياطين بدلًا من آلهة، وعجز الآيوندور...".

"لست أول شخص يُلاحظ هذا، لقد لاحظه الكثيرون من قبلك، ولكن ليس من المرجح أن يجد أحد الإجابة، فالأقوياء في أريلون مرتاحون إلى الوضع الذي عليه إيلانتريس الآن".

قال رايودن: "أعرف هذا، صدقني. إن كان هناك أحد سيكشف السر فيجب أن نكون نحن". تلفت رايودن حوله في أرجاء المكتب، كانت الحجرة نظيفة وخالية بشكل ملحوظ من الوسخ الذي يُغطي بقية إيلانتريس. وكاد أن يشعر بالارتياح في الحجرة، كأنما هي مخبأ في قصر كبير.

قال رايودن: "ربما الإجابة هنا يا جالادون، في مكان ما في هذه الكتب".

قال جالادون بلا اكتراث: "ربما".

"لِمَ كنت مترددًا للغاية في جلبي إلى هنا؟".

"لأن هذا مكان خاص يا سول، بالتأكيد يُمكنك أن ترى هذا. إن أُفشي سره فلن أكون قادرًا على مُغادرته خشية أن يُنهب أثناء غيابي".

اعتدل رايودن واقفًا وهو يومئ برأسه بينما يمشي في أرجاء الحجرة ويقول: "إذن لِمَ جلبتني؟".

هز جالادون كتفيه كأنما لم يكن واثقًا من الأمر بنفسه، وأخيرًا أجاب: "أنت لست أول من يعتقد أن الإجابة قد تكون في هذه الكتب، يُمكن لرجلين أن يقرآ بسرعة أكثر من رجل واحد".

وافقه رايودن وهو يبتسم: "أسرع بمرتين كما أعتقد. لِمَ تُبقي المكان مُظلمًا هكذا؟".

"نحن في إيلانتريس يا سول، لا يُمكننا الذهاب إلى متجر المصابيح في كل مرة ينفد فيها الزيت".

"أعرف هذا، ولكن هناك ما يكفي بالتأكيد، فلا شك أن إيلانتريس كان بها مخازن من الزيت قبل الريود".

قال جالادون وهو يهز رأسه: "ما زلت لا تفهم الأمر يا سول، أليس كذلك؟ هذه إيلانتريس، مدينة الآلهة، ما حاجة الآلهة إلى هذه الأشياء الدنيوية مثل المصابيح والزيت؟ انظر إلى الجدار بجانبك".

التفت رايودن، كان هناك لوح معدني معلق على الجدار، ورغم أنه قد تلطخ بمرور الزمن إلا أن رايودن كان لا يزال بإمكانه أن يميز الشكل المحفور على سطحه؛ آيون آش، الحرف الذي رسمه منذ دقائق قليلة.

قال جالادون مفسرًا: "هذه الألواح كانت تتوهج بسطوع وثبات أكثر من أي مصباح يا سول، وكان الإيلانتريون قادرين على إطفائها بلمسة بسيطة من أصابعهم. لم تكن إيلانتريس بحاجة إلى الزيت، فقد كان لديها مصدر للضوء يُمكنها الاعتماد عليه بشكل أكبر، وللسبب ذاته فلن تجد في إيلانتريس فحمًا أو حتى أفرانًا، تمامًا مثلما لا يوجد سوى بئر وحيدة. من دون الآيوندور لا تكاد هذه المدينة تصلح للعيش".

فرك رايودن اللوح المعدني بأصابعه وهو يتحسس خيوط آيون آش، لا شك أن شيئًا كارثيًّا قد جرى، حدثًا قد ضاع في عشر سنوات فحسب، شيئًا فظيعًا للغاية أدى إلى تحطم الأرض وسقوط الآلهة. ولكن من دون فهم عمل الآيوندور فلا يُمكنه حتى أن يبدأ في تصور ما تسبب في فشله. أبعد عينيه عن اللوح المعدني لينظر إلى خزانتي كُتب موضوعتين على الأرض، لم يكن من المرجح أن يحتوي أي من الكتب على تفسير مباشر للآيوندور، ولكن إن كان الإيلانتريون من كتبوها فربما تحتوي على إشارات إلى هذا السحر، إشارات يُمكن أن تقود القارئ المتمعن إلى فهم كيفية عمل الآيوندور، ربما.

قاطع أفكاره ألم في معدته، لم يكن جوعًا كالذي كان يشعر به في الخارج، لم تقرقر معدته، ولكن الألم موجود، وبطريقة ما كان أكثر تطلبًا. لقد أمضى ثلاثة أيام بدون طعام، وبدأ جوعه يزداد إلحاحًا. لقد بدأ للتو يفهم لمَ هذا الألم. والآلام الأخرى. كافيًا لتحويل البشر إلى الوحوش التي هاجمته في اليوم الأول.

قال جالادون: "تعالَ معي، هناك شيء يجب أن نفعله".

https://t.me/fantazynov 

***

كانت الباحة تمامًا كما كانت في اليوم السابق؛ الوسخ، وأنين التعساء، والبوابة الطويلة التي لا ترحم. كانت الشمس قد قطعت ثلاثة أرباع طريقها نحو السماء. زاحفة أمام السحب المتجمعة جهة الشرق، لقد حان الوقت لإلقاء الملعونين الجدد داخل إيلانتريس.

تفحص رايودن الباحة وهو يُراقب من أعلى مبنى بجانب جالادون. وبينما ينظر أدرك أن شيئًا ما مختلف، كان هناك حشد صغير متجمع أعلى السور.

"من هذا؟". تساءل رايودن باهتمام وهو يشير إلى رجل طويل يقف أعلى السور فوق بوابة إيلانتريس. كان الرجل ممدود الذراعين، وعباءته الملطخة بالدماء تخفق في الريح. كانت كلماته مسموعة بالكاد من على هذه المسافة، ولكن من الواضح أنه يصرخ.

قال جالادون ساخرًا: "جيورن ديريثي، لم أكن أعرف أن واحدًا منهم هنا في أريلون".

"جيورن؟ تعني كاهن أكبر؟". ضيَّق رايودن عينيه محاولًا أن يُميز تفاصيل الشخص الذي يعلوهم بكثير.

قال جالادون: "أنا مندهش لأن واحدًا منهم قد أتى إلى هنا في أقصى الغرب. إنهم يكرهون أريلون حتى من قبل الريود".

"بسبب الإيلانتريين؟".

أومأ جالادون برأسه وقال: "لم يكن هذا بسبب عبادة الإيلانتريين فقط رغم مزاعمهم. إن الديريثيين يكرهون بلدك على نحو خاص، لأن جيوشهم لم تكتشف قط طريقة لعبور هذه الجبال لمهاجمتكم".

سأله رايودن: "ما الذي تعتقد أنه يفعله هناك بالأعلى؟".

"يدعوهم إلى الدين. أي شيء آخر تعتقد أن كاهنًا سيفعله؟ إنه على الأرجح يُدين إيلانتريس معتبرًا إياها عقابًا ما من إلهه".

أومأ رايودن برأسه وقال: "الكهنة جميعًا يقولون هذا منذ سنوات إن سألتهم، ولكن قلة منهم لديهم الشجاعة للتصريح بهذا علانية. إنهم يخشون في قرارة أنفسهم أن كل هذا مجرد اختبار من الإيلانتريين وأنهم سيعودون إلى مجدهم السابق يومًا ما وسيعاقبون كل المارقين".

سأله جالادون: "حتى الآن؟ ظننت أن مثل هذه المعتقدات ستكون قد اختفت بعد عشر سنوات".

هز رايودن رأسه وقال: "لا يزال هناك الكثيرون ممن يصلون من أجل عودة الإيلانتريين أو يخشونها. كانت المدينة قوية يا جالادون، ولا يُمكنك أن تُدرك كم كانت جميلة ذات يوم".

قال جالادون: "أنا أُدرك هذا يا سول، فأنا لم أقضِ حياتي كلها في دولادل".

تصاعد صوت الكاهن تدريجيًّا وهو يُطلق موجة أخيرة من الصيحات قبل أن يدور على عقبيه ويختفي عن الأنظار. حتى من هذه المسافة كان رايودن قادرًا على سماع الكراهية والغضب في صوت الجيورن. إن جالادون محق، لم يكن هذا الرجل يُباركهم بكلماته.

هز رايودن رأسه وهو ينتقل بعينيه من السور إلى البوابة قبل أن يقول متسائلًا: "ما هي فرصة أن يُلقى بشخص هنا اليوم يا جالادون؟".

هزَّ جالادون كتفيه وقال: "من الصعب الجزم بهذا يا سول، في بعض الأحيان تمضي أسابيع بدون إيلانتري جديد، ولكني رأيت ذات يوم خمسة يُلقَون في نفس اليوم. أنت جئت قبل يومين، وتلك المرأة بالأمس. من يعرف، ربما تنال إيلانتريس ضحية جديدة لليوم الثاني على التوالي، كولو؟".

أومأ رايودن برأسه وهو ينظر إلى البوابة في تطلع.

سأله جالادون في عدم ارتياح: "ما الذي تنوي فعله يا سول؟".

"أنوي الانتظار".

***

كان الوافد الجديد كهلًا، ربما في أواخر الأربعينيات من عُمره، بوجه نحيل وعينين زائغتين. عندما أُغلقت البوابة بقوة نزل رايودن من على سطح المبنى ووقف عند حافة الباحة. لحق به جالادون بنظرة قلقة على وجهه. كان من الواضح عليه أنه يعتقد أن رايودن قد يفعل شيئًا أحمق.

كان مُحقًّا.

كان الوافد التعيس يحدق بأسى إلى البوابة. انتظره رايودن أن يأخذ خطوة، ليتخذ القرار غير المتعمد الذي سيحدد من سيكون له الحق في سرقته. وقف الرجل في مكانه يُراقب الفناء بعينين زائغتين وجسده النحيل منكمش في روبه كأنما يحاول أن يختبئ بداخله. بعد بضع دقائق من الانتظار قطع أخيرًا خطوته الأولى المترددة... إلى اليمين، نفس الاتجاه الذي اختاره رايودن.

قال رايودن وهو يخطو خارجًا من الزقاق: "هيا بنا". فزفر جالادون وهو يتمتم بشيء باللغة الدولادية.

نادى رايودن متخيرًا اسمًا آيونيًّا شائعًا: "تيورن؟".

نظر إليه الوافد الجديد النحيل في دهشة ثم نظر وراءه في حيرة.

**قال رايودن وهو يضع يده على كتف الرجل: "تيورن، إنه أنت حقًّا!". ثم خفض صوته وقال: "لديك الآن خياران يا صديقي، إما أن تفعل ما آمرك به، أو تدع هؤلاء الرجال الكامنين هناك في الظلال يطاردونك ويبرحونك ضربًا".**

**تلفت الرجل حوله مفتشًا في الظلال بعينين متخوفتين. لحسن الحظ تحرك رجال شايور في تلك اللحظة، فخرجت هيئاتهم المظلمة إلى النور وأعينهم المتلهفة تحدق إلى الرجل الجديد بنظرة جائعة. كان هذا هو كل التشجيع الذي يحتاجه الوافد الجديد.**

**سأله الرجل بصوت مرتجف: "ما الذي يجب عليَّ فعله؟".**

**قال رايودن آمرًا: "اركض!". ثم اندفع مسرعًا ناحية أحد الأزقة.**

**لم يكن الرجل بحاجة لتكرار الأمر، فقد اندفع بسرعة كبيرة حتى خشي رايودن أن ينعطف في أحد الأزقة الجانبية ويضل طريقه. كان هناك صرخة دهشة مكتومة من ورائه عندما أدرك جالادون ما يفعله رايودن. من الواضح أن الدولادي الضخم لن يواجه صعوبة في مجاراتهما حتى بالنظر إلى الوقت الذي قضاه في إيلانتريس، فقد كان جالادون في حال أفضل بكثير من رايودن.**

**صاح جالادون في حنق: "ما الذي تفعله بحق الدولوكين[٢٠] أيها الأحمق؟".**

**قال رايودن وهو يحاول الحفاظ على قوته من أجل الركض: "سأخبرك بعد لحظات". لاحظ مرة أخرى أن أنفاسه لم تنقطع رغم أن جسده بدأ يشعر بالتعب. كان هناك شعور بالإنهاك يتزايد بداخله، وسرعان ما اتضح أن رايودن هو العدَّاء الأبطأ من بين ثلاثتهم. ولكنه كان الوحيد الذي يعرف إلى أين هم ذاهبون.**

---

[٢٠] الدولاكين: كلمة باللغة الدولادية تعني الجحيم.

صرخ في جالادون والرجل الجديد وهو ينعطف في زقاق جانبي: "إلى اليمين!". لحق به الرجلان وكذلك مجموعة المجرمين الذين كانوا يقتربون بسرعة. لحسن الحظ لم تكن وجهة رايودن بعيدة.

صرخ جالادون وقد أدرك إلى أين هم ذاهبون: "رولو". كان واحدًا من البيوت التي أراها رايودن في اليوم السابق، البيت ذا السلم المتداعي. أسرع رايودن عبر الباب صاعدًا درجات السلم وكاد أن يسقط مرتين بينما الدرجات تتهاوى من تحته. ما إن وصل إلى السقف حتى استخدم آخر قوته لكي يدفع كومة من القرميد . بقايا ما كان يومًا حوض زراعة . فسقطت الكومة الطينية المتهالكة في بئر السلم في اللحظة التي وصل فيها جالادون والوافد الجديد إلى أعلى الدرج. لم يتحمل الدرج المتداعي ثقل هذا الحمل فانهار أرضًا في تحطم صاخب.

سار جالادون مقتربًا من الفجوة ونظر من خلالها بعين متفحصة، كان رجال شايور متجمعين حول الدرجات المتهاوية بالأسفل وقد تضاءلت حدة وحشيتهم قليلًا مع إدراك ما حدث.

رفع جالادون حاجبًا وهو يقول: "ماذا سنفعل الآن أيها العبقري؟".

اقترب رايودن من الوافد الجديد الذي انهار على الأرض بعد أن صعد السلم متعثرًا. أخذ رايودن قرابين الطعام بحرص من الرجل، وبعد أن وضع شيئًا معينًا منها في حزامه ألقى بالبقية إلى الرجال الذين ينتظرون بالأسفل ككلاب صيد. تلا ذلك صوت معركة وهم يتشاجرون على الطعام.

خطا رايودن إلى الوراء مبتعدًا ع الفجوة وهو يقول: "دعنا نأمل أن يُدركوا أنهم لن ينالوا منا أي شيء آخر ويقرروا الرحيل".

سأله جالادون: "وإن لم يرحلوا؟".

"يُمكننا العيش إلى الأبد بدون طعام أو شراب، أليس هذا صحيحًا؟".

"أجل، ولكني أفضل ألا أقضي بقية الأبدية على قمة هذا المبنى". ثم ألقى جالادون نظرة على الرجل الجديد قبل أن يجذب رايودن جانبًا ويسأله بصوت خفيض: "ما المغزى من هذا يا سول؟ كان من الممكن أن تُلقي إليهم بالطعام في الباحة. في الواقع لمَ قررت أن تنقذه؟ فحسبما نعرف ربما لم يكن رجال شايور ليؤذوه".

"نحن لسنا متيقنين من هذا، كما أنه بهذه الطريقة يعتقد أنه مدين لي بحياته".

قال جالادون ساخرًا: "إذن لديك الآن تابع آخر، بثمن زهيد للغاية وهو أن يكرهك ثلث مجرمي إيلانتريس".

ابتسم رايودن قائلًا: "وهذه هي البداية فحسب". ولكن رغم كلماته الشجاعة لم يكن واثقًا تمامًا من نفسه، كان لا يزال مندهشًا كم يؤلمه إبهام قدمه، وقد كشط يده أثناء دفع القرميد. ورغم أن الأمر لم يكن مؤلمًا كإبهام قدمه إلا أن السحجات ظلت تؤلمه وتهدد بتشتيت انتباهه بعيدًا عن خططه.

قال رايودن لنفسه: *يجب أن أواصل المُضي قُدُمًا، أن أواصل العمل، لا تدع الألم يسيطر عليك.*

***

قال الرجل: "أنا صائغ، واسمي ماريش".

قال رايودن في عدم رضا عاقدًا ذراعيه وهو يتأمل ماريش: "صائغ! هذا لن ينفعنا كثيرًا، أي شيء آخر يُمكنك أن تفعله؟".

نظر ماريش إليه في استنكار كأنما نسي أنه كان منكمشًا على نفسه رعبًا منذ لحظات وقال: "إن صياغة المجوهرات مهارة مفيدة للغاية يا سيدي".

"ليس في إيلانتريس يا سول". قالها جالادون وهو يختلس النظر عبر الفجوة ليرى إن كان المجرمون قد قرروا الرحيل، من الواضح أنهم لم يرحلوا، فقد نظر إلى رايودن في غيظ.

تجاهل رايودن الدولادي وهو يولي انتباهه إلى ماريش قائلًا: "أي شيء آخر يُمكنك فعله؟".

"كل شيء".

"هذا كلام فضفاض للغاية يا صديقي، هل يُمكنك أن تكون أكثر دقة؟".

رفع ماريش يديه إلى جانبي رأسه في حركة درامية وهو يقول: "أنا... حرفي، صانع ماهر، يُمكنني أن أفعل أي شيء، فإن دومي نفسه قد منحني روح فنان".

نظر جالادون ساخرًا من مقعده بجانب بئر السلم.

سأله رايودن: "ماذا عن الأحذية؟".

أجابه ماريش وقد بدا عليه أنه قد شعر بشيء من الإهانة: "الأحذية؟".

"أجل الأحذية".

قال ماريش: "أفترض أنه يُمكنني هذا، رغم أن الأمر لا يكاد يتطلب مهارة حرفي بارع".

قال جالادون: "حرفي أحم...". ولكن رايودن قاطعه.

أكمل رايودن حديثه بنبرة دبلوماسية: "أيها الحرفي ماريش، إن الإيلانتريين يُلقون داخل المدينة وهم لا يرتدون شيئًا إلا أكفان الدفن الأريلية، إن الرجل الذي يُمكنه أن يصنع الأحذية سيكون ذا نفع كبير بالفعل".

سأله ماريش: "أي نوع من الأحذية؟".

قال رايودن: "أحذية جلدية، ولكنها لن تكون مهمة سهلة يا ماريش، فالإيلانتريون لا يتمتعون برفاهية التجربة والخطأ كما ترى، إن لم يُناسب أحدهم أول حذاء ينتعله فسيُصاب بالبثور، بثور لن تختفي أبدًا".

سأله ماريش في قلق: "ما الذي تعنيه بأنها لن تختفي أبدًا".

قال رايودن: "نحن إيلانتريون الآن يا ماريش، وجروحنا لم تعد تلتئم".

"لم تعد تلتئم...؟".

سأله جالادون كأنما يعرض مساعدة: "هل تريد مثالًا أيها الحرفي؟ يُمكنني أن أُعطيك مثالًا بسهولة شديدة، كولو؟".

امتقع وجه ماريش وهو ينظر إلى رايودن قائلًا بصوت خافت: "لا يبدو أنه يُحبني كثيرًا".

قال رايودن: "لا تقل هذا". ثم أحاط كتف ماريش بذراعه وهو يُبعده عن وجه جالادون المبتسم. "هذه هي الطريقة التي يُظهر بها المودة".

"كما تشاء يا سيد...".

صمت رايودن للحظة ثم قال: "فلتنادني سبيريت[٢١]". مستخدمًا ترجمة آيون رايو.

ضيق ماريش عينيه وهو يقول: "سيد سبيريت، أنت تبدو مألوفًا لسبب ما".

"أنت لم ترني من قبل في حياتك، والآن بالنسبة لهذه الأحذية...".

سأله ماريش: "يجب أن تُناسبهم تمامًا دون أدنى قدر من الكشط أو الاحتكاك؟".

---

[٢١] سبيريت: تعني روح.

"أعرف أن الأمر يبدو صعبًا، إن كان يفوق قدراتك...".

قال ماريش: "لا شيء يفوق قدراتي، سأفعلها يا سيد سبيريت".

"ممتاز".

قال جالادون من ورائهما: "إنهم لا يرحلون".

التفت رايودن ليتأمل الدولادي الضخم ثم قال: "ما المهم؟ ليس وكأن لدينا شيئًا ملحًّا لنفعله. في الواقع الجو مبهج للغاية هنا، عليك فقط أن تجلس وتستمتع به".

جاء صوت دوي هائل مُقبض من السحب أعلاهم، وأحس رايودن بقطرات من الماء تتساقط على رأسه.

قال جالادون مزمجرًا: "رائع، أنا أستمتع بوقتي بالفعل".

# الفصل الثامن

قررت سارين ألا تقبل عرض عمها بالبقاء معه، ورغم إغراء الانتقال للعيش مع عائلته إلا أنها كانت تخشى أن تفقد موطئ قدمها في القصر، كان البلاط شريانًا يمدها بالمعلومات، والنبلاء الأريليون كانوا منبعًا للشائعات والمكائد. إن كانت ستخوض معركة مع هراثن فستحتاج إلى أن تظل مطلعة على آخر المستجدات.

لذا في اليوم التالي للقائها مع كين اشترت سارين لنفسها حاملًا وألوانًا ووضعتهم بحرص في منتصف قاعة عرش آيادون.

"ما الذي تفعلينه بحق دومي يا فتاة!". صاح بها الملك وهو يدلف إلى القاعة هذا الصباح، وإلى جانبه مجموعة من الحضور المتخوفين.

رفعت سارين عينيها عن اللوحة القماشية بدهشة مصطنعة ثم قالت: "أنا أرسم يا أبي". وهي تلوح بفرشتها مما أدى إلى تناثر قطرات من الطلاء الأحمر على وجه مستشار القضاء.

تنهد آيادون وقال: "يُمكنني أن أرى أنك ترسمين، ولكني قصدت ما الذي تفعلينه هنا؟".

قالت سارين ببراءة: "أوه، أنا أرسم لوحاتك يا أبي، فهي تعجبني كثيرًا".

سألها آيادون في ذهول: "ترسمين...؟ ولكن...".

أدارت سارين لوحتها بابتسامة فخر لترى الملك لوحة لا تُشبه إلا بشكل مبهم صورة لبعض الزهور.

صاح آيادون: "بحق دومي! فلترسمي إن أردتِ يا فتاة، ولكن لا تفعلي هذا في منتصف قاعة عرشي".

فتحت سارين عينيها على اتساعهما ورمشت بضع مرات، ثم جذبت حاملها وكرسيها إلى جانب القاعة بالقرب من أحد الأعمدة قبل أن تجلس وتواصل الرسم.

قال آيادون مزمجرًا: "بل قصدت... بحق دومي! أنتِ لا تستحقين هذا العناء". وما إن قال الملك هذا حتى استدار وسار إلى عرشه وأمر حاجبه بأن يُعلن البند الأول من العمل؛ شجارًا بين اثنين من صغار النبلاء.

حام آش بجانب لوحة سارين وهو يقول بصوت خافت: "ظننت أنه سينفيك إلى الأبد يا سيدتي".

هزَّت سارين رأسها وعلى شفتيها ابتسامة تهنئة للذات، ثم قالت: "آيادون سريع الغضب، ويشعر بالإحباط بسهولة، كلما أقنعته بأنني عديمة العقل قلَّت الأوامر التي يُصدرها لي، إنه يعلم أنني سوف أسيء فهمه فحسب، وسينتهي به المطاف بالمزيد من الانزعاج".

قال آش: "بدأت أتساءل كيف يُمكن لشخص مثله أن يعتلي العرش في المقام الأول".

قالت سارين وهي تنقر على وجنتها مفكرة: "سؤال جيد، ربما نستهين به، قد لا يكون ملكًا بارعًا للغاية، ولكن من الواضح أنه رجل أعمال بارع للغاية. أنا بالنسبة له مجرد سلعة مستهلكة، لقد نال تحالفه لذا لم يعد يشغل باله بي".

قال آش: "أنا لست مقتنعًا يا سيدتي، إنه يبدو ضيق الأفق على أن يظل ملكًا لفترة طويلة".

قالت سارين: "على الأرجح سيخسر عرشه، وأعتقد أن هذا سبب وجود الجيورن هنا".

قال آش بصوته العميق: "أتفق معك يا سيدتي". ثم حَلَّق أمام لوحتها للحظة متفحصًا بقعًا غير منتظمة وخطوطًا شبه مستقيمة قبل أن يقول: "أنتِ تتحسنين يا سيدتي".

"لا تتفضل عليَّ بالمجاملة".

"بل أعني ما قلته يا سمو الأميرة، عندما بدأتِ الرسم قبل خمسة أعوام لم أكن قادرًا على تمييز ما تحاولين تصويره".

"وهذه اللوحة تُصور...".

صمت آش للحظة ثم قال بنبرة آملة: "طبق من الفاكهة؟".

تنهدت سارين في إحباط. عادة ما تكون بارعة في أي شيء تجربه، ولكن أسرار الرسم كانت عصية عليها تمامًا. في البداية كانت مندهشة من افتقارها للموهبة، ولكنها واظبت على الأمر عازمة على أن تُثبت نفسها، ولكن هذا الفن رفض الخضوع لإرادتها الملكية. لقد عدَّت نفسها بارعة في السياسة وقائدة لا يُشق لها غبار، ويُمكنها استيعاب حتى رياضيات الجيندو بسهولة كبيرة. ولكنها أيضًا رسَّامة مريعة، هذا لا يعني أنها ستدع هذا يوقفها، فقد كانت أيضًا عنيدة دون هوادة.

قالت: "يومًا ما سأفهم الأمر يا آش، وسأعرف كيف أجعل الصور التي في رأسي تظهر على اللوحات القماشية".

"بالطبع يا سيدتي".

ابتسمت سارين وقالت: "حتى ذلك الحين دعنا نتظاهر أنني تدربت على يد شخص من مدرسة سڤوردية للفن التجريدي المُطلق".

"آه، أجل، مدرسة التضليل الإبداعي، هذا رائع يا سيدتي".

دخل رجلان قاعة العرش ليعرضا قضيتهما على الملك، لم يكن هناك الكثير مما يفرق بينهما، فكل منهما يرتدي سترة أنيقة فوق قميص فضفاض مكشكش ملون، وسروالًا عريض السوار. ولكن أكثر شيء أثار انتباه سارين كان رجلًا ثالثًا، جلبه إلى القاعة أحد حراس القصر، كان شخصًا غير مميز، فلاحًا بشعر فاتح، يحمل الدم الآيوني، يرتدي ثوبًا بنيًّا بسيطًا. كان من الواضح أنه يعاني من سوء تغذية حاد، وكان في عينيه نظرة يائسة عاجزة انطبعت في ذهن سارين.

كان النزاع متعلقًا بالفلاح، يبدو أنه قد هرب من أحد النبيلين قبل ثلاثة أعوام تقريبًا، وقد أمسك به النبيل الثاني. بدلًا من أن يعيد الرجل احتفظ به النبيل الثاني وجعله يعمل. ولكن الجدال لم يكن حول الفلاح نفسه، بل حول ذريته. كان قد تزوج قبل عامين تقريبًا وأنجب طفلين أثناء بقائه مع النبيل الثاني. كلا النبيلين يزعم ملكية الطفلين.

قالت سارين بصوت خافت: "كنت أظن أن الرق محرم في أريلون".

قال آش في حيرة: "إنه محرم بالفعل يا سيدتي. لا أفهم الأمر".

"إنهما يتحدثان عن ملكية مجازية يا ابنة العم". قالها صوت من أمامها. اختلست سارين النظر من جانب لوحتها في دهشة، كان لوكل الابن الأكبر لكين يقف مبتسمًا بجانب حامل اللوحة.

"لوكل! ما الذي تفعله هنا؟".

"أنا واحد من أنجح التجار في المدينة يا ابنة العم". قالها وهو يدور حول اللوحة لينظر إلى الرسمة بحاجب مرفوع. "مسموح لي المجيء إلى البلاط في أي وقت. أنا مندهش أنك لم تريني عندما أتيتِ".

"كنت هنا؟".

أومأ لوكل برأسه وقال: "كنت على الجانب الآخر من القاعة، أُعيد تعريف نفسي إلى بعض معارفي القدامى. لقد كنت خارج البلدة لبعض الوقت".

"لِمَ لَمْ تقل شيئًا؟".

قال مبتسمًا: "كنت مهتمًّا للغاية بما تفعلينه، لا أعتقد أن أي شخص قد قرر من قبل أن يستولي على منتصف قاعة عرش آيادون ليستخدمها كمرسم فني".

أحست سارين بالدماء تتدفق إلى وجنتيها وهي تقول: "لقد نجح الأمر، أليس كذلك؟".

"على نحو رائع، وهو ما لم يمكن أن أقوله عن رسمتك". صمت للحظة قبل أن يقول: "إنه حصان، أليس كذلك؟".

تجهم وجه سارين.

"بيت؟".

قال آش: "وهو ليس وعاء فاكهة أيضًا يا سيدي، لقد جربّت هذا".

قال لوكل: "حسنًا، لقد قالت إنها واحدة من اللوحات في هذه القاعة، كل ما علينا فعله هو الاستمرار في التخمين حتى نجد اللوحة الصحيحة".

قال آش: "استنباط رائع يا سيد لوكل".

قالت سارين في غضب: "يكفي أنتما الاثنان، إنها اللوحة المقابلة لنا، اللوحة التي كنت قبالتها بينما أرسم".

سألها لوكل: "هذه اللوحة؟ ولكنها صورة زهور".

"ومن ثم؟".

"ما هذه البقع الداكنة في منتصف لوحتك؟".

قالت سارين بشكل دفاعي: "زهور".

"أوه". نظر لوكل من جديد إلى لوحة سارين ثم نظر إلى ما تحاول محاكاته مرة أخرى قبل أن يقول: "كما تشائين يا ابنة العم".

قالت سارين بلطف متوعد: "ربما يمكنك أن تشرح الدعوة القضائية الماثلة أمام آيادون قبل أن ألجأ إلى العنف يا ابن العم".

"صحيح، ما الذي تريدين معرفته؟".

"تقول دراساتنا إن الرق محرم في أريلون، ولكن هذين الرجلين يُشيران إلى الفلاح على أنه ملك لهما".

عقد لوكل حاجبيه وهو ينظر إلى النبيلين المتخاصمين قبل أن يقول: "الرق محرم، ولكنه على الأرجح لن يظل هكذا لوقت طويل. قبل عشر سنوات لم يكن هناك أي نبلاء أو فلاحين في أريلون، بل الإيلانتريون ومن عداهم. على مدار العقد الماضي تغير الناس من عائلات تمتلك أراضيها إلى فلاحين تحت إمرة سادة إقطاعيين، إلى خدم بعقود، إلى شيء أشبه بالعبيد الفيورديين القدامى. لن يمضي وقت طويل قبل أن يصيروا متاعًا لا أكثر".

عقدت سارين حاجبيها، إن مجرد حقيقة أن الملك سيستمع إلى قضية كهذه، أن يفكر مجرد التفكير في أخذ طفلي رجل منه ليُنقذ شرف أحد النبلاء، كان شيئًا شنيعًا. من المفترض أن يكون المجتمع قد تقدم متجاوزًا هذه المرحلة. كان الفلاح يُراقب الإجراءات بعينين خاويتين قد انتُزِع منهما النور بشكل منهجي متعمد.

قالت سارين: "هذا أسوأ مما كنت أخشى".

أومأ لوكل برأسه وهو واقف إلى جانبها ثم قال: "أول شيء فعله آيادون عندما اعتلى العرش هو إلغاء حقوق الملكية الفردية للأراضي. لا تملك أريلون جيشًا حقيقيًّا، ولكن آيادون كان قادرًا على استئجار المرتزقة وإجبار الناس على الخضوع. أعلن أن كل الأراضي تنتمي للتاج الملكي، وقد كافأ هؤلاء التجار الذين باركوا حكمه بالألقاب والممتلكات. لم يكن هناك سوى القليل من الرجال - مثل والدي - الذين يملكون من الأرض والمال ما يكفي لكيلا يجرؤ آيادون على محاولة الاستيلاء على ممتلكاتهم".

أحست سارين باشمئزاز يتنامى بداخلها تجاه أبيها الجديد. كانت أريلون تتفاخر ذات يوم بأنها أكثر المجتمعات سعادة وتقدمًا في العالم، لقد سحق آيادون هذا المجتمع وحوَّله إلى نظام حتى فيوردن لم تعد تستخدمه.

اختلست سارين النظر إلى آيادون ثم التفتت إلى لوكل وقالت: "تعالَ". ثم جذبت ابن عمها إلى جانب الغرفة حيث يُمكنهما الحديث بحرية أكبر. كانا قريبين بما يكفي لإبقاء أعينهما على آيادون، ولكن بعيدين بما يكفي عن مجموعات الناس الأخرى، حتى أن أحدًا لا يُمكنه أن يسترق السمع إلى محادثتهما الخافتة.

قالت: "كنت أنا وآش نناقش الأمر باكرًا؛ كيف استطاع هذا الرجل اعتلاء العرش؟".

هزَّ لوكل كتفيه وقال: "إن آيادون... رجل معقد يا ابنة العم، إنه ضيق الأفق في بعض النواحي، ولكنه قادر على أن يكون ماكرًا عندما يتعامل مع الناس، وهذا الجانب فيه هو ما يجعله تاجرًا بارعًا. كان رئيس نقابة التجار المحلية قبل الريود، مما جعله على الأرجح أقوى رجل في المنطقة ليس على صلة مباشرة بالإيلانتريين.

كانت نقابة التجار منظمة مستقلة، والعديد من أعضائها لم يكونوا على وفاق مع الإيلانتريين، فإيلانتريس كانت توفر طعامًا مجانيًّا لجميع الناس في المنطقة، وهو الشيء الذي جعل الناس سعداء، ولكنه كان أمرًا فظيعًا بالنسبة للتجار".

سألته سارين: "لِمَ لَمْ يستوردوا أشياء أخرى فحسب؟ أشياء غير الطعام؟".

قال لوكل: "يُمكن للإيلانتريين أن يصنعوا أي شيء تقريبًا يا ابنة العم، ورغم أنهم لم يمنحوا شيئًا مجانًا إلا أنهم كانوا قادرين على توفير العديد من المواد بأسعار أرخص بكثير مما يُمكن للتجار تقديمه، وخصوصًا إن أخذتِ في الاعتبار تكلفة الشحن. في نهاية المطاف عقد التجار صفقة مع إيلانتريس، جعلت الإيلانتريين يعدون بأنهم لن يقدموا للناس مجانًا سوى الأشياء الأساسية. هذا منح نقابة التجار فرصة لاستيراد الكماليات الأغلى ثمنًا، التي تُلبي احتياجات الأثرياء في المنطقة، وهم من كانوا في المعتاد أعضاء نقابة التجار الآخرين".

قالت سارين وقد بدأت تفهم الأمر: "ثم ضرب الريود ضربته".

أومأ لوكل برأسه وقال: "سقطت إيلانتريس، وكانت نقابة التجار ـ التي كان آيادون رئيسها ـ أكبر قوة منظمة في المدن الخارجية الأربعة، وحقيقة أن النقابة كان لها تاريخ من الخلاف مع إيلانتريس عزز من سمعتها في أعين الناس. كان آيادون مؤهلًا بداهة لأن يصير الملك. هذا لا يعني بالطبع أنه ملك جيد".

أومأت سارين برأسها. لقد اتخذ آيادون الجالس على العرش قراره أخيرًا بشأن القضية، أعلن بصوتٍ عالٍ أن الفلاح الهارب ينتمي بالفعل إلى النبيل الأول ولكن طفليه سيبقيان مع النبيل الثاني، ثم قال آيادون موضحًا: "لأن الطفلين قد أطعمهما طيلة هذا الوقت سيدهما الحالي".

لم يبكِ الفلاح لسماع هذا القرار، بل اكتفى بالنظر إلى قدميه فأحست سارين بطعنة من الحزن، ولكن عندما رفع الرجل نظره كان هناك شيء في عينيه، شيء تحت الخضوع القسري؛ الكراهية، لا يزال هناك ما يكفي من العزيمة بداخله لكي يكره.

قال بصوت خافت: "لن يستمر هذا لوقت طويل، لن يسكت الناس عن الأمر".

قال لوكل موضحًا: "لقد عاشت الطبقة العاملة لقرون تحت نظام فيوردن الإقطاعي، وكانوا يعاملونهم معاملة أسوأ من حيوانات المزارع".

قالت سارين: "نعم، ولكنهم تربوا في ظل هذا، لم يكن الناس في فيوردن القديمة يعرفون شيئًا سوى هذا، بالنسبة لهم كان النظام الإقطاعي هو النظام الوحيد. هؤلاء الناس مختلفون، إن عشر سنوات ليست فترة طويلة حقًّا، يُمكن للفلاحين الأريليين أن يتذكروا وقتًا كان فيه الرجال الذين يسمون أنفسهم الآن السادة مجرد باعة وتجار بسطاء، إنهم يعرفون أن هناك حياة أفضل، والأهم من ذلك أنهم يعرفون أن أي حكومة يُمكن أن تنهار، مما يجعل الذين كانوا خدمًا في السابق يصيرون أسيادًا. لقد حمَّلهم آيادون ما يفوق طاقتهم في وقت قصير".

ابتسم لوكل وهو يقول: "أنتِ تتكلمين مثل الأمير رايودن".

صمتت سارين قليلًا وهي تفكر في الأمر قبل أن تقول: "هل كنت تعرفه جيدًا؟".

أومأ لوكل بحزن وهو يقول: "كان أعز أصدقائي، أعظم رجل عرفته على الإطلاق".

طلبت منه بصوت رقيق: "أخبرني عنه يا لوكل".

فكر لوكل للحظة ثم قال كأنما يسترجع الذكريات: "لقد جعل رايودن الناس سعداء، قد يكون يومكِ قاسيًا كالشتاء، ثم يأتي الأمير وتفاؤله وبكلمات قليلة يجعلك تدركين كم كنتِ سخيفة. كان ذكيًّا أيضًا، فكان يعرف كل آيون ويمكنه رسمه بإتقان، ودومًا ما يبتكر فلسفة جديدة

غريبة لا يُمكن لأحد أن يفهمها سوى أبي، ورغم التدريب الذي تلقيته في جامعة سڤوردن لم أقدر على فهم نصف فرضياته".

"يبدو أنه كان مثاليًّا".

ابتسم لوكل وقال: "في كل شيء عدا لعبة الورق. كان دومًا ما يخسر كلما لعبنا التوليدو[٢٢]، حتى لو أقنعني بدفع ثمن العشاء بعدها. كان ليصير تاجرًا فظيعًا، هو لم يكن مهتمًّا حقًّا بالمال. ربما يخسر جولة في لعبة توليدو لمجرد أنه يعلم أنني أشعر بالحماس للفوز. لم أره يومًا حزينًا أو غاضبًا، إلا عندما يزور واحدة من المزارع الخارجية، عندما يتفقد الشعب. كان يفعل هذا كثيرًا ثم يعود إلى البلاط ويتحدث عن أفكاره بشأن هذه المسألة مباشرة".

قالت سارين بابتسامة شاحبة: "أُراهن أن الكثير من هذا لم يعجب الملك".

قال لوكل: "كان يكره هذا، لقد فعل كل ما بوسعه ـ عدا النفي ـ لكي يُبقي رايودن صامتًا، ولكن لم ينجح شيء. كان الأمير يجد طريقة لكي يُبدي رأيه في أي حكم يصدره البلاط الملكي. لقد كان ولي العهد، لذا فإن قوانين البلاط ـ التي كتبها آيادون بنفسه ـ تمنح رايودن فرصة للتعبير عن رأيه في كل أمر يُعرض على الملك، ودعيني أخبرك أيتها الأميرة؛ أنتِ لا تعرفين ما هو التوبيخ حتى يوبخك رايودن، يُمكن لهذا الرجل أن يكون صارمًا في بعض الأحيان، حتى إن الجدران الصخرية سترتجف تحت وطأة لسانه".

مالت سارين للوراء مستمتعة بصورة آيادون وهو يتلقى التوبيخ من ابنه أمام البلاط بالكامل.

قال لوكل بصوت خافت: "أنا أفتقده، هذا البلد يحتاج إلى رايودن. كان على وشك أن يحقق بعض الاختلافات الجذرية، فقد جمع عددًا كبيرًا من الأتباع من بين النبلاء، الآن تفرقت

---

[٢٢] توليدو: لعبة ورق نشأت في دولادل.

المجموعة من دون قيادته. نحاول أنا وأبي أن نحافظ على ترابطهم، ولكني كنت خارج البلاد لوقت طويل، لذا فأنا لست على اطلاع بآخر المستجدات، وبالطبع القليل منهم يثق في أبي".

"ماذا؟ لم لا؟".

"إنه مشهور بشكل ما على أنه وغد، كما أنه لا يحمل أي لقب، فقد رفض كل لقب حاول الملك أن يمنحه إياه".

عقدت سارين حاجبيها وهي تقول: "مهلًا، ظننت العم كين معارضًا للملك، لمَ يحاول آيادون أن يمنحه لقبًا؟".

ابتسم لوكل وقال: "آيادون مضطر لهذا، فحكومة الملك بأسرها مبنية على فكرة أن النجاح التجاري يبرر الحكم. أبي ناجح للغاية، والقانون يقول إن المال يساوي النُّبل، كما ترين كان الملك أحمق بما يكفي ليعتقد أن كل شخص ثري سيفكر بنفس الطريقة التي يُفكر بها، وبالتالي لن يكون لديه أي معارضة طالما يمنح الألقاب لكل الأثرياء. إن رفض أبي لقبول أي لقب هو في الحقيقة طريقة لتقويض مُلك آيادون، والملك يعرف هذا. سيظل هناك خلل في النظام الأرستقراطي الأريلي ما دام هناك شخص ثري لا يعد نبيلًا فعليًا. يكاد آيادون العجوز أن يُصاب بنوبة قلبية في كل مرة يأتي فيها أبي إلى البلاط".

قالت سارين بخبث: "يجب عليه أن يأتي كثيرًا إذن".

"يجد أبي الكثير من الفرص لكي يُظهر وجهه، كان يلتقي هو ورايودن كل ظهيرة تقريبًا هنا في البلاط للعب دور من الشيندا[٢٣]. كان هذا مصدرًا غير متناهٍ من الانزعاج لآيادون لأنهما

[٢٣] الشيندا: لعبة مشهورة تستخدم رقعة لعب، نشأت في جيندو.

يختاران اللعب في قاعة عرشه، ولكن كما قلت تصرح قوانينه بأن البلاط مفتوح لكل شخص يدعوه ابنه، لذا لا يُمكنه أن يُلقي بهما خارجًا".

"يبدو أن الأمير كان لديه موهبة في استخدام قوانين الملك ضده".

قال لوكل مبتسمًا: "كانت واحدة من أكثر سماته إثارة للإعجاب. بطريقة ما كان رايودن يلوي كل مرسوم من مراسيم آيادون الجديدة ليصفع به الملك. لقد قضى آيادون كل لحظة تقريبًا من السنوات الخمسة الماضية وهو يحاول أن يجد طريقة لكي يحرم رايودن من الميراث، ولكن اتضح أن دومي قد حل له هذه المشكلة في النهاية".

قالت سارين لنفسها في ريبة متزايدة: *إما أنه دومي أو واحد من قتلة آيادون*... سألته: "من سيرثه الآن؟".

قال لوكل: "هذا ليس معروفًا على وجه اليقين، ولكني أتوقع أن آيادون يخطط لإنجاب ولد آخر، فإيشن صغيرة بما يكفي. سيكون واحدًا من أقوى الدوقات هو المرشح بعده حتى ذلك الحين؛ اللورد تيلري أو اللورد رويال".

سألته سارين وهي تتفحص الحشد: "هل هما هنا؟".

قال لوكل: "رويال ليس هنا، ولكن ذلك الرجل هناك هو اللورد تيلري". كان يومئ ناحية رجل يبدو متعجرفًا يقف بالقرب من الجدار المُقابل، كان نحيلًا وقوي البنية، وربما يكون وسيمًا لو لم يُبدِ أمارات انغماس شنيع في الملذات. كان ثوبه يتلألأ بالأحجار الكريمة المرصع بها، وأصابعه تلمع بالذهب والفضة. عندما التفت استطاعت سارين رؤية أن الجانب الأيسر من وجهه يشوبه وحمة بنفسجية ضخمة.

قال لوكل: "دعينا نأمل أن العرش لن يسقط في يده أبدًا، قد لا نتفق مع آيادون ولكنه على الأقل رشيد في الأمور المادية، أما تيلري فإنه مُبذر. إنه يحب المال ويحب من يمنحه المال،

وعلى الأرجح كان ليصير أغنى رجل في أريلون لو لم يكن مسرفًا للغاية، ولكن المسكين الآن في المركز الثالث فحسب من بعد الملك والدوق رويال".

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "كان الملك مستعدًّا لأن يحرم رايودن من الميراث تاركًا العرش من دون وريث معروف؟ ألا يعرف أي شيء عن حروب الخلافة؟".

هز لوكل كتفيه وقال: "على الأرجح كان يُفضل ألا يكون لديه وريث على أن يغامر بترك رايودن في السلطة".

"لا يُمكنه أن يترك أشياء مثل الحرية والتعاطف تُفسد مُلكه المثالي الصغير".

"بالضبط".

"هؤلاء النبلاء الذين كانوا يتبعون رايودن، هل يلتقون؟".

عقد لوكل حاجبيه وقال: "لا، إنهم خائفون للغاية من المواصلة دون حماية الأمير. لقد أقنعنا عددًا قليلًا من الأشخاص الأكثر تفانيًا بالاجتماع لمرة أخيرة بعد الغد، ولكني أشك أن يُثمر اللقاء عن أي شيء".

قالت سارين: "أُريد الحضور".

قال لوكل مُحذرًا: "هؤلاء الرجال لا يحبون الوافدين الجدد يا ابنة العم. لقد صارت أعصابهم مشدودة، وهم يعرفون أن لقاءهم قد يعد خيانة".

"هذه هي آخر مرة يخططون فيها للقاء على أي حال، ماذا سيفعلون إن حضرت؟ يرفضون المجيء مرة أخرى؟".

صمت لوكل ثم ابتسم وقال: "حسنًا سأُخبر أبي وسيجد طريقة لجعلك تحضرين".

قالت سارين وهي تُلقي نظرة أخيرة غير راضية على لوحتها: "يُمكننا أن نُخبره بالأمر أثناء الغداء". ثم بدأت في جمع أدوات الرسم.

"إذن فستأتين إلى الغداء في نهاية المطاف؟".

"حسنًا، لقد وعدني بأنه سيطهو ريڤرتية فيوردية، كما أنني بعد ما عرفته اليوم لا أعتقد أنني أستطيع الجلوس هنا وسماع أحكام آيادون أكثر من هذا. من المحتمل أن أبدأ في رمي الطلاء عليه إن أغضبني أكثر من هذا".

ضحك لوكل وقال: "هذه لن تكون فكرة جيدة على الأرجح، سواء كنتِ أميرة أو لا. هيا بنا، ستبتهج كايسي لقدومك. لطالما أعد أبي طعامًا أفضل عندما يكون لدينا صحبة".

***

كان لوكل محقًّا.

"إنها هنا!". صاحت كايسي في حماس بمجرد أن رأت سارين تدلف. "سيكون عليك أن تقدم الغداء الآن يا أبي!".

ظهرت جالا من باب قريب لتقابل زوجها بعناق وقبلة سريعة. همست المرأة السڤوردية بشيء للوكل باللغة الفيوردية فابتسم وربت على كتفها بمودة. راقبتهما سارين في حسد، ثم تمالكت نفسها وهي تجز على أسنانها، إنها أميرة تيودية، وليس لها أن تشتكي من ضرورات زواج سياسي. إن كان دومي قد أخذ زوجها قبل حتى أن تُقابله فلا شك أنه يريد أن يترك عقلها صافيًا من أجل اهتمامات أخرى.

خرج العم كين من المطبخ وهو يحشر كتابًا في مئزره قبل أن يُعانق سارين بقوة كعادته. "إذن لا يُمكنك البقاء بعيدًا عنا رغم كل شيء، لا يُمكنك مقاومة إغراء مطبخ كين السحري، أليس كذلك؟".

قالت كايسي: "لا، إنها فقط جائعة يا بابا".

"أوه، أهذا كل شيء؟ حسنًا فلتجلسي يا سارين، سأُقدم الغداء في غضون بضع دقائق".

جرى الغداء كعشاء الليلة الماضية، كايسي تشتكي من التأخير، ودايورن يحاول أن يتصرف بطريقة أكثر نضجًا من أخته، ولوكل يغيظهما بلا هوادة كأي أخ أكبر يؤدي واجبه الرسمي. ظهر آداين متأخرًا وبدا مشتت الذهن وهو يتمتم لنفسه ببعض الأرقام بصوت خافت. جلب كين العديد من أطباق الطعام التي يتصاعد منها البخار وهو يعتذر عن غياب زوجته لأن لديها موعد سابق.

كان العشاء مبهجًا؛ الطعام لذيذ والمحادثة ممتعة، حتى أخذ لوكل على عاتقه إخبار الأسرة بموهبة سارين في الرسم.

قال ابن عمها بجدية تامة: "إنها منخرطة في نوعٍ جديد من الفن التجريدي".

سأل كين: "هل هذا صحيح؟".

قال لوكل: "أجل، رغم أنني لم أعرف الرسالة التي تحاول إيصالها من خلال رسم زهرة على هيئة لطخة بنية تُشبه حصانًا بشكل مبهم".

احمر وجه سارين خجلًا عندما ضحك جميع الجالسين حول الطاولة، ومع ذلك لم ينتهِ الأمر، فقد اختار آش هذه اللحظة ليخذلها أيضًا.

قال السيون بجدية بصوته الرسمي العميق: "إنها تُسميها مدرسة التضليل الإبداعي، أعتقد أن الأميرة تشعر بالقوة عن طريق صياغة الفن الذي يُربك تمامًا قدرة المرء على تمييز موضوع اللوحة".

كان هذا أكثر من قدرة كين على الاحتمال فكاد أن ينهار من الضحك. سرعان ما انتهى عذاب سارين عندما تغير موضوع المحادثة قليلًا، وكان مصدره ذا أهمية كبيرة بالنسبة للأميرة.

أخبرتهم كايسي قائلة: "لا يوجد شيء يُسمى مدرسة التضليل الإبداعي".

سألها أبوها: "حقًا؟".

"لا، هناك المدرسة التصويرية والمدرسة التصويرية الحديثة والمدرسة التجريدية الاشتقاقية والمدرسة الإحيائية. هذا كل شيء".

سألها لوكل باهتمام: "هل هذا صحيح؟".

قالت كايسي: "أجل، هناك الحركة الواقعية ولكنها لا تختلف عن المدرسة التصويرية الحديثة، إنهم فقط يغيرون الأسماء ليبدون مهمين".

قال دايورن متمتمًا: "كفي عن التباهي أمام الأميرة".

زفرت كايسي وقالت: "أنا لا أتباهى، أنا فقط مثقفة".

قال دايورن: "أنتِ تتباهين أيضًا، كما أن المدرسة الواقعية ليست هي نفسها المدرسة التصويرية الحديثة".

قال كين آمرًا: "دايورن، كُفَّ عن التذمر من أختك. كايسي، كُفي عن التباهي".

تجهمت كايسي ثم مالت في كرسيها إلى الوراء بنظرة عابسة على وجهها، ثم بدأت تغمغم بكلمات غير مفهومة.

تساءلت سارين في حيرة: "ما الذي تفعله؟".

قال دايورن بلا اكتراث: "أوه، إنها تسبنا بلغة الجيندو، دومًا ما تفعل هذا عندما تخسر جدالًا".

قال لوكل: "تعتقد أن بإمكانها حفظ ماء وجهها بالحديث بلغات أخرى، كأنما هذا يُثبت أنها أكثر ذكاءً من بقية العالم".

ما إن قال هذا حتى تغير اتجاه تدفق سيل الكلمات من فم الفتاة الشقراء. جفلت سارين عندما أدركت أن كايسي صارت تتمتم باللغة الفيوردية، ولكن كايسي لم تكن قد أنهت تقريعها باتهام قصير لاذع فيما بدا أنه باللغة الدولادية.

تساءلت سارين بدهشة: "كم عدد اللغات التي تتحدث بها؟".

قال لوكل: "أوه، أربع أو خمس، ما لم تكن قد تعلمت لغة جديدة في غفلة مني، ولكن سيكون عليها أن تتوقف قريبًا، فالعلماء السفورديون يزعمون أن العقل البشري لا يُمكنه أن يحتفظ إلا بست لغات قبل أن يبدأ في الخلط بينهم".

قال كين بصوته العميق الأجش: "إنه واحد من أهداف كايسي الصغيرة في الحياة، أن تثبت خطأهم، هذا بالإضافة إلى أكل كل الطعام الذي يمكنها العثور عليه في أريلون بأسرها".

شمخت كايسي بأنفها وهي تنظر إلى أبيها باستياء ثم أولت اهتمامها إلى وجبتها من جديد.

قالت سارين بشيء من الدهشة: "إن كليهما... واسع الاطلاع".

قال لوكل: "لا تبالغي في إعجابك، إن معلميهما كانوا يغطون تاريخ الفن مؤخرًا، ويعمل كلاهما بجد لإثبات قدرته في التفوق على الآخر".

قالت سارين: "وحتى مع هذا يظل الأمر مثيرًا للإعجاب".

تمتمت كايسي بشيء بينما تتناول وجبتها، وهي لا تزال مستاءة من خسارتها.

سألها كين بنبرة حازمة: "ما الذي قلتِه؟".

"قلت إن كان الأمير هنا لأصغى إليَّ، لطالما وقف في صفي".

قال دايورن: "كان يبدو لكِ فقط أنه يتفق معك، هذا يسمى السخرية يا كايسي".

أخرجت كايسي لسانها لأخيها ثم قالت: "كان يعتقد أنني جميلة، وكان يُحبني. كان ينتظر أن أكبر لكي يتزوجني، وحينها أصير ملكة وأُلقي بكم جميعًا في السجن حتى تعترفوا بأنني محقة".

قال دايورن متجهمًا: "لم يكن ليتزوجك أيها الغبية، لقد تزوج سارين".

لا شك أن كين قد لاحظ الحزن الذي كسا ملامح سارين عندما جاؤوا على ذكر الأمير، لأنه سرعان ما أسكت الطفلين بنظرة صارمة. ومع هذا كانت الفأس قد وقعت على الرأس، كلما عرفت سارين المزيد عن الأمير تذكرت صوته الرقيق والمشجع الذي كان يسافر مئات الأميال عبر السيون لكي يتحدث معها. تذكَّرت رسائله المستفيضة التي كان يخبرها فيها عن الحياة في أريلون، شارحًا لها كيف يعد مكانًا من أجلها. كانت تتطلع إلى مفاجأته بوصولها المبكر، ولكن يبدو أنها لم تأتِ مبكرًا بما فيه الكفاية.

ربما كان يجب عليها أن تُصغي لأبيها، كان مترددًا في الموافقة على الزواج، رغم أنه يعرف أن تيود بحاجة إلى تحالف قوي مع الحكومة الأريلية الجديدة، رغم أن البلدين منحدران من نفس الإرث العرقي والثقافي لم يكن هناك أدنى تواصل بين تيود وأريلون طيلة العقد الماضي. الثورة

التي تلت الريود كانت تهدد أي شخص على علاقة بالإيلانتريين، وهذا بالتأكيد يتضمن العائلة الملكية التيودية. ولكن مع توسيع فيوردن لنطاق نفوذها من جديد، وهذه المرة بالسعي إلى إسقاط الجمهورية الدولادية، صار من الواضح أن تيود بحاجة إلى أن تعيد تحالفها مع حليف قديم وإلا سيكون عليها أن تواجه جحافل الويرن وحيدة.

وهكذا اقترحت سارين هذا الزواج، كان أبوها معارضًا في البداية، ولكنه رضخ بعد ذلك أمام الضرورة المُلحة للأمر. لم يكن هناك رابطة أقوى من رابطة الدم، وخاصة عندما يكون الزواج متعلقًا بولي العهد. لا يهم أن عقد الزواج الملكي يمنع سارين من الزواج مرة أخرى، فقد كان رايودن شابًّا وقويًّا، لقد افترضوا جميعًا أنه سيعيش لعقود.

كان كين يتحدث إليها، فقالت له: "ماذا قلت يا عماه؟".

"أردت فقط أن أعرف إن كان هناك أي شيء تريدين رؤيته في كاي. لقد كنت هناك قبل يومين وربما قد حان الوقت ليمنحك شخص ما جولة في المدينة. أنا واثق أن لوكل سيكون مسرورًا لأن يُريكِ المعالم السياحية".

رفع الشاب النحيل يديه وقال: "المعذرة يا أبي، أود حقًّا أن أصطحب ابنة عمي الجميلة في جولة في البلدة، ولكن أنا وجالا علينا الذهاب للمساومة على شراء بعض الحرير من أجل شحنة ذاهبة إلى تيود".

سألته سارين في دهشة: "كلاكما؟".

قال لوكل وهو يضع منديله على المائدة ويعتدل واقفًا: "بالطبع، جالا مساومة لا يُشق لها غبار".

قال المرأة السفوردية معترفة بلهجة ثقيلة وابتسامة شاحبة: "هذا هو السبب الوحيد لزواجه مني، لوكل تاجر، والأرباح هو كل ما يعنيه، حتى في الزواج".

قال لوكل ضاحكًا وهو يمسك بيد زوجته بينما تنهض: "هذا صحيح، لم يخطر على بالي حقيقة أنها رائعة وجميلة. شكرًا على الوجبة يا أبي، كانت لذيذة. طاب يومكم جميعًا".

ثم انصرف الزوجان وكل منهما يحدق إلى عيني الآخر أثناء سيرهما. ما إن خرجا حتى تأفف دايورن بصوت مسموع ثم قال: "يجب عليك أن تتحدث معهما يا أبي، إن نظرة الهيام الحمقاء في أعينهما تجعل تناول الطعام صعبًا".

وافقته كايسي قائلة: "إن عقل أخينا العزيز قد تحول إلى هريسة".

قال كين: "عليكما التحلي بالصبر يا طفليَّ، فلم يمضِ على زواج لوكل سوى شهر واحد، امنحاه بعض الوقت وسيعود إلى طبيعته".

قالت كايسي: "آمل هذا، إنه يصيبني بالغثيان". لم يبدُ بالنسبة لسارين أنها تشعر بالغثيان فقد كانت لا تزال تلتهم الطعام بنهم.

بجانب سارين كان آداين لا يزال يتمتم بطريقته المعتادة، لم يبدُ عليه أنه يقول الكثير، باستثناء ترديد الأرقام، ومن آن لآخر كان يقول كلمة تبدو أشبه بـ"إيلانتريس".

أدى هذا إلى تنشيط ذاكرة سارين فقالت: "أود حقًّا أن أرى البلدة يا عماه، وخصوصًا إيلانتريس، أُريد أن أعرف سبب كل هذه الضجة التي تحيط بها".

فرك كين ذقنه ثم قال: "حسنًا، أفترض أنه بإمكان التوأمين اصطحابك لتريها، إنهما يعرفان كيف يصلان إلى إيلانتريس، وهذا سيجعلهما يتوقفان عن إزعاجي لبعض الوقت".

"التوأمين؟".

ابتسم كين وقال: "إنه اللقب الذي منحهما إياه لوكل".

قال دايورن: "اللقب الذي نكرهه، نحن لسنا توأمين، لا نبدو حتى متشابهين".

تفحصت سارين الطفلين بشعرهما الأشقر المتشابه والتعبير الحازم المتماثل المرتسم على وجهيهما، ثم ابتسمت وقالت: "لا، على الإطلاق".

***

كان سور إيلانتريس يطل على كاي كحارس ينظر في استياء. بينما سارين تسير بمحاذاة قاعدته أدركت أخيراً كم هو هائل، لقد زارت فيوردن ذات يوم وانبهرت بالعديد من مدنها المحصنة، ولكن حتى هذه المدن لا يُمكنها منافسة إيلانتريس، كان السور شاهق الارتفاع، وجوانبه ملساء للغاية، ومن الواضح أن ما بناه لم يكن أيدي بشرية عادية. كان هناك نقوش هائلة متداخلة من الآيونات على جوانبه، ولم تستطع سارين التعرف على العديد منها، رغم أنها تعتبر نفسها واسعة الاطلاع.

اقتادها الطفلان إلى سلم هائل من الدرجات الصخرية يصعد على الجانب الخارجي للسور. كان منحوتًا بشكل رائع، مع قناطر ومنصات مشاهدة، وكانت الدرجات نفسها منحوتة بشكل مهيب. كان هناك أيضًا إحساس من الـ... الغطرسة يحيط بالسلم. كان من الواضح أنه جزء من التصميم الأصلي لمدينة إيلانتريس، وقد أثبت أن الأسوار الشاهقة لم تُبنَ كوسيلة للدفاع، بل كوسيلة للفصل. لا يبني مثل هذه التحصينات الهائلة ثم يضع درجات واسعة في الخارج تؤدي إلى الأعلى إلا أشخاص واثقون في أنفسهم تمام الثقة.

وقد ثبت أن هذه الثقة كانت في غير محلها، لأن إيلانتريس قد سقطت، ومع ذلك ذكَّرت سارين نفسها أن المدينة لم تسقط على أيدي غزاة، بل على يد شيء آخر، شيء غير مفهوم بعد؛ الريود.

توقفت سارين أمام درابزين حجري في منتصف الطريق تقريبًا إلى أعلى السور لتنظر إلى مدينة كاي، كانت المدينة الصغيرة تبدو مثل أخ أصغر أمام إيلانتريس الكبرى، لقد سعت جاهدة لإثبات جدارتها، ولكن بجانب المدينة الضخمة لم يكن هناك مفر من أن تبدو أقل شأنًا. ربما تكون مبانيها مثيرة للإعجاب في مكان آخر، ولكنها بدت ضئيلة، بل وحتى مثيرة للشفقة عند مقارنتها بعظمة إيلانتريس.

قالت سارين لنفسها: *سواء كانت كاي مثيرة للشفقة أو لا فيجب أن تكون محور تركيزي، لقد ولت أيام إيلانتريس.*

كان هناك العديد من فقاعات الضوء الصغيرة على طول الجزء الخارجي من السور، بعض من أول السيونات التي تراها سارين في المنطقة. كانت متحمسة في البداية ولكنها بعد ذلك تذكرت الحكايات. ذات يوم لم تكن السيونات تتأثر بالشايود، ولكن هذا تغير مع سقوط إيلانتريس. الآن عندما يصيب الشايود شخصًا فإن السيون الخاص به. إن كان يملك واحدًا. يُصاب بنوع من الجنون. كانت السيونات تحوم على غير هدى، كأطفال قد ضلت طريقها. كانت تعرف دون أن تحتاج إلى سؤال أن السيونات المصابة بالجنون تجتمع في المدينة بمجرد أن يسقط أسيادها.

أشاحت بنظرها بعيدًا عن السيونات وهي تومئ للطفلين وتُكمل طريقها عبر درجات السلم الهائلة. صحيح أن كاي ستكون محور تركيزها، ولكنها لا تزال ترغب في رؤية إيلانتريس، كان هناك شيء بشأنها. حجمها، آيوناتها، سمعتها. تحتاج لأن تختبره بنفسها.

بينما تمشي مدت يدها لتفرك نقشًا غائرًا يمثل آيونًا منحوتًا في جانب سور المدينة. كانت الخطوط أعرض من يدها، ولم يكن هناك أي فجوات حيث يلتقي الحجر بالحجر، كان الأمر كما قرأت عنه، إن السور بأكمله كتلة واحدة متجانسة من الصخور.

إلا أنه لم يعد خاليًا من العيوب، كان هناك قطع من البناء الحجري الهائل متشققة ومتداعية، وخصوصًا بالقرب من قمته. بينما يقتربون من نهاية تسلقهم كان هناك أماكن قد انهارت فيها أجزاء كبيرة من الصخور، تاركة جروحًا وعرة في الحجر أشبه بعلامات عض. ومع ذلك كان السور مثيرًا للإعجاب، وخصوصًا عندما يقف المرء على قمته وينظر إلى الأرض تحته.

قالت سارين وهي تشعر بالدوار: "يا للهول!".

جذبها دايورن من فستانها إلى الوراء بإلحاح وهو يقول: "لا تقتربي كثيرًا يا سارين".

قالت وهي تشعر بقليل من الدوار: "أنا بخير". ومع هذا تركته يجذبها للوراء.

كان آش يحوم إلى جانبها فتوهج في قلق وهو يقول: "ربما لم تكن هذه فكرة جيدة يا سيدتي، أنتِ تعرفين حالك مع المرتفعات".

قالت سارين وهي تستعيد توازنها: "هذا هراء". ثم لاحظت لأول مرة أن هناك تجمعًا كبيرًا على قمة السور على مسافة قصيرة منها. كان هناك صوت حاد يعلو فوق المجموعة، صوت لم تستطع تمييزه جيدًا. "ما هذا؟".

تبادل التوأمان نظرة من الحيرة ثم قال دايورن: "لا أعرف".

وقالت كايسي: "عادة يكون هذا المكان خاويًا إلا من الحرس".

قالت سارين: "دعونا نُلقي نظرة". لم تكن واثقة من الأمر، ولكن خُيِّل إليها أنها تعرفت على الصوت، بينما يقتربون من مؤخرة الحشد تأكدت شكوك سارين.

قالت كايسي في حماس: "إنه الجيورن! لقد أردت أن أراه". ثم اندفعت ناحية الحشد. سمعت سارين صرخات مفاجأة وانزعاج مكتومة بينما الطفلة الصغيرة تشق طريقها إلى مقدمة المجموعة.

نظر دايورن إلى أخته نظرة تواقة وقطع خطوة للأمام، ولكنه حينها نظر وراءه إلى سارين، فقرر البقاء بجوارها ليقوم بواجبه كمرشد سياحي.

لم يكن دايورن بحاجة للقلق حيال رؤية الجيورن. كانت سارين أكثر تحفظًا من ابنة عمها الصغيرة، ولكنها كانت عازمة مثلها على الاقتراب بما يكفي لسماع هراثن. وهكذا شقت سارين طريقها بتهذيب وبحزم بين الحشد وحارسها الصغير إلى جانبها، حتى صارت تقف في المقدمة.

كان هراثن يقف على منصة صغيرة مبنية في سور إيلانتريس، وهو يولي ظهره إلى الحشد، ولكنه يميل بزاوية تسمح لكلماته بالوصول إليهم. من الواضح أن خطابه كان موجهًا لآذانهم وليس لمن هم بالأسفل. بالكاد ألقت سارين نظرة على إيلانتريس نفسها، سيكون عليها أن تنظر إليها بتمعن لاحقًا.

قال هراثن آمرًا وهو يشير إلى إيلانتريس: "انظروا إليهم! لقد فقدوا حقهم في أن يصيروا بشرًا، ليس لديهم إرادة أو رغبة لخدمة مملكة الرب جادث. لأنهم لا يؤمنون بأي إله، ولا يتبعون إلا شهواتهم".

عقدت سارين حاجبيها، لم تكن العقيدة القائلة بأن الاختلاف الوحيد بين الإنسان والحيوان هي قدرة الإنسان على عبادة الإله - الذي هو جادث في فيوردن - جديدة عليها، لقد حرص والدها على أن يتضمن تعليمها معرفة شاملة عن الشو-ديريث. ما لم تستطع فهمه هو لماذا يضيع جيورن وقته مع الإيلانتريين، ما الذي يمكن أن يجنيه من التنديد بمجموعة قد تعرضت بالفعل لعقاب شنيع؟

ولكن هناك شيئًا واحدًا واضحًا، إن رأى الجيورن أن هناك سببًا ليهاجم إيلانتريس فإن من واجبها الدفاع عنها. من الممكن أن توقف مخططات عدوها قبل أن تفهمها تمامًا.

أكمل هراثن وخطبته تقترب من نهايتها: "وكما يعلم الجميع فإن الحيوانات أدنى منزلة من البشر في عيني الرب جادث".

رأت سارين الفرصة سانحة فاغتنمتها، فتحت عينيها على اتساعهما لتتظاهر بالغباء والحيرة وبأكثر صوت حدة وبراءة قالت كلمة واحدة: "لماذا؟".

صمت هراثن، كانت قد حددت توقيت السؤال بدقة لكي يقع مباشرة في الصمت القصير الفاصل ما بين جملتين. تعثر الجيورن مع هذا السؤال الثاقب، وكان من الواضح أنه يحاول استعادة رباطة جأشه. ومع ذلك كان توقيت سارين بارعًا للغاية، فلم يتمكن من استعادة توازنه. تلفت حوله بعينين صارمتين بحثًا عن الشخص الذي قاطعه بحماقة شديدة، كل ما وجده هو سارين التي تقف في حيرة وخجل.

سألها هراثن: "لماذا ماذا؟".

فسألته: "لماذا الحيوانات أدنى منزلة من البشر في عيني السيد جادث؟".

جز الجيورن على أسنانه لاستخدامها مصطلح "السيد جادث" قبل أن يقول: "لأنهم على عكس البشر لا يمكنهم أن يفعلوا شيئًا سوى اتباع شهواتهم".

كان السؤال المعتاد الذي يتبع مثل هذا الحديث هو "ولكن البشر يتبعون شهواتهم أيضًا" وهو ما سيمنح هراثن الفرصة لشرح الفرق بين الإنسان المتدين والإنسان الخطَّاء الشهواني، ولكن سارين لم تلتزم بهذا.

قالت سارين بصوت يحمل نبرة من الحيرة: "ولكني سمعت أن السيد جادث يُكافئ الكبرياء".

امتلأت عينا الجيورن بالريبة، كان السؤال دقيقًا للغاية على أن يصدر من امرأة بسيطة حسبما تتظاهر سارين. كان يعرف ـ أو على الأقل يشك ـ أنها تتلاعب به. ولكن لا يزال عليه إجابة السؤال، إن لم يكن من أجلها فمن أجل بقية الحشد.

"الرب جادث يُكافئ الطموح لا الكبرياء".

قالت سارين: "لا أفهم، ألا يخدم الطموح شهواتنا؟ لِمَ يُكافئ السيد جادث هذا؟".

أدرك هراثن أنه يخسر جمهوره، فقد كان سؤال سارين حجة لاهوتية عمرها قرن من الزمان ضد الشو-ديريث، ولكن الحشد لا يعرفون شيئًا عن الخلافات أو التفنيدات العلمية القديمة، كل ما يعرفونه هو أن شخصًا ما يطرح أسئلة لا يتمكن هراثن من الإجابة عليها بسرعة كافية، أو بشكل مثير للاهتمام بما يكفي لجذب انتباههم.

"الطموح يختلف عن الشهوانية". قالها هراثن بحدة مستغلًّا موقعه القيادي في الإمساك بزمام المحادثة. "إن خدمة الناس في إمبراطورية جادث تُكافأ بسرعة في الدنيا وفي الآخرة".

كانت محاولة بارعة، لم يتمكن فحسب من تغيير الموضوع، بل جذب انتباه الحشد إلى فكرة أخرى. يرى الجميع أن المكافآت أمر رائع مثير للاهتمام. ولكن لسوء حظه لم تكن سارين قد انتهت بعد.

"إذن إن خدمنا جادث فستُشبَع شهواتنا؟".

"لا أحد يخدم جادث سوى الويرن". قالها هراثن باستخفاف وقد عدَّ هذا أفضل طريقة للرد على اعتراضاتها.

ابتسمت سارين فقد كانت تأمل أن يقع في هذا الخطأ، كان من المبادئ الأساسية للشو-ديريث أن بإمكان رجل واحد أن يخدم جادث مباشرة، إن الديانة ذات هيكل صارم أشبه

بالحكومة الإقطاعية التي كانت تحكم فيوردن ذات يوم. كل واحد يخدم من هم فوقه، والذين بدورهم يخدمون من هم فوقهم، حتى يصل الأمر إلى الويرن الذي يخدم جادث. الجميع يخدمون إمبراطورية جادث، ولكن رجلًا واحدًا يُمكن أن يكون مُقدَّسًا بما يكفي لكي يخدم الإله ذاته. كان هناك الكثير من الالتباس بشأن هذه التفرقة، وكان من المعتاد على الكهنة الديريثيين أن يصححوا الأمر كما فعل هراثن للتو.

لقد منح سارين فرصة أخرى لسوء حظه.

سألته في حيرة: "لا يُمكن لأحد أن يخدم جادث؟ ولا حتى أنت؟".

كانت حجة سخيفة، تفسيرًا خاطئًا لما قاله هراثن، وليس هجومًا حقيقيًّا على الشو-ديريث. في نقاش ديني حقيقي لن تكون سارين قادرة على الوقوف في وجه جيورن مخضرم، ولكنها لم تكن تسعى إلى دحض تعاليم هراثن، بل إفساد خطبته فحسب.

تأمل هراثن تعليقها، من الواضح أنه أدرك الخطأ الذي وقع فيه. كل تفكيره السابق وتخطيطه صارا عديما الجدوى، فقد راح الجمهور يفكر في هذا السؤال الجديد.

حاول الجيورن في نبل أن يتدارك خطأه محاولًا أن يعيد المحادثة إلى أرضية مألوفة له، ولكن الحشد قد صار في صف سارين، وقد أحكمت عليهم قبضة لا يمكن أن تُحكمها سوى امرأة على وشك الهيستريا.

قالت وهي تهز رأسها: "ما الذي يجب علينا فعله؟ أخشى أن أمور الكهنة هذه تفوق فهم العامة أمثالي".

وهكذا حُسم الأمر، بدأ الناس يتحدثون فيما بينهم وهم يتفرقون، معظمهم كان يضحك من غرابة أطوار الكهنة وغموض التفكير اللاهوتي. لاحظت سارين أن معظمهم من النبلاء، لا

شك أن الأمر قد تطلب جهدًا كبيرًا من الجيورن لكي يجلبهم إلى أعلى سور إيلانتريس. وجدت نفسها تبتسم في مكر لإفساد مخططاته ومحاولاته لإقناعهم.

راقب هراثن بحرص تفرق الحشد. لم يحاول أن يتحدث مرة أخرى، على الأرجح يُدرك أنه إن صرخ أو استشاط غضبًا فإن هذا سيضره ولن ينفعه.

بشكل مفاجئ أبعد الجيورن نظره عن الحشد المتفرق وأومأ برأسه إلى سارين في تقدير. لم تكن انحناءة، ولكنها أكثر لفتة تلقتها من كاهن ديريثي احترامًا، إنها اعتراف بانتصارها في المعركة، وتنازل لخصم جدير بالاحترام.

قال بصوت خافت ولكنة بسيطة: "أنت تلعبين لعبة خطيرة أيتها الأميرة".

أجابته: "ستجد أنني لاعبة ماهرة أيها الجيورن".

"إلى اللقاء في الجولة التالية إذن". قالها وهو يشير بيده إلى كاهن ذي شعر فاتح لكي يتبعه وهو ينزل من على السور. لم يكن في عيني هذا الرجل الآخر ما يشير إلى الاحترام أو حتى التسامح، بل كان نظره مصوبًا عليها وعيناه تشتعلان بالكراهية، فارتجفت سارين. كان يجز على أسنانه بقوة، فأحست سارين أنه لا يكاد يكون هناك شيء يمنع الرجل من الإمساك بعنقها وإلقائها من على السور. أصابها الدوار وهي تفكر في الأمر.

قال آش وهو يحوم إلى جانبها: "هذا الرجل يقلقني، لقد رأيت رجالًا مثله من قبل، ولم تكن تجربة لطيفة. إن السد المبني بشكل سيئ سينهار في نهاية المطاف".

أومأت سارين برأسها وقالت: "إنه آيوني وليس فيورديًّا، يبدو أنه خادم هراثن أو مرافق له".

"حسنًا دعينا نأمل أن يكون الجيورن قادرًا على إبقاء حيوانه الأليف تحت السيطرة يا سيدتي".

أومأت برأسها ولكن قبل أن تجيبه تعالت ضحكة حادة من جانبها، خفضت بصرها فرأت كايسي تتدحرج على الأرض في مرح، فيبدو أنها تمكنت من كتم ضحكاتها حتى اختفى الجيورن عن الأنظار.

قالت من بين أنفاسها اللاهثة: "كان هذا رائعًا يا سارين! كنتِ بلهاء للغاية! ووجهه... كان أكثر احمرارًا من وجه أبي عندما يكتشف أنني أكلت كل حلوياته. لقد كاد وجهه أن يُضاهي دروعه حُمرة!".

قال دايورن بجدية وهو يقف بجانب سارين: "لم أحبه على الإطلاق". كان يقف بالقرب من فتحة في الدرابزين وهو ينظر لأسفل ناحية هراثن بينما الرجل يهبط درجات السلم الضخمة المؤدية إلى كاي. "كان... صارمًا للغاية. ألم يُدرك أنك كنتِ تتظاهرين بالبلاهة فحسب؟".

قالت سارين: "على الأرجح". ثم أشارت إلى كايسي أن تعتدل واقفة قبل أن تنفض الغبار عن فستان الفتاة الوردي. "ولكن لم يكن لديه طريقة لإثبات هذا، لذا كان عليه أن يتظاهر بأنني جادة".

قال دايورن: "قال أبي إن الجيورن هنا ليدعونا لاعتناق الشو-ديريث".

سألته سارين: "أهذا ما يفعله حقًّا؟".

أومأ دايورن برأسه وقال: "إنه يخشى أيضًا أن هراثن سينجح في هذا. قال أيضًا إن المحاصيل لم تكن جيدة في العام الماضي، وإن الكثير من الناس ليس لديهم طعام. إن لم تجرِ زراعة المحاصيل على نحو جيد هذا الشهر فسيكون الشتاء القادم أكثر قسوة، والأوقات العصيبة تجعل الناس مستعدين لقبول ما يقوله رجل يدعوهم لتغيير دينهم".

قالت سارين: "أبوك رجل حكيم يا دايورن". لم تكن مواجهتها مع هراثن سوى لعبة، وعقول الناس متقلبة وسرعان ما سينسون مناقشة اليوم. أيًّا كان ما يفعله هراثن فإنه جزء من شيء

أكبر، شيء له علاقة بإيلانتريس، ويجب على سارين أن تكتشف نواياه. وأخيرًا تذكرت السبب الحقيقي وراء زيارتها لهذا السور، فألقت سارين أول نظرة حقيقية على المدينة أسفلها.

لقد كانت جميلة ذات يوم. الطريقة التي تتداخل بها المباني وتتقاطع بها الطرق، كان البناء بأسره... مقصودًا، فنًّا على نطاق واسع، لقد انهارت معظم القناطر وتهاوت العديد من القباب، وحتى بعض الأسوار بدت وكأنها على وشك الانهيار. ورغم ذلك كان باستطاعتها أن ترى شيئًا واحدًا، لقد كانت إيلانتريس جميلة ذات يوم.

"يا لهم من مساكين". قالتها كايسي بجانبها وهي تقف على أطراف أصابعها لكي تنظر من فوق الحاجز.

"من؟".

قالت كايسي وهي تشير إلى الشوارع أسفلها: "هؤلاء".

كان هناك أشخاص بالأسفل، متكومين على أنفسهم ولا يكادون يتحركون، ويُمكن رؤيتهم بصعوبة في الشوارع المظلمة. لم تكن سارين قادرة على سماع تأوهاتهم ولكنها كانت قادرة على الإحساس بها.

قالت كايسي: "لا أحد يعتني بهم".

سألتها سارين: "كيف يأكلون؟ لا شك أن هناك من يُطعمهم". لم تكن قادرة على تمييز الكثير من التفاصيل بشأن الأشخاص بالأسفل. إنها تعرف فقط أنهم بشر، أو على الأقل أشكال بشرية، لقد قرأت العديد من الأشياء المتضاربة بشأن الإيلانتريين.

قال دايورن: "لا أحد يُطعمهم. من المفترض أن يكونوا جميعًا موتى، فليس هناك شيء يأكلونه".

قالت سارين محتجة: "لا شك أنهم يحصلون على الطعام من مكان ما".

هزّت كايسي رأسها وقالت: "إنهم موتى يا سارين، لا يأكلون".

قالت سارين بعدم اقتناع: "ربما لا يتحركون كثيرًا، ولكن من الواضح أنهم ليسوا موتى، انظرا لهؤلاء الواقفين هناك".

قالت كايسي بنبرة جادة على غير عادتها: "لا يا سارين، إنهم موتى أيضًا، لا يحتاجون إلى الأكل ولا النوم، ولا يتقدمون في العمر، إنهم جميعًا موتى".

قالت سارين: "كيف تعرفين الكثير عنهم؟". كانت تحاول تجاهل الكلمات باعتبارها نتاج مخيلة طفلة، ولكن لسوء الحظ ثبت أن هذين الطفلين على اطلاع كبير.

قالت كايسي: "أنا أعرف حقًّا، صدقيني، إنهم موتى".

أحست سارين بالشعر ينتصب على ذراعيها، وقالت لنفسها بحزم إن عليها ألا تستلم للخرافات، قد يكون الإيلانتريون غريبي الأطوار حقًّا، ولكنهم ليسوا موتى، لا شك أن هناك تفسيرًا آخر.

تفحصت المدينة مرة أخرى، محاولة أن تُبعد تعليقات كايسي المقبضة عن عقلها، ولكن بينما تفعل هذا وقع بصرها على ثلاثة أشخاص، لم يبدوا بائسين كالبقية. ضيقت عينيها وهي تنظر إليهم، كانوا إيلانتريين، ولكن بدا أن أحدهم يتمتع ببشرة داكنة أكثر من الاثنين الآخرين. كانوا رابضين على قمة مبنى، وبدا أنهم يتحركون على عكس معظم الإيلانتريين الآخرين الذين قد رأتهم. كان هناك شيء... مختلف حيال هؤلاء الثلاثة.

قال آش في قلق: "سيدتي؟". كان صوته قريبًا من أذنها فأدركت أنها بدأت تميل على الحاجز الصخري.

جفلت وهي تنظر لأسفل فلاحظت مدى ارتفاعهم. زاغت عيناها وبدأت تفقد توازنها مذهولة بالأرض المتموجة أسفلها...

"سيدتي!". جاء صوت آش ليوقظها من ذهولها.

تعثرت سارين وهي تتراجع إلى الوراء بعيدًا عن الجدار، ثم جلست على الأرض ولفت ذراعيها حول ركبتيها وهي تتنفس بعمق للحظة قبل أن تقول: "سأكون بخير يا آش".

قال السيون آمرًا بصوت حازم: "سنغير هذا المكان بمجرد أن تستعيدي توازنك".

أومأت سارين برأسها في شرود.

قالت كايسي ساخرة: "بالنظر إلى طولك سيعتقد المرء أنك اعتدتِ المرتفعات".

# الفصل التاسع

حس هراثن أنه لو كان ديلاف كلبًا لراح يزمجر ولسال الزبد من فمه، فقد كان الأرتيث أسوأ حالًا من المعتاد بعد زيارة إيلانتريس.

التفت هراثن وراءه لينظر إلى المدينة. لقد كادا أن يصلا إلى كنيستهما الصغيرة، ولكن السور الهائل الذي يحيط بإيلانتريس كان لا يزال مرئيًّا، ومن فوقه الفتاة المثيرة للحنق التي قد نجحت في التغلب عليه بطريقة ما هذا اليوم.

قال رغمًا عنه: "كانت مذهلة!". مثل أي واحد من شعبه كان لديه تحيز واضح تجاه الشعب التيودي. لقد نفت تيود الكهنة الديريثيين من أراضيها قبل خمسين عامًا، بعد سوء فهم بسيط، ولم تسمح لهم قط بالعودة. لقد كاد ملك تيود أن يطرد سفراء فيوردن أيضًا، لم يكن هناك أي فرد تيودي بارز منتمي للشو-ديريث، وكانت العائلة الملكية التيودية مشهورة بنبذها الحاد لكل ما هو ديريثي.

ومع ذلك كان من المثير أن يلتقي بشخص يُمكنه بسهولة أن يُفسد واحدة من عظاته. لقد دعا هراثن إلى الشو-ديريث لفترة طويلة، وقد أجاد فن التلاعب بعقول العوام، حتى لم يعد قادرًا على أن يجد من يتحداه. إن نجاحه في دولادل قبل نصف عام أثبت أنه من الممكن للمرء أن يتسبب في انهيار الأمم إن كان بارعًا ما يكفي.

لسوء الحظ لم يكن هناك إلا القليل من المعارضة في دولادل، إن الدولاديين أنفسهم متفتحو العقل للغاية، وقدرتهم على التقبل تجعلهم لا يمثلون تحديًا حقيقيًّا. في النهاية وجد هراثن نفسه خائب الأمل، وبقايا الحكومة الميتة مرتمية تحت قدميه. لقد كان الأمر سهلًا للغاية.

قال: "أجل، إنها مثيرة للإعجاب".

قال ديلاف في حنق: "إنها ملعونة أكثر من الباقين، إنها من العرق الوحيد الذي يكرهه الرب جادث".

إذن فهذا ما كان يزعجه، الكثير من الفيورديين يفترضون أنه لا أمل في التيوديين، ولكنه افتراض أحمق بالطبع، تبرير بسيط يغرس الكراهية الدينية تجاه أعداء فيوردن التاريخيين. ورغم ذلك يصدق الكثير من الناس الأمر، ويبدو أن ديلاف واحد منهم.

قال هراثن: "لا يكره جادث إلا من يكرهه".

"إنهم يكرهونه".

قال هراثن: "معظمهم لم يسمعوا حتى باسمه أيها الأرتيث. بالطبع ملكهم قد سمع، وهو ملعون على الأرجح بسبب تأليب الناس ضد الكهنة الديريثيين. ولكن الشعب لم ينل فرصة حقيقية، ما إن تخضع أريلون للرب جادث سيكون علينا أن نقلق بشأن اختراق تيود. لن يصمد هذا البلد كثيراً مع اتحاد بقية العالم المتحضر في وجهه".

قال ديلاف متنبئًا وعيناه تتقدان بالغضب: "سوف يتحطم، لن ينتظر جادث بينما الأراتثة يبشرون باسمه في وجه قلوب التيوديين الموصدة بالأقفال".

"لن يعود الرب جادث إلا بعد أن يتحد البشر جميعًا تحت حكم فيوردن أيها الأرتيث". قالها هراثن وهو يُبعد عينيه المتأملتين عن إيلانتريس ويتحرك ليدلف إلى الكنيسة. "هذا يتضمن التيوديين".

أجابه ديلاف بصوت هامس، ولكن الكلمات بدت قوية في أُذني هراثن: "ربما، ولكن هناك طريقة أخرى، سينهض الرب جادث عندما تتحد كل روحٍ حية. لن يُشكل التيوديون عائقًا إن

دمرناهم. عندما يلفظ آخر تيودي أنفاسه الأخيرة، وعندما يحترق الإيلانتريون من على وجه سيكلا، حينها سيتبع كل البشر الويرن، ثم يعود جادث".

كانت الكلمات مقبضة، لقد جاء هراثن لينقذ أريلون، لا ليحرقها. قد يكون من الضروري تقويض النظام الملكي، وقد يكون عليهم إراقة بعض الدماء النبيلة، ولكن النتيجة ستكون خلاص أمة بأسرها. بالنسبة لهراثن فإن توحيد كل البشر يعني اعتناقهم الشو-ديريث، وليس قتل أولئك الذين لا يؤمنون.

ولكن ربما تكون طريقته خاطئة. يبدو أن صبر الويرن كاد أن ينفد كصبر ديلاف، ومهلة الثلاثة أشهر أثبتت أنها كثيرة. فجأة أحس هراثن بإحساس شديد بالعجلة، لا شك أن الويرن كان يعني ما قاله، ما لم يجعل هراثن أريلون تعتنق الدين القويم فستتدمر بأسرها.

همس هراثن متضرعًا باسم إلهه: "بحق جادث العظيم بالأسفل...". سواء كان مصيبًا أو مخطئًا فإنه لا يُريد أن يسفك بيديه دماء مملكة بأسرها، حتى لو كانت مملكة مارقة، يجب عليه أن ينجح.

***

لحُسن الحظ لم تكن خسارته تامة أمام الفتاة التيودية كما اعتقد. عندما وصل هراثن إلى مكان الاجتماع - جناح كبير في واحدة من أرقى حانات كاي - كان في انتظاره العديد من النبلاء الذين دعاهم. لم تكن خطبته على سور إيلانتريس سوى جزء من خطته لدعوة هؤلاء الرجال إلى الدين.

قال هراثن وهو يومئ برأسه: "مرحبًا أيها السادة".

قال آيدان، واحد من أصغر النبلاء وأكثرهم اندفاعًا: "لا تتظاهر بأن كل شيء بيننا على ما يرام أيها الكاهن، لقد وعدتنا بأن كلمتك ستجلب لنا القوة، ولكن يبدو أنها لن تجلب لنا سوى ارتباك كبير".

لوَّح هراثن بيده وقال: "لقد أربكت خطبتي الفتاة بسيطة العقل، يُقال إن الأميرة الجميلة تواجه صعوبة في التمييز ما بين يدها اليُمنى واليُسرى. لم أكن لأتوقع منها أن تفهم كلامي، لا تقل لي إنك كنت متحيرًا مثلها أيها اللورد آيدان".

قال آيدان بوجه محتقن: "بالطبع لا يا سيدي، الأمر وما فيه هو أنني... لا أرى كيف سيجلب لنا القوة اعتناق الناس الدين".

"تنبع القوة من معرفة عدوك أيها اللورد". قطع هراثن الحجرة وديلاف إلى جانبه، ثم تخير كرسيًّا، يُفضل بعض الجيورنات الوقوف لإضفاء الرهبة، ولكن هراثن يجد أن الجلوس مفيد أكثر. في كثير من الأحيان يجعل الجلوس مستمعيه يرتبكون، وخصوصًا هؤلاء الذين لا يزالون واقفين. يبدو المرء أكثر سيطرة على الموقف عندما يأسر الحضور دون أن يبسط قامته. وبالفعل سرعان ما جلس آيدان والبقية بدورهم.

أراح هراثن مرفقيه على مسندي الكرسي ثم شبك أصابعه وهو يتأمل الحضور في صمت. عقد حاجبيه قليلًا حين وقع بصره على الوجه الموجود في آخر الحجرة. كان الرجل كبير السن، ربما في أواخر الأربعينيات ويرتدي ثيابًا فخمة. كان أكثر شيء مميز في مظهر الرجل هو الوحمة البنفسجية الكبيرة على وجنته اليُسرى وعنقه.

لم يدعُ هراثن الدوق تيلري إلى هذا الاجتماع. كان الدوق واحدًا من أقوى الرجال في أريلون، وقد اقتصرت دعوة هراثن على النبلاء الأصغر سنًّا. لقد افترض أنه لا يوجد فرصة كبيرة لإقناع الرجال الأقوياء باتباعه. إن الشباب أكثر تلهفًا لترقي السلم الأرستقراطي، لذا فمن

السهل التلاعب بهم. سيكون على هراثن أن يتحدث بحذر هذه الليلة، فقد تكون مكافأته حليفًا قويًا.

وأخيرًا سأل آيدان وهو يتململ أمام نظرة هراثن: "حسنًا؟ من هم إذن؟ من الذي تعتبره عدونا؟".

قال هراثن ببساطة: "الإيلانتريون". كان بإمكانه أن يشعر بتحفز ديلاف الواقف بجواره مع نطقه بالكلمة.

ضحك آيدان في توتر وهو يتبادل النظر مع عدد من رفاقه قبل أن يقول: "لقد مات الإيلانتريون منذ عقد من الزمان أيها الفيوردي، وبالكاد يمثلون خطرًا".

قال هراثن: "لا أيها اللورد العزيز، إنهم أحياء".

"إن كان بمقدورك أن تسمي هذه حياة".

قال هراثن: "لا أعني تلك البهائم المثيرة للشفقة بداخل المدينة، بل أعني الإيلانتريين الذين يعيشون في عقول الناس. قل لي يا آيدان، هل التقيت من قبل برجل يعتقد أن الإيلانتريين سيعودون يومًا ما؟".

تلاشت ضحكات آيدان وهو يفكر في السؤال.

قال هراثن: "إن حكم آيادون أبعد ما يكون عن الحكم المطلق، إنه أقرب ما يكون إلى وصي عرش لا ملك، لا يتوقع الناس حقًا أن يظل ملكًا لوقت طويل، بل ينتظرون عودة الإيلانتريين المباركين. يقول كثير من الناس إن الريود زائف، وإنه اختبار من نوع ما لمعرفة من سيبقى مخلصًا للديانة الوثنية القديمة. لقد سمعتم جميعًا همسات الناس وهم يتحدثون عن إيلانتريس.

كانت كلمات هراثن تحمل ثقلًا، لم يمر عليه في كاي سوى بضعة أيام، ولكنه قد استمع جيدًا وأجرى بحثًا مدروسًا أثناء هذه المدة، إنه يبالغ في الأمر، ولكنه يعلم بوجوده.

أكمل هراثن حديثه بهدوء قائلًا: "آيادون لا يرى هذا الخطر، إنه يعرف أن الناس لا يتقبلون حكمه، بل بالأحرى يتحملونه، ما دام لدى الناس شيء مادي يذكرهم بعظمة إيلانتريس فسيخافونها، وما داموا يخافون شيئًا أكثر من الملك فلن ينال أي منكم القوة. إن الملك هو من يسبغ عليكم الألقاب، إن قوتكم مرتبطة به، إن كان عاجزًا فكذلك أنتم".

صاروا يُنصتون إليه باهتمام، كان في قلب كل رجل نبيل إحساس بعدم الأمان لا دواء له، لم يلتقِ هراثن بعد بواحد من الأرستقراطيين غير مقتنع بأن الفلاحين يسخرون منه من وراء ظهره.

أكمل هراثن: "إن الشو-كوراث لا تُدرك هذا الخطر، والكهنة الكوراثيون لا يفعلون شيئًا للتنديد بالإيلانتريين، ومن ثم يترسخ الأمل في قلوب العامة، قد تكون فكرة غير عقلانية، إلا أن الناس يؤمنون بعودة إيلانتريس. إنهم يتخيلون مدى عظمتها، وقد عزز ذكرياتهم عقد من الحكايات. إن الطبيعة البشرية هي الإيمان بأن هناك أماكن أفضل من المكان الحالي وأزمنة أفضل من الزمان الحاضر. إن كنتم تريدون سيطرة حقيقية على أريلون يا أصدقائي النبلاء الأعزاء فسيكون عليكم دحض آمال الناس الحمقاء، يجب عليكم أن تجدوا طريقة لتحذيرهم من قبضة إيلانتريس".

أومأ آيدان برأسه في حماس فزم هراثن شفتيه باستياء، كان من السهل التأثير على أفكار هذا الفتى النبيل. كما هو الحال دائمًا فإن الرجل الأكثر اندفاعًا هو الأقل فطنة. تجاهل هراثن آيدان وهو يدرس التعبيرات المرتسمة على وجوه الآخرين، كانوا غارقين في التفكير، ولكنهم لم يبدوا مقتنعين. كان تيلري - الأكثر نضجًا - يجلس بهدوء في الخلف، وهو يفرك ياقوتة كبيرة في أحد خواتمه بينما يتأمل هراثن.

إن عدم يقينهم كان أمرًا جيدًا، إن الرجال متقلبي العقل مثل آيدان لن ينفعوه كثيرًا. إن الرجال الذين يستميلهم إلى صفه بسهولة كبيرة قد ينقلبون عليه بنفس السرعة. قال هراثن وهو يغير حجته بمهارة: "قولوا لي يا رجال أريلون، هل سافرتم إلى بلاد الشرق؟".

كان هناك عدة إيماءات، فطيلة السنوات العشرة الماضية تدفق الزوار من أريلون للسياحة في الإمبراطورية الفيوردية القديمة. كان هراثن يشك بقوة في أن الأرستقراطية الجديدة في أريلون تشعر بعدم أمان أكثر من معظم النبلاء، ويشعرون برغبة في إثبات مدى رقي ثقافتهم بالتواصل مع ممالك مثل سڤوردن؛ مركز ثقافة الشرق.

"إن كنتم قد زرتم بلاد الشرق القوية يا أصدقائي فأنتم تعلمون مدى سطوة هؤلاء الذين يتحالفون مع الكهنوت الديريثي". ربما لا تفي كلمة "سطوة" بالتعبير عن الأمر. لا يوجد ملك شرق الجبال الدثراكية يحكم ما لم يعلن الولاء للشو-ديريث، والمناصب الحكومية الأكثر إغراءً وربحًا لا ينالها سوى الأكثر إخلاصًا في عبادته لجادث.

كان هناك وعد ضمني في كلمات هراثن، وبغض النظر عما سيناقشونه هذه الليلة، وأي حجج أخرى سيطرحها هراثن، فهذا هو ما سيُكسبه دعمهم. لم يكن سرًّا أن الكهنة الديريثيين منخرطون في السياسة، ومعظم الناس يعرفون أن الحصول على تأييد الكنيسة يُعد كافيًا لضمان النصر السياسي. كان هذا هو الوعد الذي جاء النبلاء وهم يتوقعون سماعه، وهو السبب في أن اعتراضات الفتاة التيودية لم تؤثر فيهم. إن الخلافات الكهنوتية أبعد ما تكون عن أذهان هؤلاء الناس. شو-ديريث أو شو-كوراث، لم يكن الأمر مهمًّا بالنسبة لهم، كل ما يحتاجون إليه هو تأكيد على أن تدينهم المفاجئ سيُكافأ على الفور بالبركات؛ بركات ملموسة ومادية.

قال راميار، واحد من أصغر النبلاء: "يكفي تلاعبًا بالكلمات أيها الكاهن". كان الشاب ذا الوجه حاد القسمات هو الابن الثاني لبارون غير مهم، يتسم بالأنف الآيوني المدبب والصراحة

المشهور بها الآيونيون. "أنا أُريد وعودًا، هل تقول إننا إن اعتنقنا الشو-ديريث ستمنحنا امتيازات أعظم؟".

قال هراثن في مراوغة: "جادث يُكافئ أتباعه".

سأله راميار: "وكيف سيُكافئنا؟ الشو-ديريث ليس لديها أي سلطة في هذه المملكة أيها الكاهن".

قال هراثن: "إن سلطة الرب جادث منبسطة في كل مكان يا صديقي". ولكي يحول دون المزيد من المطالب قال: "صحيح أنه حتى الآن لديه القليل من الأتباع في أريلون، إلا أن العالم متغير، ولا يوجد شيء يُمكنه أن يقف في وجه إمبراطورية جادث. تذكروا دولادل يا أصدقائي، لم يمس أريلون أذى حتى الآن إلا لأننا لم نتكبد عناء محاولة تغيير ديانتها". كانت كذبة، ولكنها كذبة صغيرة. "المشكلة الأولى هي إيلانتريس، إن محوناها من أذهان الناس فسينجذبون إلى الشو-ديريث، إن الشو-كوراث مسالمة للغاية ومتراخية للغاية. سيتعاظم جادث في أذهان الناس، ومن ثم سيبحثون عن نماذج يُحتذى بها في صفوف الأرستقراطية، رجال يتمسكون بنفس مثلهم العليا".

سأله راميار بإصرار: "وبعد ذلك سنُكافأ؟".

"لن يتحمل الناس حكامًا لا يؤمنون بدينهم، وكما يُرينا التاريخ الحديث يا أصدقائي فإن الملوك والممالك ليسوا أبديين".

اتكأ راميار إلى الوراء في كرسيه وهو يُفكر في كلمات الكاهن. لا يزال على هراثن أن يتوخى الحذر، فمن المحتمل ألا يدعمه سوى قلة من هؤلاء الرجال، ولم يرغب في منح البقية دليلًا يُدينه. قد يكون آيادون متسامحًا فيما يتعلق بالدين، ولكنه لن يتحمل تبشير هراثن لوقت طويل إن عرف بخيانته.

لاحقًا بعد أن يشعر هراثن بقناعة راسخة في نبلائه الصغار سيمنحهم وعودًا ملموسة، وبغض النظر عما قد يقوله خصومه فإن وعود هراثن جديرة بالثقة. فبقدر ما يكره العمل مع الرجال الذين يُمكن شراء ولائهم، إلا أن الشو-ديريث ترى أن الطموح يجب أن يُكافأ. كما أنه من المفيد أن يتمتع المرء بسمعة طيبة من الصدق، على الأقل لكي يتمكن من الكذب في اللحظات الحرجة.

قال وارين، رجل نحيل بشعر أشقر يميل إلى اللون الأبيض: "سيتطلب الأمر وقتًا لاجتثاث ديانة برمتها ووضع ديانة جديدة في موضعها". كان وارين مشهورًا بتدينه الصارم، حتى إن هراثن كان متفاجئًا عندما جاء إلى الاجتماع بصحبة آيدان ابن عمه. يبدو أن تدين وارين الشهير لم يكن مسألة حماسة دينية بقدر ما هو مصلحة سياسية. إن استماله إلى صفه بسمعته هذه سيكون عونًا كبيرًا لقضية هراثن.

قال هراثن: "ستكون متفاجئًا أيها اللورد الصغير وارين، فحتى وقت قريب كانت دولادل مقرًّا لواحدة من أقدم الديانات في العالم، الآن وبحسب ما تقوله التقارير الفيوردية، فإن هذه الديانة قد مُحيت تمامًا، أو على الأقل في صورتها النقية".

قال وارين: "أجل، ولكن انهيار الديانة الجسكرية والجمهورية الدولادية كان نتاج تراكمات استغرقت سنوات، أو ربما قرونًا".

قال هراثن: "ولكن لا يُمكنك إنكار أنه عندما حدث هذا التغير في السلطة جاء الانهيار سريعًا".

قال وارين ببطء: "هذا صحيح".

قال هراثن: "كان سقوط الإيلانتريين سريعًا بالمثل. يُمكن للتغيير أن يأتي بسرعة مذهلة يا لورد وارين، ولكن هؤلاء المستعدين له يُمكنهم أن يستفيدوا منه إلى حد كبير. أنت تقول إن سقوط

الديانة الجسكرية كان نتاج تراكمات استغرقت سنوات... حسنًا، أفترض أن الديانة الكوراثية تتعرض لنفس القدر من التدهور ولفترة مماثلة، لقد كان لها نفوذ كبير في الشرق فيما مضى، أما الآن فنفوذها يقتصر على تيود وأريلون فقط".

اتكأ وارين في كرسيه إلى الوراء وهو يفكر في الأمر. بدا أنه رجل ذكي وماكر، وبدا أنه قد تأثر بمنطق هراثن، ربما أساء هراثن تقدير نبلاء أريلون، كان معظمهم ميؤوس منه كملكهم، ولكن عددًا مفاجئًا منهم بدا واعدًا. ربما أدركوا مدى تزعزع مناصبهم، إن شعبهم يتضور جوعًا، وأرستقراطيتهم عديمة الخبرة، وقد صُوِّب ناحيتهم الاهتمام الكامل من إمبراطورية فيوردن. عندما تضرب العاصفة سيتفاجأ معظم الأريليين كقوارض أبهرها ضوء ساطع، ولكن ربما هذا العدد القليل من اللوردات يستحق الإنقاذ.

قال هراثن: "آمل أن تنظروا إلى عرضي بحكمة أكثر من ملككم أيها اللوردات الأعزاء، هذه أوقات عصيبة، وأولئك الذين لا يحظون بدعم الكنيسة سيجدون الحياة قاسية في الأشهر المقبلة. تذكروا من الذي أُمثله، وما الذي أُمثله".

قال ديلاف بصوت مُفعم بالكراهية: "تذكروا إيلانتريس، لا تنسوا بئر الدنس الذي يلوث أراضينا، إنهم ينامون وينتظرون بمكر كالعادة، ينتظرون أسركم جميعًا، وجذبكم إلى حضنهم، يجب عليكم أن تطهروا العالم منهم قبل أن يطهروه منكم".

كان هناك لحظة غير مريحة من الصمت، وأخيرًا مال هراثن إلى الوراء في كرسيه. فإن تدخل الأرتيث المفاجئ قد أفسد إيقاع حديثه. وشبك أصابعه أمامه ليشي بأن الاجتماع قد انتهى. غادر النبلاء وقد أظهرت وجوههم المضطربة أنهم فهموا الخيار الصعب الذي وضعهم هراثن أمامه. تأملهم هراثن وحدد أيًّا منهم يبعث على الاطمئنان للتعامل معه. سينضم آيدان إليه، وسيأتي معه حتمًا العديد من أتباعه. على الأرجح سينضم إليه راميار أيضًا، هذا على افتراض أن هراثن سيلتقي به على انفراد، ويقدم له وعدًا قويًّا بالدعم. كان هناك بضعة أشخاص مثل

راميار، ثم كان هناك وارين، الذي كانت عيناه مشوبتين بشيء أشبه بالاحترام. أجل يُمكنه أن يفعل أشياء عظيمة مع هذا الرجل.

لم يكن لهم ثقل سياسي، ولا شأن كبير، ولكنهم البداية فحسب. بينما الشو-ديريث تكتسب أتباعًا ستزداد أهمية النبلاء الذين يلقون بثقلهم وراء هراثن. حينها عندما ينهار البلد أخيرًا تحت وطأة الاضطراب السياسي والركود الاقتصادي والتهديد العسكري، سيكافئ هراثن أتباعه بمناصب في الحكومة الجديدة.

إن مفتاح الوصول إلى هذا النجاح لا يزال جالسًا في الطرف الآخر من حجرة الاجتماع وهو يُراقب بصمت. كان هناك هالة مهيبة تحيط بالدوق تيلري، إن وجهه هادئ، ولكن اشتهاره بالبذخ يشي بإمكانيات عظيمة.

قال هراثن وهو يعتدل واقفًا: "لحظة من فضلك أيها اللورد العزيز تيلري، لدي عرض خاص قد يثير اهتمامك".

# الفصل العاشر

"لا أعتقد أنها فكرة جيدة يا سول". همس بها جالادون بلا حماس وهو رابض إلى جانب رايودن.

قال رايودن آمرًا وهو يختلس النظر عند الناصية ناحية الفناء: "صه". كانت العصابات قد سمعت بشأن تجنيد رايودن لماريش، واقتنعت بأنه ينوي تشكيل عصابة منافسة. عندما وصل رايودن وجالادون في اليوم السابق للبحث عن وافدين جدد وجدا مجموعة من رجال آندين في انتظارهما. لم يكن الاستقبال سارًّا، ولكنهما لحسن الحظ تمكنا من الفرار بدون أي كسر في العظام أو كدمات في أصابع الأقدام، ولكن هذه المرة كان رايودن ينوي أن يكون أكثر مكرًا.

سأله جالادون: "ماذا لو كانوا في انتظارنا مرة أخرى؟".

قال رايودن: "سيكونون في انتظارنا على الأرجح، ولهذا يجب أن تُبقي صوتك خفيضًا. هيا بنا".

تسلل رايودن من عند الناصية إلى أحد الأزقة. كان إبهام قدمه يؤلمه وهو يمشي، وكذلك السحجات في يديه، والكدمة التي أُصيب بها في ذراعه. بالإضافة إلى ذلك كان الجوع يُناديه، شهوة وهمية بداخله.

تنهد جالادون وقال: "أنا لا أشعر بالملل من الموت حتى أرغب في التخلي عنه لصالح حياة من الألم المحض، كولو؟".

نظر إليه رايودن بتسامح ثم قال: "يومًا ما ستتخلى عن تشاؤمك العنيد هذا يا جالادون وستنهار إيلانتريس من الصدمة".

قال جالادون بينما رايودن يتسلل عبر الزقاق: "تشاؤم؟ أنا؟ الدولاديون هم أكثر الناس مرحًا وتفاؤلًا في أوبيلون! نحن ننظر إلى كل يوم بـ... سول؟ إياك أن تتركني بينما أدافع عن نفسي!".

تجاهل رايودن الدولادي الضخم، حاول أيضًا أن يتجاهل آلامه رغم حدتها. لقد ساعده حذاؤه الجلدي الجديد إلى حد كبير، ورغم تحفظات جالادون إلا أن ماريش تمكن من أن يصنع له حذاءً يُضاهي غروره الكبير. كان الحذاء متينًا، مع نعل قوي واقٍ، ولكن الجلد اللين المأخوذ من أغلفة كتب جالادون. كان مُلائمًا للغاية ولا يحتك بالقدم.

اختلس رايودن النظر بحرص من حول الناصية وتفحص الباحة. لم يستطع أن يرى رجال شايور في أي مكان، ولكنهم على الأرجح مختبئون في مكان قريب. انتبه رايودن عندما رأى بوابة المدينة تنفتح، وقد جلبوا وافدًا جديدًا اليوم، ولكنه أحس بالصدمة عندما دفع حراس مدينة إيلانتريس، ليس واحدًا، بل ثلاثة أشخاص يرتدون ثيابًا بيضاء عبر البوابة.

قال رايودن: "ثلاثة؟".

أجابه جالادون وهو يتسلل من ورائه: "لا يُمكن التنبؤ بالشايود يا سول".

قال رايودن في انزعاج: "هذا يُغير كل شيء".

"حسنًا، دعنا نذهب، يُمكن للآخرين أن ينالوا قرابين اليوم، كولو؟".

"ماذا؟ ونفوت مثل هذه الفرصة العظيمة؟ لقد خاب ظني فيك يا جالادون".

تمتم الدولادي متذمرًا بشيء لم يسمعه رايودن، فمد الأخير يده إلى الوراء ليربت على كتف الرجل الضخم مطمئنًا إياه وهو يقول: "لا تقلق، لديَّ خطة".

"بهذه السرعة؟".

"يجب علينا أن نتحرك بسرعة، في أي دقيقة سيقطع واحد من هؤلاء الثلاثة خطوة، وحينها ستضيع فرصتنا".

تمتم جالادون: "بحق الدولوكين، ماذا ستفعل؟".

"لا شيء، ولكن أنت ستخرج في تمشية لطيفة هناك في الباحة".

سأله جالادون: "ماذا؟ هل صرت كايانا مرة أخرى؟ إذا خرجت إلى هناك ستراني العصابات".

قال رايودن مبتسمًا: "بالضبط، فقط احرص على أن تركض بسرعة كبيرة يا صديقي، فنحن لا نريدهم أن يمسكوا بك".

قال جالادون وتخوفه يتزايد بوضوح: "أنت جاد".

"لسوء الحظ، والآن تحرك. استدرجهم إلى اليسار وسأتولى بقية الأمر، دعنا نلتقي حيث تركنا ماريش".

زفر جالادون وقال شيئًا عن "كون هذا لا يستحق كل اللحم المجفف في العالم"، ولكنه ترك رايودن يدفعه ناحية الباحة. بعد لحظات تعالت سلسلة من الزمجرات الجافلة من المبنى الذي يختبئ فيه رجال شايور عادة. اندفع الرجال المتوحشون ناسين الوافدين الجدد في كراهيتهم للرجل الذي قد أساء إليهم قبل بضعة أيام.

ألقى جالادون نظرة حانقة أخيرة ناحية رايودن ثم انطلق مسرعًا وقد اختار أحد الشوارع عشوائيًّا وهو يستدرج رجال شايور بعيدًا. منحه رايودن لحظة ثم ركض إلى منتصف الباحة وهو يتظاهر بالتقاط أنفاسه كأنما بفعل الإرهاق.

بحدة سأل الوافدين الثلاثة الجدد المرتبكين: "في أي اتجاه ذهب؟".

وأخيرًا تجرأ واحد منهم على أن يقول: "مَنْ؟".

"الدولادي الضخم! بسرعة يا رجل، في أي اتجاه ذهب؟ إنه يملك العلاج!".

سأله الرجل جافلًا: "العلاج؟".

"كما سمعت، إنه نادر للغاية، ولكن يجب أن يكون هناك ما يكفينا جميعًا، إن أخبرتني في أي اتجاه ذهب، ألا تريد الخروج من هنا؟".

رفع الوافد الجديد يدًا مرتجفة وهو يشير نحو الطريق الذي سلكه جالادون.

قال رايودن في إلحاح: "هيا بنا! ما لم نتحرك بسرعة فسنفقده إلى الأبد!". وما إن قال هذا حتى بدأ في الركض.

وقف الوافدون الجدد الثلاثة للحظة، ولكن إلحاح رايودن تغلب عليهم فلحقوا به، لذا كانت خطوات ثلاثتهم الأولى في اتجاه الشمال، الاتجاه الذي من شأنه أن يجعلهم من حق رجال شايور. لا يُمكن لأي من العصابتين الأخريين أن تفعل شيئًا سوى أن تراقبهم في إحباط وهم يسرعون مبتعدين.

***

سأل رايودن: "ما الذي يُمكنكِ فعله؟".

هزَّت المرأة كتفيها وقالت: "اسمي ماري يا سيدي، أنا كنت ربة بيت بسيطة، لا أملك أي مهارات استثنائية يُمكنني الحديث عنها".

قال رايودن ساخرًا: "إن كنتِ مثل ربّات البيوت الأخريات فعلى الأرجح لديكِ من المهارات أكثر من أي شخص هنا، هل يمكنك الحياكة؟".

"بالطبع يا سيدي".

أومأ رايودن برأسه مفكرًا قبل أن يسأل الرجل التالي: "وماذا عنك؟".

"اسمي ريل، وأنا عامل يا سيدي، كنت أقضي معظم وقتي أبني في مزرعة سيدي".

"كنت تحمل القرميد؟".

قال الرجل: "في البداية يا سيدي". كان لديه يدان عريضتان ووجه يشي ببساطة الحال، ولكن عينيه تشعان بالحماسة والذكاء. "لقد قضيت سنوات وأنا أتعلم مع العمال المهرة، وكنت آمل أن يُرسلني سيدي لأصير متدربًا".

قال رايودن: "أنت كبير للغاية على أن تكون متدربًا".

"أعرف يا سيدي ولكني كنت آمل، لم يعد لدى الكثير من الفلاحين مجالًا للآمال، ولا حتى الآمال البسيطة".

أومأ رايودن برأسه مرة أخرى، لم يكن الرجل يتكلم كفلاح، ولكن القليل من الناس في أريلون يتكلمون هكذا. قبل عشر سنوات كانت أريلون أرض الفرص، وكان معظم سكانها متعلمين بعض الشيء على الأقل. كان العديد من الرجال في بلاط والده يشتكون من أن التعليم قد يُفسد الفلاحين ويجعلهم يتكبرون على العمل، متناسين أنهم كانوا أفرادًا من نفس طبقة "الفلاحين" قبل عقد مضى.

قال رايودن مخاطبًا الرجل التالي: "حسنًا، وماذا عنك؟".

كان الوافد الجديد الثالث . وهو رجل مفتول العضلات، مع أنف يبدو أنه قد كُسر عشر مرات على الأقل . ينظر إلى رايودن بعينين مترددتين، ثم قال: "قبل أن أُجيبك أُريد أن أعرف لِمَ يجب عليَّ أن أستمع إليك".

قال رايودن: "لأنني أنقذت حياتك للتو".

"لا أفهم، ما الذي حدث للرجل الآخر؟".

"يجب أن يأتي إلى هنا في غضون بضع دقائق".

"ولكن...".

قال رايودن: "لم نكن نطارده حقًّا، بل كنا نُبعد ثلاثتكم عن الخطر. اشرح لهم من فضلك يا ماريش".

انتهز الحرفي الفرصة، وبإيماءات درامية راح يصف هربه بشق الأنفس قبل يومين، وجعل الأمر يبدو وكأنه كان على حافة الموت قبل أن يظهر رايودن ويحمله إلى بر الأمان. ابتسم رايودن، كان ماريش يملك روحًا ميلودرامية. كان صوت الحرفي يعلو وينخفض كسيمفونية بارعة. حتى إن رايودن قد صدَّق حقًّا وهو يُصغي إلى رواية الرجل أنه قد فعل شيئًا نبيلًا بشكل مذهل.

أنهى ماريش حديثه بقوله إن رايودن جدير بالثقة وشجعهم على الاستماع له. في النهاية كانوا جميعًا منتبهين، حتى الرجل قوي البنية ذو الأنف الخطافي.

قال الرجل: "اسمي سايولين يا لورد سبيريت، وكنت جنديًّا في فيلق اللورد إيونديل الشخصي".

قال رايودن وهو يومئ برأسه: "أنا أعرف إيونديل، إنه رجل صالح، وكان هو نفسه جنديًّا قبل أن ينال لقبًا. أنت على الأرجح تلقيت تدريبًا جيدًا".

قال سايولين بفخر: "كنا أفضل الجنود في البلد يا سيدي".

ابتسم رايودن وقال: "ليس من الصعب التفوق على معظم الجنود في بلدنا البائس يا سايولين، ومع ذلك فإن فيلق إيونديل يُضاهي جنود أي أمة، لطالما عهدتهم رجال شرف وانضباط ومهارة، تمامًا كقائدهم. إن منح إيونديل لقبًا كان أحد القرارات الذكية التي اتخذها آيادون مؤخرًا".

"حسبما فهمت يا سيدي فلم يكن أمام الملك خيار آخر". كشفت ابتسامة سايولين عن فم فقد بضع أسنان. "لقد جنى إيونديل ثروة هائلة بتأجير قواته الشخصية للتاج".

قال رايودن ضاحكًا: "هذا حقيقي، حسنًا يا سايولين، أنا مسرور لأني ضممتك إلى صفي، من المؤكد أن جنديًّا محترفًا في مثل براعتك سيجعلنا جميعًا نشعر بأمان أكثر هنا".

اكتسى وجه سايولين بالجدية وهو يقول: "أيًّا كان ما تحتاجه يا مولاي، سأسخر سيفي من أجلك. أنا لا أعرف الكثير عن الدين أكثر من تلاوة الصلوات، ولا أفهم حقًّا ما يحدث هنا، ولكن الرجل الذي يُثني على اللورد إيونديل هو رجل صالح في تقديري".

أمسك رايودن بكتف سايولين متجاهلًا حقيقة أن الجندي الأشيب لم يعد لديه سيف ليُسَخِّره، ثم قال: "أنا أُثمِّن عرضك لحمايتي يا صديقي وأقبله، ولكني أحذرك أن هذا لن يكون عبئًا سهلًا على عاتقك. سرعان ما سيتكالب عليَّ الأعداء هنا وسيتطلب الأمر قدرًا كبيرًا من اليقظة لكيلا يفاجئوننا بالهجوم".

قال سايولين بحماس: "أفهم هذا يا سيدي، ولكني لن أخذلك بحق دومي!".

سأله ريل البناء: "وماذا عنا يا سيدي؟".

قال رايودن: "لدي مشروع عظيم من أجلكما أنتما الاثنين أيضًا، انظر للأعلى وأخبرني ماذا ترى".

رفع ريل عينيه إلى السماء ثم قال في حيرة: "لا أرى شيئًا يا سيدي، هل من المفترض أن أرى شيئًا؟".

ضحك رايودن وقال: "لا يوجد شيء لتراه يا ريل، وهذه هي المشكلة، لا شك أن سقف هذا المبنى قد سقط قبل سنوات، ورغم هذا فهو واحد من أكبر المباني التي عثرت عليها وأقلها تداعيًا. ألم يتضمن تدريبك بعض الخبرة في بناء الأسقف؟".

قال ريل مبتسمًا: "بلى يا سيدي، هل لديك المواد اللازمة؟".

"هذا هو الجزء الصعب يا ريل، كل الخشب في إيلانتريس إما محطم وإما متعفن".

قال ريل معترفًا: "هذا مشكلة، ربما إن جففنا الحطب، ثم خلطناه بالطين...".

قال رايودن: "لن تكون هذه مهمة سهلة بالنسبة لك يا ريل وأنتِ يا ماري".

قالت له ماري مؤكدة: "سنبذل قصارى جهدنا يا سيدي".

قال رايودن وهو يومئ برأسه في استحسان: "عظيم". إن طريقته في الحديث بالإضافة إلى انعدام الأمان لديهم جعلهم يطيعونه على الفور، إلا أنه لم يكن ولاءً بعد. ولكنه يأمل أنه سيكتسب ثقتهم بمرور الوقت.

أكمل رايودن حديثه قائلًا: "والآن يا ماريش، من فضلك اشرح لأصدقائنا الجدد ما يعنيه أن يكون المرء إيلانتريًّا. لا أريد أن يسقط ريل من قمة مبنى قبل أن يُدرك أن كسر عنقه لا يعني بالضرورة انتهاء الألم".

قال ماريش: "أمرك يا سيدي". كان ينظر إلى الطعام الموجود على جزء نظيف نسبيًّا من الأرض، لقد بدأ الجوع يؤثر عليه بالفعل.

تخيَّر رايودن أشياء قليلة من بين القرابين ثم أومأ إلى البقية وقال: "قسموا هذا بينكم وكلوه. إن توفيره لن يفيدنا في شيء، سيبدأ الجوع على الفور، إذن ربما يجب أن تتخلصوا من هذا قبل أن يأتي وقت يجعلكم فيه تشعرون بالجشع".

أومأ الأربعة برؤوسهم ثم بدأ ماريش يشرح تفاصيل قيود الحياة في إيلانتريس وهو يقسم الطعام، راقبهم رايودن للحظة، ثم أشاح بنظره بعيدًا وهو يفكر.

"كانت هاماتي[٢٤] لتحبك، لطالما اشتكت من أنني لا أمارس ما يكفي من الرياضة".

نظر رايودن إلى جالادون وهو يخطو دالفًا إلى الحجرة ثم قال مبتسمًا: "مرحبًا بعودتك يا صديقي، كنت على وشك أن أشعر بالقلق".

قال جالادون ساخرًا: "لم أرك قلقًا عندما دفعتني إلى تلك الباحة، لقد رأيت ديدان في صنارات صيد تُعامل بلطف أكثر، كولو؟".

قال رايودن: "أجل، ولكنك تُمثل طُعمًا رائعًا، كما أن الأمر قد نجح، لقد حصلنا على الوافدين الجدد، ويبدو أنك خالٍ من الكدمات بشكل ملحوظ".

"هذا على الأرجح مصدر سخط كبير لكلاب شايور".

سأله رايودن: "كيف هربت منهم؟". وهو يُعطيه رغيف الخبز الذي احتفظ به من أجله. نظر جالادون إلى الرغيف ثم قسمه إلى نصفين وقدم نصفًا منهما إلى رايودن الذي رفع يده رافضًا.

---

[٢٤] هاما: كلمة باللغة الدولادية تعني الجدة.

هز جالادون كتفيه كأنما يقول له "حسنًا، فلتضور جوعًا كما تشاء" ثم بدأ يقضم الرغيف قبل أن يقول: "لقد ركضت إلى مبنى به سلالم متداعية ثم خرجت من الباب الخلفي". كان يتحدث وهو يمضغ الطعام. "ثم ألقيت ببعض الحجارة على السطح عندما دخل رجال شايور، وبعد ما فعلته أنت بهم من قبل افترضوا أنني بالأعلى، وعلى الأرجح لا يزالون جالسين هناك في انتظاري".

قال رايودن: "كان هذا ماكرًا".

"هناك شخص ما لم يترك لي خيارًا".

واصل جالادون تناول طعامه في صمت وهو يُصغي إلى الوافدين الجدد يتحدثون عن "واجباتهم المهمة"، قبل أن يسأل بصوت خافت: "هل ستخبرهم جميعًا بهذا؟".

"أخبر مَن بماذا؟".

"الوافدون الجدد يا سول، لقد جعلتهم جميعًا يعتقدون أن لهم أهمية حيوية، تمامًا مثل ماريش. إن الأحذية لطيفة ولكنها ليست مسألة حياة أو موت".

هز رايودن كتفيه وقال: "يعمل الناس بإخلاص أكبر عندما يفترضون أنهم مهمون".

صمت جالادون للحظة قبل أن يتحدث مرة أخرى: "إنهم محقون".

"مَن؟".

"العصابات الأخرى، أنت تُنشئ عصابتك الخاصة".

هز رايودن رأسه وقال: "هذا مجرد جزء صغير من الأمر يا جالادون. لا أحد يحقق أي شيء في إيلانتريس. إنهم جميعًا إما منشغلون بالشجار على الطعام أو غارقون في بؤسهم، هذه المدينة بحاجة لأن تضع هدفًا نُصب عينيها".

قال جالادون: "نحن موتى يا سول، أي هدف يُمكن أن نضعه نصب أعيننا سوى المعاناة؟".

"هذه هي المشكلة بالضبط، الجميع مقتنعون بأن حياتهم قد انتهت فقط لأن قلوبهم توقفت عن النبض".

قال جالادون بسخرية لاذعة: "يكون هذا عادة مؤشرًا جيدًا يا سول".

"ليس في حالتنا يا صديقي، نحن بحاجة لإقناع أنفسنا بأن بإمكاننا المُضي قدمًا. لا يتسبب الشايود في كل المعاناة هنا، لقد رأيت أناسًا بالخارج يفقدون الأمل أيضًا، فتضمر أرواحهم تمامًا كأولئك التعساء البؤساء في الباحة. إن أعدنا ولو قليلًا من الأمل لهؤلاء الناس فستتحسن حياتهم كثيراً". شدد على كلمة حياتهم وهو ينظر إلى عيني جالادون مباشرة.

قال جالادون: "لن تكتفي العصابات الأخرى بمراقبتك مكتوفة الأيدي وأنت تسرق كل قرابينهم يا سول، سُرعان ما سينفد صبرهم".

قال رايودن: "إذن عليَّ فقط أن أكون مستعدًّا لهم". ثم أومأ إلى المبنى الكبير المحيط بهم وقال: "سيشكل هذا قاعدة جيدة للعمليات، ألا ترى هذا؟ إن به هذه الحجرة المفتوحة في المنتصف مع كل هذه الحجرات الأصغر في الخلف".

ضيق جالادون عينيه وهو ينظر لأعلى قائلًا: "كان من الأفضل أن تختار مبنى مسقوفًا".

أجابه رايودن: "أجل أعرف، ولكن هذا المبنى يُناسب احتياجاتي. أتساءل ما الذي كان عليه في الماضي".

قال جالادون: "كنيسة كوراثية".

سأله رايودن في دهشة: "كيف عرفت هذا؟".

"المكان يوحي بهذا يا سول".

قال رايودن محتجًا: "لمَ قد توجد كنيسة كوراثية في إيلانتريس؟ كان الإيلانتريون آلهة أنفسهم".

"ولكنهم كانوا آلهة متسامحين للغاية. من المفترض وجود كنيسة كوراثية هنا في إيلانتريس، لقد بُنيت كتعبير عن الصداقة تجاه شعب تيود".

هزَّ رايودن رأسه وقال: "هذا يبدو غريبًا للغاية؛ أن يبني آلهة ديانة نصبًا تذكاريًّا لدومي".

"كما قلت، الإيلانتريون لم يُبالوا حقًّا إن عبدهم الناس أم لا، كانوا واثقين للغاية في ألوهيتهم، حتى جاء الريود، كولو؟".

قال رايودن: "يبدو أنك تعرف الكثير يا جالادون".

قال جالادون ساخرًا: "ومنذ متى كانت هذه خطيئة؟ لقد عشت طيلة حياتك في كاي يا سول، ربما بدلًا من أن تسأل لمَ أعرف هذه الأشياء يجب أن تسأل لمَ لا تعرفها أنت".

قال رايودن: "فهمت قصدك". ثم اختلس النظر إلى جانبه، كان ماريش لا يزال مستغرقًا في تفسيره لحياة الإيلانتريين المحفوفة بالخطر. قال: "لن ينتهي من شرحه قريبًا، هيا بنا، هناك شيء أريد أن أفعله".

قال جالادون بصوت متعب: "هل يتضمن الأمر الركض؟".

"فقط لو رأونا".

***

تعرَّف رايودن على آندين. كان من الصعب التعرف عليه، فقد تسبب الشايود في تغييرات عميقة، ولكن كان لدى رايودن موهبة في التعرف على الوجوه. كان من يُسمي نفسه بارون إيلانتريس رجلًا قصيرًا له كرش كبير، وشارب متدلٍّ من الواضح أنه مزيف. لم يبدُ آندين نبيلًا، ولكن بالطبع قلة من النبلاء الذين عرفهم رايودن كانوا يبدون أرستقراطيين بالفعل.

ولكن بغض النظر عن هذا لم يكن آندين بارونًا. الرجل الذي ينظر إليه رايودن جالسًا على عرش من الذهب مترأسًا بلاطًا من الإيلانتريين سقيمي الشكل كان يُدعى تان، كان واحدًا من أفضل النحاتين في كاي قبل أن يصيبه الشايود، ولكنه لم يكن من دماء نبيلة، ولكن مع ذلك لم يكن والد رايودن أكثر من تاجر بسيط قبل أن تجعله الصدفة ملكًا، ويبدو أن تان قد انتهز فرصة مماثلة في إيلانتريس.

لم يكن مرور سنوات في إيلانتريس رحيمًا به، كان الرجل يثرثر بشكل غير مفهوم أمام بلاطه من المنبوذين.

قال رايودن متسائلًا وهو رابض خارج النافذة التي يتجسسان منها على بلاط آندين: "هل هو مجنون؟".

قال جالادون هامسًا: "كل واحد منا يتعامل مع الموت بطريقته يا سول، تقول الشائعات إن جنون آندين كان قرارًا واعيًا، يقولون إن بعد إلقائه إلى إيلانتريس تلفت حوله وقال "من المستحيل أن أواجِه هذا وأنا عاقل"، وبعد هذا أعلن نفسه البارون آندين الإيلانتري، وبدأ يُصدر الأوامر".

"واتبعه الناس؟".

قال جالادون هامسًا: "اتبعه البعض". ثم هز كتفيه وقال: "قد يكون مجنونًا، ولكن بقية العالم كذلك، على الأقل في عيني من يُلقى به هنا، كولو؟ إن آندين مصدر للسلطة، كما أنه ربما كان بارونًا بالخارج".

"لم يكن كذلك، بل كان نحاتًا".

"هل كنت تعرفه؟".

أومأ رايودن برأسه وقال: "لقد التقيت به مرة". ثم نظر إلى جالادون بعينين متسائلتين وهو يقول: "أين سمعت الشائعات عنه؟".

قال جالادون في رجاء: "ألا يُمكننا العودة أولًا؟ لا أُريد أن ينتهي بي المطاف في واحدة من محاكمات آندين الهزلية وإعداماته".

"هزلية؟".

"كل شيء هزلي، ولكن بفأس".

"آه، فكرة جيدة، لقد رأيت كل ما أحتاج إلى رؤيته".

تراجع الرجلان، وبعد أن صارا على بُعد بضعة شوارع من الجامعة أجاب جالادون عن سؤال رايودن قائلًا: "أنا أتحدث مع الناس يا سول، وهكذا أحصل على معلوماتي، صحيح أن غالبية سكان المدينة من الهويد[٢٥]، ولكن هناك ما يكفي من العقلاء في الأرجاء للحديث معهم. إن فمي بالطبع هو ما جعلني أتورط في المتاعب معك، ربما إن أبقيته مغلقًا لكنت الآن لا أزال

---

[٢٥] الهويد: الإيلانتريون الذين فقدوا عقولهم واستسلموا للألم والمعاناة.

جالسًا على درجات السلم تلك، مستمتعًا بوقتي بدلًا من التجسس على واحد من أخطر الرجال في المدينة".

قال رايودن: "ربما، ولكنك لم تكن لتحظى بنصف هذه المتعة، ولبقيت مقيدًا بالسلاسل إلى ضجرك".

"أنا ممتن لأنك حررتني يا سول".

"على الرحب والسعة".

بينما يمشيان كان رايودن يحاول أن يفكر في خطة للتصرف في حال أن قرر آندين أن يسعى وراءه. لم يتطلب الأمر وقتًا طويل من رايودن لكي يتكيف على المشي في شوارع إيلانتريس غير المستوية والمغطاة بالوحل، فقد كان إبهام قدمه الذي لا يزال يؤلمه حافزًا قويًّا. لقد اعتاد الجدران ذات الألوان القاتمة والأوحال، وهذا الاعتياد أزعجه أكثر من قذارة المدينة.

وأخيرًا سأله جالادون: "لمَ أردت رؤية آندين يا سول؟ ليس من المعقول أنك كنت تعرف أنك ستتعرف عليه".

هزَّ رايودن رأسه وقال: "لو أن آندين كان بارونًا بالخارج لتعرفت عليه على الفور".

"هل أنت واثق؟".

أومأ رايودن برأسه في شرود. صمت جالادون لبضعة شوارع أخرى، ثم تحدث بتفهم مفاجئ: "أنا لست بارعًا للغاية مع هذه الآيونات التي يعتز بها الأريليون كثيرًا، ولكن ما لم أكن مُخطئًا تمامًا فإن آيون "روح" هو رايو".

قال رايودن مترددًا: "أجل".

"أليس لدى ملك أريلون ابن يُدعى رايودن؟".

"هذا صحيح".

"وها أنت ذا يا سول تزعم أنك تعرف كل البارونات في أريلون. من الواضح أنك رجل تلقى تعليمًا جيدًا، كما أنك تُلقي الأوامر بسهولة".

"يمكنك أن تقول هذا".

"وعلاوة على هذا فإنك تسمي نفسك "سبيريت"، الأمر مثير للريبة، كولو؟".

تنهد رايودن وقال: "كان يجب أن أختار اسمًا مختلفًا، أليس كذلك؟".

"بحق الدولوكين يا فتى! أنت تقول لي إنك ولي عهد أريلون؟".

قال رايودن مصححًا: "كنت ولي عهد أريلون يا جالادون، لقد فقدت اللقب عندما مُت".

"لا عجب أنك تشعر بإحباط شديد. لقد قضيت حياتي برمتها أحاول أن أتفادى أصحاب الألقاب الملكية، وها أنا ذا ينتهي بي المطاف معك، بحق نيران الدولوكين!".

قال رايودن: "فلتخفض صوتك. ليس الأمر وكأنني ملكي حقًّا، إن المُلْك في عائلتنا منذ أقل من جيل".

قال جالادون بوجوم: "هذا وقت طويل بما يكفي".

"لو أن هذا يهون عليك فإن أبي لم يعتقد أنني مناسب للحكم، لقد فعل كل ما بوسعه لكي يُبعدني عن الحكم".

قال جالادون ساخرًا: "سأكون مرعوبًا لرؤية الرجل الذي يعتقد آيادون أنه مناسب للحكم. إن أباك أحمق، لا أقصد الإهانة".

"لم أشعر بالإهانة. وأنا أثق في أنك ستحافظ على سرية هويتي".

تنهد جالادون وقال: "إن كنت ترغب في هذا".

"أجل، إن كنت أُريد أن أفعل أي خير في إيلانتريس فيجب أن أكسب الأتباع لأنهم يحبون ما أفعله لا لأنهم يشعرون بالتزام وطني".

أومأ جالادون برأسه وقال: "كان بإمكانك إخباري أنا على الأقل يا سول".

"أنت من قال إنه لا يجب علينا أن نتحدث عن ماضينا".

"هذا صحيح".

صمت رايودن قليلًا ثم قال: "أنت تعرف ما يعنيه هذا بالطبع".

نظر إليه جالادون في ريبة وهو يقول: "ماذا تقصد؟".

"الآن أنت تعرف من أنا، والآن يجب عليك أن تُخبرني من تكون، هذا هو العدل".

تأخر رد جالادون كثيرًا، وكادا أن يصلا إلى الكنيسة قبل أن يتحدث. أبطأ رايودن من سيره، فلم يرغب أن يقاطع وصولهما إلى وجهتهما حديث صديقه. ولكنه لم يكن بحاجة إلى القلق فقد كان رد جالادون موجزًا ومباشرًا.

قال باقتضاب: "كنت مزارعًا".

"مزارع؟". كان رايودن يتوقع أكثر من هذا.

"وبستانيًّا، لقد بعت حقولي واشتريت مزرعة تفاح لأنني اعتقدت أن الأمر سيكون أسهل، لا يكون عليك إعادة زراعة الأشجار كل عام".

سأله رايودن: "وهل كان الأمر كذلك؟ أعني أسهل؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "اعتقدت أنه كذلك، رغم أنني أعرف بعض مزارعي القمح الذين كانوا يتجادلون معي حتى غروب الشمس، كولو؟". نظر الرجل الأضخم حجمًا نظرة ثاقبة ثم قال: "أنت تعتقد أنني لا أقول الحقيقة بشأن حياتي الماضية، أليس كذلك؟".

ابتسم رايودن وهو يبسط كفيه أمامه ويقول: "المعذرة يا جالادون ولكنك لا تبدو مزارعًا بالنسبة لي. لديك البنية لهذا، ولكنك تبدو...".

سأله جالادون: "ذكيًّا؟ لقد عرفت مزارعين بعقول حادة للغاية حتى إنه يُمكنك استخدام رؤوسهم في حصاد القمح".

قال رايودن: "لا أشك في هذا، ولكن أذكياء أو لا فإن هذه النوعية تميل لأن تكون غير متعلمة. أنت رجل مثقف يا جالادون".

"الكتب شيء رائع يا سول. يكون لدى المزارع الحكيم وقت للقراءة، هذا على افتراض أنه يعيش في بلد مثل دولادل حيث يكون الناس أحرارًا".

رفع رايودن حاجبًا وهو يقول: "إذن فأنت مصر على قصة المزارع هذه".

قال جالادون: "هذه هي الحقيقة يا سول، لقد كنت مزارعًا قبل أن أصير إيلانتريًّا".

هزَّ رايودن كتفيه، ربما، كان جالادون قادرًا على التنبؤ بالمطر، بجانب القيام بالعديد من الأشياء العملية الأخرى، ومع ذلك يبدو أن هناك شيئًا آخر، شيئًا غير مستعد لمشاركته بعد.

قال رايودن في تقدير: "حسنًا، أنا أصدقك".

أومأ جالادون برأسه إيماءة مقتضبة والتعبير المرتسم على وجهه يقول إنه ممتن لأن الأمر قد حُسِم. أيًّا كان ما يخفيه فإنه لن يُفصح عنه اليوم، لذا بدلًا من هذا انتهز رايودن الفرصة ليسأله سؤالًا كان يؤرقه منذ اليوم الأول الذي جاء فيه إلى إيلانتريس: "أين الأطفال يا جالادون؟".

"الأطفال يا سول؟".

"أجل، إن الشايود يضرب عشوائيًّا، ويُصيب الأطفال كما يُصيب الكبار".

أومأ جالادون برأسه وقال: "هذا صحيح، لقد رأيت رُضَّعًا بالكاد يقدرون على المشي يلقون عبر هذه البوابة".

"أين هم إذن؟ لا أرى سوى البالغين".

قال جالادون بهدوء وهما يخطوان عبر الباب إلى كنيسة رايودن المتداعية: "إيلانتريس مكان قاسٍ يا سول، لا ينجو الأطفال لوقت طويل هنا".

"أجل، ولكن...". بتر رايودن جملته عندما رأى شيئًا يلمع في ركن عينه والتفت في دهشة.

قال جالادون عندما لاحظ الكرة المتوهجة: "سيون".

قال رايودن: "أجل". وهو يشاهد السيون يحلق ببطء عبر السقف المفتوح ويحوم بتراخٍ في دائرة حول الرجلين. "من المحزن أنهم يتجولون في المدينة هكذا. أنا...". بتر جملته وهو يضيق عينيه محدقًا محاولًا معرفة الآيون المتوهج في قلب السيون الغريب الصامت.

سأله جالادون: "سول؟".

همس رايودن: "آيدوس دومي، إنه آين".

"هذا السيون؟ هل تعرفت عليه؟".

أومأ رايودن برأسه وهو يمد يده باسطًا كفه. حلَّق السيون مقتربًا من كفه الممدودة واستقر عليها للحظة ثم حلَّق مبتعدًا وحام في أرجاء الحجرة كفراشة لاهية.

قال رايودن: "آين كان السيون الخاص بي قبل أن أُلقى هنا". صار باستطاعته أن يرى آيون آين في المنتصف. بدا الحرف... ضعيفًا بشكل ما. كان يتوهج بشكل غير منتظم، وأجزاء من الحرف كانت خافتة للغاية مثل...

*مثل البقع على بشرة الإيلانتريين.* أدرك رايودن هذا وهو يراقب آين يطفو مبتعدًا. توجه السيون ناحية جدار الكنيسة ومضى في طريقه حتى اصطدم به، وارتد من عليه. راحت كرة الضوء الصغيرة تطفو للحظة وهي تتأمل الجدار ثم دارت لتحلق في اتجاه آخر. كان هناك ارتباك في حركة السيون، كأنما آين يُبقي نفسه بصعوبة في الهواء. كان ينتفض من آن لآخر، ويدور في حلقات بطيئة مثيرة للدوار. 

انقبضت معدة رايودن وهو ينظر إلى الحال التي صار عليها صديقه. كان يتحاشى التفكير في آين كثيرًا خلال أيامه في إيلانتريس. كان يعرف ما يحدث للسيونات عندما يصيب الشايود سادتهم. كان يفترض. أو ربما يأمل. أن الشايود قد دمَّر آين، كما تذكر الشائعات أنه يحدث في بعض الحالات.

هزَّ رايودن رأسه وقال: "كان آين حكيمًا للغاية. لم أعرف مخلوقًا أكثر حكمة منه، سواء إنسان أو سيون".

قال جالادون بجدية: "أنا... آسف يا سول".

مد رايودن يده مرة أخرى فاقترب السيون بإخلاص، تمامًا كما فعل أول مرة مع رايودن عندما كان صبيًّا صغيرًا، صبيًّا لم يتعلم بعد أن السيونات لهم قيمة كأصدقاء أكثر من كونهم خدمًا.

تساءل رايودن وهو يُراقب السيون يترنح في الهواء أمامه: *هل يعرفني؟ أم أنه لم يتعرف إلا على حركة اليد المألوفة؟*

ربما لن يعرف رايودن أبدًا، بعد أن حلَّق السيون فوق راحة يده لثانية فقد اهتمامه وحلَّق مبتعدًا مرة أخرى.

همس رايودن: "آه يا صديقي العزيز، وأنا الذي ظننت أن الشايود كان قاسيًا معي".

# الفصل الحادي عشر

لم يستجب لدعوة كين سوى خمسة رجال. نظر لوكل متجهمًا إلى الإقبال الضعيف ثم قال التاجر الوسيم: "لم يكن يحضر اجتماعات رايودن قبل وفاته أقل من ثلاثين رجلًا. لم أتوقع حضورهم جميعًا، ولكن خمسة؟ هذا لا يكاد يستحق إضاعة وقتنا".

قال كين مفكرًا وهو ينظر عبر باب المطبخ: "هذا عدد كافٍ يا بني. قد يكون عددهم قليلًا ولكننا حصلنا على الأفضل من بينهم. هؤلاء الخمسة هم من أقوى الرجال في الأمة، بجانب كونهم خمسة من أذكى الرجال. كان لدى رايودن طريقة لاستمالة الأذكياء إلى جانبه".

ناداه أحد الرجال من غرفة تناول الطعام: "كين، أيها الدب العجوز". كان رجلًا مهيبًا قد خط الشيب شعره بخيوط فضية، ويرتدي زيًا عسكريًا أنيقًا. "هل ستطعمنا أم لا؟ دومي وحده يعلم أنني أتيت فقط لأنني سمعت أنك ستطهو بعضًا من الكيتاثوم المشوي الذي تبرع في طهوه".

أجابه كين: "الخنزير يدور على النار بينما نتحدث يا إيونديل، وقد حرصت على إعداد ضعف الكمية من أجلك، فلتسيطر على معدتك لبعض الوقت".

ضحك الرجل بحرارة وهو يربت على بطنه التي كانت ـ حسبما ترى سارين ـ نحيفة ومشدودة، كبطن شاب أصغر منه بسنوات عديدة. سألت: "من يكون؟".

قال كين: "كونت مزرعة إيون. اذهب يا لوكال وتفحص لحم الخنزير بينما نتبادل أنا وابنة عمك النميمة حول الضيوف".

قال لوكل: "حسنًا يا أبي". وهو يأخذ منه المحراك، وينتقل إلى حجرة النيران في الجزء الخلفي من المطبخ.

قال كين: "إيونديل هو الرجل الوحيد عدا رايودن الذي رأيته يعارض الملك علنًا وينجو بفعلته. إنه عبقرية عسكرية، ويمتلك جيشًا شخصيًّا صغيرًا، لا يضم سوى بضع مئات من الرجال ولكنهم على مستوى عالٍ من التدريب".

ثم أشار كين عبر الباب المفتوح قليلًا ناحية رجل ذي بشرة بنية داكنة وملامح دقيقة وهو يقول: "هذا الرجل الجالس بجانب إيونديل هو البارون شودن".

سألته سارين: "هل هو من الجيندو؟".

أومأ عمها برأسه وقال: "لقد استقرت عائلته في أريلون قبل قرن تقريبًا، وقد جمعت ثروة ضخمة بتوجيه مسارات تجارة الجيندو عبر البلد. عندما وصل آيادون إلى سُدَّة الحكم منحهم البارونية للحفاظ على قوافلهم. توفي والد شودن قبل خمسة أعوام تقريبًا، والابن متمسك بالتقاليد أكثر مما كان أبوه. إنه يعتقد أن طريقة آيادون في الحكم تتعارض مع جوهر الشو-كيسج، ولهذا كان مستعدًّا لمقابلتنا".

نقرت سارين على وجنتها مفكرة وهي تتفحص شودن قبل أن تقول: "إن كان قلبه جيندوي مثل بشرته يا عماه فقد يكون حليفًا قويًّا بالفعل".

قال كين: "هذا ما كان زوجك يعتقده".

زمَّت سارين شفتيها ثم قالت: "لمَ تشير إلى رايودن باستمرار بكلمة زوجك؟ أنا أعرف أنني متزوجة، لا حاجة لتذكيري بالأمر طيلة الوقت".

قال كين بصوته العميق الأجش: "أنت تعرفين هذا ولكنك لا تصدقينه بعد".

إما أن كين لم يرَ السؤال المرتسم على وجهها وإما أنه قرر ببساطة أن يتجاهله، فقد واصل تعريفها بالحاضرين كأنما لم يُصدر حكمًا ظالمًا بشكل مثير للغضب.

قال كين وهو يومئ إلى أكبر الرجال سنًّا في الحجرة: "الجالس بجانب شودن هو رويال، دوق مزرعة آيال. إن ممتلكاته تشمل ميناء آيالد، وهي المدينة التي تأتي في المرتبة الثانية بعد كاي من حيث الثروة. إنه أقوى رجل في هذه الحجرة وربما أكثرهم حكمة أيضًا. ولكنه يكره اتخاذ إجراء لمعارضة الملك. كان رويال وآيادون صديقين منذ ما قبل الريود".

رفعت سارين حاجبًا وهي تقول: "لِمَ أتى إذن؟".

قال كين: "لويال رجل صالح، ورغم صداقته لآيادون يعرف أن حُكمه لهذه الأمة فظيع، بالإضافة لهذا أشك أنه ربما جاء بسبب الملل".

سألته سارين في عدم تصديق: "أينخرط في اجتماع تآمري فقط لأنه يشعر بالملل؟".

هز عمها كتفيه وقال: "عندما تعيشين طويلًا مثل رويال ستجدين صعوبة في أن تعثري على أشياء تثير اهتمامك. السياسة تجري في دماء الدوق حتى إنه على الأرجح لا يستطيع النوم ليلًا ما لم يتورط في خمس مؤامرات جامحة على الأقل. لقد كان حاكم آيالد قبل الريود، وكان المسئول الوحيد ممن عينتهم إيلانتريس الذي يبقى في السلطة بعد الثورة. إنه ثري بشكل مذهل، والشيء الوحيد الذي يُبقي آيادون أكثر ثراءً منه هو أن أرباحه تتضمن عائدات الأمة من الضرائب".

تفحصت سارين الدوق بينما مجموعة الرجال يضحكون على واحد من تعليقات رويال. بدا مختلفًا عن غيره من السياسيين العجائز الذين التقت بهم من قبل. لم يكن رويال متحفظًا بل صاخبًا، ويبدو عابثًا بدلًا من كونه وقورًا. ورغم هيئة الدوق الودية وجسمه الضئيل إلا أنه

أمسك بزمام المحادثة بينما خصلات شعره الخفيفة ذات اللون الأبيض الناصع تتطاير وهو يضحك. ولكن كان هناك رجل واحد لم يبدُ مفتونًا بصحبة الدوق.

"من هذا الرجل الجالس إلى جوار الدوق رويال؟".

"هذا الرجل المكتنز؟".

"مكتنز؟". كان الرجل مفرط السمنة حتى أن بطنه المنتفخ يتدلى على جانبي كرسيه.

قال كين مبتسمًا: "هكذا نصف نحن الرجال السِّمان أحدنا الآخر".

قالت سارين وهي تبتسم بلطف: "ولكن يا عماه أنت لست سمينًا، بل... متين البنية".

ضحك كين ضحكة متحشرجة ثم قال: "حسنًا إذن، هذا السيد متين البنية الجالس بجانب رويال هو الكونت آهان، لن تعرفي هذا بمراقبتهما، ولكن هو والدوق صديقان مقربان للغاية، إما هذا أو أنهما عدوان قديمان للغاية، لا أستطيع تذكر إن كان هذا أم ذاك".

قالت سارين: "هناك اختلاف بعض الشيء بين الأمرين يا عماه".

"ليس حقًّا، إنهما يتشاجران ويتجادلان منذ زمن بعيد، حتى إن أيًّا منهما لن يعرف ماذا سيفعل من دون الآخر. كان يجب عليكِ أن ترى وجهيهما حينما أدركا أن كليهما على الجانب نفسه في هذا الأمر بالتحديد. لقد ضحك رايودن لأيام بعد ذلك الاجتماع الأول. من الواضح أنه قد ذهب لكل منهما على حدة ونال دعمه، وكلاهما جاء إلى هذا الاجتماع الأول معتقدًا أنه قد تفوق على الآخر".

"إذن لماذا يواصلان المجيء؟".

قال كين: "إن كليهما يتفق مع وجهة نظرنا، ناهيك بحقيقة أنهما يستمتعان حقًّا بصحبة أحدهما الآخر. إما هذا وإما أن كل منهما يرغب في أن يُبقي عينيه على الآخر". ثم هز كتفيه وقال: "إنهما يساعداننا في كلتا الحالتين، لذا لا نشتكي".

سألته سارين وهي تتفحص آخر شاغل طاولة: "وماذا عن الرجل الأخير؟". كان نحيلًا برأس أصلع وعينين عصبيتين. لم يسمح الآخرون لتوترهم بأن يبدو عليهم، وكانوا يضحكون ويتحدثون معًا كأنما هم مجتمعون لمناقشة مراقبة الطيور لا الخيانة. ولكن الرجل الأخير كان يتململ في كرسيه في توتر وعيناه في حركة مستمرة، كأنما يحاول أن يحدد أسهل طريق للهرب.

قال كين وهو يمط شفتيه: "إيدان، بارون مزرعة تي في الجنوب، لم أحبه قط، ولكنه على الأرجح واحد من أقوى داعمينا".

"لِمَ هو متوتر للغاية؟".

"إن نظام حكومة آيادون يُفسح مجالًا كبيرًا للجشع، فكلما كان أداء النبيل أفضل من الناحية المالية ازداد احتمال أن يُمنح لقبًا أفضل. لذا فالنبلاء الصغار يتشاجرون كالأطفال وكل واحد منهم يحاول أن يجد طرقًا جديدة لحلب رعاياه وزيادة ممتلكاته.

كما أن النظام يشجع المقامرة المالية، إن ثروة إيدان لم تكن قط مثيرة للإعجاب، فممتلكاته على حدود الهاوية، والأراضي القريبة منه ليست خصبة للغاية. في محاولة لكسب مكانة أفضل قرر إيدان أن يقامر ببعض الاستثمارات المحفوفة بالخطر، ولكنه خسر المقامرة، الآن ليس لديه الثروة الكافية لتدعيم نُبله".

"هل من المحتمل أن يخسر لقبه؟".

"الأمر ليس محتملًا، بل سيخسر لقبه مع مجيء فترة الضرائب التالية عندما يُلاحظ آيادون مدى الفقر الذي صار عليه البارون. يجب على إيدان إما أن يكتشف منجم ذهب في فنائه

الخلفي، أو أن يطيح بنظام آيادون الذي يمنح ألقاب النبالة قبل ذلك الحين". حك كين وجهه كأنما يبحث عن شعيرات ليجذبها وهو يفكر. ابتسمت سارين، ربما مر عشر سنوات منذ أن كان وجه الرجل قوي البنية يحمل لحية، ولكن من الصعب التخلص من العادات القديمة.

أكمل كين حديثه قائلًا: "إن إيدان يائس، واليائسون يفعلون أشياء أبعد ما تكون عن شخصياتهم. أنا لا أثق به، ولكنه من بين جميع الرجال في هذه الحجرة ربما يكون الأكثر حرصًا على نجاحنا".

سألته: "وما الذي يعنيه هذا؟ ما الذي يتوقع هؤلاء الرجال تحقيقه بالضبط؟".

هز كين كتفيه وقال: "يفعلون أي شيء للتخلص من هذا النظام السخيف الذي يتطلب منهم إثبات ثروتهم. هكذا هم النبلاء يا إين، دومًا ما يقلقون بشأن الحفاظ على مكانتهم في المجتمع".

انقطع النقاش عندما جاء صوت يُنادي من حجرة تناول الطعام: "كين". كان هذا هو الدوق رويال الذي قال بصراحة: "كان بمقدورنا تربية خنازيرنا وذبحها في هذا الوقت الذي تستغرقه لإعداد الطعام".

قال كين: "الوجبات الجيدة تستغرق وقتًا يا رويال". ثم زفر وهو يخرج رأسه من باب المطبخ قائلًا: "إن كنت تعتقد أن بمقدورك أن تطهو أفضل مني فأدعوك لكي تأتي وتطهو طعامك بنفسك".

أكد له الدوق أن هذا ليس ضروريًا، ولحسن الحظ لم يكن عليه أن ينتظر لوقت أطول. سرعان ما أعلن كين أن الخنزير قد نضج على أكمل وجه، وأمر لوكل بأن يبدأ في تقطيعه. وعلى الفور تلى هذا بقية الوجبة. كانت مأدبة عامرة حتى إنها كانت لتُشبع كايسي، لولا أن والدها قد أمرها هي والطفلين الآخرين بأن يذهبوا لزيارة خالتهم هذه الأمسية.

عاد كين إلى المطبخ ليحمل الطبق الأخير فسأل سارين: "هل ما زلتِ عازمة على الانضمام إلينا؟".

قالت سارين بحزم: أجل"

"ولكن هذه ليست تيود يا سارين، الرجال هنا... أكثر تمسكًا بالتقاليد. إنهم لا يشعرون أنه من اللائق أن تنخرط امرأة في السياسة".

سألته سارين: "أيقول هذا رجل قد أعد طعام العشاء؟".

ابتسم كين وقال بصوته الأجش: "نقطة وجيهة". سيكون عليها يومًا أن تعرف ما الذي حدث لحلقه.

قالت سارين: "يُمكنني أن أتدبر أمري يا عماه، ليس رويال وحده من يحب تحديًا جيدًا".

قال كين وهو يحمل صحن فاصولياء كبيرًا يتصاعد منه البخار: "هيا بنا". تقدمها كين عبر باب المطبخ، وبعد أن وضع الصحن على الطاولة أشار إلى سارين وقال: "أنا واثق من أنكم جميعًا قد التقيتم بابنة أخي سارين، أميرة من مملكتنا".

انحنت سارين للدوق رويال ثم أومأت إلى البقية قبل أن تجلس في مقعدها.

تمتم العجوز رويال قائلًا: "كنت أتساءل لمن هذا الكرسي الإضافي. ابنة أخيك يا كين؟ هل لك علاقة بعرش تيود؟".

ضحك آهان البدين بمرح وقال: "بحقك يا رجل! لا تقل لي إنك لا تعرف أن كين هو الأخ الأكبر لإيڤينتيو؟ لقد أخبرني جواسيسي بهذا قبل سنوات".

قال رويال: "كان هذا من باب اللباقة يا آهان، ليس من اللائق أن تُفسد مفاجأة رجل لمجرد أن جواسيسك يتمتعون بالكفاءة".

قال آهان: "ومن غير اللائق أيضًا أن تجلب دخيلًا إلى اجتماع من هذا النوع". كان صوته لا يزال مرحًا ولكن عينيه كانتا جادتين.

توجهت كل الأنظار ناحية كين ولكن سارين هي من أجابته قائلة: "قد يظن المرء أنه بعد هذا الانخفاض في أعداد داعميك يا سيدي ستكون ممتنًّا لوجود دعم إضافي، بغض النظر عن كونه غير مألوف أو أنثويًّا".

خيَّم السكون على الطاولة بعد هذه الكلمات بينما عشر أعين تنظر إليها عبر البخار المتصاعد من أطباق كين الرائعة المتعددة. أحست سارين بنفسها تزداد توترًا مع نظراتهم غير المتقبلة. هؤلاء الرجال يعرفون تمامًا مدى السرعة التي يُمكن فيها لخطأ واحد أن يدمر عائلاتهم. لا ينغمس المرء باستخفاف في خيانة بلد لم تنسَ بعد ذكرى الحرب الأهلية.

وأخيرًا ضحك الدوق رويال وتردد صدى ضحكاته من جسده الضئيل قبل أن يقول: "كنت أعرف هذا! لا يُمكن لأي شخص أن يكون غبيًّا كما تظاهرتِ يا عزيزتي، حتى الملكة نفسها ليست خاوية العقل إلى هذا الحد".

خبَّأت سارين توترها بابتسامة وهي تقول: "أعتقد أنك مخطئ بشأن الملكة إيشن يا مولاي، إنها ببساطة... مفعمة بالحيوية".

قال آهان ساخرًا: "إن كان هذا ما تريدين تسمية الأمر به". ثم عندما بدا أنه لا أحد غيره سيبدأ هز كتفيه وبدأ يتناول الطعام. ولكن رويال لم يحذُ حذو خصمه، فالمرح لم يمحُ مخاوفه، شبك يديه أمام وجهه وهو يتأمل سارين بنظرة متفرسة.

قال الدوق بينما آهان يمد يده أمامه ليجذب سلة من لفائف الطعام: "قد تكونين ممثلة بارعة يا عزيزتي، ولكني لا أفهم لمَ كان عليك أن تحضري هذا العشاء. على الرغم من أن هذا ليس خطأك، فأنت صغيرة وعديمة الخبرة. الأشياء التي سنقولها الليلة سيكون سماعها خطيرًا وتذكرها أكثر خطورة. لن يُساعدنا وجود أذنين غير ضروريتين، بغض النظر عن جمال الرأس المتصلتين به".

ضيقت سارين عينيها وهي تحاول أن تقرر إذا ما كان الدوق يحاول استفزازها أم لا. كان من الصعب سبر أغوار رويال أكثر من أي رجل قد قابلته في حياتها. قالت: "لن تجدني عديمة الخبرة يا سيدي، فنحن في تيود لا نحجب نساءنا وراء ستار من الحياكة والتطريز، لقد أمضيت سنوات في العمل الدبلوماسي".

قال رويال: "ربما تكونين كذلك، ولكنك لستِ على اطلاع بالموقف السياسي المعقد في أريلون".

رفعت سارين حاجبًا وقالت: "لطالما اعتقدت أن الرأي الجديد غير المتحيز هو أداة لا تقدر بثمن في أي نقاش".

قال إيدان الذي كان لا يزال متوترًا وهو يملأ طبقه: "لا تكوني سخيفة يا فتاة، لن أخاطر بسلامتي لمجرد أنك تريدين إثبات طبيعتك المتحررة".

أسرعت العديد من الردود الساخرة إلى شفتي سارين، وبينما تقرر أيهم أكثر ذكاءً تدخل صوت جديد في النقاش.

قال الشاب الجيندوي شودن: "أتوسل إليكم أيها السادة". كانت كلماته رقيقة ولكنها واضحة. "أجيبوني عن سؤالي، هل كلمة فتاة هي لقب لائق لمن قد تصير ملكتنا إذا سارت الأمور على نحو مختلف؟".

توقفت الشوكات في طريقها إلى الأفواه، ومرة أخرى وجدت سارين نفسها محط الأنظار في الحجرة، ولكن هذه المرة كانت النظرات أكثر تقديرًا. أومأ كين برأسه ومنحها لوكل ابتسامة مشجعة.

أكمل شودن حديثه قائلًا: "أحذركم أيها السادة، فلتمنعوها أو تقبلوها كما تشاؤون، ولكن لا تعاملوها إلا باحترام. إن لقبها الأريلي ليس أقوى من ألقابنا ولا أضعف منه، إن تجاهلنا لقبًا فسيكون علينا تجاهل كل الألقاب الأخرى".

تورد وجه سارين خجلًا وهي تؤنب نفسها، لقد غفلت عن أهم ميزة لديها؛ زواجها من رايودن. لقد كانت أميرة تيودية طيلة حياتها، وهذا المنصب قد شكّل حياتها. إن فكرتها عن ذاتها قد صارت عتيقة لسوء الحظ، إنها لم تعد سارين ابنة تيود فحسب، لقد صارت أيضًا سارين زوجة ولي عهد أريلون.

قالت: "أشيد بحذركم أيها السادة، ولديكم سبب وجيه لتوخي الحذر، لقد فقدتم راعيكم، الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يمنحكم قدرًا من الحماية، ولكن تذكروا أنني زوجته. أنا لست بديلة للأمير، ولكني ما زلت مرتبطة بالعرش، ليس هذا العرش فحسب، بل عرش تيود أيضًا".

قال رويال: "هذا كلام جميل يا سارين، ولكن الروابط والوعود لن تفيدنا كثيرًا في مواجهة غضب الملك".

أجابته سارين: "قد لا يكون مفيدًا كثيرًا، ولكن هذا لا يعني أنه غير مفيد على الإطلاق". ثم أكملت بصوت أكثر رقة وأقل مجادلة: "سيدي الدوق، لن أعرف أبدًا الرجل الذي أُسميه الآن زوجي، كنتم جميعًا تحترمون رايودن، حسبما قال عمي كنتم تحبونه أيضًا. ولكن أنا من كان يجب أن يحبه أكثر من أي شخص آخر، لن يُمكنني أبدًا أن ألتقي به شخصيًا. هذا العمل

الذي تنخرطون فيه كان حلمه، وأُريد أن أكون جزءًا منه. إن كنت لا أقدر على معرفة رايودن فعلى الأقل دعوني أشارككم أحلامه".

تفحصها رويال للحظة وأدركت أنه يقيم صدقها، لم يكن الدوق رجلًا يُمكن خداعه بالعاطفة الزائفة. في النهاية أومأ برأسه وبدأ يقطع لنفسه قطعة من لحم الخنزير قبل أن يقول: "ليس لديَّ مشكلة في بقائها".

قال شودن: "ولا أنا".

نظرت سارين إلى البقية، كان لوكل يبتسم بوضوح وهو يستمع إلى حديثها، أما اللورد إيونديل فكان على وشك البكاء وهو يقول: "أمنح موافقتي للسيدة".

قال آهان ضاحكًا: "حسنًا، إن كان رويال يُريد بقاءها فسيكون عليَّ الاعتراض، ولكن يبدو لحسن الحظ أنني خسرت ضد تصويت الأغلبية". ثم غمز لها وقد اتسعت ابتسامته قبل أن يقول: "لقد مللت النظر إلى نفس الوجوه القديمة العابسة على أي حال".

قال إيدان متفاجئًا: "إذن ستبقى؟".

قال كين: "أجل ستبقى". لم يكن عمها قد مد يده إلى وجبته بعد، ولم يكن وحده، فلم يبدأ شودن أو إيونديل في تناول الطعام بعد. بمجرد أن انتهى النقاش أحنى شودن رأسه في صلاة قصيرة ثم راح يأكل. أما إيونديل فقد انتظر حتى تناول كين قضمته الأولى، وقد لاحظت سارين هذه الحقيقة باهتمام. على الرغم من أن رويال هو الأعلى مرتبة إلا أن الاجتماع كان في بيت كين، وحسب التقاليد القديمة يجب أن يكون أول من يتناول الطعام. ولكن لم ينتظر أحد سوى إيونديل، فيبدو أن الآخرين معتادون على كونهم الأشخاص الأكثر أهمية على طاولتهم الخاصة، حتى إنهم لم يفكروا في الانتظار قبل تناول الطعام.

بعد النقاش الحاد الذي يتعلق بوجود سارين من عدمه سارع اللوردات إلى تحويل مسار حديثهم إلى موضوع أقل إثارة للجدل.

قال رويال: "هذه أفضل وجبة تناولتها منذ عقود يا كين".

قال كين: "أخجلتم تواضعنا يا رويال". كان من الواضح أنه يتجنب مناداة الآخرين بألقابهم، ولكن الغريب هو أنه لم يبدُ على أي منهم أنه يُمانع هذا.

قال إيونديل: "أتفق مع اللورد رويال، لا يوجد طاهٍ في هذا البلد يُمكنه التفوق عليك".

قال كين: "أريلون مكان كبير يا إيونديل، كن حذرًا في المبالغة في الإطراء عليَّ فقد تجد شخصًا أفضل مني وتخيب أملي".

قال إيونديل: "مستحيل".

قال آهان وهو يهز رأسه الكبير الممتلئ: "لا يُمكنني أن أصدق أنك أعددت كل هذا بنفسك. أنا واثق تمامًا أن لديك أسطولًا من الطهاة الجادوريين مختبئًا في مطبخك".

قال رويال ساخرًا: "إن كونك بحاجة إلى جيش من الرجال لإطعامك يا آهان لا يعني أن طاهيًا واحدًا لا يُمكنه إشباع بقيتنا". ثم نظر إلى كين وأكمل حديثه قائلًا: "ومع ذلك فمن الغريب أنك تصر على فعل كل هذا بنفسك يا كين. ألا يُمكنك على الأقل أن تعين مساعدًا؟".

"أنا أستمتع بالأمر يا رويال، لِمَ أترك شخصًا آخر يسرق متعتي؟".

قال لوكل: "كما أن الملك يكاد أن يُصاب بنوبة قلبية في كل مرة يسمع فيها أن رجلًا بمثل ثراء والدي يفعل شيئًا بسيطًا كالطهو يا سيدي".

قال آهان موافقًا: "هذا ماكر للغاية، أن يتمرد بينما يتظاهر بالخضوع".

رفع كين يديه ببراءة وهو يقول: "كل ما أعرفه أيها السادة هو أنه يُمكن لرجل أن يعتني بنفسه وعائلته بسهولة تامة دون أي مساعدة، وبغض النظر عن مدى ثرائه المفترض".

قال إيونديل ضاحكًا: "مفترض يا صديقي؟ إن القليل الذي تتركنا نراه كافٍ لأن يجلب لك لقب بارون على الأقل. من يعرف ربما إذا أخبرت الجميع بمدى ثرائك حقًّا فلن يكون علينا أن نقلق بشأن آيادون، ستصير أنت الملك".

قال كين: "إن افتراضاتك مبالغ فيها بعض الشيء يا إيونديل. أنا مجرد رجل بسيط يحب الطبخ".

قال رويال مبتسمًا: "رجل بسيط يحب الطبخ، وأخوه ملك تيود، وابنة أخيه هي الآن ابنة ملكين، وزوجته سيدة نبيلة في بلاطنا".

قال كين: "لم أختر أن يكون أقاربي من الأناس المهمين، إن دومي الرحيم يمنحنا جميعًا ابتلاءات مختلفة".

قال إيونديل وهو ينظر إلى سارين: "بالحديث عن الابتلاءات هل قررت سيدتك النبيلة ما يجب أن تفعله بشأن ابتلائها بعد؟".

عقدت سارين حاجبيها وقالت في حيرة: "ابتلاء يا سيدي؟".

"أجل، أنتِ...". نظر الرجل الوقور إلى جانبه وقد بدا مُحرجًا بعض الشيء.

قال رويال: "إنه يتحدث عن ابتلاء الأرملة".

هز كين رأسه وقال: "لا تقل لي إنك تتوقع منها أن تفعل شيئًا كهذا يا رويال. إنها لم تلتقِ رايودن قط، من غير المعقول أن نتوقع منها أن تقضي فترة حداد ناهيك بابتلاء كهذا".

أحست سارين بانزعاج متزايد، فمهما ادعت أنها تُحب المفاجآت إلا أنها لم تحب الطريقة التي تجري بها هذه المحادثة. سألت بصوت حازم: "هل يمكن أن يشرح لي أحدكم بالضبط ما هو هذا الابتلاء؟".

قال شودن: "عندما تترمل امرأة أريلية نبيلة فمن المتوقع منها أن تتعرض للابتلاء".

سألته سارين وهي تعقد حاجبيها: "ما المفترض أن يعنيه هذا؟". لم يعجبها الواجبات غير المنجزة الملقاة على عاتقها.

لوح آهان بيده وهو يقول بلا اكتراث: "لا أحد يتوقع منك أن تُبدي أي اهتمام حقيقي بهذا الأمر، إنه مجرد واحد من التقاليد القديمة التي قرر آيادون التمسك بها. عن نفسي لم تعجبني هذه العادة قط، من وجهة نظري لا يجب علينا أنا نشجع الناس على التطلع إلى موتنا. حقيقة أن شعبية أي أرستقراطي تكون في ذروتها بعد وفاته مباشرة لهو أمر لا يُبشر بالخير".

قال إيونديل: "أعتقد أنه تقليد جميل يا لورد آهان".

ضحك آهان وقال: "هذا متوقع منك يا إيونديل، فأنت رجل محافظ للغاية، حتى أن جواربك ستكون أكثر تمسكًا بالتقاليد من بقيتنا".

قالت سارين وهي لا تزال منزعجة: "لا أُصدق أن أحدًا لم يُخبرني بهذا الأمر قط".

قال آهان: "حسنًا، ربما كان ليُخبرك شخص بهذا لو لم تقضِ كل وقتك في القصر أو في بيت كين".

"وفي أي مكان آخر يُفترض أن أكون؟".

قال إيونديل: "إن أريلون بها بلاط رائع أيتها الأميرة، أعتقد أنه كان هناك حفلان راقصان منذ مجيئك، وأعتقد أن هناك حفلًا آخر يجري الآن بينما نتحدث".

سألته: "لماذا لم يدعوني أي شخص إذن؟".

قال رويال مفسرًا: "لأنك في حالة حداد، كما أن الدعوات لا توجه إلا للرجال، الذين يُحضرون بدورهم أخواتهم وزوجاتهم".

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "إنكم رجعيون للغاية".

قال آهان: "لسنا رجعيين يا سمو الأميرة، بل تقليديين فحسب. إن كنتِ تشائين فيُمكنني أن أُرتب دعوة لك من رجل ما".

سألته سارين: "ألن يبدو الأمر سيئًا؟ أنا أرملة منذ أقل من أسبوع، وأذهب في صحبة شاب عازب إلى حفلة".

قال كين: "لديها وجهة نظر معتبرة".

سألته سارين: "لم لا تأخذونني جميعًا إلى الحفل؟".

سألها رويال: "نحن؟".

قالت: "أجل، أنتم. فإنكم أيها السادة كبار في السن بما يكفي حتى إن الناس لن يتحدثوا كثيرًا عن الأمر، إنكم فقط تعرفون صديقة شابة على مباهج حياة البلاط".

قال شودن: "معظم هؤلاء الرجال متزوجون يا سمو الأميرة".

قالت سارين مبتسمة: "يا لها من صدفة، وكذلك أنا".

قال رويال: "لا تقلق بشأن شرفنا يا شودن، سأحرص على أن تكون نوايا الأميرة معروفة، وما دامت لا تذهب مع أي منا كثيرًا فلن يستنبط أحد الكثير من الأمر".

قالت سارين مبتسمة: "لقد حسمنا المسألة إذن، أتوقع أن أتلقى رسالة من كل واحد منكم أيها السادة. من الضروري أن أذهب إلى هذه الحفلات، إن كنت سأنسجم في أريلون فسيكون عليَّ أن أتعرف على الطبقة الأرستقراطية".

كان هناك موافقة عامة، ثم تحولت المحادثة إلى مواضيع أخرى، مثل خسوف القمر القادم. بينما يتحدثون أدركت سارين أن سؤالها حول هذا الابتلاء المبهم لم يُسفر عن الكثير من المعلومات، ستضطر لمحاصرة كين لاحقًا".

رجل واحد لم يستمتع بالمحادثة، ولم يبدُ عليه حتى أنه مستمتع بالوجبة. لقد ملأ اللورد إيدان طبقه، ولكنه بالكاد تناول بضع قضمات، وبدلًا من هذا كان يكز طعامه بالشوكة في استياء وهو يخلط محتويات الأطباق في كومة لا تكاد تُشبه الأطعمة الشهية التي أعدها كين.

وأخيرًا قال إيدان بحدة: "ظننت أننا قد اتفقنا على ألا نجتمع مرة أخرى".

شق التعليق طريقه إلى المحادثة كأيل ضل طريقه إلى منتصف قطيع من الذئاب. صمت الآخرون والتفتوا ناحية إيدان.

قال إيونديل: "لقد قررنا ألا نجتمع لفترة من الوقت يا لورد إيدان، لم نقرر قط أن نتوقف عن الاجتماع تمامًا".

قال آهان وهو يلوح بشوكة مغروسة في قطعة من لحم الخنزير: "ظننت أنك ستكون سعيدًا يا إيدان، فأنت من بين جميع الناس يجب أن تكون حريصًا على استمرار هذه الاجتماعات، ما هي المدة التي تفصلنا عن الفترة الضريبية التالية؟".

قال إيونديل متعاونًا: "أعتقد أنه يوم الأول من إيوستيك[٢٦] يا لورد آهان، وهو ما يفصلنا عنه أقل من ثلاثة أشهر".

قال آهان مبتسمًا: "شكرًا لك يا إيونديل، لطالما كنت رجلًا مفيدًا. دومًا ما تعرف الأشياء الصحيحة وما إلى ذلك. على أي حال، ثلاثة أشهر يا إيدان. كيف حال خزائنك؟ أنت تعرف مدى انتقائية مراجعي الحسابات لدى الملك".

تلوى وجه إيدان أكثر أمام سخرية الكونت القاسية، يبدو أنه مدرك تمامًا لضيق الوقت المتاح له، وفي الوقت ذاته بدا أنه يحاول نسيان متاعبه على أمل أن تختفي. كان الصراع واضحًا على وجهه، ومن الواضح أن آهان كان مستمتعًا كثيرًا بمراقبته.

قال كين: "نحن لسنا هنا للشجار أيها السادة المحترمون، تذكروا أن الإصلاح سيجلب لنا الكثير من المكاسب، بما في ذلك استقرار بلدنا وحرية شعبنا".

قال رويال وهو يتكئ إلى الوراء في كرسيه: "هذا البارون الطيب يُعرب عن قلق وجيه، فرغم وعد هذه السيدة الشابة بالمساعدة نحن عرضة تمامًا للخطر من دون رايودن. كان الناس يحبون الأمير، وحتى لو اكتشف آيادون اجتماعاتنا فلم يكن ليتخذ أي اجراء ضد رايودن".

أومأ آهان برأسه وقال: "لم يعد لدينا القوة لمعارضة الملك، كنا نكتسب القوة من قبل، ربما لم يكن ليمضي وقت طويل قبل أن نستميل إلى صفنا ما يكفي من النبلاء لكي نتصرف علانية، ولكننا الآن لا نملك شيئًا".

قالت سارين بهدوء: "لا يزال لديكم الحلم يا سيدي، وهذا يعد شيئًا".

---

[٢٦] إيوستيك: الشهر السادس من السنة الآيونية.

قال آهان ضاحكًا: "حُلم؟ كان هذا حلم رايودن يا سيدتي، لقد رافقناه فقط لنرى إلى أين سيأخذنا".

قالت سارين عاقدة حاجبيها: "لا يُمكنني تصديق هذا يا لورد آهان".

قال شودن بنبرة متسائلة لا مُجادلة: "ربما يمكن لسمو الأميرة أن تخبرنا ما هو هذا الحلم".

أجابته سارين: "أنتم رجال أذكياء أيها السادة الأعزاء، لديكم من العقل والخبرة ما يكفي لمعرفة أن أي بلد لا يُمكنه أن يتحمل الضغط الذي يضعه آيادون على عاتقه. إن أريلون ليس عملًا تجاريًّا يُمكن إدارته بقبضة من حديد، إنه أكبر بكثير من مجرد إنتاج مطروح منه التكاليف. الحلم أيها السادة هو أريلون التي يتعاون شعبها مع ملكه بدلًا من معارضته".

قال رويال: "هذه ملحوظة جيدة أيتها الأميرة". ولكن نبرته كانت غير مكترثة. التفت إلى الآخرين فواصلوا الحديث وكل واحد منهم يتجاهل سارين بلباقة. لقد سمحوا لها بحضور الاجتماع، ولكن من الواضح أنهم لم يقصدوا السماح لها بالمشاركة في المناقشة. مالت إلى الوراء في انزعاج.

كان رويال يقول: "... تحديد الهدف لا يعني امتلاك سُبُل تُحقيقه، أعتقد أن علينا الانتظار، وأن نترك صديقي القديم يُحكم الخناق حول نفسه قبل أن نتحرك للمساعدة".

قال لوكل معترضًا: "ولكن آيادون سيدمر أريلون أثناء هذا يا مولاي، كلما منحناه وقتًا أطول كان التعافي أكثر صعوبة".

قال رويال: "لا أرى خيارًا آخر، لا يُمكننا أن نواصل العمل ضد الملك كما كنا نفعل من قبل".

جفل إيدان قليلًا لهذا التصريح، بينما قطرات العرق تتشكل على جبينه، لقد أدرك أخيرًا أن الاستمرار في الاجتماع، سواء كان خطيرًا أم لا، هو خيار أفضل من الانتظار حتى يجرده آيادون من لقبه.

اعترف آهان على مضض: "أنت محق يا رويال، لم يعد من الممكن أن تنجح خطة الأمير الأصلية. لن نكون قادرين على الضغط على الملك ما لم يكن في صفنا نصف النبلاء بالإضافة إلى ثرواتهم".

قال إيونديل مترددًا: "هناك سبيل آخر أيها السادة".

سأله الدوق: "ما هو يا إيونديل؟".

"سيستغرق الأمر مني أقل من أسبوعين لجمع الفيلق من مراكزهم في طرق البلاد الرئيسية. القوة المالية ليست هي النوع الوحيد من القوة".

قال آهان ساخرًا: "لا يُمكن لمرتزقتك أن يقفوا في وجه جيوش أريلون، ربما تكون قوة آيادون العسكرية صغيرة مقارنة ببعض الممالك الأخرى، ولكنها أكبر بكثير من مئات الرجال الذين هم تحت إمرتك. خاصة إن طلب الملك الدعم من حرس مدينة إيلانتريس".

وافقه إيونديل قائلًا: "أجل، أنت محق يا لورد آهان، ولكن إن ضربنا بسرعة بينما آيادون لا يزال يجهل نوايانا فربما يتمكن فيلقي من اقتحام القصر وأسر الملك".

قال شودن: "سيكون على رجالك أن يشقوا طريقهم بالسيف حتى جناح الملك، وستولد حكومتك الجديدة من دماء القديمة، تمامًا كما وُلد حكم آيادون من موت إيلانتريس. ستتكرر الدورة مرة أخرى، وسيأتي سقوط آخر يا لورد إيونديل. ما إن تحقق أي ثورة أهدافها حتى يبدأ التخطيط لثورة جديدة. الدم والموت والانقلابات العسكرية لا يؤدون سوى لمزيد من الفوضى. يجب أن يكون هناك طريقة لإقناع آيادون دون اللجوء للفوضى".

قالت سارين: "هناك طريقة". فالتفتت الأعين المنزعجة إليها. لا يزالون يفترضون أنها هنا للاستماع فحسب، من المفترض أن يكونوا أكثر فطنة من هذا.

قال رويال وهو يُبعد عينيه عن سارين: "أوافقك الرأي، وهذه الطريقة هي الانتظار".

قالت سارين محتجة: "لا يا سيدي، المعذرة، ولكن هذا ليس هو الجواب. لقد رأيت شعب أريلون، وبينما لا يزال هناك أمل في أعينهم إلا أنه يزداد ضعفًا. إن منحتم آيادون الوقت فسيخلق طبقة الفلاحين القانطين التي يُريدها".

عبس رويال، على الأرجح كان يفترض أنه سيكون في مركز السلطة بعد رحيل رايودن. أخفت سارين ابتسامتها المليئة بالرضا. كان رويال هو أول من سمح لها بالانضمام إلى الاجتماع، وبالتالي سيكون عليه أن يتركها تتحدث، إن رفض الاستماع إليها الآن سيُظهر أنه كان مُخطئًا بمنحها دعمه.

قال الرجل العجوز في تحفظ: "تحدثي أيتها الأميرة".

قالت سارين بصراحة: "لقد كنتم أيها السادة تحاولون أن تجدوا طريقة للإطاحة بنظام حُكم آيادون، وهو نظام يساوي ما بين الثروة والقدرة على القيادة، أنتم تزعمون أنه أمر غير عملي وغير عادل، وأن حماقة هذا النظام تعذب شعب أريلون".

قال رويال باقتضاب: "هذا صحيح، ومن ثم؟".

"حسنًا، إن كان نظام آيادون سيئًا للغاية فلم تشغلوا بالكم كثيرًا بشأن الإطاحة به؟ لم لا تتركون النظام يُطيح بنفسه؟".

سألها إيونديل: "ما الذي تعنينه يا سيدة سارين؟".

"اقلبوا ما صنعه آيادون ضده، وأجبروه على الاعتراف بمثالبه، حينها نأمل أن تتمكنوا من إيجاد طريقة أكثر استقرارًا وأكثر إرضاءً".

هز آهان رأسه السمين وقال: "هذا أمر مثير للاهتمام ولكنه مستحيل، ربما كان بمقدور رايودن أن يفعل هذا، ولكن عددنا قليل للغاية".

قالت سارين وهي تقف من كرسيها وتخطو حول الطاولة: "لا، إن عددكم مثالي. ما نريد أن نفعله أيها السادة هو أن نجعل الأرستقراطيين الآخرين يشعرون بالغيرة، هذا لن ينجح إن كان الكثيرون في صفنا".

قال إيونديل: "هاتي ما عندك".

سألتهم سارين: "ما هي أكبر مشكلة في نظام أريلون".

قال إيونديل: "أنه يشجع اللوردات على معاملة رعاياهم بوحشية، الملك آيادون يهدد النبلاء ويسحب الألقاب من هؤلاء الذين لا يجلبون عائدًا. وبالتالي يزداد اللوردات يأسًا، ويضعون عبئًا إضافيًّا على رعاياهم".

وافقه شودن قائلًا: "إنه نظام غير عقلاني، قائم على الجشع والخوف بدلًا من الولاء".

قالت سارين وهي تواصل الالتفاف حول الطاولة: "هل اطلع أي منكم على مخططات إنتاج أريلون طيلة السنوات العشرة الماضية؟".

سألها آهان: "هل هناك شيء كهذا؟".

أومأت سارين برأسها وقالت: "إننا نحتفظ بها في تيود. هل ستندهشون أيها السادة لمعرفة أن مستوى إنتاج أريلون قد انخفض كثيرًا منذ أن تولى آيادون زمام الحكم؟".

قال آهان: "لا على الإطلاق، لقد مر علينا عقد من الشقاء".

قالت سارين وهي تلوح بيدها بحزم: "الملوك يصنعون شقاءهم يا لورد آهان، أكثر شيء حزين في نظام آيادون ليس ما يفعله بالناس، ولا حقيقة أنه يُدمر معنويات الدولة، بل الأكثر إثارة للشفقة هو أنه يفعل الأمرين دون أن يجعل النبلاء أكثر ثراءً. ليس لدينا عبيد في تيود أيها السادة، ونحن على ما يرام. في الواقع لم تعد فيوردن تستخدم نظامًا مبنيًا على الرق، لقد وجدوا شيئًا أفضل، اكتشفوا أن المرء يعمل بشكل أكثر إنتاجية عندما يعمل لصالح نفسه".

صمتت سارين للحظة لتتركهم يفكرون في كلماتها، ثم قال رويال أخيرًا مفكرًا: "فلتكملي".

قالت سارين: "لقد اقترب موسم الزراعة أيها السادة، أريد منكم أن تقسموا أراضيكم بين فلاحيكم، أن تمنحوا كل واحد منهم جزءًا من حقل، وأن تخبروهم أن بإمكانهم الاحتفاظ بعشرة في المئة مما تنتجه هذه الأرض، أخبروهم أنكم ستسمحون لهم حتى بشراء البيوت والأراضي التي يشغلونها".

قال رويال: "سيكون فعل هذا صعبًا للغاية أيتها الأميرة الصغيرة".

قالت سارين: "لم أنتهِ من كلامي بعد، أريد منكم أن تطعموا رعاياكم جيدًا أيها السادة، أن تمنحوهم الملابس والمؤن".

قال آهان: "نحن لسنا وحوشًا يا سارين، بعض اللوردات يعاملون فلاحيهم معاملة سيئة، ولكننا لا نقبل مثل هذا على رعايانا، إن الناس في أراضينا لديهم طعام يأكلونه وملابس لتبقيهم دافئين".

قالت سارين: "قد يكون هذا صحيحًا يا سيدي، ولكن يجب أن يشعر الناس أنكم تحبونهم، لا تتاجرون بهم مع النبلاء الآخرين أو تتشاجرون عليهم. إن جعلتم الفلاحين يشعرون أنكم

تحبونهم فسيمنحونكم حبهم وكدهم. لا يجب أن يقتصر الازدهار على نسبة صغيرة من السكان".

وصلت سارين إلى مقعدها فوقفت وراءه، كان اللوردات يفكرون، وهو أمر جيد، ولكنهم كانوا خائفين أيضًا.

قال شودن: "سيكون الأمر محفوفًا بالخطر".

"هل هو بخطورة مهاجمة آيادون بجيش اللورد إيونديل؟ إن لم ينجح هذا فلن تخسروا إلا قليلًا من المال وبعض الكبرياء، وإن لم تنجح خطة الجنرال الموقر فستخسرون رؤوسكم".

وافقها آهان قائلًا: "إنها محقة".

قال إيونديل: "فكرة رائعة". كان هناك ارتياح في عينيه، سواء كان جنديًّا أم لا فإنه لا يُريد مهاجمة أبناء بلده. "سأفعل هذا".

قال إيدان وهو يتململ في كرسيه: "من السهل عليك قول هذا يا إيونديل، فيمكنك دومًا أن تطلب من فيلقك العمل في المزارع عندما يتكاسل الفلاحون".

زفر إيونديل وقال: "رجالي يحفظون الأمن في طرق البلاد الرئيسية، إن خدمتهم هناك لا تقدر بثمن".

قال إيدان بحدة: "وأنت تتلقى مكافأة سخية نظير هذا. ليس لدي أي دخل سوى مزارعي، وبينما تبدو أراضيّ كبيرة إلا أنه هناك ذلك الصدع اللعين الذي يشقها من المنتصف. ليس لدي أي مجال للتكاسل، إن لم تُزرع البطاطا وتُزال الأعشاب الضارة فسأخسر لقبي".

قال آهان مبتسمًا: "على الأرجح ستخسره في كل الأحوال".

قال رويال آمرًا: "يكفي هذا يا آهان، إيدان لديه وجهة نظر، كيف يُمكن أن نتيقن من أن الفلاحين سينتجون أكثر إن أعطيناهم هذا القدر من الحرية؟".

أومأ إيدان برأسه وقال: "لطالما وجدت الفلاحين الأريليين كسالى وغير منتجين، السبيل الوحيد الذي يُمكن من خلاله أن أحصل منهم على ما يكفي من العمل هو عن طريق القوة".

قالت سارين: "إنهم ليسوا كسالى يا سيدي، بل غاضبين، عشر سنوات ليست وقتًا طويلًا بما يكفي، وهؤلاء الناس يُمكنهم أن يتذكروا ما يعنيه أن يكون المرء سيد نفسه. امنحهم الوعد بالحرية وسيعملون بجد لكي ينالوا هذا. ستندهشون من ضخامة إنتاجية الرجل الحر مقارنة بالعبد الذي لا يفكر في شيء أكثر من وجبته التالية. على أي حال، أي موقف سيجعل المرء أكثر ميلًا لأن يصير منتجًا؟".

فكر النبلاء في كلماتها.

قال شودن: "معظم ما تقولينه يبدو منطقيًّا".

قال رويال: "ولكن أدلة السيدة سارين مبهمة. كانت الأحوال مختلفة قبل الريود، الإيلانتريون يوفرون الطعام ويُمكن للأرض أن تزدهر بدون طبقة الفلاحين. لم يعد لدينا هذه الرفاهية".

قالت سارين: "إذن فلتساعدني كي أجد الدليل يا سيدي، امنحني بضعة أشهر وسنصنع الدليل بأنفسنا".

قال رويال: "نحن... سنفكر في كلماتك".

قالت سارين: "لا يا لورد رويال، ستحسمون قراركم، فبغض النظر عن أي شيء آخر أعتقد أنك رجل وطني. أنت تعرف ما هو الصواب، وهذا هو كل شيء. لا تقل لي إنك لم تشعر قط بأي ذنب تجاه ما فعلته بهذا البلد".

تأملت سارين رويال وهي تُخفي قلقها في أعماقها. لقد أثار الدوق العجوز إعجابها، ولكنها ليست متيقنة من أنه يشعر بالخجل من أجل أريلون، وعليها الاعتماد على حدسها بأنه رجل صالح في أعماقه، وأنه في حياته الطويلة قد رأى وفهم إلى أي مدى قد انحدر بلده. كان انهيار إيلانتريس أحد العوامل، ولكن جشع النبلاء كان العامل الأكبر وراء دمار هذه الأمة التي كانت يومًا ما أمة عظيمة.

قال شودن بصوت رقيق: "جميعنا أعمتنا في وقت أو آخر وعود آيادون بالثروة. سأفعل ما تطلبه سمو الأميرة". ثم التفت إلى رويال وأومأ بعينيه. إن موافقته قد منحت الدوق فرصة لأن يوافق دون أن يخسر الكثير من كبريائه.

تنهد الدوق العجوز وقال: "حسنًا، أنت رجل حكيم يا لورد شودن، إن كنت ترى أن هذه الخطة لها وجاهتها فسأوافق عليها بدوري".

قال إيدان: "أفترض أنه لم يعد لدينا خيار".

قال إيونديل: "هذا أفضل من الانتظار يا لورد إيدان".

"هذا صحيح، أنا موافق بدوري".

قال آهان في إدراك مفاجئ: "لم يتبقَّ سواي. رباه، ماذا عليَّ أن أفعل؟".

قالت سارين: "لم يوافق اللورد رويال إلا على مضض يا سيدي، لا تقل لي إنك ستفعل مثله؟".

انفجر آهان في الضحك فارتج جسمه كله، ثم قال: "يا لكِ من فتاة مبهجة! حسنًا إذن، أعتقد أنني سأوافق من أعماق قلبي، بينما أذكركم أنني كنت أعتقد أنها محققة طيلة الوقت. والآن من فضلك يا كين قل لي إنك لم تنسَ التحلية، لقد سمعت الكثير من الأشياء الرائعة عن حلوياتك".

قال عمها بصوت أجش: "أنسى التحلية؟ لقد جرحتني يا آهان". ثم ابتسم وهو ينهض من كرسيه ويتوجه ناحية المطبخ.

***

"إنها بارعة في هذا يا كين، ربما أفضل مني". كان هذا صوت الدوق رويال. تجمدت سارين في موضعها، كانت قد ذهبت لتبحث عن الحمام بعد أن ودعت الجميع، وقد توقعت أنهم رحلوا بحلول هذا الوقت.

وافقه كين قائلًا: "إنها شابة مميزة للغاية". كان حديثهما قادمًا من المطبخ. تسللت سارين إلى الأمام في صمت واسترقت السمع خارج الباب.

"لقد سلبت مني الإمساك بزمام الأمور، وما زلت حتى الآن لا أعرف موطن خطئي. كان عليك أن تحذرني".

قال كين ضاحكًا: "وأدعك تفلت يا رويال؟ لقد مضى وقت طويل منذ أن تمكن أي شخص ـ بما في ذلك آهان ـ من التغلب عليك. من المفيد للمرء أن يُدرك أن بإمكانه أن يؤخذ على حين غرة من آن لآخر".

قال رويال: "ولكنها كادت أن تخسر قرب النهاية. لا أحب أن يحصرني أحد في الزاوية يا كين".

قالت سارين وهي تدفع الباب وتدلف إلى الداخل: "كانت مقامرة محسوبة يا سيدي".

لم يجعل ظهورها الدوق يتردد ولو للحظة واحدة. قال: "أنتِ لم تفعلي شيئًا سوى تهديدي يا سارين، وهذه ليست طريقة لاكتساب حليف، وخصوصًا رجلًا عجوزًا حاد الطباع مثلي".

كان الدوق وكين يتبادلان زجاجة من النبيذ الفيوردي على طاولة المطبخ، وقد صارا أكثر استرخاءً مما كانا عليه أثناء العشاء. "بضعة أيام لن تضعف موقفنا، وكنت سأمنحك دعمي بالتأكيد، فأنا أرى أن الوعد المدروس أكثر فائدة من المشاعر الزائفة".

أومأت سارين برأسها وهي تُمسك بكأس من على أحد أرفف كين، ثم صبَّت لنفسها بعضًا من النبيذ، قبل أن تجلس وتقول: "أنا أفهم يا رويال". إن كان بمقدوره أن يتخلى عن الرسميات فبإمكانها هذا أيضًا. "ولكن الآخرين يتطلعون إليك، إنهم يثقون في حكمك، كنت بحاجة إلى ما هو أكثر من دعمك ـ وهو ما كنت أعرف أنك ستمنحه لي ـ كنت بحاجة إلى دعمك الصريح. كان على الآخرين أن يروا أنك قد قبلت الخطة قبل أن يوافقوا عليها. لن يكون للأمر نفس التأثير بعد بضعة أيام".

قال رويال: "ربما، ولكن هناك شيئًا واحدًا أكيدًا يا سارين، لقد منحتِنا الأمل مرة أخرى، كان رايودن هو من يوحدنا من قبل، ولم أستطع أنا أو كين فعل هذا. لقد رفض كين النبالة لوقت طويل، وبغض النظر عما يقوله الناس فإنهم ما زالوا يريدون قائدًا يحمل لقبًا. وأنا... جميعهم يعلمون أنني ساعدت آيادون في تأسيس هذا النظام الوحشي الذي يقتل بلدنا ببطء".

قال كين وهو يُمسك بكتف الدوق العجوز: "كان هذا قبل وقت طويل يا رويال".

هز رويال رأسه وقال: "لا، كما قالت الأميرة الجميلة، عشر سنوات ليست وقتًا طويلًا في عمر الأمم، لقد ارتكبت خطأً جسيمًا".

قال كين: "سنعيد الأمور إلى نصابها الصحيح يا رويال، هذه الخطة جيدة، وربما أفضل حتى من خطة رايودن".

قال رويال مبتسمًا: "كانت لتصير زوجة رائعة له يا كين".

أومأ كين برأسه وقال: "رائعة بالفعل، وربما حتى ملكة أفضل. أحيانًا ما تبدو مشيئة دومي غريبة بالنسبة لعقولنا البشرية".

قالت سارين وهي تتناول نبيذها: "لست مقتنعة بأن إرادة دومي هي ما أخذته منا يا عماه. ألم يتساءل أحدكم يومًا أنه ربما هناك من له يد في موت الأمير؟".

قال كين محذرًا: "إن الإجابة عن هذا السؤال أقرب إلى الخيانة".

"أكثر من الأشياء الأخرى التي قيلت الليلة؟".

قال رويال: "نحن لم نتهم الملك إلا بالجشع يا سارين. إن قتل ابنه لهو أمر مختلف تمامًا".

قالت سارين وهي تلوح بيدها في إيماءة واسعة حتى كادت أن تسكب نبيذها: "فلتفكرا في الأمر، كان الأمير يتخذ موقفًا معارضًا لكل ما يفعله أبوه، وكان يسخر من آيادون في البلاط، ويخطط من وراء ظهر الملك، وكان لديه حب الناس، والأهم من ذلك أن كل ما قاله عن آيادون كان صحيحًا. هل هذا شخص يُمكن لأي ملك أن يتحمل بقاءه حرًّا طليقًا؟".

قال رويال وهو يهز رأسه في عدم تصديق: "أجل، ولكن ابنه؟".

قال كين: "لن تكون هذه المرة الأولى التي يحدث فيها شيئًا كهذا".

قال رويال: "هذا صحيح، ولكني لست واثقًا إن كان الأمير يمثل مشكلة كبيرة لآيادون كما تفترضان. كان رايودن ناقدًا أكثر من كونه متمردًا، لم يقل يومًا إن آيادون لا يجب أن يكون ملكًا، بل كان يقول ببساطة إن حكومة أريلون في ورطة، وهذه هي الحقيقة".

سألتهما سارين: "ألم يشعر أي منكما بقليل من الريبة عندما سمع بموت الأمير؟". ثم ارتشفت نبيذها وهي تفكر. "لقد جاء موته في وقت ملائم تمامًا، سينتفع آيادون بالتحالف مع تيود، ولكنه لم يعد بحاجة للقلق بشأن إنجاب رايودن لأي ورثة".

نظر رويال إلى كين الذي هز كتفيه وقال: "أعتقد أن علينا على الأقل أخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار يا رويال".

أومأ رويال برأسه في أسف وقال: "إذن ماذا نفعل؟ نحاول أن نجد دليلًا على أن آيادون قد أعدم ابنه؟".

قالت سارين ببساطة: "المعرفة ستمنحنا القوة".

قال كين: "أتفق معكِ، ولكن أنتِ وحدكِ من بيننا من يتمتع بحرية دخول القصر".

"سأفتش في الأرجاء لأرى ما يمكنني اكتشافه".

قال رويال متسائلًا: "هل من المحتمل أنه لم يمت؟ سيكون من السهل العثور على شبيه له ليوضع في النعش، إن مرض رعشات السعال يؤدي إلى تشوهات شديدة".

قالت سارين في شك: "هذا محتمل".

"ولكنك لا تصدقين هذا".

هزَّت سارين رأسها وقالت: "عندما يقرر ملك أن يُدمر خصمًا فإنه عادة ما يفعل هذا بطريقة نهائية. هناك العديد من الحكايات عن أولياء عهد مفقودين يظهرون من جديد بعد عشرين سنة في البرية ليطالبوا بحقهم الشرعي في العرش".

قال رويال: "ومع ذلك ربما آيادون ليس وحشيًّا كما تفترضين، لقد كان رجلًا أفضل ذات يوم، لم يكن ما يُمكن أن أسميه رجلًا صالحًا، ولكنه لم يكن رجلًا سيئًا أيضًا، بل جشعًا فحسب. شيء ما قد حدث له أثناء السنوات القليلة الماضية، شيء قد... غيَّره. ومع ذلك أعتقد أنه ما زال هناك ما يكفي من الرأفة بداخل آيادون لكي يمنعه من قتل ابنه".

قالت سارين: "حسنًا، سأُرسل آش ليفتش الزنازين الملكية، إنه دقيق للغاية حتى أنه لن يرضى قبل أن يعرف اسم كل فأر في المكان".

قال رويال: "سيونك؟ أين هو؟".

"أرسلته إلى إيلانتريس".

سألها كين: "إيلانتريس؟".

قالت سارين: "الجيورن الفيوردي يُبدي اهتمامًا بإيلانتريس لسبب ما، وأنا أحرص على ألا أتجاهل شيئًا يجده أي جيورن مثيرًا للاهتمام".

قال كين: "يبدو لي أنك تقلقين إلى حد كبير بشأن كاهن واحد يا إين".

قالت سارين مُصححة: "ليس كاهنًا يا عماه، بل جيورن".

"لا يزال رجلًا واحدًا، ما مقدار الضرر الذي يُمكن أن يتسبب فيه؟".

قالت سارين: "فلتسأل الجمهورية الدولادية، أعتقد أنه نفس الجيورن الذي كان متورطًا في تلك الكارثة".

قال رويال: "لا يوجد أي دليل أكيد على أن فيوردن كانت وراء الانهيار".

"هناك دليل أكيد في تيود، ولكن لا أحد يُصدقه. فلتصدقني عندما أقول لك إن هذا الجيورن الواحد يُمكن أن يكون أكثر خطرًا من آيادون".

ساد الصمت بعد هذا التعليق، ومر الوقت بينما النبلاء الثلاثة يشربون نبيذهم وهم غارقون في التفكير، حتى دلف لوكل الذي كان قد ذهب لإحضار أمه وأخوته. أومأ برأسه إلى سارين ثم انحنى للدوق قبل أن يصب لنفسه كأسًا من النبيذ.

قال لوكل مُخاطبًا سارين وهو يجلس: "ها أنتِ ذا، عضو راسخ في نادي الرجال".

قال رويال: "التعبير الأكثر دقة هو أنها رئيس النادي".

سأله كين: "أين أمك؟".

قال لوكل: "إنها في الطريق إلى هنا. لم يكونوا قد انتهوا، وأنت تعرف أمي جيدًا، يجب أن يجري كل شيء على النحو الصحيح، غير مسموح بأي تسرع".

أومأ كين وهو يصب آخر كأس من النبيذ ثم قال: "إذن من الأفضل أن نبدأ أنا وأنت في التنظيف قبل أن تعود، لا نريدها أن ترى مقدار الفوضى التي أحدثها أصدقاؤنا النبلاء في حجرة الطعام".

تنهد لوكل ثم نظر إلى سارين نظرة تشي بأنه أحيانًا ما يتمنى لو كان يعيش في بيت تقليدي، بيت به خدم ـ أو على الأقل نسوة ـ لتولي مثل هذه الأمور. كان كين قد بدأ الحركة بالفعل، ولم يكن أمام ابنه خيار سوى أن يتبعه.

قال رويال وهو يراقبهما ينصرفان: "عائلة مثيرة للاهتمام".

"أجل، غريبة بعض الشيء حتى بالنسبة لمقاييس تيود".

قال الدوق: "لقد عاش كين زمنًا طويلًا بمفرده، مما جعله يعتاد فعل الأشياء بنفسه. سمعت أنه استأجر طاهية ذات يوم، ولكنه ضاق ذرعًا بأساليب المرأة. أتذكر أنها استقالت قبل أن يمتلك الشجاعة الكافية ليطردها، زعمت أنها لا تستطيع العمل تحت ضغط الكثير من المتطلبات".

ضحكت سارين وقالت: "لا أستبعد هذا عنه".

ابتسم رويال ولكنه أكمل حديثه بنبرة جادة: "نحن محظوظون حقًّا يا سارين، قد تكونين فرصتنا الأخيرة لإنقاذ أريلون".

قالت سارين وقد توردت وجنتاها رغمًا عنها: "شكرًا لك يا مولاي".

"لن تصمد هذه الدولة أكثر من هذا، ربما بضعة أشهر، نصف عام إن كنا محظوظين".

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "ظننت أنك أردت الانتظار، أو على الأقل هذا ما قلته للآخرين".

لوح رويال بيده بلا اكتراث وهو يقول: "لقد أقنعت نفسي بأننا لن نجني الكثير من مساعدتهم لنا؛ إيدان وآهان متناقضان للغاية، أما شودن وإيونديل فكلاهما قليل الخبرة. كنت أرغب في تهدئتهم بينما نقرر أنا وكين ما يجب فعله. كنت أخشى أن تتمحور خططنا حول المزيد من... الأساليب الخطيرة.

ولكن الآن على أي حال هناك فرصة أخرى، إن نجحت خطتك. على الرغم من أنني ما زلت غير مقتنع من نجاحها. فربما نكون قادرين على تأجيل الانهيار لوقت أطول. أنا لست واثقًا، إن عشر سنوات من حُكم آيادون قد صنعت قوة دفع، سيكون من الصعب تغييرها في غضون بضعة أشهر فحسب".

قالت سارين: "أعتقد أن بإمكاننا فعلها يا رويال".

قال رويال وهو يتأملها: "فقط احرصي على ألا تتسرعي يا سيدتي الصغيرة، لا تجري إن لم يكن لديك سوى القوة للمشي، ولا تضيعي وقتك في دفع الجدران التي لن تتزحزح عن موضعها، والأهم من ذلك كله هو ألا تضربي عندما يكون التربيت كافيًا، لقد حاصرتني في الزاوية اليوم، ما زلت رجلًا عجوزًا معتزًّا بنفسه، إن لم ينقذني شودن فلا يُمكنني بصراحة أن أقول إنني كنت لأتواضع بما فيه الكفاية لأعترف بخطئي أمام كل هؤلاء الرجال".

**قالت سارين وقد احمر وجهها الآن لسبب آخر: "أنا آسفة". كان هناك شيء حيال هذا الدوق القوي. الذي يبدو كجد طيب. قد جعلها تشعر بحاجة ماسة لأن تنال احترامه.**

**قال رويال: "فقط كوني حذرة، إن كان هذا الجيورن خطيراً كما تزعمين فهناك بعض القوى العاتية التي تتصارع في كاي، لا تتركي أريلون تنسحق فيما بينها".**

**أومأت سارين برأسها فمال الدوق إلى الوراء وهو يصب آخر النبيذ في كأسه.**

# الفصل الثاني عشر

في بداية مسيرته المهنية وجد هراثن أنه من الصعب قبول اللغات الأخرى، كانت الفيوردية هي لغة جادث المختارة، إنها لغة مقدسة، بينما اللغات الأخرى دنسة. كيف يُمكن للمرء إذن أن يدعو إلى الدين أولئك الذين لا يتحدثون الفيوردية؟ هل على المرء أن يتحدث معهم بلغتهم، أم يجبر جميع المتضرعين على تعلم الفيوردية أولًا؟

لقد بدا من الحماقة أن تطلب من أمة كاملة أن تتعلم لغة جديدة قبل السماح لها بالسماع عن إمبراطورية جادث. لذا عندما أُجبر هراثن على حسم اختياره، ما بين الدنس أو تأجيل الدعوة إلى الأبد، اختار الدنس. لقد تعلم الحديث باللغة الآيونية والدولادية، بل وحتى تعلم القليل من الجيندوية. عندما يدعو إلى الدين فإنه يدعو الناس بلغتهم، ولكنه يعترف أن الأمر ما زال يزعجه، ماذا لو لم يعتنق الناس الدين؟ ماذا لو جعلتهم أفعاله يعتقدون أنهم لا يحتاجون إلى اللغة الفيوردية طالما بإمكانهم أن يؤمنوا بجادث بلغتهم الأصلية؟

هذه الأفكار والعديد مثلها قد جالت بخاطر هراثن بينما هو يدعو أهل كاي إلى الدين. لا يعني هذا أنه يفتقر إلى التركيز أو التفاني، ولكنه ببساطة قد ألقى نفس الخطب مرات عديدة، حتى حفظها عن ظهر قلب. كان يتحدث بشكل غير واعٍ تقريبًا، فيرفع صوته ويخفضه مع إيقاع الخطبة مؤديًا الفن القديم الذي كان ابنًا هجينًا للصلوات والمسرح.

عندما يحثهم يجيبونه بالهتاف، وعندما يستنكر كانوا ينظرون إلى بعضهم بعضًا. عندما يرفع صوته يركزون انتباههم، وعندما يخفضه إلى مجرد همس كان يأسرهم أكثر. بدا الأمر كما لو أنه يتحكم في أمواج المحيط نفسها، بينما العاطفة تتدفق عبر الحشد كمد مغطى بالزبد.

أنهى خطبته بموعظة مدهشة لخدمة مملكة جادث، أن يقسموا على أنفسهم أن يصير كل منهم أوديقًا أو كروندت لواحد من الكهنة في كاي، ومن ثم يصير جزءًا من السلسلة التي تربطهم مباشرة بالرب جادث. إن عامة الناس يخدمون الأراتثة والدورقين، والأراتثة والدورقين يخدمون الجرادورات، والجرادورات يخدمون الراجناتات، والراجناتات يخدمون الجيورنات، والجيورنات يخدمون الويرن، والويرن يخدم جادث. وحدهم الجراجدتات ـ قادة الأديرة ـ لا يكونون في السلسلة مباشرة. إنه نظام متقن، كل واحد يعرف من يجب عليه أن يخدم، ومعظمهم ليس بحاجة للقلق بشأن أوامر جادث، التي غالبًا ما تفوق فهمهم. كل ما عليهم فعله هو اتباع أراتثتهم وخدمتهم قدر المستطاع، وسيكون جادث مسرورًا بهم.

خطا هراثن هابطًا من على المنصة وهو يشعر بالرضا، إنه لا يُبشر في كاي إلا منذ بضعة أيام، ومع هذا كانت الكنيسة مكتظة بالفعل، حتى إن الناس اضطروا للاصطفاف في الخلف بمجرد أن امتلأت المقاعد. كان عدد قليل من الوافدين الجدد مهتمًا باعتناق الدين، أما معظمهم فقد جاء لأن وجود هراثن أمر غير معتاد فحسب، ومع ذلك فإنهم سيعودون، يُمكنهم أن يقولوا لأنفسهم إنهم يشعرون بالفضول فحسب، وإن اهتمامهم ليس له علاقة بهذا الدين، ولكنهم سيعودون.

مع زيادة شعبية الشو-ديريث في كاي سيشعر الأشخاص الذين يحضرون هذه الاجتماعات بأنهم مهمون بالتبعية، سيتفاخرون بأنهم اكتشفوا الشو-ديريث قبل جيرانهم بوقت طويل، ونتيجة لذلك سيتعين عليهم المواظبة على الحضور. إن فخرهم ـ ممتزجًا بخطب هراثن القوية ـ سيتغلب على شكوكهم، وسرعان ما سيجدون أنفسهم يقسمون بالخدمة أمام واحد من الأراتثة.

سيكون على هراثن أن يعين كبير أراتثة جديد وبسرعة. لقد أجل القرار لوقت طويل وهو ينتظر ليرى كيف يؤدي الكهنة المتبقون في الكنيسة مهامهم، ولكن الوقت ينفد، وسرعان ما

سيصير معتنقو الديانة المحليون كثيرين للغاية على أن يتذكرهم هراثن وينظمهم بنفسه، وخصوصًا مع كل التخطيط والتبشير الذي يجب عليه فعله.

كان الناس في الخلف قد بدأوا يتقاطرون إلى خارج الكنيسة، ولكن صوتًا مفاجئًا أوقفهم. نظر هراثن إلى المنصة في دهشة. كان من المفترض أن ينفض الاجتماع بانتهاء خطبته، ولكن شخصًا ما راودته فكرة مختلفة، لقد قرر ديلاف أن يتكلم.

كان الأريلي القصير يصرخ بكلماته بحماس متقد، وفي غضون بضع ثوانٍ صمت الحشد وعاد معظم الناس إلى مقاعدهم. لقد رأوا ديلاف يتبع هراثن، ومعظمهم على الأرجح يعرف أنه أرتيث، ورغم أن ديلاف لم يخاطبهم من قبل إلا أن ما فعله الآن جعل من المستحيل عليهم أن يتجاهلوه.

لقد خالف كل قواعد الخطابة، لم يبدل ما بين ارتفاع نبرة صوته وانخفاضها، ولم ينظر إلى أي واحد من الحشد في عينيه، ولم يتخذ وضعية وقوف منتصبة مهيبة تشي بأنه يسيطر على زمام الأمور. بدلًا من هذا راح يتقافز على المنصة جيئة وذهابًا بحيوية، وهو يلوح بيديه بحماس. كان وجهه مغطى بالعرق وعيناه متسعتان ومخيفتان.

وقد أصغوا إليه.

لقد أصغوا إليه باهتمام أكثر مما أولوه هراثن. كانوا يتبعون قفزات ديلاف المجنونة بأعينهم وقد أثارتهم حركاته غير التقليدية. كانت خطبة ديلاف تدور حول موضوع واحد؛ كراهية إيلانتريس. كان باستطاعة هراثن أن يشعر بتزايد الحماس الديني لدى الجمهور. كان شغف ديلاف محفزًا لهم، كالعفن الذي ينتشر بشكل خارج عن السيطرة بمجرد أن يجد مكانًا رطبًا لينمو فيه.

راقبه هراثن باهتمام، ورغمًا عنه أحس بالغيرة، فديلاف لم يتدرب في أعظم المدارس في الشرق مثل هراثن، ومع ذلك كان الكاهن القصير يمتلك شيئًا يفتقد إليه هراثن؛ الشغف.

لطالما كان هراثن رجلًا يحسب لكل شيء حسابه، إنه منظم وحريص ويولي التفاصيل اهتمامًا كبيرًا، وهي الأشياء التي تميز الشو-ديريث، كان هذا ما جذبه أولًا إلى الكهنوت؛ أسلوبها المعياري المنظم في الحكم، إلى جانب فلسفتها المنطقية. لم ينتابه الشك في الكنيسة ولو للحظة واحدة، شيء كهذا منظم على أكمل وجه يجب بالتأكيد أن يكون على الحق.

على الرغم من ولاء هراثن لم يشعر قط بما يعبر عنه ديلاف في هذه اللحظة. لم يشعر هراثن قط بكراهية شديدة تجعله يبكي، أو بحب شديد يجعله يخاطر بكل شيء يملكه. لطالما آمن أنه التابع المثالي لجادث، إن ربه يحتاج إلى العقلانية أكثر من حاجته إلى الحماسة الجامحة، ولكنه في هذه اللحظة بدأ يتساءل.

كان لديلاف نفوذ على هذا الجمهور أكثر من هراثن، ولم تكن كراهية ديلاف لإيلانتريس منطقية، بل كانت غير عقلانية وجامحة، ولكنهم لم يبالوا بهذا، يُمكن لهراثن أن يقضي سنوات يشرح لهم فوائد الشو-ديريث ولن يجني منهم رد فعل كهذا. جزء منه كان مستهزئًا، وهو يحاول أن يقنع نفسه أن قوة كلمات ديلاف لن تدوم، وأن شغف اللحظة سيضيع مع رتابة الحياة. ولكن الجزء الأكثر صدقًا منه كان ببساطة يشعر بالحسد. ما الخطأ الذي ارتكبه هراثن حتى إنه طيلة ثلاثين عامًا من خدمة مملكة جادث لم يشعر ولو لمرة واحدة بما يبدو أن ديلاف يشعر به في كل لحظة؟

وأخيرًا صمت الأرتيث، فظلت القاعة صامتة تمامًا لوقت طويل بعد انتهاء خطبة ديلاف، ثم اندلعت النقاشات وهم يتحدثون بحماس بينما يتقاطرون خارجين من الكنيسة. ترجل ديلاف من على المنصة بخطوات متعثرة، ثم انهار على أحد المقاعد بالقرب من مقدمة القاعة.

جاء صوت من وراء هراثن يقول: "كان هذا عملًا بارعًا". كان الدوق تيلري يراقب الخطبتين من مقصورة خاصة في جانب الكنيسة. "إن جعل الرجل القصير يتحدث بعدك كانت حركة

ماكرة يا هراثن. لقد انتابني القلق عندما رأيت الناس يشعرون بالملل، لقد أعاد الكاهن الشاب جذب انتباه الجميع".

أخفى هراثن انزعاجه من استخدام تيلري اسمه بدلًا من لقبه، سيكون هناك وقت آخر لفرض الاحترام لاحقًا. كما أنه منع نفسه من التعليق على افتراضه أن الجمهور أحس بالملل أثناء خطبته.

بدلًا من هذا قال هراثن: "إن ديلاف شاب نادر. هناك جانبان لكل حجة يا لورد تيلري، المنطقي والعاطفي، علينا أن نشن هجومنا من كل الجانبين إن أردنا الانتصار".

أومأ تيلري برأسه.

"إذن هل فكرت في عرضي؟".

تردد تيلري للحظة ثم أومأ برأسه مرة أخرى وقال: "إنه عرض مغرٍ يا هراثن، مغرٍ للغاية، لا أعتقد أن هناك رجلًا في أريلون يمكنه أن يرفضه، ولا حتى أنا".

"رائع، سأتواصل مع فيوردن، يجب أن نكون قادرين على البدء في غضون أسبوع".

أومأ تيلري برأسه فبدت الوحمة على عنقه في الظلال كأنها كدمة كبيرة. ثم أشار الدوق إلى خدمه الكثيرين وشق طريقه خارجًا من باب الكنيسة الجانبي، قبل أن يختفي في الشفق. راقب هراثن الباب ينغلق ثم اقترب من ديلاف الذي كان لا يزال متكومًا على المقعد.

قال: "كان هذا غير متوقع أيها الأرتيث، كان عليك أن تستشيرني أولًا".

قال ديلاف: "لم أخطط لهذا يا سيدي، لقد أحسست فجأة بالحاجة إلى الحديث، لم أفعل هذا إلا لخدمتك يا سيدي الهرودن".

قال هراثن باستياء: "بالطبع". كان تيلري محقًّا، فقد كانت إضافة ديلاف قيمة، أراد هراثن أن يوبخ الأرتيث، ولكنه لم يقدر على توبيخه. إن فعل هذا فسيكون مهملًا في خدمته للوين بألا يستخدم كل أداة تحت إمرته لتبديل دين الشعب الأريلي، وقد أثبت ديلاف أنه أداة مفيدة للغاية. سيحتاج هراثن إلى أن يتحدث الأرتيث في الاجتماعات التالية، مرة أخرى لم يترك له ديلاف اختيارًا.

قال هراثن بلا مبالاة محسوبة: "حسنًا، ما حدث قد حدث، ويبدو أن الناس قد أحبوا هذا، ربما سأسمح لك بالحديث مرة أخرى في وقت آخر. ولكن يجب ألا تنسى مرتبتك أيها الأرتيث، أنت أوديقي، ويجب ألا تتصرف ما لم آمرك بهذا على وجه التحديد، هل هذا مفهوم؟".

"مفهوم تمامًا يا سيدي هراثن".

***

أغلق هراثن باب حجرته الشخصية بهدوء. لم يكن ديلاف هناك، لا يُمكن أن يسمح له هراثن برؤية ما على وشك أن يحدث. لا يزال هراثن يشعر بأنه يتفوق على الكاهن الأريلي الشاب في هذا الأمر. لن يتمكن ديلاف أبدًا من أن يترقى إلى أعلى مراتب الكهنوت، لذا لن يتمكن أبدًا من رؤية ما يوشك هراثن على فعله؛ شيء لا يعرفه سوى الجيورنات والوين.

جلس هراثن في كرسيه بهدوء، وهو يعد نفسه. بعد نصف ساعة فحسب من التأمل شعر بالسيطرة الكافية لكي يبدأ في التصرف. أخذ هراثن نفسًا محسوبًا ثم تحرك ناحية الصندوق الكبير في ركن حجرته. كان يعلوه كومة من المفروشات المطوية ملفوفة بعناية لإخفاء شيء ما. حرَّك هراثن المفروشات بتوقير، ثم مد يده أسفل قميصه ليخرج السلسلة الذهبية التي تطوق عنقه، في نهاية السلسلة كان هناك مفتاح صغير، استخدمه لفتح الصندوق كاشفًا عن محتوياته؛ علبة معدنية صغيرة.

كانت العلبة بحجم أربعة كتب متراصة، وكانت ثقيلة في يدي هراثن وهو يرفعها من الصندوق. كانت جوانبها مصنوعة من أفضل أنواع الفولاذ، وفي مقدمتها قرص صغير وعدة روافع دقيقة، لقد صمم هذه الآلية أفضل صانعي الأقفال في سفوردن، لا يعرف الطريقة الصحيحة من التدوير والثني التي تفتح هذه العلبة إلا هراثن والويرن.

أدار هراثن القرص وضغط الروافع في نمط قد حفظه بعد فترة قصيرة من تعيينه في منصب الجيورن. هذه الطريقة لم تُكتب قط، إن اكتشف أي شخص خارج دائرة الكهنوت الداخلية ما يوجد بداخل هذه العلبة فسيكون هذا مصدر حرج شديد للشو-ديريث.

أصدر القفل تكة فجذب هراثن الجزء العلوي بيد ثابتة. كان هناك كرة متوهجة صغيرة تنتظر بصمت في الداخل.

سألت السيون بصوت أنثوي ناعم: "هل تحتاج إليَّ يا سيدي؟".

قال هراثن آمرًا: "اصمتي! أنتِ تعرفين أنه لا يجب عليكِ أن تتحدثي".

تمايلت كرة الضوء في خضوع، لقد مرت أشهر منذ آخر مرة فتح فيها هراثن الصندوق، ولكن السيون لم تُظهر أي أمارات على التمرد. يبدو أن هذه المخلوقات - أيًّا كانت طبيعتها - مطيعة بدون كلل أو ملل.

كانت السيونات هي أعظم صدمة لهراثن بعد تكريسه جيورنًا. هذا لا يعني أنه كان مندهشًا عندما اكتشف أن المخلوقات حقيقية، فرغم أن الكثيرين في الشرق يعدون السيونات أساطير آيونية، إلا أن هراثن قد تعلم بمرور الوقت أن هناك... أشياء في العالم لا يفهمها عامة الناس. لا تزال ذكريات تدريباته المبكرة في دير داخور تجعله يرتجف خوفًا.

لا، كانت دهشة هراثن هي اكتشاف أن الويرن يوافق على استخدام السحر الوثني لتعزيز إمبراطورية جادث. لقد شرح الويرن بنفسه ضرورة استخدام السيونات، ولكن هراثن احتاج

لسنوات حتى يتقبل الفكرة. في النهاية أقنعه المنطق، فمثلما كان من الضروري في بعض الأحيان أن يتحدث باللغات الوثنية لكي يبشر بإمبراطورية جادث، كان هناك حالات تثبت فيها فنون العدو قيمتها.

بالطبع أولئك فقط الذين يمتلكون أكبر قدر من ضبط النفس والقداسة يُمكنهم استخدام السيونات دون أن يتدنسوا. يستخدمها الجيورنات للاتصال بالويرن عندما يكونون في بلد بعيد، ويفعلون هذا على فترات متباعدة. كان الاتصال الفوري عبر هذه المسافات أداة تستحق ثمنها.

قال هراثن آمرًا: "صليني بالويرن".

امتثلت السيون وهي تطفو لأعلى قليلًا، مستخدمة قدراتها للبحث عن سيون الويرن المخفي، السيون الذي يُراقبه طيلة الوقت، خادم أخرس، واجبه المقدس الوحيد هو مراقبة المخلوق.

نظر هراثن إلى السيون وهو ينتظر. كانت السيون تطفو في صبر، لطالما بدت مطيعة، في الواقع لا يبدو أن الجيورنات الآخرين يشككون في ولاء هذه المخلوقات. يزعمون أن جزءًا من سحر السيونات هو أن يكونوا مخلصين لسادتهم حتى لو كان هؤلاء السادة يكرهونهم.

لم يكن هراثن واثقًا تمامًا، يُمكن للسيونات أن يتواصلوا مع الآخرين من نوعهم، ويبدو أنهم لا يحتاجون إلى نفس القدر من النوم كالبشر. ما الذي يفعله السيونات بينما سادتهم نائمون؟ أي أسرار يناقشونها؟ في وقت من الأوقات كان معظم نبلاء دولادل وأريلون وتيود وحتى جيندو يحتفظون بالسيونات. كم عدد الأسرار الحكومية التي شاهدتها هذه الكرات الطافية الخاضعة في تلك الأيام، وربما تبادلت النميمة عنها؟

هز رأسه، من الجيد أن تلك الأيام قد ولَّت، لقد نفر الناس منها بسبب ارتباطها بإيلانتريس التي انهارت، وقد منع تكاثرها ضياع سحر إيلانتريس، لذا أصبحت السيونات أكثر ندرة بمرور

الوقت. يشك هراثن في أنه سيرى السينوات تحوم بحرية مرة أخرى بمجرد أن تغزو فيوردن الشرق.

تموج سيونه كالماء ثم تشكل على وجه الويرن، ثم راحت الملامح النبيلة الصارمة تتأمل هراثن.

قال صوت الويرن عبر السيون: "أنا هنا يا بني".

قال هراثن وهو يحني رأسه: "مولاي العظيم وسيدي، نبي جادث، والإمبراطور المبارك بنوره".

"تحدث يا أوديڤي".

"لدي عرض يتعلق بواحد من سادة أريلون، سيد عظيم...".

# الفصل الثالث عشر

صاح رايودن: "ها هو ذا! تعالَ هنا يا جالادون".

رفع الرجل الدولادي الضخم حاجبيه ووضع كتابه جانبًا ثم اعتدل واقفًا في استرخاء ومشى متمهلًا ناحية رايودن وهو يقول: "ما الذي عثرت عليه يا سول؟".

أشار رايودن إلى الكتاب غير المغلف الموضوع أمامه. كان جالسًا في الكنيسة الكوراثية السابقة التي صارت مركز عملياتهم. كان جالادون لا يزال مصممًا على الحفاظ على سرية مكتبته الصغيرة المليئة بالكتب، لذا أصر على أن تُحمل الكتب المطلوبة إلى الكنيسة بدلًا من السماح لأي شخص بدخول ملاذه الشخصي.

قال جالادون محتجًا وهو ينظر إلى الكتاب: "لا يُمكنني قراءة هذا يا سول، إنه مكتوب بالكامل بالأحرف الآيونية".

قال رايودن: "هذا ما يجعلني أشعر بالريبة".

سأله جالادون: "هل يمكنك قراءته؟".

قال رايودن مبتسمًا: "لا، ولكن لديَّ هذا". ثم مد يده وجذب كتابًا مشابهًا غير مغلف، مغطاة صفحاته بلطخات وسخ إيلانتريس. "إنه قاموس للأحرف الآيونية".

تفحص جالادون الكتاب الأول بعين ناقدة ثم قال: "أنا لا أعرف حتى عُشر الأحرف الآيونية في هذه الصفحة يا سول. هل لديك أدنى فكرة عن الوقت الذي ستستغرقه ترجمتها؟".

هز رايودن كتفيه وقال: "هذا أفضل من البحث عن دلائل في الكتب الأخرى. إن قرأت أي كلمة عن المناظر الطبيعية في فيوردن فسأُصاب بالغثيان يا جالادون".

تنهد جالادون موافقًا، أيًّا كان من امتلك هذه الكتب قبل الريود فقد كان عالمًا في الجغرافيا، فنصف الكتب على الأقل تتناول هذا الموضوع.

سأل جالادون: "هل أنت واثق من أن هذا هو الكتاب الذي نحتاج إليه؟".

قال رايودن وهو يشير إلى آيون على صفحة من صفحات الكتاب الأولى: "لقد تلقيت القليل من التدريب على قراءة النصوص الآيونية الخالصة. هذا يقول آيوندور".

أومأ جالادون برأسه وقال: "هذا صحيح يا سول، ولكني لا أحسدك على هذه المهمة. كانت الحياة لتصير أبسط بكثير إن لم يستغرق قومك وقتًا طويلًا لابتكار أبجدية، كولو؟".

قال رايودن: "كانت الآيونات أبجدية، ولكنها أبجدية معقدة تمامًا، لن يستغرق هذا وقتًا طويلًا كما تظن، سأتذكر ما تعلمته بعد وقت قصير".

"أحيانًا تكون متفائلًا إلى حد يثير الغثيان يا سول. أفترض أنه يجب علينا إعادة الكتب الأخرى إلى الموضع الذي جلبناها منه؟". كان هناك شيء من القلق في صوت جالادون، فالكتب عزيزة عليه، وقد استغرق رايودن ساعة كاملة من الجدال لكي يقنع الرجل الدولادي بأن يسمح له بانتزاع أغلفتها، ويُمكنه أن يرى كم أن الرجل الضخم منزعج من تعرض الكتب لأوساخ إيلانتريس وأتربتها.

قال رايودن: "لا بأس بهذا". لم تكن أي من الكتاب الأخرى متعلقة بالآيوندور، وبينما بعضها كان عبارة عن تأريخات أو سجلات أخرى يُمكنها أن تحمل بعض الأدلة، إلا أن رايودن كان يشك أن أيًّا منها سيكون مفيدًا مثل الكتاب الموضوع أمامه، بافتراض أنه سينجح في ترجمته.

أومأ جالادون برأسه وبدأ يجمع الكتب، ثم رفع رأسه لأعلى لينظر في تخوف عندما جاء صوت احتكاك من السقف. كانت جالادون مقتنعًا بأن المبنى كله سينهار عاجلًا أو آجلًا، ولا مفر من أن يسقط على رأسه الأسود اللامع.

قال رايودن: "لا تقلق كثيرًا يا جالادون، إن ماري وريل يعرفان ما يفعلانه".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "لا، لا يعرفان يا سول. أتذكر أن أيًّا منهما لم يكن لديه فكرة عما يجب أن يفعله قبل أن تجبرهما على فعل الأمر".

قال رايودن: "بل أقصد أن لديهما الكفاءة". ثم نظر لأعلى في رضا، لقد اكتمل جزء كبير من السقف بعد ستة أيام من العمل. لقد ابتكر ماريش مزيجًا يُشبه الصلصال من الخشب وقصاصات الورق والتربة ووحل إيلانتريس الموجود في كل مكان. بإضافة هذا المزيج إلى عوارض الدعم المتداعية وبعض قصاصات القماش الأقل تعفنًا فإنه قد صنع مواد لصنع سقف، إن لم يكن أفضل شيء فإنه على الأقل شيء مناسب.

ابتسم رايودن، كان الألم والجوع موجودين دومًا، ولكن الأمور كانت تجري على ما يرام، حتى إنه كاد أن ينسى ألم كدماته وجروحه. كان باستطاعته أن يرى عبر النافذة الموجودة إلى يمينه أحدث الأفراد المنضمين إلى فرقته؛ لورين. كان الرجل يعمل في المنطقة الكبيرة المجاورة للكنيسة، التي على الأرجح كانت ذات يوم حديقة، كان الرجل يتحرك وفقًا لأوامر رايودن، ومزودًا بقفاز جلدي قد صُنع للتو، فينقل الأحجار ويزيح النفايات ليكشف عن التراب الناعم من تحتها.

تتبع جالادون نظرة رايودن عبر النافذة ثم سأله: "ما النفع الذي سيعود علينا من هذا؟".

قال رايودن بابتسامة متكتمة: "سترى".

زفر جالادون وهو يحمل كومة من الكتب بين ذراعيه قبل أن يُغادر الكنيسة. كان الرجل الدولادي مُحقًّا في شيء واحد؛ ليسوا قادرين على الاعتماد على أن يُلقى بالإيلانتريين الجدد إلى داخل المدينة بالسرعة التي توقعها رايودن في بداية الأمر. قبل اليوم الذي وصل فيه لورين مرت خمسة أيام عصيبة دون حتى أن ترتجف بوابة المدينة. كان رايودن محظوظًا بالعثور على ماريش والآخرين في مثل هذه الفترة القصيرة.

قال صوت متردد: "لورد سبيريت؟".

نظر رايودن إلى مدخل الكنيسة ليجد رجلًا غير مألوف ينتظر أن يلاحظ رايودن وجوده. كان نحيفًا وبظهرٍ منحنٍ وتحيط به هالة من الاعتياد على الخضوع. لم يكن رايودن قادرًا على تحديد عمره على وجه اليقين، فالشايود يجعل المرء يبدو أكبر سنًّا مما هو عليه في الواقع. ولكن كان لدى رايودن شعور بأن العمر البادي على الرجل حقيقي، إن كان رأسه لا يزال محتفظًا بأي شعر لكان أبيض اللون، وكان جلده قد تغضن لوقت طويل قبل أن يُصيبه الشايود.

سأله رايودن باهتمام: "أجل؟ ما الذي يُمكنني فعله من أجلك؟".

قال الرجل: "سيدي...".

قال رايودن ليحثه على الحديث: "فلتتكلم".

"لقد سمعت بعض الأشياء يا مولاي، وكنت أتساءل إن كان بمقدوري الانضمام إليكم".

ابتسم رايودن وهو يعتدل واقفًا ويسير ناحية الرجل قائلًا: "يُمكنك الانضمام إلينا بالتأكيد. ما الذي سمعته؟".

"حسنًا...". كان الإيلانتري العجوز يتململ في توتر. "بعض الناس في الشوارع يقولون إن هؤلاء الذين يتبعونك لا يعانون نفس القدر من الجوع، يقولون إن لديك سرًّا يجعل الألم يختفي.

لقد مضى عليَّ في إيلانتريس ما يقرب من عام حتى الآن، ولا أكاد أتحمل إصاباتي. فكَّرت أنه ربما يمكنني أن أمنحك فرصة أو أن أذهب لأجد لنفسي بالوعة وأنضم للهويد".

أومأ رايودن برأسه وهو يربت على كتف الرجل. كان لا يزال يشعر بالألم الحارق في إبهام قدمه، لقد صار أكثر اعتيادًا على الألم، ولكنه لا يزال هناك، مصحوبًا بالجوع الذي ينهش معدته. "أنا مسرور لقدومك، ما اسمك؟".

"كاهار يا سيدي".

"حسنًا إذن يا كاهار، ما الذي كنت تفعله قبل أن يُصيبك الشايود؟".

شردت عينا كاهار كأنه يعود بعقله إلى زمن بعيد. "كنت عامل نظافة يا سيدي، أعتقد أنني كنت أغسل الشوارع".

"ممتاز! كنت أنتظر شخصًا له مهارتك هذه. هل أنت هناك يا ماريش؟".

"أجل يا سيدي". أجابه الحرفي النحيل من إحدى الحجرات في المؤخرة، ثم برز رأسه بعدها بلحظة.

"هل تصادف وأن التقطت أي من المصائد التي نصبتها بعض أمطار الليلة الماضية؟".

قال ماريش باعتزاز: "بالطبع يا سيدي".

"حسنًا، فلتُرِ كاهار مكان الماء".

قال ماريش: "سمعًا وطاعة". ثم أشار إلى كاهار أن يلحق به.

سأله كاهار: "ما الذي أفعله بالماء يا سيدي؟".

قال رايودن: "لقد حان الوقت لكي نتوقف عن العيش في القذارة يا كاهار، هذا الوحل الذي يغطي إيلانتريس يُمكن تنظيفه. لقد رأيت مكانًا نُظِّف من الوحل. خذ وقتك ولا تُرهق نفسك، ولكن فلتنظف المبنى من الداخل والخارج، اكشط كل بقعة من الوحل، واغسل كل أثر للأوساخ".

سأله كاهار في أمل: "وبعدها ستُريني السر؟".

"ثق بي".

أومأ كاهار برأسه ثم لحق بماريش خارجًا من الحجرة. تلاشت ابتسامة رايودن مع رحيل الرجل، كان يرى أن أصعب جزء من القيادة هنا في إيلانتريس هو أن يُحافظ على مظهر التفاؤل الذي يسخر منه جالادون. هؤلاء الناس. حتى الوافدون الجدد. قد اقتربوا إلى حد خطير من فقدان الأمل. إنهم يظنون أنفسهم ملعونين ويفترضون أنه لا شيء لا يُمكن أن ينقذ أرواحهم من التعفن مثل إيلانتريس نفسها. كان على رايودن أن يتغلب على سنوات من التكيف مع قوى الألم والجوع الحاضرة دومًا.

لم يعتبر نفسه من قبل شخصًا مفرطًا في البهجة، ولكن هنا في إيلانتريس وجد رايودن نفسه يتفاعل مع جو اليأس بتفاؤل عنيد، وكلما ازدادت الأمور سوءًا ازداد عزمًا على أن يواجهها دون تذمر. ولكن إجبار نفسه على البهجة قد أنهكه. كان بمقدوره أن يشعر أن الآخرين يعتمدون عليه، بما فيهم جالادون. كان رايودن وحده من بين كل الناس في إيلانتريس الذي لا يقدر على ترك ألمه يظهر عليه. كان الجوع ينهش أحشاءه كحشد من الحشرات تحاول أن تهرب من الداخل، وألم عدة إصابات كان يضرب عزيمته بلا هوادة.

لم يكن واثقًا إلى متى يُمكنه الصمود، بعد قرابة أسبوع ونصف في إيلانتريس كان يُعاني بالفعل من ألم شديد، حتى إنه أحيانًا ما يجد صعوبة في التركيز. إلى متى يُمكنه أن يصمد قبل أن يتهاوى

جسده؟ أو قبل أن ينحدر إلى مستوى رجال شايور الحيواني؟ كان هناك سؤال مخيف أكثر من البقية؛ كم عدد الناس الذين سيسقطون معه عندما يسقط؟

ومع ذلك كان عليه أن يتحمل هذا العبء، إن لم يقبل المسئولية فلن يقبلها أي شخص آخر، وسيصير هؤلاء الناس عبيدًا، إما لآلامهم، وإما للمجرمين في الشوارع. إن إيلانتريس بحاجة إليه، وإن كان هذا سيستنزفه فليكن.

ناداه صوت محموم: "لورد سبيريت!".

نظر رايودن إلى سايولين وهو يندفع في قلق إلى الحجرة. كان المرتزق ذو الأنف الخطافي قد صنع رمحًا من قطعة من خشب شبه متعفن وحجر حاد، وكان يُجري دوريات مراقبة في المنطقة المحيطة بالكنيسة. كان وجه الرجل الإيلانتري المشوه بالندوب قد تجعَّد بفعل القلق.

سأله رايودن في انتباه: "ما الأمر يا سايولين؟". كان الرجل جنديًّا متمرسًا، وليس من السهل إصابته بالاضطراب.

"مجموعة من الرجال قادمون من هذا الطريق يا سيدي، لقد عددت اثني عشر منهم، وهم يحملون أسلحة فولاذية".

قال رايودن: "فولاذية؟ في إيلانتريس؟ لم أكن أُدرك أن هناك أي فولاذ يُمكن العثور عليه".

قال سايولين: "إنهم قادمون بسرعة يا سيدي، ماذا نفعل؟ لقد أوشكوا على الوصول".

قال رايودن بينما مجموعة من الرجال يشقون طريقهم عبر مدخل الكنيسة المفتوح: "لقد وصلوا بالفعل". كان سايولين محقًّا؛ العديد منهم يحملون أسلحة فولاذية، رغم أن النصال كانت متكسرة وصدئة. كانت وجوههم متجهمة وهيئتهم غير سارة، ويتقدمهم شخصية مألوفة، أو على الأقل مألوفة من بعيد.

قال رايودن: "كاراتا". كان من المفترض أن يكون لورين من نصيبها في ذلك اليوم، ولكن رايودن سرقه. يبدو أنها قد جاءت لتقدم شكوى، كان هذا سيحدث لا محالة إن عاجلًا أو آجلًا.

نظر رايودن ناحية سايولين الذي كان يتقدم ببطء للأمام كأنما هو متلهف لتجربة رمحه البدائي ثم قال آمرًا: "اثبت في مكانك يا سايولين".

كانت كاراتا صلعاء تمامًا، من أثر الشايود، وقد مكثت في المدينة لوقت طويل حتى إن بشرتها قد بدأت تتجعد، ومع ذلك كانت تشمخ بأنفها في كبرياء بعينين حازمتين، عيني شخص لم يستسلم للألم، ولن يستسلم في أي وقت قريب. كانت ترتدي ثوبًا أسود مصنوعًا من جلد ممزق، كان جيد الصنع بالنسبة لإيلانتريس.

جالت كاراتا بنظرها في أرجاء الكنيسة، وتفحصت السقف الجديد، ثم أفراد فرقة رايودن الذي اجتمعوا خارج النافذة ليراقبوا الأمر في تخوف. كان ماريش وكاهار واقفين بلا حراك في مؤخرة الحجرة، وأخيرًا نظرت كاراتا إلى رايودن.

كان هناك لحظة من الصمت المتوتر، ثم التفتت إلى أحد رجالها وقالت: "دمروا المبنى واطردوهم منه وحطموا بعض العظام". ثم دارت على عقبيها لتغادر المكان.

قال رايودن بهدوء: "يُمكنني أن أُدخلك إلى قصر آيادون".

تجمدت كاراتا في موضعها.

سألها رايودن: "هذا ما تريدينه، أليس كذلك؟ لقد أمسك بك حراس مدينة إيلانتريس في كاي، لن يتحملوكِ إلى الأبد، فهم يحرقون الإيلانتريين الذين يهربون كثيرًا. إن كنتِ حقًّا تريدين دخول القصر فأنا يُمكنني أن آخذكِ إلى هناك".

نظرت إليه كاراتا في شك ثم قالت: "لن نتمكن من الخروج من المدينة أبدًا، لقد ضاعفوا الحراسة مؤخرًا، شيء له علاقة بتحسين المظهر العام من أجل زفاف ملكي، لم أتمكن من الخروج منذ شهر".

وعدها رايودن قائلًا: "يُمكنني أن أُخرجك من إيلانتريس أيضًا".

ضيقت كاراتا عينيها وهي تنظر إليه في ريبة، لم يكن هناك أي مناقشة بشأن الثمن، كلاهما يعرف أن رايودن لا يُمكنه أن يطلب سوى شيء واحد؛ تركه وشأنه. وأخيرًا قالت: "أنت يائس".

"هذا صحيح، ولكني أيضًا شخص يجيد انتهاز الفرص".

أومأت كاراتا برأسها ببطء وقالت: "سأعود بحلول الليل، ستفي بما وعدت به أو سيكسر رجالي عظام كل شخص هنا ويتركونهم يتعفنون في عذابهم".

"فهمت".

***

"سول، أنا...".

قال رايودن بابتسامة شاحبة: "أنت لا تعتقد أن هذه فكرة جيدة. أجل، أعرف هذا يا جالادون".

قال جالادون: "إيلانتريس مدينة كبيرة، هناك الكثير من الأماكن التي يمكننا الاختباء بها، ولن يعثر علينا أحد، حتى كاراتا. لا يُمكنها أن تنشر رجالها على نطاق واسع وإلا فسيهاجمها شايور وآندين، كولو؟".

سأله رايودن: "أجل، ولكن ماذا بعد ذلك؟". كان يجرب قوة حبل قد صنعه ماريش من بعض قصاصات القماش، وبدا أنه سيتحمل وزنه. "لن تعثر علينا كاراتا، ولكن لن يعثر علينا أي شخص آخر، لقد بدأ الناس يدركون أخيراً أننا هنا، إن انتقلنا الآن فلن يزداد عددنا أبدًا".

بدا جالادون حزينًا وهو يقول: "وهل يجب أن يزداد عددنا يا سول؟ هل يجب عليك أن تبدأ عصابة أخرى؟ ألا يكفينا ثلاثة زعماء عصابات؟".

توقف رايودن ونظر إلى الدولادي الضخم في قلق وقال: "هل تعتقد أن هذا ما أفعله حقًّا يا جالادون؟".

"لا أعرف يا سول".

قال رايودن بصراحة: "أنا لا أطمع في السلطة يا جالادون، أنا قلق بشأن الحياة وليس فقط النجاة. الحياة يا جالادون. هؤلاء الناس أموات لأنهم قد استسلموا، وليس لأن قلوبهم لم تعد تنبض، وأنا سأغير هذا".

"هذا مستحيل يا سول".

قال رايودن وهو يلف الحبل حول ذراعه: "وكذلك إدخال كاراتا إلى قصر آيادون. سأراك عندما أعود".

***

سألت كاراتا في ريبة: "ما هذا؟".

قال رايودن وهو يطل من فوق الجدار الحجري الخفيض لبئر إيلانتريس الوحيدة: "مخرجنا". كانت البئر عميقة، ولكنه كان قادرًا على سماع الماء يتحرك بالظلمة في الأسفل.

"هل تتوقع منا أن نسبح حتى نخرج من المدينة؟".

قال رايودن وهو يربط حبل ماريش بقضيب معدني صدئ يبرز من جانب البئر: "لا، سنترك التيار يحملنا معه، إنه أشبه بالطفو لا السباحة".

"هذا جنون، هذا النهر يجري تحت الأرض، سنغرق".

قال رايودن: "لا يُمكننا أن نغرق، وكما يقول صديقي جالادون دومًا؛ نحن موتى بالفعل، كولو؟".

لم تبدُ كاراتا مقتنعة.

قال رايودن مفسرًا: "إن نهر أريديل يجري تحت إيلانتريس مباشرة، ويستمر حتى كاي، إنه يدور حول المدينة ويتجاوز القصر، كل ما علينا فعله هو أن نتركه يسحبنا معه. لقد حاولت بالفعل أن أكتم أنفاسي، وقد أمضيت نصف ساعة كاملة دون أن أشعر بالألم في رئتيّ، إن دماءنا لم تعد تتدفق، لذا فإن السبب الوحيد الذي نحتاج إلى الهواء من أجله هو أن نتكلم".

قالت كاراتا محذرة: "هذا قد يدمر كلينا".

هز رايودن كتفيه وقال: "الجوع سيدمر كلينا في غضون بضعة أشهر على أي حال".

ابتسمت كاراتا ابتسامة شاحبة وقالت: "حسنًا يا سبيريت فلتذهب أولًا".

قال رايودن: "بكل سرور". ولكنه لم يكن مسرورًا على الإطلاق لفعل الأمر، ومع ذلك كانت هذه فكرته. هز رايودن رأسه في أسى، ثم قفز من فوق السور وبدأ يتدلى إلى الأسفل. انتهى الحبل قبل أن يلمس الماء، لذا أخذ نفسًا عميقًا ـ غير ذي جدوى ـ قبل أن يتخلى عن الحبل.

ارتطم جسده بماء النهر الذي كان شديد البرودة. هدد التيار بسحبه بعيدًا ولكنه تشبث على الفور بصخرة ليثبت نفسه في موضعه منتظرًا كاراتا، سرعان ما تردد صوتها في الظلمة أعلاه.

"سبيريت؟".

"أنا هنا، أنتِ على ارتفاع عشرة أقدام فوق الماء فحسب، سيكون عليك أن تتخلي عن الحبل لتسقطي في الماء".

"وماذا بعدها؟".

"وبعدها يستمر النهر تحت الأرض، يُمكنني أن أشعر به يجذبني الآن، فقط علينا أن نأمل أن يكون واسعًا بما يكفي طوال الطريق، وإلا فسينتهي بنا الأمر محشورين إلى الأبد تحت الأرض".

قالت كاراتا في توتر: "كان عليك أن تذكر هذا قبل أن أهبط إلى هنا". ومع ذلك سرعان ما سمع صوت ارتطام بالماء تلاه تأوه خافت، انتهى بغرغرة بينما شيء ما يندفع عبر التيار متجاوزًا رايودن.

تمتم رايودن بصلاة لدومي الرحيم، ثم تخلى عن الصخرة وترك النهر يسحبه تحت سطحه غير المرئي.

***

كان رايودن مضطرًا بالفعل للسباحة، كانت الفكرة هي أن يُبقي نفسه في منتصف النهر لكيلا يرتطم بجدران النفق الصخرية، بذل قصارى جهده وهو يتحرك عبر الظلمة مستخدمًا ذراعيه الممدودتين للمحافظة على موضعه، لحسن الحظ كانت الصخور قد صارت ناعمة بمرور الزمن، حتى إنها كانت تصيبه بالرضوض لا الجروح.

مر دهر من الصمت في هذا العالم السفلي الصامت، فأحس كأنما يطفو عبر الظلمة ذاتها، غير قادر على أن يتحدث وهو يشعر بالوحدة تمامًا. ربما هذا ما يشعر به المرء عند موته، أن روحه تطفو عبر فراغ مظلم لا نهائي.

تغير التيار وصار يجذبه لأعلى، فحرَّك ذراعيه مستعدًّا للارتطام بالسقف الحجري، ولكن لم يكن هناك أي مقاومة، بعد لحظة وجيزة خرج رأسه إلى الهواء وصفعت الرياح الباردة وجهه. رمش بعينيه في حيرة بينما يحاول تركيز بصره. كانت النجوم والمصابيح المتفرقة في الشارع تمنح ضوءًا خافتًا، ولكن هذا كان كافيًا لكي يستعيد إحساسه بالمكان، وربما حتى لاستعادة عقله.

راح يطفو بأدنى قدر من المجهود، وقد ازداد النهر اتساعًا بعدما صعد إلى السطح، وتباطأ التيار بوضوح. أحس بشيء يقترب منه في الماء فحاول أن يتكلم، ولكن رئتيه كانتا مليئتين بالماء، فانفجر في نوبة عالية لا إرادية من السعال.

وُضعت يد على فمه فانكتم سعاله بصوت متحشرج.

قالت كاراتا بحدة: "اصمت أيها الأحمق!".

أومأ رايودن برأسه وهو يبذل مجهودًا كبيرًا ليمنع نفسه من السعال. ربما كان عليه أن يركز أقل على التعبيرات المجازية اللاهوتية، وأن يركز أكثر على إبقاء فمه مغلقًا.

أبعدت كاراتا يدها عن فمه ولكنها ظلت متشبثة بكتفه، ليظلا معًا بينما هما ينجرفان عبر مدينة كاي. كانت المتاجر مغلقة أثناء الليل، ولكن من آن لآخر يظهر حارس يجوب الشوارع في دورية حراسة. واصل الاثنان الانجراف في صمت حتى وصلا إلى الحافة الشمالية الغربية للمدينة، حيث يبزغ قصر آيادون في ظلمة الليل. وبعدها دون أن يتبادلا أدنى كلمة سبحا إلى الضفة المجاورة للقصر.

كان القصر صرحًا مظلمًا كئيبًا، تجسيدًا لنقطة الضعف الوحيدة لدى آيادون، لم يكن والد رايودن من النوع الذي يخاف كثيرًا، بل في الواقع عادة ما يكون جريئًا عندما يكون التخوف هو الحكمة. هذه الصفة قد أكسبته ثروة كرجل أعمال يُتاجر مع الفيورديين، ولكنها جلبت له الفشل كملك، كان آيادون مُصابًا بجنون الارتياب تجاه شيء واحد، وهو النوم. كان الملك مرعوبًا من فكرة أن المغتالين قد يتسللون بطريقة ما ويقتلونه أثناء نومه. يتذكر رايودن جيدًا تمتمات والده غير المنطقية بشأن هذا الموضوع كل ليلة قبل النوم. إن مخاوف المُلك قد جعلت حالة آيادون تتفاقم، مما جعله يعزز بيته الذي يُشبه القلعة بكتيبة من الحراس. يقطن الجنود بالقرب من جناح آيادون الخاص، لتسهيل سرعة الاستجابة لأي شيء.

همست كاراتا في ريبة وهي تراقب الحرس يقطعون الأسوار: "حسنًا، لقد أخرجتنا من المدينة، والآن عليك أن تدخلنا القصر".

أومأ رايودن برأسه محاولًا أن يجفف رئتيه في صمت قدر الإمكان، وهو الأمر الذي لم يتمكن من تحقيقه سوى بقدر كبير من القيء المكتوم.

نصحته كاراتا قائلة: "حاول ألا تسعل كثيرًا، ستهيج حلقك، وسيؤلمك صدرك، وبعدها ستقضي الأبدية وأنت تشعر كأنك مصاب بالبرد".

تأوه رايودن ثم وقف على قدميه وهو يقول بصوت مبحوح: "علينا أن نتوجه إلى الجانب الغربي".

أومأت كاراتا برأسها ومشت بصمت وبسرعة كبيرة حتى إن رايودن لم يقدر على مجاراتها، كأنما هي معتادة على الخطر.

توقفت عدة مرات بينما ترفع يدها في تحذير لتمنع تقدمهما، قبل أن يظهر مجموعة من الحراس من الظلام. جعلتهما براعتها يصلان إلى الجانب الغربي من قصر آيادون دون أن يقعا في المتاعب، على الرغم من افتقار رايودن إلى المهارة.

سألته في صوت خافت: "ماذا نفعل الآن؟".

توقف رايودن وقد خطر له سؤال؛ لماذا تريد كاراتا أن تدخل القصر؟ بحسب ما سمعه رايودن عنها فهي ليست من النوعِ الذي يسعى إلى الانتقام، إنها متوحشة ولكنها ليست انتقامية، لكن ماذا لو كان مخطئًا؟ ماذا لو كانت تريد قتل آيادون؟

سألته كاراتا: "ماذا؟".

قرر أنه لن يدعها تقتل والده، بغض النظر عن كونه ملكًا سيئًا، إلا أنه لن يسمح لها بهذا. "يجب عليكِ أن تجيبيني عن شيء ما أولًا".

سألته وقد بدت منزعجة بوضوح: "الآن؟".

أومأ رايودن برأسه وقال: "أُريد أن أعرف لماذا تريدين دخول القصر؟".

عقدت حاجبيها في الظلام وقالت: "لست في موضع يسمح لك بطرح الأسئلة".

قال رايودن: "وأنتِ لستِ في موقف يسمح لكِ برفض هذا، كل ما عليَّ فعله هو أن أنبه الحراس وسيمسكون بنا".

انتظرت كاراتا في صمت في الظلمة، ومن الواضح أنها تحاول أن تتحقق إن كان سيفعل هذا أم لا.

قال رايودن: "اسمعي، أخبريني بشيء واحد؛ هل تنوين إيذاء الملك؟".

حدقت كاراتا إلى عينيه ثم هزَّت رأسها وقالت: "مشكلتي ليست معه".

فكَّر رايودن؛ *هل يجب عليَّ أن أصدقها أم لا؟ هل يجب عليَّ الاختيار؟*

مد يده وجذب رقعة من النباتات التي تغطي السور، ثم ألقى بثقله على أحد الأحجار. غاص الحجر في السور مع صوت احتكاك خافت، ثم انخفض قطاع من الأرض أمامهما.

رفعت كاراتا حاجبيها وقالت: "ممر سري؟ هذا تقليدي بشكل مفاجئ".

قال رايودن وهو يزحف عبر المساحة الصغيرة ما بين الأرض والسور: "إن آيادون مُصاب بجنون الارتياب تجاه النوم، وقد صنع هذا الممر ليمنحه سبيلًا أخيرًا للهرب إذا ما هجم شخص ما على قصره".

قالت كاراتا بسخرية وهي تتبعه عبر الفجوة: "كنت أعتقد أن هذه الأشياء لا توجد إلا في حكايات الأطفال".

قال رايودن: "إن آيادون يحب هذه الحكايات كثيرًا".

بعد قرابة عشرة أقدام اتسع الممر فبدأ رايودن يتحسس الجدار حتى عثر على مصباح بالإضافة إلى قدح وزناد. لم يفتح غطاء المصباح إلا قليلًا لكيلا يصدر عنه سوى خيط رفيع من الضوء، ولكنه كان كافيًا لكشف الممر الضيق المليء بالغبار.

قالت كاراتا متأملة: "يبدو أن لديك معرفة واسعة بالقصر". لم يُجب رايودن على هذا وهو غير قادر على التفكير في إجابة لا تكشف هويته. لقد أراه والده الممر عندما كان على أعتاب المراهقة، وقد وجده وهو وأصدقاؤه مصدر إغراء لا يقاوم. لطالما تجاهل رايودن التحذيرات بأن الممر مخصص فقط من أجل الحالات الطارئة، فكان يقضي ساعات بصحبة لوكل وهما يلعبان بداخله.

لقد بدا أصغر في هذه اللحظة بالطبع. وبالكاد توجد مساحة كافية لكي يتحرك رايودن وكاراتا بحرية. قال وهو يرفع المصباح ويتحرك ببطء: "تعالي". استغرقت الرحلة إلى جناح آيادون وقتًا أقل مما يتذكره، لم يكن في الحقيقة ممرًّا كبيرًا رغم ما تزعمه ذاكرته. كان ينحني إلى الأعلى إلى الطابق الثاني بزاوية شديدة الانحدار نحو غرفة آيادون مباشرة.

عندما وصلا إلى النهاية قال رايودن: "ها هي ذا، غرفة النوم الملكية، يجب أن يكون آيادون في فراشه الآن، ورغم إصابته بجنون الارتياب إلا أن نومه عميق، ربما أحدهما يتسبب في الآخر". دفع الباب جانبًا ليفتحه وقد كان مغطى من الجانب الآخر بجدارية قماشية. كان سرير آيادون العملاق مُظلمًا وساكنًا، رغم أن ضوء النجوم المتسلل عبر النافذة المفتوحة يُظهر أن الملك نائم في فراشه بالفعل.

أحس رايودن بالتوتر وهو ينظر إلى كاراتا، ولكن المرأة التزمت بكلمتها، فبالكاد ألقت نظرة عابرة على الملك النائم وهي تخرج من الغرفة إلى الردهة الخارجية. تنهد رايودن في ارتياح وهو يتبعها في تسلل أقل براعة.

كانت الردهة الخارجية المظلمة تربط جناح آيادون بجناح حراسه، الممر الأيمن يؤدي إلى ثكنات الحراس، والأيسر يؤدي إلى مركز الحراسة، ومن ثم إلى بقية القصر. تجاهلت كاراتا هذا الاختيار وأكملت السير عبر الردهة اليمنى إلى ملحق الثكنات، وقدماها العاريتان لا تُصدران أدنى صوت على الأرضية الحجرية.

لحق بها رايودن إلى الثكنات وقد عاد إليه إحساسه بالتوتر. لقد قررت ألا تقتل أباه، ولكنها الآن تتسلل إلى أخطر جزء في القصر، صوت واحد غير محسوب سيوقظ عشرات الجنود.

لحسن الحظ لم يكن التسلل عبر ردهة حجرية يحتاج إلى الكثير من المهارة. كانت كاراتا تفتح أي باب في طريقهما بلا صوت بينما يتسلل رايودن من ورائها.

انتهت الردهة المظلمة بردهة أخرى تتراص الأبواب على جانبيها. كانت غرف الضباط الأقل رُتبة بالإضافة إلى هؤلاء الحرس الذين يُمنحون غُرفًا من أجل عائلاتهم. انتقت كاراتا بابًا وبداخله كانت غرفة وحيدة مخصصة لعائلة حارس متزوج. كان ضوء النجوم يُظهر فراشًا بجانب أحد الجدران وخزانة ملابس بجانب آخر.

تململ رايودن في قلق وهو يتساءل إن كانت كاراتا قد فعلت كل هذا لكي تستولي على أسلحة حارس نائم، إن كانت تفكر في هذا فإنها مجنونة. ولكن التسلل إلى قصر ملك مُصاب بجنون الارتياب لم يكن علامة على الاستقرار العقلي بالطبع.

بينما كاراتا تدلف إلى الغرفة أدرك رايودن أنها لن تقدر على الاستيلاء على عتاد الحارس لأنه لم يكن هناك. كان السرير فارغًا، وملاءاته مكرمشة بفعل نوم شخص ما عليها. وقفت كاراتا بجانب شيء لم يلاحظه رايودن في البداية؛ مرتبة موضوعة على الأرض تشغلها كتلة صغيرة لا يمكن أن تكون إلا طفلًا نائمًا لم يستطع رايودن أن يميز ملامحه أو جنسه في الظلمة. انحنت كاراتا بجانب الطفل وظلت ساكنة للحظة.

وعندما انتهت من الأمر أشارت إلى رايودن أن يتبعها إلى خارج الغرفة ثم أغلقت الباب وراءها. رفع رايودن حاجبيه في تساؤل، فأومأت كاراتا برأسها، إنهما مستعدان للرحيل.

اتبع هروبهما خطوات التسلل عكسيًّا. تحرك رايودن أولًا متسللًا عبر الأبواب التي لا تزال مفتوحة، ولحقت به كاراتا وهي تُغلق الأبواب من ورائها. في المجمل كان رايودن يشعر بالارتياح، لأن الأمور تجري بسلاسة، أو على الأقل أحس بالارتياح حتى اللحظة التي تسلل فيها عبر الباب المؤدي إلى الردهة الأخيرة خارج غرفة آيادون.

كان هناك رجل يقف على الجانب الآخر من الباب، وقد تجمدت يده في موضعها وهو يمدها إلى المقبض. كان ينظر إليهما بدهشة وفزع.

اندفعت كاراتا لتتجاوز رايودن ومدت ذراعها لتحيط بها عنق الرجل، قبل أن تُغلق فمه بحركة سلسة، ثم أمسكت بمعصمه بينما يمد يده إلى السيف المعلق عند خاصرته. ولكن الرجل كان أضخم وأقوى من كاراتا الضعيفة في هيئتها الإيلانترية، فخلص يده من قبضتها وصد ساقها بساقه عندما حاولت عرقلته.

قال رايودن بحدة وبصوت خافت: "كفى!". بينما يمد يده أمامه مهددًا.

نظر إليه كلاهما في انزعاج، ولكنهما تجمدا في موضعيهما على الفور عندما رأيا ما يفعله.

كانت إصبع رايودن تتحرك عبر الهواء ويظهر من ورائها خط مضيء، واصل رايودن الكتابة في خطوط منحنية حتى أنهى حرفًا واحدًا؛ آيون شيو، رمز الموت.

قال رايودن بصوت خافت: "إن تحركت ستموت".

اتسعت عينا الحارس في رعب، كان الآيون يتوهج فوق صدره منبعثًا منه ضوء قاسٍ عبر الحجرة المظلمة إلا من هذا الضوء، وملقيًا بظلال على الجدران. توهج الحرف كما هو الحال دائمًا ثم اختفى، ومع هذا كان الضوء كافيًا لإظهار وجه رايودن الإيلانتري ذي البقع السوداء.

"أنت تعرف من نحن".

همس الرجل: "بحق دومي الرحيم...".

قال رايودن كاذبًا: "سيبقى الآيون طوال الساعة التالية، مُعلقًا حيث رسمته بشكل غير مرئي، في انتظار أن تتحرك ولو قيد أنملة، إن فعلت هذا فسوف يُدمرك، هل تفهم؟".

لم يتحرك الرجل بينما وجهه المرتعب يتصبب عرقًا. مد رايودن يده ليحل حزام السيف من على خصر الرجل، ثم ربطه حول خصره.

قال رايودن مخاطبًا كاراتا: "هيا بنا".

كانت المرأة لا تزال جاثمة بجانب الجدار حيث دفعها الحارس، وهي تتأمل رايودن بنظرة غير مفهومة.

كرر رايودن بإلحاح أكبر: "هيا بنا".

أومأت كاراتا برأسها وقد استعادت رباطة جأشها، ثم فتحت باب غرفة الملك قبل أن يختفي كلاهما عبر الطريق الذي جاءا منه.

***

قالت كاراتا لنفسها وقد بدت مندهشة وحزينة في الوقت ذاته: "إنه لم يعرفني".

سألها رايودن: "من؟".

كانا جالسين في مدخل متجر بالقرب من منتصف كاي ليستريحا قليلًا قبل أن يُكملا طريق العودة إلى إيلانتريس.

"ذلك الحارس، لقد كان زوجي في حياة أخرى".

"زوجك؟".

أومأت كاراتا برأسها وقالت: "لقد عشنا معًا لاثني عشر عامًا، والآن قد نسيني".

بدأ يفهم كل شيء، فقال: "إذن فذلك الطفل في تلك الغرفة...".

قالت كاراتا: "كانت هذه ابنتي، أشك أن أي شخص قد أخبرها بما حدث لي. أردت فقط... أن تعرف".

"تركتِ لها رسالة؟".

"رسالة وتذكارًا". كان صوت كاراتا حزينًا، رغم أنها لم تذرف أي دمعة من عينيها الإيلانتريتين. "قلادتي. لقد تمكنت من تهريبها في غفلة من الكهنة قبل عام مضى، كنت أُريدها أن تحصل عليها. كنت أنوي من البداية منحها لها، لقد أخذوني بسرعة كبيرة... لم أجد فرصة حتى لتوديعها".

قال رايودن وهو يضع ذراعه حول المرأة لطمأنتها: "أعرف هذا".

"لقد أخذهم منا جميعًا، أخذ كل شيء ولم يترك لنا شيئًا". صار صوتها مفعمًا بالحدة.

"هذه مشيئة دومي".

قالت بقسوة: "كيف يُمكنك أن تقول هذا؟ كيف يُمكنك أن تدعو باسمه بعد كل ما فعله بنا؟".

قال رايودن معترفًا وهو يشعر بالضعف: "لا أعرف، كل ما أعرفه هو أن علينا المضي قدمًا، كما يفعل الجميع. على الأقل تمكنتِ من رؤيتها مرة أخرى".

قالت كاراتا: "أجل، شكرًا لك، لقد أسديت لي معروفًا كبيرًا هذه الليلة يا سيدي الأمير".

تجمد رايودن.

"أجل، أنا أعرفك، لقد عشت في القصر لسنوات مع زوجي، أحمي أباك وعائلتك. لقد راقبتك منذ طفولتك أيها الأمير رايودن".

"كنتِ تعرفين هذا طيلة الوقت؟".

قالت كاراتا: "ليس طيلة الوقت، ولكن لما يكفي من الوقت. ما إن تيقنت من هويتك لم أستطع أن أقرر هل أكرهك لأنك قريب آيادون، أم أشعر بالرضا لأن العدالة قد نالت منك أيضًا".

"وما هو قرارك؟".

قالت كاراتا وهي تمسح دموعًا جافة لا إراديًّا: "لا يهم، لقد أوفيت بجانبك من الصفقة بشكل يستحق الإعجاب، أنا وأتباعي سنتركك وشأنك".

قال رايودن وهو يعتدل واقفًا: "هذا ليس كافيًا يا كاراتا".

"هل ستطلب ما يتجاوز صفقتنا؟".

قال رايودن وهو يمد لها يده ليساعدها على الوقوف: "أنا لا أطلب شيئًا يا كاراتا، ولكنك تعرفين من أنا، ويمكنك تخمين ما أحاول فعله".

قالت كاراتا: "أنت مثل آندين، تريد أن تصير سيدًا على إيلانتريس كما يحكم والدك بقية هذه الأرض الملعونة".

قال رايودن بابتسامة ساخرة: "لا شك أن الناس يسارعون في الحكم عليَّ هذا اليوم. لا يا كاراتا، لا أُريد أن أكون سيدًا على إيلانتريس، بل أُريد أن أساعدها. أنا أرى مدينة مليئة بأُناس يشعرون بالأسف على أنفسهم، أناس قد استسلموا لرؤية أنفسهم كما يراهم بقية العالم، لا يجب أن تكون إيلانتريس الهاوية التي هي عليها".

سألته كاراتا: "كيف يُمكنك تغيير هذا، ما دام الطعام شحيحًا فسيُقاتل الناس ويدمرون لإشباع جوعهم".

قال رايودن: "إذن علينا أن نُشبعهم".

زفرت كاراتا في عدم اقتناع. مد رايودن يده إلى داخل جيب قد حاكه في ملابسه الرثة، ثم أخرج كيسًا قماشيًّا صغيرًا وهو يقول: "هل تعرفين هذا يا كاراتا؟". كان فارغًا ولكنه يحتفظ به كشيء يذكره بهدفه.

لمعت عينا كاراتا برغبة متقدة وهي تقول: "كان يحوي طعامًا".

"أي نوع؟".

قالت كاراتا: "إنه واحد من أكياس الذرة، جزء من الأضحية التي تُرسل مع كل إيلانتري جديد".

قال رايودن وهو يرفع إصبعه: "ليس ذرة فحسب، بل بذور ذرة. إن جزء من الطقوس هو أن تكون الحبوب صالحة للزراعة".

همست كاراتا: "بذور ذرة؟".

قال رايودن: "كنت أجمعها من الوافدين الجدد، بقية القرابين لا تثير اهتمامي، بل الذرة فحسب، يمكننا أن نزرع الحبوب يا كاراتا، لا يوجد الكثير من الناس في إيلانتريس، ولن يكون من الصعب إطعامهم جميعًا، ولدينا ما يكفي من وقت الفراغ لزراعة حديقة أو اثنتين".

اتسعت عينا كاراتا وقالت في ذهول: "لم يجرب أحد أن يفعل هذا من قبل".

"هذا ما خمنته، الأمر يحتاج إلى بصيرة، وقاطنو إيلانتريس مشغولون بجوعهم الملح على أن يُفكروا في الغد، وأنا سأغير هذا".

رفعت كاراتا عينيها عن الكيس الصغير ونظرت إلى وجه رايودن وهي تقول: "مذهل".

أعاد رايودن الكيس إلى جيبه، ثم أخفى السيف المسروق تحت ثيابه وقال: "هيا بنا، كدنا نصل البوابة".

"كيف تنوي العودة إلى الداخل؟".

"راقبي فحسب".

بينما يمشيان توقفت كاراتا بجانب بيت مظلم.

سألها رايودن: "ماذا؟".

أشارت كاراتا بإصبعها، فبجانب النافذة، وبداخل الزجاج، كان هناك رغيف من الخبز.

أحس رايودن بطعنة من الجوع في أحشائه، لم يقدر على لومها، حتى في القصر كان يبحث عن أي شيء ليسرقه.

قال رايودن: "لا يُمكننا أن نغامر بهذا يا كاراتا".

تنهدت كاراتا وقالت: "أعرف، ولكن فقط... نحن قريبان للغاية".

قال رايودن: "كل المتاجر مغلقة، وكل البيوت مقفلة، ولن نجد ما يكفي لكي يصنع فارقًا".

تنهدت كاراتا ثم بدأت تمشي مرة أخرى وهي تجر قدميها. انعطفا في طريقهما واقتربا من بوابة إيلانتريس العريضة. كان هناك مبنى قصير بجانب البوابة والضوء يتدفق من نوافذه. كان العديد من الحراس مسترخين بالداخل، وكانت ملابسهم الرسمية التي تميز حرس مدينة إيلانتريس باللونين البني والأصفر تلمع في ضوء المصباح. اقترب رايودن من المبنى وطرق على إحدى النوافذ بقبضته.

قال بنبرة مهذبة: "المعذرة، ولكن هل يمكنكم أن تفتحوا لنا البوابة من فضلكم؟".

الحراس الذين كانوا يلعبون الورق قفزوا من كراسيهم في ذعر وهم يصرخون ويسبون عندما تعرفوا على الملامح الإيلانترية.

قال رايودن بلا اكتراث: "فلتسرعوا فأنا متعب".

بينما الرجال يسرعون إلى خارج المبنى سأله أحدهم، ويبدو أنه ضابط: "ما الذي تفعله هنا؟". كان العديد منهم يصوبون أسلحتهم ناحية رايودن.

رفع أحد الحراس رمحه.

قال رايودن: "لا أنصحك بفعل هذا، ما لم تكن راغبًا في أن تفسر كيف قتلت إيلانتري خارج البوابة، من المفترض بكم أن تبقونا بالداخل، وسيكون من المحرج لو اكتشف الناس أننا نهرب من تحت أنوفكم".

سأله الضابط: "كيف تمكنت من الهرب؟".

قال رايودن: "سأخبرك لاحقًا، الآن يجب أن تعيدنا داخل المدينة قبل أن نوقظ الحي كله ونثير حالة من الذعر، كما لا أنصحك بالاقتراب مني، فالشايود مُعدٍ للغاية كما تعرف".

تراجع الحرس مع كلماته، فمراقبة الإيلانتريين تختلف عن مواجهة جثة تتحدث. أمر الضابط بفتح البوابة فلم يكن يعرف ما الذي يُمكنه فعله عدا هذا.

ابتسم رايودن وقال: "شكرًا لك أيها الرجل الصالح، أنت تُبلي حسنًا في وظيفتك، سيكون علينا أن نرى إن كان بمقدورنا أن نجعلك تنال علاوة". ثم أمسك بيد كاراتا وخطا عبر البوابة إلى إيلانتريس كأن الجنود خدمه الشخصيون وليسوا حراس سجن.

لم تستطع كاراتا منع نفسها من الضحك عندما انغلقت البوابة وراءهما ثم قالت: "لقد جعلت الأمر يبدو وكأننا نرغب في أن نكون هنا، كأن هذا امتياز".

"وهذا بالضبط ما يجب أن نشعر به، إن لم نكن قادرين على مغادرة إيلانتريس فربما من الأفضل أن نتصرف كأنها أعظم مكان في العالم".

ابتسمت كاراتا وقالت: "إن لديك قدرًا من التحدي يا سيدي الأمير، ويعجبني هذا".

"إن النبل يكون في تصرفات المرء بقدر ما هو في نسبه، إن تصرفنا كأنما نعيش هنا في نعمة فربما ننسى نظرتنا لأنفسنا بأننا مثيرون للشفقة، الآن أريد منك أن تفعلي شيئًا من أجلي يا كاراتا".

رفعت حاجبًا فقال: "لا تُخبري أي شخص من أنا، أُريد أن يكون الولاء في إيلانتريس مبنيًا على الاحترام وليس بناءً على لقبي".

"كما تشاء".

"ثانيًا لا تخبري أي شخص بشأن الممر المؤدي إلى البلدة عبر النهر".

"لم لا؟".

قال رايودن: "إن الأمر خطير للغاية. أنا أعرف أبي، إن اكتشف الحراس الكثير من الإيلانتريين في المدينة فسيأتي لتدميرنا. الطريقة الوحيدة لكي تزدهر إيلانتريس هو أن يصير لديها اكتفاء ذاتي، لا يُمكننا المخاطرة بالتسلل إلى المدينة لدعم أنفسنا".

كانت كاراتا تُصغي السمع ثم أومأت برأسها في تأكيد وقالت: "لا بأس". ثم صمتت للحظة قبل أن تقول: "هناك شيء أُريدك أن تراه أيها الأمير رايودن".

***

كان الأطفال سعداء، رغم أن معظمهم كان نائمًا إلا أن بعضهم كان مستيقظًا، وكانوا يضحكون ويلعبون مع بعضهم بعضًا. كانوا جميعًا برؤوس صلعاء بالطبع، ويحملون علامات الشايود، ولكن لم يبدُ عليهم أنهم يبالون بهذا.

قال رايودن باهتمام: "إذن فهذا هو المكان الذي يذهبون إليه".

اقتادته كاراتا ليتوغلا في الحجرة الموجودة في أعماق قصر إيلانتريس، ذات يوم كان هذا المبنى يضم القادة الذين ينتخبهم حكماء إيلانتريس، والآن صار حجرة لعب للأطفال.

كان العديد من الرجال يقفون لحراسة الأطفال وهم ينظرون إلى رايودن في ريبة، فنظرت إليه كاراتا وقالت: "عندما جئت إلى إيلانتريس في بادئ الأمر رأيت الأطفال متكومين في الظلال مرعوبين من كل شيء يمر، وفكرت في صغيرتي أوبايس. شيء بداخل قلبي تعافى عندما بدأت أساعدهم، جمعتهم ومنحتهم القليل من الحب فتعلقوا بي. كل واحد من الرجال والنساء الذين تراهم هنا قد ترك وراءه طفلًا صغيرًا في الخارج".

صمتت كاراتا وهي تمسد رأس طفل إيلانتري بعطف ثم قالت: "الأطفال يوحدوننا ويمنعوننا من الاستسلام للألم، نحن نجمع الطعام من أجلهم، وبطريقة ما يمكننا تحمل الجوع بشكل أفضل، لأن هذا الجوع سببه جزئيًّا منح ما لدينا للأطفال".

بينما رايودن يراقب فتاتين تلعبان وهما تصفقان قال بصوت خافت: "لم أكن لأفكر...".

أنهت كاراتا جملته قائلة: "أنهم سيكونون سعداء؟". أشارت لرايودن أن يلحق بها، فسارا عائدين مبتعدين عن مسمع الأطفال، ثم قالت: "نحن لا نفهم الأمر أيضًا يا سيدي الأمير، إنهم يتعاملون مع الجوع أفضل من بقيتنا".

"إن عقل الطفل قادر على التحمل بشكل لا يُصدق".

أكملت كاراتا حديثها قائلة: "ويبدو أنهم قادرون على تحمل قدرًا من الألم أيضًا، الكدمات والرضوض وما أشبه، ولكنهم ينهارون في نهاية المطاف مثل الجميع، في لحظة يكون الطفل سعيدًا ولاهيًا، وفي اللحظة التالية يسقط ويجرح نفسه مرات عديدة فيستسلم عقله. لدي حجرة أخرى بعيدة عن هؤلاء الصغار، مليئة بعشرات الأطفال الذين لا يفعلون شيئًا سوى النحيب طوال اليوم".

أومأ رايودن برأسه، وبعد لحظة سألها: "لماذا أردتِ أن أرى هذا؟".

ترددت كاراتا ثم قالت: "لأنني أُريد الانضمام إليك، كنت أخدم أباك ذات يوم رغم رأيي فيه، والآن سأخدم ابنه بسبب رأيي فيه، هل تقبل ولائي؟".

"سيكون هذا شرفًا لي يا كاراتا".

أومأت برأسها وهي تلتفت إلى الأطفال ثم تنهدت وقالت هامسة: "لم يتبقَّ بداخلي الكثير يا لورد رايودن، أخشى مما سيحدث لأطفالي عندما أضيع. إن حلمك هذا؛ فكرتك المجنونة عن إيلانتريس التي نزرع فيها الطعام ونتجاهل فيها ألمنا... أُريد أن أراك تحاول تحقيق هذا. لا أعتقد أنك قادر على هذا، ولكني أعتقد أنك قادر على جعلنا أفضل في نهاية المطاف".

قال رايودن: "شكرًا لكِ". أدرك أنه قد قبل مسؤولية عظيمة، لقد عاشت كاراتا لعام تحت وطأة العبء الذي أحس به للتو. كانت متعبة، ويمكنه أن يرى هذا في عينيها، والآن حان الوقت لكي تستريح، لقد نقلت العبء إليه.

قالت كاراتا وهي تنظر إلى الأطفال: "شكرًا لك".

بعد لحظة من التفكير قال رايودن: "أخبريني يا كاراتا، هل كنتِ حقًّا ستكسرين عظام أتباعي؟".

لم تُجب كاراتا في البداية، ثم قالت: "فلتخبرني أنت أيها الأمير، ما الذي كنت ستفعله لو أنني حاولت قتل أبيك اليوم؟".

"من الأفضل ألا نجيب عن هذين السؤالين".

أومأت كاراتا برأسها وفي عينيها المتعبتين كان هناك حكمة هادئة.

***

ابتسم رايودن عندما تعرف على الرجل الضخم الواقف بجانب الكنيسة في انتظار عودته. كان وجه جالادون المرتسم عليه القلق مضاءً بالشعلة الصغيرة في مصباحه.

سأله رايودن وهو يقترب عبر الظلمة: "أهو ضوء ليرشدني إلى بيتي يا صديقي".

صاح جالادون: "بحق الدولوكين! أنت لست ميتًا يا سول؟".

ضحك رايودن وهو يضرب كتف صديقه ويقول: "أنا ميت بالطبع، جميعنا موتى، على الأقل هذا ما أنت مغرم بقوله كما يبدو لي".

ابتسم جالادون وقال: "أين المرأة؟".

قال رايودن: "أوصلتها إلى بيتها كما يفعل أي رجل شهم". ثم دلف إلى الكنيسة فاعتدل ماريش والآخرون واقفين.

قال سايولين في حماس: "لقد عاد لورد سبيريت".

قال رايودن: "إليك هدية يا سايولين". ثم أخرج السيف من تحت ثيابه الرثة وألقى به إلى الجندي.

قال سايولين: "ما هذا يا سيدي؟".

قال رايودن: "إن هذا الرمح مذهل بالنظر إلى الإمكانيات المتاحة لديك، ولكني ظننت أنه من الأفضل أن تحظى بشيء أكثر متانة إن كنت تنوي أن تخوض قتالًا حقيقيًّا".

جذب سايولين النصل من غمده، إن هذا السيف ليس شيئًا مميزًا في العالم الخارجي، ولكنه يعد تحفة فنية مذهلة داخل حدود إيلانتريس. قال سايولين في انبهار: "لا يوجد عليه أي بقعة صدأ، ومحفور عليه رمز حرس آيادون الشخصي".

سأله ماريش في لهفة: "هل مات الملك إذن؟".

قال رايودن نافيًا: "لا شيء من هذا القبيل، كانت مهمتنا ذات طابع شخصي يا ماريش، ولم تتضمن القتل، ولكن الحارس الذي كان يمتلك هذا السيف على الأرجح غاضب إلى حد كبير".

قال جالادون ساخرًا: "أُراهن على هذا". ثم أضاف: "إذن لم يعد علينا القلق بشأن كاراتا".

ابتسم رايودن وقال: "لا، بل في الواقع ستنضم عصابتها إلينا".

كان هناك عدد من تمتمات الدهشة مع هذا التصريح، فصمت رايودن للحظة قبل أن يُكمل: "غدًا سنزور قطاع القصر، كاراتا لديها شيء أُريد منكم أن تروه، شيء يجب أن يراه كل شخص في إيلانتريس".

سأله جالادون: "ما هذا الشيء يا سول؟".

"الدليل على أن الجوع يُمكن هزيمته".

# الفصل الرابع عشر

كانت موهبة سارين في التطريز بالإبرة قدر موهبتها في الرسم، ولكن هذا لم يمنعها من المحاولة، بغض النظر عما تبذله من مجهود لكي تصير جزءًا مما يعد من الناحية التقليدية أنشطة ذكورية، أحست سارين برغبة ملحة في أن تثبت أنها قادرة على أن تصير أنثوية وأن تتصرف كسيدة نبيلة، كأي امرأة أخرى. ولم يكن ذنبها أنها لم تكن بارعة في الأمر.

رفعت طوق التطريز، كان من المفترض أن يصور عصفورًا قرمزيًّا صغيرًا يجلس على غصن ومنقاره مفتوح ليغني. لسوء الحظ رسمت النموذج بنفسها، مما يعني أنه لم يكن جيدًا في المقام الأول، هذا إلى جانب عدم قدرتها على تتبع الخطوات، مما أنتج شيئًا أشبه بثمرة طماطم مهروسة بدلًا من أن يكون طائرًا.

قالت إيشن: "جميلة للغاية يا عزيزتي". لا يمكن لشخص أن يقدم مثل هذا الإطراء دون سخرية إلا الملكة ذات المرح الطاغي.

تنهدت سارين وهي تضع الطوق على حجرها ثم أمسكت ببعض الخيوط البنية من أجل الغصن.

قالت دايورا: "لا تقلقي يا سارين، دومي يمنح الجميع مستويات مختلفة من الموهبة، ولكنه دومًا ما يكافئ المثابرة، استمري في التدرب وسوف تتحسنين".

فكرت سارين وهي متجهمة في قرارة نفسها؛ *تقولين هذا بمثل هذه البساطة*. كان طوق دايورا مليئًا بتحفة فنية تفصيلية من الكمال التطريزي. كان لديها سرب كامل من الطيور، وكل طائر

صغير ولكنه معقد، فيحوم ويدور من خلال أغصان شجرة بلوط فارهة. كانت زوجة كين تجسيدًا للنبل الأرستقراطي.

لم تكن دايورا تمشي، بل تنساب على الأرض، وكل حركاتها سلسة ورشيقة. كانت تضع مساحيق التجميل بشكل جذَّاب؛ شفتاها بلون أحمر زاهٍ، وعيناها غامضتان، وقد وُضِعت مساحيق التجميل ببراعة وإتقان. كانت كبيرة في العمر بما يكفي لأن تكون مهيبة، وصغيرة بما يكفي لأن تُعرف بجمالها اللافت للأنظار. باختصار كانت امرأة من النوع الذي تكرهه سارين عادة، هذا لو لم تكن أيضًا المرأة الألطف والأكثر ذكاءً في البلاط.

بعد لحظات من الصمت بدأت إيشن تتحدث كالعادة، بدت الملكة خائفة من الصمت، وكانت تتحدث باستمرار أو تحث الآخرين على فعل هذا. كانت النسوة الأخريات في المجموعة راضيات بتركها تقود زمام الأمور، وهذا لا يعني أن أي شخص قد يُصارع إيشن على إدارة دفة المحادثة.

كانت مجموعة التطريز الخاصة بالملكة مكونة من قرابة عشر نساء، في البداية تجنبت سارين اجتماعاتهن، وبدلًا من هذا ركزت اهتمامها على البلاط السياسي. ولكنها سرعان ما أدركت أن النسوة لديهن نفس الأهمية في أي مسألة مدنية؛ النميمة والثرثرة العابرة تنشران أخبارًا لا يُمكن مناقشتها في إطار رسمي، لم تكن سارين مستعدة لأن تكون خارج السلسلة ولكنها تمنت وحسب لو لم تضطر لأن تكشف عن عدم كفاءتها بالاشتراك معهن.

قالت إيشن: "سمعت أن لورد وارين ابن بارون مزرعة كِاي قد خاض تجربة دينية استثنائية، كنت أعرف أمه، كانت امرأة صالحة للغاية، بارعة حقًّا في الحياكة، في العام المقبل عندما تأتي السترات الصوفية سأُجبر آيادون على أن يرتدي واحدة، ليس من اللائق أن يبدو الملك فاقدًا لحس الموضة، إن شعره طويل للغاية".

قالت دايورا وهي تجذب الإبرة بإحكام: "لقد سمعت شائعات عن وارين الصغير، يبدو من الغريب بالنسبة لي الآن بعد سنوات من كونه كوراثيًّا مخلصًا أن يتحول فجأة إلى الشو-ديريث".

قالت آتارا بلا اكتراث: "إنها جميعها نفس الدين على أي حال". كانت زوجة الدوق تيلري امرأة ضئيلة الجسم حتى بالنسبة لكونها أريلية، وذات شعر كستنائي مجعد يصل إلى كتفيها. كانت ملابسها وحليها الأغلى ثمنًا في الحجرة، مما يتفق مع بذخ زوجها، ودومًا ما تكون أنماط حياكتها متحفظة وعديمة الخيال.

قالت سيادين زوجة الكونت آهان محذرة: "لا تقولي أشياء كهذه بالقرب من الكهنة". كانت أضخم امرأة في الحجرة، وتكاد أن تطابق زوجها بدانة. "إنهم يتصرفون كما لو أن روحك تعتمد على كونك تسمي الإله دومي أم جادث".

قالت سارين وهي تحاول أن تخبئ تطريزها المشوه عن أعين صاحباتها: "هناك اختلافات صارخة بين الاثنين".

قالت آتارا بضحكة خافتة كزقزقة العصافير: "ربما إن كنتِ كاهنة، ولكن هذه الأشياء لا تكاد تمثل أي فارق بالنسبة لنا".

قالت سارين: "بالطبع فنحن مجرد نسوة على أي حال". ثم رفعت عينيها عن إبرتها لتختلس النظر وهي تبتسم لرد الفعل الذي أثارته جملتها. ربما لم تكن نسوة أريلون خاضعات تمامًا كما يفترض رجالهن.

ساد الصمت لبضع لحظات قبل أن تتحدث إيشن مرة أخرى قائلة: "ما الذي تفعله النسوة في تيود لتمضية الوقت يا سارين؟".

نظرت سارين إليها في دهشة، لم تسمع الملكة من قبل تسأل مثل هذا السؤال المباشر. "ما الذي تقصدينه يا جلالة الملكة؟".

قالت إيشن مرة أخرى: "ما الذي يفعلنه؟ لقد سمعت أشياء كما تفهمين، كما سمعت عن فيوردن، حيث يقولون إن الجو يكون باردًا للغاية في الشتاء حتى إن الأشجار تتجمد أحيانًا وتنفجر. أفترض أنها طريقة سهلة لصنع رقائق الخشب، أتساءل إن كن قادرات على جعل هذا يحدث متى شئن".

ابتسمت سارين وقالت: "نحن نجد أشياء لفعلها يا جلالة الملكة، بعض النسوة يحببن التطريز، وبعضهن يجدن أنشطة أخرى".

"مثل ماذا؟". سألتها تورينا ابنة لورد آهان غير المتزوجة، على الرغم من أن سارين لا تزال تجد صعوبة في تصديق أن شخصًا بمثل هذا الجسم الضئيل يُمكن أن يأتي من زوجين بدينين مثل آهان وسيادين. عادة ما تكون تورينا صامتة في مثل هذه الاجتماعات، وعيناها البنيتان الواسعتان تراقبان ما يحدث من حولها ببريق يشي بذكاء دفين.

"حسنًا إن بلاط الملك مفتوح للجميع على سبيل المثال". قالتها سارين بلا اكتراث، ومع هذا خفق قلبها، كانت هذه هي الفرصة التي تنتظرها.

سألتها تورينا: "هل كنتِ تذهبين للاستماع إلى القضايا؟". كان صوتها الهادئ الرفيع يحمل اهتمامًا متزايدًا.

قالت سارين: "غالبًا ما أفعل هذا، وبعدها كنت أتحدث عنها مع صديقاتي".

سألتها سيادين ممتلئة الجسم بوجه متلهف: "هل تتصارعن إحداكن مع الأخرى بالسيوف؟".

صمتت سارين وقد تفاجأت قليلًا، ثم رفعت عينيها لتجد أن كل رأس في الحجرة تقريبًا تحدق إليها، فقالت: "ما الذي يجعلك تسألين هذا السؤال؟".

قالت دايورا بهدوء: "هذا ما يقولونه عن نسوة تيود يا عزيزتي". كانت المرأة الوحيدة التي لا تزال تعمل على تطريزها.

قالت سيادين: "أجل، لطالما سمعنا هذا؛ يقولون إن نسوة تيود تقتلن إحداهن الأخرى لتسلية الرجال".

ارتجف حاجب سارين وهي تقول: "نسميها المبارزة يا سيدة سيادين، ونحن نفعل هذا لتسلية أنفسنا وليس لتسلية رجالنا، وبالتأكيد لا تقتل إحدانا الأخرى. نحن نستخدم السيوف، ولكن أطرافها تكون مثلمة، ونرتدي ملابس سميكة، ولم أسمع عن أي شخص قد عانى من إصابة أكثر من التواء كاحل".

قالت تورينا ضئيلة الجسم وهي تشهق في انبهار: "إذن فهذا حقيقي؟ أنتن تستخدمن السيوف حقًّا".

قالت سارين: "بعضنا يفعلن هذا، أنا شخصيًّا أستمتع بالأمر، كانت المبارزة رياضتي المفضلة".

لمعت أعين النسوة بتعطش مخيف للدماء، كأعين كلاب الصيد التي حُبست في غرفة صغيرة لفترة طويلة. كانت سارين تأمل أن تغرس قدرًا من الاهتمام السياسي في هؤلاء النسوة، أن تشجعهن على تولي دورًا نشطًا في إدارة البلاد، ولكن يبدو أن هذا كان نهجًا مستترًا أكثر من اللازم.

عرضت سارين قائلة: "يُمكنني أن أعلمكن إن أردتن".

سألتها آتارا في دهشة: "القتال؟".

قالت سارين: "هذا صحيح، والأمر ليس صعبًا، ومن فضلك يا سيدة آتارا نحن نسميها مبارزة، حتى أكثر الرجال تفهمًا سيشعر بشيء من عدم الارتياح عندما يفكر في أن النساء تقاتل".

قالت إيشن: "نحن لن...".

قاطعتها سارين متسائلة: "لمَ لا؟".

قالت دايورا مفسرة: "إن اللعب بالسيوف يثير استياء الملك يا عزيزتي، ربما لاحظت أنه لا أحد من النبلاء هنا يحمل سيفًا".

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "كنت على وشك أن أسأل عن هذا الأمر".

قالت إيشن: "يعتبر آيادون هذا أمرًا مبتذلًا للغاية، ويقول إن القتال شيء يفعله الفلاحون، لقد درسهم كثيرًا، إنه قائد بارع كما تعرفين، والقادة البارعون يكون عليهم أن يعرفوا الكثير عن كثير من الأشياء. إنه قادر على أن يخبرك بحال الطقس في سڤوردن في أي وقت من العام، وسفنه هي الأقوى والأسرع في هذا المجال".

سألتها سارين في دهشة: "إذن لا أحد من الرجال يُمكنه أن يقاتل؟".

قالت تورينا: "لا أحد باستثناء لورد إيونديل، وربما لورد شودن". ارتسم على وجهها نظرة حالمة عندما ذكرت اسم شودن، كان الشاب النبيل أسمر البشرة مفضلًا بين نساء البلاط، وكان يأسر حتى أكثر القلوب ثباتًا بملامحه الرقيقة وسلوكه الذي لا تشوبه شائبة.

قالت آتارا: "لا تنسي الأمير رايودن، أعتقد أنه جعل إيونديل يعلمه القتال فقط ليثير غيظ أبيه، لطالما فعل أشياء كهذه".

قالت سارين: "حسنًا هذا أفضل، إن لم يكن أي من الرجال يقاتل فلا يُمكن للملك آيادون أن يمانع تعلمنا".

سألتها تورينا: "ما الذي تقصدينه؟".

قالت سارين: "حسنًا، إنه يقول إنه أسمى من الأمر، وإن كان هذا حقيقيًّا إذن فمن المفترض أن يكون مثاليًّا بالنسبة لنا، فنحن على أي حال مجرد نسوة".

ابتسمت سارين في خبث ثم انتشر هذا التعبير على معظم الوجوه في الحجرة.

***

قالت سارين وهي جاثية على ركبتيها بجانب السرير وتفتش تحته: "أين وضعتُ سيفي يا آش؟".

"سيفك يا سيدتي؟".

"لا تهتم، سأجده لاحقًا. ما الذي اكتشفته؟".

نبض آش بوميض خافت كأنما يتساءل عن طبيعة المشكلة التي تواجهها، قبل أن يقول: "يؤسفني أنه ليس لدي الكثير لأبلغك به يا سيدتي، إن إيلانتريس موضوع حساس للغاية، ولم أعرف إلا أقل القليل".

قالت سارين وهي تتوجه ناحية خزانة ملابسها: "يمكن لأي شيء أن يساعدنا". كان لديها حفلة راقصة لتحضرها هذه الليلة.

"حسنًا يا سيدتي، معظم الناس في كاي لا يرغبون في الحديث عن المدينة، والسيونات في كاي لا تعرف الكثير، والسيونات المجنونة داخل إيلانتريس لا تبدو قادرة على التفكير بما يكفي للإجابة عن أسئلتي. حتى إنني حاولت الاقتراب من الإيلانتريين أنفسهم، ولكن بدا أن الكثيرين خائفون مني، والآخرون توسلوا من أجل الطعام فحسب، كأنما بمقدوري أن أحمله إليهم. في النهاية أدركت أن أفضل مصدر للمعلومات هو الجنود الذين يحرسون أسوار المدينة".

قالت سارين وهي تنظر إلى ملابسها: "لقد سمعت عنهم، من المفترض أن يكونوا نخبة المقاتلين في أريلون".

قال آش: "وسيتلهفون لإخبارك بهذا يا سيدتي، أشك أن العديد منهم سيعرفون ما الذي يفعلونه في معركة حقيقية، رغم أنهم يبدون بارعين للغاية في الشرب ولعب الأوراق، ومع ذلك يميلون إلى الحفاظ على هندمة ملابسهم الرسمية".

قالت سارين: "هذا هو المتوقع من أي حرس شرفي". كانت تقلب في صف من الملابس السوداء وقد اقشعر بدنها مع فكرة ارتداء ثوب آخر بشع عديم اللون. فبقدر ما تحترم ذكرى رايودن لا تستطيع أن ترتدي ملابس سوداء مرة أخرى.

تمايل آش في الهواء مع تعليقها، ثم قال: "أخشى يا سيدتي أن نخبة مقاتلي أريلون هؤلاء بالكاد يمنحون البلد أدنى أفضلية، ومع ذلك هم أكثر الخبراء دراية فيما يتعلق بإيلانتريس".

"وما الذي يقولونه؟".

حام آش مقتربًا من الخزانة وهو يراقبها تفرز الخيارات المتاحة لها، ثم قال: "ليس الكثير، الناس في أريلون لا يتحدثون إلى السيونات بنفس السرعة التي كانوا يتحدثون بها من قبل. بالكاد أتذكر زمنًا كان فيه الناس يحبوننا، ولكنهم الآن... متحفظون، ويكادون أن يكونوا خائفين".

قالت سارين: "إنهم يربطون بينكم وبين إيلانتريس". كانت تنظر باشتياق إلى الفساتين التي جلبتها معها من تيود.

قال آش: "أعرف يا سيدتي، ولكن ليس لنا أدنى علاقة بسقوط المدينة، لا يوجد سبب للخوف من السيونات، أتمنى... حسنًا، هذا لا يهم الآن. لقد حصلت على بعض المعلومات رغم تحفظهم، يبدو أن الإيلانتريين قد فقدوا ما هو أكثر من مظهرهم البشري عندما أصابهم الشايود. يبدو أن الحراس يعتقدون أن المرء ينسى تمامًا ما كان عليه ويصير شيئًا أقرب إلى

الحيوانات منه إلى البشر. يبدو أن هذا بالتأكيد هو حال السيونات الإيلانترية التي تحدثت إليها".

ارتجفت سارين وقالت: "ولكن الإيلانتريين يمكنهم أن يتحدثوا، بعضهم قد طلب منك الطعام".

قال آش: "لقد فعلوا هذا، لم يبدُ هؤلاء المساكين أشبه بالحيوانات، معظمهم كان يبكي أو يغمغم بطريقة ما، أميل إلى الاعتقاد بأنهم قد فقدوا عقولهم".

قالت سارين وهي تفكر في الأمر: "إذن فالشايود يصيب العقل كما يصيب الجسد".

"يبدو هذا يا سيدتي، لقد تحدث الحراس أيضًا عن العديد من السادة المستبدين الذين يحكمون المدينة، الطعام له قيمة كبيرة حتى إن الإيلانتريين يهاجمون بحماس أي شخص يحمله".

عقدت سارين حاجبيها وهي تقول: "كيف يُطعم الإيلانتريون؟".

"إنهم لا يُطعمون حسبما أعرف".

سألته سارين: "إذن كيف يتمكنون من البقاء على قيد الحياة؟".

"لا أعرف يا سيدتي، من المحتمل أن المدينة تعيش في حالة من الوحشية البدائية، يتغذى فيها القوي على الضعيف".

"لا يمكن لأي مجتمع أن يتمكن من البقاء على هذه الحالة".

قال آش: "لا أعتقد أنهم يشكلون مجتمعًا يا سيدتي، إنهم مجموعة من البؤساء الملعونين الذين يبدو أن إلهكم قد نسيهم، ويحاول بقية الناس في البلد أن يحذوا حذوه".

أومأت سارين برأسها وهي تفكر، ثم حسمت أمرها فانتزعت فستانها الأسود وراحت تفتش ما بين الثياب الموجودة في مؤخرة خزانتها، وبعد بضع دقائق وقفت أمام آش منتظرة تقييمه.

سألته وهي تدور حول نفسها: "ما رأيك؟". كان الفستان منسوجًا من نسيج ذهبي سميك، يكاد أن يكون معدنيًّا في لمعانه. كان مغطى بالدانتيل الأسود، وله ياقة عالية مفتوحة مثل ياقات الرجال، وقد صُنعت الياقة من مادة صلبة تُطابق سواري الفستان. كان الكُمَّان واسعين كالفستان نفسه الذي ينتفخ للخارج حتى يلمس الأرض مخبئًا قدميها. كان فستانًا من النوع الذي يجعل السيدة تشعر بأنها ملكية، وحتى الأميرة تحتاج إلى شيء يذكرها بهذا من آن لآخر.

قال آش لينبهها: "إنه ليس أسود يا سيدتي".

قالت سارين محتجة وهي تشير إلى الحرملة الطويلة على ظهرها: "هذا الجزء أسود". كانت الحرملة جزءًا من الفستان، منسوجة إلى العنق والكتفين بدقة شديدة حتى بدت كأنما تنبت من الدانتيل.

"لا أعتقد أن هذه الحرملة كافية لجعله فستان أرملة يا سيدتي".

قالت سارين وهي تتفحص نفسها في المرآة: "هذا سيفي بالغرض. إن ارتديت فستانًا آخر من تلك الفساتين التي أعطتها لي إيشن، فسيكون عليك أن تُلقي بي في إيلانتريس لأنني سأُصاب بالجنون".

"هل أنتِ واثقة من أن الجزء الأمامي من الفستان... لائق؟".

سألته سارين: "ماذا تقصد؟".

"إنه مكشوف بعض الشيء يا سيدتي".

"لقد رأيت ما هو أسوأ، حتى هنا في أريلون".

"أجل يا سيدتي، ولكن هؤلاء كن نسوة غير متزوجات".

ابتسمت سارين، لطالما كان آش حساسًا للغاية، وخصوصًا فيما يتعلق بها. "عليَّ أن أرتديه ولو مرة واحدة على الأقل، لم تُتَح لي الفرصة من قبل، لقد وصلني من دولادل قبل أن أُغادر تيود بأسبوع واحد".

قال آش وهو ينبض قليلًا: "كما تشائين يا سيدتي، هل هناك أي شيء آخر تريدين مني أن أحاول معرفته؟".

"هل زرت السراديب؟".

قال آش: "لقد فعلت هذا يا سيدتي، ويؤسفني أنني لم أجد أي تجاويف سرية تُخفي أميرًا يتضور جوعًا. إن كان آيادون قد حبس ابنه فسيكون من الغباء أن يفعل هذا في قصره".

تنهدت سارين وقالت: "حسنًا، كان الأمر يستحق إلقاء نظرة. لم أعتقد أنك ستجد شيئًا، ربما علينا بدلًا من هذا أن نبحث عن القاتل الذي استخدم السكين".

قال آش: "هذا صحيح، ربما يُمكنك أن تحاولي استخراج بعض المعلومات من الملكة؟ إن كان هناك دخيل قد قتل الأمير حقًّا فربما تعرف شيئًا عن الأمر".

"لقد حاولت ولكن إيشن... حسنًا، من الصعب الحصول على المعلومات منها. إن جعلها تركز على موضوع واحد... بصراحة لا أعرف كيف انتهى المطاف بامرأة مثلها بالزواج من آيادون".

قال آش: "أعتقد يا سيدتي أن هذا الزواج كان ماديًّا أكثر منه اجتماعيًّا، إن جزءًا كبيرًا من تمويل حكومة آيادون قد جاء من والد إيشن".

قالت سارين: "هذا يبدو منطقيًّا". ثم ابتسمت ابتسامة شاحبة وهي تتساءل عن رأي آيادون الآن في هذه الصفقة. صحيح أنه قد حصل على المال، ولكن انتهى به المطاف أيضًا وهو

يقضي عقدًا من الزمان منصتًا إلى ثرثرة إيشن، ربما هذا هو سبب إحساسه بالغضب من النساء عمومًا.

قالت سارين: "على أي حال لا أعتقد أن الملكة تعرف أي شيء عن رايودن، ولكني سأستمر في المحاولة".

تمايل آش ثم قال: "وماذا يجب أن أفعل؟".

"حسنًا كنت أفكر في العم كين مؤخرًا، لم يعد أبي يذكره، وكنت أتساءل... هل تعرف إن كان كين قد حُرم من الميراث رسميًّا؟".

قال آش: "لا أعرف يا سيدتي، ربما يعرف ديو، إنه يعمل بالقرب من والدك أكثر مني".

"فلترَ إن كنت قادرًا على جمع أي معلومات، ربما توجد بعض الشائعات هنا في أريلون بشأن ما حدث، فإن كين على أي حال هو واحد من الأشخاص الأكثر نفوذًا في كاي".

"أمرك سيدتي، أي شيء آخر؟".

قالت سارين وهي تزر أنفها: "أجل، فلترسل شخصًا ليحمل هذه الفساتين السوداء بعيدًا، لقد قررت أنني لن أحتاجها بعد الآن".

قال آش بنبرة تحمل عدم الرضا: "بالطبع يا سيدتي".

***

نظرت سارين خارج نافذة العربة وهي تقترب من قصر الدوق تيلري. ذكرت التقارير أن تيلري متحرر للغاية في الدعوة إلى الحفلات الراقصة، وقد أكد المعلومة عدد العربات الموجودة على

الطريق هذا المساء. كانت المشاعل مصطفة على جانبي الممر بينما كانت أراضي القصر مضاءة بسطوع بمزيج من المصابيح والمشاعل وألسنة اللهب الملونة الغريبة.

قال شودن: "إن الدوق ينفق بسخاء".

قالت سارين وهي تومئ ناحية أحد ألسنة اللهب الساطعة الذي يحترق على قمة عمود معدني طويل: "ما هذه الأشياء يا لورد شودن؟".

"أحجار خاصة نستوردها من الجنوب".

"أحجار تحترق؟ مثل الفحم؟".

قال اللورد الجيندوي الشاب مفسرًا: "إنها تحترق أسرع من الفحم كما أنها باهظة الثمن للغاية، لا شك أن اللورد تيلري قد دفع ثروة ليضيء هذا الممر". ثم عقد شودن حاجبيه وقال: "يبدو هذا إسرافًا حتى بالنسبة له".

قالت سارين وهي تتذكر محادثتها مع لوكل في قاعة عرش آيادون: "لقد ذكر لوكل أن الدوق مبذر إلى حد ما".

أومأ شودن برأسه وقال: "ولكنه أكثر ذكاءً بكثير مما يعتقده معظم الناس. إن الدوق ينفق أمواله بسخاء ولكن عادة ما يكون هناك هدف من وراء هذا الإسراف". كان باستطاعة سارين أن ترى أن عقل البارون الشاب يموج بالأفكار بينما العربة تُبطئ حتى تتوقف كأنما يحاول أن يستنبط طبيعة الهدف الذي أشار إليه.

كان القصر ذاته مكتظًّا بالناس، نسوة في فساتين زاهية يرافقن رجالًا في بدلات ذات معاطف مستقيمة كانت هي الموضة الرجالية في ذلك الوقت. بالكاد كان عدد الضيوف أكثر من عدد الخدم ذوي الملابس البيضاء الذين يتنقلون وسط الحشد حاملين الطعام أو الشراب أو يغيرون

زيت المصابيح. ساعد شودن سارين على النزول من العربة ثم اصطحبها إلى قاعة الرقص الرئيسية بمشية من اعتاد التنقل بين الحشود.

بينما يدلفان إلى القاعة أسرَّ لها شودن قائلًا: "لا يُمكنكِ أن تتخيلي مدى سعادتي بأنك عرضتِ المجيء معي". كان هناك فرقة موسيقية كبيرة تعزف في أحد طرفي الرواق، وكان الناس في أزواج يدورون حول منتصف القاعة في حركة راقصة، أو يقفون في أطراف الدائرة يتبادلون الحديث. كانت القاعة ساطعة بأضواء ملونة، والصخور التي قد رأياها بالخارج تحترق بشدة من موضعها أعلى الدرابزينات والأعمدة. بل وكان هناك سلاسل من الشموع الصغيرة تلتف حول عدد كبير من الأعمدة، وهذه الآلات الغريبة ربما يجب إعادة تعبئتها كل نصف ساعة.

سألته سارين وهي تحدق إلى المشهد الملون: "ولِمَ هذا يا سيدي؟". حتى وهي تعيش كأميرة لم ترَ قط مثل هذا الجمال والرفاهية، كان مزيجًا مسكرًا من الأضواء والأصوات والألوان.

نظر شودن إلى حيث تنظر دون أن يسمع سؤالها حقًّا، ثم قال: "لا يُمكن لأحد أن يخمن أن هذا البلد يرقص على حافة الدمار".

دوت الجملة كناقوس موت كئيب. كان هناك سبب لعدم رؤية سارين لمثل هذا البذخ من قبل، رغم أنه مثير للعجب ولكنه أيضًا إسراف مبالغ فيه، إن والدها حاكم رشيد، ولن يسمح أبدًا بمثل هذا التبذير.

سألها شودن: "هذا هو الحال دائمًا، أليس كذلك؟ يبدو أن هؤلاء الذين لا يقدرون على تحمل البذخ هم الأكثر تصميمًا على إنفاق آخر ما تبقى لديهم".

قالت سارين: "أنت رجل حكيم يا لورد شودن".

قال وهو يصطحبها إلى رواق جانبي للبحث عن المشروبات: "لا، بل رجل يحاول أن يرى جوهر الأمور".

"ما الذي كنت تقوله منذ قليل؟".

قال شودن: "ماذا؟ أوه، كنت أشرح كيف ستقذينني من الاكتئاب هذا المساء".

سألته بينما يناولها قدحًا من النبيذ: "ولِمَ هذا؟".

ابتسم شودن وهو يرتشف رشفة من شرابه ثم قال: "هناك بعض ممن يعتبرونني لسبب أو لآخر... مؤهلًا تمامًا. العديد منهم لا يعرفون من أنتِ، وسيبقون على مسافة بعيدة وهم يحاولون تقييم منافستهم الجديدة. قد أحظى الليلة ببعض الوقت لكي أستمتع بالحفل".

رفعت سارين حاجبًا وهي تقول: "هل الأمر بهذا السوء حقًّا؟".

أجابها شودن وهو يمد ذراعه إليها: "عادة ما أصرفهم عني بالعصا".

ابتسمت سارين وهي تقبل ذراعه الممدودة ثم قالت: "قد يعتقد المرء أنك لا تنوي الزواج أبدًا يا سيدي".

ضحك شودن وقال: "لا، لا شيء من هذا القبيل يا سيدتي، دعيني أؤكد لكِ أنني مهتم للغاية بمفهوم الزواج، أو على الأقل النظرية الكامنة وراءه. ولكن العثور على امرأة في هذا البلاط لا تصيبني بالغثيان بسبب ثرثرتها الحمقاء لهو أمر مختلف تمامًا. تعالي معي، إن كنت محقًّا فيجب أن نكون قادرين على إيجاد مكان أكثر إثارة للاهتمام من قاعة الرقص الرئيسية".

اصطحبها شودن عبر جموع الحاضرين، ورغم تعليقاته السابقة كان متحضرًا للغاية . بل وحتى لطيفًا . مع النسوة اللاتي بزغن من الحشد للترحيب به. كان شودن يعرف كل واحدة منهن بالاسم، وهو في حد ذاته شيء يدل على البراعة الدبلوماسية أو دماثة الخلق.

تنامى احترام سارين لشودن وهي تشاهد ردود أفعال هؤلاء الذين التقى بهم. لم يتجهم وجه مع اقترابه، وقلة منهم قد منحوه تلك النظرات المتغطرسة الشائعة فيما يسمى بالمجتمعات

الراقية. كان شودن محبوبًا للغاية، على الرغم من أنه لم يكن من الرجال المفعمين بالحيوية. أحست أن شعبيته لم تنبع من قدرته على إمتاع الآخرين، بل من صراحته التي لم تعد شائعة في هذه الآونة. عندما يتحدث شودن يكون دومًا مهذبًا ومراعيًا، ولكنه في الوقت ذاته صريحًا تمامًا. كما أن أصوله الأجنبية منحته الحق في قول أشياء لا يستطيع الآخرون قولها.

في نهاية المطاف وصلا إلى غرفة صغيرة على قمة الدرج، فقال شودن وهو يصطحبها عبر الباب: "ها نحن ذا". بالداخل وجدا فرقة موسيقية أصغر ولكنها أكثر براعة وتعزف على آلات وترية. كانت الزخارف في هذه الغرفة أقل بهرجة، ولكن الخدم كانوا يحملون أطباقًا من الطعام بدت أكثر غرابة من تلك الموجودة بالأسفل. تعرفت سارين على العديد من الوجوه من البلاط، بما فيهم الوجه الأكثر أهمية.

قالت: "الملك". وقد لاحظت أن آيادون يقف بالقرب من الزاوية البعيدة، وإيشن إلى جانبه في فستان أخضر رقيق.

أومأ شودن برأسه وقال: "لن يفوت آيادون حفلًا كهذا، حتى إن كان صاحب الدعوة هو اللورد تيلري".

"أليسا على وفاق؟".

"بل هما على وفاق، الأمر وما فيه هو أنهما في مجال العمل ذاته. يدير آيادون أسطولًا تجاريًا، فتبحر سفنه عبر بحر فيوردن، مثل سفن تيلري، هذا يجعلهما متنافسين".

قالت سارين: "أعتقد أن وجوده هنا غريب على أي حال، لم يذهب أبي قط إلى مثل هذه الحفلات".

"هذا لأنه رجل ناضج يا سيدة سارين. لا يزال آيادون مفتونًا بسلطته، وسيستغل كل فرصة للاستمتاع بها". تلفت شودن حوله بنظرة ثاقبة ثم قال: "انظري إلى هذه الغرفة على سبيل المثال".

"هذه الغرفة؟".

أومأ شودن برأسه وقال: "كلما أتى آيادون إلى حفل يختار غرفة بعيدة عن القاعة الرئيسية ويسمح للأشخاص المهمين بالانجذاب إليه. النبلاء معتادون على هذا، الرجل الذي يقيم الحفل الراقص عادة ما يستأجر فرقة موسيقية ثانية، ويعرف أن عليه إقامة حفل ثانٍ أكثر خصوصية منفصل عن الحفل الرئيسي. لقد حرص آيادون على أن يعرف الجميع أنه لا يريد أي صلة بالأشخاص الأدنى منه منزلة، هذا التجمع مخصص فقط للدوقات والكونتات المرموقين".

قالت سارين وهما يدلفان إلى الغرفة: "ولكنك بارون".

ابتسم شودن وهو يرتشف النبيذ ثم قال: "أنا حالة استثنائية، فقد أجبرت عائلتي آيادون على منحنا اللقب، بينما نال البقية مراتبهم بالثروة والتوسل، يُمكنني أن أحظى بصلاحيات لا تُتاح لأي بارون آخر، لأنني وآيادون نعرف أنني قد تغلبت عليه ذات يوم. عادة ما يمكنني أن أقضي وقتًا قصيرًا هنا في الغرفة الداخلية، ساعة على الأكثر، وإلا سينفد صبر الملك، ولكن الأمر يختلف بالطبع هذه الليلة".

"ولِمَ هذا؟".

قال شودن: "لأنك معي، لا تنسي هذا يا سيدة سارين، أنتِ تفوقين جميع من في هذه الغرفة مرتبة، باستثناء الملك والملكة".

أومأت سارين برأسها، فرغم كونها معتادة على فكرة أنها مهمة. فهي رغم كل شيء ابنة ملك . لم تكن معتادة على ولع الأريليين بذكر مراتبهم.

قالت بصوت خافت عندما لاحظها الملك: "إن حضور آيادون يغير من الأمر". مرت عيناه على فستانها، ومن الواضح أنه لاحظ كونه غير أسود، فقد تجهم وجهه.

اعترفت سارين لنفسها بأن الفستان ربما لم يكن فكرة جيدة، ولكن سرعان ما جذب انتباهها شيء آخر. لاحظت هيئة ساطعة تقف كندبة حمراء بين الحاضرين فهمست: "ما الذي يفعله هنا؟".

نظر شودن إلى حيث تنظر ثم قال: "الجيورن؟ إنه يأتي إلى الحفلات الراقصة منذ اليوم الذي وصل فيه هنا. لقد ظهر في الحفلة الأولى دون أن يتلقى دعوة، وهو يحيط نفسه بهالة من الكبرياء، حتى إن أحدًا لم يجرؤ على تجاهل دعوته منذ ذلك الحين".

كان هراثن يتحدث مع مجموعة صغيرة من الرجال، بينما درع صدره الأحمر وعباءته الحمراء تتناقضان بشكل صارخ مع ألوان ملابس النبلاء التي لم تكن زاهية بنفس القدر. كان الجيورن أطول من كل الحاضرين بمقدار رأس على الأقل، ودرعا كتفيه تبرزان مسافة قدم في كلا الاتجاهين. عمومًا كان من الصعب ألا يلاحظه المرء.

ابتسم شودن وقال: "بغض النظر عن رأيك في هذا الرجل فأنا معجب بثقته في نفسه، لقد خطا ببساطة إلى حفل الملك الخاص في تلك الليلة الأولى وبدأ في الحديث إلى أحد الدوقات، وبالكاد أومأ برأسه إلى الملك. من الواضح أن هراثن يعتبر أن لقب جيورن يُعادل أي لقب في هذه الغرفة".

قالت سارين: "الملوك ينحنون للجيورنات في الشرق، وتكاد جباههم أن تلمس الأرض عندما يزورهم الويرن".

قال شودن: "ومن بدأ كل هذا كان رجلًا جيندويًّا عجوزًا". ثم صمت ليعيد ملء قدحيهما بالنبيذ من خادم يمر بجوارهما قبل أن يقول: "لطالما كنت مهتمًّا برؤية ما فعله قومك بتعاليم كيسج".

سألته سارين: "قومي؟ أنا كوراثية، لا تضعني في سلة واحدة مع الجيورن".

رفع شودن يده وهو يقول: "أعتذر، لم أقصد الإهانة".

كان يتحدث اللغة الآيونية بطلاقة، ويعيش في أريلون، لذا افترضت سارين أنه كوراثي، ولكنها أساءت الحكم، لا يزال شودن جيندوي، إن عائلته تؤمن بالشو-كيسج، الديانة الأم لكل من كوراث وديريث. قالت وهي تفكر بصوت عالٍ: "ولكن موطنك الأصلي يتبع الديانة الديريثية الآن".

تجهم وجه شودن وهو ينظر إلى الجيورن ثم قال: "أتساءل ما الذي فكر فيه السيد العظيم عندما رحل تلميذاه كوراث وديريث للتبشير بالدين في الأراضي الشمالية، كان كيسج يدعو بتعاليمه إلى الوحدة، ولكن ما الذي كان يقصده؟ وحدة العقل كما يفترض قومي؟ أم وحدة الحب كما يزعم كهنتكم؟ أم هي وحدة الطاعة كما يؤمن الديريثيون؟ في النهاية لا يُمكنني إلا التفكير في كيفية تمكن الجنس البشري من تعقيد مثل هذا المفهوم البسيط".

صمت قليلًا ثم هز رأسه وقال: "على أي حال أجل يا سيدتي، إن جيندو تتبع الديانة الديريثية الآن. يسمح قومي للويرن بأن يفترض أن جيندو قد قبلت تبديل دينها لأن هذا أفضل من القتال. ولكن الكثيرين يشككون في هذا القرار الآن، والأراتثة يبالغون في مطالباتهم".

أومأت سارين برأسها وقالت: "أتفق معك، يجب أن نوقف الشو-ديريث، إنها تحريف للحقيقة".

"لم أقل هذا يا سيدة سارين، إن روح الشو-كيسج هي القبول، هناك متسع لجميع التعاليم. يعتقد الديريثيون أنهم يفعلون ما هو صواب". نظر شودن إلى هراثن قبل أن يُكمل: "ولكن هذا الرجل خطير على أي حال".

"لماذا هو وليس الآخرين؟".

قال شودن: "لقد حضرت واحدة من خطب هراثن، إنه لا يعظ من قلبه يا سيدة سارين، بل يعظ من عقله، يبحث عن الأرقام فيمن يعتنقون دينه، ولا يُبالي بإيمان تابعيه، هذا شيء خطير".

تفحص شودن أتباع هراثن، ثم أشار إلى رجل شعره أشقر للغاية حتى يكاد أن يكون أبيض وهو يقول: "هذا الرجل يزعجني أيضًا".

سألته سارين باهتمام: "من يكون؟".

قال شودن: "وارين؛ الابن الأول للبارون ديولين، لا ينبغي أن يكون هنا في هذه الغرفة، ولكن يبدو أنه يستغل علاقته الوثيقة بالجيورن كأنها دعوة. كان وارين معتادًا على أن يكون كوراثيًّا تقيًّا بوضوح، ولكنه يدعي أنه قد راودته رؤية من جادث يأمره فيها باعتناق الشو-ديريث".

قالت سارين وهي تتأمل وارين بعينيها: "السيدات كن يتحدثن بشأن هذا باكرًا، ألا تصدقه؟".

"لطالما شككت أن تقوى وارين هي مجرد استعراض، إنه رجل انتهازي، وهذا التفاني المتطرف في الدين قد أكسبه سمعة سيئة".

تفحصت سارين الرجل أبيض الشعر في قلق، إنه يافع للغاية، ولكنه يقف كرجل صاحب إنجازات ونفوذ. إن تبديله لدينه علامة خطيرة، كلما زاد عدد الناس الذين يجمعهم هراثن صار إيقافه أكثر صعوبة.

قالت: "لم يكن عليَّ أن أنتظر طويلًا".

"تنتظرين ماذا؟".

"المجيء إلى هذه الحفلات، إن هراثن يسبقني بأسبوع".

قال شودن مبتسمًا: "تتصرفين وكأن هناك صراعًا شخصيًّا بينكما".

أجابته سارين وقد أخذت تعليقه على محمل الجد: "صراع شخصي يُهدد الخطر فيه مصائر الأمم".

جاء صوت يقول: "شودن! أرى أنك تفتقر إلى دائرة المعجبين التي تحيط بك عادة".

قال شودن وهو ينحني مع اقتراب الرجل العجوز: "مساء الخير يا لورد رويال، أجل لقد كنت قادرًا على تجنب معظم المعجبين هذه الليلة بسبب الرفقة التي حظيت بها".

قال رويال وهو يقبل يد سارين: "آها، الأميرة الجميلة سارين. أرى أن ولعك باللون الأسود قد تضاءل".

قالت وهي تنحني له: "لم أكن مولعة به كثيرًا من البداية".

قال رويال مبتسمًا: "يمكنني أن أتخيل هذا". ثم أولى اهتمامه من جديد إلى شودن وقال: "كنت آمل أنك لم تُدرك بعد قيمة الكنز الذي معك يا شودن، ربما كنت لأسرق منك الأميرة وأُبعد عن نفسي بعض المتطفلين".

نظرت سارين إلى الرجل العجوز في دهشة.

ضحك شودن وقال: "قد يكون اللورد رويال هو الأعزب الوحيد في أريلون الذي تطلب النساء وده أكثر مني. إن سيدي اللورد يصرف عني بعض الانتباه".

نظرت سارين إلى الرجل العجوز النحيل وقالت: "أنت؟ النساء يرغبن في الزواج منك؟". ثم تذكرت أصول اللياقة فتداركت قائلة: "يا سيدي". بينما وجهها محتقن بالدماء بسبب كلماتها غير اللائقة.

ضحك رويال وقال: "لا تقلقي كثيرًا بشأن الإساءة إليّ يا صغيرتي سارين، لا يوجد رجل في مثل عمري يحظى بالمظهر الحسن. لقد ماتت عزيزتي إيولديس قبل عشرين عامًا، وليس لديَّ أبناء، يجب أن تنتقل ثروتي إلى شخص ما، وكل فتاة غير متزوجة في المملكة تُدرك هذه الحقيقة، سيكون عليها فقط أن تُدللني لبضع سنوات ثم تدفني، وبعدها تجد شابًّا مفعمًا بالحيوية ليساعدها على إنفاق أموالي".

قال شودن: "سيدي متشائم للغاية".

فقال رويال ساخرًا: "بل واقعي للغاية. ولكني سأعترف أن فكرة إجبار واحدة من هؤلاء الفتيات الناعمات على معاشرتي مُغرية للغاية. أعرف أنهن جميعًا يفترضن أنني عجوز للغاية على جعلهن يؤدين واجبهن كزوجات، ولكن افتراضهن خاطئ، وإن كنت سأسمح لهن بسرقة ثروتي فسأجعلهن يبذلن قصارى جهدهن من أجل هذا".

احمر وجه شودن خجلًا لهذا التعليق، ولكن سارين اكتفت بالضحك قبل أن تقول: "كنت أعرف هذا، أنت لست سوى رجل عجوز بذيء".

وافقها رويال مبتسمًا وهو يقول: "أعترف بهذا". ثم نظر إلى هراثن وقال: "كيف حال صديقنا المدرع؟".

أجابته سارين: "إن مجرد حضوره يزعجني كثيرًا يا سيدي".

قال رويال: "راقبيه جيدًا يا سارين، لقد سمعت أن حظ تيلري السعيد المفاجئ ليس مجرد ضربة حظ".

ازدادت عينا شودن ريبة وهو يقول: "لم يعلن الدوق تيلري أي ولاء للشو-ديريث".

وافقه رويال قائلًا: "ليس علانية، ولكن مصادري تقول إن هناك علاقة ما بين هذين الشخصين. هناك شيء واحد أكيد؛ نادرًا ما يكون هناك حفل كهذا في كاي، ولم يقم الدوق هذا الحفل بدون سبب واضح. الأمر يجعل المرء يتساءل ما الذي يُعلن عنه تيلري، ولماذا يرغب في أن نرى مدى ثرائه".

قالت سارين: "إنها فكرة مثيرة للاهتمام يا سيدي".

نادتها إيشن من الجانب الآخر للغرفة: "سارين؟ هلا أتيتِ إلى هنا يا عزيزتي؟".

قالت سارين وهي تنظر إلى الملكة التي تلوح لها كي تقترب: "أوه لا، برأيكما ما الذي تريده مني؟".

قال رويال وعيناه تلمعان: "أنا متشوق لمعرفة هذا".

أومأت سارين لإيشن، ثم اقتربت من الملكة وزوجها وانحنت لهما بتهذيب. تبعها شودن ورويال بشكل أكثر تحفظًا ووقفا على مرمى السمع.

ابتسمت إيشن مع اقتراب سارين وقالت: "عزيزتي كنت أشرح لزوجي الفكرة التي توصلنا إليها هذا الصباح، تلك التي تتعلق بالتمارين الرياضية". ثم أومأت برأسها ناحية الملك في حماس.

قال الملك: "ما هذا الهراء يا سارين؟ نسوة يلعبن بالسيوف؟".

قالت سارين متظاهرة بالبراءة: "لا يريدنا جلالة الملك أن نسمن، أليس كذلك؟".

"بالطبع لا، ولكن يمكنكن فحسب أن تأكلن أقل".

"ولكني أحب التمارين الرياضية يا جلالة الملك".

أخذ آيادون نفسًا عميقًا في انزعاج ثم قال: "يجب أن يكون هناك شكل آخر من التمارين لكي تمارسها النساء".

رمشت سارين بعينيها متظاهرة أنها على وشك البكاء وهي تقول: "ولكني أفعل هذا منذ طفولتي يا مولاي. لا شك أن الملك لا يعارض تسلية أنثوية حمقاء".

صمت الملك وهو يتأملها بنظره، ربما بالغت في الأمر في المرة السابقة. كست سارين وجهها بأفضل مظهر من البلاهة اليائسة، ثم ابتسمت.

وأخيرًا هز رأسه وقال: "فلتفعلي ما تريدينه يا امرأة، لا أُريد لشيء أن يُفسد أمسيتي".

قالت سارين وهي تنحني وتتراجع للوراء: "مولاي الملك حكيم للغاية".

عندما انضمت إلى شودن مرة أخرى همس قائلًا: "لقد نسيت بشأن هذا، لا شك أن الحفاظ على هذا التظاهر يكون عبئًا".

قالت سارين: "إنه مفيد في بعض الأحيان". كانا على وشك الابتعاد عندما لاحظت سارين ساعيًا يقترب من الملك. وضعت يدها على ذراع شودن مشيرة إلى أنها تريد الانتظار لدقيقة أخرى بينما يُمكنها سماع آيادون.

همس الرسول بشيء في أذن آيادون فاتسعت عينا الملك في غضب وهو يقول: "ماذا!".

اقترب الرجل ليهمس مرة أخرى فدفعه الملك للوراء وهو يقول: "فلتقلها يا رجل، لا يمكنني تحمل كل هذا الهمس".

"لقد حدث هذا الأسبوع يا مولاي".

اقتربت سارين قليلًا.

"يا للغرابة". جاءهما صوت يحمل لكنة غريبة. كان هراثن يقف على مسافة قريبة، ولكنه لم يكن يراقبهما، بل يوجه صوته بطريقة ما ناحية الملك، كأنما يسمح لكلماته بأن تكون مسموعة عن عمد. "لم أكن أظن أن الملك يناقش الأمور المهمة حيث يُمكن لأصحاب العقول البليدة أن يسمعوه. بعض الناس تصيبهم الأحداث العظيمة بالارتباك فلا يكون من مصلحتهم السماح لهم بمثل هذه الفرصة".

لم يبدُ على معظم الناس من حولها أنهم قد سمعوا تعليق الجيورن. نظر آيادون إلى سارين للحظة ثم أمسك بذراع الرسول وخطا مسرعًا إلى خارج الغرفة تاركًا إيشن وراءه وقد وقفت في دهشة. بينما سارين تراقب الملك وهو يغادر تحت عيني هراثن تنظران إلى عينيها وهو يبتسم ابتسامة باهتة قبل أن يولي اهتمامه من جديد إلى رفاقه.

قالت سارين وهي تشتعل غضبًا: "هل يمكنك أن تصدق هذا؟ إنه يفعل هذا عن عمد؟".

أومأ شودن برأسه وقال: "كثيرًا ما ينقلب مكرنا علينا يا سيدتي".

قال رويال: "إن الجيورن رجل حاذق، إن استغلال مظهر شخص ما لصالحك لهو ضربة بارعة".

قال شودن: "عادة ما أجد الأمر على النقيض من هذا، من المفيد دومًا أن يكون المرء على طبيعته. كلما ازداد عدد الأقنعة التي نرتديها زاد الارتباك".

أومأ رويال برأسه مبتسمًا وقال: "هذا صحيح، قد يكون مملًا، ولكنه صحيح".

لم تكن سارين منتبهة تمام الانتباه، كانت قد افترضت أنها من تتلاعب بمن حولها، ولكنها لم تُدرك قط ما خسرته بهذا التظاهر. قالت معترفة: "إن تظاهري بالسذاجة سيسبب لي المتاعب". ثم تنهدت ونظرت إلى شودن قائلة: "ولكني لا أقدر على التخلص منه، على الأقل أمام

الملك. ولكن بصراحة أشك أنه كان لينظر إليّ على أي نحو آخر بغض النظر عن الطريقة التي أتصرف بها".

قال شودن: "أنتِ محقة على الأرجح، إن الملك ضيق الأفق فيما يتعلق بالنساء".

عاد الملك بعد بضع لحظات بوجه متجهم، وكان من الواضح أن الأخبار التي تلقاها ـ أيًّا ما كانت ـ قد عكَّرت مزاجه. هرب الساعي بنظرة ارتياح على وجهه، وبينما يغادر لمحت سارين شخصًا جديدًا يدلف إلى الغرفة. كان الدوق تيلري متفاخرًا كعادته وهو يرتدي ملابس زاهية حمراء وذهبية، وأصابعه تلمع بالخواتم. راقبته سارين عن كثب ولكنه لم ينضم إلى الجيورن هراثن، بل وحتى لم يسلم عليه. في الواقع بدا أنه يتعمد تجاهل وجود الكاهن، وبدلًا من هذا تصرف بالتصرفات اللائقة التي يجب على المُضيف أن يباشرها، بأن زار كل مجموعة من الضيوف على حدة.

وأخيرًا قالت سارين: "أنت محق يا لورد رويال".

كان رويال منهمكًا في محادثة مع شودن فنظر إليها وقال: "ماذا؟".

قالت سارين وهي تومئ إلى الرجل: "الدوق تيلري، هناك شيء بينه وبين الجيورن".

قال رويال: "تيلري رجل مثير للمتاعب، لم أتمكن قط من معرفة دوافعه، في بعض الأحيان يبدو أنه لا يريد شيئًا سوى المال ليملأ به خزائنه، وفي أحيان أخرى...".

بتر جملته عندما التفت تيلري ناحية مجموعة سارين كأنما لاحظ أنهم يتفحصونه. ابتسم وهو يقترب منهم وآتارا إلى جانبه. "لورد رويال". كان صوته ناعمًا ويكاد أن يكون غير مكترث. "مرحبًا بكَ، ومرحبًا بكِ يا سمو الأميرة. لا أعتقد أننا قد تعرفنا أحدنا على الآخر بالشكل اللائق".

قدمهما رويال بالشكل اللائق، فانحنت سارين بينما تيلري يرتشف نبيذه ويتبادل المجاملات مع رويال. كان هناك شيء من اللامبالاة حياله مثير للدهشة. في حين أن قلة من النبلاء يبالون كثيرًا بالموضوعات التي يناقشونها ولكن معظمهم لديه على الأقل من اللياقة ما يجعله يبدو مهتمًا. لم يبالِ تيلري حتى بالتظاهر بهذا. كانت نبرته فجة ولكنها لم تصل مستوى الإهانة، وكان سلوكه يشي بعدم الاهتمام. وباستثناء المرة الأولى التي خاطب فيها سارين كان يتجاهلها تمامًا، ومن الواضح أنه مقتنع أنها ليست ذات أهمية ملحوظة.

في نهاية المطاف تبختر الدوق مبتعدًا وسارين تراقبه في انزعاج، إن كان هناك شيء واحد تمقته فهو أن يتجاهلها أحد. وأخيرًا تنهدت والتفتت إلى رفيقيها وهي تقول: "حسنًا يا لورد شودن، أُريد أن أختلط بالناس، إن هراثن يسبقني بأسبوع، ولكن فليلعنني دومي إن كنت سأسمح له بالبقاء متقدمًا عني".

***

كان الوقت متأخرًا، لقد أراد شودن أن ينصرف قبل ساعات، ولكن سارين كانت مصممة على المضي قدمًا، أن تتعرف على مئات الأشخاص، وأن تصنع علاقات بشكل غير عقلاني. جعلت شودن يعرفها على كل شخص يعرفه، وسرعان ما صارت الوجوه والأسماء ضبابية، ولكن التكرار سيجلب الألفة.

في نهاية المطاف سمحت لشودن أن يعيدها إلى القصر وهي تشعر بالرضا عن أحداث اليوم، تركها شودن وهو يودعها في تعب، وزعم أنه مسرور لأن آهان هو من عليه الدور في المرة القادمة لكي يصطحبها إلى حفلة راقصة. قال لها: "لقد استمتعت بصحبتك، ولكن لا يمكنني مجاراتك".

أحيانًا ما تجد سارين أنه من الصعب عليها أن تجاري نفسها. لقد دلفت إلى القصر بخطوات متعثرة وهي تشعر بالدوار بفعل التعب والنبيذ، حتى إنها بالكاد تمكنت من إبقاء عينيها مفتوحتين.

تردد صدى صيحات عبر الردهة، عقدت سارين حاجبيها وهي تنعطف لتجد حراس الملك يسرعون في الأرجاء ويصيحون أحدهم في الآخر، فكانوا مزعجين إلى حد كبير.

سألت وهي تحاول أن تُبقي رأسها متزنًا: "ما الذي يحدث؟".

قال أحد الحراس مفسرًا: "شخص ما قد اقتحم القصر الليلة، متسللًا عبر غرفة نوم الملك".

سألت سارين وقد أحست فجأة باليقظة: "هل تأذى أي شخص؟". لقد غادر آيادون وإيشن الحفل قبل مغادرتها هي وشودن بساعات.

قال الحارس: "حمدًا لدومي، لم يتأذَّ أي شخص؟". ثم التفت إلى اثنين من الجنود وقال آمرًا: "خذا الأميرة إلى غرفتها، وقفا أمام الباب لحراستها. طابت ليلتكِ يا سمو الأميرة، ولا تقلقي لقد رحل المقتحمون".

تنهدت سارين وهي تلاحظ صراخ الحراس وصخبهم ودروعهم وأسلحتهم التي تصدر قعقعة وهم يركضون بمنهجية عبر الردهات. كانت تشك في أنها ستنال ليلة سعيدة مع مثل هذه الجلبة مهما حاولت.

# الفصل الخامس عشر

في الليل عندما تلاشى كل شيء في ظلمة لا متناهية كان هراثن قادرًا على أن يرى عظمة إيلانتريس. كانت المباني المتداعية قد تحولت إلى ظلال تحت ضوء النجوم وهي تُلقي بعباءة من اليأس وذكريات الماضي، ذكريات مدينة صُنعت بمهارة وحرفة، مدينة كل حجر فيها يُمثل تحفة فنية عملية، ذكريات أبراج تمتد إلى السماء، كأصابع تداعب النجوم، وقباب تنتشر كتلال جليلة.

وكل هذا كان مجرد وهم، فتحت العظمة يكمن حطام من القذارة قد كُشِف عنه. كم من السهل التغاضي عن الهرطقات المطلية بالذهب، كم من السهل افتراض أن القوة الخارجية تشي بصلاح داخلي.

همس هراثن وهو يخطو فوق السور العظيم الذي يحيط بالمدينة: "فلتحلمي يا إيلانتريس، فلتتذكري ما كنتِ عليه، وحاولي أن تُخفي خطاياكِ تحت غطاء من الظلام. غدًا ستُشرق الشمس وسينكشف كل شيء مرة أخرى".

"سيدي؟ هل قلت شيئًا؟".

التفت هراثن، وبالكاد لاحظ الحارس الذي يمر من جواره فوق السور. كان رمح الرجل الثقيل مستقرًّا على كتفه، ومشعله الخافت يكاد أن ينطفئ.

"لا، كنت أهمس لنفسي فحسب".

أومأ الحارس برأسه وهو يواصل جولاته. لقد صاروا معتادين على وجود هراثن، الذي قد زار إيلانتريس كل ليلة تقريبًا طيلة هذا الأسبوع، فيقطع أسوارها وهو غارق في التفكير. رغم أنه عادة ما يكون لديه سبب إضافي لزيارة المدينة في هذا الوقت بالتحديد لكنه ببساطة يأتي إلى هنا ليختلي بنفسه وأفكاره. لم يكن واثقًا مما يجذبه إلى المدينة، جزء من الأمر كان الفضول، إنه لم يرَ إيلانتريس في أوج قوتها، ولم يستطع أن يفهم كيف يُمكن لشيء - حتى مدينة بهذه العظمة - أن يصمد بلا هوادة أمام عظمة فيوردن، أولًا العسكرية، ثم الدينية.

كان يشعر بالمسئولية أيضًا تجاه البشر - أو أيًّا ما كانوا - الذين يعيشون بداخل إيلانتريس. إنه يستغلهم ويجعلهم عدوًّا يوحد به أتباعه. أحس بالذنب، لم يكن الإيلانتريون الذين رآهم شياطين، بل تعساء يعانون مرضًا شنيعًا. إنهم يستحقون الشفقة لا التحقير، ورغم ذلك سيجعلهم شياطينه لأنه يعرف أن هذه هي الطريقة الوحيدة الأسهل لتوحيد أريلون دون تكبد الكثير من الخسائر. إن جعل الشعب ينقلب على حكومته كما فعل في دولادل فسيكون هناك موت، هذا الطريق يؤدي إلى سفك الدماء أيضًا، ولكنه يأمل أنها ستكون أقل بكثير.

قال هراثن لنفسه: *يا له من عبء يجب عليَّ أن أقبل به لخدمة إمبراطوريتك أيها الرب جادث.* لا يهم إن كان يتصرف باسم الكنيسة، أو أنه قد أنقذ آلافًا وآلافًا من الأرواح. الدمار الذي تسبب فيه هراثن في دولادل يطحن روحه كحجر رحى. الناس الذين قد وثقوا فيه صاروا أمواتًا، ومجتمع كامل قد سقط في الفوضى.

ولكن جادث يريد منا أن نضحي، ما قيمة ضمير رجل واحد عند مقارنته بمجد حُكم جادث؟ ما قيمة إحساس صغير بالذنب بينما الأمة تتوحد تحت عين جادث الحارسة؟ كان على هراثن أن يحمل ندوب ما فعله، ولكن من الأفضل أن يعاني رجل واحد على أن تستمر أمة بأسرها في الهرطقة.

أبعد هراثن عينيه عن إيلانتريس وبدلًا من هذا نظر ناحية أضواء كاي المتلألئة. لقد منحه جادث فرصة أخرى، وهذه المرة سيفعل الأشياء على نحو مختلف. لن يكون هناك ثورة خطيرة، ولن يكون هناك مجزرة بسبب انقلاب طبقة اجتماعية على الأخرى. سيضغط هراثن بحذر حتى يتنحى آيادون ويحل محله رجل أكثر ملائمة. سيكون من السهل على نبلاء أريلون أن يعتنقوا الدين الصحيح، هؤلاء الذين سيعانون حقًّا والذين سيكونون كبش الفداء في خطته هم الإيلانتريون.

كانت خطة جيدة، كان على يقين من أنه قادر على سحق النظام الأريلي الملكي دون أن يبذل جهدًا كبيرًا، فهو متصدع وضعيف بالفعل، الناس في أريلون يعانون اضطهادًا شديدًا، حتى إنه سيتمكن من تشكيل حكومة جديدة بسرعة قبل حتى أن يتلقوا أنباء سقوط آيادون. لن يكون هناك ثورة، سيكون كل شيء سلسًا وبدون إراقة دماء.

ما لم يرتكب خطأً، لقد زار المزارع والمدن المحيطة بكاي، وكان يعرف أن الناس يعانون ضغوطات تفوق قدرتهم على التحمل، إن منحهم فرصة كبيرة فسيثورون ويذبحون الطبقة النبيلة كلها، هذا الاحتمال جعله يشعر بالتوتر، وغالبًا لأنه يعرف أنه إن حدث هذا فسيستفيد منه، إن الجيورن العقلاني بداخله سيمتطي الدمار كأنه حصان رائع، وسيستخدمه لجعل الأمة بأسرها تتبع الديانة الديريثية.

تنهد هراثن وهو يواصل سيره، كان الحراس يحافظون على هذا الجزء من ممشى السور نظيفًا، ولكنه إن ابتعد كثيرًا في سيره سيصل إلى منطقة مغطاة بوسخ زيتي داكن. لم يكن يعرف على وجه اليقين ما الذي يتسبب في هذا الوسخ، ولكن بدا أنه يغطي السور بالكامل، بمجرد أن يبتعد عن منطقة البوابة المركزية.

ولكنه قبل أن يصل إلى الأوساخ لاحظ مجموعة من الرجال يقفون على ممشى السور. كانوا يرتدون عباءات رغم أن الليل لم يكن باردًا للغاية حتى يحتاج المرء إلى عباءة. ربما ظنوا أن هذه

الملابس ستجعل من الصعب تمييزهم، ولكن إن كان هذا هو الغرض فربما كان من المفترض للدوق تيلري أن يختار ارتداء شيء مختلف عن عباءة خزامية فاخرة مرصعة بتطريز فضي.

هز هراثن رأسه مستاءً من هذه المادية. الرجال الذين يجب أن نعمل معهم من أجل تحقيق أهداف جادث...

لم يخفض الدوق تيلري غطاء رأسه ولم ينحنِ بالشكل اللائق مع اقتراب هراثن. ولكن هراثن لم يكن يتوقع منه أن يفعل هذا ولا ذاك بالطبع. ما فعله الدوق هو أن أومأ لحراسه لكي يبتعدوا بما يسمح لهما بالخصوصية.

خطا هراثن لكي يقف بجانب الدوق تيلري متكئًا إلى حاجز السور وهو يحدق إلى مدينة كاي. كانت الأضواء متلألئة، الكثير من الناس في المدينة أثرياء حتى إن الشموع وزيت المصابيح متوفرة بغزارة. لقد زار هراثن بعض المدن الكبيرة التي تصير مظلمة مثل إيلانتريس عندما يحل الليل.

سأله تيلري: "ألن تسأل لمَ أردت أن ألتقي بك؟".

قال هراثن ببساطة: "أنت قد أعدت التفكير في خطتنا".

صمت تيلري وبدا عليه أنه متفاجئ لأن هراثن قد فهمه بسهولة. ثم قال: "نعم، حسنًا، إن كنت تعرف هذا بالفعل إذن فربما أعدت التفكير بدورك".

قال هراثن: "لا، على الإطلاق، ولكن هذه الطريقة المتخفية التي أردت أن نلتقي بها قد كشفت ما تضمره".

عقد تيلري حاجبيه، كان هذا الرجل معتادًا على أن يكون مهيمنًا في أي محادثة، هل هذا هو سبب تردده؟ هل أساء هراثن إليه؟ لا، بتفحص عيني تيلري أدرك هراثن أن الأمر ليس هكذا.

في البداية كان تيلري متلهفًا لأن يعقد صفقة مع فيوردن، وقد بدا بالتأكيد مستمتعًا بإقامة الحفل هذا المساء، فما الذي تغير؟

قال هراثن لنفسه: *لا يُمكنني السماح بضياع هذه الفرصة*. فقط لو كان لديه المزيد من الوقت، لقد تبقى أقل من ثمانين يومًا على نهاية مهلة الثلاثة أشهر. لو أنه مُنح ولو عامًا واحدًا لتمكن من العمل بمزيد من الدقة والإحكام، لسوء الحظ لم يكن لديه مثل هذه الرفاهية، وكان الهجوم الحاد باستخدام تيلري هو أفضل رهان لتغيير سلس في القيادة.

قال هراثن: "لِمَ لا تخبرني بما يزعجك؟".

قال تيلري وهو يتخير كلماته بحرص: "أنا لست واثقًا من أنني أُريد العمل مع فيوردن".

رفع هراثن حاجبًا وهو يقول: "لم تبدُ مترددًا من قبل".

نظر تيلري إلى هراثن من تحت غطاء رأسه وقد بدا في ضوء القمر الشاحب أن وجهه جزء من الظلال، وقد منحت ملامحه هالة منذرة بالخطر، أو على الأقل كانت لتمنحه هذا لو لم يفسد زيه الباهظ هذا التأثير.

قال تيلري عاقدًا حاجبيه: "لقد سمعت بعض الأشياء المثيرة للاهتمام في حفل هذا المساء أيها الجيورن، هل كنتَ حقًّا الشخص المُكلف في دولادل قبل انهيارها؟".

قال هراثن لنفسه: *آه، هذا هو الأمر إذن*. قبل أن يقول: "كنتُ هناك".

قال تيلري: "وأنت هنا الآن. هل تتساءل لِمَ قد يشعر أحد النبلاء بالقلق من هذه الأخبار؟ إن الطبقة الجمهورية الحاكمة في دولادل قد ذُبحت بأسرها في تلك الثورة! وتزعم مصادري أن لك دورًا كبيرًا في هذا الأمر".

ربما هذا الرجل ليس أحمق كما ظن هراثن، سيكون عليه أن يتحدث بدقة. أومأ ناحية حراس تيلري الواقفين على مسافة قصيرة عبر الممشى وسأله: "من أين حصلت على هؤلاء الجنود أيها اللورد؟".

صمت تيلري ثم قال: "ما علاقة هذا بأي شيء؟".

"فلتسايرني وحسب".

التفت تيلري لينظر إلى الجنود ثم قال: "لقد جندتهم من بين حرس مدينة إيلانتريس، استأجرتهم ليكونوا حراسي الشخصيين".

أومأ هراثن برأسه وقال: "وكم عدد الحراس الذين توظفهم؟".

قال تيلري: "خمسة عشر".

"وما مقدار مهارتهم من وجهة نظرك؟".

هز تيلري كتفيه وقال: "أفترض أنها جيدة بما يكفي، لم أرهم بالفعل يقاتلون من قبل".

قال هراثن: "ربما هذا لأنهم لم يقاتلوا من قبل قط، لم يشهد أي من جنود أريلون هنا قتالًا حقيقيًّا من قبل".

سأله تيلري في غضب: "ما الذي ترمي إليه أيها الجيورن؟".

التفت هراثن وأومأ ناحية مركز حراسة مدينة إيلانتريس، المضاء في الأفق بمشاعل عند قاعدة السور، وقال: "كم عدد الحرس؟ خمسمئة جندي؟ ربما سبعمئة؟ إن ضمَّنت قوات الشرطة المحلية، والحراس الشخصيين مثل حراسك، فربما يكون هناك ألف جندي في مدينة كاي.

بالإضافة إلى فيلق اللورد إيونديل، فسيكون لديك أقل من ألف وخمسمئة جندي محترف في هذا النطاق".

سأله تيلري: "ومن ثم؟".

التفت إليه هراثن وقال: "هل تعتقد حقًّا أن الويرن يحتاج إلى ثورة للسيطرة على أريلون؟".

قال تيلري: "الويرن لا يمتلك جيشًا، فيوردن لا تمتلك إلا قوات الدفاع الأساسية".

قال هراثن: "أنا لا أتحدث عن فيوردن، بل أتحدث عن الويرن، الوصي على كل الخلق، وقائد الشو-ديريث. بحقك يا لورد تيلري، دعنا نتحدث بصراحة، كم عدد الجنود في هروڤل؟ في جادور؟ في سڤوردن؟ في كل أمم الشرق الأخرى؟ هؤلاء الأشخاص الذين أقسموا بالولاء للديانة الديريثية. ألا تعتقد أنهم سينتفضون تلبية لأمر من الويرن؟".

تردد تيلري.

أومأ هراثن وقد رأى التفهم يتزايد في عيني الدوق، الرجل لا يعرف نصف الحقيقة، الحقيقة هي أن الويرن لم يكن بحاجة حتى إلى جيش من الأجانب لغزو أريلون، قلة من خارج الكهنوت الأعلى يُمكنهم أن يفهموا القوة الثانية التي يمتلكها الويرن تحت إمرته، ألا وهي الأديرة. لقرون كان الكهنوت الديريثي يدرب كهنته على الحرب والاغتيال و... فنون أخرى. إن دفاعات أريلون ضعيفة للغاية حتى إن أفراد دير واحد يُمكنهم على الأرجح أن يغزوا هذا البلد. ارتجف هراثن مع فكرة أن... يتمكن الكهنة المتدربون داخل دير داخور من الوصول إلى أريلون العاجزة عن الدفاع عن نفسها. نظر إلى ذراعه، إلى المكان الذي يحمل فيه. تحت درعه المعدنية . علامات الوقت الذي قضاه هناك. ومع ذلك لم تكن هذه أشياء يُمكن أن يفسرها لتيلري.

قال هراثن بصراحة: "سيدي اللورد، أنا هنا في أريلون لأن الويرن يُريد أن يمنح الناس فرصة الانتقال السلمي للشو-ديريث. إنه قادر على تحطيم هذا البلد إن أراد هذا، ولكنه بدلًا من هذا أرسلني إلى هنا، هدفي الوحيد هو أن أقنع شعب أريلون بالدين".

أومأ تيلري برأسه ببطء.

قال هراثن: "الخطوة الأولى في إقناعهم بالدين هو الحرص على أن تكون الحكومة مؤيدة للديانة الديريثية، هذا سيتطلب تغييرًا في القيادة، وسيتطلب وضع ملك جديد على العرش".

قال تيلري: "هل أعتبر هذا وعدًا منك؟".

قال هراثن: "سيكون العرش لك".

أومأ تيلري برأسه، من الواضح أن هذا ما كان ينتظره، كانت وعود هراثن مبهمة من قبل، ولم يعد قادرًا على أن يتحمل هذه المراوغة. إن هذا التأكيد قد منح تيلري دليلًا شفهيًّا على أن هراثن يحاول تقويض حكم آيادون، وهي مخاطرة محسوبة، ولكن هراثن بارع للغاية في مثل هذه الحسابات.

قال تيلري محذرًا: "سيكون هناك من يعارضونك".

"مثل من؟".

قال تيلري: "تلك المرأة سارين، من الواضح أنها تتظاهر بالسذاجة. تقول مصادري إنها تُبدي اهتمامًا كبيرًا بأنشطتك، وإنها كانت تسأل عنك في حفل هذه الليلة".

تفاجأ هراثن من فطنة تيلري، لقد بدا الرجل متغطرسًا للغاية، وفجًّا للغاية، ومع هذا كان من الواضح أن به قدرًا من الكفاءة، قد يكون هذا ميزة أو عيبًا.

قال هراثن: "لا تقلق بشأن الفتاة، فقط خذ الأموال التي نعرضها عليك وانتظر، ستحين فرصتك قريبًا، هل سمعت بالأخبار التي تلقاها الملك الليلة؟".

صمت تيلري قليلًا ثم أومأ برأسه.

قال هراثن: "الأمور تسير على النحو الذي وعدتك به، الآن علينا فقط أن نتحلى بالصبر".

قال تيلري: "لا بأس". لا يزال لديه تحفظاته، ولكن منطق هراثن بالإضافة إلى الوعد الصريح بالعرش كانا كافيين كما هو واضح. أومأ الدوق برأسه باحترام لهراثن على غير العادة، ثم لوح لحراسه وبدأ في السير مبتعدًا.

قال هراثن وقد خطرت له فكرة: "دوق تيلري".

أبطأ تيلري من حركته وهو يلتفت وراءه. سأله هراثن: "هل لا يزال لدى جنودك أصدقاء من بين حرس مدينة إيلانتريس؟".

هز تيلري كتفيه وقال: "أفترض هذا".

قال له هراثن بصوت خافت لكيلا يسمعه حرس تيلري الشخصيون: "فلتضاعف أجر رجالك، وأثنِ على حرس مدينة إيلانتريس أمامهم، وامنحهم وقتًا لكي يقضوه مع رفاقهم القدامى. قد يكون... من المفيد لمستقبلك أن يكون معروفًا بين الحرس أنك رجل يكافئ هؤلاء الذين يمنحونه الولاء".

سأله تيلري بحذر: "هل ستوفر المال الإضافي الذي سأدفعه لرجالي؟".

بدا الانزعاج على هراثن، ولكنه قال: "لا بأس".

أومأ تيلري برأسه ثم مشى ليلتحق برجاله.

استدار هراثن واتكأ إلى السور لينظر من جديد إلى كاي. سيكون عليه أن ينتظر فترة قصيرة قبل أن يعود إلى السلم ويهبط. لا يزال تيلري قلقًا بشأن إعلان ولائه للديانة الديريثية، ولم يكن يريد أن يراه الناس على الملأ وهو يجتمع مع هراثن. إن الرجل شديد القلق، ولكن ربما من الأفضل له أن يظهر بمظهر الرجل المتدين المحافظ في الوقت الحالي.

ما أزعج هراثن هو أن تيلري قد ذكر سارين، لسبب ما قررت الأميرة التيودية المفعمة بالحيوية معارضة هراثن، رغم أنه لم يمنحها سببًا واضحًا لفعل هذا. كان هذا الأمر مفارقة غريبة، إنها لا تعرف هذا بعد، ولكن هراثن هو أعظم حلفائها وليس ألد أعدائها. إن شعبها سيعتنق الدين بطريقة أو بأخرى، فإما أن يستجيبوا لدعوات هراثن الإنسانية، أو تسحقهم جيوش فيوردن.

يشك هراثن أنه سيكون قادرًا على إقناعها بهذه الحقيقة، لقد رأى في عينيها أنها لا تثق فيه، وستفترض على الفور أن أيًّا ما يقوله هو محض كذب. إنها تكرهه بشكل غير عقلاني، كما سيفعل أي شخص يعرف أن إيمانه أدنى منزلة. إن التعاليم الكوراثية كادت أن تُنسى في دول الشرق الكبرى، تمامًا كما سيحدث في أريلون وتيود. إن الشو-كوراث ضعيفة للغاية وتفتقر إلى الحيوية، أما الشو-ديريث فتتمتع بالقوة والحيوية، كنبتتين تتصارعان على نفس الأرض، الشو-ديريث ستخنق الشو-كوراث.

هز هراثن رأسه وهو ينتظر فترة زمنية آمنة، وأخيرًا عاد ليمشي على طول السور باتجاه السلم الذي يهبط إلى كاي. عند وصوله سمع دويًّا يتردد صداه بالأسفل، فتوقف في موضعه في دهشة، بدا الأمر وكأن بوابات المدينة قد أُغلقت للتو.

اقترب هراثن من مجموعة الجنود الواقفين في حلقة من أضواء المشاعل وسألهم: "ماذا كان هذا؟".

هزَّ الحراس أكتافهم ولكن أحدهم أشار إلى هيئتين تمشيان عبر الباحة المظلمة بالأسفل وقال: "لا شك أنهم قد أمسكوا بشخص ما يحاول الهرب".

قطب هراثن جبينه وهو يقول: "هل يحدث هذا كثيرا؟".

هزَّ الحارس رأسه وقال: "معظمهم بلا عقل على أن يفكروا في محاولة الهرب، ولكن من وقت لآخر يحاول أحدهم أن يهرب بعيدًا، ولكننا دومًا ما نُمسك بهم".

قال هراثن: "شكرًا لكم". ثم ترك الحراس وراءه بينما يبدأ هبوطه الطويل إلى المدينة بالأسفل. عندما وصل إلى آخر الدرج وجد مبنى الحرس الرئيسي، كان قائد الحرس بالداخل، وعيناه ناعستان كأنما قد أيقظوه للتو.

سأله هراثن: "هل هناك مشكلة أيها القائد؟".

التفت قائد الحرس إليه في دهشة ثم قال: "أوه، إنه أنت أيها الجيورن. لا، لا مشكلة. إن أحد الملازمين قد فعل شيئًا لم يكن من المفترض أن يفعله".

سأله هراثن: "السماح لبعض الإيلانتريين بالعودة إلى المدينة؟".

عقد قائد الحرس حاجبيه ولكنه أومأ برأسه. لقد التقى هراثن بالرجل مرات عديدة من قبل، وفي كل لقاء يُشبع جشع قائد الحرس ببعض العملات المعدنية. يكاد هذا الرجل أن يصير رجله.

قال هراثن وهو يمد يده إلى حزامه ويُخرج كيس نقوده: "يُمكنني أن أعرض عليك خيارًا مختلفًا في المرة القادمة أيها القائد".

لمعت عينا قائد الحرس عندما بدأ هراثن يُخرج الويرنيات[٢٧] الذهبية من كيسه، عملات معدنية مختومة برأس الويرن وولفدين.

قال هراثن وهو يضع كومة من العملات المعدنية على الطاولة: "لطالما أردت أن أدرس واحدًا من هؤلاء الإيلانتريين عن كثب، لأسباب دينية. سأكون ممتنًا إن وجد الإيلانتري الذي ستقبضون عليه في المرة التالية طريقه إلى كنيستي قبل أن يُلقى من جديد إلى داخل المدينة".

قال قائد الحرس وهو يلتقط العملات المعدنية من على الطاولة بيد متلهفة: "يُمكن ترتيب هذا على الأرجح يا سيدي".

قال هراثن: "لا داعي لأن يعرف أحد بشأن الأمر بالطبع".

"بالطبع يا سيدي".

---

[٢٧] الويرنيات: العملة الذهبية الرسمية في فيوردن.

# الفصل السادس عشر

حاول رايودن ذات مرة أن يُحرر آين، كان صبيًّا صغيرًا في ذلك الوقت، عقله بسيط ولكن نيته نقية، كان قد تعلم عن الرق من أحد معلميه، وبشكل ما فكَّر أن السيونات محتجزة رغم إرادتها. لقد ذهب إلى آين بعينين دامعتين في ذلك اليوم مطالبًا أن يقبل السيون حريته.

قال آين مجيبًا الصبي الباكي: "ولكنني حر أيها السيد الصغير".

قال رايودن مجادلًا: "لا، لست كذلك، أنت عبد، أنت تفعل ما يأمرك الناس به".

"أنا أفعل هذا لأنني أُريده يا رايودن".

"لماذا؟ ألا تُريد أن تكون حرًّا؟".

قال آين مفسرًا وهو ينبض بشكل مُطَمْئن: "أنا أُريد أن أخدم أيها السيد الصغير، حريتي أن أكون هنا معك".

"لا أفهم".

قال السيون بصوته الحكيم المتسامح: "أنت تنظر إلى الأشياء كبشري أيها السيد الصغير، أنت ترى المرتبة والتفرقة، وتحاول أن تنظم العالم لكي يكون كل شيء إما فوقك أو تحتك، بالنسبة للسيونات لا يوجد أعلى وأسفل، هناك فقط من نحبهم، ونحن نخدم من نحبهم".

أجابه رايودن في سخط: "ولكنك لا تتلقى أجرًا!".

"بل أتلقى أجرًا أيها السيد الصغير، إن أجري هو فخر الأب وحب الأم، إن راتبي هو الإحساس بالرضا وأنا أراك تكبر".

لم يفهم رايودن هذه الكلمات إلا بعد سنوات عديدة، لكنها لطالما بقيت في عقله. بينما رايودن يكبر ويتعلم ويُصغي إلى المواعظ الكوراثية التي لا تُحصى حول قوة الحب الموحِّدة، صار يرى السيونات بطريقة مختلفة، ليس كخدم أو حتى كأصدقاء، بل كشيء أعمق وأقوى. أحس كأن السيونات هي تعبير عن دومي نفسه، انعكاس لمحبة الإله لشعبه. ورغم أنهم يخدمون كانوا أقرب إلى السماء مما يمكن أن يفهمه من يُفترض أنهم سادتهم.

ابتسم رايودن ابتسامة شاحبة بينما يُشاهد آين يطفو ويتمايل ثم قال: "أنت حر أخيرًا يا صديقي". منذ الشايود لم يعد قادرًا على أن ينال من السيون أكثر من بصيص يشي بأنه قد تعرف عليه، رغم أن آين بدا أنه يبقى عمومًا بالقرب من رايودن.

قال رايودن مخاطبًا جالادون الجالس على مقربة منه: "أعتقد أنني أعرف ما خطبه". كان على سطح مبنى على مسافة بضع مبانٍ من الكنيسة، بعد أن طردهما كاهار من مجلسهما المعتاد معتذرًا. كان الرجل العجوز ينظف بحماس في الأيام التي تلت وصوله، وقد جاء وقت الصقل النهائي. باكرًا هذا الصباح ألقى بهم جميعًا إلى الخارج في أسف وإلحاح لكي يتمكن من إنهاء عمله.

رفع جالادون عينيه عن كتابه وقال: "من؟ السيون؟".

أومأ رايودن برأسه مستلقيًا على بطنه بالقرب من حافة ما كان ذات يوم سور حديقة وهو يراقب آين قبل أن يقول: "إن آيونه ليس مكتملًا".

قال جالادون مفكرًا: "آين، هذا يعني الشفاء، كولو؟".

"هذا صحيح، باستثناء أن آيونه لم يعد مكتملًا، هناك تكسرات صغيرة في خطوطه، وبقع باهتة في لونه".

تنهد جالادون ولكنه لم يقل شيئًا، فهو لم يكن مهتمًا بالآيونات أو السيونات مثل رايودن. راح رايودن يُراقب آين للحظات أخرى، ثم عاد من جديد إلى دراسة كتاب الآيوندور. لم يقرأ منه جزءًا كبيرًا قبل أن يطرح جالادون موضوعًا جديدًا.

سأله الرجل الدولادي متأملًا: "ما أكثر شيء تفتقده يا سول؟".

"أكثر شيء أفتقده؟ أتعني بالخارج؟".

قال جالادون: "كولو، ما هو الشيء الذي ستجلبه إلى إيلانتريس إن استطعت؟".

قال رايودن: "لا أعرف، سأحتاج إلى التفكير في الأمر، ماذا عنك؟".

قال جالادون وقد بدا غارقًا في ذكرياته: "بيتي، لقد بنيته بنفسي يا سول، قطعت كل شجرة، وصنعت كل لوح، ودققت كل مسمار. لقد كان جميلًا، لا يمكن لقصر أو قلعة أن يضاهيا ما يصنعه المرء بيديه".

أومأ رايودن برأسه وهو يتخيل البيت. ما الذي كان يمتلكه ويفتقده بشدة؟ كان ابن ملك، وبالتالي كان له الكثير من الممتلكات، ولكن الإجابة التي خطرت على باله فاجأته.

قال: "الخطابات، سأجلب كومة من الخطابات".

"الخطابات يا سول؟". كان من الواضح أنه لم يكن يتوقع هذه الإجابة. "ممن؟".

"من فتاة".

ضحك جالادون وقال: "امرأة يا سول، لم أكن أعتقد أنك من النوع الرومانسي".

"كوني لا أتصرف بشكل درامي مثل شخصية من إحدى رواياتكم الدولادية الرومانسية فهذا لا يعني أنني لا أفكر في مثل هذه الأشياء".

رفع جالادون يديه وقال بنبرة دفاعية: "على رسلك يا سول، أنا مندهش فحسب. من كانت هذه الفتاة؟".

"كان من المفترض أن أتزوجها".

"لا شك أنها كانت امرأة استثنائية".

وافقه رايودن قائلًا: "لا شك في هذا، أتمنى لو أنني التقيت بها".

"لم تلتقيا قط؟".

هز رايودن رأسه وقال: "هذا هو سبب تبادُلنا للخطابات يا صديقي. كانت تعيش في تيود، في الحقيقة كانت ابنة الملك. بدأت في إرسال الخطابات لي قبل عام تقريبًا. كانت تكتب ببراعة، تحيك كلماتها بفطنة، حتى إنني لا أستطيع منع نفسي من الرد. لقد تبادلنا الخطابات لمدة خمسة أشهر قبل أن تعرض عليَّ الزواج".

سأله جالادون: "هي من عرض عليك الزواج؟".

ابتسم رايودن وقال: "بلا خجل، كان هناك دافع سياسي وراء الأمر بالطبع، أرادت سارين تحقيق اتحاد قوي بين تيود وأريلون".

"وأنت قبلت؟".

"كانت فرصة جيدة، فمنذ الريود كانت تيود بمعزل عن أريلون، كما أن هذه الخطابات كانت تجعلني أشعر بالنشوة. هذا العام الأخير كان... صعبًا. يبدو أن أبي مصمم على أن يودي

بأريلون إلى الخراب، وهو رجل لا يتحلى بالصبر مع من يُخالفه الرأي. ولكن كلما بدا لي أن أعبائي أكبر من قدرتي على التحمل كنت أتلقى خطابًا من سارين. إن لديها سيون أيضًا، وبعد عقد الخطبة رسميًّا بدأنا نتحدث بانتظام. كانت تتصل في المساء فينساب صوتها من آين ليأسرني، أحيانًا ما كنا نترك الرابط متصلًا لساعات".

قال جالادون ساخرًا: "ما الذي قلته عن كونك لا تتصرف كشخصية من رواية رومانسية؟".

تنهد رايودن ثم أولى اهتمامه من جديد إلى كتابه وهو يقول: "ها قد أجبتك، إن كان بمقدوري أن أنال أي شيء فأنا أُريد هذه الخطابات. كنت متحمسًا حقًّا لهذا الزواج، حتى لو كان هذا التحالف هو مجرد رد فعل على الغزو الديريثي لدولادل".

خيَّم الصمت.

وأخيرًا سأله جالاداون بصوت خافت: "ما الذي قلته يا رايودن؟".

"ماذا؟ هل تقصد الخطابات؟".

"لا، أقصد دولادل".

صمت رايودن، لقد زعم جالادون أنه قد دخل إيلانتريس قبل بضعة أشهر، ولكن الدولاديين معروفون أنهم لا يقدرون الأمور حق قدرها، لقد سقطت الجمهورية الدولادية قبل أكثر من ستة أشهر مضت. قال رايودن: "لقد افترضت أنك تعرف".

سأله جالادون: "أعرف ماذا يا سول؟ افترضت أنني أعرف ماذا؟".

قال رايودن بصوت مليء بالتعاطف: "أنا آسف يا جالادون". ثم التفت وهو يعتدل في جلسته قبل أن يقول: "لقد انهارت الجمهورية الدولادية".

شهق جالادون ثم قال بعينين متسعتين: "مستحيل".

أومأ رايودن برأسه ثم قال: "كان هناك ثورة مثل تلك التي حدثت في أريلون قبل عشر سنوات، ولكنها كانت أكثر عنفًا، لقد دمرت الطبقة الجمهورية بالكامل وأُقيمت الملكية".

"مستحيل، كانت الجمهورية قوية... كنا جميعًا نؤمن بها كثيرًا".

قال رايودن: "هناك أشياء قد تغيرت يا صديقي". ثم اعتدل واقفًا ومشى ليضع يده على كتف جالادون.

قال جالادون: "لا أصدق أن هذا قد حدث للجمهورية، كنا جميعًا نختار من يحكمنا يا سول، فلِمَ يثورون في وجه هذا؟".

هز رايودن رأسه وقال: "لا أعرف، لم تصلنا الكثير من المعلومات، كان وقت من الفوضى في دولادل، ولهذا تمكن كهنة فيوردن من التدخل والاستيلاء على السلطة".

رفع جالادون عينيه وقال: "هذا يعني أن أريلون في ورطة، لقد كنا دومًا هناك لنُبقي الديريثيين بعيدًا عن حدودكم".

"أُدرك هذا".

سأله: "ما الذي حدث للجسكرية؟ ديانتي، ما الذي حدث لها؟".

اكتفى رايودن بأن هز رأسه.

"لا شك أنك تعرف شيئًا ما!".

قال رايودن بصوت يملأه الأسف: "الشو-ديريث هي الديانة الرسمية في دولادل الآن".

أطرق جالادون بعينيه وهو يقول: "لقد ضاعت إذن".

قال رايودن في محاولة ضعيفة للمواساة: "لا يزال هناك الباطنية".

عقد جالادون حاجبيه وقال بعينين صارمتين: "الباطنية ليست هي ذاتها الجسكرية يا سول، إنها مجرد محاكاة ساخرة للأشياء المقدسة، مجرد تحريف، وحدهم الغرباء الذين لا يفهمون الدور[٢٨] حق فهمه يمارسون الباطنية".

رفع رايودن يده من على كتف الرجل الحزين وهو لا يعرف كيف يواسيه. قال مرة أخرى وهو يشعر بالعجز: "ظننت أنك تعرف".

اكتفى جالادون بأن تنهد وهو يحدق بشرود بعينين يملأهما الأسى.

***

ترك رايودن جالادون على السطح، فقد أراد الدولادي الضخم أن ينفرد بحزنه. لم يكن رايودن يعرف ما يجب أن يفعله فعاد إلى الكنيسة مشتتًا بأفكاره، ولكنه لم يبقَ على هذا الحال لوقت طويل.

صاح رايودن وهو يتلفت حوله في انبهار: "هذا جميل يا كاهار".

رفع العجوز عينيه عن الركن الذي ينظفه، وقد ارتسم على وجهه فخر عميق. كانت الكنيسة خاوية من الأوحال، وكل ما تبقى هو رخام نظيف بلون رمادي يميل للأبيض. كانت أشعة الشمس تتدفق عبر النوافذ الغربية لتنعكس على الأرضية اللامعة وتضيء الكنيسة بأسرها بنور سماوي. كانت النقوش تغطي كل سطح تقريبًا، بعمق نصف بوصة فحسب، لذا كانت تفاصيل المنحوتات ضائعة في الوحل من قبل. مرر رايودن أصابعه على إحدى التحف الصغيرة، التعبيرات المرتسمة على وجوه الناس بتفاصيل دقيقة فبدت كأنما تنبض بالحياة.

---

[٢٨] الدور: مصدر كل الطاقة الروحانية في كوكب سيل.

همس قائلًا: "إنها مذهلة".

قال كاهار وهو يقف إلى جانب رايودن: "لم أكن أعرف حتى أنها موجودة يا سيدي، لم أرها حتى بدأت التنظيف، ثم اختفت في الظلال حتى انتهيت من الأرضية. الرخام أملس للغاية، حتى يكاد أن يكون مرآة، والنوافذ قد وضعت بشكل ملائم، بما يسمح بانعكاس الضوء".

"وهذه النقوش تمتد في القاعة بأسرها؟".

"أجل يا سيدي، وهذا ليس المبنى الوحيد الذي يحتوي على النقوش، سيقابلك جدارًا أو قطعة أثاث مغطاة بالنقوش، هذا على الأرجح كان شائعًا في إيلانتريس قبل الريود".

أومأ رايودن برأسه وقال: "كانت مدينة الآلهة يا كاهار".

ابتسم الرجل العجوز، كانت يداه سوداوين بفعل الوحل، ويتدلى من حزامه بعض القطع القماشية المخصصة للتنظيف، ولكنه كان سعيدًا.

سأله في لهفة: "ما الذي يجب عليَّ أن أفعله بعد هذا يا سيدي؟".

فكَّر رايودن في الأمر بسرعة، لقد هاجم كاهار أوساخ الكنيسة بنفس السخط المقدس الذي قد يستخدمه كاهن لمحق خطيئة، ولأول مرة منذ أشهر، وربما منذ سنوات، يكون هناك حاجة لكاهار.

قال رايودن: "إن قومنا بدأوا العيش في المباني المجاورة يا كاهار. ما فائدة كل هذا التنظيف الذي نظفته هنا، إن كانوا سيجلبون الوحل في أعقابهم في كل مرة نلتقي فيها؟".

أومأ كاهار برأسه مفكرًا ثم تمتم: "إن أحجار الرصف هي المشكلة، إن هذا مشروع كبير يا سيدي". ولكن لم يكن هناك أي تهيب في عينيه.

وافقه رايودن قائلًا: "أعرف، ولكنها حاجة ماسة، إن الناس الذين يعيشون في قذارة سيشعرون أنهم حثالة، إن كنا نريد أن نُحسِّن نظرتنا إلى أنفسنا فنحتاج إلى أن نكون نظيفين، هل يمكنك أن تفعل هذا؟".

"أجل يا سيدي".

"رائع، سأكلف بعض العمال بمساعدتك لتسريع وتيرة العمل". لقد نمت فرقة رايودن كثيرًا على مدار الأيام القليلة الماضية، بعدما سمع سكان إيلانتريس باتحاد كاراتا معه. العديد من الإيلانتريين العشوائيين الأشبه بالأشباح الذين يجوبون شوارع إيلانتريس بمفردهم بدأوا يشقون طريقهم إلى فرقة رايودن، باحثين عن الرفقة، كمحاولة أخيرة يائسة لتجنب الجنون.

استدار كاهار لكي يرحل، ووجهه المتغضن يتلفت ناظرًا إلى الكنيسة مرة أخيرة، وهو يشعر بالإعجاب والرضا.

ناداه رايودن: "كاهار".

"أجل يا سيدي؟".

"هل عرفت الآن ما هو السر؟".

ابتسم كاهار وقال: "لم أشعر بالجوع منذ أيام يا سيدي، هذا أفضل شعور في العالم، لم أعد حتى أُلاحظ الألم".

أومأ رايودن برأسه فغادر كاهار. لقد جاء الرجل يبحث عن حل سحري لمشكلاته، ولكنه وجد إجابة أبسط بكثير، لقد فقد الألم سطوته عندما صارت الأشياء الأخرى أكثر أهمية. لم يعد كاهار بحاجة إلى شراب سحري أو آيون لإنقاذه، إنه فقط بحاجة إلى شيء ليفعله.

خطا رايودن عبر الحجرة المتوهجة وهو يشعر بالإعجاب تجاه المنحوتات المختلفة، ولكنه توقف عندما وصل إلى نهاية نقش معين، كان الحجر فارغًا في قطاع صغير منه، وسطحه الأبيض قد صقلته يد كاهار بعناية. في الواقع كان نظيفًا للغاية حتى إن رايودن استطاع رؤية انعكاس صورته.

أحس بالذهول، لم يكن قادرًا على أن يتعرف على الوجه الذي يحدق إليه. لقد تساءل لمَ لم يتعرف عليه إلا قلة من الناس، لقد كان أمير أريلون ووجه معروف حتى في كثير من المزارع الخارجية. لقد افترض أن الإيلانتريين ببساطة لا يتوقعون أن يروا أميرًا في إيلانتريس، لذا لم يفكروا في أن يربطوا بين سبيريت ورايودن، ولكنه الآن بعد أن رأى التغييرات في وجهه أدرك أن هناك سببًا آخر لعدم تعرف الناس عليه.

كان هناك إشارات في ملامحه، دلائل على ما قد كان، ولكن التغييرات كانت جذرية. لم يمر سوى أسبوعين، ولكن شعره قد تساقط بالفعل. كان لديه البقع السوداء المعتادة التي تميز الإيلانتريين، ولكن حتى الأجزاء التي كانت بلون الجلد قبل أسابيع قليلة قد تحولت إلى لون رمادي شاحب. كان جلده متغضنًا وخصوصًا من حول شفتيه، وقد بدأت عيناه تتخذان مظهرًا غائرًا.

ذات يوم قبل تحوله هذا كان يتخيل الإيلانتريين كجثث حية، بلحم متعفن وممزق. لم تكن هذه هي الحقيقة، فالإيلانتريون يحتفظون بلحمهم، ومعظم هيئتهم، على الرغم من تغضن بشرتهم واكتسابها لونًا داكنًا. كانوا أشبه بقشور ذابلة أكثر من كونهم جثثًا متحللة. لم يكن التحول جذريًّا بالقدر الذي كان يتخيله ورغم هذا أحس بالصدمة لرؤيته في نفسه.

سأله جالادون من عند المدخل: "نحن أناس بائسون، أليس كذلك؟".

نظر إليه رايودن ثم ابتسم مشجعًا وقال: "ليس بقدر السوء الذي يُمكننا أن نكون عليه يا صديقي، يمكنني أن أعتاد هذه التغيرات".

تنهد جالادون وهو يخطو إلى الكنيسة ثم قال: "إن عامل النظافة الذي وظفته قد أبلى حسنًا يا سول، هذا المكان يكاد أن يبدو خاليًا من الريود".

"الأجمل يا صديقي هو الطريقة التي تحرر بها الرجل وهو ينظف المكان".

أومأ جالادون برأسه وهو يقف إلى جانب رايودن أمام الجدار ناظرًا إلى الطاقم الكبير من الأشخاص الذين ينظفون منطقة حديقة الكنيسة. "إنهم يأتون في جماعات، أليس كذلك يا سول؟".

"لقد سمعوا أننا نمنح شيئًا أفضل من الحياة في الأزقة، لم يعد علينا حتى أن نراقب البوابة، فكاراتا تجلب لنا كل من يمكنها إنقاذه".

سأله جالادون: "كيف تنوي أن تبقيهم جميعًا مشغولين؟ هذه الحديقة كبيرة وتكاد أن تكون نظيفة تمامًا".

"إيلانتريس مدينة شاسعة يا صديقي، سنجد أشياء تبقيهم مشغولين".

بنظرة مبهمة راقب جالادون الناس وهم يعملون، وبدا أنه قد تغلب على حزنه مؤقتًا على الأقل.

قال رايودن: "بالحديث عن المهام لديَّ شيء أُريد منك أن تفعله".

"شيء ليشغل عقلي عن الألم يا سول؟".

"يُمكنك أن تفكر في الأمر على هذا النحو، ولكن هذا المشروع أهم قليلًا من إزالة الأوحال".

أشار رايودن لجالادون أن يلحق به وهو يمشي عائدًا إلى ركن الحجرة، قبل أن ينتزع حجرًا من الجدار، ثم مد يده إلى الداخل وجذب دزينة من أكياس الذرة الصغيرة ثم قال: "من وجهة نظرك كمزارع، ما مدى جودة هذه البذور؟".

أمسك جالادون حبة ذرة باهتمام، وقلَّبها في يده بضع مرات مختبرًا لونها وصلابتها، ثم قال: "ليست سيئة، ليست أفضل ما رأيته ولكنها ليست سيئة".

"لقد اقترب موسم الزراعة، أليس كذلك؟".

"بالنظر إلى مدى دفء الطقس مؤخرًا أقول إننا في موسم الزراعة بالفعل".

قال رايودن: "رائع، هذه الذرة لن تصمد طويلًا في هذه الفجوة، وأنا لا أثق في تركها بالعراء".

هز جالادون رأسه وقال: "هذا لن ينجح يا سول، الزراعة تستغرق وقتًا قبل أن نجني ثمارها، هؤلاء الناس سينتزعون أول براعم يرونها ليأكلوها".

قال رايودن وهو يُقلِّب بعض حبَّات الذرة في يده: "لا أعتقد هذا، لقد تغيرت عقولهم يا جالادون، فهم يرون أنهم لم يعودوا مضطرين للعيش كالحيوانات".

قال جالادون مجادلًا: "لا توجد مساحة كافية من أجل محصول كافٍ، ستكون مساحة حديقة أو أكبر قليلًا".

"إنها مساحة كافية لزراعة هذه الكمية القليلة، في العام المقبل سيكون لدينا المزيد من الذرة، وبعدها يُمكننا أن نقلق بشأن المساحة. سمعت أن حدائق القصر كانت كبيرة إلى حد ما، ربما يُمكننا استغلالها".

https://t.me/fantazynov

هزَّ جالادون رأسه وقال: "المشكلة في هذه الجملة هي الجزء المتعلق بـ العام القادم، لن يكون هناك عام قادم، كولو؟ الناس في إيلانتريس لا يصمدون هذه الفترة الطويلة".

قال رايودن: "إيلانتريس ستتغير، وإن لم تتغير فإن هؤلاء الذين سيأتون هنا من بعدنا سيزرعون الموسم القادم".

"ما زلت أشك أن هذا سينجح".

قال رايودن مبتسمًا: "كنتَ لتشك أن الشمس ستشرق لو لم يثبت أنك مخطئ كل يوم، فلتمنح الأمر فرصة فحسب".

تنهد جالادون وقال: "حسنًا يا سول، أفترض أن الثلاثين يومًا التي منحتها لك لم تنتهِ بعد".

ابتسم رايودن وهو يمرر الذرة إلى صديقه، قبل أن يضع يده على كتفه ويقول: "تذكر أن الماضي لا يجب أن يصير مستقبلًا أيضًا".

أومأ جالادون برأسه وهو يعيد الذرة إلى مخبئها، ثم قال: "لن نحتاج إلى هذا لبضعة أيام أخرى، سأفكر في طريقة لحرث هذه الحديقة".

"لورد سبيريت". ناداه صوت سايولين بخفوت من الأعلى، حيث صنع لنفسه برج مراقبة مؤقتًا. "شخص ما قادم".

اعتدل رايودن واقفًا، وفي عجالة أعاد جالادون الحجر إلى موضعه. بعد لحظة اندفع أحد رجال كاراتا إلى الحجرة.

قال الرجل: "إن السيدة كاراتا ترجو حضورك على الفور يا سيدي".

***

قالت كاراتا بحدة: "هل أنت أحمق يا داش؟".

ولكن داش ـ الرجل الضخم مفتول العضلات الذي يليها في القيادة ـ استمر ببساطة في ربط أسلحته.

وقف رايودن وجالادون في حيرة مرتبكين عند مدخل القصر، فقد بدا أن ما لا يقل عن عشرة رجال عند المدخل ـ ثلثي أتباع كاراتا ـ يستعدون من أجل معركة.

أجابها داش بفظاظة: "يمكنك أن تواصلي الحلم مع صديقك الجديد يا كاراتا، ولكني لن أنتظر أكثر من هذا، لا سيما وأن هذا الرجل يهدد الأطفال".

اقترب رايودن ببطء من المحادثة قبل أن يتوقف بجانب الرجل المتوتر نحيل الأطراف الذي يُدعى هورين. كان هورين من النوع الذي يتجنب الصراع، وخمَّن رايودن أنه يقف على الحياد في هذا الجدال.

سأله رايودن بصوت خافت: "ما الذي حدث؟".

همس هورين وهو يراقب بحذر قائديه يتجادلان: "أحد مستطلعي داش سمع آندين يُخطط للهجوم على القصر هذه الليلة، كان داش يُريد الهجوم على آندين طيلة الأشهر الماضية، وكانت هذه هي الذريعة التي يحتاج إليها".

قالت كاراتا محذرة: "أنت تقود رجالك إلى ما هو أسوأ من الموت يا داش، إن رجال آندين يفوقونكم عددًا".

أجابها داش وهو يغمد سيفًا صدئًا: "ليس لديه أسلحة، لم تكن الجامعة تحتوي إلا على الكتب، وقد أكلها بالفعل".

قالت كاراتا: "فلتفكر فيما ستفعله".

التفت إليها داش وقد بدت الصراحة مرتسمة على وجهه العريض وهو يقول: "لقد فكرت يا كاراتا، آندين رجل مجنون، ولا يُمكننا أن نرتاح بينما يُشاركنا حدودنا، إن هجمنا بغتة فيمكننا حينها أن نوقفه إلى الأبد، وحينها فقط سيكون الأطفال آمنين".

وما إن قال داش هذا حتى التفت إلى مجموعته الواجمة ممن يُفترض بهم أن يصيروا جنودًا وأومأ برأسه. تحركت المجموعة خارجة من الباب بخطوات واثقة.

التفتت كاراتا إلى رايودن وعلى وجهها مزيج من الإحباط وألم الخيانة، ثم قالت: "هذا أسوأ من الانتحار يا سبيريت".

قال رايودن: "أعرف، عددنا قليل للغاية ولا يُمكننا تحمل خسارة رجل واحد، ولا حتى هؤلاء الذين يتبعون آندين، يجب علينا أن نوقف هذا الأمر".

قالت كاراتا وهي تميل متكئة إلى الجدار: "لقد رحل بالفعل، أنا أعرف داش جيدًا، لا يوجد شيء يُمكنه أن يوقف هذا الأمر".

"أرفض أن أقبل هذا يا كاراتا".

***

"ما الذي تخطط له بحق الدولوكين؟ إن كنت لا تُمانع سؤالي يا سول".

كان رايودن يهرول إلى جانب جالادون وكاراتا وبالكاد يُمكنه مجاراتهما. قال معترفًا: "ليس لدي أدنى فكرة، ما زلت أعمل على هذا الجزء".

تمتم جالادون: "هذا ما خمنته".

تساءل رايودن: "ما المسار الذي سيسلكه داش يا كاراتا؟".

"هناك مبنى يواجه الجامعة، إن جداره البعيد قد انهار منذ وقت طويل، وبعض الأحجار المتساقطة أحدثت ثقبًا في جدار الجامعة المتاخم له. أنا واثقة من أن داش سيحاول الدخول بهذه الطريقة وهو يفترض أن آندين لا يعرف شيئًا عن هذه الفجوة".

قال رايودن: "خذينا إلى هناك، ولكن اسلكي مسارًا مختلفًا، لا أُريد أن أصطدم بداش".

أومأت كاراتا برأسها وهي تقتادهما عبر شارعٍ جانبي. كان المبنى الذي ذكرته بناءً خفيضًا من طابق واحد، كان أحد الجدران مبنيًّا على مقربة شديدة من الجامعة حتى إن رايودن كان في حيرة من أمره وهو يحاول أن يخمن ما الذي كان المهندس المعماري يُفكر فيه. كان المبنى قد تداعى مع مرور السنوات رغم أنه لا يزال يمتلك سقفًا، ولكنه كان يتدلى بفظاعة. وقد بدا المبنى كله على حافة الانهيار.

اقتربوا في تخوف وأطلوا برؤوسهم عبر المدخل. كان المبنى من الداخل عبارة عن مساحة مفتوحة. وقفوا بالقرب من مركز البناء المستطيل، والجدار المتداعي على مسافة قصيرة على يسارهم، ومدخل آخر على مسافة قصيرة إلى يمينهم.

سبَّ جالادون بصوت خافت وقال: "لا أثق في هذا المكان".

قال رايودن: "ولا أنا".

قال جالادون: "لا، الأمر أكثر من هذا يا سول، انظر". كان يشير إلى الدعامات الداخلية، وعندما أمعن رايودن النظر أدرك أن هناك آثار قطع حديثة العهد في الخشب المتهالك. "هناك من أفسد الدعامات عن عمد لكي ينهار هذا المكان بالكامل".

أومأ رايودن برأسه وقال: "يبدو لي أن آندين أكثر اطلاعًا مما يفترض داش، ربما سيلاحظ داش الخطر ويستخدم مدخلًا مختلفًا".

هزَّت كاراتا رأسها على الفور وقالت: "إن داش رجل صالح ولكنه ضيق الأفق، سيُسرع مباشرة عبر هذا المبنى دون أن يُبالي بالنظر لأعلى".

سبَّ رايودن ثم جثا على ركبتيه بالقرب من إطار الباب ليفكر. سرعان ما نفد منه الوقت عندما سمع أصواتًا تقترب، وبعد لحظة ظهر داش عند المدخل على الجانب البعيد إلى يمين رايودن.

كان رايودن في منتصف الطريق ما بين داش والجدار المنهار، فأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يصيح: "توقف يا داش! إنه فخ، هذا المبنى على وشك أن ينهار بفعل فاعل!".

توقف داش، وقد دلف نصف رجاله إلى المبنى بالفعل. كان هناك صرخة تحذير من جانب القاعة ناحية الجامعة، ثم ظهر مجموعة رجال من وراء الأنقاض، وأحدهم يحمل وجه آندين المألوف ذا الشارب، ممسكًا بفأس بالية في يديه. قفز آندين إلى القاعة وهو يصرخ في تحدٍّ ثم رفع الفأس ناحية عمود الدعامة.

صرخ رايودن: "توقف يا تان!".

تجمدت يدا آندين وهو يلوح بالفأس مصدومًا لسماع اسمه الحقيقي. كان نصف شاربه المزيف متدليًا ويهدد بسقوطه.

قال داش محذرًا وهو يتراجع برجاله إلى خارج القاعة: "لا تحاول التفاهم معه، إنه مجنون".

قال رايودن وهو يتفحص عيني آندين: "لا، لا أعتقد هذا، هذا الرجل ليس مجنونًا، إنه مرتبك فحسب".

رمش آندين بعينيه بضع مرات ويداه تزدادان توترًا على مقبض الفأس. راح رايودن يبحث عن حل في يأس حتى وقعت عيناه على بقايا الطاولة الحجرية الكبيرة بالقرب من منتصف القاعة.

جزَّ رايودن على أسنانه وهو يتمتم بصلاة صامتة إلى دومي، ثم اعتدل واقفًا ومشى إلى داخل المبنى.

من ورائه شهقت كاراتا وسبَّ جالادون، بينما السقف يئن أنينًا يُنذر بالخطر.

نظر رايودن إلى آندين الذي يقف بفأسه مستعدًا للتلويح به. تتبعت عيناه رايودن حتى منتصف القاعة.

"أنا محق، أليس كذلك؟ أنت لست مجنونًا. لقد سمعت أنك تهذي بجنون في بلاطك ولكن يُمكن لأي شخص أن يهذي. إن المجنون لن يفكر في غلي الأوراق من أجل الطعام، والمجنون لا يمتلك البصيرة الكافية لأن يخطط لنصب فخ".

وأخيرًا قال آندين: "أنا لست تان، أنا آندين بارون إيلانتريس!".

قال رايودن: "كما تشاء". ثم أمسك ببقايا كُمَّه ومسح سطح الطاولة المتداعية قبل أن يقول: "رغم أنني لا أستطيع أن أتخيل لِمَ تُفضل أن تكون آندين على أن تكون تان، فهذه إيلانتريس على كل حال".

قال آندين بحدة: "أعرف هذا!".

بغض النظر عما قاله رايودن فهذا الرجل لم يكن متزنًا تمامًا، قد تهوي الفأس في أي لحظة.

سأله رايودن: "هل تعرف حقًّا؟ هل تفهم ما يعنيه العيش في إيلانتريس مدينة الآلهة؟". التفت إلى الطاولة وهو لا يزال يمسحها، قبل أن يعود بنظره إلى آندين ويقول: "إيلانتريس، مدينة الجمال، مدينة الفن... ومدينة النحت". تراجع ليكشف عن الطاولة التي صارت نظيفة، كانت مغطاة بنقوش معقدة كجدران الكنيسة.

فتح آندين عينيه على اتساعهما وهو يخفض يده بالفأس.

قال رايودن: "هذه المدينة هي حلم أي نحات يا تان. كم عدد الفنانين الذين سمعتهم يتذمرون بالخارج عن جمال إيلانتريس المفقود؟ هذه المباني هي آثار مدهشة لفن النحت. أُريد أن أعرف من الذي ستقابله هذه الفرصة ويختار أن يكون آندين البارون بدلًا من تان النحات؟".

أصدرت الفأس قعقعة وهي ترتطم بالأرض وقد ارتسم الذهول على وجه آندين.

قال رايودن بصوت خافت: "انظر إلى الجدار المجاور لك يا تان".

التفت الرجل ومرر أصابعه على النقش المخفي في الوحل، رفع كُمَّه وارتجفت ذراعه وهو يزيل الوحل، قبل أن يهمس: "بحق دومي الرحيم، إنه جميل".

قال رايودن: "فلتفكر في هذه الفرصة يا تان، أنت وحدك من بين كل النحاتين في العالم من يمكنه أن يرى إيلانتريس، أنت وحدك من يُمكنه أن يختبر جمالها ويتعلم من سادتها، أنت أكثر الرجال حظًّا في أوبيلون".

انتزع شاربه بيد مرتجفة وتمتم قائلًا: "وأنا من كنت سأدمره، كنت سأهدمه...".

ما إن قال آندين هذا حتى أحنى رأسه وانهار متكومًا على الأرض وهو يبكي. تنفس رايودن الصعداء، ثم لاحظ أن الخطر لم ينتهِ بعد. كانت فرقة آندين مسلحة بالأحجار والقضبان الفولاذية. دلف داش ورجاله إلى القاعة مرة أخرى مقتنعين أنها لن تنهار عليهم في أي وقت قريب.

وقف رايودن بين المجموعتين مباشرة ثم قال آمرًا وهو يرفع ذراعًا تجاه كل مجموعة: "توقفوا!". فتوقفوا ولكن في حذر.

سألهم رايودن: "ما الذي تفعلونه أيها القوم؟ ألم تتعلموا شيئًا مما أدركه تان؟".

قال داش محذرًا وهو يُشهر سيفه: "تنحَّ جانبًا يا سبيريت".

قال رايودن: "لن أفعل! لقد طرحت عليكم سؤالًا، ألم تتعلموا شيئًا مما حدث للتو؟".

قال داش: "نحن لسنا نحاتين".

أجابه رايودن: "ليس هذا هو المهم، هل تفهم الفرصة التي يمنحها لك عيشك في إيلانتريس؟ لدينا فرصة هنا لا يُمكن أن يحظى بها أي شخص بالخارج، نحن أحرار".

قال أحد الرجال من مجموعة آندين ساخرًا: "أحرار؟".

قال رايودن: "أجل أحرار، لطالما كافح الإنسان لكي يملأ فمه فحسب، الغذاء هو المسعى اليائس للمرء، الفكرة الأولى والأخيرة في العقول المادية. قبل أن يحلم الإنسان يجب أن يأكل، وقبل أن يحب يجب أن يملأ معدته، ولكننا مختلفون، مقابل القليل من الجوع يُمكننا أن نتحرر من الروابط التي تقيد جميع الأحياء منذ بداية الزمان".

انخفضت الأسلحة قليلًا، لكن رايودن لم يكن متيقنًا إن كانوا يفكرون في كلماته أم يشعرون بالارتباك حيالها.

سألهم رايودن: "لمَ نقاتل؟ لم نقلق بشأن القتل؟ بالخارج يتقاتلون من أجل الثروة؛ الثروة التي تُستخدم في النهاية لشراء الطعام، يتقاتلون من أجل الأرض؛ الأرض لزراعة الطعام، الأكل هو مصدر كل صراع، ولكننا ليس لدينا أي احتياجات، أجسامنا باردة وبالكاد نحتاج إلى أي ثياب أو مأوى لتدفئتنا، ويُمكنها المواصلة دون حتى أن نتناول طعامًا. هذا مدهش!". كانت كل مجموعة لا تزال تنظر إلى الأخرى بحذر، إن الجدال الفلسفي لا يُضاهي رؤية أعدائهم.

قال رايودن: "هذه الأسلحة في أيديكم، إنها تنتمي إلى العالم الخارجي، ليس لها أي غرض في إيلانتريس، إن الألقاب والطبقات أفكار تنتمي إلى مكان آخر.

أنصتوا إليَّ! إن عددنا قليل للغاية، فلا يُمكننا تحمل خسارة واحد منكم، هل الأمر يستحق هذا؟ أبدية من الألم نظير بضع لحظات من التنفيث عن الكراهية؟".

تردد صدى كلمات رايودن عبر القاعة الصامتة، وأخيرًا كسر صوت ما التوتر.

قال تان وهو يعتدل واقفًا على قدميه: "سأنضم إليك". كان صوته مرتجفًا ولكن وجهه حازم. "ظننت أن عليَّ أن أكون مجنونًا لكي أعيش في إيلانتريس، ولكن الجنون هو ما منعني من رؤية الجمال، ضعوا أسلحتكم جانبًا يا رجال".

امتنعوا عن تنفيذ الأمر.

ازداد صوت تان حزمًا، وبدت هيئته القصيرة البدينة آمرة فجأة وهو يقول: "قلت ضعوها جانبًا، ما زلت القائد هنا".

قال أحد الرجال: "البارون آندين يحكمنا".

تنهد تان وقال: "كان آندين أحمق، وكذلك كل من كان يتبعه. إن هناك نبلًا في منطقه أكثر مما كان في بلاطي المزعوم".

قال رايودن متوسلًا: "تخلوا عن غضبكم، ودعوني أمنحكم الأمل بدلًا منه".

تردد صوت قعقعة من ورائه، لقد سقط سيف داش على الحجر، قال حاسمًا أمره: "لا أستطيع أن أقتل اليوم". ثم استدار على عقبيه ليُغادر. نظر رجاله إلى مجموعة آندين للحظة ثم انضموا إلى قائدهم. بينما استقر السيف مهجورًا في منتصف القاعة.

آندين ـ تان ـ ابتسم إلى رايودن وقال: "أيًّا من كنت فشكرًا لك".

قال رايودن: "تعالَ معي يا تان، هناك مبنى يجب أن تراه".

# الفصل السابع عشر

خطت سارين إلى قاعة الرقص بالقصر، وعلى كتفها حقيبة سوداء طويلة، فتعالت عدة شهقات من النسوة بالداخل.

سألت: "ما الأمر؟".

أجابتها دايورا أخيرًا: "إنها ملابسك يا عزيزتي، هؤلاء النسوة لسن معتادات على مثل هذه الملابس".

صاحت سيادين ورقبتها السمينة تهتز في استياء: "إنها تبدو كملابس الرجال".

نظرت سارين إلى بدلة التدريب الرمادية التي ترتديها، ثم نظرت إلى النسوة المجتمعات وقالت: "أنتن لا تتوقعن حقًّا أن نقاتل ونحن نرتدي الفساتين، أليس كذلك؟". ولكن بعد أن تفحصت وجوه النسوة أدركت أن هذا بالضبط ما كن يتوقعنه.

"إن أمامك شوطًا كبيرًا لتقطعيه يا ابنة العم". قالها لوكل محذرًا بصوت خفيض وهو يدلف من ورائها، قبل أن يجلس على مقعد على الجانب الآخر من القاعة.

تساءلت سارين: "لوكل؟ ما الذي تفعله هنا؟".

قال وهو يضجع إلى الوراء في كرسيه ويضع يديه وراء رأسه: "أتوقع تمامًا أن تكون هذه أكثر تجربة ممتعة لهذا الأسبوع، لن أدع الأمر يفوتني، ولو عُرِض عليَّ كل الذهب الذي في خزائن الويرن".

جاء صوت كايسي وهي تقول: "ولا أنا". اندفعت الفتاة الصغيرة متجاوزة سارين وأسرعت ناحية الكراسي، ولكن دايورن اندفع من على جانبها وقفز إلى المقعد الذي اختارته كايسي. ضربت كايسي الأرض بقدمها في غيظ، ثم أدركت أن كل كرسي على طول الجدار يُماثل الكرسي الذي اختارته تمامًا.

هزَّ لوكل كتفيه في حرج وقال: "أعتذر، أنا لا يُمكنني التخلص منهما".

قالت دايورا موبخة: "كن لطيفًا مع أخويك يا عزيزي".

أجابها لوكل على الفور: "حسنًا يا أُماه".

تفاجأت سارين بهذا الجمهور غير المتوقع فالتفتت إلى من سيصرن متدربات لديها. جاءت كل امرأة من مجموعة التطريز، حتى الملكة إيشن مشتتة الذهن. ربما تُشعرهن ملابس سارين وتصرفاتها بالحرج، ولكن تعطشهن للاستقلالية كان أعظم من استيائهن.

أنزلت سارين الحقيبة من على كتفها وأمسكتها بيديها ثم فتحتها وأخرجت منها سيفين تستخدمهما للتدريب. أصدر السيف الطويل الرفيع صوت احتكاك معدني عندما جذبته من الحقيبة فتراجعت النسوة إلى الوراء في خوف.

ضربت سارين بالسيف بضع ضربات في الهواء ثم قالت: "هذا ساير، يُطلق عليه أيضًا اسم كمير أو جيداڤير، بحسب البلد الذي توجد فيه. لقد صُنِع هذا السيف في جادور كسلاح خفيف من أجل الكشافة، ولكنه صار غير صالح للاستخدام بعد بضعة عقود فحسب. ولكن النبلاء الجادوريين اعتمدوا هذا السيف لاحقًا وقد فضلوه بسبب هيئته الرقيقة والدقيقة. إن

المبارزات شائعة في جادور، وأسلوب المبارزة السريع والدقيق باستخدام الساير[٢٩] يتطلب قدرًا كبيرًا من البراعة".

ختمت جملتها ببعض من الضربات والتلويحات، معظمها حركات لا تُستخدم في القتال الحقيقي، ولكنها تبدو بارعة، مما أثار انبهار النساء.

أكملت سارين: "كان الدولاديون هم أول من حوَّل المبارزة إلى رياضة بدلًا من كونها طريقة لقتل رجل قد قرر أن يتودد إلى نفس المرأة التي تتودد إليها. إنهم يضعون نتوءًا في طرف النصل ويثلمون حافته. سرعان ما صارت الرياضة مشهورة بين الجمهوريين، إن وجود دولادل على الحياد قد أبقاها بعيدة عن الحرب، ومن ثم أثار أعجابهم شكل من أشكال القتال ليس له استخدام عسكري. إلى جانب النصل الثلم وضعوا قواعد تمنع ضرب أجزاء معينة من الجسم.

لم تصل المبارزة إلى أريلون فقد كان الإيلانتريون يستهجنون أي شيء يُشبه القتال، ولكنها كانت موضع احتفاء في تيود، مع تغيير ملحوظ واحد؛ لقد صارت رياضة نسائية، يُفضل الرجال التيوديون المسابقات الجسدية، مثل المجاولة والمصارعة بالسيوف العريضة. أما بالنسبة للنساء فقد كان السايرمثاليًّا، إن نصله الخفيف يسمح لنا باستخدام كامل رشاقتنا". ثم أضافت وهي تنظر إلى لوكل وتبتسم: "ويسمح لنا باستخدام ذكائنا الفائق".

ما إن قالت سارين هذا حتى أخرجت السيف الثاني وألقت به إلى الشابة تورينا التي تقف في مقدمة المجموعة. أمسكت الفتاة ذات الشعر الأحمر الذهبي بالسيف بنظرة مرتبكة.

قالت سارين محذرة: "فلتدافعي عن نفسك". ثم رفعت سيفها وهي تتخذ وقفة هجومية.

أشهرت تورينا السايربشكل أخرق في محاولة لتقليد وقفة سارين، ولكن بمجرد أن بدأت سارين هجومها تخلت تورينا عن وقفتها وصرخت في دهشة مُلوِّحة بالساير تلويحات جامحة

---

[٢٩] السايّر: الكلمة الفيوردية التي تعني سيف المبارزة.

وهي تمسكه بكلتا يديها. تمكنت سارين بسهولة من صد سيف الفتاة وإبعاده قبل أن توجه ضربة مباشرة في صدرها.

أخبرتها سارين: "أنتِ ميتة، إن المبارزة لا تعتمد على القوة، بل تتطلب مهارة ودقة، لا تستخدمي إلا يدًا واحدة، فبهذا تتمكنين من التحكم في السيف وتوجيهه بشكل أفضل. فلتقفي وقفة جانبية بعض الشيء، هذا سيمنحك قدرة على الاندفاع لمسافة أكبر، كما سيجعل إصابتك أكثر صعوبة".

بينما سارين تتحدث أخرجت حزمة من العصي الرفيعة كانت قد أعدتها مسبقًا، إنها بالطبع بديل سيئ للسيف الحقيقي، ولكنها ستفي بالغرض حتى ينتهي الحداد من صنع سيوف التدريب. بعد أن تلقت كل امرأة سلاحًا بدأت سارين في تعليمهم كيفية الانقضاض.

كان عملًا شاقًّا، أكثر صعوبة مما توقعت سارين، كانت تعد نفسها مبارزة رائعة، ولكن لم يخطر على بالها من قبل أن امتلاك المعرفة يختلف تمامًا عن شرح هذه المعرفة للآخرين. بدا أن النسوة يجدن طرقًا للإمساك بالأسلحة كانت سارين تظن من قبل أنها مستحيلة من الناحية الجسدية. إنهن يلوحن بجموح ويشعرن بالرعب من انقضاض النصل عليهن ويتعثرن في فساتينهن.

في النهاية تركتهن سارين ليتدربن على الطعنات، لم تكن لتثق في تركهن يتبارزن واحدة مع الأخرى حتى يكون لديهن أقنعة الوجه والملابس المناسبة. ثم جلست بجوار لوكل وهي تتنهد.

سألها: "هل هو عمل مرهق يا ابنة العم؟". كان من الواضح أنه يستمتع بمشهد أمه وهي تحاول أن تقاتل بسيف بينما ترتدي فستانًا.

قالت سارين وهي تمسح العرق من على جبينها: "ليس لديك أدنى فكرة. هل أنت واثق من أنك لا تريد تجربة الأمر؟".

رفع لوكل يديه وقال: "قد أكون متهوراً في بعض الأحيان يا ابنة العم، ولكني لست غبيًّا، الملك آيادون سيضع أي رجل يشارك في مثل هذا النشاط المهين. كما هو مفترض. في قائمة سوداء. قد لا يُبالي المرء بأن ينال سخط الملك إن كان مثل إيونديل، ولكني مجرد تاجر بسيط، ولا يمكنني أن أتحمل استياء الملك".

قالت سارين: "أنا واثقة من هذا". ثم نظرت إلى النسوة وهن يحاولن إتقان ضرباتهن وقالت: "لا أعتقد أنني قد علمتهن جيدًا".

هز لوكل كتفيه وقال: "لم أكن لأفعل ما هو أفضل".

قالت كايسي وهي جالسة على مقعدها: "كان بمقدوري أن أفعل ما هو أفضل". كان من الواضح أن الفتاة الصغيرة تشعر بملل متزايد مع القتال الرتيب.

سألها لوكل بسخرية: "حقًّا؟".

"بالطبع، إنها لم تعلمهن بشأن إعادة التوجيه أو النموذج الصحيح، بل لم تُبالِ حتى بأن تخبرهن بقواعد البطولات التنافسية".

رفعت سارين حاجبًا وهي تقول: "أنتِ تعرفين بشأن المبارزة؟".

قالت كايسي بابتهاج: "لقد قرأت كتابًا عن الأمر". ثم مدت يدها لتصفع يد دايورن الذي كان يحاول أن يكزها بعصا قد أخذها من كومة سارين.

تنهد لوكل وهو يقول: "الأمر المحزن هو أنها على الأرجح قد فعلت هذا فقط لكي تحاول أن تثير إعجابك".

اعترفت سارين قائلة: "أعتقد أن كايسي هي أذكى فتاة صغيرة التقيت بها في حياتي".

هز لوكل كتفيه وقال: "إنها ذكية ولكن لا تدعيها تثير إعجابك أكثر من اللازم، إنها لا تزال مجرد طفلة. قد تكون قادرة على الاستيعاب مثل النساء، ولكنها لا تزال تتصرف كالفتيات الصغيرات".

قالت سارين وهي تراقب الطفلين يلعبان: "ما زلت أرى أنها مدهشة".

وافقها لوكل قائلًا: "إنها مدهشة بالفعل، إن كايسي لا تحتاج سوى لبضع ساعات لكي تلتهم كتابًا، وقدرتها على تعلم اللغات لا تُصدق. أحيانًا ما أشعر بالأسف تجاه دايورن، إنه يبذل قصارى جهده ولكني أعتقد أنه يشعر بالتقصير. يُمكن لكايسي أن تكون متسلطة إن لم تكوني قد لاحظتِ هذا، ولكنهما سواء كانا ذكيين أو لا فإنهما لا يزالان طفلين، ولا يزال الاعتناء بهما أمرًا مرهقًا".

راقبت سارين الطفلين يلعبان، كانت كايسي قد سرقت العصا من أخيها وراحت تطارده في أرجاء القاعة وهي تضرب وتلوح في محاكاة ساخرة للأساليب التي شرحتها سارين. ثم وقعت عيناها على الباب، كان مفتوحًا وهناك شخصان واقفان يراقبان تدريبات النسوة.

لاذت السيدات بالصمت عندما دلف إيونديل وشودن إلى القاعة وقد أدركا أن هناك من لاحظ وجودهما. يُقال إن الرجلين رغم تباين عمريهما كانا صديقين حميمين. فكل منهما يعد غريبًا في أريلون، شودن أجنبي ببشرة داكنة، وإيونديل جندي سابق ويبدو أن حضوره في حد ذاته يثير الارتباك.

إن كان وجود إيونديل قد أثار استياء النساء فإن وجود شودن قد عوَّض هذا وأكثر. فقد مرت موجة من حُمرة الخجل على وجوه المبارزات عندما أدركن أن اللورد الجيندوي الوسيم يراقبهن. العديد من الشابات أمسكن بأذرع صديقاتهن من أجل الدعم وهن يهمسن في حماس. احمر وجه شودن نفسه مع هذا الانتباه.

ولكن إيونديل تجاهل ردود فعل النسوة، ومشى بين المتبارزات بعينين متأملتين. وأخيرًا أمسك بقطعة من الخشب واتخذ وضع المبارزة وبدأ في سلسلة من الضربات والطعنات. بعد أن جرَّب السلاح هزَّ رأسه ووضعه جانبًا ثم تحرك مقتربًا من إحدى النساء.

وجَّهها وهو يشير بأصابعه: "أمسكي بالعصا هكذا، كنتِ تمسكينها بإحكام شديد حتى فقدتِ مرونتك. الآن ضعي إبهامك على الجزء العلوي من المقبض لتُبقيه موجهًا في الاتجاه الصحيح. خذي خطوة للوراء واطعني".

امتثلت المرأة ـ آتارا ـ لأمره وهي تشعر بالارتباك لأن إيونديل قد تجرَّأ على لمس معصمها. كانت طعنتها مستقيمة بشكل مذهل وموجهة جيدًا، وهي الحقيقة التي لم تُدهش أحدًا أكثر من آتارا نفسها.

تحرَّك إيونديل بين المجموعة وهو يصحح الوقفات والمسكات والوضعيات، كان يولي اهتمامه لكل امرأة على حدة، وهو يقدم لكل واحدة نصائح مناسبة لمعالجة مشكلاتها الخاصة. بعد دقائق قصيرة من توجيهاته صارت هجمات النساء أكثر تركيزًا ودقة مما كانت سارين تظن أنه ممكن.

تراجع إيونديل مبتعدًا عن النسوة بنظرة راضية ثم قال: "آمل أنك لم تنزعجي من تدخلي يا سمو الأميرة".

قالت سارين في تأكيد: "لا، على الإطلاق يا سيدي". رغم أنها كانت تشعر بطعنة من الغيرة. قالت لنفسها إن عليها أن تتحلى بالشجاعة الكافية لكي تعترف بالمهارة الفائقة حينما تراها.

قال الرجل الأكبر سنًّا: "من الواضح أنك بارعة، ولكن يبدو أن لديك القليل من الخبرة في تدريب الآخرين".

أومأت سارين برأسها فإيونديل قائد عسكري وعلى الأرجح قد أمضى عقودًا يعلم المبتدئين أساسيات القتال. قالت: "أنت تعرف الكثير عن المبارزة يا سيدي".

قال إيونديل: "إن الأمر يثير اهتمامي، وقد زرت دولادل مرات عديدة. لا يعترف الدولاديون بقدرة الرجل القتالية ما لم يبارز، مهما كان عدد المعارك التي انتصر فيها".

اعتدلت سارين وأخرجت سيفي التدريب، ثم سألته ببساطة وهي تجرب أحد النصلين على يدها: "هل يُمكنكَ المناوشة إذن يا سيدي؟".

بدا إيونديل مندهشًا، قال: "أنا... لم أناوش امرأة من قبل يا سمو الأميرة. لا أعتقد أن الأمر سيكون لائقًا".

قالت وهي تلقي إليه بالسيف: "هراء، فلتدافع عن نفسك".

ودون أن تمنحه فرصة للاعتراض انقضت عليه. تعثر إيونديل في البداية وقد فاجأه هجومها غير المتوقع، ولكن سرعان ما أمسك تدريبه العسكري بزمام الأمور، وبدأ يصد هجمات سارين بمهارة مذهلة. لقد افترضت سارين مما قاله أن معرفته بالمبارزة ستكون سطحية، ولكنها كانت مخطئة.

كان إيونديل يبارز بعزيمة وسيفه يشق الهواء بسرعة كبيرة، حتى إن متابعته كانت ضربًا من المستحيل، ولم تتمكن سارين من صد ضرباته إلا بفضل سنوات من التدريبات والمناوشات. تعالى في القاعة صليل ارتطام المعدن بالمعدن، فتوقفت النساء ليحدقن ببلاهة إلى معلميهما وهما يتحركان في أرجاء القاعة مشتبكين في معركة ضارية.

لم تكن سارين معتادة على المناوشة مع شخص بمثل براعة إيونديل، لم يقتصر الأمر على كونه بمثل طولها مما يحرمها من أي ميزة في الوصول إلى نطاق أبعد، ولكن كان لديه ردود أفعال وتدريبات رجل قضى حياته كلها في القتال. كان كل منهما يندفع ما بين الحشد مستخدمًا

النساء والكراسي والأشياء العشوائية الأخرى لإحباط هجوم الآخر. كان سيفاهما يُصدران صوت فرقعة وحفيف مع الانقضاض إلى الأمام ثم التراجع إلى الوراء لصد الهجمات.

كان إيونديل بارعًا للغاية بالنسبة لها، يُمكنها أن تصد ضرباته، ولكنها كانت مشغولة للغاية بالدفاع فلم يكن لديها وقت للهجوم. مع تدفق العرق على وجهها أدركت سارين أن جميع من بالقاعة يراقبونها.

في تلك اللحظة تغير شيء في إيونديل، صارت وقفته القتالية أضعف قليلًا، فهاجمته سارين برد فعل غريزي. اخترقت حافة النصل الدائرية دفاعاته لتصل إلى رقبته، فابتسم إيونديل.

قال: "ليس لديَّ خيار سوى الاستسلام يا سيدتي".

أحست سارين بالخجل لأنها وضعت إيونديل في موقف جعله مضطرًا بوضوح لأن يسمح لها بالانتصار لكيلا يجعلها تبدو سيئة أمام الأخريات. انحنى إيونديل بينما أحست سارين بالحماقة.

مشيا عائدين إلى جانب القاعة، ثم قبلا الكوبين اللذين عرضهما عليهما لوكل، وهو يُثني على أدائهما. بينما سارين ترتشف الشراب أدركت شيئًا ما، إنها تتعامل مع بقائها في أريلون على أنه مسابقة، كما تفعل مع معظم مساعيها السياسية، لعبة معقدة ولكنها ممتعة.

ولكن إيونديل تركها تنتصر لأنه أراد أن يحمي صورتها، الأمر ليس لعبة بالنسبة له، أريلون هي أمته، شعبه، وسيقدم أي تضحيات في سبيل حمايتها.

*هذه المرة الأمر مختلف يا سارين، إن فشلتِ فلن تخسري عقد تجارة أو حقوق مبنى، ستخسرين أرواحًا، أرواح أشخاص حقيقيين.* جعلتها هذه الفكرة تشعر باليقظة.

نظر إيونديل إلى كوبه ورفع حاجبيه في تساؤل ثم نظر إلى سارين وقال: "هل هذا مجرد ماء؟".

"الماء مفيد لصحتك يا سيدي".

قال إيونديل: "لست واثقًا من هذا، من أين حصلتِ عليه؟".

قالت: "كان عليّ أن أغليه ثم أصبه ما بين دلوين لأستعيد مذاقه. لم أكن لأسمح للنسوة بأن تتعثر إحداهن في الأخرى في حالة من السُّكْر بينما يحاولن أن يتدربن".

قال لوكل: "إن النبيذ الأريلي ليس بهذه القوة يا ابنة العم".

أجابته سارين: "إنه قوي بما يكفي. فلتشرب يا لورد إيونديل، لا نريدك أن تصاب بالجفاف".

امتثل إيونديل لأمرها رغم أن عدم الرضا كان باديًا على وجهه.

أولت سارين اهتمامها من جديد إلى طالباتها، وكانت على وشك أن توجه إليهن الأوامر الخاصة بتدريباتهن، ولكن شيئًا آخر كان يجذب انتباههن. كان اللورد شودن يقف بالقرب من نهاية القاعة، عيناه مغلقتان وهو يتحرك في مجموعة من الحركات الدقيقة. كانت عضلاته مشدودة بينما تدوران في حلقات منضبطة وجسده يتدفق في استجابة لها. رغم أن الحركات كانت بطيئة ودقيقة إلا أن العرق كان يلمع على بشرته.

كان الأمر أشبه برقصة، يقطع شودن خطوات طويلة ثم يرفع ساقيه عاليًا في الهواء وتصير أصابع قدميه مدببة قبل أن يضعها مرة أخرى على الأرض. لم تتوقف ذراعاه عن الحركة، وعضلاته مشدودة كأنه يصارع قوة غير مرئية. ببطء كانت وتيرة حركة شودن تتسارع. راح يتحرك أسرع وأسرع كأنما يزداد استغراقًا في الأمر. وقد صارت خطواته قفزات وذراعاه يشقان الهواء.

كانت النساء يراقبنه في صمت بأعين متسعة، وأكثر من واحدة منهن كانت فاغرة فاها. وكان الصوت الوحيد هو حفيف الهواء مع حركات شودن وضربات قدميه على الأرض.

فجأة توقف بعد أن استقر من القفزة الأخيرة لتضرب قدماه الأرض في انسجام تام مع ذراعيه الممدودتين وكفيه المنبسطتين. طوى ذراعيه كبوابة ثقيلة تُغلق مصراعيها، ثم أحنى رأسه وزفر بعُمق.

صمتت سارين للحظة قبل أن تتمتم: "بحق دومي الرحيم، الآن لن أتمكن من جعلهن يركزن مطلقًا".

ضحك إيونديل بصوت خافت وقال: "إن شودن ولد مثير للاهتمام، إنه يشتكي مرارًا وتكرارًا من ملاحقة النساء له، ولكنه لا يستطيع مقاومة رغبته في الاستعراض. ورغم كل هذا لا يزال رجلًا، ولا يزال شابًّا إلى حد ما".

أومأت سارين برأسها بينما شودن يُنهي طقوسه قبل أن يلتفت ببراءة ليُدرك قدر الاهتمام الذي جذبه. شق طريقه بسرعة عبر النسوة مطرقًا بعينيه لينضم إلى سارين وإيونديل.

قالت سارين بينما شودن يقبل كوبًا من الماء من لوكل: "كان هذا... غير متوقع".

قال من بين جرعات الماء: "أعتذر يا سيدة سارين، إن مناوشتكما جعلتني أرغب في ممارسة بعض التمارين، ظننت أن الجميع سيكونون مشغولين بالتدريبات فلن يلاحظني أحد".

قال إيونديل وهو يهز رأسه الذي خطَّه الشيب: "دومًا ما تلاحظك النساء يا صديقي، في المرة التالية التي تشتكي فيها من تعرضك للملاحقة من المعجبات فسأذكرك بهذه المهزلة الصغيرة".

أحنى شودن رأسه في قبول وقد احمر وجهه خجلًا مرة أخرى.

سألته سارين: "ماذا كان هذا التمرين؟ لم أرَ شيئًا كهذا من قبل".

قال شودن مفسرًا: "نحن نُسميه تشايشان، إنه نوع من الإحماء، طريقة لتركيز عقلك وجسدك عندما تستعد للمعركة".

قال لوكل: "إنه مثير للإعجاب".

قال شودن وقد أحنى رأسه في تواضع: "أنا مجرد هاوٍ، وأفتقد للسرعة والتركيز، هناك رجال في جيندو يُمكنهم الحركة بسرعة كبيرة، حتى إنك ستشعر بالدوار لمراقبتهم".

قالت سارين وهي تلتفت إلى النسوة اللاتي لا يزال معظمهن يحدق إلى شودن: "حسنًا أيها السيدات، فلتشكرن اللورد شودن على استعراضه لاحقًا، في الوقت الحالي لديكن بعض الهجمات للتدرب عليها. لا تفكرن أنني سأسمح لكن بالرحيل بعد بضع دقائق من العمل فحسب".

كان هناك عدد كبير من همهمات التذمر، بينما سارين تُمسك بسيفها وتستأنف جلسة التدريب.

***

قالت سارين مبتسمة: "سيشعرن جميعًا بألم شديد في عضلاتهن في الغد".

قال آش وهو ينبض قليلًا: "تقولين هذا بحماس يا سيدتي، حتى إن المرء ليظن أنك تستمتعين بهذا الاحتمال".

قالت سارين: "سيكون هذا مفيدًا بالنسبة لهن، معظم هؤلاء النسوة مدللات حتى إنهن لم يشعرن بأي شيء أخطر من وخزة إبرة خياطة".

قال آش: "يؤسفني أن فاتني هذا التدريب، فأنا لم أرَ تمرين تشايشان منذ عقود".

"هل شاهدت واحدًا من قبل؟".

أجابها آش: "لقد رأيت أشياء عديدة يا عزيزتي، إن حياة السيون طويلة للغاية".

أومأت سارين برأسها، كانا يمشيان عبر شارع في كاي، وسور إيلانتريس الهائل يطل في الخلفية، عشرات من الباعة الجائلين يعرضون بضاعتهم في لهفة أثناء مرورها، وقد تعرفوا عليها من الفستان الذي يشي بأنها من البلاط الملكي. لقد وُجدت كاي لدعم الطبقة النبيلة في أريلون وتلبية ذوقها الرفيع. كانت الأكواب المطلية بالذهب والتوابل العجيبة والملابس الباهظة تتنافس على جذب انتباهها، ولكن معظم هذه الأشياء جعلتها تشعر بالغثيان.

حسبما فهمتْ فإن هؤلاء التجار كانوا الطبقة الوسطى الحقيقية الوحيدة المتبقية في أريلون، إنهم يتنافسون في كاي لنيل رضا الملك آيادون، ويطمعون في نيل لقب، عادة ما يكون هذا على حساب منافسيهم وكرامتهم وعدد قليل من الفلاحين. سرعان ما صارت أريلون أمة ذات نزعة تجارية محمومة، بل وحتى مخيفة. لم يعد النجاح يجلب الثروة فحسب، ولم يعد الفشل يجلب الفقر فحسب. إن دخل المرء هو الذي يحدد مدى قربه من بيعه كعبد حتى لو لم يكن عبدًا رسميًّا.

كانت سارين تلوح للتجار ليبتعدوا عنها، ولكن جهودها لم تثبط من عزيمتهم إلا قليلًا. أحست بالارتياح عندما انعطفت أخيرًا عند إحدى النواصي ورأت الكنيسة الكوراثية. قاومت رغبتها في أن تركض المسافة المتبقية وحافظت على ثبات وتيرتها حتى وصلت إلى بوابة المبنى العريض وتسللت إلى الداخل.

وضعت بعض العملات المعدنية ـ تقريبًا آخر ما تبقى من النقود التي جلبتها من تيود ـ في صندوق التبرعات، ثم ذهبت لتبحث عن الكاهن. بدت الكنيسة مريحة بالنسبة لسارين. كانت الكنائس الكوراثية مريحة أكثر، على عكس الكنائس الديريثية، التي كانت صارمة ورسمية ومزينة

بالدروع والرماح والقليل من الجداريات القماشية. كان هناك بعض الألحفة معلقة على الجدران، على الأرجح تبرعات من بعض مرتادي الكنيسة العجائز، ومن تحتها تصطف الزهور والنباتات التي تفتحت براعمها في طقس الربيع. كان السقف خفيضًا وغير محدب، ولكن النوافذ كانت عريضة وواسعة بما يكفي لكيلا يبدو المبنى ضيقًا وخانقًا.

قال صوت من جانب الحجرة: "مرحبًا يا بنيتي". كان الكاهن أومين يقف بجانب واحدة من النوافذ البعيدة وهو ينظر إلى المدينة.

قالت سارين وهي تنحني: "مرحبًا أيها الأب أومين، آمل أنني لا أزعجك".

قال أومين وهو يلوح لها بيده لكي تقترب: "بالطبع لا يا ابنتي، تعالي، كيف حالك؟ لقد افتقدتك في عظة الليلة الماضية".

قالت سارين وقد احمر وجهها خجلًا: "المعذرة أيها الأب أومين، كنت مضطرة لحضور حفلة راقصة".

"لا تخجلي يا بنيتي، إن التواصل الاجتماعي شيء لا يُستهان به، وخصوصًا عندما يكون المرء وافدًا جديدًا على البلدة".

ابتسمت سارين وهي تمشي ما بين مجموعة من المقاعد لتنضم إلى الكاهن القصير بجانب النافذة. لم تكن هيئته الصغيرة ملحوظة عادة، فقد بنى أومين منبرًا في مقدمة الكنيسة يتناسب مع حجمه، ويكون من الصعب تمييز طوله أثناء إلقائه للعظات. ولكن عندما وقفت سارين إلى جانب الرجل لم تستطع منع نفسها من الإحساس بأنها تفوقه طولًا بكثير. كان قصيرًا للغاية حتى بالنسبة لرجل من أريلون، فبالكاد يصل أعلى رأسه إلى صدرها.

سألها أومين: "هل هناك ما يزعجك يا بنيتي؟". كان أصلع الرأس إلى حد كبير، ويرتدي ثوبًا فضفاضًا معقودًا عند خصره بزنار أبيض. وباستثناء عينيه الزرقاوين اللافتتين للنظر كان اللون الوحيد على جسده هو قلادة كوراثية من اليشم على عنقه على هيئة آيون أومي.

كان رجلًا صالحًا، وهو شيء لا يمكن لسارين أن تصف به الجميع، ولا حتى الكهنة. كان هناك العديد من الكهنة في تيود الذين يثيرون غضبها، ولكن أومين كان رجلًا حصيفًا وطيب القلب. رغم أن لديه عادة مزعجة تتمثل في أن أفكاره تشرد أحيانًا. أحيانًا ما يتشتت انتباهه حتى إن دقائق ستمر دون أن يُدرك أن شخصًا ما ينتظر منه أن يتحدث.

قالت سارين: "لا أعرف شخصًا سواك يُمكنني أن أسأله عن الأمر أيها الأب، ولكني بحاجة إلى أن أخوض ابتلاء الأرملة، ولكن لم يشرح لي أحد الأمر".

أومأ أومين برأسه وقال: "أجل، هذا أمر سيثير حيرة أي وافد جديد".

"لماذا لا يريد أحد أن يشرح لي الأمر؟".

قال أومين: "إنها شعيرة شبه دينية، تبقت من أيام حُكم الإيلانتريين، أي شيء متعلق بالمدينة يعد موضوعًا محظورًا في أريلون، وخصوصًا بالنسبة للمؤمنين".

قالت سارين في سخط: "كيف سأعرف إذن ما يتوقعون مني أن أفعله؟".

قال أومين بنبرة ملطفة: "لا تغضبي يا بنيتي، إنه من المحرمات ولكن بدافع من التقاليد وليس بدافع من العقيدة الدينية. لا أعتقد أن دومي سيعارض إشباعي لفضولك".

قالت سارين وهي تتنفس الصعداء: "شكرًا أيها الأب".

قال أومين: "منذ موت زوجك يتوقعون منك أن تُظهري حزنك علانية، وإلا سيعتقد الناس أنك لم تُحبيه".

"ولكني لم أكن أحبه... ليس بالضبط، فأنا لم أعرفه حقًّا".

"ومع ذلك سيكون من اللائق أن تخوضي الابتلاء، إن قسوة ابتلاء الأرملة هو تعبير عن مدى أهمية ارتباطها بزوجها من وجهة نظرها، وكم كانت تحترمه، إن عدم خوضك للابتلاء. حتى لو كنتِ أجنبية. سيكون مؤشرًا سيئًا".

"ولكن ألم تكن هذه طقوسًا وثنية؟".

هزَّ أومين رأسه وقال: "ليس بالضبط، لقد بدأها الإيلانتريون، ولكن لا علاقة لها بدينهم. لقد كان ببساطة تصرفًا لطيفًا تحول إلى تقليد طيب وقيِّم".

رفعت سارين حاجبيها وقالت: "لأصدقك القول أنا مندهشة لسماعك تتحدث بهذه الطريقة عن الإيلانتريين أيها الأب".

لمعت عينا أومين وقال: "إن كراهية الأراتثة الديريثيين للإيلانتريين لا تعني أن دومي يكرههم يا بنيتي. لا أعتقد أنهم كانوا آلهة، والعديد منهم كانوا يبالغون في رأيهم عن عظمتهم الخاصة، ولكن كان لدي عدد من أصدقائي من بينهم، لقد أصاب الشايود الأخيار والأشرار على حد سواء، المتكبرين والمتواضعين، لقد عاش في هذه المدينة بعض من أنبل الرجال الذين عرفتهم، وقد شعرت بالأسى الشديد لمعرفة ما حدث لهم".

ترددت سارين ثم قالت: "هل كان دومي هو من لعنهم كما يُقال أيها الأب؟".

أجابها أومين: "كل شيء يحدث بحسب مشيئة دومي، ولكن لا أعتقد أن لعنهم هي الكلمة الصحيحة، في بعض الأحيان يرى دومي أنه من المناسب أن يُرسل الكوراث إلى العالم، في أوقات أخرى سيصيب أكثر الأطفال براءة بمرض مميت. لا توجد لعنة تفوق ما حدث لإيلانتريس، ولكن هذه هي سنة الحياة ببساطة، كل الأشياء تتقدم، ولكن التقدم لا يكون دومًا صعودًا ثابتًا، في بعض الأحيان يجب أن نسقط، وفي بعض الأحيان يجب أن ننهض. يجب

أن يتأذى بعضنا وينعم بعضنا الآخر، فهذه هي الطريقة الوحيدة لكي نتعلم الاعتماد على بعضنا بعضًا. عندما يتنعم المرء يكون واجبه أن يساعد هؤلاء الذين يشقون في الحياة، غالبًا ما يولد الاتحاد من رحم المعاناة يا بنيتي".

فكرت سارين في الأمر ثم قالت: "هل تعتقد أن الإيلانتريين . أو ما تبقى منهم . شياطين؟".

سألها أومين بنبرة ساخرة: "سڤراكيس كما يُسميهم الفيورديون؟ لا، رغم أنني سمعت أن هذا ما يدعو إليه الجيورن الجديد. أخشى أن ما يقوله لن يجلب إلا الكراهية".

نقرت سارين على وجنتها مفكرة ثم قالت: "قد يكون هذا هو ما يريده".

"أي هدف يُمكن أن يحققه هذا؟".

اعترفت سارين قائلة: "لا أعرف".

هز أومين رأسه وقال: "لا يُمكنني أن أصدق أن واحدًا من أتباع الرب . حتى لو كان جيورنًا . سيفعل شيئًا كهذا". ثم بدا عليه الشرود كأنما يفكر في هذا الاحتمال وقد تجهم وجهه بعض الشيء.

سألته سارين: "أيها الأب؟ أيها الأب؟".

مع النداء الثاني هز أومين رأسه كأنما جفل عندما أدرك أنها لا تزال هناك، ثم قال: "المعذرة يا بنيتي، ما الذي كنا نتناقش فيه؟".

قالت لتذكره كما يضطر المرء في كثير من الأحيان عندما يتحدث مع الكاهن القصير: "أنت لم تنتهِ من إخباري عم يكون ابتلاء الأرملة".

"آه، ابتلاء الأرملة، الأمر ببساطة يا بنيتي هو أنه من المتوقع منك أن تقدمي بعض الخدمات للبلد، وكلما ازداد حبك لزوجك وازدادت مكانتك سموًّا صار من المتوقع أن يكون ابتلاؤك أكثر إسرافًا، معظم النساء يقدمن الطعام أو الملابس للفلاحين. كلما كانت مشاركتك شخصية أكثر صار الانطباع الذي تمنحينه أفضل، إن الابتلاء طريقة لتقديم الخدمة، لجعل رفيع المنزلة يتواضع".

"ولكن من أين سأحصل على المال؟". لم تكن قد قررت كيف تطلب من أبيها الجديد راتبًا.

سألها أومين في دهشة: "المال؟ ولكنك واحدة من أغنى الناس في أريلون، ألا تعرفين هذا؟".

"ماذا؟".

قال أومين: "لقد ورثتِ ثروة الأمير رايودن يا بنيتي، لقد كان رجلًا ثريًّا للغاية، وقد حرص أبوه على هذا، ففي ظل حكومة الملك آيادون لن يكون من اللائق أن يكون ولي العهد أقل ثراءً من أي دوق، وعلى نفس المنوال سيكون من المحرج كثيرًا بالنسبة له ألا تكون زوجة ابنه ثرية بشكل لا يُصدق. كل ما عليك فعله هو أن تتحدثي إلى أمين الخزانة الملكية، وأنا واثق من أنه سيعتني بكِ".

منحت سارين الرجل القصير عناقًا ممتنًا وهي تقول: "شكرًا لك أيها الأب، لدي عمل يجب إنجازه".

قال أومين وهو ينظر إلى المدينة بعينين متأملتين: "سررت بمجيئك يا بنيتي، هذا ما أنا هنا من أجله". ولكنها بعد فترة وجيزة من قوله لهذا أحست أنه قد نسي وجودها وبدأ في الترحال من جديد عبر الطرق الطويلة الموجودة بداخل عقله.

***

كان آش في انتظارها بالخارج، يحوم بجانب الباب بصبره المعتاد.

قالت له سارين: "لا أفهم سبب قلقك الشديد، أومين يُحب إيلانتريس، ولن يُمانع دخولك كنيسته".

نبض آش قليلًا، لم يدخل كنيسة منذ ذلك اليوم الذي طرده فيه سينالان بطريرك الشو-كوراث من إحدى الكنائس قبل عدة سنوات.

قال آش: "لا بأس يا سيدتي، بغض النظر عما قد يقوله الكهنة أشعر أن كلينا سيكون أكثر سعادة إن بقي بعيدًا عن نظر الآخر".

قالت سارين: "لا أتفق معك، ولكني لا أُريد أن أجادل في الأمر، هل سمعت أي شيء من محادثتنا؟".

"إن السيونات لها آذان جيدة يا سيدتي".

قالت سارين: "ليس لديكم أي آذان على الإطلاق. ما رأيك في الأمر؟".

"يبدو أنها طريقة جيدة لكي تنال سيدتي بعض الشهرة في المدينة".

"هذا ما فكرت فيه بالضبط".

"هناك شيء آخر يا سيدتي، أنتما الاثنان تحدثتما عن الجيورن الديريثي وإيلانتريس. في الليلة السابقة عندما كنت أتفحص المدينة لاحظت أن الجيورن هراثن يمشي على السور، لقد ذهبت إلى المدينة مرات عديدة حتى الآن، وقد عثرت عليه هناك بضع مرات، يبدو أنه قد تقرب من قائد حرس مدينة إيلانتريس".

قالت سارين في إحباط: "ما الذي يحاول فعله بهذه المدينة؟".

"الأمر يثير حيرتي أيضًا يا سيدتي".

عقدت سارين حاجبيها وهي تحاول التوفيق بين ما تعرفه عن تصرفات الجيورن وإيلانتريس، لم تستطع أن ترى رابطًا، ولكن بينما تفكر في الأمر خطر على بالها شيء آخر، ربما يُمكنها أن تحل واحدة من مشكلاتها الأخرى وتثير بعض المتاعب للجيورن في الوقت ذاته.

قالت: "ربما لسنا بحاجة لمعرفة ما يفعله لكي نعترض طريقه".

"ولكن المعرفة ستساعدنا بالتأكيد يا سيدتي".

"ليس لدي هذه الرفاهية، ولكننا نعرف هذا، إن كان الجيورن يُريد أن يكره الناس الإيلانتريين، إذن فمهمتي هي أن أحرص على أن يحدث العكس".

صمت آش قليلًا ثم قال: "ما الذي تخططين له يا سيدتي؟".

ابتسمت وقالت: "سترى، دعنا أولًا نعود إلى غرفتي. فأنا أرغب في الحديث مع أبي منذ وقت طويل".

***

"إين؟ أنا مسرور باتصالك. كنت أشعر بالقلق عليكِ". كان رأس إيڤينتيو المتوهج يطفو أمامها.

قالت سارين: "كان بمقدورك أن تُرسل في طلبي في أي وقت يا أبي".

"لم أرغب في مقاطعتك يا عزيزتي، أعرف كم تعتزين باستقلاليتك".

"الاستقلالية تأتي في المرتبة الثانية بعد الواجب يا أبي، الأمة تتداعى، ليس لدينا وقت للقلق بشأن مشاعر بعضنا بعضًا".

قال أبوها ضاحكًا: "أعترف بخطئي".

"ما الذي يحدث في تيود يا أبي؟".

قال إيڤينتيو مُحذرًا بصوت كئيب على غير العادة: "الوضع ليس جيدًا، إنها أوقات عصيبة، كان عليَّ أن أضع حدًّا لطائفة أخرى من الطوائف الجسكرية الباطنية، يبدو أن هذه الطوائف تنبثق للوجود كلما كان هناك خسوف قريب".

ارتجفت سارين، كانت الطوائف الباطنية مجموعة غريبة الأطوار، ولا يحب أبوها أن يتعامل معها. ولكن كان هناك تحفظ في صوته، هناك شيء آخر يُزعجه. "هناك المزيد، أليس كذلك؟".

اعترف أبوها قائلًا: ""هذا صحيح للأسف، شيء أسوأ بكثير".

"ما هو؟".

"هل تعرفين أشجرس، السفير الفيوردي؟".

عقدت سارين حاجبيها وهي تقول: "أجل، ما الذي فعله؟ هل ندد بك علانية؟".

بدا أبوها مضطربًا وهو يقول: "لا، لقد فعل ما هو أسوأ، لقد رحل".

"رحل؟ عن البلدة؟ بعد كل العناء الذي تكبدته فيوردن لكي نسمح بعودة ممثليها؟".

قال إيڤينتيو: "هذا صحيح يا إين، لقد أخذ معه جميع حاشيته، وألقى خطابًا أخيرًا عند رصيف الميناء قبل أن يتركنا ويرحل، كان هناك جو مخيف من الحتمية مخيم على هذا الحدث".

وافقته سارين قائلة: "هذا ليس جيدًا". لطالما كانت فيوردن متزمتة بشأن الحفاظ على وجودها في تيود، إن رحل أشجرس فقد فعل هذا بناءً على أمر شخصي من الوين، يبدو أنهم قد فقدوا الأمل في تيود نهائيًّا.

"أنا مرعوب يا إين". أصابتها الكلمات بالقشعريرة أكثر من أي شيء آخر في حياتها، فقد كان أبوها أقسى رجل تعرفه.

"لا يجب أن تقول شيئًا كهذا".

قال إيڤينتيو: "لا أقول هذا إلا لكِ يا إين، أُريد منك أن تفهمي خطورة الموقف".

قالت سارين: "أنا أعرف، وأفهم، يوجد جيورن هنا في كاي".

تمتم أبوها ببعض السبات التي لم تسمعه يقولها من قبل.

قالت سارين على الفور: "أعتقد أن بإمكاني التعامل معه يا أبي، إننا نُبقي أعيننا أحدنا على الآخر".

"أي جيورن هو؟".

"اسمه هراثن".

سب أبوها مرة أخرى، وهذه المرة بحدة أكبر، ثم قال: "آيدوس دومي! هل تعرفين من هذا يا سارين؟ كان هراثن هو الجيورن الذي أُرسل إلى دولادل قبل انهيارها بستة أشهر".

"خمَّنت أنه هو".

قال إيڤينتيو: "أريدك أن ترجعي من هذا المكان يا سارين، هذا الرجل خطير، هل تعرفين عدد الناس الذين ماتوا في الثورة الدولادية؟ لقد سقط عشرات الآلاف من الضحايا".

"أعرف يا أبي".

"سأُرسل سفينة من أجلك، وسنقيم دفاعاتنا هنا، حيث لا يحظى أي جيورن بالترحاب".

قالت سارين في حزم: "لن أُغادر يا أبي".

"فلتكوني عقلانية يا سارين". اكتسى صوت إيڤينتيو بالنبرة الهادئة الملحة التي يستخدمها معها كلما أراد منها أن تفعل شيئًا، وعادة ما ينجح في هذا، فقد كان من القلة الذين يعرفون كيف يؤثرون عليها. "الجميع يعرفون أن حكومة أريلون في حالة من الفوضى، إن كان هذا الجيورن قد أسقط دولادل فلن يجد صعوبة في أن يفعل المثل بأريلون. لا يُمكنك أن تأملي إيقافه بينما البلد كله ضدك".

"يجب عليَّ البقاء يا أبي، بغض النظر عن خطورة الموقف".

قال إيڤينتيو متوسلًا: "أي ولاء تدينين به إليهم يا سارين؟ زوج لم تعرفيه من قبل؟ قوم ليسوا هم قومك؟".

"أنا ابنة ملكهم".

"أنتِ ابنة ملك هنا أيضًا، ما الفارق؟ هنا الناس يعرفونك ويحترمونك".

"إنهم يعرفونني أجل، أمَّا يحترمونني...". مالت سارين إلى الوراء وقد بدأت تشعر بالغثيان، بدأت المشاعر القديمة تعود إليها، المشاعر التي جعلتها عازمة على أن تُغادر وطنها في المقام الأول، أن تهجر كل شيء تعرفه من أجل أرض غريبة.

قال أبوها بصوت متألم: "لا أفهمك يا إين".

تنهدت سارين وهي تُغمض عينيها ثم قالت: "لم يكن بمقدورك رؤية الأمر يا أبي، بالنسبة لك كنت ابنتك الذكية الجميلة المبهجة، لن يجرؤ أحد على أن يخبرك بما يعتقده عني".

سألها وقد اكتسى صوته بنبرة الملك: "ما الذي تتحدثين عنه؟".

قالت سارين: "أنا في الخامسة والعشرين من عمري يا أبي، وأنا جريئة ومنخرطة في المؤامرات السياسية وأحيانًا ما أكون عدوانية. لا شك أنك لاحظت أنه لم يطلب أحد يدي منك".

صمت أبوها لبعض الوقت، وأخيرًا قال معترفًا: "لقد فكرت في الأمر".

قالت سارين وهي تحاول دون جدوى أن تُبعد المرارة عن صوتها: "لقد كنت ابنة الملك العانس، سليطة اللسان التي لا يُريد أحد أن يلمسها، يسخر مني الرجال وراء ظهري، ولن يجرؤ أحد على أن يتقرب مني بنوايا رومانسية، فمن المعروف أن من يفعل هذا سيسخر منه أقرانه".

"ظننت فقط أنك لم تعتبري أن أيًّا منهم يستحق وقتك".

ضحكت سارين وقالت بسخرية: "أنت تحبني يا أبي، ولا يوجد أب يُريد أن يعترف بأن ابنته غير جذابة، حقيقة الأمر هي أنه لا يوجد رجل يُريد امرأة ذكية".

قال أبوها محتجًّا على الفور: "هذا ليس صحيحًا، إن أمك ذكية".

"أنت استثناء يا أبي، ولهذا لا يمكنك أن ترى الأمر، لا أحد يسعى وراء المرأة القوية في هذا العالم، ولا حتى في تيود، التي أزعم دومًا أنها الأكثر تقدمًا في القارة. الأمر ليس مختلفًا يا أبي، يقولون إنهم يمنحون نساءهم المزيد من الحرية، ولكن لا يزال هناك انطباع بأن الحرية كانت ملكهم من الأساس لكي يمنحوها.

أنا ابنة غير متزوجة في تيود، هنا في أريلون أنا أرملة، هناك فارق شاسع، بقدر ما أحب تيود سيكون عليَّ أن أعيش وأنا أعرف دومًا أنه لا أحد يريدني، هنا على الأقل يُمكنني أن أحاول إقناع نفسي بأن هناك من يشعر بالرغبة تجاهي، حتى لو كان هذا لأسباب سياسية".

"يمكننا أن نجد لكِ شخصًا آخر".

هزَّت سارين رأسها وهي تتكئ إلى الوراء في كرسيها ثم قالت: "لا أعتقد هذا يا أبي. الآن وقد صار لدى تيورن أبناء فلن يجلس أي شخص أتزوجه على العرش، وهو السبب الوحيد الذي قد يجعل أي شخص في تيود يفكر في الزواج مني. ولن يفكر أي شخص تحت السيطرة الديريثية في الزواج من تيودية. وبهذا لا يتبقى سوى أريلون، حيث يمنعني عقد الزواج من أن أتزوج مرة أخرى. هل يجب أن أطارد شائعات عن أراضٍ وراء الجبال الحصينة شمال تيود؟ لا، لم يعد هناك أحد لي يا أبي، أفضل ما يمكنني فعله هو أن أستغل موقفي هنا، على الأقل يُمكنني أن أحظى بقدر كبير من الاحترام في أريلون دون أن أقلق بشأن تأثير تصرفاتي على فرصي في الزواج مستقبلًا".

قال أبوها: "فهمت". كانت قادرة على سماع الاستياء في صوته.

"هل أنا بحاجة إلى أن أذكرك بألا تقلق عليَّ يا أبي، لدينا مشكلات أكبر بكثير لكي نتعامل معها".

"لا يُمكنني منع نفسي من القلق عليكِ يا عصا الرما، أنتِ ابنتي الوحيدة".

هزَّت سارين رأسها وقررت أن تغير الموضوع قبل أن تبدأ في البكاء. فجأة أحست بالخجل لتدميرها صورتها المثالية في مخيلته، فراحت تبحث عن أي شيء يُمكنها أن تقوله لتغيير مسار المحادثة، قبل أن تقول: "العم كين هنا في كاي".

نجحت في الأمر، سمعته يتنفس طويلًا على الجانب الآخر من رابط السيون، قبل أن يقول: "لا تذكري هذا الاسم أمامي يا إين".

"ولكن...".

"لا".

تنهدت سارين ثم قالت: "حسنًا، أخبرني بشأن فيودرن بدلًا من هذا، ما الذي تعتقد أن الويرن يخطط له؟".

قال إيڤينتيو وقد سمح لها بتغيير الموضوع: "هذه المرة ليس لديَّ أدنى فكرة حقًّا، لا شك أنه شيء هائل، الحدود تُغلق في وجه تجارة تيود في الشمال والجنوب، وقد بدأ سفراؤنا يختفون، أوشك أن أستدعي السفراء إلى الوطن".

"وماذا عن جواسيسك؟".

قال أبوها: "إنهم يختفون بنفس السرعة تقريبًا، لم أقدر على إرسال أي شخص إلى ڤيلدينج منذ أكثر من شهر، ودومي وحده يعرف ما الذي يخطط له الويرن وجيورناته هناك. إن إرسال الجواسيس إلى فيوردن هذه الأيام يكاد يكون أشبه بإرسالهم إلى الموت".

قالت سارين بصوت خافت وقد فهمت مصدر الألم في صوت أبيها: "ولكنك تفعل هذا على أي حال".

"أنا مضطر لهذا، ما سنعرفه قد يُنقذ الآلاف، ولكن هذا لا يجعل الأمر أسهل عليَّ، أتمنى فقط لو استطعت أن أُرسل شخصًا ما إلى داخور".

"الدير؟".

قال إيڤينتيو: "أجل، نحن نعرف ما تفعله الأديرة الأخرى، راثبور يُدرب المغتالين، وفييلدور يدرب الجواسيس، ومعظم الأديرة الأخرى تدرب المحاربين، ولكن داخور هو ما يثير قلقي، لقد سمعت بعض الحكايات الشنيعة عن هذا الدير، ولا يمكنني أن أستوعب لم قد يفعل أي شخص ـ حتى الديريثيون ـ مثل هذه الأشياء".

"هل ترى أن فيوردن تحشد للحرب؟".

"لا يُمكنني الجزم، الأمر لا يبدو هكذا، ولكن من يعرف؟ يُمكن للويرن أن يُرسل جيشًا متعدد الأعراق دون سابق إنذار. عزائي الصغير الوحيد هو أنني لا أعتقد أنه يعرف أننا نفهم هذه الحقيقة، ولكن لسوء الحظ فإن هذه المعرفة تضعني في موقف حرج".

"ما الذي تعنيه؟".

تردد أبوها ثم قال: "إن أعلن الويرن الحرب المقدسة علينا فإن هذا سيعني نهاية تيود، لا يمكننا أن نقف في وجه قوة دول الشرق الموحدة يا إين، لن أجلس مكتوف الأيدي وأنا أُشاهد شعبي يُذبح".

سألته سارين وهي تشعر بالغضب وعدم التصديق يتسللان إلى صوتها: "هل تفكر في الاستسلام؟".

"إن واجب الملك هو أن يحمي شعبه، عندما يكون عليَّ أن أختار ما بين تبديل الدين أو ترك شعبي يتدمر فأعتقد أنني سأختار تبديل الدين".

"ستكون جبانًا مثل الجيندو؟".

قال أبوها وصوته يزداد حزمًا: "الجيندو شعب حكيم يا سارين، لقد فعلوا ما يجب عليه فعلهم من أجل النجاة".

"ولكن هذا سيعني الاستسلام!".

قال أبوها: "سيعني أن نفعل ما يجب علينا فعله. لن أفعل شيئًا في الوقت الحالي، ما دام هناك أمتان متبقيتان فهناك أمل. ولكن إن سقطت أريلون فسأكون مجبرًا على الاستسلام، لا يمكننا أن نحارب العالم بأسره يا إين إلا مثلما يمكن لحبة رمال أن تحارب وحدها المحيط بأسره".

قالت سارين: "ولكن...". ثم تلاشى صوتها. كان باستطاعتها أن تتفهم مأزق والدها، إن مقاتلة فيودرن في ساحة المعركة ستكون محاولة يائسة تمامًا. تبديل الدين أو الموت، كلا الخيارين شنيع، ولكن تبديل الدين سيكون الخيار الأكثر منطقية. ولكن صوتًا خافتًا بداخلها كان يجادل بأن الأمر يستحق الموت، إن كان الموت سيثبت أن الحقيقة أقوى من القوة المادية.

يجب أن تحرص على ألا يواجه أبوها هذا الخيار، إن تمكنت من إيقاف هراثن فقد تتمكن من إيقاف الويرن، مؤقتًا على الأقل.

قالت: "سأبقى بالتأكيد يا أبي".

"أعرف يا إين. سيكون الأمر خطيراً".

"أفهم هذا، ولكن إن سقطت أريلون فعلى الأرجح سأفضل أن أكون ميتة على أن أرى ما سيحدث لتيود".

"كوني حذرة، وأبقي عينك على هذا الجيورن. أوه، بالمناسبة، إن عرفتِ لمَ يُغرق الويرن سُفن آيادون فأخبريني".

سألته سارين في صدمة: "ماذا؟".

"ألم تعرفي؟".

سألته سارين: "أعرف ماذا؟".

"لقد فقد الملك آيادون كل أسطوله التجاري تقريبًا. تزعم التقارير الرسمية أن القراصنة هم من أغرقوا السفن، بعض من بقايا أسطول دريوك كاسر الخناجر، ولكن مصادري تربط غرق السفن بفيوردن".

"إذن هذا هو الأمر!".

"ماذا؟".

قالت سارين مفسرة: "قبل أربعة أيام كنت في حفلة وجاء خادم برسالة إلى الملك، وأيًّا ما كان فحواها فقد أزعج الملك كثيرًا".

قال أبوها: "على الأرجح هذا هو توقيت حدوث الأمر، فلم أعرفه بنفسي إلا قبل يومين".

تساءلت سارين: "لم قد يُغرق الويرن السفن التجارية؟ ما لم... آيدوس دومي! إن خسر الملك مصدر دخله فسيكون مُهددًا بخسارة عرشه".

"إذن فكل هذا الهراء بشأن ارتباط المرتبة الاجتماعية بالمال صحيح؟".

قالت سارين: "صحيح بشكل جنوني، إن آيادون ينتزع لقب العائلة إن لم يتمكنوا من الحفاظ على دخلهم. إن خسر مصدر ثروته فسيتدمر أساس حكمه. يُمكن لهراثن أن يستبدل به شخصًا آخر، رجلًا أكثر استعدادًا لقبول الشو-ديريث، دون أن يكلف نفسه عناء إشعال ثورة".

"يبدو هذا معقولًا، لقد جلب آيادون هذا على نفسه باختلاق مثل هذا الأساس غير المستقر للحكم".

قالت سارين: "إنه على الأرجح تيلري، لهذا أنفق الكثير من المال على تلك الحفلة الراقصة، يُريد الدوق أن يظهر أنه فاحش الثراء. سأكون مندهشة للغاية إن لم يكن هناك جبل من ذهب فيوردن يمول نفقاته".

"ما الذي ستفعلينه؟".

"سأوقفه، رغم أن هذا يؤلمني، فأنا حقًّا لا أحب آيادون يا أبي".

"للأسف يبدو أن هراثن قد اختار لنا حلفاءنا".

أومأت سارين برأسها وقالت: "لقد جعلني أتحالف مع إيلانتريس وآيادون، وهو موقف لا أُحسد عليه".

"نحن جميعًا نفعل ما بوسعنا بحسب ما يمنحه لنا دومي".

"تتكلم وكأنك كاهن".

"لقد وجدت مؤخرًا سببًا لأصير متدينًا للغاية".

فكرت سارين للحظة قبل أن تجيب وهي تنقر على وجنتها بينما تنتقي كلماتها: "اختيار حكيم يا أبي، إن كان دومي سيساعدنا يومًا فسيكون الآن، إن نهاية تيود تعني نهاية الشو-كوراث".

قال أبوها: "ربما لبعض الوقت، الحقيقة لا يُمكن أن تنهزم يا سارين، حتى لو نسيها الناس من آن لآخر".

كانت سارين في الفراش، والأضواء مُطفأة، بينما آش يحوم في الجانب الآخر من الغرفة، وضوؤه خافت للغاية حتى إنه بالكاد يمكن تمييز ظل الآيون آش.

كانت المحادثة مع أبيها قد انتهت قبل ساعة مضت، ولكن ما يترتب عليها على الأرجح سيستحوذ على تفكيرها لأشهر عديدة. لم تفكر من قبل في اختيار الاستسلام، ولكنه بدا الآن حتميًّا إلى حد كبير. كان هذا الاحتمال يقلقها، إنها تعرف أنه من غير المرجح أن يترك الويرن أباها في الحكم حتى لو بدَّل دينه، وتعرف أيضًا أن إيڤينتيو سيتخلى عن حياته عن طيب خاطر إن كان هذا سيعني نجاة شعبه.

فكّرت بشأن حياتها ومشاعرها المختلطة تجاه تيود، تحوي المملكة أكثر الأشياء التي تحبها؛ أباها وأخاها وأمها. كانت تحمل ذكريات عزيزة على قلبها تجاه الغابات المحيطة بمدينة تيوراس الساحلية، العاصمة. تذكرت كيف يغلف الثلج الأراضي. ذات صباح استيقظت لتجد كل شيء بالخارج مغطى بطبقة جميلة من الثلج، وبدت الأشجار مجوهرات تتلألأ في ضوء النهار.

ومع ذلك تذكرها تيود أيضًا بالألم والوحدة، إنها تمثل لها إقصاءها عن المجتمع وذلها أمام الرجال. لقد أثبتت في بداية حياتها أن لديها ذكاءً حادًّا ولسانًا أكثر حدة، كلا الأمرين ميزها عن النساء الأخريات، وهذا لا يعني أن الكثير منهن لم يكن ذكيات، بل كن يرين أنه من الحكمة إخفاء ذكائهن حتى يتزوجن.

لا يريد كل الرجال زوجة غبية، ولكن لم يكن هناك الكثير من الرجال الذين يشعرون بالراحة تجاه امرأة يفترضون أنها تفوقهم عقلًا. بحلول الوقت الذي أدركت فيه سارين ما تفعله بنفسها وجدت أن العدد القليل من الرجال الذين قد يقبلون بها متزوجون بالفعل. في محاولة يائسة راحت تجمع آراء الذكور عنها في البلاط، وقد أحست بالخزي عندما أدركت كم يسخرون منها. بعد هذا لم يزدد الأمر إلا سوءًا بينما تتقدم في العمر. في أرضٍ تكون فيها كل امرأة في سن الثامنة عشرة مخطوبة على الأقل، كانت هي عذراء عجوز في سن الخامسة والعشرين، عذراء عجوز وطويلة وضخمة وكثيرة الجدال.

جاء ضجيج ليقاطع جلدها لذاتها، لم يأتِ من الردهة أو النافذة، بل من داخل غرفتها. انتفضت جالسة وهي تحبس أنفاسها بينما تستعد للهرب، حينها فقط أدركت أن الصوت لا يأتي من غرفتها، بل من الجدار المجاور لغرفتها. عقدت حاجبيها في حيرة، لم يكن هناك أي غرف على الجانب الآخر، بل الجدار الخارجي للقصر. كان لديها نافذة تطل على المدينة.

لم يتكرر الضجيج، وكانت سارين عازمة على أن تنال قسطًا من النوم رغم مخاوفها، وقالت لنفسها إن الأمر ببساطة هو أن المبنى يستقر في موضعه.



# الفصل الثامن عشر

خطا ديلاف عبر الباب وهو يبدو شاردًا بعض الشيء، ثم رأى الإيلانتري يرتجف في الكرسي أمام مكتب هراثن.

ابتسم هراثن وهو يراقب ديلاف يشهق بصوت مسموع بينما عيناه تزدادان اتساعًا ووجهه يحتقن بالدماء ويكتسي بلون أحمر كدروع هراثن. لم يستطع ديلاف منع نفسه من أن يصرخ بالسبة الفيوردية: "هروجات جا!".

رفع هراثن حاجبيه مع سماع هذه السبة البذيئة، ليس لأنها قد أزعجته، بل لأنه اندهش لتلفظ ديلاف بها بمثل هذه السهولة. لقد غمس الأرتيث نفسه عميقًا في ثقافة فيوردن بالفعل.

قال هراثن وهو يشير إلى الإيلانتري ذي الوجه الأسود الرمادي: "فلترحب بدايرين أيها الأرتيث، ورجاءً فلتمنع نفسك من استخدام اسم الرب جادث في السباب، إنها إحدى العادات الفيودرية التي كنت أُفضِّل ألا تكتسبها".

"إيلانتري!".

قال هراثن: "أجل، أحسنت أيها الأرتيث، ولا، لا يُمكنك أن تشعل النار فيه".

اضجع هراثن في كرسيه إلى الوراء وهو يبتسم بينما ديلاف يحدق إلى الإيلانتري، لقد استدعى ديلاف إلى الحجرة وهو يعرف تمام المعرفة أن هذا هو رد الفعل الذي سيحصل عليه، وقد أحس أنه تصرف طفولي بعض الشيء، ومع ذلك لم يمنعه هذا من الاستمتاع باللحظة.

وأخيرًا نظر ديلاف إلى هراثن نظرة كراهية، ولكنه سرعان ما غلفها بنظرة خضوع بالكاد يمكنه الحفاظ عليها. "ما الذي يفعله هنا يا سيدي الهرودن؟".

قال هراثن: "فكرت أنه سيكون من المفيد معرفة وجه عدونا أيها الأرتيث". ثم اعتدل واقفًا ومشى مقتربًا من الإيلانتري. كان الكاهنان يتحدثان باللغة الفيوردية بالطبع، وكانت الحيرة بادية في عيني الإيلانتري، بالإضافة إلى خوف مسعور.

جلس هراثن القرفصاء إلى جانب الرجل ليتفحص شيطانه، ثم سأل باهتمام: "هل كلهم صُلع يا ديلاف؟".

أجابه الأرتيث بوجوم: "ليس في البداية، عادة لا يكون شعرهم قد بدأ في التساقط عندما يعدهم الكلاب الكوراثيون من أجل إرسالهم إلى المدينة، وتكون بشرتهم بلون فاتح أيضًا".

مد هراثن يده ليتحسس وجه الرجل، كان الجلد خشنًا وقاسيًا. راقبه الإيلانتري بعينين متوجستين. "هذه البقع السوداء، هل هي ما يميز الإيلانتريين؟".

قال ديلاف: "إنها العلامة الأولى يا سيدي الهرودن". كانت حدته قد هدأت، إما أنه قد اعتاد على وجود الإيلانتري، أو أنه ببساطة قد تغلب على الكراهية المتأججة الأوَّلية وانتقل إلى الاشمئزاز الذي يحترق ببطء وصبر أكثر. "عادة ما يحدث هذا ما بين عشية وضحاها، عندما يستيقظ الملعون تكون البقع السوداء قد ظهرت في أنحاء جسده، أما بقية جلدهم فيتحول إلى اللون البني المائل للرمادي ـ مثل هذا الشخص ـ مع مرور الوقت".

قال هراثن: "كجلد جثة محنطة". كان قد زار جامعة سفوردن بضع مرات وعرف بشأن الجثث التي يحتفظون بها هناك من أجل الدراسة.

وافقه ديلاف بصوت خافت: "شبيهة للغاية، ولكن الجلد ليس العلامة الوحيدة يا سيدي الهرودن، فأحشاؤهم تتعفن أيضًا".

"كيف تعرف هذا؟".

قال ديلاف: "إن قلوبهم لا تخفق، وعقولهم لا تفكر، هناك حكايات من الأيام الأولى قبل عشر سنوات قبل أن يُسجنوا جميعًا بداخل المدينة. في غضون بضعة أشهر يُصابون بغيبوبة وبالكاد يمكنهم أن يتحركوا إلا للتأوه من آلامهم".

"آلامهم؟".

قال ديلاف: "آلام أرواحهم وهي تحترق في نيران الرب جادث، إنها تتعاظم بداخلهم حتى تستهلك وعيهم، هذا هو عقابهم".

أومأ هراثن برأسه وهو يبتعد عن الإيلانتري.

قال ديلاف: "لم يكن من المفترض بك أن تلمسه يا سيدي الهرودن".

قال هراثن: "ظننت أنك قلت إن الرب جادث يحمي عبده المؤمن، ما الذي يجب أن أخشاه؟".

"لقد دعوت الشر إلى الكنيسة يا سيدي الهرودن".

قال هراثن بسخرية: "لا يوجد شيء مقدس بشأن هذا المبنى يا ديلاف كما تعرف، لا يمكن تكريس أي أرض مقدسة في بلد لم تُعلن ولاءها للشو-ديريث بعد".

قال ديلاف: "بالطبع". وقد ازدادت عيناه تلهفًا لسبب ما.

هذه النظرة في عيني ديلاف جعلت هراثن يشعر بعدم الارتياح، ربما سيكون من الأفضل تقليص الوقت الذي سيقضيه الأرتيث في نفس الحجرة مع الإيلانتري.

قال هراثن: "لقد استدعيتك لأنني أُريد منك أن تُشرف على الاستعدادات من أجل خطبة المساء، لا يُمكنني أن أُشرف عليها بنفسي، فأنا أريد أن أقضي بعض الوقت في استجواب هذا الإيلانتري".

قال ديلاف وهو لا يزال ينظر إلى الإيلانتري: "كما تأمر يا سيدي الهرودن".

قال هراثن بصرامة: "فلتنصرف أيها الأرتيث".

غمغم ديلاف بصوت خافت، ثم أسرع خارجًا من الحجرة ليُلبي أمر هراثن.

أولى هراثن اهتمامه من جديد إلى الإيلانتري. لم يبدُ المخلوق "بلا عقل" كما وصفه ديلاف، إن قائد الحرس الذي جلب الإيلانتري قد ذكر أن للمخلوق اسمًا، وهذا يعني بالتبعية أنه بمقدوره أن يتحدث.

سأله هراثن باللغة الآيونية: "هل يمكنك أن تفهمني أيها الإيلانتري؟".

تردد دايرين ثم أومأ برأسه.

قال هراثن: "هذا مثير للاهتمام".

سأله الإيلانتري: "ما الذي تريده مني؟".

قال هراثن: "أُريد أن أسألك بعض الأسئلة فحسب". خطا عائدًا إلى مكتبه وجلس مرة أخرى، ثم راح يتفحص المخلوق بفضول، لم يسبق له أن رأى مرضًا كهذا في كل أسفاره.

سأله الإيلانتري: "هل لديك... أي طعام؟". كان هناك شيء من الوحشية في عينيه مع ذكر كلمة "طعام".

"إذا أجبت عن أسئلتي فأعدك أنني سأعيدك إلى إيلانتريس بسلة مليئة بالخبز والجبن".

جذب هذا انتباه المخلوق فأومأ برأسه في حماس.

فكَّر هراثن في فضول؛ *يتضور جوعًا! وما الذي قاله ديلاف؟ لا تخفق قلوبهم؟ ربما المرض يؤثر في عملية التمثيل الغذائي، فيجعل القلب يخفق بسرعة كبيرة فتصعب ملاحظته، وهذا يزيد من شهيتهم بطريقة ما؟*

سأله هراثن: "ما الذي كنت تفعله قبل إلقائك في المدينة يا دايرين؟".

"كنت فلاحًا يا سيدي، أعمل في حقول مزرعة آيور".

"وكم مضى عليك من الوقت في إيلانتريس؟".

قال دايرين: "لقد أُلقي بي في المدينة أثناء الخريف، قبل سبعة أشهر؟ ثمانية؟ لقد فقدت الإحساس بالوقت...".

إذن فالأمر الآخر الذي أكَّد عليه ديلاف بأن الإيلانتريين يسقطون في "غيبوبة" في غضون بضعة أشهر غير صحيح. جلس هراثن مفكرًا وهو يحاول أن يقرر أي نوع من المعلومات يمتلكها هذا المخلوق قد تكون مفيدة له.

سأله هراثن: "كيف هي الحياة في إيلانتريس؟".

قال دايرين وهو يطرق بعينيه: "إنها... مريعة يا سيدي. هناك عصابات، وإن ذهبت إلى المكان الخاطئ سيلاحقونك أو يؤذونك. لا أحد يخبر الوافدين الجدد عن أي شيء، لذا إن لم تكن حريصًا فقد تمشي إلى السوق... هذا ليس جيدًا. وهناك عصابة جديدة الآن، أو هذا ما يقوله بعض الإيلانتريين الذين أعرفهم في الشوارع، عصابة رابعة أقوى من العصابات الأخرى".

عصابات! هذا يشي بمستوى أولي من البناء المجتمعي على الأقل. عقد هراثن حاجبيه وهو يفكر، إن كانت العصابات قاسية كما يُشير دايرين فربما يُمكن استخدامها كمثال على كونهم

سڤراكيس أمام أتباعه. ولكن بعد حديثه مع دايرين الخانع بدأ هراثن يفكر أنه ربما يجب أن يواصل إدانته لهم من بعيد، إن كانت أي نسبة من الإيلانتريين مسالمة مثل هذا الرجل إذن فعلى الأرجح لن ينظر الناس في كاي إلى الإيلانتريين على أنهم "شياطين".

مع استمرار الاستجواب أدرك هراثن أن دايرين لا يعرف الكثير مما قد يكون مفيدًا، لا يمكن لهذا الإيلانتري أن يفسر ما هو الشايود، لقد حدث هذا أثناء نومه، إنه يزعم أنه ميت، أيًّا كان ما يعنيه هذا، وأن جروحه لم تعد تلتئم، حتى إنه أظهر لهراثن جُرحًا في جلده، لم يكن الجرح ينزف لذا شك هراثن أن قطعة من الجلد لم تلتئم بالشكل الصحيح أثناء التعافي.

لم يكن دايرين يعرف شيئًا عن "سحر" إيلانتريس، يزعم أنه قد رأى آخرين يرسمون أشياء سحرية في الهواء، ولكن دايرين لا يعرف كيف يفعل هذا بنفسه، إنه يعرف فقط أنه جائع، يتضور جوعًا، وقد كرر هذه الفكرة عدة مرات، كما ذكر مرتين أخريين أنه يخاف من العصابات.

أحس هراثن بالرضا لأنه اكتشف ما يريد أن يعرفه، إن إيلانتريس مكان وحشي، ولكنها وحشية إنسانية بشكل مخيب للآمال. وهكذا أرسل في طلب قائد الحرس الذي جلب دايرين.

دلف قائد الحرس إلى الحجرة في خضوع، كان يرتدي قفازًا سميكًا وقد حث الإيلانتري على الوقوف من كرسيه بعصا طويلة. في لهفة قبل قائد الحرس كيس النقود من هراثن، ثم أومأ برأسه عندما جعله هراثن يقسم بأنه سيشتري لدايرين سلة من الطعام. بينما قائد الحرس يُجبر سجينه على الخروج من الحجرة ظهر ديلاف عند الباب. نظر الأرتيث بخيبة أمل إلى فريسته وهي تغادر.

سأله هراثن: "هل كل شيء جاهز؟".

قال ديلاف: "أجل يا سيدي الهرودن، لقد بدأ الناس يتوافدون بالفعل من أجل القداس".

قال هراثن وهو يضجع إلى الوراء في كرسيه ويشبك أصابعه مفكرًا: "جيد".

"هل هناك ما يشغلك يا سيدي الهرودن؟".

هز هراثن رأسه وقال: "أنا فقط أُخطط من أجل خطبة المساء، أعتقد أن الوقت قد حان لكي ننتقل إلى الخطوة الثانية في خطتنا".

"خطتنا يا سيدي؟".

أومأ هراثن برأسه وقال: "أعتقد أننا قد نجحنا في تحديد موقفنا تجاه إيلانتريس، العوام دومًا ما يسارعون في الحكم على غيرهم بأنهم شياطين ما دمت تمنحهم الذريعة المناسبة".

"أجل يا سيدي".

قال هراثن: "لا تنسَ أيها الأرتيث أن هناك مغزى وراء كراهيتنا".

"إنها توحد أتباعنا، بأن تمنحهم عدوًّا مشتركًا".

قال هراثن وهو يريح ذراعيه على المكتب: "هذا صحيح، ولكن هناك غرض آخر، وبنفس القدر من الأهمية، الآن وقد منحنا الناس شخصًا ليكرهوه نحتاج لأن نصنع رابطًا ما بين إيلانتريس وأعدائنا".

قال ديلاف بابتسامة خبيثة: "الشو-كوراث".

"صحيح مرة أخرى، إن الكهنة الكوراثيين هم من يجهزون الإيلانتريين الجدد، إنهم الدافع وراء الرحمة التي يُبديها هذا البلد تجاه آلهته الذين سقطوا. إن قلنا ضمنًا إن تسامح الديانة الكوراثية يجعل كهنتها متعاطفين فإن كراهية الناس ستتحول من إيلانتريس إلى الشو-كوراث. إن كهنتهم سيواجهون خيارين، إما أن يقبلوا ما ندينهم به، أو سيتحالفون معنا في وجه إيلانتريس، إن

اختاروا الاختيار الأول فسينقلب الناس ضدهم، وإن اختاروا الاختيار الثاني فإن هذا سيجعلهم تحت سيطرتنا اللاهوتية. وبعد هذا ستكون بضعة أمور محرجة بسيطة كافية لجعلهم يبدون عاجزين وبلا أهمية".

قال ديلاف: "هذا مثالي، ولكن هل سيحدث بسرعة كافية؟ ليس لدينا متسع من الوقت".

جفل هراثن وهو ينظر إلى الأرتيث الذي لا يزال مبتسمًا. كيف عرف هذا الرجل بشأن الموعد النهائي؟ مستحيل أن يعرف، لا شك أنه يخمن.

قال هراثن: "سينجح الأمر، مع زعزعة نظامهم الملكي وتذبذب دينهم فسيبحث الناس عن مصدر جديد للقيادة. ستكون الشو-ديريث صخرة راسخة وسط رمال متحركة".

"تشبيه ممتاز يا سيدي الهرودن".

لم يعرف هراثن إن كان ديلاف يسخر منه بهذا القول أم لا. "لديَّ مهمة من أجلك أيها الأرتيث، أريد منك أن تصنع هذا الرابط في خطبتك الليلة، فلتؤلب الناس ضد الشو-كوراث".

"ألن يُلقي سيدي الهرودن الخطبة بنفسه؟".

"سأتحدث بعدك، وستتبنى خطبتي التفكير المنطقي، ولكن أنت أكثر شغفًا، ويجب أن ينبع نفورهم من الشو-كوراث من أعماق قلوبهم".

أومأ ديلاف وهو يحني رأسه في إشارة إلى أنه قد قبل الأمر.

لوَّح هراثن بيده مشيرًا إلى أن المحادثة قد انتهت، فتراجع الأرتيث قبل أن يُغلق الباب وراءه.

***

كان ديلاف يتحدث بحماسه الديني المعتاد، واقفًا خارج الكنيسة، على منصة قد أمر هراثن ببنائها بمجرد أن صار الحشد كبيرًا على أن يسعه المبنى. كانت ليالي الربيع الدافئة مواتية لمثل هذه الاجتماعات، وضوء غروب الشمس الشاحب مع ضوء المشاعل قد صنعا مزيجًا ملائمًا من الرؤية والظلال.

كان الناس يراقبون ديلاف في نشوة، رغم أن معظم ما يقوله كان مكررًا. لقد أمضى هراثن ساعات يعد هذه الخطب، وهو يحرص على أن يجمع ما بين التكرار من أجل التعزيز والأصالة من أجل توفير الحماس. كان ديلاف يتحدث فحسب، لا يهم إن كان يسهب بنفس التنديدات تجاه إيلانتريس أو نفس المديح المتكرر تجاه إمبراطورية جادث، فالناس يصغون إليه على أي حال. بعد أسبوع من سماع حديث الأرتيث تعلَّم هراثن أن يتجاهل حسده، إلى حد ما على الأقل، واستبدل به الفخر.

بينما يُصغي السمع هنًأ هراثن نفسه على براعة الأرتيث. إن ديلاف يفعل ما يأمره به هراثن، فيبدأ بشطحاته المعتادة عن إيلانتريس، ثم ينتقل بجرأة إلى اتهام الشو-كوراث بوضوح. كان الحشد يتفاعلون معه، ويسمحون له بتوجيه مشاعرهم. كان الأمر كما خطط له هراثن، لذا لم يكن هناك سبب لأن يشعر بالحسد تجاه ديلاف. كان غضب الرجل كنهر يوجهه هراثن بنفسه ناحية الحشد. ربما يمتلك ديلاف الموهبة الخام، ولكن هراثن هو من صقلها ببراعة.

قال هذا لنفسه في اللحظة التي فاجأه فيها ديلاف، لقد استمرت الخطبة على أكمل وجه، وغضب ديلاف يملأ الحشد بكراهية تجاه كل شيء كوراثي، ولكن حينها تغير اتجاه التيار، عندما أعاد ديلاف انتباهه مرة أخرى إلى إيلانتريس. في البداية لم يُبالِ هراثن كثيرًا بالأمر، فقد كان ديلاف معتادًا على أن يتشعب في الحديث أثناء خطبه.

قال ديلاف آمرًا: "والآن انظروا! انظروا إلى السڤراكيس! انظروا إليه في عينيه لتعرفوا هيئة ما تكرهونه! فلتأججوا غضب جادث الذي يشتعل بداخلكم جميعًا!".

أحس هراثن بقشعريرة باردة، كان ديلاف يشير إلى جانب المنصة حيث اشتعلت النيران فجأة في مشعلين. كان دايرين الإيلانتري يقف مقيدًا إلى عمود وقد أحنى رأسه. كان هناك جروح في وجهه لم تكن موجودة من قبل.

صرخ ديلاف: "انظروا إلى العدو! انظروا إليه! إنه لا ينزف! لا دم يتدفق في عروقه ولا قلب نابض في صدره. ألم يقل الفيلسوف جروندكست إنه بإمكانك أن تحكم بالمساواة بين كل البشر من خلال وحدة دمائهم المشتركة؟ ولكن ماذا عن الذي ليس له دماء؟ ما الذي يُمكن أن نسميه؟".

صرخ واحد من الحشد: "شيطان!".

"ملعون!".

صرخ ديلاف: "سفْراكيس!".

ثارت ثائرة الحشد وكل واحد منهم يصرخ باتهامه تجاه الهدف البائس. كان الإيلانتري نفسه يصرخ من أعماقه بوحشية مسعورة. شيء ما قد تغير في هذا الرجل، عندما تحدث هراثن معه كانت إجابات الإيلانتري فاترة ولكنها واعية، لكن الآن لم يعد هناك شيء من العقل في عينيه، بل الألم فحسب. وصل صوت المخلوق إلى أذني هراثن من فوق غضب المحتشدين.

صرخ الإيلانتري متوسلًا: "دمروني! أنهوا ألمي! دمروني!".

هذا الصوت جعل هراثن يفيق من ذهوله، لقد أدرك شيئًا على الفور، لا يُمكن أن يسمح لديلاف بأن يقتل هذا الإيلانتري أمام العامة. ومضت في عقل هراثن رؤى عن جموع ديلاف وهم يتحولون إلى حشد غوغائي يحرق الإيلانتريين في نوبة من الغضب الجماعي. هذا سيُفسد كل شيء. لن يقبل آيادون بشيء بالغ العنف مثل هذا الإعدام العلني، حتى لو كان الضحية إيلانتريًّا. اشتم رائحة فوضى بلغت عقدًا من الزمان، فوضى قد أطاحت بحكومة.

خطا هراثن إلى جانب المنصة بين مجموعة من الكهنة، كان هناك حشد من الناس يتزاحمون أمام المنصة وديلاف يقف أمامهم مباشرة بذراعين ممدودتين وهو يتحدث.

صرخ ديلاف: "يجب إبادتهم! إبادة كل واحد منهم! تطهيرهم بالنيران المقدسة!".

قفز هراثن أعلى المنصة وصرخ مقاطعًا الأرتيث: "يجب أن يتطهروا حقًّا!".

صمت ديلاف للحظة ثم التفت إلى الجانب وأومأ ناحية كاهن أدنى مرتبة يُمسك بمشعل مضاء. على الأرجح افترض أنه لا يوجد شيء يُمكن أن يفعله هراثن لوقف الإعدام، أو على الأقل لا يمكنه أن يفعل شيئًا يقوض مصداقيته أمام الحشد.

قال هراثن لنفسه: *ليس هذه المرة أيها الأرتيث، لن أدعك تفعل ما يحلو لك.* لا يُمكنه أن يعارض ديلاف دون أن يبدو أن هناك انقسامًا في صفوف الديريثيين.

ولكن يُمكنه أن يلوي كلمات ديلاف، وكانت هذه القدرة الصوتية أحد تخصصات هراثن.

صاح هراثن وهو يكافح ليعلو بصوته فوق الحشد الصاخب: "ولكن ما فائدة هذا؟".

كانوا يتدفقون للأمام في انتظار الإعدام وهم يلعنون الإيلانتري.

جزَّ هراثن على أسنانه وهو يشق طريقه متجاوزًا ديلاف ليأخذ الشعلة من يد الكاهن المار. سمع هراثن ديلاف يُصدر فحيحًا منزعجًا ولكنه تجاهل الأرتيث. إن لم يسيطر على الحشد فإنهم ببساطة سيندفعون للأمام ويهاجمون الإيلانتري بأنفسهم.

رفع هراثن الشعلة لأعلى مرارًا وتكرارًا فتعالى صراخ الحشد في ابتهاج، ليخلق نوعًا من الهتاف المتناغم.

كان هناك صمت يتخلل إيقاع الهتاف.

صرخ هراثن عندما صمت الحشد مستعدًا لهتاف آخر: "أسألكم مرة أخرى أيها الناس! ما الفائدة من قتل هذا المخلوق؟".

صرخ رجل من الحشد: "إنه شيطان!".

قال هراثن: "أجل! ولكنه يتعذب بالفعل، لقد منح جادث بنفسه هذا الشيطان لعنته، انصتوا إليه وهو يتوسل من أجل الموت! هل هذا ما تريدون فعله؟ أن تمنحوا هذا المخلوق ما يريده؟".

انتظر هراثن في توتر، بينما صرخ البعض من بين الحشد كما اعتادوا: "أجل". بينما صمت الآخرون. ظهر الارتباك وتلاشى قليل من التوتر.

قال هراثن: "السڤراكيس هم أعداؤنا". كان يتحدث بمزيد من السيطرة، وقد صار صوته حازمًا بدلًا من كونه متحمسًا، فهدَّأت كلماته الناس أكثر. "ولكن ليس دورنا أن نعاقبهم، هذا ما يفعله جادث بكل سرور! أمامنا نحن مهمة أخرى.

هذا المخلوق، هذا الشيطان، هو الشيء الذي يريدكم الكهنة الكوراثيون أن تشفقوا عليه، أنتم تتساءلون لمَ أريلون فقيرة مقارنة بأمم الشرق؟ هذا لأنكم تدفعون ثمن حماقة الكوراثيين. لهذا تفتقرون إلى الثروات والنعم الموجودة في أمم مثل جيندو وسڤوردن. الكوراثيون متساهلون للغاية، قد لا تكون مهمتنا أن ندمر هذه المخلوقات، ولكن ليس مهمتنا أيضًا أن نعتني بهم! وبالتأكيد لا يجب أن نُشفق عليهم أو نتحمل عيشهم في مدينة عظيمة وثرية مثل إيلانتريس".

أطفأ هراثن المشعل ثم أشار إلى الكاهن أن يُطفأ المشاعل التي تضيء الإيلانتري المسكين. مع انطفاء المشاعل اختفى الإيلانتري عن الأنظار وبدأ الحشد في الاستقرار.

قال هراثن: "تذكروا أن الكوراثيين هم من يعتنون بالإيلانتريين، وحتى هذا اليوم لا يزالون يتملصون من الإجابة عندما يسألهم أحد إن كان الإيلانتريون شياطين. الكوراثيون يخشون أن

تعود المدينة إلى مجدها، ولكننا لسنا بمثل سذاجتهم، نحن نعرف أن جادث قد أنزل عليهم لعنته، وليس هناك رحمة من أجل الملعونين!

الشو-كوراث هم سبب شقائكم، إنهم من يدعم إيلانتريس ويحميها، لن تتخلصوا من اللعنة الإيلانترية ما دام الكهنة الكوراثيون يبسطون نفوذهم على أريلون. لذا أقول لكم اذهبوا! أخبروا أصدقاءكم بما تعلمتموه، عليكم أن تنبذوا الهرطقات الكوراثية!".

كان هناك صمت، ثم بدأ الناس يهتفون بالموافقة، وقد تحول اتجاه استيائهم بنجاح. راقبهم هراثن بحرص وهم يصرخون بالتأييد، وأخيرًا بدأوا يتفرقون، وقد تلاشى معظم كراهيتهم الانتقامية. تنفس هراثن الصعداء، لن تكون هناك أي هجمات في منتصف الليل على الكهنة الكوراثيين أو معابدهم. كانت خطبة ديلاف عابرة وسريعة للغاية، فلم يُحدث أي ضرر لا يُمكن إصلاحه، لقد تمكن هراثن من أن يتفادى الكارثة بنجاح.

التفت هراثن ليتفحص ديلاف بعينيه، كان الأرتيث قد غادر المنصة بعد أن تولى هراثن زمام الأمور، وكان يقف وهو يشاهد الحشد يتفرق بنظرة غاضبة عدوانية.

قال هراثن لنفسه: *يُريد أن يحولهم جميعًا إلى نسخ منه متعصبة دينيًا*. ولكن حماسهم سرعان ما سيحترق، بمجرد أن تمر اللحظة، إنهم بحاجة إلى المزيد، إنهم بحاجة إلى المعرفة وليس الهوس الديني فحسب.

قال هراثن بحزم وهو يلفت انتباه ديلاف: "يجب أن نتحدث أيها الأرتيث".

واصل الأرتيث التحديق بحدة ثم أومأ برأسه. كان الإيلانتري لا يزال يصرخ طالبًا الموت، فالتفت هراثن إلى أرتيثين آخرين وقال مشيرًا إلى الإيلانتري: "خذا المخلوق وانتظراني في الحديقة".

التفت هراثن إلى ديلاف ثم أومأ باقتضاب ناحية بوابة الكنيسة الخلفية. أطاع ديلاف الأمر وتحرك متجهًا ناحية الحديقة، لحق به هراثن وفي الطريق مر من أمام قائد حرس مدينة إيلانتريس المرتبك.

سأله الرجل: "سيدي؟ لقد لحق بي الكاهن الشاب قبل أن أعود إلى المدينة وأخبرني أنك تريد المخلوق مرة أخرى، هل ارتكبتُ خطأً؟".

قال هراثن باقتضاب: "لا بأس، فلتعد إلى موقعك، سنتعامل مع الإيلانتري".

***

بدا الإيلانتري مُرحبًا بألسنة اللهب، رغم الألم الفظيع الذي ستسببه بلا شك. تنحى ديلاف جانبًا وهو يراقب بتلهف، رغم أن يد هراثن ـ وليس ديلاف ـ هي التي ألقت المشعل على الإيلانتري المغمور في الزيت. راقب هراثن المخلوق المسكين وهو يحترق، حتى أخمدت النيران المتأججة صرخات الألم أخيرًا. بدا أن جسد المخلوق يحترق بسهولة ـ بسهولة شديدة ـ بداخل ألسنة اللهب اللافحة.

أحس هراثن بوخزة من الألم لأنه خان دايرين، ولكن هذا كان شعورًا أحمق، فقد لا يكون الإيلانتري شيطانًا حقيقيًّا، ولكنه بالتأكيد مخلوق قد لعنه جادث. لا يدين هراثن للمخلوق بأي شيء.

ورغم هذا أحس بالأسف لأنه اضطر لحرق المخلوق، لسوء الحظ من الواضح أن الجروح التي أحدثها ديلاف قد أصابت الإيلانتري بالجنون، وكان من المستحيل إعادته إلى المدينة بحالته هذه، فكانت النيران هي الخيار الوحيد.

راقب هراثن عيني الرجل المثير للشفقة، حتى التهمته ألسنة اللهب تمامًا.

همس ديلاف مقتبسًا من الدو-ديريث: "ونيران غضب جادث المتأججة ستطهرهم".

"الحكم من اختصاص جادث وحده، ولا ينفذه إلا خادمه الوحيد الوين". قالها هراثن مقتبسًا فقرة أخرى من الكتاب. "لم يكن عليك أن تضطرني إلى قتل هذا المخلوق".

قال ديلاف: "لم يكن هناك مفر من هذا، في النهاية يجب أن تنحني كل الأشياء أمام مشيئة جادث، ومشيئته هي أن تحترق إيلانتريس بأسرها. أنا فقط أنفذ القدر".

قال هراثن بحدة: "لقد كدت أن تفقد سيطرتك على الحشد بشطحاتك هذه أيها الأرتيث، يجب أن نخطط للثورة بحذر وأن ننفذها بحذر، وإلا فمن المرجح أن تنقلب على صانعيها كما تنقلب على أعدائها".

قال ديلاف: "أنا فقط... تحمست بعض الشيء، ولكن قتل الإيلانتري لم يكن ليجعلهم يثورون".

"أنت لا تعرف هذا، وأيضًا ماذا عن آيادون؟".

قال ديلاف: "كيف يُمكنه أن يعترض، إن أوامره أنه يُمكن حرق الإيلانتريين الهاربين. إنه لم يقف في صف إيلانتريس مُطلقًا".

قال هراثن: "ولكن يُمكنه أن يقف في وجهنا! كنتَ مخطئًا بجلب هذا المخلوق إلى الاجتماع".

"يستحق الناس أن يروا ما يجب أن يكرهوه".

قال هراثن بقسوة: "الناس ليسوا مستعدين لهذا بعد، نريد أن نُبقي كراهيتهم مبهمة، إن بدأوا في تمزيق المدينة فسيضع آيادون حدًّا لتبشيرنا بالدين".

ضيَّق ديلاف عينيه وقال: "تبدو وكأنك تحاول تفادي ما لا مفر منه يا سيدي الهرودن. أنت من أجج هذه الكراهية ولكنك غير مستعد لتحمل مسؤولية القتلى الذين ستتسبب هذه الكراهية في سقوطهم؟ لا يمكن للكراهية والبغض أن يظلا مبهمين لوقت طويل، ولكن سيجدان متنفسًا في النهاية".

قال هراثن بصرامة: "ولكن هذا المتنفس سيأتي عندما أقرر أنا هذا، أنا على دراية بالمسؤولية التي تقع على عاتقي أيها الأرتيث، ولكني أشك أنك تفهمها. لقد قلتَ للتو إن قتل هذا الإيلانتري كان قدرًا، وأنت ببساطة تنفذ قدر جادث بحملي على فعل هذا. هل سيكون القتلى الذين ستسقطهم الثورة من صنيعي أم ببساطة هي مشيئة الرب؟ كيف يُمكنك أن تكون خادمًا بريئًا بينما يجب عليَّ أن أقبل المسؤولية الكاملة لمصير قاطني هذه المدينة؟".

زفر ديلاف في حدة، ولكنه يعترف بهزيمته عندما يُهزم. انحنى باقتضاب ثم استدار على عقبيه ودلف إلى الكنيسة.

راقب هراثن الأرتيث وهو يختفي بينما الغضب مشتعل في أعماقه. كانت تصرفات ديلاف الليلة حمقاء ومتهورة. ولكن هل يحاول تقويض سلطة هراثن أم أنه ببساطة يتصرف بدافع من الحماس الديني؟ إن كانت الثانية فستكون الثورة الوشيكة خطأ هراثن، فقد كان يشعر بالفخر لاستخدامه ديلاف كأداة فعَّالة.

هزَّ هراثن رأسه وهو يأخذ نفسًا عميقًا ليتمالك أعصابه. لقد هزم ديلاف هذه الليلة، ولكن التوتر يتصاعد بينهما، لا يمكنه أن يتجادل معه علانية، فأي شائعات عن وجود خلاف في صفوف الديريثيين ستقوض مصداقيته.

*يجب عليَّ أن أفعل شيئًا حيال هذا الأرتيث.* حسم هراثن قراره، إن ديلاف يتحول إلى عقبة كبيرة.

ما إن حسم هراثن قراره حتى استدار على عقبيه ليغادر، ولكنه بينما يفعل هذا وقعت عيناه مرة أخرى على بقايا الإيلانتري المتفحمة فارتجف جسده رغمًا عنه. إن قبول هذا الرجل طواعية للإعدام حرقًا جلب ذكريات إلى ذهن هراثن، ذكريات يحاول منذ زمن طويل أن ينحيها عن عقله، صورًا عن الألم والتضحية والموت.

ذكريات من دير داخور.

أدار ظهره إلى العظام المتفحمة ومشى ناحية الكنيسة، لا يزال أمامه مهمة أخرى لينهيها هذه الليلة.

***

حلق السيون من الصندوق استجابة لأمر هراثن. وبَّخ هراثن نفسه، فقد كانت هذه هي المرة الثانية خلال عشرة أيام التي يستخدم فيها هذا المخلوق، إن الاعتماد على السيون أمر يجب عليه أن يتجنبه، ولكن لم يستطع هراثن أن يفكر في طريقة أخرى ليحقق بها هدف. إن ديلاف محق، لم يعد هناك متسع من الوقت. لقد مر أربعة عشر يومًا بالفعل منذ وصوله إلى أريلون، وقد أمضى قبل هذا أسبوعًا في السفر. لم يتبقَّ إلا سبعون يومًا من مهلته الأصلية، ورغم العدد الكبير للمصلين هذه الليلة لم يقنع هراثن إلا جزءًا ضئيلًا من أريلون بالدين الصحيح.

هناك حقيقة واحدة قد منحته أملًا، إن الغالبية العظمى من نبلاء أريلون موجودون في كاي، إن البعد عن بلاط آيادون يعد انتحارًا سياسيًّا، فالملك يمنح الألقاب ويسحبها كما يشاء، وكان من الضروري أن يكون المرء بارزًا لضمان مكانة راسخة في الطبقة الأرستقراطية. لا يُبالي الويرن إن تمكن هراثن من إقناع العامة بالدين أم لا، فالبلد سيُعد ديريثيًّا ما دام النبلاء يحنون رؤوسهم.

لذا فإن هراثن لديه فرصة، ولكن لا يزال أمامه الكثير من العمل، وجزء مهم منه يكمن في الرجل الذي كان هراثن على وشك الاتصال به. لم يكن الرجل الذي سيتصل به جيورنًا، وهو ما جعل استخدام هراثن للسيون مُخالفًا بعض الشيء لتعاليم الدين القويم. ولكن الويرن لم يأمره مباشرة بألا يتصل بالآخرين باستخدام السيون، لذا كان هراثن قادرًا على تبرير استخدامه له.

استجاب السيون على الفور، وسُرعان ما ظهر في الضوء وجه فورتون كبير الأذنين الأشبه بالفأر.

سأل باللهجة الفيوردية الفظة التي يتحدثون بها في ريف هروفْل: "من هذا؟".

"هذا أنا يا فورتون".

سأله فورتون في دهشة: "سيدي هراثن؟ لقد مضى وقت طويل يا سيدي".

"أعرف يا فورتون، أتمنى أنك بخير".

ضحك الرجل في سعادة وسرعان ما تحولت ضحكته إلى سعال. كان فورتون يعاني سعالًا مزمنًا، وكان هراثن متيقنًا من أن هذا بسبب المواد المختلفة المولع بتدخينها.

قال فورتون من بين سعاله: "بالطبع يا سيدي، ومتى لم أكن بخير؟". كان فورتون قانعًا تمامًا بحياته، وهذه الحالة التي سببها أيضًا المواد المختلفة المولع بتدخينها. "ما الذي يُمكنني أن أفعله من أجلك؟".

قال هراثن: "أنا بحاجة إلى إكسير من أكاسيرك يا فورتون".

"بالطبع، بالطبع، ما الذي يجب أن يفعله؟".

ابتسم هراثن، كان فورتون عبقريًا لا يُضاهى، ولهذا يتحمل هراثن غرابة أطواره. إن الرجل لا يحتفظ بسيون فحسب، ولكنه أيضًا من أتباع الباطنية المخلصين، نسخة منحطة من الديانة الجسكرية الشائعة في المناطق الريفية. رغم أن هروڤل أمة تتبع الديانة الديريثية رسميًا إلا أن جزءًا كبيرًا منها هو مناطق ريفية متناثرة مزدحمة بالسكان، لذا من الصعب الإشراف عليها. الكثير من الفلاحين يحضرون القداس الديريثي بإخلاص شديد، ثم يشاركون في طقوس الباطنية في منتصف الليل بنفس الإخلاص. فورتون نفسه كان يُعد باطنيًا إلى حد ما في بلدته، ولكنه لا يُظهر إلا الدين الديريثي القويم عندما يتحدث مع هراثن.

شرح له هراثن ما يريده فكرره فورتون عليه. رغم أن فورتون يكون تحت تأثير المخدر في كثير من الأحيان إلا أنه كان بارعًا للغاية في خلط العقاقير والسموم والأكاسير. لم يُقابل هراثن أي رجل في سيكلا يُمكنه أن يُضاهي مهارة فورتون، كانت واحدة من تراكيب الرجل غريب الأطوار قد أعادت لهراثن عافيته بعد أن سمَّه عدو سياسي، وقد قيل إنه لا يوجد أي ترياق للمادة بطيئة المفعول.

قال فورتون بلهجته الثقيلة: "لن يكون هناك أي مشكلة يا سيدي". لم يعد هراثن يواجه صعوبة في فهم الرجل الهروڤي بعد سنوات من التعامل معه. كان على يقين من أن معظمهم لا يعرف حتى أن هناك نسخة نقية وصحيحة من لغتهم في فيوردن.

قال هراثن: "رائع".

قال فورتون: "أجل، كل ما أحتاج إلى فعله هو أن أمزج مركبين أمتلكهما بالفعل. ما القدر الذي تريده؟".

"جرعتان على الأقل، سأدفع لك الثمن المعتاد".

قال الرجل بشيء من التقوى: "إن أجري الحقيقي هو معرفتي بأنني قد خدمت الرب جادث".

قاوم هراثن رغبته في الضحك، إنه يعرف مقدار ما تملكه الباطنية من سطوة على شعب هروڤل، إنه شكل مقيت من العبادة، مزيج متنافر من عشرات الأديان المختلفة مع بعض التحريفات، مثل الأضحيات الطقوسية، وطقوس الخصوبة، التي أُضيفت إليها لتجعلها أكثر إغراءً. ولكنه سيتولى أمر هروڤل في يوم آخر. الناس يفعلون ما يأمرهم به الويرن، وليس لهم أي قيمة سياسية يُمكن أن تُسبب متاعب لفيوردن. إن أرواحهم في خطر كبير بالطبع، فليس من المعروف عن جادث أنه يتساهل مع الجاهل.

قال هراثن لنفسه: *في يوم آخر.*

سأله الرجل: "متى سيحتاج سيدي هذا العقار؟".

"هذا هو بيت القصيد يا فورتون، أنا أحتاجه على الفور".

"أين أنت؟".

قال هراثن: "في أريلون".

قال فورتون: "أوه رائع، لقد قرر سيدي أخيرًا أن يُدخل هؤلاء الوثنيين في الدين الصحيح".

قال هراثن بابتسامة شاحبة: "أجل، لقد تحلينا نحن الديريثيون بالصبر مع الأريليين طويلًا بما يكفي".

قال فورتون: "حسنًا، لم يكن باستطاعتك يا سيدي أن تختار مكانًا أبعد، فحتى لو أنهيت العقار هذه الليلة وأرسلته في الصباح فلن يصل قبل أسبوعين على الأقل".

أحس هراثن بالسخط من هذا التأخير، ولكن لم يكن هناك خيار آخر. "حسنًا، فلتفعلها إذن يا فورتون وسأعوضك عن تعجلي الشديد في الأمر".

"أي تابع مخلص لجادث سيفعل ما بوسعه لإقامة إمبراطوريته يا سيدي".

قال هراثن في قرارة نفسه: *على الأقل يعرف مذهبه الديريثي.*

سأله فورتون وهو يسعل قليلًا: "هل هناك شيء آخر يا سيدي؟".

"لا، فلتباشر العمل، ولترسل العقار في أسرع وقت ممكن".

"بالطبع يا سيدي، سأبدأ على الفور. فلتصلِّ من أجلي في أي وقت تحتاج إليَّ فيه".

عقد هراثن حاجبيه، لقد نسي بشأن هذا الخطأ الصغير، يبدو أن فورتون لم يتقن عقيدته الديريثية رغم كل شيء. لا يعرف فورتون أن هراثن لديه سيون، لذا افترض ببساطة أن أي جيورن يُمكنه أن يصلي إلى جادث وأن الرب سيوجه كلماته عبر السيونات، كأن الرب جادث ساعي بريد.

قال هراثن دون أن يظهر الاستياء في نبرة صوته: "طابت ليلتك يا فورتون". إن فورتون مدمن على المخدرات ومهرطق ومنافق، ولكنه لا يزال مصدرًا لفائدة جمة. لقد قرر هراثن منذ وقت طويل أنه إن كان جادث سيسمح للجيورنات بالتواصل باستخدام السيونات فمن المؤكد أنه سيسمح لهراثن باستخدام رجال مثل فورتون.

فعلى أي حال جادث قد خلق كل البشر، بمن فيهم المهرطقين.

# الفصل التاسع عشر

كانت مدينة إيلانتريس في غاية التألق، الأحجار ذاتها مضيئة كأنما هناك نيران مشتعلة بداخلها، والقباب المتداعية قد ترممت، وازدهرت أسطحها الملساء على طول المشهد، والأبراج الرفيعة تعلو في الهواء كخطوط من الضوء. لم يعد السور حاجزًا فبوابته قد تُركت مفتوحة بشكل دائم، إنه موجود لا للحماية بل من أجل الترابط. كان السور جزءًا من المدينة بطريقة ما، وعنصرًا جوهريًّا من الكل، فمن دونه لن تكتمل إيلانتريس.

وبين هذا الجمال والبهاء كان الإيلانتريون، أجسامهم تتألق بنفس الضوء الذي يضيء المدينة، وجلودهم بلون فضي ساطع، لم يكن لونًا معدنيًّا ولكنه... لون نقي. كان شعرهم أبيض، ولكنه ليس ذلك الرمادي الباهت أو الأصفر كشعر العجائز، بل لون أبيض متوهج كأنما هو فولاذ قد تعرض لدرجة حرارة قصوى، لون خالٍ من الشوائب، لون أبيض ناصع البياض.

كانت تحيط بهم هالة مذهلة بنفس القدر، فيتحرك الإيلانتريون عبر المدينة بهيئة توحي بالسلطة التامة. كان الرجال يتحلون بالوسامة والطول، حتى قصار القامة منهم. وتتحلى النساء بجمال لا تخطئه عين، حتى أقلهن اهتمامًا بمظهرهن. كانوا يمشون على مهلٍ، ويحيون أولئك الذين يلاقونهم بابتسامات تلقائية، ولكن كان هناك قوة فيهم، تشع من أعينهم وتتبدى في حركاتهم. كان من السهل أن تفهم لمَ قد يُعبدون كآلهة.

ولم تكن العين ليفوتها الآيونات أيضًا، كانت الحروف القديمة تُغطي المدينة، محفورة في الجدران ومرسومة على الأبواب ومكتوبة على اللافتات. معظمها كانت علامات بسيطة خاملة، بدلًا من أن تكون طلاسم ذات غرض سحري. وكان هناك حروف أخرى من الواضح أنها تحوي طاقة، ففي جميع أرجاء المدينة كان هناك لوحات معدنية نُقش عليها آيون تيا، وفي بعض

الأحيان يقترب إيلانتري من المكان ويضع يده ـ أو يدها ـ في منتصف الحرف، حينها يومض جسد الإيلانتري قبل أن يختفي في دوامة منفجرة من الضوء، فينتقل جسده على الفور إلى قسم آخر من المدينة.

ووسط هذا البهاء كان هناك أسرة صغيرة من قاطني كاي، كانت ثيابهم فاخرة وأنيقة، وكلماتهم تشي بالثقافة، ولكن بشرتهم لم تكن تتوهج. كان هناك أُناس آخرون عاديون في المدينة، عددهم لا يُضاهي الإيلانتريين ولكنه يظل عددًا كبيرًا. هذا أراح الصبي ومنحه إحساسًا بالألفة.

كان الأب يحمل ابنه الصغير بإحكام وهو يتلفت حوله في ريبة، لم يكن الجميع معجبين بالإيلانتريين، فبعضهم يرتاب منهم. كانت أم الفتى تُمسك بذراع زوجها بأصابع متوترة. لم تدخل إيلانتريس من قبل، رغم أنها تعيش في كاي منذ أكثر من عشر سنوات. على عكس والد الصبي كانت متوترة أكثر من كونها مرتابة. كانت قلقة بشأن جرح ابنها، مهمومة كأي أم يحتضر طفلها.

فجأة أحس الصبي بالألم في ساقه، كان ألمًا حارقًا وشديدًا، ناجمًا عن الجرح المتقيح، وكسر في عظمة الفخذ. لقد سقط من مكانٍ عالٍ وانكسرت ساقه بشدة حتى إن العظام المتكسرة قد مزَّقت الجلد لتبرز من تحته.

لقد استأجر أبوه أفضل الجراحين والأطباء، ولكنهم لم يقدروا على علاج تلوث الجرح. لقد أعادوا العظمة إلى موضعها قدر الإمكان، بالأخذ في الاعتبار أنها قد تكسرت في عشرة أماكن على الأقل. حتى من دون تلوث الجرح فإن الطفل سيمشي أعرج لبقية حياته. أما مع التلوث... كان البتر هو الحل الوحيد؛ بل كان الأطباء يخشون في قرارة أنفسهم أن الأوان قد فات على هذا الحل، فالجرح قد حدث في أعلى الساق، وربما انتشرت العدوى لتصل إلى الجذع. لقد طلب منهم الأب أن يخبروه بالحقيقة، كان يعرف أن ابنه يحتضر ولهذا جاء إلى إيلانتريس، رغم أنه لم يثق في آلهتها طيلة حياته.

لقد أخذا الصبي إلى مبنى تعلوه قبة، وكاد الصبي أن ينسى ألمه عندما انفتح الباب من تلقاء نفسه وانزلق إلى الداخل بدون صوت. أما أبوه فقد توقف فجأة أمام الباب وكأنما يعيد النظر في تصرفاته، ولكن الأم جذبت ذراع الرجل في إصرار. أومأ الأب ثم أحنى رأسه وهو يدلف إلى الداخل.

كان الضوء يشع من الآيونات المتوهجة على الجدران، اقتربت منهم امرأة بشعر أبيض طويل وكثيف، وعلى وجهها الفضي ابتسامة مشجعة. تجاهلت ريبة الأب بينما تنظر إلى الصبي بعينين متعاطفتين، قبل أن تأخذه من بين ذراعيه المترددتين. وضعته بعناية على بساط ناعم، ثم رفعت يدها في الهواء من فوقه وسبابتها تشير إلى الفراغ.

حرَّكت الإيلانترية يدها ببطء فبدأ الهواء يتوهج. كان هناك أثر من الضوء يتبع إصبعها، خط يشع بحدة وعُمق كأنما يشق الهواء. بدا كأنه نهر من الضوء يحاول أن يشق طريقه عبر صدع صغير. كان الفتى قادرًا على الإحساس بالقوة، الإحساس بها تتأجج وهي تحاول أن تتحرر، ولكن لم يُسمح بالهرب إلا لهذا القدر الصغير. وحتى هذا القدر كان ساطعًا للغاية، حتى إنه بالكاد كان قادرًا على أن يرى.

راحت المرأة تحرك إصبعها بعناية حتى أكملت آيون آين، ولكنه لم يكن آيون آين فحسب، بل كان شيئًا أكثر تعقيدًا. كان الجوهر هو آيون الشفاء المألوف، ولكن كان هناك عشرات الخطوط والمنحنيات على جوانبه. قطَّب الصبي جبينه، لقد تعلم الآيونات على يد معلميه، وبدا غريبًا أن تُغير المرأة هذه الآيون جذريًّا.

وضعت الإيلانترية الجميلة علامة أخيرة على جانب بنائها المعقد فبدأ الآيون يتوهج بشكل أكثر حدة. أحس الفتى بألم حارق في ساقه، ثم ألم حارق بالأعلى في جذعه، بدأ يصرخ ولكن سرعان ما تلاشى الضوء. فتح الصبي عينيه بدهشة، بينما لا تزال صورة الآيون مطبوعة في بصره. رمش بعينيه وهو ينظر لأسفل، كان الجُرح قد تلاشى، ولم يتبقَّ منه حتى ولو ندبة.

ولكنه كان لا يزال قادرًا على الإحساس بالألم، يحرقه ويمزقه ويجعل روحه ترتجف، كان من المفترض أن يتلاشى ولكنه لم يتلاشَ.

قالت الإيلانترية بصوت دافئ وهي تدفعه إلى الوراء: "فلتسترح الآن يا صغيري".

كانت أمه تبكي في بهجة وحتى أبوه بدا راضيًا. أراد الفتى أن يصرخ في وجهيهما بأن هناك شيئًا خاطئًا، لم تُشفَ ساقه، لا يزال الألم موجودًا.

حاول أن يقول: *لا! هناك شيء خاطئ!* ولكنه لم يستطع. لم يستطع أن يتحدث...

***

صرخ رايودن وهو ينتفض جالسًا: "لا!". رمش بعينيه بضع مرات فاقدًا الإحساس بالاتجاهات في الظلمة، وأخيرًا أخذ نفسًا عميقًا ووضع يده على رأسه، كان الألم لا يزال موجودًا ويزداد قوة حتى إنه صار يتسلل إلى أحلامه. لقد صار لديه عشرات من الجروح والكدمات الصغيرة، رغم أنه لم يمضِ عليه في إيلانتريس سوى ثلاثة أسابيع. كان قادرًا على أن يشعر بكل جرح وكدمة على حدة، لتُشكل معًا هجومًا متحدًا على عقلانيته.

تأوه رايودن وهو يميل إلى الأمام ويُمسك بساقيه كأنما ليُصارع الألم، لم يعد جسده يعرق، ولكنه أحس به يرتجف. جزَّ على أسنانه في مواجهة تدفق من العذاب. ببطء وبمشقة استعاد سيطرته على جسده. كبح جماح الألم هدَّأ جسده المعذب، حتى استطاع أخيرًا أن يترك ساقيه ويعتدل واقفًا.

كان الأمر يزداد سوءًا، وكان يعرف أنه لا يجب أن يكون بهذا السوء بعد، كان يعرف أيضًا أن الألم من المفترض أن يكون ثابتًا، أو هكذا يقول الجميع، ولكن بالنسبة له بدا أن الألم يأتي في موجات. كان الألم موجودًا دومًا، ومستعدًّا دومًا للانقضاض عليه في لحظة ضعف.

تنهد رايودن ودفع الباب المؤدي إلى حجرته. لا يزال يجد أنه من الغريب أن الإيلانتريين بحاجة إلى النوم، إن قلوبهم لم تعد تنبض، ولم يعودوا بحاجة إلى التنفس، فلمَ يحتاجون إلى النوم؟ لم يستطع الآخرون أن يمنحوه إجابة، فالخبراء الحقيقيون قد ماتوا قبل عشر سنوات.

وهكذا ينام رايودن، ومع هذا النوم تأتي الأحلام. كان في الثامنة من عمره عندما كسر ساقه، وقد كره أبوه أن يجلبه إلى المدينة. لطالما شعر آيادون بالريبة تجاه إيلانتريس، حتى قبل الريود، ولكن أم رايودن ـ التي ماتت قبل اثني عشر عامًا ـ أصرت على الأمر.

لم يفهم الطفل رايودن مدى اقترابه من الموت، غير أنه شعر بالألم، والسكينة التي تلت إزالته. إنه يتذكر جمال كل من المدينة وقاطنيها. لقد تحدث آيادون بكلمات قاسية عن إيلانتريس وهم يغادرون، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتذكر فيها رايودن أنه قد عارض كلمات أبيه بشدة. كانت المرة الأولى التي يتذكر فيها رايودن أنه قد اتخذ موقفًا ضد أبيه، وبعدها كان هناك مرات أخرى عديدة.

عندما دلف رايودن إلى الكنيسة الرئيسية ترك سايولين موضعه بجانب حجرة رايودن وبدأ يمشي بجواره. طيلة الأسبوع الماضي كان الجندي قد جمع مجموعة من المتطوعين وشكّل منهم فرقة من الحراس.

قال رايودن: "تعرف أنني سعيد باهتمامك يا سايولين، ولكن هل هذا ضروري حقًّا؟".

قال سايولين: "إن أي لورد يحتاج إلى حرس شرفي يا لورد سبيريت. لن يكون من اللائق أن تذهب وتجيء بمفردك".

قال رايودن: "أنا لست لورد يا سايولين، بل مجرد قائد، فليس هناك أي طبقة نبيلة في إيلانتريس".

أومأ سايولين ثم قال: "أفهم يا سيدي اللورد". دون أن يدرك التناقض الواضح في كلماته. "ولكن المدينة لا تزال مكانًا خطيرًا".

قال رايودن: "كما تشاء، ما أخبار الزراعة؟".

قال سايولين: "لقد انتهى جالادون من الحرث، وقد نظَّم بالفعل فرق الزراعة".

نظر رايودن من نافذة الكنيسة ليُلاحظ مدى ارتفاع الشمس في السماء فقال: "لم يكن من المفترض أن أنام طويلًا". غادر المبنى وسايولين في عقبيه، ثم قطع الممر الحجري النظيف المؤدي إلى الحدائق. كان كاهار وطاقمه قد نظفوا الأحجار، وبعدها استخدم داهاد - أحد أتباع تان - مهارته في الأعمال الحجرية لإعادة ضبطها.

كانت أعمال الزراعة تجري على قدم وساق، جالادون يُشرف على العمل بنظرة حريصة، ولسانه الفظ يُسرع للإشارة إلى أي أخطاء. ولكن كان هناك شيء من السكينة يكتنف الدولادي. بعض الرجال قد صاروا مزارعين لأنه لم يكن لديهم خيار آخر، ولكن يبدو أن جالادون يجد متعة حقيقية في هذا العمل.

كان رايودن يتذكر بوضوح ذلك اليوم الأول الذي أغرى فيه جالادون بقطعة من اللحم المجفف، بالكاد كان ألم صديقه تحت السيطرة في ذلك الوقت، فقد أحس رايودن بالخوف من الدولادي عدة مرات في تلك الأيام الأولى، الآن لم يتبقَّ شيء من هذا، كان رايودن قادرًا على أن يرى هذا في عيني جالادون وتصرفاته. لقد عثر على "السر" كما أسماه كاهار. لقد استعاد جالادون سيطرته على نفسه مرة أخرى. والآن لم يعد هناك أحد يخشاه رايودن إلا نفسه.

كانت نظريته تعمل بشكل أفضل مما توقع، ولكن يبدو أنها تعمل على كل شخص عداه، لقد جلب السكينة والغاية للعشرات الذين قد تبعوه، ولكنه لا يستطيع أن يفعل الشيء ذاته لنفسه، لا يزال الألم يحرقه، إنه يهدده كل صباح عندما يستيقظ، ويبقى معه في كل لحظة يكون

فيها واعيًا. لقد كان أكثر عزمًا من أي شخص آخر، وأكثر إصرارًا على نجاح إيلانتريس. لقد جعل نفسه مشغولًا طوال اليوم، فلم يترك أي لحظات فراغ تجعله يتفكر في معاناته. ولكن لم ينجح أي من هذا، لا يزال الألم يتعاظم.

صاح سايولين: "فلتحترس يا سيدي!".

قفز رايودن وهو يلتفت بينما إيلانتري عاري الصدر يخرج راكضًا من زقاق مظلم وهو ينقض عليه مزمجرًا. بالكاد وجد رايودن وقتًا لكي يتراجع للوراء، بينما الرجل الوحشي يرفع قضيبًا حديديًّا صدئًا ويهوي به مباشرة على وجهه.

لمع فولاذ بشكل مفاجئ بينما سيف سايولين يصد الضربة. توقف الوافد الوحشي الجديد وهو يعيد توجيه نفسه ناحية العدو الجديد. كان يتحرك ببطء شديد، فوجهت يد سايولين ضربة متمرسة اخترقت بطن الرجل المجنون مباشرة. ولكن سايولين أدرك أن هذه الضربة لن توقف إيلانتريًّا، فلوَّح بسيفه في ضربة قوية فصلت رأس المجنون عن جسده، ولم يكن هناك أي دماء.

تهاوت الجثة على الأرض، فلوَّح سايولين لرايودن بسيفه في تحية وهو يبتسم ابتسامة مطمْئنة كشفت عن فجوة في أسنانه. ثم دار على عقبيه ليواجه مجموعة من الرجال الوحشيين ينقضون نحوهما من شارعٍ قريب.

تعثر رايودن إلى الوراء في ذهول وهو يقول: "لا يا سايولين! هناك الكثير منهم!".

لحسن الحظ كان رجال سايولين قد سمعوا الجلبة، وفي غضون ثوانٍ كان خمسة منهم - سايولين وداش وثلاثة جنود آخرون - يصدون الهجوم، قاتلوا ببراعة وقد سدوا الطريق إلى بقية الحدائق أمام العدو، يقاتلون بتناسق جنود متمرسين.

كان عدد رجال شايور كبيرًا، ولكن غضبهم لم يكن ليضاهي الكفاءة القتالية. كانوا يهاجمون فرادى، وقد أعماهم اندفاعهم. وفي غضون لحظات كانت المعركة قد انتهت، بينما العدد القليل المتبقي من المهاجمين يلوذ بالفرار.

نظَّف سايولين سيفه بكفاءة، ثم استدار مع الآخرين ليحيوا رايودن في تناسق.

لقد حدثت المعركة كلها بسرعة كبيرة على أن يلاحق رايودن ما يحدث، ولكنه أخيرًا تمكن من أن يقول: "أحسنتم صنعًا".

جاء صوت تنهد من جانبه، حيث كان جالادون جاثيًا بجانب جثة الرجل الأول مقطوعة الرأس، ثم تمتم قائلًا: "لا شك أنهم قد عرفوا أن لدينا ذرة، يا للرولوس المساكين".

أومأ رايودن برأسه في وجوم وهو يتأمل الرجال الوحشيين المهزومين. كان أربعة منهم مستلقين على الأرض، ممسكين بإصابات مختلفة. كانت جميعها لتؤدي إلى موتهم لو لم يكونوا إيلانتريين، ولهذا لم يكن باستطاعتهم إلا التأوه ألمًا. أحس رايودن أن الأمر مألوف، إنه يعرف هذا الشعور بالألم.

قال بصوت خافت: "لا يمكن لهذا أن يستمر".

أجابه جالادون وهو يقف إلى جانبه: "لا أرى كيف يُمكنك أن توقف هذا يا سول، إنهم رجال شايور، وحتى هو لا يسيطر عليهم تمامًا".

هز رايودن رأسه وقال: "لن أنقذ شعب إيلانتريس ثم أتركهم يتقاتلون طيلة حياتهم. لن أبني مجتمعًا على جثث الضحايا، ربما نسي أتباع شايور أنهم بشر، ولكني لن أنسى".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "كان هناك احتمال أن تُقنع كاراتا وآندين، حتى وإن كان احتمالًا ضئيلًا، ولكن شايور مختلف تمامًا، لم يعد هناك أدنى ذرة من البشرية في هؤلاء الرجال، لا يمكنك أن تتفاهم معهم".

قال رايودن: "إذن فسوف أُعيد إليهم عقلهم".

"وكيف تنوي فعل هذا يا سول؟".

"سأجد طريقة".

جثا رايودن على ركبتيه بجانب الرجل المجنون الذي سقط أرضًا، وكان هناك شيء في أعماق عقله يخبره أنه قد التقى بهذا الرجل قبل وقت ليس ببعيد. لم يكن رايودن متيقنًا، ولكنه ظن أن الرجل كان أحد أتباع تان، واحدًا من الرجال الذين واجههم رايودن أثناء محاولة داش للإغارة عليهم.

قال رايودن لنفسه: *إذن فالأمر حقيقي*. أحس بمعدته تنقبض. العديد من أتباع تان قد جاؤوا للانضمام إلى رايودن، ولكن الغالبية العظمى منهم لم يأتوا، وكان هناك همسات بأن العديد منهم قد شقوا طريقهم إلى قطاع التجار في إيلانتريس، للانضمام إلى رجال شايور الوحشيين. لم يكن الأمر مستبعدًا، فهؤلاء الرجال كانوا مستعدين لأن يتبعوا رجلًا يبدو مختلًّا مثل آندين. كانت عصابة شايور هي الخطوة التالية فحسب.

سأله سايولين في تردد: "ما الذي يجب أن نفعله بهم يا لورد سبيريت؟".

نظر رايودن إليهم بعينين مشفقتين ثم قال: "إنهم لا يشكلون أي خطر علينا الآن يا سايولين، فلتضعوهم مع الآخرين".

***

بعد نجاح رايودن مع عصابة آندين وما تلا هذا من الازدياد الكبير في أعداد جماعته فعل شيئًا كان يريد أن يفعله منذ البداية؛ بدأ في جمع المبتلين في إيلانتريس، هؤلاء الذين سقطوا تحت وطأة آلامهم.

جمعهم من الشوارع والمجارير، وفتَّش عنهم في جميع المباني، ما انهار منها وما لا يزال قائمًا، محاولًا أن يجد كل رجل وامرأة وطفل في إيلانتريس قد استسلم لآلامه. كانت المدينة ضخمة، وأعداد رجال رايودن محدودة، ولكنه تمكن من جمع المئات منهم، وأمر بوضعهم في ثاني مبنى قد نظَّفه كاهار، مبنى ضخم مفتوح كان ينوي في البداية أن يستخدمه كمكان للاجتماع. لن تنتهي معاناة الهويد، ولكن على الأقل يمكنهم أن يحتفظوا بشيء من كرامتهم.

ولن يواصلوا المعاناة في وحدة، لقد أمر رايودن أتباعه بزيارة الهويد. عادة ما يكون بعض الإيلانتريين يمشون بينهم ويتحدثون بكلمات لطيفة ويحاولون أن يجعلهم مرتاحين قدر الإمكان بأخذ ظروفهم بعين الاعتبار. لم يكن هذا بالكثير، ولم يكن أحد قادرًا على تحمل قضاء وقت طويل بين الهويد، ولكن رايودن قد أقنع نفسه بشكل ما أن هذا يساعدهم. كان يفعل بنفسه ما يأمر به أتباعه، فيزور قاعة المبتلين على الأقل مرة كل يوم، وبدا له أنهم يتحسنون. كان الهويد لا يزالون يتأوهون ويتمتمون ويحدقون إلى الخواء. ولكن أصحاب الأصوات الأعلى من بينهم قد بدوا أكثر هدوءًا، والقاعة التي كانت ذات يوم مكانًا للصرخات والأصداء المخيفة قد صارت مكانًا من التمتمات الخافتة واليأس الصامت.

تحرك رايودن فيما بينهم بحزن، وهو يساعد في حمل أحد المبتلين الجامحين. لم يكن هناك سوى أربعة منهم، وقد أمر بدفن الرجل الخامس الذي قطع سايولين رأسه. فحسبما يمكن لهم القول، فإن أي إيلانتري يموت عندما يُقطع رأسه تمامًا، على الأقل لا تتحرك عيناه ولا تحاول شفتاه أن تتحدثا إن كان الرأس منفصلًا تمامًا عن الجسد.

بينما رايودن يمشي بين الهويد كان يسمع تمتماتهم الخافتة.

"جميلة، كنت ذات يوم جميلة للغاية...".

"الحياة، الحياة، الحياة، الحياة...".

"يا دومي، أين أنت؟ متى سينتهي الأمر؟ يا دومي...".

عادة ما يكون مضطرًا لتجاهل الكلمات بعد فترة من الوقت خشية أن تدفعه إلى الجنون، أو ما هو أسوأ؛ أن توقظ الألم بداخل جسده. كان آين هناك، يطفو حول الرؤوس الشاردة والأجسام الساقطة، كان السيون يقضي الكثير من الوقت في القاعة، وبدا بشكل غريب أنه ينتمي إلى المكان.

سرعان ما تركت المجموعة الواجمة القاعة في صمت وكل منهم يحتفظ بأفكاره لنفسه. عندما لاحظ رايودن التمزق في روب سايولين قال له: "لقد جُرحت!".

قال سايولين بلا اكتراث: "إنه جرح طفيف يا سيدي".

قال: "هذا التواضع يكون محمودًا بالخارج يا سايولين، ولكن ليس هنا، يجب أن تقبل اعتذاري".

قال سايولين بجدية: "إن كوني إيلانتريًا يجعلني أكثر فخرًا بإصابتي بهذا الجرح، لقد أُصبت وأنا أحمي شعبنا".

نظر رايودن وراءه إلى القاعة في ألم وقال: "إنه فقط يقربك خطوة أخرى...".

"لا يا سيدي، لا أعتقد هذا، هؤلاء الناس استسلموا لآلامهم لأنهم لا يجدون غاية، إن عذابهم بلا معنى، وعندما لا يجد المرء سببًا للحياة فإنه عادة ما يستسلم. هذا الجرح سيؤلمني، ولكن كل طعنة ألم ستذكرني أنني نلته بشرف. وأعتقد أن هذا ليس شيئًا سيئًا".

تأمل رايودن الجندي العجوز بنظرة احترام، ربما في العالم الخارجي كان على وشك أن يتقاعد، ولكن في إيلانتريس، مع إصابة الجميع بالشايود، بدا وكأنه في نفس عمر أي شخص آخر، لا يمكن للمرء تمييز العمر بناءً على المظهر، ولكن يمكن تمييزه من خلال الحكمة.

قال رايودن: "أنت تتحدث بفطنة يا صديقي، ويشرفني أن أقبل تضحيتك".

قاطع المحادثة صوت أقدام تضرب أحجار الرصف، وبعد لحظات ظهرت كاراتا أمامهما وقدماها متسختان بالوحل من خارج منطقة الكنيسة. سيكون كاهار غاضبًا، لقد نسيت أن تمسح قدميها، والآن تترك أثرًا من الوحل على الأحجار النظيفة.

من الواضح أن كاراتا لم تكن تبالي بشأن الوحل في هذه اللحظة. فقد راحت تتفحص المجموعة بسرعة لتتيقن من أن الجميع موجودون، ثم قالت: "سمعت أن شايور قد هجم، هل كان هناك أي ضحايا؟".

"خمسة، ولكنهم جميعًا من المهاجمين".

سبَّت قبل أن تقول: "كان من المفترض أن أكون هنا". كانت تشرف على نقل أتباعها إلى منطقة الكنيسة طيلة الأيام القليلة الماضية، وقد وافقت على أن المجموعة المركزية الموحدة ستكون أكثر قوة، وأن منطقة الكنيسة مكان أنظف. الغريب هو أن فكرة تنظيف القصر لم تخطر ببالها، فمعظم الإيلانتريين كانوا يقبلون أن الوحل جزء لا يتجزأ من الحياة.

قال رايودن: "إن لديك ما يشغلك من مهام، ولم يكن بمقدورك أن تتوقعي هجوم شايور".

لم تجبه كاراتا، ولكنها وقفت إلى جانبه دون مزيد من الشكوى.

قال جالادون مبتسمًا: "فلتنظر إليه يا سول، لم أكن أظن أن هذا ممكن".

نظر رايودن إلى حيث ينظر الدولادي، كان تان جاثيًا على ركبتيه بجانب الطريق يتفحص النقوش على جدار قصير بانبهار طفولي. كان البارون السابق قصير القامة قد قضى الأسبوع كله يصنف كل نحت أو نقش أو زخرفة في منطقة الكنيسة، لقد اكتشف بالفعل "ما لا يقل عن اثني عشر أسلوبًا جديدًا" بحسب كلماته. كانت التغيرات التي طرأت على تان مدهشة وكذلك فقدانه المفاجئ للولع بالقيادة. حافظت كاراتا على قدر من النفوذ في المجموعة، فقد قبلت أن يكون رايودن هو صاحب الكلمة الأخيرة، ولكنها احتفظت بمعظم سلطتها، بعكس تان الذي لم يعد يكترث حتى بإصدار الأوامر، فقد كان منشغلًا للغاية بدراسة النقوش.

لم يبدُ أن أتباعه ـ أو هؤلاء الذي قرروا منهم أن ينضموا لرايودن ـ يمانعون الأمر. كان تان يقدر أن قرابة ثلاثين بالمئة من بلاطه قد التحقوا برايودن متقاطرين في مجموعات صغيرة. كان رايودن يأمل أن من لم يأتوا قد اختاروا العزلة، فقد كانت فكرة انضمام سبعين بالمئة من أتباع عصابة تان الضخمة إلى شايور مقلقة للغاية. لقد انضم إلى رايودن كل أتباع كاراتا، ولكن عصابتها كانت دومًا الأصغر من بين الثلاثة وإن كانت أكثرهم كفاءة. لطالما كانت عصابة شايور هي الأكبر، ولطالما افتقر أفرادها إلى التنظيم وإلى الدافع لمهاجمة العصابتين الأخريين. الوافدون الجدد الذين يكونون من نصيب رجال شايور من آن لآخر يُشبعون تعطشهم للدماء.

ولكن هذا قد توقف، لن يقبل رايودن بأي شكل من الأشكال أن يقتسم الوافدين الجدد مع هؤلاء المجانين، أو أن يسمح لهم بتعذيب الأبرياء. كاراتا وسايولين يتلقيان كل من يُلقى إلى داخل المدينة ويجلبانه إلى الأمان في فرقة رايودن. حتى الآن لم يكن رد فعل رجال شايور جيدًا. وكان رايودن يخشى أن الأمر سيزداد سوءًا.

قال لنفسه: *سيكون عليَّ أن أفعل شيئًا حيالهم*. ولكن كان عليه أن يهتم بهذه المشكلة في يوم آخر، فقد كان لديه كتاب يجب عليه إنهاء قراءته في الوقت الراهن. ما إن وصلوا إلى الكنيسة

حتى عاد جالادون إلى الزراعة، وتفرق رجال سايولين في دوريات الحراسة، وقررت كاراتا ـ رغم احتجاجاتها السابقة ـ أن تعود إلى القصر، وسرعان ما تبقى رايودن وسايولين وحدهما.

بعد المعركة والنوم لوقت متأخر كان رايودن قد أضاع نصف ضوء النهار بالفعل، فعكف على الكتاب بعزيمة. وبينما كان جالادون منشغلًا بالزراعة، وكاراتا تُخلي القصر، كان الواجب الذي كلَّف رايودن نفسه به هو أن يحل رموز الآيوندور قدر الإمكان. لقد ازدادت قناعته كثيرًا أن الأحرف السحرية القديمة تُخفي سر سقوط إيلانتريس.

مد يده من خلال إحدى نوافذ الكنيسة، وجذب كتاب الآيوندور السميك الموضوع على الطاولة بالداخل. حتى الآن لم يكن الكتاب مفيدًا كما يأمل، لم يكن دليلًا إرشاديًّا، بل مجموعة من دراسات الحالات، التي تفسر الحوادث الغريبة والمثيرة للاهتمام، المحيطة بالآيوندور. لسوء الحظ كان الكتاب متقدمًا للغاية، فكان يمنح أمثلة لما لا يفترض أن يحدث، لذا احتاج رايودن إلى استخدام التفكير العكسي، ليفك شفرة منطق الآيوندور.

لم يقدر حتى الآن إلا على فهم القليل، صار من الواضح أن الآيونات هي مجرد نقاط بداية، الأشكال البسيطة الأولية التي يُمكن للمرء رسمها لإحداث تأثير. تمامًا مثل آيون الشفاء واسع النطاق الذي كان في حلمه، فإن الآيوندور المتطور يتكون من رسم آيون أولي ثم الشروع في رسم أشكال أخرى من حوله، أحيانًا تكون مجرد نقاط وخطوط. كانت هذه النقاط والخطوط عبارة عن حواجز تُضيِّق نطاق تركيز القوة الموسعة. يُمكن على سبيل المثال من خلال رسم دقيق أن يحدد المعالج الطرف الذي سيُعالجه، وما الذي يجب فعله بالضبط، وكيف يُمكن تطهير التلوث.

كلما قرأ رايودن أكثر قلت نظرته إلى الآيونات على أنها رموز سحرية، وبدت بالنسبة له أشبه بالحسابات الرياضية. فبينما يُمكن لأي إيلانتري أن يرسم الآيونات ـ فكل ما يتطلبه الأمر هو يد ثابتة ومعرفة أساسية بكيفية كتابة الحروف ـ كان سادة الآيوندور هم من يمكنهم أن يرسموا

بسرعة ودقة عشرات التعديلات الصغيرة حول الآيون المركزي. لسوء الحظ يفترض الكاتب أن القارئ لديه معرفة شاملة بالآيوندور، فيتخطى معظم المبادئ الأساسية. كانت الرسومات التوضيحية القليلة معقدة للغاية، حتى إن رايودن لم يستطع أن يميز حرف الآيون الأساسي دون الاستعانة بالنص.

صاح رايودن: "فقط لو أنه يشرح ما الذي يعنيه تسخير الدور!". أعاد قراءة هذا المقطع المزعج الذي يواصل استخدام هذه الجملة مرارًا وتكرارًا.

التفت جالادون إليه تاركًا ما يزرعه وهو يقول: "الدور يا سول؟ يبدو أنه مصطلح دولادي".

اعتدل رايودن في جلسته، فقد كان الحرف المستخدم في الكتاب للإشارة إلى كلمة "دور" حرفًا غير مألوف، في الحقيقة لم يكن حرفً آيونيًّا على الإطلاق، بل ببساطة مجرد تمثيل صوتي، كأن الكلمة قد تُرجمت عن لُغة أخرى.

قال رايودن: "أنت محق يا جالادون، إنه ليس مصطلحًا آيونيًّا على الإطلاق".

"إنه ليس كذلك بالطبع، لا يُمكن أن يكون آيونًا، فليس به إلا حركة صوتية واحدة".

"هذه طريقة مبسطة لوصف الأمر يا صديقي".

"لكنها صحيحة، كولو؟".

قال رايودن: "أجل، أفترض هذا. ولكن هذا لا يهم الآن، المهم هو دور؛ ما الذي تعنيه؟".

"حسنًا، إن كانت الكلمة التي أعرفها فهي تشير إلى شيء في الديانة الجسكرية".

سأله رايودن في ريبة: "ما علاقة الباطنية بهذا الأمر؟".

قال جالادون بحنق: "بحق الدولوكين يا سول! لقد قلت لك، إن الجسكرية والباطنية ليستا الشيء ذاته! إن ما تسميه أوبيلون الباطنية الجسكرية لا ينتمي إلى الدولادية إلا بقدر انتمائه إلى الشو-كيسج".

قال رايودن وهو يرفع يديه: "فهمت وجهة نظرك. والآن أخبرني بشأن الدور".

قال جالادون وهو يتكئ على فأس صنعها كيفما اتفق من عصا وصخرة مدببة: "من الصعب تفسير الأمر يا سول، الدور هو قوة غير مرئية، إنه في كل شيء ولكن لا يُمكن لمسه. لا يؤثر على شيء، ولكنه يتحكم في كل شيء. لماذا تتدفق الأنهار؟".

"لأن الماء ينجذب للأسفل مثل أي شيء آخر، يذوب الثلج على الجبال، ويجب أن يكون هناك مكان يذهب إليه الماء".

قال جالادون: "هذا صحيح ولكن إليك سؤال آخر، ما الذي يجعل الماء يرغب في التدفق؟".

"لم أكن أُدرك أنه بحاجة إلى أن يرغب في هذا".

قال جالادون: "بل يحتاج إلى هذا، تُعلمنا الجسكرية أن البشر وحدهم من لديهم قدرة - أو لعنة - عدم إدراك الدور. هل تعرف أنك إن أخذت طائرًا بعيدًا عن أبويه وربيته في بيتك فإنه سيتعلم الطيران رغم هذا؟".

هزَّ رايودن كتفيه.

"كيف تعلَّم هذا يا سول؟ من علَّمه الطيران؟".

قال رايودن في تردد: "الدور؟".

"هذا صحيح".

ابتسم رايودن، فقد كان هذا تفسيرًا دينيًا غامضًا أكثر من اللازم على أن يكون مفيدًا. ولكنه حينها فكَّر في حلمه، ذكريات ما قد حدث منذ زمن بعيد، عندما رسمت المعالجة الإيلانترية الآيون بدا الأمر وكأنه شق يظهر في الهواء وراء إصبعها. لا يزال رايودن قادرًا على أن يشعر بالقوة الفوضوية المتأججة وراء الشق، القوة الهائلة التي تحاول أن تشق طريقها عبر الآيون لتصل إليه. كانت تسعى إلى أن تجتاحه، أن تحطمه حتى يصير جزءًا منها، ولكن المعالجة قد رسمت الآيون بحرص لتضع مسارًا محدودًا للقوة، لتصير قوة نافعة، فعالجت ساق رايودن بدلًا من تدميره.

هذه القوة ـ أيًّا ما كانت ـ حقيقية، إنها هناك وراء الآيونات الضعيفة التي يرسمها. "لا شك أنها... لهذا لا نزال أحياء يا جالادون!".

أبعد جالادون انتباهه عن عمله ونظر إليه في صبر قائلًا: "ما الذي تثرثر بشأنه يا سول؟".

قال رايودن في حماس: "لهذا السبب لا نزال أحياء رغم أن أجسادنا توقفت عن العمل! ألا ترى؟ نحن لا نأكل ومع هذا نحصل على الطاقة اللازمة لمواصلة الحركة. لا شك أن هناك رابطًا ما بين الإيلانتريين والدور، إنه يغذي أجسادنا، ويمنحنا الطاقة التي نحتاج إليها للنجاة".

سأله جالادون في عدم اقتناع: "ولماذا لا تمنحنا ما يكفي من الطاقة لجعل قلوبنا تنبض، ولمنع جلودنا من التحول إلى اللون الرمادي؟".

قال رايودن: "لأننا لا نتلقى إلا ما يكفي بالكاد. لم يعد الآيوندور يعمل، القوة التي كانت تغذي المدينة ذات يوم قد تقلصت إلى حد هزيل. الشيء المهم هو أنها لم تتلاشَ، لا نزال قادرين على رسم الآيونات، حتى لو كانت ضعيفة ولا تفعل شيئًا، وعقولنا لا تزال حية حتى لو استسلمت أجسادنا، نحن بحاجة فقط إلى أن نجد طريقة لاستعادة قوتها الكاملة".

سأله جالادون: "أهذا كل شيء؟ هل تقصد أننا بحاجة إلى إصلاح ما هو معطوب؟".

قال رايودن: "أعتقد هذا، الشيء المهم هو أننا أدركنا وجود رابط بيننا وبين الدور. ليس هذا فحسب، بل لا شك أن هناك رابطًا يربط ما بين هذه الأرض والدور".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "لمَ تقول هذا؟".

قال رايودن: "لأن الآيوندور قد نشأ في أريلون وليس في أي مكان آخر، يقول النص إنه كلما ابتعدت عن إيلانتريس ضعفت قوة الآيوندور، بالإضافة إلى هذا فإن الشايود لا يُصيب إلا الأريليين، ويمكنه أن يصيب التيوديين أيضًا في حال أنهم يعيشون في أريلون في ذلك الوقت، كما أنه قد يُصيب واحدًا من دولادل من آن لآخر".

"لم أُلاحظ هذا".

قال رايودن: "هناك رابط ما بين هذه الأرض والأريليين والدور يا جالادون. لم أسمع عن فيوردي قد أصابه الشايود، مهما طال بقاؤهم في أريلون، والدولاديون شعب خليط؛ نصف جيندوي ونصف آيوني. أين تقع مزرعتك في دولادل؟".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "في الشمال يا سول".

قال رايودن بانتصار: "الجزء الذي يقع على حدود أريلون، إنه شيء له علاقة بهذه الأرض وبدمائنا الآيونية".

هز جالادون كتفيه وقال: "يبدو الأمر منطقيًا يا سول، ولكني مجرد مزارع بسيط، ولا أعرف شيئًا عن هذه الأمور".

تجاهل رايودن هذا التعليق الساخر وقال: "ولكن لماذا؟ ما هو الرابط؟ ربما الفيورديون محقون، ربما أريلون ملعونة".

**قال جالادون وهو يولي اهتمامه من جديد إلى عمله: "فلتضع فرضياتك بعيدًا عني، ولكني لا أرى لها أي فائدة إمبريقية[٣٠]".**

**"حسنًا، سأتوقف عن وضع النظريات بمجرد أن تخبرني من أين عرف مزارع بسيط كلمة إمبريقية".**

**لم يُجب جالادون ولكن خُيِّل إلى رايودن أنه سمع الدولادي يضحك بصوت خافت.**

---

[٣٠] الإمبريقية أو التجريبية: توجه فلسفي يؤمن بأن كل المعرفة الإنسانية تنبع بشكل أساسي عن الحواس والخبرة.

# الفصل العشرون

قال آهان وهو يرفع إصبعه البدين: "دعيني أرى إن كنت أفهمك أيتها الأميرة العزيزة، أنتِ تريدين منا أن نساعد آيادون؟ يا لي من أحمق، كنت أظن أننا لا نحب هذا الرجل".

وافقته سارين قائلة: "نحن لا نحبه، ولكن مساعدة الملك من الناحية المالية ليس لها علاقة بمشاعرنا الشخصية".

قال رويال وهو يبسط يديه: "أنا أتفق مع آهان أيتها الأميرة، ما سبب التغير المفاجئ؟ ما النفع الذي ستجلبه علينا مساعدة الملك آيادون؟".

جزَّت سارين على أسنانها في انزعاج، ولكن عندها لفت انتباهها وميض في عيني الدوق العجوز، إنه يعرف بالأمر. يُقال إن الدوق لديه شبكة تجسس واسعة مثل معظم الملوك، لقد أدرك ما يسعى هراثن لفعله. لم يطرح هذا السؤال لكي يستفزها، بل لكي يمنحها فرصة لأن تشرح الأمر. ببطء أخذت سارين نفسًا عميقًا، وقد أحست بالامتنان لفطنة الدوق.

قالت سارين: "شخص ما قد أغرق سفن الملك، والتفكير المنطقي يؤكد ما يقوله جواسيس أبي، لا يُمكن لأساطيل دريوك كاسر الحناجر أن تُغرق السفن، فقد تدمرت معظم سفن دريوك قبل خمسة عشر عامًا عندما حاول أن يستولي على عرش تيود، وأي بقايا قد اختفت منذ ذلك الحين. لا شك أن الويرن هو من أغرق السفن".

قال آهان: "حسنًا، نحن نقبل هذا القدر".

أكملت سارين قائلة: "فيوردن أيضًا تمنح الدعم المالي للدوق تيلري".

قال إيونديل ليذكرها: "ليس لديك أي دليل على هذا يا سمو الأميرة".

قالت سارين معترفة: "لا، ليس لديَّ". كانت تتحرك جيئة وذهابًا بين كراسي الرجال على أرض لينة مع عشب الربيع الجديد. لقد قرروا عقد اجتماعاتهم في حدائق كنيسة كاي الكوراثية، لذا لم يكن هناك أي طاولة لكي تدور من حولها. تمكنت سارين من البقاء جالسة في النصف الأول من الاجتماع، ولكنها وقفت في النهاية، فهي تجد أنه من الأسهل أن تخاطب الآخرين عندما تكون واقفة. كانت تعرف أنها تفعل هذا عادة عندما تكون متوترة، ولكنها تعرف أيضًا أن طولها يمنحها هالة من السلطة.

قالت: "ولكن لديَّ تخمينًا منطقيًّا". سيستجيب إيونديل لأي شيء يتبع كلمة منطقي. "لقد حضرنا جميعًا حفل تيلري الأسبوع الماضي، لا شك أنه أنفق في هذا الحفل أكثر مما قد يجنيه معظم الرجال في عام".

قال شودن: "الإسراف ليس دائمًا علامة على الثراء، لقد رأيت رجالًا فقراء كالفلاحين يقدمون عروضًا مبهرة ليحافظوا على وهم الأمان في مواجهة الانهيار". كانت كلمات شودن حقيقية لأن رجلًا في اجتماعهم ـ البارون إيدان ـ يفعل بالضبط ما وصفه شودن.

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "لقد استقصيت الأمر، فقد كان لديَّ الكثير من وقت الفراغ طيلة الأسبوع الماضي، لأن أيًّا منكم لم يتمكن من عقد هذا الاجتماع رغم ضرورته الملحة". لم يستطع أي من النبلاء أن ينظر إليها في عينيها بعد هذا التعليق. لقد تمكنت أخيرًا من جعلهم يجتمعون، ولكن لسوء الحظ لم يقدر كين ولوكل على الحضور بسبب وجود ارتباط مسبق. "على أي حال تقول الشائعات إن ثروة تيلري قد تضخمت كثيرًا طيلة الأسبوعين الماضيين، وإن شحناته التي أرسلها إلى فيوردن قد دَرَّت عليه أرباحًا رائعة، بغض النظر إن كان ما يُرسله هو أجود أنواع التوابل أم روث الأبقار".

قال إيونديل: "ولكن الحقيقة تظل أن الدوق لم ينحاز إلى الشو-ديريث، إنه لا يزال يحضر الخطب الكوراثية بإخلاص ديني".

عقدت سارين ذراعيها وهي تنقر على وجنتها مفكرة ثم قالت: "إن تحالف تيلري علانية مع فيوردن فإن أرباحه ستكون مثيرة للريبة. إن هراثن ماكر للغاية على أن يتصرف بلا مواربة. سيكون من الأذكى أن تظل فيوردن منفصلة عن تيلري، مما يسمح للدوق بأن يبدو رجلًا متدينًا محافظًا. ورغم التطورات الأخيرة التي حققها هراثن، سيكون من الأسهل بكثير أن يغتصب العرش كوراثي متدين وليس رجلًا ديريثيًّا".

وافقها رويال قائلًا: "سيستولي على العرش، وبعدها سيفي باتفاقه مع الويرن".

قالت سارين: "ولهذا يجب أن نحرص على أن يبدأ آيادون في كسب المال من جديد. إن موارد هذه الأمة قد بدأت تنضب، ومن المحتمل إلى حد كبير أن في فترة الجرد التالية سيكون تيلري قد كسب أكثر مما كسبه آيادون، حتى بإضافة الضرائب. أشك أن الملك سيتنازل عن العرش، ولكن إن كان تيلري يُخطط لانقلاب فقد ينضم إليه النبلاء الآخرون".

"ما رأيك في هذا يا إيدان؟". وجَّه آهان سؤاله للبارون المتوتر وهو يضحك من قلبه. "قد لا تكون الشخص الوحيد الذي سيفقد لقبه في غضون بضعة أشهر، قد ينضم إليك آيادون العجوز بنفسه".

قالت سارين: "من فضلك يا كونت آهان، إن واجبنا أن نحرص على ألا يحدث هذا".

سألها إيدان في توتر: "ما الذي تريدين منا فعله؟ أن نُرسل هدايا إلى الملك؟ لم يعد لدي أي مال فائض عن حاجتي".

قال آهان وهو يضع يديه على بطنه الممتلئ: "ولا أي واحد منا يا إيدان، فإن كان المال فائضًا فلن يكون مفيدًا، أليس كذلك؟".

قال رويال موبخًا: "أنت تعرف ما يقصده يا آهان، وأشك أن الهدايا هي ما تفكر فيه الأميرة".

قالت سارين وهي تبسط يديها: "في الواقع أنا أُريد سماع اقتراحاتكم أيها السادة، أنا سياسية ولست تاجرة، وأعترف أنني هاوية في أمور كسب المال".

قال شودن وهو يشبك يديه أمام ذقنه مفكرًا: "لن تنفع الهدايا، الملك رجل معتز بنفسه، وقد جنى ثروته بالعمل والكد والتخطيط، ولن يبقل الصدقات حتى لإنقاذ عرشه، كما أن التجار مشهورون بالريبة تجاه الهدايا".

قالت سارين: "يُمكننا أن نخبره بالحقيقة، ربما حينها سيقبل مساعدتنا".

هزَّ رويال رأسه وقال: "لن يصدقنا، الملك رجل واقعي يا سارين، أكثر حتى من عزيزنا اللورد إيونديل، يجب على القادة العسكريين أن يفكروا بتجرد للتغلب على خصومهم. ولكني أشك أن آيادون قد راودته فكرة مجردة واحدة في حياته. الملوك يقبلون الأشياء كما تبدو، وخصوصًا إن كانوا يعتقدون أن هذا ما يجب أن تبدو عليه".

وافقه شودن قائلًا: "ولهذا استطاعت السيدة سارين أن تخدع جلالة الملكة بمظهر السذاجة، لقد توقع أن تكون حمقاء، ولهذا عندما بدت مناسبة تمامًا لتوقعاته لم يُبالِ بالتفكير كثيرًا فيما تفعله، حتى لو كانت تتصرف بطريقة مبالغ فيها".

تجاهلت سارين هذه الملاحظة الأخيرة.

قال رويال: "القراصنة شيء يُمكن أن يفهمه آيادون، إنهم جزء منطقي من عالم الإبحار بالسفن، فبطريقة ما كل تاجر يعتبر نفسه قرصانًا، ولكن إدارة الحكومات شيء مختلف. من وجهة نظر الملك لن يكون من المنطقي أن تتسبب مملكة في إغراق سفن مليئة بالبضائع الثمينة. الملك لن يهاجم التجار مهما اشتدت الحرب، وحسبما يعرف فإن هناك صداقة حميمة ما بين أريلون وفيوردن، وكان هو أول من سمح للكهنة الديريثين بالمجيء إلى كاي، وقد منح لذلك الجيورن

https://t.me/fantazynov

هراثن كل الصلاحيات التي يمنحها لزائر نبيل. أشك حقًّا في أننا سنتمكن من إقناعه بأن الويرن يحاول عزله.".

قال إيونديل: "ربما يُمكننا أن نحاول توجيه أصابع الاتهام ناحية فيوردن، أن نُلفِّق شيئًا يجعل دور الويرن في إغراق السفن واضحًا للعيان".

قال آهان وهو يهز رأسه: "سيستغرق الأمر وقتًا طويلًا يا إيونديل، كما أن آيادون لم يتبقَّ لديه عدد كبير من السفن، ولا أعتقد أنه سيخاطر بالإبحار بها في نفس المنطقة مرة أخرى".

أومأت سارين برأسها وقالت: "كما سيكون من الصعب علينا أن نثبت علاقة الويرن بالأمر، فهو على الأرجح يستخدم سفنًا سڤوردية من أجل هذه المهمة، فيوردن نفسها لا تمتلك أسطولًا بحريًّا يستحق الذكر".

سأل إيونديل عاقدًا حاجبيه: "ألم يكن دريوك كاسر الحناجر سڤورديًّا؟".

قال آهان: "سمعت أنه كان فيورديًّا".

قال رويال: "لا، أعتقد أنه كان آيونيًّا، أليس كذلك؟".

قالت سارين في نفاد صبر: "ليس هذا هو المهم". كانت تحاول أن تمنع مسار الاجتماع من التشتت، بينما تقطع أرضية الحديقة اللينة. "قال اللورد آهان إن الملك لن يغامر بالإبحار بسفنه في تلك المنطقة مرة أخرى، ولكن بالتأكيد يجب أن يُبحر بهم الملك إلى مكان ما".

أومأ آهان برأسه وقال: "لا يمكنه أن يتحمل التوقف الآن، فالربيع هو أفضل موسم للتجارة، فالناس يظلون محبوسين طيلة الشتاء مع الألوان الباهتة والأقارب المملين، لذا بمجرد أن يذوب الثلج يكونون مستعدين لإنفاق بعض المال للترويح عن أنفسهم. هذا هو الوقت الذي يكون فيه الحرير الملون باهظ الثمن، والحرير هو أفضل البضائع لدى آيادون.

إن إغراق السفن كان كارثة، ليس لأن آيادون قد خسر السفن فحسب، بل خسر كل الأرباح التي كان سيجنيها من الحرير، ناهيك بالبضائع الأخرى. العديد من التجار يكادون أن ينفقوا كل ما لديهم من مال في مثل هذا الوقت من العام لتخزين البضائع التي يعرفون أنهم سيبيعونها في نهاية المطاف".

قال شودن: "لقد صار جلالة الملك جشعًا، فاشترى الكثير والكثير من السفن، وملأها بأكبر قدر من الحرير استطاع أن يوفره".

قال آهان: "نحن جميعًا جشعون يا شودن، لا تنسَ أن عائلتك قد جنت ثروة بتنظيم مسار تجارة التوابل من جيندو. إنكم لا تبيعون أي شيء، بل تبنون الطرق وتأخذون نقودًا من التجار نظير استخدامها".

قال شودن: "دعني أعيد صياغة ما قلته أيها اللورد آهان. لقد ترك الملك جشعه يحوله إلى أحمق، إن التاجر البارع يجب عليه أن يخطط لكل شيء حتى الكوارث، فلا يجب أن يشحن سفنًا لا يمكنه تحمل خسارتها".

قال آهان: "أحسنت القول".

قالت سارين: "على أي حال، إن لم يكن قد تبقى للملك سوى بضع سفن إذن فيجب أن تدر له ربحًا كبيرًا".

قال آهان: "إن كلمة كبير ليست مناسبة يا عزيزتي، تقصدين ربحًا مهولًا، سيحتاج آيادون إلى معجزة لكي يعوض هذه الكارثة الصغيرة، وخصوصًا قبل أن يذله تيلري بشكل يصعب تداركه".

سألته سارين: "ماذا لو عقد اتفاقية مع تيود؟ عقدًا مربحًا للغاية لتجارة الحرير؟".

هز آهان كتفيه وقال: "ربما، إنها فكرة ذكية".

قال الدوق رويال: "ولكنها فكرة مستحيلة".

سألته سارين: "لماذا؟ يمكن لتيود تحمل تكلفة الأمر".

قال الدوق مفسرًا: "لأن آيادون لن يقبل مثل هذا العقد، فهو تاجر محنك، لن يُبرم صفقة تبدو مذهلة للغاية على أن تكون واقعية".

قال شودن: "أتفق معك، لن يعارض الملك جني أرباح كبيرة من تيود، ولكن هذا فقط في حال أن اعتقد أنه استطاع أن يخدعكم".

أومأ الآخرون برؤوسهم في موافقة على ما قاله شودن، رغم أن الشاب الجيندوي كان الأصغر في المجموعة سرعان ما أثبت أنه حاذق مثل رويال وربما أكثر. هذه الميزة بالإضافة إلى السمعة المستحقة بأنه صادق أكسبته احترامًا يتجاوز عمره، إن الرجل القوي بالفعل هو الذي يمكنه أن يجمع ما بين الاستقامة والدهاء.

قال رويال: "علينا أن نفكر أكثر في هذا الأمر، ولكن ليس لوقت طويل، يجب أن نكون قد وضعنا حلًّا للمشكلة قبل يوم الجرد، وإلا فإننا سنتعامل مع تيلري بدلًا من آيادون، وعلى الرغم من سوء صديقي العزيز أعرف أن حظنا سيكون أسوأ مع تيلري، وخصوصًا مع دعم فيوردن له".

قالت سارين بينما النبلاء يستعدون للمغادرة: "هل تفعلون جميعًا ما طلبته منكم بشأن مزارعكم؟".

قال آهان: "لم يكن الأمر سهلًا، إن المشرفين لديَّ والنبلاء الصغار يعارضون الفكرة".

"ولكنك نفذتها؟".

قال آهان: "نفذتها".

قال رويال: "وكذلك أنا".

قال إيدان: "لم يكن لديَّ خيار آخر".

أومأ شودن وإيونديل أحدهما إلى الآخر في صمت.

قال إيدان: "لقد بدأنا الزراعة في الأسبوع الماضي، كم سيمضي من الوقت قبل أن نرى النتائج؟".

قالت سارين: "من أجل مصلحتك يا سيدي آمل ألا يطول الأمر عن الشهرين المقبلين".

قال شودن: "هذا عادة يكون وقتًا طويلًا بما يكفي لتقدير جودة المحصول".

قال آهان: "ما زلت لا أرى كيف سيكون من المفيد بالنسبة لنا أن يعتبر الناس أنفسهم أحرارًا أو لا، سيزرعون نفس البذور ومن المفترض أن ينبت نفس المحصول".

قالت سارين: "أعدك أنك ستُفاجأ يا سيدي".

سألها إيدان: "هل يمكننا أن ننصرف الآن". كان لا يزال يشعر بالاستياء من فكرة إدارة سارين لهذه الاجتماعات.

قالت: "سؤال واحد آخر أيها السادة، كنت أفكر في ابتلاء الأرملة، وأود أن أعرف رأيكم في الأمر".

بدأ الرجال يتململون في عدم ارتياح مع هذا السؤال، وهم ينظرون في توتر إلى بعضهم بعضًا.

قالت سارين وقد قطَّبت جبينها في تجهم: "بحقكم، أنتم رجال بالغون، فلتتخلصوا من خوفكم الطفولي من إيلانتريس".

قال شودن: "إنه موضوع حساس للغاية في أريلون يا سارين".

قالت: "حسنًا، يبدو أن هراثن لا يقلق بشأن هذا، جميعكم تعرفون ما يفعله الآن".

قال رويال: "إنه يربط بين إيلانتريس والشو-كوراث، محاولًا أن يؤلب الناس على الكهنة الكوراثيين".

قالت سارين: "وسينجح في هذا ما لم نتصدَّ له. لذا فالأمر يتطلب منكم جميعًا أن تتخلصوا من حساسيتكم المفرطة، وأن تكفوا عن التظاهر بأن إيلانتريس غير موجودة، المدينة جزء أساسي من خطط الجيورن".

تبادل الرجال نظرات متفهمة، إنهم جميعًا يعتقدون أنها تولي الجيورن اهتمامًا لا يستحقه، ويرون أن حكومة آيادون هي المشكلة الأساسية، ولا يبدو لهم الدين تهديدًا ملموسًا. إنهم لا يفهمون أن الدين والحرب وجهان لعملة واحدة، بالنسبة لفيوردن على الأقل.

قالت سارين: "سيكون عليكم أن تضعوا ثقتكم فيَّ أيها السادة، مخططات هراثن مهمة، تقولون إن الملك يرى الأمور بشكل ملموس، حسنًا، هراثن هذا على النقيض منه، إنه يقيس كل شيء بناءً على قدراته المحتملة، وهدفه أن يجعل أريلون تحت وصاية فيوردن. إن كان يستخدم إيلانتريس ضدنا فيجب أن نتصدى لهذا".

قال آهان مقترحًا: "علينا فقط أن نجعل الكاهن القصير يوافقه الرأي، وأن نضعهما على نفس الجانب، وهكذا لن يتمكن أحد من استخدام المدينة ضد الآخر".

قالت سارين وهي تهز رأسها: "لن يفعل أومين هذا يا سيدي، إنه لا يحمل أي ضغينة تجاه الإيلانتريين ولن يوافق على وصمهم بالشياطين".

قال آهان: "ألا يُمكننا فقط...".

قال رويال: "بحق دومي الرحيم يا آهان، ألم تحضر عظة له من قبل؟ لن يفعل الرجل شيئًا كهذا أبدًا".

قال آهان باعتزاز: "بل أذهب إلى عظاته، اعتقدت فقط أنه قد يكون مستعدًّا لخدمة مملكته، يمكننا تعويضه".

قالت سارين بإصرار: "لا يا سيدي اللورد، إن أومين رجل صالح وصادق، بالنسبة له فإن الحقيقة لا تخضع للنقاش أو المساومة. أخشى أنه ليس لدينا خيار آخر، سيكون علينا أن نتحالف مع إيلانتريس".

امتقعت العديد من الوجوه مع هذه الجملة، بما في ذلك وجه إيونديل.

قال رويال محذرًا: "هذا لن يكون اقتراحًا سهل التنفيذ يا سارين، قد تعتقدين أننا نفكر بطريقة طفولية، ولكن هؤلاء الأربعة هم من أذكى الرجال في أريلون وأكثرهم تفتحًا للذهن. إن كنتِ ترين أنهم قلقون تجاه إيلانتريس، فستجدين أن بقية أريلون أكثر قلقًا".

قالت سارين: "سيكون علينا أن نغير هذا الإحساس، وابتلاء الأرملة هو فرصتنا لفعل هذا، سأذهب بالطعام إلى الإيلانتريين".

هذه المرة نجحت في أن تحصل على رد فعل حتى من شودن ورويال.

سألها آهان بصوت مرتجف: "هل سمعتِك بشكل صحيح يا عزيزتي؟ ستذهبين إلى إيلانتريس؟".

قالت سارين: "أجل".

قال آهان وهو يفتح زجاجة النبيذ: "أحتاج أن أشرب شيئًا".

قال إيدان: "لن يسمح الملك بهذا، إنه لا يسمح حتى لحرس مدينة إيلانتريس بأن يدخلوها".

قال شودن: "إنه محق. لن تنجحي في عبور تلك البوابة يا سمو الأميرة".

قالت سارين: "اتركوا لي أمر الملك".

قال رويال محذرًا: "لن تنجح حيلتك هذه المرة يا سارين، لا يمكن لأي قدر من الغباء أن يُقنع الملك بالسماح لكِ بدخول المدينة".

قالت سارين محاولة أن تبدو أكثر ثقة مما هي عليه: "سأفكر في شيء ما، لا تشغلوا بالكم بالأمر، لا أُريد منكم سوى وعد بأنكم ستساعدونني".

سألها آهان في توتر: "نساعدك؟".

قالت سارين: "تساعدونني في توزيع الطعام في إيلانتريس".

مرة أخرى قال آهان بعينين جاحظتين: "نساعدك؟ هناك؟".

قالت سارين: "هدفي هو إزالة الغموض الذي يكتنف المدينة، ولفعل هذا يجب أن نقنع النبلاء بأن يذهبوا بأنفسهم إلى الداخل ليروا أنه ليس هناك شيء شنيع بشأن الإيلانتريين".

قال إيونديل: "لا أُريد أن أن أثبطك، ولكن ماذا لو كان هناك شيء شنيع بالفعل يا سيدة سارين؟ ماذا لو أن كل شيء يقولونه عن إيلانتريس صحيح؟".

فكَّرت سارين في الأمر وقالت: "لا أعتقد أن هناك خطرًا منهم يا لورد إيونديل، لقد نظرت إلى المدينة وقاطنيها، لا يوجد شيء فظيع في إيلانتريس، ربما باستثناء الطريقة التي يُعامل بها سكانها. لا أصدق الحكايات عن الوحوش الإيلانتريين أو أكلة لحوم البشر، لم أرَ سوى مجموعة من الرجال والنساء يعانون الظلم والمعاملة السيئة".

لم يبدُ إيونديل مقتنعًا وكذلك البقية.

قالت سارين: "اسمعوني، سأذهب أولًا وأجرب الأمر، وأُريد منكم أيها السادة أن تلحقوا بي بعد الأيام القليلة الأولى".

قال إيدان متذمرًا: "لماذا نحن؟".

"لأنني بحاجة إلى أن أبدأ في مكان ما، إن تشجعتم أيها السادة ودخلتم المدينة فإن الآخرين سيشعرون بالحماقة إن اعترضوا. إن الأرستقراطيين لديهم عقل جمعي، إن استطعتُ أن أحفزهم فربما أتمكن من إقناع معظمهم بالمجيء معي ولو مرة واحدة على الأقل. حينها سيرون أنه لا يوجد شيء شنيع في إيلانتريس، أن قاطنيها مجرد بؤساء مساكين لا يريدون إلا الطعام. يُمكننا أن نهزم هراثن بحقيقة بسيطة؛ من الصعب أن تُشيطن رجلًا بعد أن رأيت الدموع في عينيه وهو يشكرك على إطعامه".

قال إيدان ويده ترتعش مع فكرة دخول إيلانتريس: "كل هذا عديم الجدوى على أي حال، الملك لن يسمح لها بدخول إيلانتريس أبدًا".

سألته سارين على الفور: "وماذا لو سمح لي؟ هل ستذهب حينها يا إيدان".

رمش البارون بعينيه في دهشة مدركًا أنه قد وقع في الفخ. انتظرت إجابته ولكنه رفض في عناد أن يُجيب السؤال.

قال شودن: "أنا سأذهب".

ابتسمت سارين وهي تنظر له، كانت هذه هي المرة الثانية التي يكون فيها أول من يعرض المساعدة.

قال رويال: "إن كان شودن سيفعلها، فأشك أن أيًّا من بقيتنا سيعرض نفسه للمهانة بأن يرفض. فلتحصلي على التصريح أولًا يا سارين وبعدها سنناقش هذا الأمر بالتفصيل".

***

قالت سارين معترفة وهي تقف عند باب مكتب آيادون: "ربما كنت متفائلة أكثر من اللازم". كان هناك حارسان يقفان على مسافة قصيرة يراقبانها في ريبة.

سألها آش: "هل تعرفين ما ستفعلينه يا سيدتي؟". كان السيون قد أمضى وقت الاجتماع حائمًا خارج أسوار الكنيسة، ولكن على مرمى من السمع، ليحرص على ألا يسترق أي شخص آخر السمع إلى اجتماعهم.

هزَّت سارين رأسها، لقد تظاهرت بالشجاعة وهي تواجه آهان والآخرين، ولكنها الآن تعترف بأن هذه الشجاعة لم تكن في محلها، لم يكن لديها أدنى فكرة عن كيفية إقناع آيادون بالسماح لها بدخول إيلانتريس، ناهيك بإقناعه بقبول مساعدتهم له.

سألته: "هل تحدثت مع أبي؟".

أجابها آش: "أجل يا سيدتي، قال إنه سيمنحك أي مساعدة مالية تطلبينها".

قالت سارين: "حسنًا، هيا بنا". ثم أخذت نفسًا عميقًا وخطت ناحية الجنديين، وقالت: "أريد الحديث مع أبي".

تبادل الحارسان نظرة، ثم قال أحدهما: "اممم، لقد قيل لنا ألا...".

قالت سارين بحزم: "هذا لا ينطبق على العائلة أيها الجندي، إن جاءت الملكة للحديث مع زوجها فهل كنت لتمنعها؟".

قَطَّب الحارسان جبينيهما في حيرة، على الأرجح لا تأتي إيشن لزيارته، فقد لاحظت سارين أن الملكة النشيطة تميل إلى البقاء بعيدًا عن آيادون، حتى النساء الحمقاوات يكرهن أن يصفهم أحد بهذه الطريقة في وجوههن.

قالت سارين: "فلتفتح الباب أيها الجندي، إن لم يرغب الملك في الحديث معي فسيلقيني إلى الخارج، وستعرف أنه في المرة التالية لا يجب عليك السماح لي بالدخول".

تردد الحارسان، ولكن سارين شقت طريقها بينهما ببساطة وفتحت الباب بنفسها، يبدو أن الحارسين لم يكونا معتادين على التعامل مع النساء الحازمات، وخصوصًا في العائلة الملكية، لذا سمحا لها بالمرور.

رفع آيادون عينيه من على مكتبه، وعلى أرنبة أنفه نظارة لم تره يضعها من قبل. انتزع النظارة بيده على الفور ووقف وهو يضرب بيديه على سطح المكتب فتطايرت أكوام الفواتير.

قال لها: "ألم تكتفي بإزعاجي على الملأ فقررتِ أن تلحقي بي إلى مكتبي؟ لو كنت أعرف كم أنتِ فتاة حمقاء ومزعجة لما وقعت على تلك المعاهدة، انصرفي يا امرأة واتركيني أعمل!".

قالت سارين بصراحة: "سأقول لك شيئًا يا أبي، سأتظاهر أنني إنسانة ذكية قادرة على إجراء محادثة شبه عقلانية، وعليك أن تتظاهر بالمثل".

اتسعت عينا آيادون واحتقن وجهه بالدماء حتى صار أحمر اللون، ثم سب قائلًا: "راج دومي!". وهي سبة بذيئة للغاية حتى إن سارين لم تسمعها في حياتها إلا مرتين. "لقد خدعتِني يا امرأة، يُمكنني أن آمر بقطع رأسك لأنك جعلتِني أبدو أحمق".

"إن بدأت في قطع رؤوس أبنائك يا أبي فسيبدأ الناس في طرح الأسئلة". تفحصت رد فعله بعناية وهي تأمل أن تحصل على شيء عن اختفاء رايودن، ولكنها أُصيبت بخيبة أمل، فقد تجاهل آيادون التعليق دون أن يوليه اهتمامًا كبيرًا.

قال: "رُبما يجب أن أُعيدك إلى إيڤينتيو على متن أول سفينة".

كذبت قائلة: "لا بأس، سأكون سعيدة بالرحيل، ولكن فلتُدرك أنني لو رحلت ستخسر معاهدة التجارة مع تيود، قد تكون هذه مشكلة بالأخذ في الاعتبار الحظ العاثر الذي واجهته في بيع الحرير في فيوردن مؤخرًا".

جز آيادون على أسنانه لسماع هذا التعليق.

همس آش: "فلتحذري يا سيدتي، لا تُغضبيه أكثر من اللازم، عادة ما يُقدم الرجال كبرياءهم على التفكير العقلاني".

أومأت سارين برأسها وقالت: "يُمكنني أن أمنحك سبيلًا للخلاص يا أبي، لقد جئت لأعرض عليك صفقة".

قال في حدة: "وما السبب الذي يدفعني لقبول عرض منك يا امرأة؟ لقد أمضيتِ هنا ثلاثة أسابيع والآن أكتشف أنك كنتِ تخدعينني طيلة الوقت".

"ستثق بي يا أبي، لأنك فقدت ثلاثة أرباع أسطولك على يد القراصنة، وفي غضون بضعة أشهر ستخسر عرشك أيضًا ما لم تُصغِ إليَّ".

لم يستطع آيادون إخفاء دهشته لمعرفتها بالأمر، فقال لها: "كيف عرفتِ هذه الأشياء".

قالت سارين ببساطة: "الجميع يعرفون يا أبي، كل من في البلاط، إنهم يتوقعون سقوطك في فترة جمع الضرائب التالية".

اتسعت عينا آيادون وهو يقول: "كنت أعرف هذا!". ثم بدأ يسب ويلعن رجال البلاط وتصميمهم على خلعه من العرش.

رمشت سارين في دهشة، لقد ألقت بالتعبير بشكل عابر لكي تزعزع توازن آيادون، ولكنها لم تتوقع رد فعل قويًّا كهذا. قالت لنفسها وقد أدركت الأمر: *إنه مصاب بجنون الارتياب! لِمَ لَمْ*

*يُلاحظ هذا أحد من قبل؟* ولكن السرعة التي تمالك بها آيادون نفسه جعلتها تُدرك السر، إنه مصاب بجنون الارتياب ولكنه يجيد إخفاء الأمر، إن الطريقة التي تلاعبت بها بمشاعره قد أضعفت سيطرته على الأمر.

سألها الملك: "قلتِ إنك تعرضين صفقة؟".

قالت سارين: "أجل، الحرير يُباع بأغلى الأثمان في تيود الآن يا أبي. يُمكن للمرء أن يجني أرباحًا طائلة ببيعه إلى الملك، وبوضع علاقات أسرية معينة في الاعتبار يُمكنك أن تُقنع إيڤينتيو بإعطائك الحقوق التجارية الحصرية في بلده".

ازداد آيادون ارتيابًا، ولكن غضبه قد هدأ مع إحساسه بوجود صفقة حقيقية، ولكن سرعان ما بدأ التاجر بداخله في تخمين المشكلات. جزَّت سارين على أسنانها في سخط، كان الأمر كما أخبرها الآخرون، لن يقبل آيادون العرض، فرائحة الخداع تفوح منه بشكل يزكم الأنوف.

قال معترفًا: "إنه عرض مثير للاهتمام، ولكن أخشى أنني...".

قاطعته سارين وهي تفكر بسرعة: "أنا بالطبع سأطلب شيئًا في المقابل، فلنقل إنها أتعابي نظير ترتيب الصفقة بينك وبين إيڤينتيو".

صمت آيادون قليلًا ثم سألها في حذر: "ما نوع الأتعاب التي نتحدث عنها؟". إن المقايضة تختلف عن الهدية، يُمكن وزنها وقياسها والوثوق بها إلى حد ما.

قالت سارين: "أُريد أن أدخل إيلانتريس؟".

"ماذا؟".

قالت سارين: "يجب عليَّ أن أخوض ابتلاء الأرملة، وسآخذ الطعام إلى الإيلانتريين".

"أي دافع يحملك على فعل هذا يا امرأة؟".

قالت سارين: "أسباب دينية يا أبي، الشو-كوراث تعلمنا أن نساعد أتعس الناس حالًا، وأتحداك أن تجد لي شخصًا أتعس حالًا من الإيلانتريين".

قال آيادون: "هذا غير قابل للنقاش، دخول إيلانتريس مُحرم بالقانون".

قالت سارين: "قانون وضعته أنت يا أبي، وبالتالي يُمكنك أن تسمح ببعض الاستثناءات. فلتفكر جيدًا، ثروتك وعرشك يمكنهما أن يتوقفا على إجابتك".

جزَّ آيادون على أسنانه بصوت مسموع وهو يفكر في هذه المقايضة، ثم قال: "تريدين أن تدخلي إيلانتريس بالطعام؟ كم ستمكثين؟".

"حتى أقتنع أنني قد أديت واجبي كزوجة الأمير رايودن".

"هل ستذهبين وحدك؟".

"سآخذ معي كل من هو مستعد لاصطحابي".

قال آيادون ساخرًا: " ستجدين صعوبة في إقناع أي شخص بالاستجابة لهذا الطلب".

"هذه مشكلتي وليست مشكلتك".

قال الملك متذمرًا: "أولًا يبدأ هذا الشيطان الفيوردي بتهييج شعبي وتحويلهم إلى حشود غاضبة، والآن تريدين أن تفعلي الشيء ذاته".

قالت سارين: "لا يا أبي، بل أُريد العكس تمامًا، الفوضى لن تكون في صالح أحد سوى الويرن. فلتصدق ما تريد، ولكن هدفي الوحيد هو أن أرى الاستقرار في أريلون".

فكَّر آيادون لبعض الوقت ثم قال أخيرًا: "لن يذهب أكثر من عشرة في المرة الواحدة، باستثناء الحراس، فأنا لا أُريد حجًّا جماعيًّا إلى إيلانتريس. ستدخلين قبل الظهيرة بساعة وستخرجين بعد الظهيرة بساعة، لا استثناءات".

قالت سارين: "اتفقنا، يُمكنك أن تستخدم سيوني للاتصال بالملك إيڤينتيو والاتفاق على تفاصيل الصفقة".

***

قال آش وهو يطفو إلى جانبها في الردهة المؤدية إلى غرفتها: "يجب أن أعترف يا سيدتي أنك بارعة حقًّا".

كانت سارين قد بقيت بينما آيادون يتحدث مع إيڤينتيو، لتتوسط بينهما بينما يتفقان على تفاصيل الصفقة. كان صوت أبيها كأنما يقول من أعماق قلبه "آمل أنك تعرفين ما تفعلينه يا إين". كان إيڤينتيو رجلًا طيبًا وصالحًا، ولكنه كان رجل أعمال سيئًا للغاية، ويوظف أسطولًا من المحاسبين لإدارة شئون المملكة المالية. ما إن أحس آيادون بعدم خبرة أبيها حتى هجم بحماس وحش مفترس هائج، ولولا وجود سارين لابتلع كامل عائدات تيود من الضرائب في نوبة شرسة من الحماس التجاري. ما حدث هو أن تمكن آيادون من إقناعهما بشراء حريره بأربعة أضعاف ثمنه، لقد بدا الملك مبتهجًا للغاية بينما سارين تُغادر، حتى بدا أنه قد غفر لها خداعها له من قبل.

أجابت سارين سؤال آش بأن قالت ببراءة: "بارعة؟ أنا؟".

ضحك السيون بصوت خافت وقال: "هل هناك شخص لا يمكنك التلاعب به يا سيدتي؟".

قالت سارين: "أبي. أنت تعرف أنه قد تغلَّب عليَّ ثلاث مرات من أصل خمسة".

قال آش: "إنه يقول الشيء ذاته عنك يا سيدتي".

ابتسمت سارين وهي تدفع باب غرفتها وتتوجه ناحية الفراش، ثم قالت: "لم يكن ما فعلته بهذه البراعة يا آش، كان علينا أن نُدرك أن مشكلتينا في الواقع تحل إحداهما الأخرى، إحداهما عرض بلا مقابل يجعله مقنعًا، والثانية طلب بلا دافع للموافقة عليه".

أصدر آش صوتًا يدل على الاستياء وهو يطفو في أرجاء الغرفة بسبب حالتها الفوضوية.

سألته سارين: "ما الأمر؟". بينما تنزع الشريط الأسود المربوط حول عضدها؛ الشيء الأخير المتبقي من حدادها.

قال آش: "مرة أخرى لم تُنظَّف الغرفة يا سيدتي".

زفرت سارين ثم قالت: "ليس الأمر وكأنني تركتها في مثل هذه الفوضى من الأساس".

قال آش: "لا يا سمو الأميرة، فأنتِ امرأة منظمة للغاية، ولكن الخادمات في القصر متراخيات تجاه واجبهن، إن الأميرة تستحق التقدير المناسب، إن سمحت لهن بإهمال عملهن، فلن يمضي وقت طويل قبل أن يتوقفن عن احترامك".

هزَّت سارين رأسها وهي تخلع ثوبها وتجهز قميص النوم، ثم قالت: "أعتقد أنك تُبالغ في تفسير الأمر يا آش، هل نسيت أنني من المفترض أن أكون الشخص المرتاب منا نحن الاثنين؟".

قال آش: "هذه مسألة متعلقة بالخدم وليس السادة يا سيدتي، أنتِ امرأة ذكية، وسياسية بارعة، ولكنك تغفلين نقطة الضعف في طبقتكم النبيلة، أنكم تتجاهلون آراء الخدم".

قالت سارين محتجة: "آش، لطالما عاملت خدم أبي باحترام ولُطف".

قال آش: "ربما يجب أن أعيد صياغة ما قلته يا سيدتي. أجل، أنتِ لا تتعاملين بإجحاف أو قسوة، ولكنك لا تولين اهتمامًا لما يعتقده الخدم عنكِ، بقدر ما تهتمين دومًا بما يعتقده الأرستقراطيون عنك".

جذبت سارين قميص النوم على رأسها رافضة أن تُظهر أدنى أثر على انزعاجها، ثم قالت: "لطالما حاولت أن أكون عادلة".

"أجل يا سيدتي، ولكنك وُلدتِ نبيلة، وتربيتِ على تجاهل من يعملون من حولك. لا أنصحكِ إلا أن تتذكري أنه لو لم تحترمك الخادمات فهذا قد يكون له آثار سلبية، تمامًا كما لو لم يحترمك السادة".

تنهدت سارين وقالت: "حسنًا، فهمت مقصدك. فلتجلب لي ميالا، سأسألها إن كانت تعرف ما حدث".

"أمرك يا سيدتي".

حلَّق آش ناحية النافذة، ولكن قبل أن يُغادر علَّقت سارين تعليقًا أخيرًا.

سألته: "آش؟ لقد أحب الناس رايودن، أليس كذلك؟".

"بحسب ما سمعت يا سيدتي فإنه كان مشهورًا عنه أنه يولي اهتمامًا شخصيًّا لكل آرائهم واحتياجاتهم".

قالت بنبرة حزينة: "لقد كان أميرًا أفضل مما أنا عليه كأميرة، أليس كذلك؟".

قال آش: "لم أقل هذا يا سيدتي، أنتِ امرأة طيبة، ولطالما عاملتِ خادماتك معاملة حسنة، لا تقارني نفسك برايودن، من المهم أن تتذكري أنك لم تُجهَّزي لإدارة بلد، ولم تكن شعبيتك مع

الناس مشكلة بالنسبة لكِ. كان الأمير رايودن هو ولي العهد، وكان من الضروري أن يفهم مشاعر رعاياه".

قالت سارين بإعجاب: "يقولون إنه منح الناس الأمل، وإن الفلاحين تحملوا أعباء آيادون الشنيعة لأنهم يعرفون أن رايودن سيجلس على العرش في نهاية المطاف. كان البلد لينهار قبل سنوات لو لم يكن الأمير بينهم ويشجعهم ويرفع من روحهم المعنوية".

قال آش بصوت خافت: "والآن قد رحل".

قالت سارين: "أجل لقد رحل، والآن علينا أن نسرع يا آش، ما زلت أشعر أنني لا أُبلي حسنًا، إن البلد يتجه نحو كارثة، بغض النظر عما أفعله. يبدو الأمر وكأنني عند سفح تل أشاهد صخرة هائلة تتدحرج نحوي، وأنا أُلقي الحصى في محاولة لصدها".

قال آش بصوته العميق الرخيم: "تحلي بالقوة يا سيدتي، إن إلهك لن يكتفي بالجلوس ومراقبة أريلون وتيود تنسحقان تحت قدمي الويرن".

قالت سارين: "آمل أن الأمير يُراقبنا أيضًا، هل سيكون فخورًا بي يا آش؟".

"فخور للغاية يا سيدتي".

"أتمنى فقط أن يقبلوني". أدركت مدى سخافة العبارة، لقد قضت معظم حياتها. التي تكاد أن تبلغ ثلاثة عقود. تحب بلدًا دون أن تشعر أنه يحبها. إن تيود تحترمها، ولكنها سئمت الاحترام وتريد شيئًا مختلفًا من أريلون.

وعدها آش قائلًا: "سيقبلونك يا سارين، امنحيهم بعض الوقت وسيقبلونك".

تنهدت سارين بصوت خافت وقالت: "شكرًا لك يا آش، شكرًا لك على تحمل رثاء فتاة حمقاء لحالها".

أجابها آش: "يمكننا أن نكون أقوياء في وجه الملوك والكهنة يا سيدتي، ولكن المرء لا يعيش بدون مخاوف وشكوك، إذا قمعتِها بداخلك فستدمرك بالتأكيد، وستتحولين إلى شخص بالغ الصرامة، حتى إن المشاعر لن تستطيع أن تمد أي جذور إلى قلبك".

وما إن قال السيون هذا حتى خرج من النافذة ليبحث عن الخادمة ميالا.

***

بحلول الوقت الذي وصلت فيه ميالا كانت سارين قد استعادت رباطة جأشها، لم يكن هناك أي دموع، بل مجرد تفكير في الذات، من آن لآخر يكون الأمر أكثر من قدرتها على التحمل، فيسيطر عليها إحساس بعدم الثقة بالنفس، لطالما كان آش وأبوها بجانبها لدعمها في تلك اللحظات.

قالت ميالا وهي تتأمل حالة الغرفة: "رَبَّاه!". كانت نحيفة وصغيرة السن نوعًا ما، بالتأكيد ليس ما توقعته سارين في البداية عندما انتقلت إلى القصر، كانت ميالا تُشبه إلى حد ما إحدى محاسبات والدها بدلًا من كونها كبيرة الخادمات.

قالت ميالا معتذرة وهي تنظر إلى سارين بابتسامة شاحبة: "المعذرة يا سيدتي، لم أفكر في هذا الأمر، لقد فقدنا فتاة أخرى هذا الصباح، ولم يخطر ببالي أن غرفتك كانت على قائمة مهامها".

سألتها سارين في قلق: "ماذا تعنين بأنكم فقدتموها يا ميالا؟".

قال ميالا مفسرة: "لقد هربت يا سيدتي. ليس من المفترض أن يُغادرن، فعقودنا مُلزِمة مثل بقية الفلاحين، ولكن لسبب ما نجد مشكلة في الحفاظ على الخادمات داخل القصر. دومي وحده يعرف سبب هذا، فلا يوجد خادم في البلد يُعامل معاملة أفضل من الخدم هنا".

سألتها سارين في فضول: "كم عدد المفقودات؟".

قالت ميالا: "إنها الرابعة هذا العام. سأُرسل شخصًا ما إلى هنا على الفور".

"لا، لا ليس بالضرورة هذه الليلة، ولكن فلتحرصي على ألا يحدث هذا مرة أخرى".

قالت ميالا وهي تنحني: "بالطبع يا سيدتي".

"شكرًا لكِ".

***

قالت سارين في حماس وهي تقفز من فراشها: "ها هو مرة أخرى".

على الفور توهج آش بوميض كامل وهو يحوم في تردد بالقرب من الجدار ويقول: "سيدتي؟".

قالت سارين آمرة: "فلتصمت". ثم وضعت أذنها على الجدار الحجري أسفل نافذتها وهي تُصغي إلى صوت الاحتكاك قبل أن تقول: "ما رأيك في هذا؟".

قال آش في اقتضاب: "أعتقد أن أيًّا كان ما تناولته سيدتي على العشاء فإنه لم يكن مناسبًا لها".

قالت سارين متجاهلة سخريته: "لقد كان هناك ضجيج بالفعل". رغم أن آش يكون دومًا مستيقظًا في الصباح عندما تستيقظ لكنه لا يحب أن يزعجه أحد بعد أن يغرق في النوم.

مدت يدها إلى الطاولة الصغيرة بجانب فراشها وأمسكت بقصاصة من الورق، كانت قد رسمت عليها علامة باستخدام قطعة صغيرة من الفحم دون أن تبالي باستخدام القلم والحبر.

قالت وهي ترفع الورقة ليراها آش: "انظر، بدأ النمط يتكرر".

حلّق آش مقتربًا لينظر إلى الورقة، والضوء المنبعث عن آيونه المتوهج ينير الغرفة إلى جانب ضوء النجوم. "لقد سمعتِه مرتين في المايدال[٣١] ومرة في الأوبيدال[٣٢]، بمجموع ثلاث مرات، هذا لا يكاد يعد دليلًا على وجود نمط متكرر يا سيدتي".

قالت سارين وهي ترمي قطعة الورق على طاولتها: "إذن فأنت تعتقد أنني أتوهم سماع أشياء. ظننت أن السيونات من المفترض أن تمتلك حواس سمعية ممتازة".

قال آش: "ليس عندما نكون نائمين يا سيدتي". مشيرًا إلى أنه كان من المفترض أن يكون نائمًا في هذه اللحظة.

قالت سارين وهي تطرق على الجدار الصخري بلا جدوى: "لا شك أنه يوجد ممر هنا".

"كما ترين يا سيدتي".

قالت وهي تعتدل واقفة لتتفحص نافذتها: "أنا أرى هذا بالفعل. انظر إلى مدى سمك الحجر حول هذه النافذة يا آش". مالت على الجدار وأخرجت ذراعيها من النافذة، وبالكاد لمست أناملها الحافة الخارجية. "هل من الطبيعي أن يكون الجدار عريضًا إلى هذا الحد؟".

"إنه يوفر الكثير من الحماية يا سيدتي".

"كما أنه يوفر مساحة من أجل ممر".

قال آش: "ممر ضيق للغاية".

قالت سارين وهي تجثو على ركبتيها لتضع حافة النافذة على مستوى النظر: "هذا صحيح، لا شك أنه ينحدر لأعلى، لقد أُنشئ هذا الممر ليمر تحت النوافذ في هذا الطابق، وفي الطابق

---

[٣١] المايدال: اليوم الثاني في الأسبوع بحسب التقويم الآيوني.
[٣٢] الأوبيدال: اليوم السادس في الأسبوع بحسب التقويم الآيوني.

السفلي أيضًا". كانت قادرة على أن تتخيل القصر من الخارج، ستكون هناك نافذة أصغر في الغرفة المجاورة لها، وستكون النافذة أعلى في الجدار.

"ولكن الشيء الوحيد عبر هذا الاتجاه هو...".

أنهت سارين جملته قائلة: "جناح الملك، فأي مكان آخر يُمكن أن يؤدي إليه ممر كهذا؟".

"هل تفترضين يا سيدتي أن الملك يخرج في جولات سرية مرتين في الأسبوع في منتصف الليل؟".

قالت سارين وهي تتفحص الساعة الكبيرة القائمة بذاتها في ركن غرفتها: "عند الساعة الحادية عشرة بالضبط، يكون هذا دومًا في نفس التوقيت".

"أي سبب يُمكن أن يدفعه لفعل شيء مثل هذا؟".

قالت سارين وهي تنقر على وجنتها مفكرة: "لا أعرف".

تمتم آش: "رَبَّاه، إن سيدتي تُخطط لشيء ما، أليس كذلك؟".

قالت سارين بلطف وهي تعود إلى فراشها: "خفف من ضوئك، شخص ما هنا يُريد أن ينام".



# الفصل الواحد والعشرون

اعتدل هراثن في كرسيه وهو يرتدي روبه الديريثي الأحمر بدلًا من دروعه، كما يفعل عادة عندما يكون في حجرته. كان يتوقع الطرق الذي جاء على بابه فقال: "ادخل".

دخل الأرتيث ثيريد. كان ثيريد رجلًا ذا هيئة فيوردية مميزة، طويل القامة قوي البنية أسود الشعر حاد القسمات، كان لا يزال مفتول العضلات منذ أيام تدريبه في الدير.

قال الرجل وهو ينحني جاثيًا على ركبتيه في إشارة احترام ملائمة: "مولاي".

قال هراثن وهو يشبك أصابعه أمام وجهه: "خلال فترة وجودي هنا أيها الأرتيث كنت أراقب الكهنة المحليين، وقد أعجبني خدمتك لمملكة جادث، وقررت أن أعرض عليك منصب كبير الأراتثة في هذه الكنيسة".

رفع ثيريد عينيه في دهشة وقال: "مولاي؟".

قال هراثن: "كنت أعتقد أنني سأضطر لتأجيل تعيين كبير أراتثة جديد حتى تصل دفعة جديدة من الكهنة من فيوردن، ولكنك أثرت إعجابي كما قُلت، لذا أعرض عليك المنصب".

ثم أضاف في عقله: *وبالطبع أنا ليس لدي رفاهية الوقت. أحتاج إلى شخص يدير هذه الكنيسة لكي أتفرغ لمهامي الأخرى.*

قال الأرتيث وقد طغت عليه مشاعره بوضوح: "سيدي... لا يُمكنني أن أقبل هذا المنصب".

تجمد هراثن ثم قال: "ماذا؟". ليس من المعقول أن يرفض كاهن ديريثي منصبًا يمنحه هذا القدر من السلطة.

كرر الرجل وهو يطرق بعينيه: "أعتذر يا سيدي".

سأله هراثن: "ما هي الأسباب التي تبرر بها هذا القرار أيها الأرتيث؟".

"لا يُمكنني أن أمنحك سببًا يا مولاي، أنا فقط... لن أكون مناسبًا لتولي هذا المنصب. هل يمكنني أن أنصرف".

صرفه هراثن ملوحًا بيده وهو يشعر بالاضطراب. كان الطموح سمة فيودرية جوهرية، كيف يُمكن لرجل مثل ثيريد أن يفقد كبرياءه بهذه السرعة؟ هل أضعف فيون الكهنة في كاي جذريًا حقًّا؟

أم أن هناك سببًا آخر وراء رفض الرجل؟ كان هناك صوت مُلح يهمس في عقل هراثن أن فيون المنفي ليس المُلام. ديلاف... ديلاف له علاقة برفض ثيريد.

على الأرجح كانت الفكرة مجرد مبالغة في الارتياب، ولكنها دفعت هراثن إلى التفكير في الخطوة التالية في خطته. يجب عليه أن يتعامل مع ديلاف، فرغم الحيلة التي فعلها مع الإيلانتري كان الأرتيث يزداد نفوذًا بشكل ملحوظ على الكهنة الآخرين. مد هراثن يده إلى درج مكتبه وأخرج ظرفًا صغيرًا، لقد ارتكب خطأً بشأن ديلاف، فبينما يُمكن توجيه حماسة المتعصبين لم يكن لدى هراثن حاليًا الوقت أو الطاقة لفعل هذا. إن مستقبل مملكة بأسرها يعتمد على قدرة هراثن على التركيز، ولم يكن يُدرك قدر التركيز الذي يتطلبه ديلاف.

لا يُمكن أن يسمح له بالمواصلة، إن عالم هراثن مبني على السيطرة والقدرة على التوقع، ودينه هو التفكير المنطقي. إن ديلاف مثل إناء من الماء المغلي يُصب على ثلج هراثن، في النهاية سيصير كلاهما ضعيفًا ومشتتًا، كبخار في مهب الريح، وبعد فشلهما ستموت أريلون.

ارتدى هراثن دروعه وغادر حجرته ليدخل الكنيسة، كان العديد من المصلين جاثين يصلون في صمت، والكهنة يتحركون جيئة وذهابًا في انشغال. كانت أسقف الكنيسة المحدبة مألوفة،

وكذلك طرازها المعماري الحيوي، هذا هو المكان الذي من المفترض أن يشعر فيه بالراحة، ولكن في كثير من الأحيان يجد هراثن نفسه يهرب ليصعد أسوار إيلانتريس. لقد قال هراثن لنفسه إنه ببساطة يذهب إلى الأسوار لأن ارتفاعها يمنحه فرصة لأن يطل على كاي بأسرها، ولكنه يعرف أن هناك سببًا آخر، كان يذهب إلى هناك لأن إيلانتريس هي آخر مكان قد يذهب إليه ديلاف طواعية.

كانت حجرة ديلاف عبارة عن تجويف صغير، يُشبه إلى حد كبير التجويف الذي شغله هراثن بنفسه عندما كان أرتيثًا قبل سنوات عديدة. رفع ديلاف عينيه من على مكتبه عندما دفع هراثن باب الحجرة الخشبي البسيط.

قال الأرتيث وهو يعتدل واقفًا بدهشة: "سيدي الهرودن؟". فنادرًا ما يزوره هراثن في حجرته.

قال هراثن: "لدي مهمة عاجلة من أجلك أيها الأرتيث، مهمة لا أثق في غيرك لكي ينجزها".

قال ديلاف في خضوع وهو يحني رأسه: "بالطبع يا سيدي الهرودن". ولكنه ضيق عينيه في ريبة. "أنا أخدم بإخلاص، وأعرف أنني جزء من السلسلة المتصلة بالرب جادث نفسه".

قال هراثن بلا اكتراث: "أجل أيها الأرتيث، أحتاج منك أن توصل رسالة".

نظر إليه ديلاف في دهشة وقال: "رسالة؟".

قال هراثن بحزم: "أجل، من المهم أن يعرف الويرن التقدم الذي نحرزه هنا، لقد كتبت له تقريرًا، ولكن الأمور التي أناقشها فيه حساسة للغاية، في حال فقدانه قد يحدث ضرر لا يُمكن تداركه، لذا اخترتك يا أوديڤي لكي توصل الرسالة بنفسك".

"هذا سيستغرق أسابيع يا سيدي الهرودن".

"أعرف هذا، ويؤسفني أن أستغني عن خدماتك لبعض الوقت، ولكني ألتمس العزاء من معرفتي أنك تتولى مهمة حيوية".

أطرق ديلاف بعينيه وهو يضع يديه برفق على سطح طاولته، ثم قال: "سأذهب كما يأمرني سيدي الهرودن".

عقد هراثن حاجبيه، من المستحيل أن يهرب ديلاف، إن علاقة الهرودن–أوديف ملزمة إلزامًا لا رجعة فيه. عندما يأمر السيد يُطيع الآخر، ورغم هذا توقع هراثن المزيد من ديلاف، حيلة ما، محاولة للتملص من هذه المهمة.

قَبِل ديلاف رسالة هراثن بخضوع واضح. أدرك هراثن أنه ربما كان هذا ما يريده طيلة الوقت، طريقة للذهاب إلى فيوردن، إن منصبه كأوديف تابع لجيورن سيمنحه السلطة والاحترام في الشرق، ربما كان هدف ديلاف الوحيد هو استعداء هراثن لكي يخرج من أريلون.

استدار هراثن على عقبيه وبدأ يمشي عائدًا إلى قاعة العظات بالكنيسة. كان الأمر أكثر صعوبة مما يأمل، لقد منع نفسه من أن يتنفس الصعداء، وجعل خطواته أكثر ثقة وهو يمشي ناحية حجرته.

تردد صوت من ورائه، صوت ديلاف. كان يتحدث بصوت خافت ولكنه كان مسموعًا بما يكفي. قال الأرتيث آمرًا واحدًا من الدراڤنة: "فلترسل الرسل، نحن سنغادر إلى فيوردن في الصباح".

كاد هراثن أن يواصل السير، كاد ألا يُبالي بما يخطط له ديلاف أو يفعله بما أنه سيغادر، ولكن لقد قضى هراثن وقتًا طويلًا في المناصب القيادية. وقتًا طويلًا للغاية في العمل السياسي. على أن يسمح لهذه الجملة أن تمر مرور الكرام، وخصوصًا من ديلاف.

دار هراثن على عقبيه وقال: "نحن؟ لقد أمرتك وحدك أيها الأرتيث".

قال ديلاف: "أجل يا سيدي، ولكنك بالطبع لا تتوقع أن أترك أوديڤاتي ورائي".

سأله هراثن: "أوديڤاتك؟". بصفته عضوًّا رسميًّا في الكهنوت الديريثي، كان إيلاف قادرًا على أن يجعل غيره يقسم له بأن يصير أوديڤًا مثلما فعل معه هراثن، ليُكمل السلسلة التي تربط كل البشر بجادث. ولكن هراثن لم يفكر في احتمال أن هذا الرجل قد يجعل آخرين يقسمون له بقسم الأوديڤ، متى وجد وقتًا لهذا؟

سأله هراثن: "من يا ديلاف؟ من الذين جعلتهم يقسمون لك بقسم الأوديڤ".

أجابه ديلاف في مراوغة: "العديد من الأشخاص يا سيدي الهرودن".

"أُريد أسماء أيها الأرتيث".

وعندها بدأ يذكر أسماءهم. معظم الكهنة يكون لهم أوديڤ أو اثنان، والجيورنات يكون لهم عشرة أو نحو ذلك. كان لدى ديلاف أكثر من ثلاثين. ازداد ذهول هراثن وهو يستمع، كان مذهولًا وغاضبًا، لقد تمكن ديلاف من أن يجعل معظم أتباع هراثن المفيدين أوديڤات له، بما فيهم وارين والعديد من الأرستقراطيين الآخرين.

عندما أنهى ديلاف القائمة أطرق بعينيه في تواضع خائن.

قال هراثن ببطء: "قائمة مثيرة للاهتمام، ومن تنوي أن تأخذه معك أيها الأرتيث؟".

قال ديلاف ببراءة: "جميعهم بالطبع يا سيدي، إن كان هذا الخطاب مهمًّا كما يقول سيدي فيجب أن أمنحه الحماية اللائقة".

أغلق هراثن عينيه، إن كان ديلاف سيأخذ كل هؤلاء الأشخاص الذين ذكرهم فسيترك هراثن بدون داعمين، هذا على افتراض أنهم سيذهبون معه. لا يُمكن للأوديڤ أن يتملص من أمر قد تلقاه، هكذا يؤمن معظم الديريثيين. حتى إن العديد من الكهنة يقسمون بقسم الكروندت

الأقل إلزامًا؛ الكروندت يُصغي إلى مشورة سيده الهرودن، ولكنه لا يكون مُلزمًا بفعل ما يقوله له.

كان من سلطة ديلاف أن يأمر أتباعه الأوديڤات بأن يذهبوا معه إلى فيوردن. وليس لدى هراثن أدنى سلطة على ما يفعله الأرتيث مع أتباعه المقسمين له، سيكون خرقًا جسيمًا للميثاق أن يأمر ديلاف بتركهم وراءه. ولكن إن حاول ديلاف أن يأخذهم معه ستكون كارثة بلا شك. هؤلاء الرجال حديثو العهد بالشو-ديريث، ولا يعرفون قدر السلطة التي منحوها لديلاف، إن حاول الأرتيث أن يجرهم معه إلى فيوردن فمن غير المتوقع أنهم سيتبعونه.

وإن حدث هذا فسيكون هراثن مجبرًا على حرمان كل واحد منهم كنسيًّا، وحينها ستدمر الشو-ديريث في أريلون.

واصل ديلاف استعداداته كأنه لم يُلاحظ الصراع الدائر داخل نفس هراثن. ولكنه لم يكن صراعًا جسيمًا، فهراثن يعرف ما يجب عليه أن يفعله. إن ديلاف غير متزن، من المحتمل أنه يُخادع، ولكن من المحتمل بنفس القدر أنه سيُدمر جهود هراثن في انتقام حاقد.

جزَّ هراثن على أسنانه حتى نبض فكه. ربما أوقف هراثن محاولة ديلاف لحرق الإيلانتري، ولكن من الواضح أن الأرتيث قد أدرك خطوة هراثن التالية. لا، لا يُريد ديلاف الذهاب إلى فيوردن، ربما كان غير متزن، ولكنه أيضًا أكثر استعدادًا مما افترض هراثن.

بينما رسول ديلاف يستعد للرحيل أمره هراثن: "انتظر". إن غادر هذا الرجل الكنيسة فسيتدمر كل شيء. "لقد غيَّرت رأيي أيها الأرتيث".

سأله ديلاف وهو يطل برأسه من حجرته: "سيدي الهرودن؟".

"لن تذهب إلى فيوردن يا ديلاف".

"ولكن يا سيدي...".

"لا، لا يُمكنني الاستغناء عنك". هذه الكذبة جعلت معدة هراثن تنقبض بعنف. "فلتجد شخصًا آخر ليُرسل الرسالة".

وما إن قال هراثن هذا حتى دار على عقبيه وبدأ يمشي ناحية حجرته.

همس ديلاف: "سأكون دومًا الخادم المتواضع لسيدي الهرودن". فحمل خواء الحجرة همسه مباشرة إلى أذني هراثن.

***

لقد هرب هراثن مرة أخرى.

كان بحاجة إلى التفكير، إلى تصفية ذهنه. لقد أمضى ساعات عديدة يغلي في مكتبه، غاضبًا من ديلاف ومن نفسه. وأخيرًا لم يعد قادرًا على تحمل الأمر، فهرب إلى ظلمة شوارع كاي في الليل.

أخذته قدماه إلى سور إيلانتريس كالعادة، كان يسعى إلى الارتفاع، كأنما ارتفاعه فوق مساكن البشر يُمكن أن يمنحه منظورًا أفضل يطل به على الحياة.

قال صوت متوسل: "هل يمكنك أن تمنحني بعض النقود يا سيدي؟".

توقف هراثن في دهشة، كان غارقًا في أفكاره إلى حد كبير، حتى إنه لم يُلاحظ الشحاذ الواقف أمامه مرتديًا أسمالًا بالية. كان الرجل عجوزًا، ومن الواضح أن نظره ضعيف، فقد كان يضيق عينيه محاولًا أن يرى هراثن في الظلمة. عقد هراثن حاجبيه وقد أدرك للمرة الأولى أنه لم يرَ شحاذًا في كاي من قبل.

كان هناك شاب يرتدي ملابس ليست أفضل حالًا من ملابس العجوز، يعرج عند الناصية. تجمد الفتى في موضعه وقد امتقع وجهه ثم قال بصوت غاضب: "ليس هذا أيها العجوز الأحمق!". ثم التفت إلى هراثن على الفور وقال: "أعتذر يا سيدي، لقد فقد والدي عقله، وأحيانًا ما يعتقد أنه شحاذ. أرجوك اغفر لنا". ثم تحرك ليُمسك بذراع الرجل العجوز.

رفع هراثن يده في حركة آمرة فتوقف الشاب في موضعه وقد ازداد وجهه امتقاعًا. جثا هراثن على ركبتيه بجانب الرجل العجوز الذي يبتسم ابتسامة خرفة وسأله: "قل لي أيها العجوز، لمَ لا أرَ إلا قلة من المتسولين في هذه المدينة؟".

قال الرجل بصوت أجش: "الملك يُحرم التسول في المدينة يا سيدي الكريم، إن وجودنا في الشوارع أمر يسيء إلى رخاء المدينة. إن عثر علينا فسيعيدنا إلى المزارع".

قال الشاب محذرًا: "لقد تفوهت بما لا يُقال". كان وجهه الخائف يشير إلى أنه على وشك أن يتخلى عن العجوز ويلوذ بالفرار.

ولكن الشحاذ العجوز لم يكن قد انتهى من حديثه، فقد قال: "أجل يا سيدي الكريم، لا يجب أن نسمح له بالإمساك بنا، لذا نختبئ خارج المدينة".

سأله هراثن: "خارج المدينة؟".

"كاي ليست البلدة الوحيدة هنا، كان هناك أربعة في الماضي، جميعها تحيط بإيلانتريس، ولكن المدن الأخرى قد جفَّت، قالوا إنه لا يوجد طعام من أجل العديد من الناس في منطقة صغيرة كهذه، لذا نختبئ في الأطلال".

سأل هراثن: "هل هناك العديد منكم؟".

قال العجوز: "لا، ليس الكثير منا، هؤلاء فقط الذين يملكون الجرأة للهروب من المزارع". ثم اكتست عيناه بنظرة حالمة وهو يقول: "لم أكن دومًا شحاذًا يا سيدي الكريم. كنت معتادًا على العمل في إيلانتريس، كنت نجارًا، واحدًا من أفضل النجارين. ولكني لم أستطع أن أكون مزارعًا بارعًا. كان الملك مخطئًا يا سيدي، لقد أرسلني إلى الحقول، ولكني كنت عجوزًا للغاية على أن أعمل فيها، لذا هربت، وأتيت إلى هنا، والتجار في البلدة يمنحوننا المال أحيانًا، ولكن لا يمكننا التسول إلا بعد حلول الظلام، ولا نتسول مُطلقًا من السادة النبلاء، لا يا سيدي فهم سيخبرون الملك".

ضيق العجوز عينيه وهو ينظر إلى هراثن كأنما قد أدرك لأول مرة سبب تخوف الصبي، فقال في تردد: "أنت لا تبدو تاجرًا يا سيدي الكريم".

أجابه هراثن: "لا لست تاجرًا". ثم وضع كيس نقود في يد الرجل وقال: "هذا من أجلك". ثم وضع كيسًا آخر وقال: "وهذا من أجل الآخرين. طابت ليلتك أيها العجوز".

صاح الرجل: "شكرًا لك يا سيدي الكريم!".

قال هراثن: "الشكر لجادث".

"من هو جادث يا سيدي الكريم؟".

أحنى هراثن رأسه وقال: "ستعرف قريبًا أيها العجوز، ستعرف بطريقة أو بأخرى".

***

كان الهواء يهب بقوة أعلى سور إيلانتريس، فراحت حرملة هراثن تخفق كأنما بابتهاج. كانت الرياح كمحيط بارد، فكادت أن تجلب معها رائحة ملح البحر. وقف هراثن بين مشعلين مضيئين وهو يميل على الحاجز الخفيض وينظر إلى كاي.

لم تكن المدينة كبيرة للغاية، خصوصًا بمقارنتها مع اتساع إيلانتريس الهائل، ولكن يُمكن أن تُحصن بشكل أفضل. أحس باستيائه القديم يعود إليه، إنه يكره كونه في مكان لا يستطيع حماية نفسه. ربما كان هذا جزءًا من الضغط الذي يشعر به تجاه مهمته.

كانت الأضواء تتلألأ في جميع أرجاء كاي، معظمها من مصابيح الشوارع، بما في ذلك سلسلة من المصابيح على طول السور القصير الذي يُمثل حدود المدينة الرسمية. كان السور يمثل دائرة مثالية، مثالية للغاية في الواقع حتى إن هراثن كان ليستغرب الأمر لو كان في أي مدينة أخرى. هنا كان هذا مجرد شيء آخر من بقايا مجد إيلانتريس الضائع. كانت كاي تمتد إلى ما وراء ذلك السور الداخلي، ولكن الحدود القديمة بقيت كما هي، حلقة من اللهب تلتف في دائرة حول مركز المدينة.

قال صوت من ورائه: "لقد كانت أكثر جمالًا من قبل".

التفت هراثن في دهشة، كان قد سمع الخطوات تقترب منه، ولكنه افترض ببساطة أنه أحد الحراس في دورية من دورياته. بدلًا من هذا وجد رجلًا أريليًا قصيرًا أصلع الرأس، يرتدي روبًا رماديًا بسيطًا. أومين، رأس الديانة الكوراثية في كاي.

اقترب أومين من الحافة ثم توقف بجانب هراثن ليتفحص المدينة قبل أن يقول: "كان هذا في الماضي بالطبع، عندما كان الإيلانتريون ما زالوا يحكمون. إن سقوط المدينة على الأرجح كان خيرًا لأرواحنا، ولكني لا أستطيع أن أمنع نفسي من تذكر تلك الأيام برهبة، هل تعرف أنه لم يكن هناك جائع في أريلون، كان باستطاعة الإيلانتريين أن يحولوا الحجر إلى ذرة، والتراب إلى شرائح لحم. عندما تراودني تلك الذكريات لا أستطيع منع نفسي من التساؤل؛ هل يمكن للشياطين أن يفعلوا كل هذا الخير في هذا العالم؟ هل يمكنهم حتى أن يرغبوا في هذا؟".

لم يُجبه هراثن، بل اكتفى بالوقوف هناك متكئًا بذراعيه على الحاجز، وشعره يتموج في الرياح.

لاذ أومين بالصمت، حتى سأله هراثن أخيرًا: "كيف استطعت العثور عليَّ؟".

"من المعروف أنك تقضي الليل هنا فوق السور". بالكاد كان الكاهن القصير قادرًا على أن يضع ذراعيه على الحاجز. كان هراثن يعتبر ديلاف قصيرًا ولكن هذا الرجل جعل الأرتيث يبدو عملاقًا. أكمل أومين حديثه قائلًا: "يقول أنصارك إنك تأتي إلى هنا وتخطط لهزيمة الإيلانتريين الأشرار، ويقول خصومك إنك تأتي إلى هنا لأنك تشعر بالذنب للتنديد بشعب ملعون بالفعل".

التفت هراثن ناظرًا إلى أسفل إلى عيني الرجل القصير وقال: "وما الذي تقوله أنت؟".

قال أومين: "أنا لا أقول شيئًا، لا يهمني سبب صعودك هذه السلالم يا هراثن، ومع هذا فأنا أتساءل لماذا تدعو إلى كراهية الإيلانتريين بينما أنت نفسك تُشفق عليهم؟".

لم يُجبه هراثن على الفور، بل راح ينقر بأصابعه المغطاة بالقفاز على الحاجز الحجري بنقرات رتيبة، حتى قال أخيرًا: "ليس بالأمر الصعب بمجرد أن تحمل نفسك على الاعتياد عليه. يُمكن للمرء أن يُجبر نفسه على الكراهية إن أراد، وخصوصًا إن أقنع نفسه أن هذا من أجل تحقيق هدف أسمى".

"ظلم القليل يجلب خلاص الكثير؟". سأله أومين بابتسامة شاحبة كأنما يرى أن هذا المفهوم سخيف.

قال هراثن: "من الأفضل لك ألا تسخر أيها الأريلي، إن لديك خيارات قليلة، وكلانا يعرف أن الخيار الأقل إيلامًا يتطلب منك أن تفعل ما أفعله".

"أن أجاهر بالكراهية بينما لا أشعر بها؟ لن أفعل هذا أبدًا يا هراثن".

قال هراثن ببساطة: "إذن فسوف تصير بلا تأثير حقيقي".

"هل هذا ما يجب أن يكون عليه الأمر إذن؟".

قال هراثن: "إن الشو-كوراث خاضعة ومتواضعة أيها الكاهن، بينما الشو-ديريث تنبض بالحياة والحيوية، ستكتسحكم كفيضان هادر يجتاح بركة راكدة".

ابتسم أومين مرة أخرى وقال: "تتصرف وكأن الحقيقة شيء يتأثر بالمثابرة يا هراثن".

"أنا لا أتحدث عن الحقيقة أو الزيف، أنا ببساطة أُشير إلى الحتمية المادية، لا يُمكنكم الوقوف في وجه فيوردن، وحيثما تحكم فيوردن تنتشر الشو-ديريث".

قال أومين وهو يهز رأسه الأصلع: "لا يمكن للمرء أن يفصل الحقيقة عن الأفعال يا هراثن، سواء كان هناك حتمية مادية أم لا، فإن الحقيقة تعلو فوق كل شيء، إنها مستقلة عمن يملك أفضل جيش ومن يُمكنه إلقاء أطول خطب، أو حتى من لديه أكبر عدد من الكهنة. يمكنك أن تحاول دفنها، ولكنها دومًا ما تخرج إلى السطح، الحقيقة شيء لا يمكن تهديده".

سأله هراثن: "وإن كانت الشو-ديريث هي الحقيقة؟".

قال أومين: "إذن فسوف تسود، ولكني لم آتِ إلى هنا للجدال معك".

رفع هراثن حاجبيه وقال: "حقًّا؟".

قال أومين: "لقد جئت لأسألك سؤالًا".

"فلتسأله إذن أيها الكاهن، ثم اتركني لأختلي بأفكاري".

قال أومين وهو يحاول سبر أغواره: "أُريد أن أعرف ما الذي حدث، ما الذي حدث لك يا هراثن؟ ما الذي حدث لإيمانك؟".

سأله هراثن في صدمة: "إيماني؟".

قال أومين بكلمات مُشفقة: "أجل، لا شك أنك كنت مؤمنًا في مرحلة ما من حياتك، وإلا لما التحقت بالكهنوت لوقت طويل حتى صرت جيورنًا، ولكنك فقدت إيمانك عند نقطة ما. لقد استمعتُ إلى خطبك، فسمعت المنطق والفهم الكامل، ناهيك بالعزيمة، ولكني لم أجد أي إيمان، فأتساءل ما الذي حدث له".

أخذ هراثن نفسًا عميقًا بطيئًا من بين أسنانه، ثم قال آمرًا: "فلتذهب". دون أن يكلف نفسه عناء النظر إلى الكاهن.

لم يُجبه أومين، فالتفت هراثن ولكن الأريلي كان قد مشى بالفعل، يمشي عبر السور بخطوات متمهلة، كأنما قد نسي وجود هراثن.

وقف هراثن على السور لوقت طويل هذه الليلة.

# الفصل الثاني والعشرون

كان رايودن يتقدم ببطء وهو يختلس النظر بحذر عند الناصية، كان من المفترض أن يتصبب عرقًا، في الواقع كان يرفع يده لمسح جبينه من آن لآخر، رغم أن هذه الحركة لم تفعل شيئًا سوى تلطيخ جبهته بوحل إيلانتريس. كانت ركبتاه ترتجفان بينما يربض عند السياج الخشبي المتحلل وهو يفتش الشارع بحذر بحثًا عن الخطر.

"وراءك يا سول!".

التفت رايودن وقد فاجأه تحذير جالادون فانزلق على أحجار الرصف اللزقة ليسقط أرضًا. أنقذه هذا السقوط، فبينما يحاول أن يعتدل واقفًا أحس بشيء يشق الهواء من فوقه. صرخ الرجل المجنون الواثب عندما أخطأ الهدف وارتطم بالسياج ليتناثر الخشب المتعفن في الهواء.

أسرع رايودن ليعتدل واقفًا، ولكن الرجل المجنون تحرك بسرعة أكبر، كان الرجل أصلع وشبه عارٍ ويصرخ بينما يشق طريقه عبر بقية السياج مزمجرًا وممزقًا الخشب ككلب مسعور.

ضرب جالادون الرجل مباشرة في وجهه بلوح خشبي، وعندما جمدت المفاجأة الرجل أمسك جالادون حجر رصف وضرب به جانب رأس الرجل. انهار الرجل المجنون أرضًا ولم ينهض مرة أخرى.

اعتدل جالادون واقفًا، ثم قال وهو يرمي حجر الرصف: "إنهم يزدادون قوة بطريقة ما يا سول، يبدو أنهم يكادون لا يشعرون بالألم، كولو؟".

أومأ رايودن برأسه وهو يتمالك أعصابه، ثم قال: "لم يقدروا على الإمساك بأي وافدين جدد طيلة أسابيع، إنهم يزدادون يأسًا، ويزدادون انحطاطًا في حالتهم الوحشية. لقد سمعت عن محاربين يشعرون بغضب عارم أثناء القتال فيتجاهلوا حتى الجروح المميتة". صمت رايودن بينما جالادون يكز المهاجم بعصا ليتيقن أنه لا يتظاهر.

قال رايودن بصوت خافت: "ربما وجدوا أخيرًا سرًّا لإيقاف الألم".

قال جالادون وهو يهز رأسه: "كل ما عليهم فعله هو التخلي عن إنسانيتهم". بينما يواصلان التسلل عبر ما كان يومًا سوق إيلانتريس. مرا بأكوام من الحديد الصدئ والخزفيات المنقوش عليها الأحرف الآيونية. ذات يوم كانت هذه المخلفات تُنتج آثارًا رائعة، وقواها السحرية تجعلها لا تُقدر بثمن. الآن صارت مجرد عقبات يجب على رايودن تفاديها لكيلا تصدر أصوات تهشم تحت قدميه.

قال جالادون بصوت خافت: "كان يجب أن نجلب سايولين معنا".

هز رايودن رأسه وقال: "سايولين جندي رائع ورجل صالح، ولكنه يفتقر إلى القدرة على التخفي، حتى أنا يُمكنني سماعه وهو يقترب. كما أنه سيكون مصرًّا على جلب مجموعة من حراسه، إنه يرفض تصديق أنني قادر على حماية نفسي".

نظر جالادون إلى جسد الرجل المجنون ثم نظر إلى رايودن بعينين ساخرتين وقال: "إن كنت ترى هذا يا سول".

ابتسم رايودن وقال معترفًا: "حسنًا، ربما كان سينفعنا مجيئه، ولكن رجاله يصرون على تدليلي. صدقًا كنت أعتقد أنني تركت هذه الأشياء ورائي في قصر أبي".

هز جالادون كتفيه وقال: "الناس يحمون الأشياء التي يرونها مهمة، إن كنت تعارض هذا فلم يكن يجب عليك أن تجعل نفسك شخصًا يصعب الاستغناء عنه، كولو؟".

تنهد رايودن وقال: "فهمتك، هيا بنا".

لاذا بالصمت بينما يواصلان التسلل. كان جالادون قد اعترض لساعات عندما شرح له رايودن خطته للتسلل ومواجهة شايور. كان الدولادي قد وصف الخطة بالتهور وعدم الجدوى والخطر والغباء التام. ولكنه مع ذلك لم يكن مستعدًّا لترك رايودن يذهب وحده.

كان رايودن يعرف أن الخطة ربما تكون متهورة ولا جدوى منها وكل الأشياء الأخرى التي قالها جالادون، فرجال شايور سيمزقونهما إربًا دون لحظة تردد واحدة، وربما حتى دون أن يفكروا في الأمر أولًا، بالأخذ في الاعتبار حالتهم العقلية. ولكن طيلة الأسبوع الماضي حاول رجال شايور الاستيلاء على الحديقة ثلاث مرات، وكان حرس سايولين يُصابون بجروح أكثر وأكثر بينما رجال شايور بدا أنهم يزدادون وحشية وجموحًا.

هز رايودن رأسه، فبينما تزداد مجموعته عددًا كان معظم أتباعه ضعافًا بدنيًّا. على الجانب الآخر كان رجال شايور أقوياء بشكل مخيف، وكل واحد منهم كان محاربًا، لقد منحهم غضبهم القوة، ولم يعد أتباع رايودن قادرين على ردعهم أكثر من هذا.

يجب على رايودن أن يجد شايور، إن تمكن من الحديث مع الرجل فإنه واثق في أنهما سيتوصلان إلى تسوية. قيل إن شايور نفسه لم يذهب في أي من هذه الهجمات، الجميع يشيرون إلى العصابة باسم "رجال شايور" ولكن لا أحد يتذكر رؤية شايور نفسه. من المحتمل إلى حد كبير أنه مجرد مهووس آخر لا يُمكن تمييزه عن البقية، ولكن من المحتمل أيضًا أن الرجل المسمى شايور قد التحق بالهويد منذ زمن بعيد، وأن المجموعة مستمرة بدون قيادة.

ومع ذلك كان هناك شيء بداخله يُخبره أن شايور لا يزال حيًّا، أو ربما أراد رايودن أن يصدق هذا فحسب. كان بحاجة إلى عدو يُمكنه مواجهته، إن الرجال المجانين متفرقون للغاية بحيث أنه لا يُمكن هزيمتهم نهائيًّا، وهم يفوقون جنود رايودن عددًا بفارق كبير. ما لم يكن شايور موجودًا،

ما لم يتمكن من إقناع شايور، وما لم يكن شايور قادرًا على السيطرة على رجاله، فإن مجموعة رايودن في مأزق حقيقي.

قال جالادون هامسًا وهما يقتربان من الشارع الأخير: "لقد أوشكنا على الوصول". كان هناك حركة على الجانب الآخر فتوقفا في تخوف حتى بدا أن الحركة قد ابتعدت عنهما.

قال جالادون وهو يومئ إلى مبنى ضخم في نهاية الشارع: "هذا هو البنك". كان مبنى ضخمًا مربعًا، وجدرانه سوداء أكثر بكثير مما يتسبب فيه الوحل عادة. "لقد أنشأ الإيلانتريون هذا المكان ليضع فيه التجار المحليون ثرواتهم، فإن أي بنك موجود في إيلانتريس يراه الناس أكثر أمانًا من أي بنك في كاي".

أومأ رايودن برأسه، كان بعض التجار ـ مثل أبيه ـ لا يثقون في الإيلانتريين، وقد ثبت في نهاية المطاف أن حفظ ثرواتهم خارج المدينة كان قرارًا حكيمًا. سأله: "هل تعتقد أن شايور هناك؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "إن كنت سأختار قاعدة فستكون هذا المبنى، إنه ضخم وحصين ومهيب، ومن ثم فهو مثالي تمامًا بالنسبة لزعيم عصابة".

أومأ رايودن برأسه وقال: "إذن هيا بنا".

كان هناك من يقطن المبنى بالفعل، فقد كان الوحل المحيط بالباب الأمامي مكشوطًا بفعل حركة الأقدام غير المنقطعة، وكان باستطاعتهما أن يسمعا أصواتًا تأتي من الجزء الخلفي للمبنى. نظر جالادون إلى رايودن نظرة متسائلة فأومأ رايودن برأسه قبل أن يدخلا.

كان المبنى بالداخل مقبضًا كما هو بالخارج، قاتم وعطن حتى بالنسبة لمدينة متداعية كإيلانتريس. كان باب السرداب ـ دائرة كبيرة محفور عليها بعمق آيون إيدو ـ مفتوحًا، والأصوات تأتي من الداخل. أخذ رايودن نفسًا عميقًا وهو يستعد لمواجهة آخر زعماء العصابات.

صرخ صوت رفيع: "اجلبوا لي الطعام!".

تجمد رايودن في موضعه ثم أطل برأسه مختلسًا النظر إلى داخل السرداب قبل أن يتراجع إلى الوراء على الفور. ففي الجزء الخلفي من الحجرة، وعلى كومة مما يبدو أنه سبائك ذهبية تجلس فتاة صغيرة، ترتدي ثوبًا نظيفًا ورديًّا. كان لها الشعر الآيوني الأشقر، ولكن بشرتها كانت سوداء ورمادية كأي إيلانتري آخر. كان هناك ثمانية رجال في أسمال بالية جاثين أمامها وهم يبسطون أذرعهم في تبجيل.

كررت الفتاة بصوت آمر: "اجلبوا لي الطعام".

سبَّ جالادون من ورائه قائلًا: "ما هذا بحق الدولوكين؟".

قال رايودن في دهشة: "شايور". ثم انتبه وقد أدرك أن الفتاة تُحدق إليه.

صرخت شايور: "اقتلوهما!".

صاح رايودن: "آيدوس دومي!". ثم دار على عقبيه وأسرع ناحية الباب.

***

قال جالادون: "لو لم تكن ميتًا بالفعل لقتلتك يا سول".

أومأ رايودن برأسه وهو يتكئ بتعب إلى الجدار. إنه يزداد ضعفًا، وقد حذره جالادون من أن هذا سيحدث. إن عضلات الإيلانتري تبدأ في الضمور قرب نهاية شهره الأول، ولا يمكن للتمارين أن تمنع هذا، فرغم أن العقل لا يزال يعمل واللحم لم يتحلل إلا أن الجسد يقتنع بأنه قد مات.

لقد نجحت الحيلة القديمة، فقد تمكنوا في النهاية من الهرب من رجال شايور بتسلق جانب جدار متداعٍ والاختباء على سطح مبنى. ربما يتصرف الرجال المجانين ككلاب صيد، ولكنهم بالتأكيد لم يكتسبوا حاسة شم الكلاب، لقد مروا بجانب موضع اختباء رايودن وجالادون عشرات المرات، ولم ينظروا لأعلى ولو مرة واحدة. كان الرجال مثابرين ولكنهم لم يكونوا أذكياء.

قال رايودن وهو لا يزال مصدومًا: "شايور فتاة صغيرة".

هز جالادون رأسه وقال: "أنا أيضًا لا أفهم الأمر يا سول".

"أنا أفهمه ولكني فقط لا أصدقه. ألم ترهم ساجدين أمامها؟ تلك الفتاة، شايور، إنها ربتهم، وثن حي. لقد ارتدوا إلى أسلوب حياة أكثر بدائية، واعتنقوا دينًا بدائيًّا كذلك".

قال جالادون محذرًا: "فلتحذر يا سول، العديد من الناس يقولون إن الجسكرية ديانة بدائية".

أشار رايودن بيده أن عليهما البدء في الحركة مرة أخرى، ثم قال: "حسنًا، ربما يجب أن أقول ديانة ساذجة، لقد عثروا على شيء غير مألوف، طفلة ذات شعر ذهبي طويل، فقرروا أنها يجب أن تُعبد. لقد وضعوها في محرابهم وهي تُملي عليهم أوامرها. الفتاة تريد الطعام، لذا يجب أن يجلبوه لها، وبعدها ستزعم أنها تباركهم".

"وماذا عن ذلك الشعر؟".

قال رايودن: "إنه شعر مستعار من نوع دائم، لقد تعرفت عليها، إنها ابنة واحد من أغنى الدوقات في أريلون، لم ينبت لها شعر قط، لذا وضع أبوها على رأسها شعرًا مستعارًا، وأعتقد أن الكهنة لم يفكروا في إزالته قبل إلقائها إلى هنا".

"متى أصابها الشايود؟".

قال رايودن: "قبل أكثر من عامين، لقد حاول أبوها - الدوق تيلري - أن يُبقي الأمر سرًّا، فزعم أنها ماتت بفعل الديونيا[٣٣]، ولكن كان هناك الكثير من الشائعات".

"من الواضح أن جميعها صحيحة".

قال رايودن وهو يهز رأسه: "يبدو هذا، لم ألتقِ بها سوى بضع مرات، ولا أستطيع تذكر اسمها، ولكنه مبني على آيون سوي، اسمها سوين أو شيء من هذا القبيل. لا يُمكنني أن أتذكر إلا أنها أكثر فتاة مدللة لا تُطاق قد قابلتها في حياتي".

قال جالادون في سخرية: "هذا على الأرجح يجعلها إلهة مثالية".

قال رايودن: " حسنًا، لقد كنتَ محقًّا في شيء واحد؛ إن الحديث مع شايور لن يُجدي نفعًا، لقد كانت غير عقلانية بالخارج، لذا فمن المرجح أنها أسوأ بعشر مرات الآن. كل ما تعرفه هو أنها تتضور جوعًا، وهؤلاء الرجال يجلبون لها الطعام".

"طاب مساؤك يا سيدي". قالها أحد الحراس وهما يقتربان من قطاعهم في إيلانتريس، أو إيلانتريس الجديدة كما بدأ الناس يسمونه. كان الحارس شابًّا قوي البنية يُدعى ديون، وقد اعتدل واقفًا عندما اقترب رايودن وهو يثبت رمحه البدائي إلى جانبه. "لقد انزعج القائد سايولين للغاية بسبب اختفائك".

أومأ رايودن برأسه وقال: "سأحرص على الاعتذار له يا ديون".

خلع كل من رايودن وجالادون حذاءه ووضعه بجانب الجدار إلى جوار العديد من الأحذية المتسخة الأخرى، ثم ارتدى كل منهما حذاءً جديدًا كان قد تركه وراءه. كان هناك أيضًا دلو ماء استخدماه لغسل أكبر قدر ممكن من الأوحال. كانت ملابسهما لا تزال متسخة، ولكن

---

[٣٣] الديونيا: هي المصطلح الآيوني المعبر عن الإنفلونزا، والاسم مبني على آيون ديو الذي يعني البرد.

لم يكن هناك شيء يُمكنهما فعله حيال هذا. كان القماش نادرًا رغم مجموعات التفتيش العديدة التي نظمها رايودن.

لقد استطاعوا أن يعثروا على قدر مذهل من الأشياء، صحيح أن معظمها كان صدئًا ومتعفنًا، ولكن إيلانتريس كانت شاسعة، ومع قليل من التنظيم وبعض التحفيز اكتشفوا عددًا كبيرًا من الأشياء المفيدة، من رؤوس الرماح المعدنية وحتى الأثاث الذي لا يزال قادرًا على تحمل ثقل المرء.

بمساعدة سايولين تمكن رايودن من تحصين جزء من المدينة ليصير إيلانتريس الجديدة، لم يكن هناك سوى أحد عشر شارعًا يؤدي إلى المنطقة، وكان هناك سور صغير، لم يستطيعوا تخمين الغرض الأساسي منه، يمتد على طول نصف المحيط تقريبًا. كان رايودن قد وضع الحراس في كل تقاطع لمراقبة هجوم النهابين.

هذا النظام يحميهم من أي هجمة كبيرة العدد، لحسن الحظ كان رجال شايور يميلون للهجوم في مجموعات صغيرة، وما دام حرس رايودن سيتلقون تحذيرًا فيمكنهم أن يجتمعوا ويهزموا أي مجموعة واحدة. إن استطاعت شايور أن تنظم هجومًا كبيرًا من اتجاهات متعددة فستكون النتيجة كارثية. إن فرقة رايودن المكونة من نساء وأطفال ورجال ضعاف لا يُمكنها أن تقف في وجه هذه المخلوقات الوحشية. بدأ سايولين يعلم القادرين منهم تقنيات قتالية بسيطة، ولكنه لم يكن قادرًا إلا على استخدام أبسط أساليب التدريب وأكثرها أمانًا، وإلا لصارت جروح التدريبات القتالية أخطر من هجمات شايور.

ولكن الناس لم يتوقعوا أن يصل القتال إلى هذا الحد، سمع رايودن ما يقولونه عنه، إنهم يفترضون أن "لورد سبيريت" سيجد طريقة ما لاستمالة شايور إلى جانبهم كما فعل مع آندين وكاراتا.

بدأ رايودن يشعر بالغثيان وهما يمشيان ناحية الكنيسة، وقد جعلته آلامه الناجمة عن عشرات الرضوض والخدوش يشعر بالاختناق. أحس كأن جسده مغطى بنار مشتعلة، وأن اللهب يلتهم لحمه وعظمه وروحه.

قال بصوت خافت: "لقد خذلتهم".

هزَّ جالادون رأسه وقال: "لا يُمكننا دومًا أن ننال ما نريده من المحاولة الأولى، كولو؟ ستجد طريقة ما، لم أعتقد يومًا أنك ستصل إلى هذا المدى".

قال رايودن لنفسه والألم يضربه بقوة: *كنت محظوظًا، محظوظًا أحمق.*

فجأة نظر جالادون إلى رايودن وسأله: "هل أنت بخير يا سول؟".

*يجب أن أكون قويًّا، إنهم يحتاجونني قويًّا.* تأوه رايودن في أعماقه بتحدٍّ، ونفض عن عقله ضبابية الألم، قبل أن يرسم ابتسامة شاحبة ويقول: "أنا بخير".

"لم أرك هكذا من قبل يا سول".

هزَّ رايودن رأسه وهو يتكئ إلى جدار مبنى حجري، قبل أن يقول: "سأكون على ما يرام، كنت فقط أتساءل ما الذي سنفعله بشأن شايور، لا يُمكننا أن نتفاهم معها، ولا يمكننا أن نهزم رجالها بالقوة...".

قال جالادون: "ستفكر في شيء ما". وقد تغلب على تشاؤمه المعتاد رغبته الواضحة في تشجيع صديقه.

قال رايودن لنفسه: *أو سنموت جميعًا.* كانت يداه تزدادان توترًا وهو يتشبث بركن الجدار الحجري. *وهذه المرة سنموت حقًّا.*

تنهد رايودن وهو يدفع نفسه بعيدًا عن الجدار، فتفتت الحجر تحت أصابعه، جفل ثم التفت يتأمل الجدار. كان كاهار قد نظفه مؤخرًا، فراح رخامه الأبيض يلمع في ضوء الشمس، باستثناء المنطقة التي هشمتها أصابع رايودن.

سأله جالادون بابتسامة ساخرة: "أنت أقوى مما كنت تظن؟".

رفع رايودن حاجبيه وهو يدفع الحجر المتكسر فتفتت. "هذا الرخام ألين من الحجر الخفاف!".

قال جالادون: "إنها إيلانتريس، الأشياء تتحلل بسرعة هنا".

"أجل، ولكن الحجر؟".

"كل شيء، حتى الناس".

ضرب رايودن القطعة المتكسرة من الحجر بصخرة أخرى، فتهاوت رقائق وشظايا إلى الأرض إثر الضربة. "كل شيء مرتبط بطريقة ما يا جالادون، إن الدور مرتبط بإيلانتريس، تمامًا مثلما ترتبط إيلانتريس بأريلون نفسها".

سأله جالادون وهو يهز رأسه: "ولكن لِمَ يفعل الدور هذا يا سول؟ لِمَ يُدمر المدينة؟".

قال رايودن: "ربما ليس الدور، بل الاختفاء المفاجئ للدور. السحر ـ الدور ـ كان جزءًا من هذه المدينة، كل حجر يضيء بنوره الخاص، وعندما أُزيلت هذه القوة صارت المدينة يبابًا، كقشرة زاحف صغير قد تخلى عنها عندما صارت أكبر من حجمه. إن الأحجار خاوية".

سأله جالادون في شك: "كيف يُمكن لحجر أن يكون خاويًا؟".

انتزع رايودن قطعة أخرى من الرخام فتفتت بين أصابعه، ثم قال: "هكذا يا صديقي، الصخرة قضت وقتًا طويلًا مندمجة مع الدور، حتى إن الريود قد أضعفها بشكل لا يمكن إصلاحه، هذه المدينة جثة حقًّا، لقد هربت منها روحها".

قاطع هذا النقاش اقتراب ماريش وهو يلهث ويقول في إلحاح: "سيدي سبيريت!".

سأله رايودن في قلق: "ما الأمر؟ هجوم آخر؟".

هزَّ ماريش رأسه والحيرة في عينيه ثم قال: "لا يا سيدي، شيء مختلف، لا نعرف ماذا نفعل حياله، إننا نتعرض للغزو".

"ممن؟".

ابتسم ماريش ابتسامة شاحبة ثم قال: "نعتقد أنها أميرة".

***

كان رايودن رابضًا على السطح وجالادون إلى جانبه، كان المبنى قد تحول إلى نقطة لمراقبة الوافدين الجدد، ويُمكن للمرء من هذا المنظور أن يُلقي نظرة فاحصة على ما يحدث في الباحة.

كان هناك حشد متجمع أعلى سور مدينة إيلانتريس، والبوابة مفتوحة، هذا المشهد كان عجيبًا، عادة ما تغلق البوابة على الفور بعد إلقاء الوافدين الجدد بالداخل، كأن الحرس خائفون من إبقائها مفتوحة ولو للحظة واحدة.

ولكن أمام البوابة المفتوحة كان المشهد في غاية العجب، كان هناك عربة كبيرة تجرها الأحصنة واقفة في منتصف الباحة، وإلى جانبها مجموعة من الرجال المتأنقين. شخص واحد لم يبدُ خائفًا مما يراه أمامه، امرأة طويلة بشعر أشقر طويل منسدل على جانبي وجهها حاد القسمات. كانت ترتدي فستانًا بنيًّا ناعمًا يُغطي الجسد بالكامل، ووشاحًا أسود معقودًا حول ذراعها اليُمنى،

التي رفعتها لتربت على عنق أحد الأحصنة لتهدئ من روعه. كانت تتفحص الباحة المتسخة الموحلة بعينين لا تتركان شاردة ولا واردة.

زفر رايودن وتمتم قائلًا: "لم أرها إلا من خلال السيون، لم أكن أُدرك أنها بهذا الجمال".

سأله جالادون: "هل تعرفها يا سول؟".

"أعتقد... أنني متزوج منها. لا يمكن أن تكون هذه سوى سارين، ابنة إيڤينتيو ملك تيود".

سأله جالادون: "وما الذي تفعله هنا؟".

قال رايودن: "السؤال الأهم؛ ما الذي تفعله هنا بصحبة أكثر من عشرة من أهم نبلاء أريلون؟ هذا العجوز الواقف في الخلف هو الدوق رويال، يقول البعض إنه ثاني أقوى رجل في المملكة".

أومأ جالادون برأسه وقال: "وأفترض أن الشاب الجيندوي هو شودن، بارون مزرعة كا".

قال رايودن مبتسمًا: "كنت أظنك مجرد مزارع بسيط".

"إن مسار قوافل شودن يمر مباشرة من مركز دولادل يا سول، لا يوجد دولادي على قيد الحياة لا يعرف اسمه".

قال رايودن: "الكونت آهان والكونت إيونديل هنا أيضًا، ما الذي تخطط له هذه المرأة بحق دومي؟".

وكأنما ردًّا على سؤال رايدون أنهت الأميرة سارين تأملها لإيلانتريس واستدارت على عقبيها لتتوجه إلى مؤخرة العربة وهي تشير بيدها في نفاد صبر إلى النبلاء المتخوفين لكي يبتعدوا عن طريقها. مدت يدها وانتزعت الغطاء القماشي عن مؤخرة العربة لتكشف عن محتوياتها. كانت العربة مليئة بأكوام من الطعام.

سبَّ رايودن ثم قال: "آيدوس دومي! نحن في ورطة يا جالادون".

تأمله جالادون عاقدًا حاجبيه، والجوع يطل من عينيه، ثم قال: "ما الذي تتحدث عنه بحق الدولوكين يا سول؟ هذا طعام، ويخبرني حدسي أنها ستعطينا إياه، ما المشكلة في هذا؟".

قال رايودن: "لا شك أنها تخوض ابتلاء الأرملة، ولن يفكر في المجيء إلى إيلانتريس إلا أجنبي".

قال له جالادون بحدة: "قل لي ما تفكر فيه يا سول".

قال رايودن: "التوقيت خاطئ يا جالادون، لقد بدأ قومنا للتو في الإحساس بالاستقلال، لقد بدأوا في التركيز على مستقبلهم ونسيان آلامهم، إن منحهم شخص ما الطعام الآن فسينسون كل شيء آخر. سيتلقون الطعام لفترة قصيرة من الوقت، ولكن ابتلاء الأرملة لا يستمر إلا لبضعة أسابيع، وبعدها سيعودون إلى جوعهم وألمهم وإشفاقهم على أنفسهم. يُمكن لأميرتي هذه أن تدمر كل شيء عملنا من أجله".

قال جالادون: "أنت محق، لقد كدت أن أنسى مدى جوعي حتى رأيت الطعام".

تأوه رايودن.

"ما الأمر؟".

"ما الذي سيحدث عندما تسمع شايور بهذا؟ سيهاجم رجالها العربة كقطيع من الذئاب، ولا أحد يعرف قدر الضرر الذي سيحدث إن قتل أحدهم كونتًا أو بارونًا. إن أبي يتحمل إيلانتريس فقط لأنه غير مضطر للتفكير في الأمر، ولكن إن قتل أحد الإيلانتريين واحدًا من نبلائه فقد يقرر إبادتنا جميعًا".

بدأ الناس يظهرون في الأزقة المحيطة بالباحة، ولكن لم يظهر أي من رجال شايور، لم يكن هناك سوى الإيلانتريين البائسين المتعبين الذين لا يزالون يعيشون بمفردهم ويتجولون في شوارع المدينة

كالظلال. كان المزيد والمزيد منهم ينضمون إلى رايودن، ولكن الآن مع توفر الطعام المجاني فلن ينضم إليه بقيتهم، سيواصلون العيش بدون هدف أو غاية، ضائعين في ألمهم وعذابهم.

همس رايودن: "أوه يا أميرتي العزيزة، إن نيتك حسنة على الأرجح، ولكن إعطاء هؤلاء الناس الطعام هو أسوأ شيء يُمكن أن تفعليه لهم".

***

كان ماريش منتظرًا أسفل الدرج، ثم سأل في قلق: "هل رأيتماها؟".

قال رايودن: "أجل".

"ما الذي تريده؟".

قبل أن يتمكن رايودن من الإجابة سمع صوتًا أنثويًّا ينادي من الباحة: "أُريد أن أتحدث مع طغاة هذه المدينة، هؤلاء الذين يسمون أنفسهم آندين وكاراتا وشايور، فلتمثلوا أمامي".

قال رايودن في دهشة: "من أين...؟".

قال ماريش: "من الواضح أنها جمعت قدرًا كبيرًا من المعلومات".

أضاف جالادون: "ولكنها معلومات قديمة بعض الشيء".

جزَّ رايودن على أسنانه وهو يفكر بسرعة ثم قال: "فلترسل عدَّاءً لإحضار كاراتا يا ماريش، أخبرها أن تقابلني عند الجامعة".

قال الرجل: "أمرك يا سيدي". ثم أشار إلى فتى من السعاة.

قال رايودن: "وأْمُر سايولين بإحضار نصف جنوده والالتقاء بنا هناك، سيكون عليه أن يحترس من رجال شايور".

قال ماريش الذي كان ينتظر دومًا فرصة لإثارة إعجابه: "يُمكنني أن أذهب وأحضرهما بنفسي إن أردت هذا يا سيدي".

قال رايودن: "لا، سيكون عليك أن تتدرب على التظاهر بأنك آندين".

# الفصل الثالث والعشرون

لقد أصر كل من إيونديل وشودن على الذهاب معها، كان إيونديل يتحسس سيفه طيلة الوقت، عادة ما يرتدي السلاح مهما كان ما تقتضيه اللياقة في أريلون، وكان يُراقب كُلًّا من مرشدهم وحرس مدينة إيلانتريس الذين اصطحبوهم بنفس القدر من الريبة. يُحسب للحراس أنهم أجادوا التظاهر باللامبالاة بينما يدخلون إيلانتريس كأنهم يفعلون هذا كل يوم، ولكن سارين كانت تستشعر قلقهم.

كان الجميع معارضين في البداية، فقد كان من غير المعقول السماح لها بالتوغل في أعماق إيلانتريس لمقابلة الطغاة، ومع ذلك كانت سارين عازمة على إثبات أن المدينة مسالمة، لا يُمكنها أن تحجم عن قطع رحلة قصيرة للداخل إن كانت تريد أن تُقنع النبلاء الآخرين بعبور البوابة.

قال المرشد: "لقد أوشكنا على الوصول". كان رجلًا طويلًا بنفس طول سارين وهي ترتدي حذاءً بكعب عالٍ. وكانت الأجزاء الرمادية من بشرته أفتح قليلًا من تلك الموجودة على الإيلانتريين الآخرين الذين رأتهم. رغم أنها لم تعرف إن كان هذا يعني أنه قد كان شاحب البشرة من قبل، أم أنه ببساطة أمضى في إيلانتريس وقتًا أقصر من البقية. كان له وجه بيضاوي، وربما كان وسيمًا قبل أن يدمره الشايود. لم يكن خادمًا، فقد كان يمشي مختالًا. خمنت سارين أنه رغم تصرفه كرسول متواضع إلا أنه واحد من الأتباع المخلصين لأحد زعماء العصابات في إيلانتريس.

سألته وهي تحرص على أن تُبقي صوتها محايدًا: "ما اسمك؟". إنه ـ بحسب مصادر آش ـ ينتمي لواحدة من المجموعات الثلاثة التي تحكم المدينة كالعصابات، وتستعبد هؤلاء الذين يُلقون حديثًا بداخلها.

لم يُجبها الرجل على الفور ولكنه قال أخيرًا: "يُطلقون عليَّ اسم سبيريت".

قالت سارين لنفسها: *يا له من اسم مناسب، لهذا الرجل الذي يبدو كشبح لما كان عليه ذات يوم.*

اقتربوا من مبنى ضخم، أخبرها هذا الرجل المدعو سبيريت أنه كان في الماضي جامعة إيلانتريس. نظرت سارين إلى المبنى بعين فاحصة، كان مغطى بنفس الوحل الأخضر البني الغريب الذي يكسو بقية المدينة، وربما كان المبنى عظيمًا ذات يوم، ولكنه الآن مجرد أطلال أخرى. دلف الرجل إلى داخل المبنى، ولكن سارين ترددت، فحسبما ترى كان الطابق الثاني يفكر بجدية في الانهيار.

نظرت إلى إيونديل، كان الرجل العجوز متخوفًا، ويفرك ذقنه مفكرًا، ثم هز كتفيه وأومأ لسارين، وبدا عليه أنه يقول: *لقد قطعنا هذا الشوط...*

لذا حاولت سارين ألا تفكر بشأن السقف المتدلي، واقتادت مجموعة أصدقائها وجنودها إلى داخل المبنى. لحسن الحظ لم يكن عليهم التوغل كثيرًا، فقد كان هناك مجموعة من الإيلانتريين تقف قرب نهاية الحجرة الأولى، ووجوههم ذات البشرة السوداء بالكاد مرئية في الضوء الشاحب. كان اثنان منهم يقفان على ما يبدو أنه ركام طاولة حجرية متهدمة ليعلو كل منهما برأسه بضعة أقدام فوق الآخرين.

سألت سارين: "آندين؟".

أجابتها الأخرى: "وكاراتا". كان من الواضح أنها امرأة، رغم أن رأسها الأصلع ووجهها المتغضن جعلا من المستحيل تقريبًا تمييزها عن الرجال. "ما الذي تريدينه منا؟".

قالت سارين في ريبة: "ما سمعته جعلني أعتقد أنكما عدوان".

قال آندين: "لقد أدركنا أخيرًا مزايا التحالف". كان رجلًا قصيرًا بعينين حذرتين، ووجهه الصغير متغضن كوجه حيوان قارض. كان يتصرف بغطرسة وخيلاء، وهو ما كانت سارين تتوقعه.

سألتهما سارين: "وماذا عن الرجل المدعو شايور؟".

ابتسمت كاراتا وقالت: "هذه واحدة من المزايا المذكورة مسبقًا".

"هل مات؟".

أومأ آندين برأسه وقال: "نحن نحكم إيلانتريس الآن أيتها الأميرة، ما الذي تريدينه؟".

لم تجبه على الفور، كانت قد خططت للتلاعب بقادة العصابات الثلاثة ضد بعضهم بعضًا، ولكن عليها الآن أن تقدم نفسها لعدو موحد. قالت بلا مواربة: "أُريد أن أرشوكما".

رفعت المرأة حاجبًا باهتمام، ولكن الرجل القصير زفر وقال: "ما حاجتنا لرشاويكِ يا امرأة؟".

كانت سارين قد لعبت هذه اللعبة كثيرًا، إن آندين سيتظاهر بكونه الرجل غير المكترث المعتاد على السياسات الجادة، لقد التقت بعشرات الرجال مثله من قبل وهي تخدم في سلك والدها الدبلوماسي، وقد سئمت التعامل معهم.

قالت سارين: "دعونا نتحدث بصراحة، من الواضح أنكما لستما بارعين في هذا، لذا فإن المفاوضات المطولة ستكون مضيعة للوقت. أنا أُريد أن أجلب الطعام إلى قاطني إيلانتريس،

وأنتما ستقاومانني لأنكما تعتقدان أن هذا سيُضعف قبضتكما عليهم، أنتم الآن على الأرجح تحاولان أن تعرفا كيف تتحكمان فيمن سيستفيد من العطايا التي سأمنحها ومن لن يستفيد".

تململ الرجل في توتر، فقالت سارين: "لهذا السبب سأرشوكما، ما الذي تريدانه لتتركا الناس يأتون إليّ ويأخذون الطعام بحرية".

صمت آندين ومن الواضح أنه لا يعرف ما الذي يُمكن أن يقوله أكثر مما قاله، ولكن المرأة تحدثت بحزم وقالت: "هل لديكِ كاتب لتدوين مطالبنا؟".

قالت سارين: "أجل". ثم أشارت لشودن الذي أخرج قلمًا من الفحم وورقة.

كانت القائمة طويلة، أطول حتى مما توقعته سارين، وقد تضمنت العديد من الأشياء الغريبة، لقد افترضت أنهم سيطلبون أسلحة وربما ذهبًا، ولكن طلبات كاراتا بدأت بالقماش ثم انتقلت إلى العديد من حبوب المحاصيل المختلفة وبعض الصفائح المعدنية وأطوالًا من الخشب والقش وانتهت بالزيت. كانت الرسالة واضحة، الحكم في إيلانتريس لا يعتمد على القوة أو الثروة بل على السيطرة على الاحتياجات الأساسية.

وافقت سارين على المطالب باقتضاب، إن كانت تتعامل مع آندين فقط لساومته على تقليل المطالب، ولكن كاراتا هذه كانت امرأة صريحة ثابتة الجنان، النوع الذي لا يكون لديه الكثير من الصبر على المساومة.

سألت سارين بينما شودن يدون المطلب الأخير: "هل هذا كل شيء؟".

قالت كاراتا: "هذا سيفي بالغرض من أجل الأيام الأولى".

ضيقت سارين عينيها وقالت: "لا بأس، ولكن لديَّ شرط واحد يجب عليكما اتباعه، لا يمكنكما أن تمنعا أي شخص من المجيء إلى الباحة، فلتحكما كطاغيتين إن كنتما تريدان هذا، ولكن على الأقل اتركا الناس يعانون ببطون ممتلئة".

قالت كاراتا: "أعدك أنني لن أمنع شخصًا واحدًا".

أومأت سارين برأسها في إشارة إلى أن الاجتماع قد انتهى. اختارت كاراتا مرشدًا ليصطحبهم إلى البوابة، ولم يكن سبيريت هذه المرة، لقد بقي هناك بجانب طاغيتي المدينة بينما سارين تغادر المبنى.

***

سأله ماريش بلهفة: "هل أبليتُ حسنًا يا سيدي؟".

قال رايودن وهو يراقب رحيل الأميرة في رضا: "لقد كنت مثاليًّا يا ماريش".

ابتسم ماريش في تواضع وقال: "أنا أبذل قصارى جهدي يا سيدي، ليس لدي خبرة كبيرة في التمثيل، ولكني أعتقد أنني لعبت دور قائد حاسم ومخيف بشكل ملائم".

لمح رايودن النظرة في عيني كاراتا، كانت المرأة الصارمة تبذل قصارى جهدها لكيلا تضحك، فقد كان الحرفي المختال مثاليًّا، لأنه لم يكن حاسمًا ولا مخيفًا. إن الناس خارج إيلانتريس يرونها مدينة خارجة على القانون، يحكمها طغاة لصوص وحشيون. لقد رسم ماريش وكاراتا الصورة التي كانت الأميرة ورفاقها يتوقعون رؤيتها.

قال جالادون وهو يخطو من الظلال في جانب الحجرة: "إنها ترتاب في شيء ما يا سول".

قال رايودن: "أجل، ولكنها لا تعرف ما هو بالضبط، دعها تظن أن آندين وكاراتا يحاولان خداعها، هذا لن يضر".

هز جالادون رأسه الأصلع الذي يلمع في الضوء الخافت وقال: "ما الهدف من هذا؟ لم لا تأخذها إلى الكنيسة لترى ما نحن عليه بالفعل؟".

قال رايودن: "أود هذا يا جالادون ولكننا لا نستطيع تحمل عواقب إفشاء سرنا. إن الناس في أريلون يتحملون إيلانتريس لأن الإيلانتريين مثيرون للشفقة، إن اكتشفوا أننا نؤسس مجتمعًا متحضرًا فستطفو مخاوفهم إلى السطح، هناك فارق بين حشد من البؤساء المتأوهين وفيلق من الوحوش التي لا يمكن قتلها".

أومأت كاراتا برأسها ولم تقل شيئًا، أما جالادون المتشكك دومًا فقد اكتفى بأن هز رأسه كأنما لا يستطيع حسم رأيه.

وأخيرًا سأله في إشارة لسارين: "إنها عاقدة العزم بالتأكيد، كولو؟".

وافقه رايودن وقال: "عاقدة العزم حقًّا". ثم فكر قليلًا قبل أن يقول: "ولا أعتقد أنها معجبة بي كثيرًا".

قالت كاراتا: "إنها تعتقد أنك تابع لواحد من الطغاة، هل من المفترض أن تُعجب بك؟".

قال رايودن: "أنتِ محقة، ومع هذا أعتقد أنه كان علينا أن نضيف بندًا لاتفاقيتنا ينص على أنني يُمكنني حضور جميع المرات التي ستوزع فيها الطعام. أُريد أن أبقي عيني على أميرتنا المعطاءة، فهي لم تبدُ لي أنها من النوع الذي يفعل شيئًا دون أن يكون له دوافع عديدة، وأتساءل عن السبب الذي جعلها تخوض ابتلاءها هنا في إيلانتريس".

***

قال إيونديل وهو يُراقب مرشدهم عائدًا إلى إيلانتريس: "لقد جرى الأمر على نحو جيد".

قال شودن: "لقد أفلتِ بسهولة، الأشياء التي طلبوها يمكن الحصول عليها دون إنفاق الكثير من المال".

أومأت سارين برأسها وهي تفرك أصابعها على جانب العربة الخشبية وقالت: "أكره التعامل مع مثل هؤلاء الأشخاص".

قال شودن: "ربما تقسين في حكمك عليهما، يبدو أنهما أقل طغيانًا وأشبه بأناس يحاولون بذل ما في وسعهم في حياة صعبة للغاية".

هزت سارين رأسها وقالت: "يجب عليك أن تسمع بعض الحكايات التي حكاها لي آش يا شودن. يقول الحرس إنه عندما يُلقى بإيلانتريين جدد إلى المدينة تنقض عليهم العصابات كأسماك القرش، وإن الموارد القليلة التي تدخل المدينة تذهب إلى زعماء العصابات، بينما يُبقون بقية الناس في حالة أشبه بالمجاعة".

رفع شودن حاجبًا وهو ينظر إلى حرس مدينة إيلانتريس؛ مصدر معلومات سارين. كان الحرس متكئين بتكاسل على رماحهم وهم يراقبون بلا اكتراث النبلاء وهم يفرغون حمولة العربة.

قالت سارين وهي تصعد العربة لتناول شودن صندوقًا من الخضراوات: "حسنًا، ربما هم ليسوا المصدر الأكثر موثوقية، ولكن لدينا دليلًا ماثلًا أمامنا". أشارت بيدها إلى الأشكال الهزيلة التي تتجمع في الشوارع الجانبية وقالت: "انظر إلى أعينهم الغائرة وخطواتهم المتخوفة، هؤلاء أناس يعيشون في خوف يا شودن. لقد رأيت هذا من قبل في فيوردن وهروقُل وأماكن عديدة أخرى. أنا أعرف ما يبدو عليه شعب مقهور".

قال شودن وهو يأخذ الصندوق من سارين: "هذا صحيح، ولكن لم يبدُ الزعماء أفضل حالًا بالنسبة لي. ربما هم ليسوا قاهرين، بل مقهورين بنفس القدر".

قالت سارين: "ربما".

قال إيونديل محتجًّا عندما رفعت صندوقًا آخر لتعطيه لشودن: "أتمنى أن تستريحي يا سيدتي وتتركينا ننقل هذه الصناديق، هذا ليس لائقًا".

قالت سارين وهي تناوله صندوقًا: "لا بأس يا إيونديل، هناك سبب لعدم جلبي أي خدم، فأنا أُريد أن نشارك جميعًا، وهذا يتضمنك أيضًا يا سيدي". أضافت سارين الجملة الأخيرة وهي تومئ ناحية آهان الذي وجد بقعة ظليلة بالقرب من البوابة ليستريح فيها.

تنهد آهان وهو يعتدل واقفًا ويمشي بتثاقل ناحية ضوء الشمس. كان الجو حارًّا بشكل ملحوظ بالنسبة ليوم في بداية فصل الربيع، فكانت الشمس حارقة فوق الرؤوس، رغم أن حرارتها لم تكن قادرة على تجفيف الوحل المنتشر في كل مكان في إيلانتريس.

صاح آهان: "آمل أنك تقدرين تضحيتي يا سارين، فهذا الوحل يُفسد عباءتي تمامًا".

قالت سارين وهي تناول الكونت صندوقًا من البطاطا المسلوقة: "أنت تستحق هذا، فقد أخبرتك ألا ترتدي شيئًا باهظًا".

قال آهان وهو يأخذ منها الصندوق بنظرة متجهمة: "لا أمتلك أي شيء غير باهظ يا عزيزتي".

سأله رويال وهو يقترب منه ضاحكًا: "هل تقصد أن تخبرني أنك قد دفعت مالًا بالفعل مقابل ذلك الروب الذي ارتديته في حفل زفاف نيودن، لم أكن أعرف أن هناك مثل هذه الدرجة من البرتقالي يا آهان".

تجهم الكونت وهو يجر صندوقه إلى مقدمة العربة. لم تناول سارين رويال صندوقًا، ولم يتحرك هو ليأخذ منها واحدًا. لقد كان خبرًا مهمًّا في البلاط قبل أيام قليلة عندما لاحظ أحدهم أن الدوق يعرج في مشيته بعض الشيء، تزعم الشائعات أنه قد سقط ذات صباح وهو يخرج من فراشه. إن سلوك رويال الحيوي يجعل من الصعب على المرء أحيانًا أن يتذكر أنه في الواقع رجل عجوز للغاية.

بدأت سارين تتحرك حركة متناغمة، تمد بالصناديق فتتلقفها الأيادي، حتى إنها لم تلاحظ في البداية أن شخصًا جديدًا قد انضم للبقية. عندما اقتربت الصناديق من النفاد تصادف أن نظرت إلى الرجل الذي يأخذ منها الحمولة، فكادت أن تُسقط الصندوق في صدمة عندما تعرفت على الوجه. صاحت: "أنت!".

ابتسم الإيلانتري المعروف باسم سبيريت وهو يأخذ الصندوق من يديها المتجمدتين، ثم قال: "كنت أتساءل كم سيمضي من الوقت قبل أن تدركي وجودي هنا".

"منذ متى...".

"منذ عشر دقائق تقريبًا، لقد وصلت بعد أن بدأتم في تفريغ الحمولة".

حمل سبيريت الصندوق ووضعه بجانب الصناديق الأخرى. ظلت سارين واقفة في ذهول صامت في مؤخرة العربة، لا شك أنها قد خلطت بين يديه الداكنتين ويدي شودن البنيتين.

سمعت شخصًا يتنحنح أمامها فتنبهت إلى أن إيونديل ينتظر صندوقًا، فأسرعت لتجلب له واحدًا.

تساءلت وهي تضع الصندوق بين ذراعي إيونديل: "ما الذي يفعله هنا؟".

"يزعم أن سيده قد أمره بمراقبة التوزيع، يبدو أن آندين يثق بكِ بقدر ما تثقين به".

ناولتهما سارين آخر صندوقين، ثم قفزت من مؤخرة العربة، ولكنها ارتطمت بالأرض بزاوية خاطئة فانزلقت على الوحل وترنحت إلى الوراء وهي تلوح بيديها وتصرخ.

لحسن الحظ أمسك بها شخص ما، وساعدها على الوقوف. قال سبيريت: "فلتحذري، يحتاج المرء وقتًا لكي يعتاد السير في إيلانتريس".

جذبت سارين ذراعيها لتخلصهما من قبضتيه وتمتمت بنبرة لا تشبه نبرة الأميرات قائلة: "شكرًا لك".

رفع سبيريت حاجبًا ثم تحرك ليقف إلى جوار السادة الأريليين. تنهدت سارين وهي تفرك مرفقيها حيث كان سبيريت يُمسك بهما، شيء ما حيال لمسته بدا رقيقًا بشكل غريب. هزت رأسها لتبدد هذه التخيلات، هناك أشياء أكثر أهمية تتطلب انتباهها، فلم يكن الإيلانتريون يقتربون.

كان عددهم قد تزايد، وصاروا قرابة الخمسين، متجمعين في تردد أشبه بالطيور في الظلال. كان من الواضح أن بعضهم أطفال، ولكن معظمهم كان من الصعب تحديد عمره، فالجلد الإيلانتري المتغضن يجعلهم جميعًا يبدون عجائز مثل رويال، ولم يقترب أحدهم من الطعام.

سألت سارين في حيرة: "لمَ لا يأتون؟".

قال سبيريت: "إنهم يشعرون بالخوف وعدم التصديق، هذا القدر من الطعام يبدو وهمًا، لا شك أنها خدعة شيطانية قد خدعتهم بها عقولهم مئات المرات". كان يتحدث برقة، بل وحتى برأفة، ولم تكن كلمات زعيم عصابة مستبد.

مد سبيريت يده واختار ثمرة لفت من أحد الصناديق ثم رفعها بخفة وحدق إليها كأنما هو نفسه غير واثق من أنها حقيقية.

كان هناك نهم في عينيه، جوع رجل لم يرَ وجبة دسمة منذ أسابيع. جفلت سارين عندما أدركت أن هذا الرجل. رغم مكانته. يتضور جوعًا مثل بقيتهم، ولقد ساعدهم بصبر في تفريغ عشرات الصناديق المليئة بالطعام.

وأخيرًا رفع سبيريت ثمرة اللفت وأخذ منها قضمة. سمعت سارين صوت طحن ثمرة الخضار في فمه فتخيلت المذاق؛ نيًّا ومرًّا، ومع هذا ظهرت نظرة في عينيه كأنما يتناول وليمة.

بدا أن قبول سبيريت للطعام قد منح الموافقة للبقية، فاندفع حشد الناس. تنبه حرس مدينة إيلانتريس أخيرًا، وسرعان ما أحاطوا بسارين والبقية، وهم يشهرون رماحهم الطويلة في تهديد.

قالت سارين آمرة: "اتركوا مساحة هنا أمام الصناديق".

أفسح الحرس الطريق ليسمحوا للإيلانتريين بالاقتراب، عددًا قليلًا في كل مرة. كانت سارين واللوردات واقفين وراء الصناديق يوزعون الطعام على المتوسلين المتعبين. حتى آهان كف عن التذمر وهو ينهمك في العمل موزعًا الطعام في صمت مهيب. رأته سارين يُعطي حقيبة لمن بدت طفلة صغيرة رغم رأسها الأصلع وشفتيها المتغضنتين بفعل التجاعيد. ابتسمت الفتاة ببراءة تتناقض مع ملامحها ثم أسرعت مبتعدة. توقف آهان للحظة قبل أن يواصل عمله.

قالت سارين لنفسها في ارتياح: *لقد نجح الأمر*. إن كان باستطاعتها أن تؤثر في آهان فربما تتمكن من التأثير في بقية البلاط.

وبينما تعمل سارين لاحظت أن الرجل المسمى سبيريت يقف بالقرب من مؤخرة الحشد، كان يضع يده على ذقنه مفكرًا وهو يتفحصها. إنه يبدو... قلقًا، ولكن لماذا؟ ما الذي يقلق بشأنه؟ عندها حدقت سارين إلى عينيه فعرفت الحقيقة، هذا الرجل ليس تابعًا، بل هو قائد، ولسبب ما يشعر بالحاجة إلى إخفاء هذه الحقيقة عنها.

وهكذا فعلت سارين ما تفعله دومًا عندما تعرف أن شخصًا ما يحاول إخفاء شيء ما عنها. حاولت أن تعرف ما هو هذا الشيء.

***

"هناك شيء غريب حياله يا آش". قالتها سارين وهي تقف خارج القصر وتراقب الخيول تجر عربة الطعام الفارغة بعيدًا. كان من الصعب تصديق أنهم قد وزعوا ثلاث وجبات فقط طوال فترة ما بعد الظهيرة. سيكون الطعام كله قد نفد بحلول ظهيرة الغد، إن لم يكن قد نفد بالفعل.

سألها آش: "من تقصدين يا سيدتي؟". كان قد راقب توزيع الطعام أعلى السور بالقرب من المكان الذي كان آيادون واقفًا فيه، لقد أراد أن يصطحبها بالطبع، ولكنها منعته. إن السيون هو مصدرها الأساسي للمعلومات بشأن إيلانتريس وزعمائها، ولم ترغب في أن تجعل العلاقة بينهما واضحة للغاية.

قالت سارين: "ذلك المرشد". ثم استدارت وبدأت تمشي عبر المدخل العريض لقصر الملك، الذي تتراص المنسوجات الجدارية على جانبيه، إن آيادون يحب المنسوجات بإفراط لا يتناسب مع ذائقتها.

"الرجل الذي يسمونه سبيريت؟".

أومأت سارين برأسها وقالت: "إنه يتظاهر بأنه ينفذ أوامر الآخرين، ولكنه لم يكن خادمًا. كان آندين يختلس النظر إليه أثناء تفاوضنا، كأنما يبحث عن تأكيد. هل تعتقد أننا ربما أخطأنا في معرفة أسماء الزعماء؟".

قال آش معترفًا: "هذا محتمل يا سيدتي، ولكن الإيلانتريين الذين تحدثت معهم بدوا متيقنين للغاية، إن كاراتا وآندين وشايور أسماء قد سمعتها عشرات المرات، ولم يذكر أحد رجلًا اسمه سبيريت".

سألته سارين: "هل تحدثت مع هؤلاء الناس مؤخرًا؟".

قال آش: "مؤخرًا كنت أركز جهودي على الحرس". ثم مال جانبًا ليتفادى ساعيًا يندفع لتجاوزه. يميل الناس إلى تجاهل السيونات بمستوى من اللامبالاة من شأنه أن يسيء إلى أي بشري. ولكن آش يتقبل الأمر دون شكوى، ودون حتى أن يقطع حديثه.

"كان الإيلانتريون مترددين في منح أي شيء أكثر من الأسماء يا سيدتي، ولكن الحرس يعبرون عن آرائهم بحرية أكثر، ليس لديهم الكثير ليفعلوه طوال اليوم، إلى جانب حراسة المدينة، لقد وضعت ملاحظاتهم جنبًا إلى جنب مع الأسماء التي جمعتها وأخبرتك بالنتيجة".

صمتت سارين للحظة وهي تتكئ إلى عمود رخامي ثم قالت: "إنه يُخفي شيئًا ما".

تمتم آش: "رَبَّاه! ألا تعتقدين يا سيدتي أنك تحملين نفسك ما يفوق طاقتها؟ لقد قررتِ أن تواجهي الجيورن، وأن تحرري نسوة البلاط من الاضطهاد الذكوري، وأن تنقذي اقتصاد أريلون، وأن تطعمي إيلانتريس. ربما من الأفضل ألا تحاولي كشف حيلة هذا الرجل".

قالت سارين: "أنت محق، أنا مشغولة للغاية على أن أتعامل مع سبيريت، لهذا ستذهب أنت وتكتشف ما الذي يخطط له".

تنهد آش.

قالت سارين: "عُد إلى المدينة. لن تكون مضطرًّا لأن تتوغل كثيرًا فيها، فالكثير من الإيلانتريين يتسكعون بالقرب من البوابة. اسألهم عن سبيريت، ولترَ إن كان بمقدورك أن تكتشف شيئًا عن التحالف ما بين كاراتا وآندين".

"أمرك يا سيدتي".

قالت سارين: "بدأت أتساءل إن كنت قد أسأت الحكم على إيلانتريس".

قال آش: "لا أعرف يا سيدتي، إنه مكان همجي للغاية، لقد شاهدت بنفسي العديد من الفظائع الوحشية، ورأيت آثار العديد من الفظائع الأخرى، جميع من في المدينة يحمل جرحًا من نوع ما، وأخمن من أصوات أنينهم أن العديد من الإصابات خطيرة. لا شك أن القتال شائع بينهم".

أومأت سارين برأسها في شرود، ولكنها لم تستطع منع نفسها من التفكير في سبيريت، وكم بدا غير همجي بوضوح. لقد استطاع أن يجعل اللوردات يشعرون بالارتياح، وكان يتحدث معهم بلطف، كأنه ليس ملعونًا، وكأنهم ليسوا من حبسوه. وجدت نفسها في نهاية اليوم تكاد أن تُعجب به، ولكنها كانت قلقة من أنه يتلاعب بها.

لذا ظلت غير مبالية، بل وحتى صارمة تجاه سبيريت، وهي تذكر نفسها أن العديد من القتلة والطغاة قد يبدون ودودين إن أرادوا هذا. ولكن قلبها أخبرها أن هذا الرجل صادق، إنه يخفي أشياء ككل الرجال، ولكنه يريد بصدق أن يساعد إيلانتريس. لسبب ما بدا مهتمًّا على وجه الخصوص برأي سارين فيه.

عندما خرجت سارين من المدخل توجهت ناحية جناحها وهي تبذل جهدًا كبيرًا لكي تقنع نفسها أنها لا تُبالي برأيه فيها.

# الفصل الرابع والعشرون

كان هراثن يشعر بالحرارة داخل دروعه الحمراء الدامية، وهو يقف في ضوء الشمس الساطع. كان يشعر بالمواساة من تيقنه أن مظهره مهيب وهو يقف أعلى السور ودروعه تلمع في الضوء. لم يكن هناك أحد ينظر إليه بالطبع، فقد كانوا جميعًا يراقبون الأميرة التيودية الطويلة وهي توزع الطعام.

إن قرارها بأن تدخل إيلانتريس قد صدم البلدة، وكذلك قرار الملك بأن يمنحها الإذن. كانت أسوار إيلانتريس قد امتلأت باكرًا بالنبلاء والتجار، الذين كانوا محتشدين على طول ممشى السور المفتوح. كانوا قد جاؤوا وعلى وجوههم نظرة رجال يشاهدون قتالًا بين أسماك قرش فيوردية، وهم يميلون من فوق السور ليلقوا أفضل نظرة على ما توقع الكثيرون أنه سيكون كارثة مشوقة. كان الاعتقاد السائد هو أن متوحشي إيلانتريس سيمزقون الأميرة إربًا في غضون الدقائق الأولى من دخولها، قبل أن يلتهموها.

راقب هراثن في استسلام بينما وحوش إيلانتريس يقتربون سلميًّا رافضين أن يلتهموا ولو حارس واحد، ناهيك بالأميرة. رفض شياطينه أن يستعرضوا، وكان باستطاعته أن يرى خيبة الأمل على وجوه المحتشدين. كانت خطوة الأميرة بارعة، حيث محقت شياطين هراثن بضربة واحدة من منجل وحشي اسمه الحقيقة. الآن وقد أثبت الأرستقراطيون لسارين شجاعتهم بدخول إيلانتريس فإن الكبرياء سيجبر الآخرين على أن يحذوا حذوهم. ستتبخر كراهية إيلانتريس لأن الناس لا يمكنهم أن يخافوا مما يشفقون عليه.

بمجرد أن صار من الواضح أنه لن تُلتهم أي أميرة هذا اليوم فقد الناس اهتمامهم ونزلوا من على درجات سلم السور الطويلة في مجموعات صغيرة متواصلة تشعر بعدم الرضا. انضم إليهم

هراثن نازلًا الدرج، ثم توجه ناحية وسط كاي والكنيسة الديريثية. ولكنه بينما يمشي تباطأت عربة إلى جواره، وتعرف هراثن على الآيون الموجود على جانبها؛ آيون ري.

توقفت العربة وانفتح الباب فصعد هراثن إليها ليجلس قبالة الدوق تيلري.

كان من الواضح أن الدوق ليس مسرورًا، فقد قال: "لقد حذرتك من تلك المرأة، الآن لن يكره الناس إيلانتريس أبدًا، وحتى لو لم يكرهوا إيلانتريس فإنهم لن يكرهوا الشو-كوراث".

لوح هراثن بيده وقال: "إن جهود الفتاة عقيمة".

"لا أرى الأمر هكذا".

سأله هراثن: "إلى متى يمكنها الاستمرار في هذا الأمر؟ أسبوع؟ أسبوعين؟ شهر على الأكثر؟ في الوقت الحالي تعد رحلاتها إلى هناك شيئًا جديدًا، ولكن هذا سيتلاشى قريبًا، أشك أن العديد من النبلاء سيكونون مستعدين لمرافقتها في المستقبل، حتى لو حاولت أن تواصل توزيع الطعام".

قال تيلري بإصرار: "لقد وقع ضرر لا يمكن تداركه".

قال هراثن: "بالكاد هناك أي ضرر يا لورد تيلري، لم يمضِ سوى بضعة أسابيع منذ أن وصلت إلى أريلون. صحيح أن المرأة قد سببت لنا بعض المتاعب، ولكن سيثبت أنها مجرد إزعاج بسيط. أنت تعرف -كما أعرف- أن النبلاء متقلبون، كم تعتقد أنه سيمضي من الوقت قبل أن ينسوا زيارتهم لإيلانتريس؟".

لم يبدُ تيلري مقتنعًا.

قال هراثن مجربًا استراتيجية أخرى: "كما أن عملي في إيلانتريس لم يكن سوى جزء بسيط من خطتنا. إن عدم استقرار عرش آيادون، الإحراج الذي سيتعرض له في فترة الضرائب التالية، هو ما يجب أن نركز عليه".

قال تيلري: "لقد أجرى الملك مؤخرًا بعض التعاقدات الجديدة مع تيود".

قال هراثن بلا اكتراث: "لن تكون كافية لتعويض خسائره، لقد أُصيبت حالته المالية بالشلل، لن يقف النبلاء في صف ملك يصر على أنهم يجب أن يحافظوا على مستوى ثرائهم في حين أنه لا يلتزم بما يُلزمهم به.

قُريبًا يمكننا أن نبدأ في نشر شائعات عن ظروف الملك الحرجة. معظم النبلاء رفيعي المستوى هم تجار في الوقت ذاته، ولديهم طرق لاكتشاف مستوى أداء منافسيهم، سيكتشفون مدى الضرر الذي لحق بآيادون وسيبدؤون في التذمر".

قال تيلري: "التذمر لن يضعني على العرش".

قال هراثن: "ستُفاجئك النتيجة، كما أننا في الوقت ذاته سنبدأ في الإيحاء بأنك إن اعتليت العرش فستجلب إلى أريلون معاهدة تجارية مع الشرق تدر أرباحًا طائلة. يُمكنني تزويدك بالوثائق اللازمة، سيكون هناك من المال ما يكفي الجميع، وهذا شيء لم يكن آيادون قادرًا على توفيره، يعرف شعبك أن هذا البلد على حافة الإفلاس المالي. يُمكن لفيوردن أن تنجيكم من الأمر".

أومأ تيلري برأسه ببطء. قال هراثن لنفسه وهو يتنهد في أعماقه: *أجل، هذا شيء يُمكنك أن تفهمه، أليس كذلك يا تليري؟ إن لم يكن بمقدورنا أن نبدل دين النبلاء فيمكننا دومًا أن نشتريهم.*

لم تكن هذه الاستراتيجية أكيدة كما يشير هراثن، ولكن هذا التفسير سينجح مع تيلري بينما هراثن ينسج خططًا أخرى. ما إن يصير من المعروف أن الملك مفلس وتيلري غني فإن

https://t.me/fantazynov

الآخرين... سيمارسون بعض الضغوط على الحكومة، مما سيجعل انتقال السلطة سهلًا، حتى وإن كان مفاجئًا.

لقد تصدت الأميرة للمؤامرة الخاطئة، سينهار عرش آيادون حتى لو وزَّعت الطعام على الإيلانتريين معتقدة أنها قد أحبطت مخطط هراثن.

فجأة قال تيلري: "أحذرك يا هراثن، لا تفترض أنني بيدق ديريثي، أنا أوافقك على خططك لأنك كنت قادرًا على منحي الثروة التي وعدتني بها، ولكني لن أقف مكتوف اليدين وأتركك تدفعني في أي اتجاه تريده".

قال هراثن بسلاسة: "لم أكن حتى لأحلم بهذا يا صاحب الجلالة".

أومأ تيلري برأسه، ثم أمر الحوذي بأن يوقف العربة. لم يكونوا قد قطعوا حتى نصف الطريق إلى الكنيسة الديريثية.

قال تيلري باستخفاف وهو يشير إلى شارع جانبي: "إن قصري من هذا الاتجاه، يُمكنك أن تمشي بقية الطريق إلى كنيستك".

جز هراثن على أسنانه، يومًا ما سيتعلم هذا الرجل الطريقة اللائقة لاحترام أصحاب السلطة الديريثيين. ولكن في هذه اللحظة اكتفى هراثن بأن ترجل عن العربة.

وبالتفكير في الصحبة التي كان يحظى بها فإنه يفضل المشي على أي حال.

***

قال أحد الكهنة الديريثيين: "لم أرَ مثل هذه الاستجابة من قبل في أريلون".

قال رفيقه: "أتفق معك، لقد خدمت الإمبراطورية في كاي لأكثر من عشر سنوات، ولم يعتنق الدين إلا بضعة أشخاص كل عام".

كان هراثن يتجاوز الكاهنين وهو يدخل الكنيسة الديريثية، كانا كاهنين صغيرين، لا يثيران اهتمامه، ولكنه لاحظهما فقط بسبب ديلاف.

قال ديلاف موافقًا: "لقد مضى وقت طويل، ولكني أتذكر مرة كان فيها موجة كبيرة من اعتناق الدين في أريلون بعد أن اعتدى القرصان دريوك كاسر الحناجر على تيود".

عقد هراثن حاجبيه، لقد أزعجه شيء ما في تعليق ديلاف، أجبر نفسه على مواصلة السير ولكنه اختلس نظرة وراءه ناحية الأرتيث. لقد هجم دريوك كاسر الحناجر على تيود قبل خمسة عشر عامًا. من المحتمل أن يتذكر ديلاف شيئًا كهذا من طفولته، ولكن هل سيعرف بشأن معدل اعتناق الدين في أريلون؟

افترض هراثن أن الأرتيث في هذه الحالة يجب أن يكون أكبر منه، فاتسعت عيناه وهو يتفحص وجه ديلاف في عقله. كان قد خمَّن أن ديلاف لا يزيد عن خمسة وعشرين عامًا، ولكنه الآن كان قادرًا على ملاحظة بعض التلميحات الدالة على عمره، مجرد تلميحات. إنه على الأرجح واحد من هؤلاء الأشخاص النادرين الذين يبدون أصغر من عمرهم الحقيقي، إن الكاهن الأريلي "الشاب" تظاهر بافتقاره إلى الخبرة، ولكن تخطيطه وتآمره قد كشفا عن مستوى خفي من النضج، إن ديلاف أكثر تمرسًا مما يوهم به الناس.

ولكن ما الذي يعنيه هذا؟ هز هراثن رأسه وهو يدفع الباب ليدلف إلى حجرته، إن نفوذ ديلاف في الكنيسة يتزايد، حتى إن هراثن يجد صعوبة في العثور على كبير أراتثة جديد مناسب ويمكنه أن يقبل المنصب. لقد رفض ثلاثة رجال آخرون المنصب، إن الأمر قد تخطى مرحلة الشك، وصار هراثن متيقنًا من أن ديلاف له يد في الأمر.

قال هراثن لنفسه: *إنه أكبر عمرًا مما افترضت، وكذلك كان له نفوذ على كهنة كاي لوقت طويل.*

زعم ديلاف أن العديد من الأتباع الديريثيين في كاي قد جاؤوا من كنيسته الشخصية في جنوب أريلون، ولكن كم مضى من الوقت منذ قدومه إلى كاي؟ كان فيون كبير الأراتثة عندما جاء ديلاف، ولكن قيادة فيون قد استمرت في المدينة لوقت طويل.

على الأرجح أمضى ديلاف سنوات في المدينة، وعلى الأرجح له علاقة بالكهنة الآخرين، فتعلم التأثير فيهم واكتساب سلطة عليهم طيلة ذلك الوقت. وبالنظر إلى حماس ديلاف للشو-ديريث فإنه بلا شك قد اختار أكثر أراتثة كاي تشددًا ليكونوا شركاءه.

وهؤلاء هم بالضبط الذين سمح لهم هراثن بالبقاء في المدينة عند وصوله، لقد طرد الرجال الأقل إخلاصًا، وكانوا هم من يمكن أن يشعر بالاستياء أو الحذر من الحماس المتطرف لديلاف. لقد قلَّص هراثن أعداد الكنيسة لصالح ديلاف دون أن يُدرك هذا.

جلس هراثن على مكتبه وقد أزعجه هذا الاكتشاف، لا عجب أنه يجد صعوبة في العثور على كبير أراتثة جديد، فالمتبقون يعرفون ديلاف جيدًا؛ ربما يخشون تولي منصب أعلى منه، أو أنهم قد تلقوا رشوة منه لكي يتنحوا جانبًا.

قال هراثن لنفسه في حزم: *من المستحيل أن يكون لديه نفوذ عليهم جميعًا، فقط عليَّ أن أواصل البحث، سيقبل واحد من الكهنة المنصب في نهاية المطاف.*

ورغم ذلك كان قلقًا بشأن براعة ديلاف المدهشة، لقد أحكم الأرتيث قبضتين صارمتين على هراثن، أولًا لا يزال ديلاف يحظى بسلطة على أقوى أتباع هراثن ممن اعتنقوا الدين حديثًا بجعلهم يقسمون له بقسم الأوديف، ثانيًا إن ترأس الأرتيث للكنيسة بشكل غير رسمي يزداد رسوخًا بمرور الوقت. من دون كبير أراتثة، ومع انشغال هراثن معظم الوقت في إلقاء الخطب

أو مقابلة النبلاء، كان ديلاف يستحوذ ببطء على أي سلطة لها علاقة بأعمال الكنيسة اليومية في أريلون.

وعلاوة على كل هذا كان هناك مشكلة أكثر إزعاجًا، شيء لم يرغب هراثن حتى في مواجهته، شيء يمكنه أن يجرده من قوته أكثر من ابتلاء سارين أو مؤامرات ديلاف، يُمكن لهراثن أن يواجه قوتين خارجيتين مثلهما وينتصر عليهما.

ولكن كان تذبذبه الداخلي أمرًا مختلفًا تمامًا.

مد يده إلى مكتبه ليبحث عن كتاب صغير، تذكر أنه قد وضعه في الدرج وهو يفرغ أمتعته، إنه لم ينظر إليه منذ سنوات، ولكن ليس لديه إلا القليل من الممتلكات، لذا لم يشعر أن الكتاب عبء عليه بما يكفي لكي يتخلص منه.

في نهاية المطاف عثر عليه، فراح يقلب في صفحاته العتيقة حتى وجد الصفحة التي يبحث عنها. كان الكتاب يقول: لقد وجدت غاية، من قبل كنت أعيش ولكن لا أعرف لماذا، والآن لدي وجهة، إنها تسبغ المجد على كل شيء أفعله، أنا أخدم إمبراطورية الرب جادث، وخدمتي مرتبطة به مباشرة، أنا مهم.

إن تدرب الكهنة في الإيمان الديريثي يحضهم على تدوين خبراتهم الروحية، ولكن هراثن لم يكن مواظبًا على هذا الأمر. كان سجله الشخصي يحتوي على عدد قليل من التدوينات، بما فيها هذه التجربة التي كتبها بعد أسابيع قليلة من التحاقه بالكهنوت قبل سنوات عديدة، وقبل أن يلتحق بدير داخور مباشرة.

ما الذي حدث لإيمانك يا هراثن؟

إن أسئلة أومين قد شغلت فكر هراثن، لقد سمع الكاهن الكوراثي يهمس في عقله ويطلب منه معرفة ما حدث لمعتقداته، يريد أن يعرف الغرض من تبشيره بالدين. هل صار هراثن عقلانيًّا

محضًا، لا يؤدي واجباته إلا لأنها مألوفة؟ هل صار تبشيره بالدين مجرد تحدٍّ عقلي وليس مهمة روحانية؟

إنه يعرف جزئيًّا أنه يستمتع بالتخطيط والمواجهة والتفكير الذي يتطلبه الأمر لتبديل دين أمة كاملة من الهراطقة. حتى مع تشتيت ديلاف له وجد هراثن أن التحدي المتمثل في أريلون يمنحه الطاقة والحيوية.

ولكن ماذا عن الفتى هراثن؟ ماذا عن الإيمان، الحماس غير العقلاني الذي أحس به ذات يوم؟ إنه بالكاد يتذكر الأمر، لقد مرت هذه المرحلة من حياته بسرعة كبيرة، فتحول الإيمان من شعلة متقدة إلى دفء مريح.

لم أراد هراثن أن ينجح في أريلون؟ من أجل الشهرة؟ إن الرجل الذي سيُدخل أريلون في الدين سيذكره التاريخ لزمن طويل في سجلات الكنيسة الديريثية. هل هي رغبته في أن يكون مطيعًا؟ إنه على أي حال قد تلقى أمرًا مباشرًا من الويرن. هل كان هذا لأنه يعتقد بجدية أن اعتناق الناس الدين سيكون لصالحهم؟ كان قد عقد العزم على أن ينجح في أريلون دون مذبحة كتلك التي تسبب فيها في دولادل. ولكن هل يريد حقًّا إنقاذ الأرواح؟ أم أن هذا لأنه يعرف أن الفتح السلمي أكثر صعوبة وأكثر تحديًا؟ كان قلبه غامض بالنسبة له، كحجرة مليئة بالدخان.

إن ديلاف يستحوذ على السلطة ببطء، هذا في حد ذاته لم يكن مخيفًا كهواجس هراثن؛ ماذا لو كان ديلاف محقًّا في محاولة الإطاحة بهراثن؟ ماذا لو أن أريلون ستكون أفضل حالًا مع وجود ديلاف في السلطة؟ لن يقلق ديلاف من المذبحة التي ستتسبب فيها ثورة دموية، سيعرف أن الناس في نهاية المطاف سيكونون أفضل حالًا في ظل حُكم الشو-ديريث، حتى لو أن إدخالهم الدين قد تطلب مذبحة في بداية الأمر.

إن ديلاف يتحلى بالإيمان، ومقتنع تمامًا بما يفعله، فماذا لدى هراثن؟ إنه لم يعد متيقنًا.

# الفصل الخامس والعشرون

قال رايودن وهو يتأمل تورينا ضئيلة الحجم بعينين متشككتين: "أعتقد أنها قد تحتاج إلى هذا الطعام بقدر ما نحتاج إليه". كانت ابنة آهان قد عقصت شعرها الأحمر الذهبي تحت وشاح واقٍ، وقد ارتدت فستانًا بسيطًا أزرق اللون، على الأرجح اضطرت لأن تستعيره من إحدى خادماتها، بالأخذ في الاعتبار خزانة الملابس الفاخرة لأي امرأة أريلية نبيلة.

قالت سارين آمرة وهي تُعطي رايودن صندوقًا من العربة: "كن لطيفًا معها، إنها المرأة الوحيدة موفورة الشجاعة لكي تأتي إلى هنا، رغم أنها قد وافقت لأنني جعلت شودن يطلب منها هذا، إن أخفت هذه الفتاة فعلى الأرجح لن تأتي أي فتاة أخرى".

قال رايودن وهو ينحني: "سمعًا وطاعة يا سمو الأميرة". يبدو أن أسبوعًا من توزيع الطعام معًا قد خفف من كراهيتها له بعض الشيء، ولكنها لا تزال صارمة. كانت تجيب على تعليقاته، بل تتبادل معه الحديث أحيانًا، ولكنها لم تسمح لنفسها بالتبسط معه.

كان هذا الأسبوع مثيرًا لتوتر رايودن بشكل سريالي، لقد قضى وقته في إيلانتريس وهو يعتاد على كل غريب وجديد، ولكن هذا الأسبوع وجد نفسه يتعرف من جديد على ما هو مألوف. كان الأمر أسوأ بشكل ما، يُمكنه أن يقبل إيلانتريس كمصدر للألم، ولكن من المختلف تمامًا أن يرى أصدقاءه بنفس الطريقة.

كان يشعر بهذا حتى في هذه اللحظة التي يقف فيها شودن إلى جانب الفتاة تورينا، ويده على مرفقها وهو يشجعها على الاقتراب من صف الطعام. كان شودن واحدًا من أعز أصدقاء رايودن، فقد كان يقضي ساعات مع الجيندوي الرصين يتناقشان في آرائهما تجاه مشكلات

أريلون المدنية، ولكن الآن لا يكاد شودن أن يلاحظه. وكان الأمر ذاته مع إيونديل وكين وورويال وحتى لوكل. لقد كانوا من قبل رفقاء الأمير الوسيم رايودن، ولم يكونوا يومًا رفقاء المخلوق الملعون المعروف باسم سبيريت.

ومع ذلك لم يستطع رايودن أن يشعر بالنقمة عليهم، لا يمكنه أن يلومهم لأنهم لم يتعرفوا عليه، فهو لا يكاد يعرف نفسه، بجلده المتغضن وجسده النحيل، حتى صوته كان مختلفًا. بطريقة ما كان تظاهره يؤلمه أكثر من جهل أصدقائه، إنه لا يستطيع أن يخبرهم عن هويته، لأن خبر بقائه على قيد الحياة قد يدمر أريلون. يعرف رايودن جيدًا أن شعبيته تفوق شعبية أبيه، سيكون هناك من يتبعه، سواء كان إيلانتريًّا أم لا، الحرب الأهلية لن تكون في مصلحة أحد، وفي النهاية سيجد رايودن نفسه على الأرجح مقطوعِ الرأس.

لا، يجب عليه أن يبقى مختبئًا، إن معرفة مصيره لن تؤدي إلا لإصابة أصدقائه بالألم والارتباك. ورغم ذلك فإن إخفاء هويته يتطلب اليقظة، لقد تغير وجهه وصوته، ولكن سلوكه لم يتغير. لقد حرص على الابتعاد عن كل شخص يعرفه جيدًا، محاولًا أن يكون مرحًا وودودًا ولكن ليس منفتحًا.

وكان هذا هو أحد الأسباب التي دفعته للانجذاب ناحية سارين، فهي لم تعرفه جيدًا من قبل، لذا يُمكنه أن يكون على سجيته معها. كان هذا اختبارًا ما، كان يشعر بالفضول حيال تفاهمهما معًا كزوجٍ وزوجة دون أن تؤثر على علاقتهما الضرورات السياسية.

بدا أن مشاعره الأولية صحيحة، إنه معجب بها، وما أوحت به الرسائل من قبل أكدته سارين. إنها لم تكن مثل النساء اللائي اعتاد عليهن في البلاط الأريلي، إنها قوية ومثابرة، ولم تطرق بعينيها كلما خاطبها رجل مهما كانت مرتبته نبيلة. كانت تعطي التوجيهات ببساطة، ولم تتظاهر قط بالضعف لتجذب انتباه الرجال.

ومع ذلك كان السادة النبلاء يتبعونها؛ إيونديل وشودن وحتى الدوق رويال، فيذعنوا لحكمها ويستجيبوا لأوامرها كأنها ملك، ولم يكن هناك أي نظرة ضيق في أعينهم أيضًا، إنها توجه الأوامر بلباقة فيستجيبوا بداهة. لم يستطع رايودن منع نفسه من الابتسام في تعجب، لقد احتاج منه الأمر لسنوات لكسب ثقة هؤلاء الرجال، ولكن سارين فعلتها في غضون بضعة أسابيع.

كانت مثيرة للإعجاب في كل سمة من سماتها، فقد كانت ذكية وقوية وجميلة، تمنى فقط لو أنه يقدر على إقناعها بألا تكرهه.

تنهد رايودن ثم عاد إلى العمل، فقد كانت هذه هي المرة الأولى لجميع النبلاء باستثناء شودن، ومعظمهم كانوا من النبلاء الأقل مرتبة وأهمية، ولكن كان هناك بعض الأشخاص المهمين؛ على سبيل المثال كان الدوق تيلري يقف جانبًا وهو يراقب إنزال الحمولة بعينين متكاسلتين. لم يشارك بنفسه ولكنه جلب خادمًا ليحل محله، فمن الواضح أن تيلري يفضل أن يتجنب أي مجهود حقيقي.

هزَّ رايودن رأسه، لم يُبالِ كثيرًا من قبل بهذا الدوق، لقد حاول ذات مرة أن يتقرب إلى الرجل على أمل أن يُقنعه بالانضمام إلى معارضة رايودن للملك، ولكن تيلري اكتفى بأن تثاءب وسأل رايودن كم سيدفع مقابل دعمه ثم ضحك عندما أولاه رايودن ظهره وابتعد عنه. لم يكن رايودن قادرًا على أن يحدد ما إذا كان تيلري قد طرح السؤال بدافع من الجشع الحقيقي، أم أنه ببساطة أراد أن يعرف كيف سيتصرف رايودن تجاه هذا الطلب.

أولى رايودن انتباهه إلى النبلاء الآخرين، وكالعادة كان الوافدون الجدد يقفون في مجموعة صغيرة خائفة حول العربة التي يفرغون حمولتها. الآن جاء دور رايودن، اقترب منهم مبتسمًا وهو يعرفهم بنفسه ويصافحهم، وغالبًا ما يكون هذا رغمًا عنهم. ولكن سرعان ما يبدأ توترهم في التلاشي بعد دقائق قليلة من تبادل الحديث. كانوا قادرين على أن يروا أن واحدًا على الأقل

من الإيلانتريين لن يأكلهم، كما أن الشايود لم يُصب أيًّا من موزعي الطعام الآخرين، لذا يُمكنهم أن يتجاهلوا مخاوفهم حيال الإصابة بالعدوى.

بدأت المجموعة في الاسترخاء مع لطف رايودن ودماثة خلقه. كان قد حمل على عاتقه مهمة استمالة النبلاء، وكان من الواضح منذ اليوم الثاني أن سارين لا تملك نفس التأثير على معظم الأرستقراطيين كتأثيرها على شودن وبقية دائرة رايودن السابقة. إن لم يتدخل رايودن فكان من المحتمل أن تظل المجموعة الثانية متجمدة حول العربة. لم تشكره سارين على جهوده ولكنها أومأت برأسها إيماءة طفيفة، وبعدها صار من المُسلم به أن رايودن سيُساعد كل مجموعة جديدة من النبلاء كما فعل مع تلك المجموعة الثانية.

كان من الغريب بالنسبة له أن يُشارك في الحدث الذي يُدمر كل ما كان يعمل على بنائه في إيلانتريس، ولكن بخلاف تدبير حادث جسيم لم يكن هناك الكثير مما يمكن أن يفعله لإيقاف سارين. بالإضافة إلى هذا كان ماريش وكاراتا يتلقيان سلعًا حيوية نظير "تعاونهما". بعد انتهاء ابتلاء الأرملة سيتعين على رايودن أن يبذل جهدًا كبيرًا ليعيد بناء ما هدمته سارين. ولكن التغلب على هذه الانتكاسات يستحق الجهد الذي سيبذله، هذا بافتراض أنه سينجو لفترة طويلة بالطبع.

هذه الفكرة العابرة جلبت إليه إدراكًا مفاجئًا لآلامه، التي كانت كالعادة تحرق لحمه وتلتهم عزيمته. لم يعد قادرًا على إحصائها، رغم أن كل ألم جديد يجلب معه شعورًا خاصًّا به، اسمًا مبهمًا، إحساسًا متفردًا بالعذاب. حسبما يعرف فإن ألمه يتسارع بشكل أكبر بكثير من ألم أي شخص آخر، إن أقل خدش في ذراعه يبدو كجُرح عميق يمتد من كتفه إلى أصابعه، وكان إبهام قدمه الذي صدمه ذات يوم يتوهج بنيران تحرقه حتى ركبته. أحس كأنما قد مضى عليه في إيلانتريس عام وليس شهرًا واحدًا فقط.

أو ربما لم يكن ألمه أقوى، ربما كان فقط أضعف من الآخرين، في كلتا الحالتين لن يكون قادرًا على التحمل لفترة طويلة. قريبًا سيأتي يوم ما - في غضون شهر أو اثنين - لن يستيقظ فيه من ألمه، وسيضطرون لوضعه في قاعة المبتلين، هناك سيستسلم تمامًا لعذابه.

نحى هذه الأفكار جانبًا وهو يُجبر نفسه على البدء في توزيع الطعام، حاول أن يشتت ذهنه بالعمل، وقد نجح هذا بعض الشيء. ولكن الألم كان لا يزال كامنًا بداخله، كوحش يتربص في الظلال وعيناه الحمراوان تراقبان بجوع نهم.

كان كل إيلانتري يتلقى كيسًا صغيرًا مليئًا بمجموعة متنوعة من الأطعمة الجاهزة، كانت حصص هذا اليوم تُشبه إلى حد كبير حصص الأيام الأخرى، ولكن المُدهش هو أن سارين قد استطاعت أن تجلب بعض ثمار الساورميلون[٣٤] الجيندوي. كانت الثمار الحمراء التي بحجم قبضة اليد تلمع في الصندوق بجانب رايودن متحدية حقيقة أنها ليست في موسمها. وضع ثمرة في كل حقيبة إلى جانب بعض الذرة المطهوة بالبخار وخضروات متنوعة ورغيف خبز صغير. كان الإيلانتريون يقبلون العطايا بامتنان ولكن بجشع، معظمهم كان يهرول مبتعدًا عن العربة بمجرد أن يتلقى وجبته لكي يأكلها في عزلة. لا يستطيعون بعد أن يصدقوا أن أحدًا لن ينتزعها من بين أيديهم.

بينما رايودن يعمل اقترب منه وجه مألوف. كان جالادون يرتدي أسمال إيلانتريس البالية وعباءته الممزقة التي صنعها من بعض الأقمشة المهترئة التي عثروا عليها أثناء تفتيش إيلانتريس. مد الدولادي كيسه، فبدله رايودن بحرص بكيس مليء بخمسة أضعاف الحصة التقليدية، كان ممتلئًا تمامًا حتى إنه من الصعب على إيلانتري ضعيف أن يحمله بيده. تلقى جالادون الكيس وهو يمد ذراعه فأخفى جانب عباءته الكيس عن النظرات العابرة، ثم اختفى عبر الحشد.

---

[٣٤] الساورميلون: فاكهة لذيذة الطعم تنمو في مرتفعات دولادل وجيندو. تتميز بلونها الأحمر وحجمها الصغير.

سيأتي سايولين وماريش وكاراتا أيضًا، وسيتلقى كل واحد منهم كيسًا ككيس جالادون. إنهم يخزنون ما يمكن تخزينه ثم يعطون الباقي إلى الهويد. بعض المبتلين كانوا قادرين على التعرف على الطعام، وكان رايودن يأمل أن تناولهم الطعام بانتظام سيساعدهم على استعادة عقولهم.

حتى الآن لم ينجح الأمر.

***

انغلقت بوابة المدينة بدوي مرتفع، هذا الصوت جعل رايودن يتذكر يومه الأول في رايودن، كان الألم الذي أحس به حينها شعوريًّا فقط، ويبدو ضعيفًا بالمقارنة بما يشعر به الآن، إن كان يفهم حقًّا ما الذي سيواجهه فعلى الأرجح كان سيتكوم على نفسه وينضم إلى الهويد في التو واللحظة.

دار على عقبيه موليًا ظهره للبوابة، كان ماريش وجالادون يقفان في منتصف الباحة، محدقين إلى صناديق عديدة قد تركتها سارين وراءها، تلبية لمطالب كاراتا الأخيرة.

قال رايودن وهو ينضم إلى صديقيه: "أرجوكما قولا لي إنكما قد فكرتما في طريقة لنقل هذه الصناديق". في المرات الأخيرة القليلة انتهى بهم المطاف حاملين الصناديق إلى إيلانتريس الجديدة واحدًا تلو الآخر، وكانت عضلاتهم الإيلانترية الضعيفة تئن مع هذا الجهد.

قال ماريش بفخر: "لقد فكرت في طريقة، وأتمنى أن تنجح".

جلب الرجل القصير لوحًا معدنيًّا رفيعًا من وراء كومة من الركام، كانت جوانبه الأربعة منثنية لأعلى، وثلاثة أحبال مربوطة بمقدمته.

سأله جالادون: "زلاجة؟".

قال ماريش مفسرًا: "لقد دهنت الجانب السفلي منها بالشحم، لم أستطع أن أجد أي عجلات في إيلانترِيس ليست صدئة أو متعفنة، ولكن هذه يجب أن تنجح، إن الوحل في الشوارع سيوفر تشحيمًا كافيًا لمواصلة الحركة".

تنهد جالادون وكان من الواضح أنه يمنع نفسه من قول تعبير ساخر، فبغض النظر عن رداءة زلاجة ماريش، فلن تكون أسوأ من المشي جيئة وذهابًا بين البوابة والكنيسة عشرات المرات.

في الواقع نجحت الزلاجة إلى حد كبير. ولكن في نهاية المطاف تلاشى الشحم مع احتكاك الزلاجة بالأرض وازدادت الشوارع ضيقًا بحيث أصبح من الصعب تفادي أكوام أحجار الرصف المتكسرة. وبالطبع كان جرها في شوارع إيلانتريس الجديدة الخالية من الوحل أكثر صعوبة. ولكن عمومًا اعترفوا جميعًا . حتى جالادون . بأن الزلاجة وفرت عليهم الكثير من الوقت.

قال الدولادي ساخرًا وهم يتوقفون أمام مدخل الكنيسة: "أخيرًا فعل شيئًا مفيدًا".

تظاهر ماريش باللامبالاة ولكن رايودن كان قادرًا على رؤية السعادة في عينيه. رفض جالادون في عناد أن يعترف بعبقرية الرجل الضئيل، ولكنه قد تحجج بأنه لا يريد أن يضخم غرور ماريش، وهو شيء أدرك رايودن أنه مستحيل تقريبًا.

قال رايودن وهو يفتح أول الصناديق: "دعونا نرى ما قررت الأميرة أن تجلبه لنا هذه المرة".

قال جالادون: "فلتحذر من الثعابين".

ضحك رايودن وهو يُلقي بالغطاء أرضًا، كان الصندوق يحتوي على عدة لفَّات من القماش، جميعها برتقالية للغاية بشكل مثير للغثيان.

قال جالادون متجهمًا: "لا شك أن هذا هو أقبح لون رأيته في حياتي يا سول".

قال رايودن مبتسمًا: "أتفق معك".

"ولكنك لا تبدو خائب الأمل كثيرًا".

قال رايودن: "بل أنا مشمئز تمامًا، ولكني أستمتع برؤية الوسائل التي تفكر فيها لإثارة غيظنا".

تنهد جالادون وهو ينتقل إلى الصندوق التالي، بينما رايودن يُمسك طرف القماش ويتفحصه بنظرة متمعنة، كان جالادون محقًّا، إنه لون فاقع للغاية. لقد تحولت الطلبات والبضائع المتبادلة ما بين سارين وزعماء العصابة إلى لعبة من نوع ما، يمضي ماريش وكاراتا ساعات للتفكير في كيفية صياغة مطالبهم، ويبدو أن سارين دومًا ما تجد طريقة لقلب الأمر عليهم.

قال جالادون وهو يهز رأسه ناظرًا إلى الصندوق التالي: "سيعجبك هذا كثيرًا".

"ما هو؟".

قال الرجل الدولادي: "إنه الفولاذ الذي طلبناه". في المرة السابقة طلبوا عشرين لوحًا من الفولاذ، فجلبت لهم سارين عشرين لوحًا معدنيًّا رقيقًا للغاية، حتى إنه يكاد أن يطفو عندما تُلقيه أرضًا. هذه المرة طلبوا الفولاذ بالوزن.

مد جالادون يده إلى الصندوق وأخرج حفنة من المسامير، مسامير منثنية. "لا شك أن هناك الآلاف منها داخل الصندوق".

ضحك رايودن وقال: "حسنًا، أنا واثق أننا سنجد شيئًا لنفعله بها". لحسن الحظ كان إيونيك الحداد واحدًا من الإيلانتريين القلائل الذين ظلوا مخلصين لرايودن.

ألقى جالادون المسامير في الصندوق مرة أخرى ثم هز كتفيه. لم تكن بقية الإمدادات بنفس السوء، لم يكن الطعام طازجًا، ولكن كاراتا كانت قد اشترطت أن يكون صالحًا للأكل. كان

الزيت يُصدر رائحة نفاذة عند حرقه. لم يكن لدى رايودن أدنى فكرة عن المكان الذي قد تعثر فيه الأميرة على شيء كهذا. وكانت السكاكين حادة ولكنها بلا مقابض.

قال رايودن وهو يتفحص الحاويات نفسها: "على الأقل لم تكتشف بعد سبب طلبنا للصناديق الخشبية". كانت الألواح الخشبية قوية ومتينة، وبمجرد تفكيك الصناديق سيكونون قادرين على استخدام الخشب في أغراض متعددة.

قال جالادون وهو يفتش بين كومة من الحبال باحثًا عن طرف حبل ليفكك هذه الفوضى: "لن أكون متفاجئًا إن كانت قد تركت الخشب دون صقل لكي تجرحنا الشظايا. إن كانت هذه المرأة هي قدرك يا سول، إذن فقد أنعم عليك دومي بإرسالك إلى هذا المكان".

قال رايودن وهو يعتدل واقفًا بينما ماريش يبدأ في تصنيف المقتنيات: "إنها ليست بذلك السوء".

قال ماريش: "أعتقد أن هذا الأمر غريب يا سيدي، لِمَ تتمادى إلى هذا الحد فقط لإثارة غيظنا؟ ألا تخشى من أن تُفسد صفقتنا؟".

هز رايودن رأسه وقال: "أعتقد أنها قد خمنت مدى عجزنا يا ماريش، إنها تفي بمطالبنا فقط لأنها لا تريد أن تُخلف وعدها، ولكنها لا تشعر بأنها ملزمة بأن تبقينا سعداء، إنها تعرف أننا لا نستطيع منع الناس من قبول طعامها".

أومأ ماريش برأسه ثم أولى اهتمامه مرة أخرى إلى تصنيف المقتنيات.

قال رايودن: "هيا بنا يا جالادون، علينا أن نأخذ أكياس الطعام إلى الهويد، دعنا نبحث عن كاراتا".

***

بدت إيلانتريس الجديدة خاوية. لقد جمعوا أكثر من مئة شخص قبل وصول سارين، الآن لم يتبقَّ إلا قرابة عشرين باستثناء الأطفال والهويد. كان معظم الذين تبقوا من الوافدين الجدد إلى إيلانتريس، الأشخاص الذين "أنقذهم" رايودن مثل سايولين وماريش. إنهم لم يعرفوا أي حياة أخرى إلا إيلانتريس الجديدة، ولم يكونوا مستعدين لتركها وراءهم، أما الآخرون - هؤلاء الذين جاؤوا إلى إيلانتريس الجديدة بمحض إرادتهم - فكانوا يشعرون بولاء ضعيف تجاه قضية رايودن، لقد رحلوا بمجرد أن عرضت عليهم سارين شيئًا ذا منفعة فورية، معظمهم يصطفون الآن في الشوارع المحيطة بالبوابة في انتظار المنحة التالية.

تأمل جالادون البيوت النظيفة التي صارت خاوية ثم قال: "هذا محزن، كولو؟".

قال رايودن: "أجل. كان هناك أمل في أن ننجح، فقط لو كان لدينا أسبوع آخر".

قال جالادون: "سنعيد بناء كل شيء مرة أخرى يا سول".

"لقد عملنا بجد لنساعدهم على أن يصيروا بشرًا من جديد، والآن قد تخلوا عما تعلموه. إنهم ينتظرون بأفواه مفتوحة، أتساءل إن كانت سارين تُدرك أن أكياس الوجبات الثلاث لا تبقى عادة إلا للحظات، تحاول الأميرة إنهاء الجوع، ولكن الناس يلتهمون طعامها بسرعة كبيرة، حتى إنهم يشعرون بالمرض لبضع ساعات ثم يتضورون جوعًا لبقية اليوم. إن جسد الإيلانتري لا يعمل بنفس الطريقة التي تعمل بها الأجساد الطبيعية".

قال جالادون: "أنت من قال إن الجوع نفسي يا سول، أجسادنا لم تعد بحاجة إلى الطعام، لأن الدور يغذيها".

أومأ رايودن برأسه وقال: "على الأقل لا يجعلهم ينفجرون". كان يخشى أن تناول الكثير من الطعام سيؤدي إلى انفجار أمعاء الإيلانتريين، ولكن لحسن الحظ ما إن تمتلئ معدة الإيلانتري

حتى يبدأ الجهاز الهضمي في العمل، فيبدو أنه لا يزال يستجيب للمحفزات مثل العضلات الإيلانترية.

واصلا السير حتى مرا في النهاية بكاهار وهو ينظف الحائط بفرشاة قد وصلته في الشحنة الأخيرة. كان وجهه ساكنًا ومطمئنًا وبالكاد يبدو أنه لاحظ رحيل مساعديه، ولكنه نظر إلى رايودن وجالادون بعينين ناقدتين.

قال: "لِمَ لم يُبدل سيدي ملابسه؟".

نظر رايودن إلى أسماله الإيلانترية ثم قال: "لم أجد الوقت لهذا بعد يا كاهار".

سأله كاهار في لوم: "بعد كل الجهد الذي بذلته السيدة ماري لتحيك لك ثوبًا لائقًا يا سيدي؟".

قال رايودن مبتسمًا: "حسنًا، هل رأيت كاراتا؟".

"إنها في قاعة المبتلين يا سيدي تزور الهويد".

***

بدل رايودن وجالادون ملابسهما بناءً على طلب عامل النظافة العجوز، قبل أن يمضيا قدمًا للعثور على كاراتا. أحس رايودن بالامتنان بمجرد أن بدل ملابسه، لقد كاد أن ينسى الإحساس الذي ينتاب المرء عندما يرتدي ملابس نظيفة وجديدة، ملابس لا تفوح منها رائحة الوسخ والقمامة، وغير مغطاة بطبقة من الوحل البني. بالطبع لم تكن الألوان محببة للنفس، فقد كانت سارين بارعة في اختياراتها.

تأمل رايودن نفسه في قطعة صغيرة من الفولاذ المصقول، كان قميصه مصبوغًا باللون الأصفر مع أشرطة زرقاء، وسرواله بلون أحمر فاقع، وسترته بلون أخضر مثير للغثيان. عمومًا كان يبدو كطائر استوائي مرتبك. عزاؤه الوحيد هو أن جالادون يبدو أكثر سخافة منه بكثير.

كان الدولادي الضخم أسمر البشرة ينظر إلى ملابسه ذات الألوان الوردية والخضراء الزاهية، وقد ارتسم على وجهه الاستسلام.

قال رايودن ضاحكًا: "لا تعبس هكذا يا جالادون، أليس من المفترض أن الدولاديين مغرمون بالملابس المبهرجة؟".

"هذا ينطبق على الأرستقراطيين، سواء كانوا مواطنين أو جمهوريين. أنا مزارع، واللون الوردي ليس ما أعتبره بالضبط لونًا مناسبًا، كولو؟". ثم نظر إلى رايودن مضيقًا عينيه وقال: "إن قلتَ تعبيرًا واحدًا يُشبهني بثمرة كاثاري[٣٥] فسأنتزع هذه السترة وأشنقك بها".

قهقه رايودن وقال: "يومًا ما سأبحث عن ذلك المعلم الذي أخبرني أن الدولاديين معتدلو المزاج، وسأجبره على أن يقضي أسبوعًا محتجزًا معك يا صديقي".



تنهد جالادون ولكنه أحجم عن الرد.

قال رايودن وهو يشق طريقه خارجًا من الحجرة الخلفية للكنيسة: "هيا بنا". وجد كاراتا جالسة خارج قاعة المبتلين، وهي تُمسك في يدها بإبرة وخيط. كان سايولين جالسًا أمامها وهو يجذب كمه للوراء كاشفًا عن جرح عميق يمتد على طول ذراعه. لم يكن هناك دم يتدفق ولكن اللحم كان داكنًا ومبقعًا. كانت كاراتا تخيط الجرح بكفاءة.

صاح رايودن: "سايولين! ما الذي حدث؟".

أطرق الجندي بعينيه في حرج، لم يبدُ عليه الألم، رغم أن الجرح كان عميقًا حتى إن الرجل العادي كان ليفقد الوعي من الألم وفقدان الدم. "لقد زلت قدمي يا سيدي ونال مني أحدهم".

---

[٣٥] الكاثاري: ثمرة وردية كبيرة الحجم تنمو في هراجن.

تأمل رايودن الجرح في استياء، لم يرحل عنه عدد كبير بين جنود سايولين كبقية الإيلانتريين، فقد كانوا رجالًا صارمين، وليس من السهل أن يتخلوا عن مسؤولية قد كُلفوا بها. ولكن أعدادهم لم تكن كبيرة من البداية، وبالكاد كان هناك رجال كافين لمراقبة الشوارع التي تؤدي من منطقة شايور إلى الباحة. في كل يوم بينما بقية الإيلانتريين يتخمون أنفسهم بطعام سارين كان سايولين ورجاله يقاتلون في صراع مرير لمنع وحوش شايور من اجتياح الباحة. أحيانًا ما يكون هناك صوت عواء مسموع في الأفق.

قال رايودن وهو يراقب كاراتا تخيط الجرح: "أعتذر يا سايولين".

قال الجندي بشجاعة: "لا عليك يا سيدي". ولكن هذا الجرح كان مختلفًا، لقد أصاب الذراع التي يُمسك بها السيف.

بدأ حديثه قائلًا: "سيدي...". ثم أشاح بنظره عن عيني رايودن.

"ما الأمر؟".

"لقد فقدنا رجلًا آخر اليوم، بالكاد تمكنا من صدهم، ولكن الآن بدوني... سنواجه أوقاتًا عصيبة يا سيدي، إن رجالي مقاتلون بارعون، ومجهزون بالعدة والعتاد، ولكننا لن نكون قادرين على الصمود لوقت طويل".

أومأ رايودن برأسه وقال: "سأفكر في شيء ما". أومأ الرجل برأسه في أمل فقال رايودن وهو يشعر بالذنب: "كيف أُصبت بجرح كهذا يا سايولين؟ لم أرَ رجال شايور يستخدمون سلاحًا سوى العصي والحجار".

قال سايولين: "لقد تغيروا يا سيدي، بعضهم يحمل سيوفًا الآن، وكلما سقط واحد من رجالي أخذوا سلاحه منه".

رفع رايودن حاجبيه في دهشة وقال: "حقًّا؟".

"أجل يا سيدي، هل الأمر مهم؟".

"مهم للغاية، إنه يعني أن رجال شايور ليسوا وحشيين تمامًا كما يوهموننا، هناك مساحة في عقلهم كافية من أجل التكيف، إنهم يتظاهرون بالهمجية، أو على الأقل إلى حد ما".

قال جالادون ساخرًا: "إنهم بارعون في التظاهر إذن".

قال رايودن: "حسنًا ربما ليس تظاهرًا، إنهم يتصرفون بهذه الطريقة لأن هذا أسهل من التعامل مع الألم، ولكن إن منحناهم خيارًا آخر فقد يقبلونه".

قال سايولين مترددًا: "ربما يمكننا أن نسمح لهم بالدخول إلى الباحة يا سيدي". ثم تأوه وكاراتا تُنهي خياطة الجرح. كانت المرأة بارعة، فقد التقت بزوجها أثناء عملها ممرضة لمجموعة صغيرة من المرتزقة.

قال رايودن: "لا، حتى لو لم يقتلوا بعض النبلاء فإن حرس مدينة إيلانتريس سيذبحونهم".

سأله جالادون ببريق خبيث في عينيه: "أليس هذا ما نريده يا سول؟".

قال رايودن: "بالتأكيد لا، أعتقد أن الأميرة سارين لها هدف آخر وراء ابتلائها هذا. إنها تجلب نبلاء مختلفين معها كل يوم، كأنما تريدهم أن يعتادوا إيلانتريس".

سألته كاراتا متحدثة للمرة الأولى بينما تضع أدوات الحياكة جانبًا: "وفيم سينفعها هذا؟".

قال رايودن: "لا أعرف، ولكن الأمر مهم لها، إن هاجم رجال شايور النبلاء فسيدمرون كل ما تحاول الأميرة تحقيقه. لقد حاولت تحذيرها بأنه ليس كل الإيلانتريين مسالمين مثل الذين

رأتهم، ولكني لا أعتقد أنها تصدقني، سيكون علينا أن نُبقي رجال شايور بعيدًا حتى تنتهي سارين".

سأله جالادون: "ومتى سيكون هذا؟".

أجابه رايودن وهو يهز رأسه: "دومي وحده يعرف، إنها لم تخبرني، فهي تشعر بالريبة في كل مرة أحاول فيها أن أحصل منها على بعض المعلومات".

قال جالادون وهو يتأمل جرح سايولين: "حسنًا يا سول، من الأفضل لك أن تجد طريقة تجعلها تتوقف قريبًا، وإلا فلتجعلها تستعد للتعامل مع عشرات المخابيل المتوحشين، كولو؟".

أومأ رايودن برأسه.

***

نقطة في المنتصف، وخط الأفق يمتد فوقها بضع بوصات، وخط آخر يمتد للأسفل على جانبها الأسفل، آيون آيون، نقطة البداية لكل آيون آخر. واصل رايودن الرسم وهو يحرك أصابعه بدقة وسرعة تاركًا وراءها أثرًا مضيئًا. أكمل الصندوق المركزي ثم رسم دائرتين أكبر حجمًا من حوله، آيون تيا، رمز السفر.

لم يتوقف رايودن عند هذا أيضًا، لقد رسم خطين طويلين يمتدان من ركني الصندوق؛ أمرًا بألا يؤثر الآيون إلا عليه، ثم أربعة آيونات أصغر حجمًا بالأسفل إلى الجانب؛ لتحديد المسافة الدقيقة التي سيرسله الآيون إليها. سلسلة من الخطوط المتقاطعة بالأعلى تُخبر الآيون لكي ينتظر حتى يسري المفعول، ثم نقرة في المنتصف تشي بأنه مستعد.

كان يرسم كل خط ونقطة بدقة فقد كان الطول والحجم مهمين للغاية من أجل الحسابات. كان لا يزال آيونًا بسيطًا نسبيًا، لا يقترب حتى من آيون الشفاء. المعقد بشكل لا يُصدق.

الذي وصفه الكتاب. ورغم هذا كان رايودن فخورًا بتطور قدرته، لقد استغرق الأمر منه أيامًا لإتقان سلسلة من أربعة آيونات، تُخبر آيون تيا أن يُنقله بدقة مسافةً تُماثل طول جسمه عشر مرات بالضبط.

راقب النمط المتوهج بابتسامة رضا، حتى توهج واختفى، بشكل غير فعال على الإطلاق.

قال جالادون وهو يتكئ على إطار نافذة ويطل داخل الكنيسة: "أنت تتحسن يا سول".

هز رايودن رأسه وقال: "أمامي شوط طويل لأقطعه يا جالادون".

هز جالادون كتفيه، لقد توقف منذ فترة طويلة عن محاولة إقناع رايودن بأن ممارسة الآيوندور عديمة الجدوى، فبغض النظر عما يحدث كان رايودن يقضي بضع ساعات كل يوم يرسم آيوناته.

كان الأمر يريحه، فهو يشعر بأن ألمه يخف عندما يرسم الآيونات، ويشعر بالسكينة في تلك الساعات القليلة أكثر مما كان يشعر به لوقت طويل.

سأل رايودن: "ما أخبار المحاصيل؟".

التفت جالادون لينظر إلى الحديقة وراءه، كانت أعواد الذرة لا تزال قصيرة، بالكاد أطول من مجرد براعم. كان رايودن قادرًا على أن يرى أن سيقانها بدأت في الذبول. شهد الأسبوع الماضي اختفاء معظم عمال جالادون، وتبقى الدولادي وحده للعمل في المزرعة الآخذة في التضاؤل. في كل يوم يذهب للبئر عدة مرات لجلب المياه إلى نباتاته، ولكنه لم يكن قادرًا على حمل الكثير، وكان الماء يتسرب من الدلو الذي أعطته لهم سارين.

قال جالادون: "لن تموت المحاصيل، لا تنسَ أن تجعل كاراتا تطلب بعض الأسمدة في المرة القادمة".

هز رايودن رأسه وقال: "لا يمكننا أن نفعل هذا يا صديقي، يجب ألا يعرف الملك أننا نزرع طعامنا".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "حسنًا أفترض أنه يمكننا أن نطلب بعض الروث بدلًا من ذلك".

"هذا يكشف عن نوايانا أيضًا".

"حسنًا، فلتطلب بعض السمك إذن، فلتزعم أنك اشتهيت الترايك[٣٦] فجأة".

تنهد رايودن وهو يومئ برأسه، كان عليه أن يفكر قليلًا قبل أن يقيم الحديقة وراء بيته، فلم تكن رائحة السمك المتعفن شيئًا يتطلع إليه.

سأله جالادون وهو يميل باسترخاء: "هل تعلمت ذلك الآيون من الكتاب؟ ما الذي يُفترض أن يفعله؟".

سأله رايودن: "آيون تيا؟ إنه آيون الانتقال، قبل الريود كان الآيون قادرًا على أن ينقل شخصًا من إيلانتريس إلى الجانب الآخر من العالم. لقد ذكره الكتاب لأنه واحد من أخطر الآيونات".

"أخطر؟".

"يجب أن تكون دقيقًا للغاية بشأن المسافة التي سيُرسلك إليها. إن أخبرته أن ينقلك مسافة عشر أقدام بالضبط فسيفعل هذا، بغض النظر عن الموجود على بعد عشر أقدام، يمكنك ببساطة أن تتجسد بداخل جدار حجري".

"لقد تعلمت الكثير من الكتاب إذن؟".

---

[٣٦] الترايك: نوع من السمك يعيش في بحر فيوردن.

هز رايودن كتفيه وقال: "بعض الأشياء، معظمها تلميحات". ثم فتح الكتاب على الصفحة التي كان قد وضع علامة عليها وقال: "مثل هذه الحالة، قبل الريود بقرابة عشر سنوات جلب رجل زوجته إلى إيلانتريس لتُعالج من الشلل. ولكن الإيلانتري المُعالج رسم آيون آين بشكل خاطئ بعض الشيء، وبدلًا من أن يختفي الآيون فحسب ومض الحرف وغمر المرأة بضوء أحمر. لقد تركها ببقع سوداء على بشرتها وشعر ضعيف سرعان ما تساقط، أيبدو لك هذا مألوفًا؟".

رفع جالادون حاجبًا.

قال رايودن: "لقد ماتت بعدها بوقت قصير، ألقت بنفسها من فوق مبنى بعد أن صرخت بأن الألم لا يُطاق".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "ما الشيء الخاطئ الذي فعله المعالج؟".

قال رايودن: "لم يكن خطأً بقدر ما كان سهوًا، فقد نسي أحد الخطوط الثلاثة الأساسية، خطأ أحمق، ولكن لم يكن من المفترض أن يكون له مثل هذا التأثير الكارثي". نظر رايودن إلى الصفحة مفكرًا ثم قال: "إن الأمر أشبه بـ...".

"أشبه بماذا يا سول؟".



"حسنًا، الآيون لم يكن مكتملًا، أليس كذلك؟".

"كولو".

قال رايودن: "إذن ربما بدأ الشفاء ولكن لم يستطع أن ينتهي لأن التعليمات لم تكن مكتملة. ماذا لو أن الخطأ قد خلق آيونًا وليدًا، آيونًا يُمكنه أن يصل إلى الدور، ولكن لا يُمكنه أن يوفر ما يكفي من الطاقة لكي يُنهي ما بدأه؟".

"ما الذي تحاول أن تشير إليه يا سول؟".

اتسعت عينا رايودن وقال: "أننا لسنا موتى يا صديقي".

قال جالادون ساخرًا: "بلا نبض ولا تنفس ولا دماء؟ أتفق معك تمامًا".

قال رايودن وحماسه يتزايد: "أنا لا أمزح. ألا يمكنك أن ترى؟ إن أجسادنا عالقة في منتصف عملية تحول من نوع ما. لقد بدأت العملية ولكن شيئًا ما قد أعاق طريقها، تمامًا مثلما حدث أثناء علاج تلك المرأة. لا يزال الدور بداخلنا، ينتظر التوجيه والطاقة لإنهاء ما بدأه".

قال جالادون بتردد: "لست واثقًا من أني أفهمك يا سول".

لم يكن رايودن يُصغي إليه، بل قال: "لهذا لا تتعافى أجسادنا مُطلقًا، الأمر وكأنها محتجزة في نفس اللحظة من الزمن، مجمدة كسمكة في كتلة من الثلج. الألم لا يختفي لأن أجسادنا تعتقد أن الوقت لا يمر، إنها عالقة، تنتظر نهاية تحولها، يتساقط الشعر ولا ينمو شيء جديد ليحل محله، يتحول جلدنا إلى اللون الأسود في البقع التي بدأ منها الشايود، ثم يتوقف عندما تنفد منه القوة".

قال جالادون: "يبدو لي هذا استنتاجًا بعيدًا يا سول".

قال رايودن: "إنه كذلك، ولكني واثق من أنه حقيقي. شيء ما يعيق الدور، يمكنني الشعور بهذا من خلال آيوناتي. الطاقة تحاول المرور ولكن هناك شيئًا في طريقها، كأنما نمطي الآيون غير متطابقين". ثم نظر إلى صديقه وأكمل: "نحن لسنا موتى يا جالادون، نحن لسنا ملعونين، نحن فقط غير مكتملين".

قال جالادون: "عظيم يا سول، عليك الآن فقط أن تعرف السبب".

أومأ رايودن برأسه، لقد ازداد فهمهم للأمر، ولكن لا يزال هناك اللغز الحقيقي؛ سبب سقوط إيلانتريس.

واصل الدولادي حديثه وهو يعتني بنباتاته مرة أخرى: "ولكن أنا مسرور لأن الكتاب قد ساعدك".

أمال رايودن رأسه جانبًا بينما جالادون يمشي مبتعدًا ثم قال: "مهلًا يا جالادون".

التفت إليه الدولادي بنظرة متسائلة على وجهه.

سأله رايودن: "أنت لا تُبالي حقًّا بشأن ما تعلمتُه، أليس كذلك؟ لقد أردتَ فقط أن تعرف إن كان كتابك مفيدًا".

قال جالادون ساخرًا: "ولِمَ قد أُبالي بهذا؟".

قال رايودن: "لا أعرف، ولكنك لطالما كنت حريصًا على حماية مكتبتك، إنك لم تخبر أي شخص عنها، كما أنك لم تعد تذهب إليها بنفسك، ما المقدس بشأن ذلك المكان وكتبه؟".

هز الدولادي كتفيه وقال: "لا شيء، أنا فقط لا أُريد أن أرى كتبي تتحول إلى أطلال".

سأله رايودن وهو يمشي ناحية النافذة ويتكئ على الإطار: "كيف عثرت على هذا المكان على أي حال؟ تقول إنك لم تأتِ إلى إيلانتريس إلا قبل بضعة أشهر فقط، ورغم هذا تعرف كل طريق وكل زقاق، لقد أخذتني مباشرة إلى بنك شايور، والسوق ليس المكان الذي يُمكن أن تستكشفه ببساطة".

كان الدولادي يزداد توترًا مع حديث رايودن، وأخيرًا تمتم قائلًا: "ألا يُمكن للمرء أن يحتفظ بشيء لنفسه يا رايودن؟ هل يجب عليك أن تجبرني على الإفصاح عن كل شيء؟".

مال رايودن إلى الوراء وقد فاجأته حدة صديقه، فقال متلعثمًا وقد أدرك كيف أن كلماته تحمل اتهامًا: "فلتغفر لي". لم يمنحه جالادون شيئًا إلا الدعم منذ مجيئه، دار رايودن على عقبيه في حرج لكي يترك الدولادي وحده.

قال جالادون بصوت خافت: "كان أبي إيلانتريًّا".

تجمد رايودن في موضعه، وكان باستطاعته أن يرى صديقه يجلس على التربة التي سقاها منذ قليل وهو يحدق إلى عود ذرة صغير.

قال جالادون: "لقد عشت معه حتى صرت كبيرًا بما يكفي لكي أرحل، لطالما اعتقدت أنه من الخطأ أن يعيش دولادي في أريلون، بعيدًا عن قومه وعائلته. أعتقد أنه لهذا اختارني الدور لكي يمنحني نفس اللعنة.

قالوا إن إيلانتريس أكثر مدينة مباركة، ولكن أبي لم يكن سعيدًا قط هنا، أعتقد أنه حتى في الفردوس يكون هناك من يشعرون أن المكان لا يُلائمهم. لقد صار باحثًا، والمكتبة التي أريتك إياها كانت مكتبته، ولكن دولادل لم تترك عقله قط، فقد درس الفلاحة والزراعة رغم أن كليهما كان عديم النفع في إيلانتريس، لِمَ تزرع بينما يُمكنك أن تحول القمامة إلى طعام؟".

تنهد جالادون ثم مد يده ليُمسك بحفنة من التربة بين أصابعه وفركها للحظة قبل أن يتركها تتساقط من جديد.

"عندما أدرك أن أمي تحتضر إلى جوراه ذات صباح تمنى لو أنه درس الشفاء، بعض الأمراض تتفاقم بسرعة كبيرة حتى أن الآيوندور لا يمكنه أن يوقفها. صار أبي الإيلانتري المكتئب الوحيد الذي عرفته، هذا عندما أدركت أخيرًا أنهم ليسوا آلهة، فلا يُمكن لإله أن يشعر بمثل هذه المعاناة، لا يُمكنه أن يعود إلى الديار. كان الإيلانتريون القدامى منفيين كما نحن اليوم، بغض

النظر عن مدى جمالهم. لا يُريد الناس أن يعيشوا مع شيء يفوقهم بكثير، لا يمكنهم أن يتحملوا هذه الإشارة الواضحة على دونيتهم.

كان سعيدًا عندما عدت إلى دولادل، أخبرني أن أصير مزارعًا، لقد تركته إلهًا فقيرًا وحيدًا في مدينة مقدسة وهو لا يتمنى شيئًا إلا الحرية لأن يصير رجلًا بسيطًا مرة أخرى. مات بعد قرابة عام من رحيلي، هل تعلم أن الإيلانتريين يمكنهم أن يموتوا من أشياء بسيطة مثل النوبة القلبية؟ يمكنهم أن يعيشوا أطول من الأشخاص العاديين، ومع ذلك يمكنهم أن يموتوا، وخصوصًا إن أرادوا هذا. كان أبي يعرف أعراض النوبة القلبية، كان من الممكن أن يذهب للشفاء، لكنه اختار أن يبقى في مكتبته، وأن يختفي، تمامًا مثل هذه الآيونات التي تمضي وقتًا طويلًا في رسمها".

سأله رايودن: "لهذا تكره إيلانتريس؟". تخطى النافذة المفتوحة ليقترب من صديقه، ثم جلس ليراقب النبتة الصغيرة مثله.

سأله جالادون: "أكره؟ لا، أنا لا أكره. هذه ليست طريقة الدولاديين. إن ترعرعي في إيلانتريس مع أب ناقم جعلني دولاديًّا سيئًا، لقد أدركت هذا بنفسك، أنا لا يُمكنني أن أتحمل بعض الأشياء التي قد يتحملها قومي ببساطة. أنا أرى دنسًا على كل شيء، كالوحل الذي يُغطي إيلانتريس. كان الدولاديون الآخرون يتجنبونني بسبب سلوكي، وكدت أن أشعر بالسعادة عندما أصابني الشايود. لم أشعر بالانتماء في دولادل، بغض النظر عن استمتاعي بالزراعة هناك، أنا أستحق هذه المدينة وهذه المدينة تستحقني، كولو؟".

لم يعرف رايودن كيف يفترض به أن يجيب، فقال: "أعتقد أن أي تعليق متفائل لن يكون مفيدًا كثيرًا في الوقت الحالي".

ابتسم جالادون ابتسامة شاحبة وقال: "بالتأكيد لا، لا يُمكن للمتفائلين مثلك أن يفهموا أن الشخص المكتئب لا يريد منك أن تحاول أن تبهجه، الأمر يصيبني بالغثيان".

قال رايودن: "إذن دعني أقول شيئًا حقيقيًّا يا صديقي، أنا أقدرك، ولا أعرف إن كنت تنتمي إلى هنا، فأنا أشك أن أيًّا منا ينتمي إلى هذا المكان، ولكني أثمن ما تقدمه من مساعدة. إن نجحت إيلانتريس الجديدة فسيكون ذلك لأنك كنت هنا لتمنعني من إلقاء نفسي من فوق أحد المباني".

أخذ جالادون نفسًا عميقًا، لم يكن وجهه مبتهجًا، ولكن كان الامتنان واضحًا فيه. أومأ برأسه ثم اعتدل واقفًا ومد يده إلى رايودن ليساعده على الوقوف.

***

كان رايودن يتقلب بشكل محموم، لم يكن ما ينام عليه يُمكن أن يُسمى فراشًا بالمعنى المتعارف عليه، بل مجرد مجموعة من البطانيات في الحجرة الخلفية بالكنيسة، ولكن لم يكن عدم الارتياح هو ما أبقاه مستيقظًا، كان هناك مشكلة أخرى؛ قلق كامن في أعماق عقله، هناك شيء ما مهم قد فاته مؤخرًا، كان قد اقترب من معرفته باكرًا وكان عقله الواعي يلح عليه ويطالبه بأن يربط بين شيئين.

ولكن ما هذين الشيئين؟ أي دليل بالكاد أدركه عقله يلح عليه؟ بعد نقاشه مع جالادون كان رايودن قد عاد إلى ممارسة رسم الآيونات، ثم خرج في جولة صغيرة ليتفقد المدينة. كان كل شيء هادئًا، وقد توقف رجال شايور عن مهاجمة إيلانتريس الجديدة، وبدلًا من ذلك ركزوا جهودهم على زيارات سارين وما تمثله من غنيمة موعودة أكبر.

قرر أنه شيء له علاقة بمناقشته مع جالادون، شيء له علاقة بالآيونات أو ربما والد جالادون. كيف كان شعور المرء حيال كونه إيلانتريًّا في ذلك الوقت؟ هل يمكن لرجل أن يُصاب

بالاكتئاب داخل تلك الأسوار المذهلة؟ أي رجل يكون قادرًا على صنع عجائب مذهلة ويكون مستعدًّا لمقايضتها بحياة مزارع بسيط؟ لا شك أن الأمر كان جميلًا ذات يوم، جميلًا للغاية...

صرخ رايودن وهو يعتدل جالسًا في بطانيته: "بحق دومي الرحيم!".

بعد بضع ثوانٍ اقتحم سايولين وماريش الباب، كانا قد أعدا فراشيهما في حجرة الكنيسة الرئيسية، ومن ورائهما جاء على الفور جالادون وكاراتا. وجدوا رايودن جالسًا في دهشة وذهول.

سأله جالادون بحذر: "ما الأمر يا سول؟".

اعتدل رايودن واقفًا وخطا خارجًا من الحجرة، فتبعته حاشية مرتبكة. لم يتوقف رايودن إلا لكي يشعل المصباح، ولم تُزعجه الرائحة النفاذة المنبعثة عن زيت سارين ولو قليلًا. كان يخطو عبر الليل متجهة مباشرة نحو قاعة المبتلين.

كان الرجل هناك، لا يزال يتمتم لنفسه كما يفعل الكثير من الهويد حتى أثناء الليل، كان جسده ضئيلًا ومتغضنًا، وجلده مطوي في طيات عديدة، حتى بدا كأن عمره ألف عام. كان صوته يهمس بنفس المانترا.

قال بصوت مبحوح: "جميل للغاية، ذات يوم، جميل للغاية...".

هذا التلميح لم يكن أثناء مناقشته مع جالادون على الإطلاق، بل كان أثناء زيارته القصيرة لتوصيل الطعام إلى الهويد. لقد سمع رايودن تمتمات الرجل عشرات المرات، ولكنه لم يربط بين الشيئين.

وضع رايودن يديه على كتفي الرجل وقال: "ما الذي كان جميلًا للغاية؟".

تمتم الرجل: "جميل...".

قال رايودن متوسلًا: "إن كان هناك أي روح لا تزال في جسدك أيها الرجل العجوز، حتى ولو أدنى شذرة من التفكير العقلاني، أرجوك أخبرني ما الذي تتحدث عنه".

واصل الرجل حديثه وعيناها تحدقان إلى الخواء: "ذات يوم، جميل للغاية...".

رفع رايودن يده وبدأ يرسم أمام وجه الرجل، بالكاد كان قد أنهى آيون رايو، عندما شهق الرجل ومد يده ليضعها على الحرف في منتصف الآيون.

همس الرجل: "كنا ذات يوم شعبًا جميلًا، كان شعري لامعًا وبشرتي تشع بالضوء، والآيونات ترفرف حول أصابعي، كانت جميلة للغاية...".

سمع رايودن العديد من الشهقات المتفاجئة من ورائه ثم اقتربت كاراتا وهي تسأله: "هل تعني أنه طيلة هذا الوقت...؟".

قال رايودن وهو يسند جسد الرجل العجوز النحيل: "عشر سنوات، هذا الرجل كان إيلانتريًّا قبل الريود".

قال ماريش: "مستحيل، لقد مضى وقت طويل".

سأله رايودن: "أي مكان آخر يمكنهم أن يذهبوا إليه؟ نحن جميعًا نعرف أن بعض الإيلانتريين قد نجوا بعد سقوط المدينة والحكومة، لقد كانوا محتجزين في إيلانتريس، ربما أشعل بعضهم النار في أنفسهم، وربما هرب بعض آخر، ولكن البقية ظلوا هنا، لا شك أنهم قد صاروا هويدًا، فقدوا عقولهم وقوتهم بعد بضع سنوات... وظلوا منسيين في الشوارع".

همس جالادون: "عشر سنوات، عشر سنوات من المعاناة".

نظر رايودن إلى عيني الرجل العجوز، كانت الشقوق والتجاعيد تحيط بعينيه، وبدا مذهولًا كأنما قد تلقى ضربة عظيمة، ولكن أسرار الآيوندور مخفية في مكان ما داخل عقل هذا الرجل.

فجأة أمسك الرجل بذراع رايودن بشكل غير محسوس تقريبًا وجسده يرتجف مع هذا المجهود، لم يخرج من بين شفتيه إلا ثلاث كلمات، همس بها في مشقة، بينما عيناه المثقلتان بالألم متعلقتان بوجه رايودن.

"خذني... إلى... الخارج".

سأله رايودن في حيرة: "إلى أين؟ إلى خارج المدينة؟".

"البحيرة".

همس رايودن: "لا أعرف ما الذي تقصده أيها العجوز".

تحركت عينا الرجل لتنظرا إلى الباب.

قال رايودن آمرًا وهو يحمل العجوز: "أحضري هذا الضوء يا كاراتا، تعالَ معنا يا جالادون. ماريش وسايولين، أنتما ستبقيان هنا، لا أُريد أن يستيقظ أي من الآخرين فيجد أننا قد ذهبنا جميعًا".

قال سايولين: "ولكن...". ثم بتر جملته وقد أدرك أنه أمر مباشر.

كانت ليلة مضيئة، فقد كان القمر مكتملًا في قلب السماء، لذا كادوا ألا يحتاجوا إلى المصباح. حمل رايودن الإيلانتري العجوز بعناية، كان من الواضح أن الرجل لم يعد لديه من القوة ما يكفي لرفع ذراعه، لذا كان رايودن يتوقف عند كل تقاطع وينظر في عيني الرجل بحثًا عن أدنى إشارة عن المنعطف الذي يجب أن يسلكوه.

كانوا يتقدمون ببطء، وقد أوشك حلول الصباح عندما وصلوا إلى مبنى متداعٍ في الركن الجنوبي الغربي من إيلانتريس. كان البناء يبدو كأي بناء آخر، رغم أن سقفه كان سليمًا إلى حد كبير.

سأل رايودن جالادون: "هل لديك أي فكرة عما كان عليه هذا المكان؟".

فكر جالادون للحظة وهو يفتش في ذاكرته ثم قال: "أعتقد هذا يا سول، لقد كان مبنى اجتماعات من نوع ما، فقد كان أبي يأتي إلى هنا من آن لآخر، رغم أنه لم يسمح لي قط باصطحابه".

نظرت كاراتا بدهشة إلى جالادون، ولكنها احتفظت بأسئلتها لوقت آخر. حمل رايودن الإيلانتري العجوز إلى داخل المبنى الخاوي، لم يكن به أي ملامح مميزة. تفحص رايودن وجه الرجل، كان ينظر إلى الأرض.

جثا جالادون على ركبتيه، ثم أزال الركام وهو يفتش الأرض، قبل أن يقول: "ثمة آيون هنا".

"أي آيون؟".

قطب رايودن جبينه، إن معنى آيون رايو بسيط، إنه يعني "الروح" أو "الطاقة الروحية"، ومع ذلك لم يذكره كتاب الآيوندور إلا قليلًا، دون أن يشرح التأثير السحري الذي من المفترض أن ينتج عن الآيون.

قال رايودن مقترحًا: "فلتضغط عليه".

تنهد جالادون وقال: "أحاول هذا يا سول، ولا أعتقد أن هذا يُجدي...". بتر الدولادي جملته عندما بدأ قسم من الأرضية في التراجع. صرخ وأسرع إلى الوراء مبتعدًا بينما الكتلة الحجرية الضخمة تغوص بصوت جعجعة مرتفع. تنحنحت كاراتا وهي تشير إلى الآيون الذي ضغطت عليه على الجدار، آيون تاي، الرمز القديم الذي يعني "مفتوح".

قال جالادون وهو يمد رأسه في الفجوة: "يوجد درج سلم هنا يا سول". ثم بدأ في الهبوط فتبعته كاراتا وهي تُمسك بالمصباح، ثم لحق بهما رايودن بعد أن مرر لهما الهويد العجوز.

قال جالادون وهو يتفحص سلسلة التروس التي خفضت الكتلة الحجرية: "آلية عبقرية. كان ماريش ليجن جنونه إن جاء معنا، كولو؟".

قال رايودن وهو يتفحص الجداريات الجميلة: "أنا مهتم أكثر بهذه الجدران". كانت الحجرة مستطيلة وخفيضة، بالكاد يبلغ ارتفاعها ثمانية أقدام، ولكنها كانت مزخرفة بشكل جميل، وبها صف مزدوج من الأعمدة المنحوتة. "فلترفعي المصباح لأعلى".

كانت الجداران مغطاة بأشكال ذات شعر أبيض وبشرة فضية، وكانت الهيئات ثنائية الأبعاد منخرطة في أنشطة مختلفة، بعضهم جاثٍ على ركبتيه أمام آيونات ضخمة، وآخرين يمشون في صفوف برؤوس محنية. كان هناك جو طقوسي حيال هؤلاء الأشخاص.

قال رايودن: "هذا مكان مقدس، معبد من نوع ما".

سألته كاراتا: "ديانة اعتنقها الإيلانتريون؟".

قال رايودن: "لا شك أنهم كانوا يؤمنون بشيء ما، ربما لم يكونوا مقتنعين بألوهيتهم مثل بقية أريلون". ثم ألقى نظرة متسائلة ناحية جالادون.

قال الدولادي: "لم يتحدث أبي قط عن الدين، ولكن هؤلاء القوم كانوا يخفون العديد من الأسرار حتى عن عائلاتهم".

قالت كاراتا: "انظروا هناك". كانت تشير إلى الطرف البعيد من الحجرة المستطيلة، حيث كان الجدار به جدارية واحدة. كانت تصور إهليجًا ضخمًا أزرق اللون، أشبه بالمرآة، وكان هناك إيلانتري يقف في مواجهة الإهليج، باسطًا ذراعيه ومغمضًا عينيه، فبدا وكأنه يحلق ناحية القرص الأزرق. كان بقية الجدار أسود، على الرغم من وجود كرة بيضاء كبيرة على الجانب الآخر من الإهليج.

قال الإيلانتري العجوز بصوت خافت مُلِح: "البحيرة".

قالت كاراتا: "إنها مرسومة بمنظور جانبي. انظرا، إنه يسقط في البحيرة".

أومأ رايودن برأسه؛ لم يكن الإيلانتري الذي في اللوحة يحلق، بل يسقط. وكان الإهليج هو سطح بحيرة، والخطوط على جانبيه تصور شاطئًا.

قال جالادون وهو يميل رأسه إلى الجانب: "يبدو أن الماء كان يعد بوابة من نوع ما".

قال رايودن مُدركًا: "وهو يريد منا أن نُلقي به في الماء. هل رأيت جنازة إيلانتري من قبل يا جالادون؟".



هز الدولادي رأسه وقال: "مُطلقًا".

قال رايودن وهو ينظر إلى عيني الرجل العجوز: "هيا بنا". كانتا تشيران بإلحاح إلى ممر جانبي.

وراء المدخل كان هناك حجرة مدهشة أكثر من الأولى، فرفعت كاراتا المصباح عاليًا بيد مرتجفة.

همس رايودن في حماس: "كتب". وقع الضوء على صفوف وصفوف من أرفف الكتب الممتدة حتى تختفي في الظلمة. تجول الثلاثة في الغرفة الهائلة، وقد غمرهم إحساس لا يُصدق بمرور الزمان. كان الغبار يغطي الأرفف، وتركت أقدامهم آثارًا على الأرض.

سأله جالادون بصوت خافت: "هل لاحظت شيئًا غريبًا حيال هذا المكان يا سول؟".

قالت كاراتا: "لا يوجد وحل".

وافقها جالادون قائلًا: "لا يوجد وحل".

قال رايودن في دهشة: "أنتما محقان". كان قد اعتاد على الشوارع النظيفة في إيلانرتيس الجديدة، حتى إنه كاد أن ينسى قدر المجهود الذي تطلبه تنظيفها.

قال جالادون: "لم أجد مكانًا واحدًا في هذه المدينة لا يغطيه الوحل يا سول، حتى مكتبة أبي كانت مغطاة بالوحل قبل أن أنظفها".

قال رايودن وهو ينظر إلى الجدار الحجري: "هناك شيء آخر، انظرا هناك بالأعلى".

قال جالادون في دهشة: "مصباح؟".

"إن المصابيح مصطفة على الجدران".

سأله الدولادي: "لم لم يستخدموا الآيونات كما كانوا يفعلون في كل مكان آخر؟".

قال رايودن: "لا أعرف. لقد تساءلت عن الشيء ذاته عند المدخل، إن كانوا قادرين على جعل الآيونات تنقلهم مباشرة في جميع أنحاء المدينة، فإنهم بالتأكيد قادرون على أن يرسموا آيونًا ليخفض صخرة".

قال جالادون: "أنت محق".

قالت كاراتا متكهنة وهي تمشي ناحية الجانب الآخر من المكتبة: "لا شك أن الآيوندور كان مُحرمًا هنا لسبب ما".

قال جالادون متسائلًا: "لا آيونات ولا وحل، هل هي مصادفة؟".

قال رايودن وهو يتفحص عيني الرجل العجوز: "ربما". كان يشير بإلحاح إلى باب صغير في الجدار قد نُحت بمشهد مماثل للجدارية التي في الحجرة الأولى.

جذب جالادون الباب ليفتحه كاشفًا عن ممر طويل منحوت في الصخور يبدو وكأنه بلا نهاية. "إلى أين يؤدي هذا الممر بحق الدولوكين؟".

قال رايودن: "إلى الخارج، لقد طلب منا هذا العجوز أن نأخذه إلى خارج إيلانتريس".

خطت كاراتا إلى داخل الممر، وهي تمرر أصابعها على طول الجدار المنحوت بسلاسة. لحق بها رايودن وجالادون وسرعان ما صار الممر شديد الانحدار لأعلى حتى إنهم كانوا مضطرين للتوقف من وقت لآخر لإراحة أجسامهم الإيلانترية الضعيفة، وقد تناوبوا على حمل الرجل العجوز. ثم تحول المنحدر إلى درجات، واستغرق الأمر منهم قرابة الساعة ليصلوا إلى نهاية الممر؛ باب خشبي بسيط غير منحوت وغير مزخرف.

دفع جالادون الباب ليفتحه ثم خطا إلى ضوء الفجر الشاحب وقال في دهشة: "نحن على الجبل".

خطا رايودن ليقف إلى جانب صديقه على منصة منحوتة في جانب الجبل. كان المنحدر وراء المنصة شديد الانحدار، ولكن رايودن كان قادرًا على تمييز تغيرات طفيفة في درجة الانحدار، تساعد على الهبوط لأسفل.

شمال المنحدر كانت مدينة كاي، وإلى الشمال الغربي كانت كتلة إيلانتريس الهائلة المتجانسة.

لم يُدرك من قبل مدى ضخامة إيلانتريس، لقد جعلت كاي تبدو وكأنها قرية، وقد أحاط بإيلانتريس البقايا المهجورة للمدن الخارجية الثلاثة الأخرى، تلك البلدات التي كانت ذات يوم رابضة في ظل المدينة العظيمة. لقد صارت جميعها مهجورة، فبدون سحر إيلانتريس لم يكن هناك طريقة يمكن بها لأريلون أن تدعم مثل هذه التجمعات السكنية الكبيرة، لقد أُجبر قاطنو هذه المدن على الرحيل ليصيروا عمالًا ومزارعين لدى آيادون.

"أعتقد أن صبر صديقك ينفد يا سول".

نظر رايودن إلى الإيلانتري، كانت عينا الرجل تتحركان جيئة وذهابًا في إلحاح مشيرًا إلى ممر متسع يؤدي من المنصة إلى أعلى. تنهد رايودن وقال: "المزيد من التسلق".

قالت كاراتا من أعلى الممر: "ليس كثيرًا، إنه ينتهي هنا فحسب".

أومأ رايودن برأسه ثم تسلق المسافة القصيرة لينضم إلى كاراتا على النتوء الذي يعلو المنصة.

همس الرجل في تعب ورضا: "البحيرة".

عقد رايودن حاجبيه، كانت "البحيرة" بالكاد بعمق عشرة أقدام، أقرب إلى أن تكون بركة، ولكن مياهها كانت زرقاء بلورية، ولم يستطع رايودن أن يرى أي قنوات مياه تؤدي إليها أو تخرج منها.

سأل جالادون: "ماذا سنفعل الآن؟".

قال رايودن مخمنًا: "نضعه بداخلها". ثم بدأ يجثو على ركبتيه ليضع الإيلانتري في البركة. طفا الرجل بضع لحظات في الماء الياقوتي الصافي، ثم أطلق تنهيدة ارتياح سعيدة. أثار الصوت اشتياقًا بداخل رايودن، رغبة غامرة في أن يتحرر من آلامه الجسدية والعقلية. بدا وجه الرجل ناعمًا وعيناه نابضتان بالحياة مرة أخرى.

نظرت العينان إلى رايودن للحظة والامتنان يلمع فيهما ثم تحلل جسد الرجل.

قال جالادون بينما الإيلانتري يذوب كسكر في شاي أدوليس: "في ثانية واحدة تلاشى الرجل، ولم يتبقَّ أدنى شيء من لحمه أو عظمه أو دمائه".

قالت كاراتا: "أنصحك بتوخي الحذر أيها الأمير".

نظر رايودن للأسفل مُدركًا مدى قربه من حافة البركة، كان الألم يصرخ، جسده يرتجف، كأنه يعرف مدى قربه من الراحة، كل ما عليه فعله هو أن يسقط...

اعتدل رايودن واقفًا، وتراجع في عجالة مبتعدًا عن البركة التي تحاول أن تغريه. إنه ليس مستعدًّا بعد، ولن يكون مستعدًّا حتى يُحكم الألم قبضته عليه، ما دام هناك إرادة بداخله فسوف يقاوم.

وضع يده على كتف جالادون وقال: "عندما أنضم إلى الهويد فلتجلبني إلى هنا، لكي لا أعيش بألم".

قال جالادون ساخرًا: "أنت ما زلت حديث العهد بإيلانتريس يا سول، ستنجو لسنوات".

تأجج الألم بداخل رايودن فارتجفت ركبتاه ثم قال: "عليك فقط أن تعدني يا صديقي، أن تقسم لي أنك ستجلبني إلى هنا".

قال جالادون بجدية وقد ارتسم القلق في عينيه: "أقسم لك يا رايودن".

أومأ رايودن برأسه وقال: "هيا بنا، أمامنا رحلة طويلة للعودة إلى المدينة".

# الفصل السادس والعشرون

أُغلقت البوابة بقوة بينما عربة سارين تعود إلى كاي، قالت متسائلة: "هل أنت واثق من أنه القائد؟".

تمايل آش وقال: "كنتِ محقة يا سيدتي، أخبرتني مصادري أن قادة العصابات صاروا شيئًا من الماضي، إنهم جميعًا يمتثلون لهذا الوافد الجديد اللورد سبيريت. إن صعوده إلى السلطة قد حدث منذ وقت قريب، ومعظمهم لم يسمعوا عنه إلا منذ شهر مضى، رغم أن رجلًا يزعم أن اللورد سبيريت وشايور هما الشخص ذاته. تتفق التقارير على أنه قد هزم كلًّا من كاراتا وآندين، ومن الواضح أن المواجهة الثانية قد تضمنت معركة هائلة من نوعٍ ما".

قالت سارين وهي تنقر على وجنتها: "إذن فالشخصان اللذان التقينا بهما كانا مزيفين". كانت تجلس في مؤخرة العربة، لم تكن وسيلة انتقال مناسبة لأميرة، ولكن لم يعرض عليها أي من النبلاء الآخرين توصيلها بعربته الفخمة. كانت تنوي أن تطلب من شودن توصيلها، ولكنه كان قد اختفى، لقد سبقتها إليه الشابة تورينا.

"من الواضح أنهما كذلك يا سيدتي. هل أنتِ غاضبة؟". طرح آش السؤال بحذر، فلم يُخفِ عنها حقيقة أنه لا يزال يعتقد أن انشغالها بسبيريت تشتيت غير ضروري.

"لا، ليس تمامًا، يجب على المرء أن يتوقع شيئًا من الخداع في العمل السياسي". أو هذا ما قالته، فسواء كان هناك ضرورة سياسية أم لا فقد أرادت أن يكون سبيريت صادقًا معها. كانت قد بدأت تثق به وهذا ما أقلقها.

لقد اختار أن يثق بها لسبب ما، فكان مبتهجًا ومرحًا مع الآخرين، ولكن لا يمكن لرجل ألا يُظهر إلا جانبًا متفائلًا فحسب. عندما يتحدث مع سارين يكون أكثر صدقًا، فكانت ترى ألمًا في عينيه، وحزنًا وقلقًا غير مبررين. هذا الرجل يهتم بشأن إيلانتريس، سواء كان زعيم عصابة أم لا.

مثل كل الإيلانتريين كان جثة أكثر منه رجل، جلده شاحب وجاف، وبلا أدنى شعر في رأسه وحاجبيه. كان اشمئزازها منه يتناقص كل يوم بينما تعتاد المدينة. لم تصل إلى مرحلة يمكنها فيها أن ترى جمالًا في الإيلانتريين، ولكنها على الأقل لم تعد تشعر بالغثيان.

رغم ذلك حرصت على أن تنأى بنفسها عن محاولات سبيريت لكسب صداقتها. لقد انخرطت لوقت طويل في السياسة على أن تسمح لنفسها بالانفتاح العاطفي مع خصمها، وهو بالتأكيد خصم مهما كان لطيفًا. إنه يتلاعب بها، ويقدم لها زعماء عصابات مزيفين لتشتيت انتباهها، بينما يُشرف بنفسه على توزيعها للطعام. لم تعد واثقة حتى من أنه يحترم اتفاقيتهما، فحسبما تعرف فإنه غير مسموح لأحد بأن يتلقى الطعام إلا أتباع سبيريت. ربما يبدو متفائلًا للغاية لأنها تساعده من دون قصد في بسط نفوذه على المدينة.

تعثرت العربة في مطب كبير فارتطمت سارين بالأرضية الخشبية، واهتز صندوقان فارغان من أعلى الكومة فكادا أن يسقطا عليها.

تمتمت في تجهم وهي تفرك مؤخرتها: "ذكرني أن أركل شودن في أقرب مرة أراه فيها".

قال آش: "بكل سرور يا سيدتي".

***

لم يكن عليها أن تنتظر لوقت طويل، ولكن لسوء الحظ لم يكن لديها فرصة كبيرة لأن تركله، ربما يمكنها أن تأمر بإعدام شودن إن أرادت، ولكن هذا لن يجعلها تحظى بشعبية كبيرة بين

نساء البلاط. فقد تصادف أن التقيا في يوم من الأيام التي اختارت فيها النساء التدرب على المبارزة، وكان شودن يحضر هذه الاجتماعات رغم أنه نادرًا ما يُشارك فيها، لحسن الحظ استطاع أن يمنع نفسه من ممارسة تمارين التشايشان، كانت النسوة يتوددن إليه دون الحاجة إلى بذل جهد إضافي.

قال إيونديل في استحسان وهو يشاهد مناوشات النساء: "إن مستواهن يتحسن بالفعل". كانت كل واحدة تُمسك بسيف تدريب فولاذي، وزي موحد من نوع ما، بدلة تدريب كتلك التي ترتديها سارين، ولكن يتدلى من الخصر دائرة قماشية قصيرة في محاولة لمحاكاة التنورة. كانت الدائرة القماشية خفيفة وعديمة الجدوى، ولكن جعلت النسوة يشعرن بالارتياح، لذا لم تمانع سارين ارتدائهن لها بغض النظر عن مدى سخافة شكلها من وجهة نظرها.

قالت سارين: "تبدو مندهشًا يا إيونديل، هل كنتَ غير معجب إلى هذا الحد بقدرتي على التعليم؟".

اعتدل المحارب الوقور في وقفته وقال: "لا يا سمو الأميرة، مُطلقًا...".

قال لوكل وهو يربت على رأس سارين بلفافة ورقية مع اقترابه: "إنها تمزح معك يا سيدي، لا يجب أن تجعلها تفلت بهذه الأمور، هذا فقط يشجعها على التمادي".

قالت سارين وهي تنتزع الورقة من لوكل: "ما هذا؟".

قال لوكل: "إنها إيرادات ملكنا العزيز". ثم أخرج ثمرة ساورميلون حمراء زاهية من جيبه وقضمها. لم يخبرها بعد كيف استطاع الحصول على شحنة كاملة من هذه الفاكهة قبل شهر كامل من بدء موسمها، وهي الحقيقة التي كانت تثير غيرة التجار الآخرين بشراسة.

قالت سارين وهي تنظر إلى الأرقام: "هل سينجو؟".

قال لوكل مبتسمًا: "بشق الأنفس، ولكن أرباحه من تيود بالإضافة إلى دخله من الضرائب يجب أن تكون معتبرة بما يكفي لحمايته من الإحراج. تهانئنا يا ابنة العم، لقد أنقذتِ النظام الملكي".

أعادت سارين لف الورقة وهي تقول: "حسنًا، هذا شيء لم يعد علينا أن نقلق كثيرًا بشأنه".

قال لوكل وشيء من العصارة الوردية يسيل على ذقنه: "بل شيئان، فصديقنا العزيز إيدان قد هرب من البلد".

سألته سارين: "ماذا؟".

قال إيونديل: "هذا صحيح يا سيدتي، لقد سمعت الأخبار هذا الصباح، لأن أراضي البارون إيدان تجاور الصدع جنوب أريلون، فقد تسببت الأمطار الأخيرة في حدوث بعض الانهيارات الطينية في حقوله. قرر إيدان تقليص خسائره، وآخر مرة شوهد فيها كان متجهًا إلى دولادل".

أضاف لوكل: "وسرعان ما سيكتشف أن النظام الملكي هناك غير مُعجب إلى حد كبير بالألقاب الأريلية. أعتقد أن إيدان سيصير مزارعًا بارعًا، ألا تريان هذا؟".

قالت سارين بنظرة موبخة: "فلتمسح هذه الابتسامة المتكلفة من على شفتيك، ليس من اللطيف أن نستخف بمصيبة شخص آخر".

قال لوكل: "إن المصائب تأتي بمشيئة دومي".

قالت سارين: "أنت لم تكن تحب إيدان في المقام الأول".

"كان جبانًا مغرورًا، وكان سيخوننا لو واتته الجرأة لفعل هذا. ما الذي يُمكن ألا يحبه فيه المرء؟".
واصل لوكل قضم ثمرته بنظرة راضية عن النفس.

قالت سارين: "يبدو أن شخصًا ما يشعر بالفخر بنفسه هذا المساء".

قال إيونديل: "إنه دومًا ما يكون هكذا بعد أن يعقد صفقة رابحة، سيكون شخصًا لا يُطاق لأسبوع آخر على الأقل".

قال لوكل: "فقط انتظرا حتى تريا سوق أريلون، سأجني الكثير من المال. على أي حال آيادون مشغول بالبحث عن شخص غني ليشتري بارونية إيدان، لذا لا داعي للقلق بشأن أن يزعجكما لبعض الوقت".

أجابته سارين: "أتمنى لو أن باستطاعتي أن أقول لك الشيء ذاته". ثم أولت اهتمامها من جديد إلى تلميذاتها اللاتي لا يزلن يتبارزن. كان إيونديل محقًّا، إن مستواهن يتحسن بالفعل، حتى أكبرهن سنًّا بدين وكأنهن يفضن بالطاقة. رفعت سارين يدها لتجذب انتباههن، فخفت حدة المناوشات.

عندما خيم الصمت على القاعة قالت سارين: "أنتن تبلين بلاءً حسنًا للغاية، أنا منبهرة، بعضكن قد صرن بالفعل أفضل من العديد من النسوة التي عرفتهن في تيود".

أحاطت هالة من الرضا بالنسوة وهن يصغين إلى مديح سارين.

قالت سارين وقد بدأت تقطع القاعة جيئة وذهابًا: "ولكن هناك شيئًا واحدًا يزعجني، كنت أظن أنكن أيتها النسوة تردن أن تثبتن قوتكن، أنكن نافعات فيما هو أهم من تطريز غطاء وسادة من آن لآخر، ولكن حتى الآن واحدة فقط قد أثبتت لي أنها تريد تغيير الوضع في أريلون. أخبريهن بما فعلته اليوم يا تورينا".

شهقت الفتاة النحيفة بصوت خافت عندما ذكرت سارين اسمها، ثم نظرت إلى رفيقاتها بخجل وقالت: "ذهبت معك إلى إيلانتريس؟".

قالت سارين: "هذا صحيح، لقد دعوت كل امرأة في هذه القاعة مرات عديدة، ولكن تورينا وحدها هي من كان لديها الشجاعة لمرافقتي إلى إيلانتريس".

توقفت سارين عن قطع القاعة جيئة وذهابًا لتنظر إلى النسوة المتوترات. لم تكن أي منهن تبادلها النظر، ولا حتى تورينا التي كان يبدو أنها تشعر بالذنب لعلاقتها بالأمر.

"غدًا سأذهب إلى إيلانتريس مرة أخرى، وهذه المرة لن يصطحبني أي رجال إلا الحرس المعتادين، إن كنتن تردن حقًّا أن تثبتن لهذه المدينة أنكن قويات كأزواجكن فستأتين معي".

توقفت سارين في موضعها وهي تنظر إلى النسوة اللاتي رفعن رؤوسهن في توتر لينظرن إليها. سيأتين، سيكن خائفات حد الموت ولكنهن سيأتين.

ابتسمت سارين، ولكن الابتسامة لم تكن صادقة تمامًا، فبينما تقف أمامهن كقائد عسكري يقف أمام جنوده أدركت شيئًا، إنه نفس الأمر يتكرر مرة أخرى.

تمامًا مثل تيود كان بمقدورها أن ترى الاحترام في أعينهن، حتى الملكة صارت تتطلع إلى سارين من أجل أن تنال مشورتها، ولكن رغم احترامهن لها فإنهن لن يقبلنها أبدًا. عندما تدلف سارين إلى حجرة يُخيم عليها الصمت، وعندما تغادر تبدأ المحادثات مرة أخرى. بدا الأمر وكأنهن يعتقدن أن سارين أسمى من مناقشاتهن البسيطة. بجعل نفسها نموذجًا يتطلعن لأن يصرن مثله عزلت سارين نفسها عنهن.

دارت سارين على عقبيها تاركة النسوة لتدريبهن. كان الأمر ذاته مع الرجال؛ شودن وإيونديل يحترمانها، بل ويعدانها صديقة، ولكنهما لن ينظرا إليها بطريقة رومانسية أبدًا. ورغم ما يزعمه شودن من انزعاجه من الألاعيب الغرامية تجاوب مع محاولات تورينا في التودد إليه، ولكنه لم ينظر ولو مرة واحدة إلى سارين. كان إيونديل أكبر من سارين بكثير، ولكن كان باستطاعتها

أن تحس بمشاعره تجاهها؛ الاحترام، الإعجاب، الاستعداد لتلبية مطالبها. لقد بدا الأمر وكأنه لا يُلاحظ حتى أنها امرأة.

تعرف سارين أنها متزوجة الآن، وأنها لا يجب أن تفكر في مثل هذه الأمور، ولكن كان من الصعب عليها أن تعتبر نفسها متزوجة؛ لم يكن هناك أي حفل، ولم تعرف زوجها، كانت تتوق إلى شيء ما، إشارة إلى أن بعض الرجال على الأقل يرونها جذابة، رغم أنها لم تتجاوب قط مع أي محاولات للتودد. لم تكن هذه المسألة مهمة، فرجال أريلون يخشونها بقدر ما يحترمونها.

لقد ترعرعت دون أن تنال أي عاطفة من خارج عائلتها، وبدا أنها ستكمل حياتها على هذا المنوال. على الأقل لديها كين وعائلته، ولكن إن كانت قد جاءت إلى أريلون بحثًا عن القبول فقد فشلت، سيكون عليها أن تقنع بالاحترام.

جاء من ورائها صوت أجش عميق، فالتفتت سارين لتجد أن عمها كين قد انضم إلى لوكل وإيونديل.



سألته: "ما الذي تفعله هنا يا عماه؟".

قال لها: "لقد ذهبت إلى البيت فوجدته خاويًا، وهناك شخص واحد يُمكنه أن يجرؤ على سرقة عائلة رجل بالكامل".

قال لوكل مازحًا: "إنها لم تسرقنا يا أبي، ولكننا سمعنا أنك ستعد حساء الأعشاب الهراجية[37] مرة أخرى".

تأمل كين ابنه المرح للحظة، ثم فرك ذقنه حيث نبتت اللحية ذات يوم وقال: "لقد عقد صفقة رابحة إذن".

[37] الهراجية: نسبة إلى هراجن.

قال إيونديل: "ستدر عليه أرباحًا طائلة".

"فليحمنا دومي". قالها كين متذمرًا وهو يستقر بجسده البدين على كرسي قريب، فجلست سارين إلى جواره.

سألها كين: "هل سمعتِ بشأن أرباح الملك المتوقعة يا إين؟".

"أجل يا عماه".

أومأ كين برأسه وقال: "لم أكن أعتقد أنني سأرى يومًا يشجعني فيه نجاح آيادون. لقد نجحت خطتك لإنقاذه، وحسبما سمعت فإن إيونديل والبقية يتوقعون جني محاصيل نموذجية".

سألته سارين: "لمَ تبدو قلقًا هكذا؟".

"لقد صرتُ عجوزًا يا إين، والعجائز يميلون للقلق، مؤخرًا كنت قلقًا بشأن رحلاتك إلى إيلانتريس، لن يسامحني أبوكِ إن حدث لكِ شيء هناك".

قالت سارين بلا اكتراث: "ليس وكأنه سيسامحك في أي وقت قريب على أي حال".

تنهد كين وقال: "هذه هي الحقيقة". ثم نظر إليها في ريبة وقال: "ما الذي تعرفينه عن هذا الأمر؟".

قالت سارين: "لا شيء، ولكني آمل أنك ستزيح عني غشاوة الجهل".

هز كين رأسه وقال: "بعض الغشاوات من الأفضل ألا نزيحها. كنت أنا وأبوك أكثر حماقة بكثير عندما كنا شابين. قد يكون إيفينتيو ملكًا عظيمًا، ولكنه أخ مثير للشفقة، وأنا لست أفضل منه حالًا".

"ولكن ماذا حدث؟".

"كان بيننا... خلاف".

"خلاف من أي نوع؟".

ضحك كين ضحكته المبحوحة العميقة وقال: "لا يا إين، ليس من السهل التلاعب بي مثلما تفعلين مع الآخرين. سيكون عليك مواصلة التساؤل حيال هذا الأمر. ولا تعبسي هكذا".

قالت سارين وهي تبذل جهدًا لكيلا يبدو صوتها طفوليًا: "أنا لا أعبس مطلقًا". وعندما صار من الواضح أن عمها لن يمنحها المزيد من المعلومات قالت لتغير الموضوع: "هل هناك ممرات سرية في قصر آيادون يا عماه؟".

أجابها قائلًا: "سأكون متفاجئًا كالعذراوات الثلاثة[٣٨] إن لم يكن هناك أي ممرات. إن آيادون هو أكثر شخص أعرفه مصاب بجنون الارتياب. لا شك أن لديه على الأقل عشرة ممرات هروب في ذلك الحصن الذي يسميه بيتًا".

قاومت سارين رغبتها في الإشارة إلى أن بيت كين أشبه بالحصن كبيت الملك. وعندما هدأت محادثتهما التفت كين ليسأل إيونديل عن صفقة الساورميلون الخاصة بلوكل. في نهاية المطاف اعتدلت سارين واقفة وجلبت الساير الخاص بها ثم اقتربت من أرضية التدريب. اتخذت وقفة قتالية وراحت تتحرك في نمط فردي.

راح نصلها يشق الهواء في حركات قد تدربت عليها كثيرًا، حتى صار الأمر رتيبًا، فشرد عقلها. هل آش محق؟ هل تسمح لنفسها بأن تتشتت بإيلانتريس وحاكمها الغامض؟ لا يمكنها أن تسمح لتركيزها بأن يتشتت عن مهامها العظمى، هراثن يُخطط لشيء، ولا يمكن أن يكون تيلري غير مكترث كما يحاول أن يتظاهر. هناك الكثير من الأشياء التي يجب عليها أن تُبقي

---

[٣٨] العذراوات الثلاثة: شخصيات من حكاية شعبية في سيل، معروفة في تيود، وربما في أريلون.

عينيها عليها، ولديها خبرة سياسية كافية لتُدرك أنه من السهل أن يشتت المرء نفسه بالتركيز على مواضيع عديدة في الوقت ذاته.

ومع ذلك كانت تشعر باهتمام متزايد تجاه سبيريت. كان من النادر أن تجد شخصًا يتمتع ببراعة سياسية كافية لجذب انتباهها، ولكنها في أريلون عثرت على اثنين، وبطريقة ما كان سبيريت مثيرًا للاهتمام أكثر حتى من الجيورن، فهي وهراثن صريحان بشأن خصومتهما، أما سبيريت فيتلاعب بها بطريقة ما ويُحبط خطتها بينما في الوقت ذاته يتصرف كأنه صديق عزيز، والأكثر إثارة للقلق أنها لا تكاد تُبالي.

بدلًا من أن يشعر بالغضب عندما تُلبي مطالبه بأشياء عديمة النفع فإنه يبدو مُعجبًا بها، بل إنه قد أثنى على تدبيرها الاقتصادي، مشيرًا إلى أنها بلا شك قد اشترت القماش الذي أرسلته بسعر مخفض، بأخذ لونه في الاعتبار، وقد بدا طيلة الوقت ودودًا وغير مبالٍ بسخريتها.

وقد شعرت أنها تتجاوب مع الأمر. هنالك في قلب المدينة الملعونة يظهر أخيرًا شخص يبدو مستعدًّا لقبولها. تمنت لو أنها قادرة على الضحك على تعليقاته البارعة، والاتفاق مع ملاحظاته، ومشاركته مخاوفه. كلما حاولت أن تكون صدامية أكثر بدا أقل إحساس بالخطر، وقد بدا في الواقع وكأنه يُقدر طبيعتها المتحدية.

قطع حبل أفكارها صوت دايورا الهادئ وهي تقول: "عزيزتي سارين؟". ضربت سارين ضربة أخيرة بسيفها ثم نصبت قامتها وهي في حالة من الدهشة. كان العرق يتصبب على وجهها ويسيل بداخل ياقتها، لم تُدرك أنها صارت تتدرب بحيوية شديدة.

ارتخى جسدها وهي تريح طرف سيفها على الأرض. كان شعر دايورا معقوصًا في كعكعة جميلة، وزيها الرسمي لا يلطخه العرق. كانت المرأة تفعل كل شيء بأناقة، حتى التدريبات.

سألتها دايورا بلطف: "هل ترغبين في الحديث عن الأمر يا عزيزتي؟". كانتا تقفان إلى جانب القاعة، بينما ضربات الأقدام وأزيز النصال تحجب المحادثة عن الآذان المتطفلة.

سألتها سارين في حيرة: "بشأن ماذا؟".

قالت دايورا بنبرة مطمْئنة: "لقد رأيت هذه النظرة من قبل يا طفلتي. إنه لن يكون من نصيبك، ولكنك تُدركين هذا، أليس كذلك؟".

شحب وجه سارين، كيف يُمكنها أن تعرف هذا؟ هل يمكن لهذه المرأة أن تقرأ الأفكار؟ ثم نظرت سارين إلى حيث تنظر عمتها، فأدركت أن دايورا تنظر إلى شودن وتورينا، اللذين كانا يضحكان معًا، بينما الشابة تُري شودن بعض الضربات الأساسية.

قالت دايورا: "لا شك أن الأمر صعب يا سارين، أن تكوني عالقة في زواج بلا أدنى فرصة لتبادل الحب... لن تعرفي زوجك أبدًا، ولن تشعري بالراحة لحبه. ربما في غضون بضع سنوات بعد أن تضمني مكانتك في أريلون يُمكنك أن تسمحي لنفسك بعلاقة... سرية، ولكن هذا سابق لأوانه".

لانت عينا دايورا وهي تراقب شودن يُسقط سيفه بشكل أخرق، ثم ضحك الجيندوي ـ الذي عادة ما يكون متحفظًا ـ على خطئه، تاركًا لنفسه العنان. أكملت دايورا قائلة: "كما أنه من نصيب امرأة أخرى يا صغيرتي".

قالت سارين: "هل تفكرين...؟".

وضعت دايورا يدها على ذراع سارين وضغطت عليها برفق ثم قالت وهي تبتسم: "لقد رأيت النظرة المرتسمة في عينيك طيلة الأيام القليلة الماضية، ورأيت الإحباط أيضًا. إن هذين الشعورين مرتبطان أكثر مما تعتقد القلوب الشابة".

هزت سارين رأسها وقالت ضاحكة: "أؤكد لكِ يا عمتي، ليس لدي أدنى اهتمام باللورد شودن".

قالت دايورا وهي تربت على ذراعها: "بالطبع يا عزيزتي". ثم ابتعدت عنها.

هزت سارين رأسها ثم ذهبت لتحضر مشروبًا. ما هذه "الإشارات" التي تزعم دايورا أنها قد رأتها في عينيها؟ عادة ما تكون النساء دقيقات الملاحظة، فما الذي جعلها تخطئ الحكم بشكل مجحف في هذه الحالة؟ إن سارين معجبة بشودن، ولكن ليس بشكل رومانسي، إنه هادئ للغاية، ومثل إيونديل صارم للغاية بما لا يتناسب مع ذائقتها. كانت سارين تُدرك جيدًا أنها تحتاج إلى رجل يعرف متى يمنحها حريتها، ولكنه في الوقت ذاته لن يسمح لها بأن تُخضعه كما تشاء.

هزت سارين كتفيها ثم نحت افتراضات دايورا الخاطئة عن عقلها وجلست لتفكر في الطريقة التي ستحرف بها آخر مطالب سبيريت وأكثرها تفصيلًا.

# الفصل السابع والعشرون

حدق هراثن إلى الورقة لوقت طويل للغاية، كان تقريرًا عن الحسابات المالية للملك آيادون كما جمعها الجواسيس الديريثيون، لقد تعافى آيادون بطريقة ما من خسارة سفنه وحمولتها، لن يصير تيلري ملكًا.

جلس هراثن أمام مكتبه وهو لا يزال في دروعه التي كان يرتديها عندما دلف إلى الحجرة ووجد الرسالة. كانت الورقة لا تزال ثابتة بين أصابعه المتجمدة. ربما لم يكن الخبر ليصدمه كثيرًا لو لم تكن هناك مخاوف أخرى تواجهه، فلم تكن هذه المرة الأولى في حياته التي يفسد فيها أحدهم مخططاته. ولكن تحت هذه الورقة كانت قائمة الأراتثة المحليين، لقد عرض على كل واحد منهم منصب كبير الأراتثة، وقد قابلوه جميعًا بالرفض. لم يتبقَّ سوى رجل واحد يُمكنه أن يتولى هذا المنصب.

إن تعافي آيادون كان مجرد لبنة أخرى تسقط من الجدار المتداعي الذي يمثل إحساس هراثن بالسيطرة على مجريات الأمور. إن ديلاف يحكم الكنيسة بشكل غير رسمي، إنه لم يعد يُطلع هراثن حتى على نصف الخطب والعظات التي يديرها. هناك نزعة انتقامية في الطريقة التي ينتزع بها ديلاف السيطرة من قبضة هراثن. ربما الأرتيث لا يزال غاضبًا من واقعة السجين الإيلانتري، أو ربما كان ديلاف يوجه غضبه وإحباطه من إضفاء سارين الطابع الإنساني على إيلانتريس ناحية هراثن.

على أي حال كان ديلاف يستحوذ على السلطة ببطء، لا يكاد الأمر يكون محسوسًا ولكن بدا أنه لا مناص منه. يزعم الأرتيث الماكر أن الأمور الإدارية البسيطة "لا تستحق وقت سيدي الهرودن"، وكان هذا الزعم له ما يبرره إلى حد ما، فنادرًا ما يشغل الجيورنات أنفسهم بالأمور

الروتينية في الكنيسة، ولا يُمكن لهراثن أن يفعل كل شيء بنفسه. لقد تدخل ديلاف ليسد الفجوات، وحتى لو لم يستسلم هراثن ويأخذ الخطوة الواضحة؛ أن يعين ديلاف كبير الأراتثة، فإن النتيجة النهائية ستكون واحدة.

إن هراثن يفقد سيطرته على أريلون، النبلاء يذهبون إلى ديلاف بدلًا منه، وبينما لا تزال أعداد المنتمين للديريثية في تزايد إلا أنها لم تكن تتزايد بالسرعة الكافية. لقد أحبطت سارين بشكل ما مؤامرته لوضع تيلري على العرش، وبعد زيارة المدينة لم يعد قاطنو كاي يرون الإيلانتريين شياطين. إن هذا يعد سابقة سيئة لا مثيل لها في سجل أنشطته في أريلون.

وفوق كل هذا يوجد إيمان هراثن المتزعزع. يُدرك هراثن أن هذا ليس الوقت المناسب ليشك في معتقداته، ولكن الإدراك ـ الذي هو نقيض الشعور ـ هو أصل مشكلته، الآن وقد نبتت بذرة الشك في قلبه فلا يُمكنه أن يقتلعها بسهولة.

كان الأمر أكثر من قدرته على التحمل، فجأة أحس أن الحجرة تضيق عليه، كأن السقف والجدران تُطبق عليه لتحطمه تحت وطأة ثقلها. اعتدل هراثن متعثرًا محاولًا أن يهرب فسقط على الأرض الرخامية. لا شيء ينجح، لا شيء يُمكنه أن يساعده.

تأوه وهو يشعر بالألم عندما انغرست أجزاء من دروعه في جلده، اعتدل جالسًا على ركبتيه وبدأ يُصلي، إن هراثن كاهن من الشو-ديريث، ويقضي ساعات في الصلاة كل أسبوع، ولكن تلك الصلوات كانت مختلفة، شكلًا من أشكال التأمل أكثر من التواصل، وسيلة لتنظيم أفكاره. أما هذه المرة فراح يتوسل.

لأول مرة منذ سنوات يجد نفسه يتوسل من أجل العون، حاول هراثن أن يتواصل مع ذلك الإله الذي خدمه لوقت طويل حتى كاد أن ينساه. لقد تنحى الرب جانبًا مع موجة من المنطق والفهم، إله جعله عاجزًا في حياته رغم أنه يسعى إلى تعزيز نفوذه.

لأول مرة يجد هراثن نفسه غير قادر على العمل بمفرده، وأنه بحاجة إلى المساعدة.

لا يعرف كم مضى عليه من الوقت جاثيًا على ركبتيه يصلي بحرارة طالبًا العون والرأفة والرحمة. في النهاية جفل عندما سمع صوت طرقات على الباب أفاقه من انغماسه في صلواته.

قال في وجوم: "فلتدخل".

قال كاهن صغير متدرب وهو يفتح الباب: "أعتذر لإزعاجك يا سيدي، ولكن هذا قد وصل للتو من أجلك". ثم دفع بصندوق صغير إلى داخل الحجرة قبل أن يُغلق الباب.

اعتدل هراثن واقفًا بقدمين مترنحتين. كان الظلام قد حل بالخارج رغم أنه قد بدأ صلواته قبل الظهيرة. هل قضى كل هذا الوقت في التضرع حقًّا؟ بينما لا يزال يشعر ببعض الدوار حمل الصندوق ووضعه على مكتبه، ثم استخدم خنجرًا لكي يفتح الغطاء. كان بداخل الصندوق حامل به أربع قوارير ومغلف بالقش.

وكان هناك رسالة تقول:

*سيدي هراثن، إليك السم الذي طلبته، جميع التأثيرات كما حددتها بالضبط، لن تظهر أي أعراض على الضحية إلا بعد ثماني ساعات من تناول السائل.*

*فورتون، صانع العقاقير والخادم المخلص للوين.*

أمسك هراثن بإحدى القوارير وتأمل محتوياتها الداكنة في عجب. لقد كاد أن ينسى تلك المحادثة مع فورتون التي كانت في وقت متأخر من الليل، وتذكر بشكل مبهم افتراضه بأنه سيضع السم لديلاف. لم يعد من الممكن أن تنجح هذه الخطة، سيحتاج إلى شيء أكثر إثارة.

قلَّب هراثن السم في القارورة للحظة ثم نزع السدادة وتجرع محتوياتها في جرعة واحدة.

# الجزء الثاني

# نداء إيلانتريس





# سيكلا

أوبيلون

مسح جغرافي بحسب أوامر

## الويرن وولفدن الرابع

إمبراطور فيوردن، ونبي الشو-ديريث، وحاكم مملكة جادث المقدسة.

البحر الشمالي
برابرة الوردة؟
تيود
تيوراس
بحر فيوردن
سيراقن
سڤوردن
إيلانتريس
عاصمة الويرن
فيوردن
فيلف
أريلون
فيلاقو
دولادل
جموردسم
جيانت
هراجن
هايكو
هولاقيسي
كيارد
جيندو
جادور
هروفل
صحراء

هذه الخريطة بها أوجه قصور شديدة، خاصة في الشمال الغربي، لكنها أفضل ما استطعت ايجاده في ظل هذه الظروف، مع الأخذ في الاعتبار المكان الذي هجرتموني فيه. — تاز



# الفصل الثامن والعشرون

كان القرار الأصعب هو أن يختار من أين يبدأ القراءة. كانت أرفف الكتب تمتد حتى تختفي عن الأنظار، ويبدو ما تحويه من معلومات بلا نهاية. كان رايودن واثقًا من أن طرف الخيط الذي يحتاج إليه موجود في مكان ما داخل هذا البحر الشاسع من الصفحات، ولكن العثور عليه بدا مهمة شاقة بالفعل.

كانت كاراتا هي من اكتشفت الأمر، فقد وجدت رف كتب خفيضًا بالقرب من جانب الغرفة المقابل للمكتب، مجموعة من قرابة ثلاثين مجلدًا موجودة على الرف تنتظر في الغبار. كانت توضح نظامًا للفهرسة يحتوي على أرقام لها علاقة بأعمدة المكتبة العديدة وصفوفها، وباستخدامها تمكن رايودن من العثور على الكتب المتعلقة بالآيوندور. اختار أقل الكتب تعقيدًا يُمكنه العثور عليه وبدأ العمل.

قصر رايودن المعرفة بوجود المكتبة عليه هو جالادون وكاراتا، لم يخشَ فحسب أن يتكرر ما فعله آندين بغلي الكتب، ولكنه أيضًا أحس بقدسية المبنى. لم يكن مكانًا يجب أن يغزوه زوار لا يقدرونه حق قدره، فيبعثروا الكتب ويعكروا صفو المكان.

أبقوا أمر البركة سرًّا أيضًا، فقدموا لماريش وسايوليون شرحًا مبسطًا. إن الاشتياق الذي أحس به رايودن جعله يُدرك مدى خطورة البركة، هناك جزء منه أراد أن يستسلم لعناقها المميت، وراحة الفناء. إن عرف الناس أن هناك مهربًا سهلًا وغير مؤلم من المعاناة فسيسلكونه دون أدنى تردد، ستخلو المدينة من قاطنيها في غضون بضعة أشهر.

إنَّ تِرْكَهم يفعلون هذا كان خيارًا مطروحًا بالطبع، فبأي حق يمنعهم من أن ينالوا السكينة؟ ورغم هذا أحس رايودن أن الوقت لا يزال مبكرًا على فقدان الأمل في إيلانتريس. في الأسابيع التي سبقت مجيء سارين لتوزيع الطعام كان قد رأى أن إيلانتريس يمكنها أن تنسى ألمها وجوعها، أن الإيلانتريين يمكنهم تجاوز رغباتهم، هناك مهرب لهم غير الفناء.

ولكن بالنسبة له كان الألم يتعاظم بمرور الأيام، إنه يستمد قوته من الدور ويجعله أقرب للاستسلام مع كل هجوم. لحسن الحظ كان لديه الكتب لتشتت انتباهه، كان يقرأها في حالة أشبه بالخِدر والافتنان. وأخيرًا اكتشف التفسيرات البسيطة التي كان يبحث عنها لوقت طويل.

قرأ عن كيفية عمل معادلات الآيون المعقدة، إنَّ رسمَ خط أطول من المطلوب يُمكن أن يكون له تأثيرات جذرية. يمكن أن تبدأ معادلتان من الآيونات بنفس الطريقة، ولكن . مثل صخرتين تتدحرجان على جبل على مسارين مختلفين قليلًا . يمكن أن ينتهي بهما الأمر بفعل شيئين مختلفين تمامًا، وكل هذا بتغيير بضعة خطوط.

بدأ يفهم نظرية الآيوندور. إن الدور تمامًا كما وصفه جالادون؛ مخزون هائل يفوق الحواس الطبيعية، ورغبته الوحيدة هي الهرب. تشرح الكتب أن الدور موجود في مكان مليء بالضغط، ومن ثم فإن الطاقة تشق طريقها عبر أي مخرج ممكن، وتتحرك من منطقة ذات تركيز عالٍ إلى منطقة ذات تركيز منخفض.

ولكن بسبب طبيعة الدور فإنه لا يمكن دخول العالم المادي إلا من خلال بوابات بالحجم والشكل المناسبين، يُمكن للإيلانتريين أن يصنعوا شروخًا باستخدام رسوماتهم، مما يوفر للدور وسيلة للهرب. وهذه الرسومات تحدد الهيئة التي ستتخذها الطاقة عند ظهورها. ولكن إن كان ولو سطر واحد بنسبة خاطئة فلن يتمكن الدور من الدخول، مثل مربع يحاول أن يشق طريقه عبر فتحة دائرية. بعض النظريات تصف هذه العملية بكلمات غير مألوفة مثل "التردد" و"طول

النبض". لم يبدأ رايودن إلا للتو في فهم قدر العبقرية العلمية التي تحويها صفحات المكتبة المتعفنة.

ومع ذلك رغم قراءته الطويلة كان لا يزال غير قادر بشكل مخيب للآمال على أن يكتشف سبب توقف الآيوندور عن العمل، يمكنه فقط أن يخمن أن الدور قد تغير بطريقة ما. ربما الآن بدلًا من كون الدور مربعًا فإنه مثلث، ومهما رسم رايودن آيونات على هيئة مربع فإن الطاقة لا يمكنها أن تمر، ولكنه لم يستطع حتى أن يخمن سبب تغير الدور المفاجئ.

سأل جالادون مقاطعًا أفكار رايودن: "كيف جاء هذا إلى هنا؟". كان الدولادي يشير إلى السيون آين الذي يحوم أعلى أحد الأرفف، وضوؤه يُلقي بالظلال على الكتب.

قال رايودن وهو يراقب آين يدور حول نفسه بضع مرات: "لا أعرف".

"يجب أن أعترف يا سول أن سيونك يصيبني بالقشعريرة".

هز رايودن كتفيه وقال: "كل السيونات المجنونة هكذا".

"أجل، ولكن السيونات الأخرى عادة ما تبقى بعيدة عن البشر". نظر جالادون إلى آين فاقشعر بدنه. لم يعره السيون أدنى اهتمام كالعادة، ولكن بدا أن آين يحب البقاء بالقرب من رايودن.

قال جالادون: "على أي حال سايولين يريد رؤيتك".

أومأ رايودن برأسه ثم أغلق الكتاب واعتدل واقفًا من وراء المكتب الصغير، واحد من المكاتب العديدة الموجودة في الجزء الخلفي من المكتبة. لحق بجالادون عند المدخل فألقى الدولادي نظرة أخيرة متوترة على آين قبل أن يُغلق الباب ليحبس السيون في الظلام.

***

قال رايودن في توتر: "لا أعرف يا سايولين".

قال الجندي: "ليس أمامنا خيار آخر يا سيدي، إن رجالي يعانون إصابات عديدة، من العبث أن نقف في وجه شايور اليوم، إن الرجال الجامحين لن يتوقفوا إلا ليضحكوا علينا قبل أن يشقوا طريقهم وهم يزيحوننا جانبًا".

أومأ رايودن برأسه وتنهد، كان الجندي محقًّا، لا يمكنهم مواصلة صد رجال شايور عن سارين. لقد صار سايولين بارعًا في القتال بيده اليسرى ولكن لم يتبقَّ معه ما يكفي من المحاربين لحماية الباحة، علاوة على هذا يبدو أن رجال شايور يزدادون خطورة وشراسة. يمكنهم أن يشعروا بوجود الطعام في الباحة، وعجزهم عن الوصول إليه قد دفعهم إلى مستوى أعمق من الجنون.

كان رايودن قد جرب ترك الطعام لهم، ولكن هذا لا يلهيهم إلا لفترة قليلة، فيلتهمون الطعام بسرعة ونهم قبل أن يندفعوا أكثر غضبًا من ذي قبل. لا يحركهم إلا هدف واحد يستحوذ على عقولهم؛ الوصول إلى عربات الطعام في الباحة.

قال رايودن لنفسه في إحباط: *ليتني لديَّ الكثير من الجنود!* لقد فقد العديد من رجاله بسبب عطاءات سارين، بينما يبدو أن أعداد رجال شايور لم تتناقص. لقد عرض كل من رايودن وجالادون الانضمام إلى جنود سايولين، ولكن القائد الأشيب رفض الأمر رفضًا قاطعًا.

قال الرجل ذو الأنف المكسور: "الزعماء لا يقاتلون، فأنتما مهمان للغاية".

كان رايودن يعرف أن الرجل محق، فرايودن وجالادون ليسا جنديين، ولن يفعلا شيئًا سوى تشتيت قوات سايولين المدربة بعناية. لم يتبقَّ لديهم إلا القليل من الخيارات، ويبدو أن خطة سايولين هي الأنسب من بين العديد من الخيارات السيئة.

قال رايودن: "حسنًا، فلتفعلها".

قال سايولين وهو ينحني: "حسنًا يا سيدي، سأبدأ في الاستعدادات، لم يتبقَّ إلا بضع دقائق على وصول الأميرة".

صرف رايودن سايولين بإيماءة من رأسه. كانت خطة الجندي هي محاولة يائسة أخيرة لنصب فخ، إن رجال شايور يميلون إلى قطع نفس المسار كل يوم، قبل أن يتفرقوا في محاولة لشق طريقهم إلى الباحة، وقد خطط سايولين لأن يباغتهم عند اقترابهم. كانت خطة خطيرة ولكنها على الأرجح فرصتهم الأخيرة. لا يمكن للجنود أن يواصلوا القتال على هذه الحالة.

قال رايودن: "أفترض أن علينا الذهاب إذن".

أومأ جالادون برأسه، وبينما ينعطفان للسير ناحية الباحة لم يستطع رايودن منع نفسه من أن يشعر بعدم الارتياح تجاه القرار الذي اتخذه، إن فقدوا سايولين فإن الرجال الجامحين سيخترقون الباحة، وإن انتصر سايولين فإن هذا سيعني موت عشرات من الإيلانتريين من الجانبين أو إصابتهم بالإعاقة، أشخاص كان من المفترض أن يكون رايودن قادرًا على حمايتهم.

قال رايودن لنفسه: *في كلتا الحالتين سأكون قد فشلت.*

***

كان باستطاعة سارين أن تعرف أن هناك خطبًا ما، ولكنها لم تكن واثقة من طبيعته. كان سبيريت متوترًا، وقد تلاشت روحه المرحة. لم يكن هذا بسببها، بل بسبب شيء آخر، ربما بعض أعباء القيادة.

أرادت أن تسأله عن الأمر. كانت تباشر روتين توزيع الطعام الذي صار مألوفًا، وقد جعلها قلق سبيريت متوترة. في كل مرة يقترب منها ليأخذ شيئًا من العربة كانت تنظر في عينيه فترى توتره. لم تستطع حمل نفسها على سؤاله عن المشكلة، لقد أمضت وقتًا طويلًا وهي تتظاهر بالصرامة وترفض كل محاولاته للتودد، لقد حبست نفسها في هذه الصورة تمامًا كما كانت تفعل

في تيود. ومثل السابق راحت تلعن نفسها لأنها لم تعرف كيف تهرب من اللامبالاة التي فرضتها على نفسها.

لحسن الحظ لم يشاطرها سبيريت نفس الموانع. عندما اجتمع النبلاء لبدء توزيع الطعام جذب سبيريت سارين جانبًا، ثم ابتعد لمسافة قصيرة عن المجموعة الرئيسية.

نظرت إليه في فضول وسألته: "ما الأمر؟".

ألقى سبيريت نظرة عابرة على مجموعة الرجال النبلاء، والنسوة النبيلات الأقل عددًا، جميعهم ينتظرون مجيء الإيلانتريين لتلقي الطعام. أخيرًا التفت إلى سارين وقال: "شيء ما قد يحدث اليوم".

سألته وهي تعقد حاجبيها: "ما هو؟".

"هل تذكرين عندما أخبرتك أنه ليس كل الإيلانتريين مسالمين مثل الذين رأيتِهم هنا؟".

قالت سارين ببطء: "أجل". *ما هي خدعتك يا سبيريت؟ أي لعبة تحاول أن تلعبها؟* لقد بدا صادقًا وجادًّا، ولكن لم تستطع أن تمنع نفسها من الإحساس بالتخوف من تلاعبه بها.

قال سبيريت: "حسنًا، فقط... فقط كوني مستعدة، وأبقي حراسك بالقرب منك".

عقدت سارين حاجبيها وقد أحست بشعور جديد في عينيه، شيء لم تره من قبل؛ الإحساس بالذنب.

وعندما عادت إلى صف توزيع الطعام، وكلماته المنذرة ترن في عقلها، أحس جزء بداخل سارين بالامتنان فجأة لأنها ظلت متحفظة. إنه يُخفي شيئًا ما عنها، شيئًا خطيرًا. أخبرها حدسها السياسي أن تكون حذرة.

ولكن أيًّا كان ما يتوقعه فإنه لم يأتِ. بحلول الوقت الذي بدأوا فيه توزيع الطعام كان سبيريت قد استرخى إلى حد ما وبدأ يتحدث بمرح. وبدأت سارين تعتقد أنه بالغ في تضخيم أمر لا يستحق الذكر.

ثم بدأ الصياح.

***

سب رايودن وهو يرمي بكيس الطعام عندما سمع العواء، كان الصوت قريبًا... قريبًا للغاية. بعد لحظة رأى سايولين يتعثر للوراء عند مدخل أحد الأزقة. كان الجندي يلوح بسيفه بعنف في مواجهة أربعة خصوم. أحد الرجال الجامحين ضرب بهراوة على ساقي سايولين فسقط الجندي أرضًا.

لقد وصل إليهم رجال شايور.

كانوا يتدفقون من كل زقاق، قرابة خمسة وعشرين رجلًا مجنونًا عاويًا. جفل حرس مدينة إيلانتريس في دهشة وهم ينتفضون من وقفتهم المتكاسلة بالقرب من البوابة، ولكنهم كانوا بطيئين للغاية. لقد انقض رجال شايور على مجموعة من الأرستقراطيين والإيلانتريين وهم يفتحون أفواههم في وحشية.

ثم ظهر إيونديل، لحسن الحظ كان قد اختار أن يصطحب سارين في رحلة هذا اليوم، وكالعادة كان يحمل سيفه، متحديًا العُرف لصالح الإحساس بالأمن. في هذه الحالة كان حذره في موضعه.

لم يكن رجال شايور يتوقعون المقاومة، فتخبطوا أمام الجنرال وهو يضرب بسيفه. كان إيونديل يقاتل بخفة وبراعة رغم سنوات عمره، فقطع رأسي اثنين من الرجال الجامحين بضربة واحدة. كان سيف إيونديل الذي تدعمه عضلاته القوية يقطع اللحم الإيلانتري بسهولة. أبطأت هجماته الرجال الجامحين لوقت كافٍ لكي ينضم الحرس إلى المعركة، فشكلوا صفًّا إلى جانبه.

أدرك النبلاء أخيرًا أنهم في خطر فراحوا يصرخون، لحسن الحظ كانوا على بعد خطوات قليلة من البوابة فهربوا من الفوضى بسهولة. سرعان ما تبقى رايودن وسارين وحدهما، ينظران أحدهما إلى الآخر أثناء المعركة.

سقط أحد أتباع شايور عند أقدامهما، فارتطم بعلبة من العصيدة ليسقطها أرضًا. كانت بطن المخلوق مشقوقة من الخصر وحتى الرقبة، وذراعاه تتحركان بشكل أخرق لتخلطا الهريسة البيضاء مع وحل أحجار الرصف. ارتجفت شفتاه وهو يحدق لأعلى.

قال الرجل المجنون وقد بدأ في ترديد مانترا الهويد: "الطعام. لم نُرد إلا القليل من الطعام. الطعام...".

حدقت سارين إلى المخلوق ثم أخذت خطوة إلى الوراء قبل أن ترفع بصرها وتنظر إلى رايودن بعينين متقدتين بغضب الإحساس بالخيانة.

سألته: "كنت تمنع عنهم الطعام، أليس كذلك؟".

أومأ رايودن برأسه وقال دون أن يلتمس لنفسه العذر: "أجل".

صاحت في غضب: "أيها الطاغية! أيها المستبد متحجر القلب!".

التفت رايودن لينظر إلى رجال شايور اليائسين، إنها محقة بطريقة ما، فقال: "أجل، أنا كذلك".

قطعت سارين خطوة للوراء ولكنها تعثرت في شيء ما، مد رايدون يده ليساعدها، ثم توقف عندما أدرك ما قد تعثرت فيه، كان كيسًا من الطعام، أحد الأكياس المتخمة التي يعدها من أجل الهويد. نظرت سارين لأسفل بدورها وقد بدأت تستوعب الأمر.

قالت سارين في مرارة: "لقد كدت أن أثق فيك". ثم اندفعت ناحية البوابة بينما الجنود يتراجعون. لم يلحق بهم رجال شايور، بل انقضوا على الغنيمة التي تخلى عنها النبلاء.

**تراجع رايودن مبتعدًا عن الطعام، لم يبدُ على رجال شايور أنهم حتى قد لاحظوه وهم يمزقون المؤن المتناثرة ويحشون بها أفواههم بأيدٍ قذرة. راقبهم رايودن بعينين متعبتين، لقد انتهى الأمر، لن يدخل النبلاء إيلانتريس مرة أخرى. ولكن على الأقل لم يُقتل أي منهم.**

**ثم تذكر سايولين فاندفع عبر الباحة لكي يجثو على ركبتيه بجانب صديقه. كان الجندي العجوز يحدق إلى السماء بعنين زائغتين ورأسه يتأرجح جيئة وذهابًا، بينما يتمتم: "خذلت سيدي، خذلت اللورد سبيريت، خذلته، خذلته، خذلته...".**

**تأوه رايودن وهو يحني رأسه في يأس. قال لنفسه في عجز وهو يضم صديقه الذي صار من الهويد: *ما الذي فعلته؟***

**بقي رايودن هناك ضائعًا في ألمه حتى بعدما رحل رجال شايور وقد أخذوا آخر الطعام معهم. في نهاية المطاف أفاق من حزنه على صوت غير متوقع.**

**كانت بوابة إيلانتريس تُفتح مرة أخرى.**

# الفصل التاسع والعشرون

كان صوت آش العميق مفعمًا بالقلق وهو يقول: "هل أنتِ مصابة يا سيدتي؟".

حاولت سارين أن تمسح عينيها ولكن الدموع لم تتوقف عن الانهمار، فقالت من بين نحيبها الخافت: "لا، أنا بخير".

من الواضح أن السيون لم يقتنع، فقد حام حولها ببطء في نصف دائرة بحثًا عن أي علامات خارجية على الإصابة. كانت العربة تندفع بسرعة متجاوزة البيوت والمتاجر في طريقها إلى القصر. أما إيونديل صاحب العربة فقد بقي عند البوابة.

سألها آش بصراحة: "ما الخطب يا سيدتي؟".

قالت سارين وهي تحاول أن تضحك على غبائها من بين دموعها: "كنت محقة يا آش، يجب أن أكون سعيدة، لقد كنت محقة بشأنه طيلة الوقت".

"سبيريت؟".

أومأت سارين ثم أراحت رأسها على ظهر المقعد، وهي تحدق إلى سقف العربة. "كان يمنع الطعام عن الناس، أتمنى لو أنك رأيتهم يا آش، لقد دفعهم جوعهم إلى الجنون. كان جنود سبيريت يصدونهم عن الباحة، ولكنهم قد تضوروا جوعًا بما يكفي لأن يبادلوهم القتال. لا يُمكنني أن أتخيل كيف فعلوا هذا، لم يكن لديهم دروع أو سيوف، بل جوعهم فحسب. إنه لم يحاول حتى أن يُنكر الأمر، بل اكتفى بالوقوف هناك وهو يشاهد مخططاته تنهار، وما اكتنزه من طعام متكوم عند قدميه".

رفعت سارين يديها إلى وجهها لتُمسك برأسها في إحباط وقالت: "لِمَ أنا بمثل هذا الغباء؟".

نبض آش في قلق.

"كنت أعرف ما يفعله، لِمَ يُزعجني كوني محقة؟". أخذت سارين نفسًا عميقًا، ولكنه اختنق في حلقها. كان آش محقًّا، لقد سمحت لنفسها أن تنشغل بسبيريت وإيلانتريس أكثر من اللازم. لقد تركت مشاعرها تتحكم بها، ولم تتصرف بناءً على إحساسها بالريبة.

كانت النتيجة كارثية. لقد تجاوب النبلاء مع بؤس الإيلانتريين وألمهم، والأحكام المسبقة قد ضعفت، والتعاليم الكوراثية التي تحض على الفهم المعتدل قد أثبتت قدرتها على التأثير، ولكن الآن لن يتذكر النبلاء إلا تعرضهم للهجوم. ليس بوسع سارين إلا أن تشكر دومي لأن أيًّا منهم لم يُصب بالأذى.

قاطع أفكار سارين أصوات قعقعة دروع خارج العربة. استعادت سارين رباطة جأشها قدر استطاعتها ثم أطلت برأسها من النافذة لترى ما الذي يُحدث هذه الجلبة. كان طابورًا مزدوجًا من الرجال الذين يرتدون الزرد والجلد فوق ملابس رسمية سوداء وحمراء يمر بجانب عربتها. إنهم حرس آيادون الشخصيون متوجهين ناحية إيلانتريس.

أحست سارين بقشعريرة باردة وهي تشاهد المحاربين متجهمي الوجوه. همست: "آيدوس دومي". كان هناك صرامة في أعين الرجال، إنهم مستعدون للقتل، مستعدون لمذبحة.

***

في البداية حاول الحوذي أن يرفض أمر سارين بالإسراع أكثر، ولكن قلة من الرجال يجدون أنه من السهل رفض أمر أميرة تيودية حازمة. سرعان ما وصلوا إلى القصر فقفزت سارين من العربة دون أن تنتظر أن يُنزل الحوذي الدرج.

كانت شهرتها قد تزايدت بين العاملين في القصر وأدرك معظمهم أن عليهم الابتعاد عن طريقها عندما تسرع عبر الردهات. كان حارسا مكتب آيادون قد صارا معتادين عليها أيضًا، حتى إنهما اكتفيا بأن تنهدا وهما يفتحان الباب من أجلها.

عبس وجه الملك بوضوح عندما دلفت عبر الباب وقال: "أيًّا كان الأمر فعليه أن ينتظر، فلدينا أزمة...".

ضربت سارين براحتي يدها على مكتب آيادون فارتجف الخشب وسقط حامل الأقلام. قالت: "بحق دومي المبارك، ما الذي تعتقد أنك تفعله؟".

احتقن وجه آيادون غضبًا، ثم قال وهو يعتدل واقفًا. "كان هناك هجوم على رجال بلاطي! إن واجبي هو أن أرد".

قالت سارين بحدة: "لا تكلمني عن الواجب يا آيادون، لقد كنت تبحث عن ذريعة لتدمير إيلانتريس طيلة عشر سنوات، ولم يردعك عن هذا سوى خرافات الناس".

سألها بصرامة: "ما الذي ترمين إليه؟".

قالت له: "لن أكون الشخص الذي يمنحك هذا العذر! اسحب رجالك".

قال آيادون ساخرًا: "أنتِ من بين كل الناس أيتها الأميرة يجب أن تكوني ممتنة لسرعة رد فعلي، فأنتِ من تلطخ شرفه بهذا الهجوم".

"أنا قادرة تمامًا على حماية شرفي يا آيادون. هؤلاء الجنود يتحركون في اتجاه يعارض كل ما أنجزتُه طيلة الأسابيع القليلة الماضية".

قال آيادون وهو يُلقي بمجموعة من الأوراق على الطاولة: "لقد كان مشروعًا أحمق على أي حال". تطايرت الورقة الأولى بفعل هذه الحركة فتمكنت سارين من قراءة الأوامر المكتوبة عليها، وكانت كلمتا "إيلانتريس" و"إبادة" بارزتين بشكل صارخ ومنذر بالخطر.

قال الملك: "فلتعودي إلى غرفتك يا سارين، سينتهي هذا الأمر في غضون ساعات".

ولأول مرة تُدرك سارين كيف يبدو مظهرها بلا شك؛ وجهها أحمر ومبلل بالدموع، وفستانها البسيط ملطخ بالعرق ووسخ إيلانتريس، وشعرها الأشعث معقوص إلى الوراء بجديلة قد تفككت.

اختفت هذه اللحظة من عدم الثقة في النفس عندما نظرت إلى الملك ورأت الرضا في عينيه. إنه سيذبح مجموعة كاملة من الأشخاص الجياع العاجزين في إيلانتريس، سيقتل سبيريت، كل هذا بسببها.

قالت سارين بصوت صارم وحاد: "فلتسمعني يا آيادون". نظرت إلى عيني الملك وهي تنصب قامتها البالغة ستة أقدام في مواجهة الرجل القصير. "ستسحب جنودك من إيلانتريس، وستترك أولئك الناس وشأنهم، وإلا فسأخبر الجميع بما أعرفه عنك".

ابتسم آيادون ساخرًا.

"واثق في نفسك يا آيادون؟ أعتقد أن شعورك هذا سيتغير عندما يعرف الجميع حقيقتك. أنت تعرف أنهم يرونك أحمق بالفعل، إنهم يتظاهرون بطاعتك، ولكنك تعرف، تعرف في ذلك الجزء الهامس من قلبك أنهم يسخرون منك في امتثالهم لك. هل تعتقد أنهم لم يسمعوا بخسارتك لسفنك؟ هل تعتقد أنهم لم يضحكوا فيما بينهم على أن ملكهم سرعان ما سيصير فقيرًا كواحد من البارونات؟ أجل، إنهم يعرفون. كيف ستواجههم يا آيادون عندما يعرفون كيف نجوت حقًّا؟

عندما أُريهم كيف أنقذت مصدر دخلك، وكيف منحتك عقودًا مع تيود، وكيف أنقذت تاجك".

بينما تتكلم كانت تؤكد كل ملحوظة بطعنة من إصبعها في صدره. ظهرت حبات العرق على جبينه وقد بدأت ثقته تتزعزع تحت وطأة نظرتها التي لا تلين.

قالت بصوت كالفحيح: "أنت أحمق يا آيادون، أنا أعرف هذا، ونبلاؤك يعرفون هذا، والعالم يعرف هذا. لقد أخذتَ أمة عظيمة وسحقتَها بيديك الجشعتين، لقد استعبدتَ الشعب ودنَّستَ شرف أريلون، ورغم كل هذا يزداد بلدك فقرًا، وأنت أيها الملك معدم للغاية حتى إن هدية من تيود تسمح لك بالاحتفاظ بتاجك".

أشاح آيادون بوجهه مضطربًا، وبدا أن الملك ينكمش على نفسه وغطرسته تتضاءل أمام غضبها.

همست: "كيف سيبدو الأمر يا آيادون؟ كيف سيكون شعورك عندما يعرف البلاط بأسره أنك مدين لامرأة؟ وليس أي امرأة بل فتاة حمقاء؟ ستنكشف، سيعرف الجميع حقيقتك، لا شيء أكثر من رجل تافه فاسد عاجز مرتاب".

هوى آيادون على كرسيه فمدت له سارين بالقلم وهي تقول آمرة: "الغِ الأمر".

كانت أصابعه ترتجف وهو يكتب إلغاء الأمر في الجزء السفلي من الورقة قبل أن يختمها بختمه الشخصي.

انتزعت سارين الورقة وأسرعت إلى خارج الحجرة وهي تقول: "آش، فلتوقف أولئك الجنود، أخبرهم أن أوامر جديدة في طريقها إليهم".

أجابها السيون: "أمرك يا سيدتي". ثم اندفع عبر الممر ناحية النافذة بسرعة أكبر من حصانٍ راكض.

قالت سارين وهي تضرب بالورقة الملفوفة على درع صدر أحد الحارسين: "أنت! خذ هذه الورقة إلى إيلانتريس".

قبل الرجل الورقة في تردد.

قالت سارين آمرة: "اركض!".

فركض الرجل.

عقدت سارين ذراعيها وهي تراقب الرجل يركض عبر الردهة، ثم نظرت إلى الحارس الآخر فبدأ يرتجف في توتر أمام نظرتها.

قال الرجل متلعثمًا: "سأحرص على أن يصل إلى هناك". ثم اندفع وراء رفيقه.

وقفت سارين للحظة، ثم عادت إلى مكتب الملك وأغلقت الباب وراءها. أمامها كان آيادون يغوص في كرسيه واضعًا مرفقيه على سطح المكتب ورأسه بين يديه، كان الملك يبكي بصوت خافت.

***

عندما وصلت سارين إلى إيلانتريس كانت الأوامر الجديدة قد وصلت قبل وقت طويل. كان حرس آيادون يقفون في تردد أمام البوابة، طلبت منهم العودة فرفض قائدهم هذا زاعمًا أنه تلقى أوامر بوقف الهجوم ولكنه لم يتلقَّ أوامر بالعودة. بعد وقت قصير وصل ساعٍ يحمل أوامر بالعودة. نظر قائد الحرس إليها نظرة منزعجة ثم أمر رجاله بالعودة إلى القصر.

ظلت سارين هناك لوقت أطول ثم صعدت الدرجات المؤدية إلى أعلى السور بمشقة لتطل إلى أسفل ناحية الباحة. كانت عربة الطعام مهجورة في منتصف الباحة، مقلوبة على جانبها، ومن حولها الصناديق المتكسرة. كان هناك جثث أيضًا، هؤلاء الذين سقطوا من بين المهاجمين، وأجسادهم تتعفن في الوحل.

تجمدت سارين في موضعها وتيبس جسدها، فقد كانت إحدى الجثث لا تزال تتحرك. مالت على الحاجز الحجري لتحدق إلى الأسفل ناحية الرجل الواقع أرضًا، كانت المسافة بعيدة ولكن لا يزال بإمكانها أن تميز ساقي الرجل على بعد عشرة أقدام من صدره، لقد تلقى ضربة قوية قسمت جسده إلى نصفين من عند الخصر. من المستحيل أن ينجو من إصابة كهذه، ومع ذلك كان يلوح بذراعيه في جنون بعشوائية يائسة.

"بحق دومي الرحيم". همست بها سارين وهي ترفع يدها إلى صدرها وأصابعها تبحث عن القلادة الكوراثية الصغيرة. تفحصت الباحة بعينين غير مصدقتين، كانت بعض الجثث الأخرى لا تزال تتحرك رغم الإصابات المروعة. إنهم يقولون إن الإيلانتريين موتى، ولكن عقولهم ترفض أن تستريح. اتسعت عينا سارين وقد أدركت للمرة الأولى كيف تمكن الإيلانتريون من أن ينجوا بدون طعام، إنهم لا يحتاجون إلى أن يأكلوا.

ولكن لماذا فعلوا ما فعلوه؟

هزت سارين رأسها وهي تحاول أن تصفي عقلها من الارتباك وصورة الجثث المتلوية بالأسفل. وبينما تفعل هذا وقعت عيناها على شخص آخر، جاثٍ على ركبتيه في ظلال سور إيلانتريس، ويبدو على هيئته حزن لا يُصدق. أحست بنفسها تنجذب على طول الممشى باتجاه هذا الشخص، وهي تجر يديها على طول الحاجز الحجري. لم تتوقف إلا عندما صارت فوقه مباشرة.

بطريقة ما أدركت أن هذا الشخص بالأسفل هو سبيريت، كان يُمسك بجسد بين ذراعيه، بينما يتأرجح للأمام والخلف وهو مطرق برأسه.

قالت سارين لنفسها: *لقد أنقذتك، كان الملك سيدمرك ولكني أنقذت حياتك، لم أفعل هذا من أجلك يا سبيريت، بل من أجل هؤلاء المساكين الذين تحكمهم.*

لم يلاحظها سبيريت.

حاولت أن تظل غاضبة منه، ولكن بينما تنظر إليه وتشعر بمعاناته لم تستطع أن تجزم حتى لنفسها. إن أحداث اليوم قد أزعجتها لأسباب عدة، كانت غاضبة لأن خططها قد أُحبطت، وأحست بالأسف لأنها لم تعد قادرة على إطعام الإيلانتريين المعذبين. وكانت غير راضية عن الطريقة التي سينظر بها الأرستقراطيون إلى إيلانتريس.

ولكنها كانت حزينة أيضًا لأنها لن تراه مرة أخرى، لقد بدا أنه رجل طيب، سواء كان طاغية أو لا. ربما... ربما لا يمكن إلا لطاغية أن يحكم مكانًا مثل إيلانتريس، ربما كان هو أفضل ما يمكن للناس أن يحصلوا عليه.

على أي حال لن تراه مرة أخرى على الأرجح، لن تنظر مرة أخرى إلى هاتين العينين اللتين تبدوان نابضتين بالحياة رغم جسده الهزيل. كان هناك غموض فيه لن تتمكن قط من سبر أغواره.

لقد انتهى الأمر.

***

كانت تبحث عن ملاذ في المكان الوحيد في كاي الذي تشعر فيه بالأمان. سمح لها كين بالدخول ثم ضمها عندما ألقت بنفسها بين ذراعيه. كانت نهاية مهينة للغاية ليوم مفعم

بالعواطف، ومع ذلك كان العناق يستحق هذا. لقد قررت وهي طفلة أن عمها بارع للغاية في العناق، فذراعاه الكبيرتان وصدره العريض كافين لتطويق أي فتاة حتى لو كانت طويلة وفارعة.

وأخيرًا تركته سارين وهي تمسح عينيها بينما تشعر بخيبة الأمل في نفسها لبكائها. اكتفى كين بأن وضع يده الكبيرة على كتفها، واصطحبها إلى غرفة تناول الطعام، حيث كان بقية أفراد الأسرة جالسين حول الطاولة، بما فيهم آداين.

كان لوكل يتحدث بحيوية ولكنه بتر جملته عندما رأى سارين، ثم قال مقتبسًا مثلًا جيندويًّا: "إن ذكرت اسم الأسد فسوف يأتي إلى الوليمة".

نظرت إليها عينا آداين القلقتان الزائغتان بعض الشيء وهو يهمس: "ألفان ومئة وسبعة وثلاثون خطوة من هنا إلى إيلانتريس".

خيم الصمت للحظة ثم قفزت كايسي على كرسيها وقالت: "سارين! هل حاولوا حقًّا أكلك؟".

أجابتها سارين وهي تجلس على أحد الكراسي: "لا يا كايسي، لقد أرادوا فقط بعضًا من طعامنا".

قالت دايورا بنبرة آمرة حازمة: "لا تزعجي ابنة عمك يا كايسي، لقد قضت يومًا حافلًا".

قالت كايسي في وجوم وهي تجلس في مقعدها: "وقد فاتني هذا اليوم". ثم التفتت إلى أخيها بعينين غاضبتين وقالت: "لماذا كان عليك أن تمرض؟".

قال دايورن محتجًّا وهو لا يزال يبدو ضعيفًا بعض الشيء: "لم يكن هذا خطئي". لم يبدُ خائب الأمل لأن المعركة قد فاتته.

قالت دايورا: "اصمتا أيها الطفلان".

قالت سارين: "لا بأس، لا أُمانع الحديث عن الأمر".

قال لوكل: "حسنًا إذن، هل حدث هذا حقًّا؟".

قالت سارين: "أجل، بعض الإيلانتريين هاجمونا، ولكن لم يتأذَّ أحد، على الأقل من جانبنا".

قال لوكل: "لا، ليس هذا ما أعنيه، بل قصدت ما حدث مع الملك، هل حقًّا صرختِ فيه حتى أجبرتِه على الخضوع؟".

أحست سارين بالغثيان وقالت: "هل ذاع الخبر؟".

ضحك لوكل وقال: "يقولون إن صوتك قد تردد صداه حتى وصل القاعة الرئيسية، لم يغادر آيادون مكتبه حتى الآن".

قالت سارين: "ربما تماديت بعض الشيء".

قالت دايورا لتطمئنها: "لقد فعلتِ الصواب يا عزيزتي، لقد اعتاد آيادون أن يجفل كل من في البلاط عندما يعطس، حتى إنه على الأرجح لم يعرف ماذا يفعل عندما تحداه شخص ما".

هزت سارين رأسها وقالت: "لم يكن الأمر صعبًا، فهو تحت كل هذه العجرفة يفتقر إلى الثقة في نفسه".

قالت دايورا: "معظم الرجال هكذا يا عزيزتي".

ضحك لوكل وقال: "ما الذي كنا سنفعله من دونك يا ابنة العم؟ كانت الحياة مملة قبل أن تقرري الإبحار إلى هنا وقلب كل شيء رأسًا على عقب".

تمتمت سارين قائلة: "أتمنى لو أن الأمور لم تسر على نحو سيئ إلى هذا الحد. عندما يتمالك آيادون نفسه لن يكون رد فعله هينًا".

قال لوكل: "إن تمادى مرات أخرى فيمكنك دومًا أن تصرخي في وجهه".

قال كين في جدية بصوته الخشن: "لا، إنها محقة، لا يتسامح الملوك مع تعرضهم للتوبيخ على الملأ، قد نواجه أوقاتًا عصيبة عندما ينتهي هذا الأمر".

قال لوكل ضاحكًا: "إما هذا، وإما أنه سيستسلم ويتنازل عن العرش لسارين".

قال صوت آش العميق وهو يطفو عبر النافذة: "هذا ما كان والدك يخشاه، لطالما أحس بالقلق من أن أريلون لن تكون قادرة على التعامل معكِ يا سيدتي".

ابتسمت سارين ابتسامة شاحبة وقالت: "هل عادوا؟".

قال السيون: "لقد عادوا يا سيدتي". كانت سارين قد أمرته بأن يلحق بحرس آيادون في حال أن قرروا تجاهل الأوامر. "لقد توجه قائد الحرس على الفور لمقابلة الملك، ولكنه رحل عندما رفض جلالته أن يفتح له الباب".

قال لوكل: "ليس من اللائق أن يرى جندي الملك وهو ينتحب كطفل صغير".

قاطعه صوت طرقات ملحة على الباب. اختفى كين ثم عاد بصحبة اللورد شودن الذي يبدو عليه الحماس.

قال وهو ينحني لسارين: "سيدتي". ثم التفت إلى لوكل وقال: "لقد سمعتُ بعض الأخبار.

قال لوكل: "جميعها حقيقية، لقد سألنا سارين".

هز شودن رأسه وقال: "لا أتحدث عن هذا الأمر".

نظرت إليه سارين في قلق وقالت: "أي شيء آخر يُمكن أن يحدث اليوم؟".

لمعت عينا شودن وقال: "لن تصدقوا من الذي أصابه الشايود الليلة الماضية".

# الفصل الثلاثون

لم يحاول هراثن أن يُخفي تحوله، خرج من حجرته وهو يمشي بوقار كاشفًا لعنته للكنيسة بأسرها. كان ديلاف في منتصف صلواته الصباحية. إن رؤية الكاهن الأريلي القصير يتعثر إلى الوراء في صدمة مذعورة كانت تستحق فقدان الشعر ولون الجلد.

جاء الكهنة الكوراثيون إلى هراثن بعد وقت قصير، منحوه روبًا أبيض فضفاضًا لتغطية تشوهه، ثم اقتادوه من الكنيسة التي صارت فارغة. ابتسم هراثن في قرارة نفسه وهو يرى ديلاف المرتبك يراقب ما يحدث من حجرته وعيناه تكرهان هراثن علانية للمرة الأولى.

أخذه الكهنة الكوراثيون إلى كنيستهم، وجردوه من ملابسه، وغسلوا جسده المغطى ببقع سوداء بماء من نهر أريديل، ثم غلفوه بروب أبيض قد حيك من أشرطة سميكة ممزقة. بعد غسله وكسوه خطا الكهنة للوراء لكي يسمحوا لأومين بالتقدم، بارك أومين هراثن بصوت خافت وهو يرسم رمز آيون أومي على صدره. أظهرت عينا الأريلي رضا حاول إخفاءه.

بعد هذا اقتادوا هراثن عبر شوارع المدينة وهم ينشدون. ولكن في المدينة نفسها وجدوا كتيبة كبيرة من الجنود يرتدون الثياب الرسمية المميزة لحراس آيادون يقطعون الطريق. كان الجنود واقفين وأيديهم على أسلحتهم وهم يتحدثون بأصوات خافتة. راقبهم هراثن في دهشة وقد أدرك أنهم رجال يستعدون لمعركة. تجادل أومين مع قائد حرس مدينة إيلانتريس لبعض الوقت، بينما اقتاد الكهنة هراثن إلى مبنى خفيض يجاور مبنى الحرس، مكان احتجاز مرسوم عليه آيون أومي.

راقب هراثن عبر نافذة الحجرة الصغيرة بينما اثنان من الحرس يلهثان في عدوهما قبل أن يقدما لجنود آيادون لفافة من الورق. قرأها قائد الحرس ثم تجهم وهو ينظر إلى الرسول ويتجادل معه. بعد هذا عاد أومين مفسرًا أن عليهم الانتظار.

وقد انتظروا بالفعل قرابة ساعتين.

كان هراثن قد سمع أن الكهنة لا يلقون الناس بداخل إيلانتريس إلا في وقت محدد من اليوم، ولكن من الواضح أنها فترة زمنية طويلة، وليس لحظة محددة. في نهاية المطاف وضع الكهنة سلة صغيرة من الطعام بين ذراعي هراثن وتلوا صلاة أخيرة لإلههم المثير للشفقة ودفعوه عبر البوابة.

وقف في المدينة، رأسه أصلع، وبشرته مغطاة ببقع سوداء كبيرة، إيلانتري. كانت رؤية المدينة من مستوى النظر تُشبه إلى حد كبير رؤيتها من على السور، قذرة ومتعفنة ومدنسة. إنها لا تساوي شيئًا بالنسبة له. دار على عقبيه وألقى بسلة الطعام الضئيلة جانبًا، ثم جثا على ركبتيه.

قال بصوت عالٍ وحازم: "يا جادث، يا سيد كل الخلق، اسمع تضرع خادم إمبراطوريتك، امحُ هذا الدنس من دمي، أعدني إلى الحياة، أتوسل إليك بكل سلطة منصبي كجيورن مقدس".

لم يكن هناك إجابة، فكرر صلاته مرارًا ومرارًا وتكرارًا...

# الفصل الواحد والثلاثون

لم يفتح سايولين عينيه وهو يغوص في البركة، ولكنه توقف عن التمتمة، راح يطفو للحظة، ثم أخذ نفسًا عميقًا ومد يده نحو السماوات، ثم ذاب في السائل الأزرق.

راقب رايودن ما يحدث في مهابة، لقد انتظر ليومين على أمل أن يستعيد الجندي الأشيب عقله، ولكن هذا لم يحدث. لقد جلبوه إلى المسبح لأن جراحه كانت مريعة، ولكن رايودن يعرف أن هناك سببًا آخر، فلا يمكن أن يضع سايولين داخل قاعة المبتلين، إن مانترا "لقد خذلت سيدي سبيريت" ستكون عبئًا كبيرًا.

قال جالادون: "هيا بنا يا سول، لقد رحل".

قال رايودن: "أجل، لقد رحل". ثم قال لنفسه: *والذنب ذنبي*. ولأول مرة بدت أعباء جسده وآلامه هينة بالمقارنة مع أعباء روحه وآلامها.

***

لقد عادوا إليه، أولًا في قطرات، ثم في فيضان. احتاجوا إلى بضعة أيام كي يدركوا ويصدقوا أن سارين قد رحلت إلى الأبد، لا مزيد من العطايا، لا مزيد من الأكل ثم الانتظار ثم الأكل مرة أخرى. وبعدها عادوا إليه كأنما فجأة استيقظوا من سكرتهم، وقد تذكروا أنه منذ زمن ليس ببعيد كان لديهم هدف في حياتهم.

كلفهم رايودن بمهامهم القديمة؛ التنظيف والزراعة والبناء. وباستخدام الأدوات والمواد المناسبة لم يعد العمل مضيعة للوقت، بل وسيلة مجدية لإعادة بناء إيلانتريس الجديدة. بدلًا من الأسقف

العشوائية صار هناك أسقف عملية أكثر متانة. وأتاحت بذور الذرة الإضافية فرصة ثانية للزراعة، على نطاق أوسع وبطموح أكبر. لقد وسعوا السور القصير المحيط بإيلانتريس الجديدة، وعززوه، رغم أن رجال شايور في الوقت الحالي كانوا ساكنين. ولكن رايودن يعلم أن الطعام الذي اغتنموه من عربة سارين لن يدوم لوقت طويل، سيعود الرجال المجانين.

كانت الأعداد التي جاءت إليه بعد سارين أكبر بكثير من تلك التي كانت تتبعه قبلها. اعترف رايودن رغمًا عنه أنه رغم الانتكاسات المؤقتة التي تسببت فيها زيارات سارين إلا أنها أثبتت نفعها في النهاية. لقد أثبتت للناس أنه بغض النظر عن مدى جوعهم فإن ملء بطونهم ببساطة ليس كافيًا. إن البهجة لا تعني غياب الألم فحسب.

لذا عندما عادوا إليه لم يعودوا يعملون من أجل الطعام، بل يعملون لأنهم يخشون ما سيصيرون عليه إن لم يعملوا.

قال رايودن وهو يتفحص الكاهن الفيوردي من أعلى نقطة مراقبة على سطح حديقتهم: "ليس من المفترض أن يكون هنا يا جالادون".

سأله جالادون: "هل أنت واثق من أنه الجيورن؟".

"لقد قال هذا في صلواته، كما أنه فيوردي بالتأكيد، فحجمه ضخم للغاية على أن يكون آيونيًّا".

قال جالادون في عناد: "الشايود لا يصيب الفيورديين، إنه لا يصيب إلا الأريليين والتيوديين وأحيانًا الدولاديين".

قال رايودن وهو يجلس في إحباط: "أعرف، ولكن قد يكون الأمر نسبيًّا، لا يوجد الكثير من الفيورديين في أريلون، ربما لهذا لم يُصَب أيهم من قبل".

هز جالادون رأسه وقال: "لماذا إذن لم يُصب أي جيندوي من قبل؟ إن هناك الكثير منهم يعيشون على طول مسار تجارة التوابل".

قال رايودن: "لا أعرف".

قال جالادون: "أصغِ إلى صلواته يا سول، وكأن بقيتنا لم يجربوا هذا بالفعل".

"أتساءل إلى متى سينتظر".

قال جالادون: "إنه يومه الثالث بالفعل، لا شك أنه قد بدأ يشعر بالجوع، كولو؟".

أومأ رايودن برأسه، فحتى بعد ثلاثة أيام من الصلوات شبه المتواصلة لا يزال صوت الجيورن ثابتًا. وبأخذ كل شيء آخر في الاعتبار وجد رايودن نفسه مرغمًا على احترام عزيمة الرجل.

قال رايودن: "حسنًا، عندما يدرك أخيرًا عدم جدوى ما يفعله سندعوه للانضمام إلينا".

قال جالادون محذرًا: "مشكلة يا سول". نظر رايودن إلى حيث يشير الدولادي فوجد بعض الأشكال الرابضة في الظلال إلى يسار الجيورن.

سب رايودن وهو يشاهد رجال شايور يتسللون من الزقاق. يبدو أن طعامهم قد نفد بسرعة أكبر مما افترض رايودن. على الأرجح عادوا إلى الباحة بحثًا عن البقايا، ولكنهم وجدوا شيئًا مغريًا أكثر بكثير؛ سلة الطعام التي لا تزال ممتلئة عند قدمي الجيورن.

قال رايودن وقد بدأ في النزول من على السطح: "هيا بنا". في الماضي كان رجال شايور سيتوجهون مباشرة ناحية الطعام، ولكن الأحداث الأخيرة قد غيرت الرجال الجامحين. لقد بدأوا في الضرب بلا تمييز، كأنما قد أدركوا أنه كلما كان هناك عدد أقل من الأفواه تعارضهم فستزيد فرصة حصولهم على الطعام.

تمتم جالادون وهو يلحق به: "فليحرقني الدولوكين إن ساعدت جيورنًا". لسوء الحظ كان رايودن يتحرك ببطء شديد، فكان الأوان قد فات... على إنقاذ رجال شايور.

كان رايودن ينعطف عند جانب المبنى عندما انقض أول الرجال الجامحين على ظهر الجيورن. قفز الفيوردي واقفًا على قدميه وهو يدور حول نفسه بسرعة تكاد تكون غير بشرية، ليُمسك رجل شايور من رأسه. كان هناك صوت طقطقة عندما كسر الجيورن عنق خصمه قبل أن يُلقي به ليرتطم بالبوابة الخشبية. هجم عليه الرجلان الآخران في وقت واحد، فتلقى أحدهما بركلة قوية ألقت به عبر الباحة ككومة من الخرق، وتلقى الآخر بثلاث لكمات متتالية في وجهه، ثم ركلة في بطنه، فعوى الرجل المجنون في غضب، ولكنه بتر صرخته عندما أصابته ركلة في جانب رأسه.

توقف رايودن في موضعه فجأة وقد فغر فاه.

قال جالادون ساخرًا: "كان عليك أن تعرف هذا، الكهنة الديريثيون قادرون تمامًا على الاعتناء بأنفسهم، كولو؟".

أومأ رايودن برأسه ببطء وهو يراقب الكاهن يجثو بسلاسة على ركبتيه مرة أخرى ويستأنف صلواته. كان رايودن قد سمع أن جميع الكهنة الديريثيين يتدربون في أديرة فيوردن ذات السمعة المخيفة، حيث يخضعون لتدريب بدني صارم. ولكنه لم يكن يعتقد أن جيورنًا في منتصف العمر سيحافظ على مهاراته.

الرجلان الجامحان اللذان لا يزالان قادرين على الحركة زحفا مبتعدين بينما الآخر يرقد حيث ألقى به الجيورن وهو يتأوه بشكل مثير للشفقة بعنقه المكسور.

همس رايودن: "يا للخسارة، كان بمقدورنا أن نستعين بهؤلاء الرجال في إيلانتريس الجديدة".

هز جالادون رأسه وقال: "لا أعرف ما الذي يمكننا فعله حيال هذا الأمر".

اعتدل رايودن واقفًا ونظر ناحية قطاع السوق في إيلانتريس، وقال بعزيمة: "أنا أعرف".

***

لقد اخترقوا منطقة نفوذ شايور بسرعة وبشكل مباشر، حتى إنهم وصلوا إلى البنك قبل أن يلاحظوا هذا. لم يستجب رايودن عندما بدأ رجال شايور في العواء، بل واصل المشي في حزم وهو يركز على هدفه. كان بصحبته جالادون وكاراتا وداش ـ مساعد كاراتا في السابق، وأحد المحاربين المتمرسين القلائل الذين تبقوا في معكسر رايودن ـ وكل منهم يحمل كيسًا متوسط الحجم بين ذراعيه.

لحق بهم رجال شايور وهم يقطعون طريق الهرب، فبعد الخسائر التي تلقوها طيلة الأسابيع الماضية لم يتبقَّ إلا بضع عشرات من الرجال في عصابة شايور، ولكن بدا هؤلاء القلة كأن عددهم يتضاعف في الظلال.

نظر جالادون إلى رايودن نظرة متخوفة، كان باستطاعة رايودن أن يعرف ما الذي يقوله في قرارة نفسه: *من الأفضل لك أن تعرف ما الذي تفعله بحق الدولوكين يا سول*...

كان رايودن مُطبقًا فمه في حزم، لم يعد لديه إلا أمل واحد؛ إيمانه بالطبيعة العقلانية للنفس البشرية.

كانت شايور كالسابق، رغم أن رجالها قد منحوها بعض غنائمهم بلا شك إلا أن المرء لم يكن ليعرف هذا من صراخها. كانت تصرخ: "اجلبوا لي الطعام!". وكان صوتها مسموعًا من قبل حتى أن يدخلوا البنك. "أُريد طعامًا!".

اقتاد رايودن مجموعته الصغيرة إلى داخل البنك، فاصطف بقايا أتباع شايور وراءهم، وهم يقتربون ببطء منتظرين أمر ربتهم الحتمي بقتل الدخلاء.

تحرك رايودن أولًا ثم أومأ إلى الآخرين فوضعوا أكياسهم أرضًا، انسكبت الذرة على أرضية البنك غير المستوية لتختلط بالوحل، وسقطت في الشقوق والفجوات. تعالى العواء من ورائهم فأشار رايودن إلى رفاقه ليتنحوا جانبًا بينما ينقض رجال شايور على الذرة.

صرخت شايور بصوت حاد: "اقتلوهم!". ولكن أتباعها كانوا مشغولين بملء أفواههم بالذرة.

غادر رايودن ورفاقه ببساطة كما جاؤوا ببساطة.

***

جاء أول واحد إلى إيلانتريس الجديدة بعد بضع ساعات فحسب. كان رايودن يقف إلى جانب نيران متأججة قد أشعلوها فوق أحد المباني العالية. لقد احتاج تأجيج النار إلى العديد من قطع الخشب الثمينة، وكان جالادون يعارض الأمر من البداية ولكن رايودن تجاهل اعتراضاته، إن رجال شايور بحاجة لأن يروا النار لكي يستوعبوا الأمر، ستكون القفزة التي تُعيد إليهم عقولهم.

ظهر أول رجل جامح في ظلمة الليل، كان يتحرك خفية بمشية عصبية وحشية، وهو يحمل كيسًا ممزقًا بداخله حفنة من الحبوب.

أشار رايودن لمحاربيه بأن يتراجعوا قبل أن يسأل الرجل المجنون: "ما الذي تريده؟".

بادله الرجل المجنون التحديق ببلاهة.

قال رايودن: "أعرف أنك تفهمني، لا أعتقد أنه قد مر عليك وقت طويل هنا، ستة أشهر على الأكثر، ليست وقتًا طويلًا لتنسى اللغة، حتى لو أقنعت نفسك بهذا".

رفع الرجل الكيس لأعلى ويداه تلمعان بالوحل.

سأله رايودن بإصرار: "ما الذي تريده؟".

أخيرًا قال الرجل: "أطهو".

كانت الحبوب التي ألقوا بها إلى رجال شايور هي بذور ذرة، تُنشَّف طيلة الشتاء لكي تُزرع في الربيع، ولا يمكن لرجال شايور أن يمضغوها أو يبلعوها إلا بألم شديد، ولا شك أنهم قد حاولوا فعل هذا.

وبفعل هذا كان رايودن يأمل أنه في مكان ما من عقل هؤلاء الرجال سيتذكرون أنهم قد كانوا بشرًا ذات يوم، يأمل أن يتذكروا الحضارة والقدرة على الطهو، يأمل بمواجهتهم لإنسانيتهم.

قال رايودن: "لن أطهوه من أجلك، ولكني سأسمح لك بطهوه بنفسك".

# الفصل الثاني والثلاثون

قال الدوق رويال وهو يساعد سارين على الصعود إلى العربة: "إذن فقد عدتِ إلى ارتداء اللون الأسود يا عزيزتي؟".

نظرت سارين إلى فستانها، لم يكن واحدًا من الفساتين التي أرسلتها لها إيشن، ولكنه شيء طلبت من شودن جلبه في إحدى قوافله التي تمر من دولادل. لم يكن الفستان منتفخًا مثل معظم الفساتين الشائعة في أزياء أريلون هذه الأيام، فكان يبرز مفاتنها. كان المخمل الناعم مطرزًا بزخارف فضية صغيرة، وبدلًا من الحرملة كان هناك دثار قصير يغطي كتفيها وعضديها.

قالت: "إنه أزرق في الواقع يا مولاي، فأنا لا أرتدي الأسود مُطلقًا".

قال الرجل العجوز: "فهمت". كان يرتدي حُلة بيضاء مع معطف داخلي كستنائي غامق، وكان هذا الزي متناسقًا بشكل رائع مع شعره الأبيض المصفف بعناية.

أغلق الحوذي الباب ثم جلس في موضعه، وبعد لحظة كانوا يشقون طريقهم إلى الحفلة الراقصة. حدقت سارين إلى شوارع كاي المظلمة. لم يكن الانزعاج باديًا على ملامحها ولكنها لم تكن سعيدة، لم يكن بمقدورها حضور الحفلة، فقد وافق رويال على إقامتها بناءً على اقتراحها، ولكنها قد وضعت هذه الخطط قبل أسبوع، قبل أحداث إيلانتريس. لقد أمضت الأيام الثلاثة الماضية وهي تفكر، وتحاول أن تتجاوز مشاعرها وأن ترتب أفكارها. لم تكِن تريد أن تضيع ليلة في اللهو، حتى لو كان هناك هدف من وراء هذا.

قال رويال: "لا تبدين في أفضل حال يا سمو الأميرة".

قالت وهي تتكئ إلى الوراء في كرسيها: "لم أتعافَ بعد من أحداث ذلك اليوم يا مولاي".

وافقها قائلًا: "كان ذلك يومًا عصيبًا". ثم أمال رأسه ليطل خارج نافذة العربة ناظرًا نحو السماء. "إنها ليلة جميلة مناسبة لحفل اليوم".

أومأت سارين برأسها في شرود، لم يعد من المهم بالنسبة لها إن كانت ستمكن من رؤية الخسوف أم لا، فمنذ ثورتها الغاضبة في وجه آيادون صار جميع من في البلاط يتجنبونها، وبدلًا من أن يغضب منها آيادون كما توقع كين، اكتفى بأن تجاهلها فحسب. كلما دلفت سارين إلى حجرة يشيح الناس بوجوههم، كأنها وحش، سفراكيس حاقد قد جاء ليعذبهم.

لم يكن الخدم أفضل حالًا، فقد كانوا خاضعين لها من قبل، ولكنهم الآن يتحاشونها، فيأتي العشاء متأخرًا، ورغم أن الطاهية قد أصرت أن هذا بسبب هرب إحدى الخادمات المكلفات بخدمتها إلا أن سارين كانت متيقنة أن السبب ببساطة هو أنه لا أحد يريد أن يواجه غضب الأميرة المخيف. كان الموقف برمته يثير حنق سارين. تساءلت في قرارة نفسها: *بحق دومي المبارك، لماذا يشعر كل فرد في هذا البلد بالتهديد من أي امرأة حازمة؟*

بالطبع كان عليها هذه المرة أن تعترف أن ما فعلته مع الملك كان جريئًا أكثر من اللازم. كان على سارين أن تدفع ثمن ثورتها الغاضبة.

قال رويال: "حسنًا، هذا يكفي يا سارين".

جفلت سارين ثم نظرت إلى وجه الدوق العجوز الصارم وقالت: "عفوًا يا مولاي؟".

"قلت هذا يكفي. وفقًا لجميع التقارير فإنك قضيت الأيام الثلاثة الماضية مكتئبة في غرفتك، لا أُبالي بقدر الصدمة التي تسبب فيها الهجوم الذي حدث في إيلانتريس، يجب عليكِ أن تتعافي من الأمر وبسرعة، لقد أوشكنا على الوصول إلى القصر".

قالت سارين مرة أخرى في دهشة: "عفوًا؟".

أكمل رويال حديثه وقد لان صوته: "نحن لم نطلب منك أن تتولي القيادة يا سارين، لقد شققتِ طريقك إليها وأمسكتِ بزمام الأمور، والآن وقد فعلتِ هذا لا يمكنك أن تتخلي عنا ببساطة بسبب جرح مشاعرك. عندما تقبلين السلطة يجب أن تكوني مستعدة لتحمل مسؤوليتها طيلة الوقت، حتى عندما تشعرين في وقت من الأوقات أنك لا تريدين هذا".

احمر وجه سارين خجلًا وهي تهز رأسها بينما العربة تتوقف عند مدخل قصر رويال، ثم قالت: "ولكن ما الذي تبقى لي يا مولاي؟ لم تكن براعتي هي السبب في تحييد الجيورن الديريثي، ويبدو أن آيادون قد كُبح جماحه، أعتقد أننا قد تجاوزنا مرحلة الخطر".

رفع رويال حاجبه الأبيض الكث وقال: "ربما، ولكن آيادون أكثر دهاءً مما نظن. قد يكون لدى الملك بعض النقاط العمياء الخطيرة، ولكنه كان قادرًا على الاستيلاء على السلطة قبل عشر سنوات، وإبقاء الأرستقراطيين في حالة من الفرقة والجدال طيلة هذا الوقت. أما بالنسبة للجيورن...".

نظر رويال خارج النافذة ناحية العربة الواقفة إلى جوارهم، وبداخلها كان رجل قصير يرتدي ثيابًا حمراء بالكامل. تعرفت سارين على الكاهن الآيوني الشاب الذي كان يعمل مساعدًا لهراثن.

قال رويال عاقدًا حاجبيه: "أعتقد أننا ربما نكون قد استبدلنا بهراثن عدوًّا يضاهيه خطرًا".

سألت سارين في دهشة: "هذا الرجل؟". كانت بالطبع قد رأت هذا الشاب بصحبة هراثن، ولاحظت حماسته الواضحة، ولكن هل من المعقول أن يكون بنفس خطورة الجيورن الذي يحسب لكل شيء حسابه.

قال الدوق: "لقد كنت أضع عيني عليه، اسمه ديلاف، وهو أريلي، مما يعني على الأرجح أنه قد نشأ كوراثيًا، لقد لاحظت أن أولئك الذين يتحولون عن دين يكرهونه أكثر من أولئك الذين لم يعتنقوه يومًا".

اعترفت سارين قائلة: "قد تكون محقًا يا مولاي، سيكون علينا أن نغير خططنا، لا يمكننا أن نتعامل معه بنفس الطريقة التي كنا نتعامل بها مع هراثن".

ابتسم رويال ثم قال وعيناه تلمعان قليلًا: "هذه هي الفتاة التي أعرفها. هيا بنا، لن يكون من اللائق أن أتأخر عن حفل قد أقمته".

كان رويال قد قرر أن يقيم حفل مشاهدة الخسوف في الأرض الواقعة وراء بيته، وهو التصرف الذي كان ضروريًا بسبب التواضع النسبي لبيته، فإن الدوق الذي يعد ثالث أغنى رجل في أريلون كان مقتصدًا بشكل ملحوظ.

قال لها رويال عندما زارت بيته أول مرة: "لم أصر دوقًا إلا قبل عشر سنوات فقط يا سارين، ولكني كنت رجل أعمال طيلة حياتي، لا يمكنني جني المال بالتبذير. هذا البيت يناسبني وأخشى أنني سأضيع في أي شيء أكبر".

ولكن الأرض المحيطة ببيته كانت مترامية الأطراف، وهو شيء من الرفاهية اعترف رويال أنه نوع من التبذير. كان الدوق من محبي الحدائق، ويقضي في الخارج وهو يتجول في أراضيه وقتًا أطول مما يقضيه في بيته.

لحسن الحظ قرر الطقس أن يمتثل لخطط الدوق، فمنحهم نسيمًا دافئًا من الجنوب وسماءً صافية تمامًا. كانت النجوم متناثرة في السماء كنقاط من الطلاء الأبيض على لوحة قماشية سوداء. فوجدت سارين نفسها تتتبع بعينها الأبراج الفلكية التي تميز الآيونات الكبرى. كان رايو يلمع فوق رأسها تمامًا، مربع كبير على جوانبه أربع دوائر وفي منتصفه نقطة. كان آيونها إين رابضًا

عند الأفق وبالكاد تراه. كان القمر المكتمل يقترب من ذروة السماء. في غضون بضع ساعات سيختفي تمامًا، أو على الأقل هذا ما يزعمه الفلكيون.

قال رويال وهو يسير إلى جانبها وقد شبكا ذراعيهما: "إذن هل ستخبرينني عن السبب وراء كل هذا؟".

"وراء ماذا؟".

قال رويال: "هذا الحفل، لا يمكنك أن تزعمي أنكِ جعلتِني أنظمه على أساس نزوة عابرة. لقد كنتِ دقيقة للغاية بشأن المكان والزمان، ما الذي تخططين له؟".

ابتسمت سارين وهي تفكر من جديد في مخططات الليلة. لقد كادت أن تنسى بشأن الحفل، ولكن كلما فكرت في الأمر ازداد حماسها، كانت تأمل أنه قبل أن ينقضي الليل ستكون قد عثرت على حل لمشكلة كانت تؤرقها منذ وصولها أريلون.

قالت بابتسامة ماكرة على شفتيها: "دعنا نقول إنني أُريد مشاهدة الخسوف في صحبة".

"أنتِ درامية للغاية يا سارين، لقد أغفلتِ هدفك الحقيقي في الحياة يا عزيزتي، كان من المفترض أن تصيري ممثلة".

قالت سارين وهي تستحضر ذكرياتها: "في الواقع لقد فكرت في الأمر ذات يوم. كنت في الحادية عشرة من عمري وكان هناك فرقة مسرحية تمر من تيوراس، بعد مشاهدتها أخبرت والديَّ بقراري أنني عندما أكبر لن أصير أميرة بل ممثلة".

ضحك رويال وقال: "كم أتمنى رؤية وجه العجوز إيڤينتيو عندما تخبره ابنته العزيزة أنها تريد أن تصبح فنانة جوَّالة".

"هل تعرف أبي؟".

قال رويال باستنكار: "بحقك يا سارين، لم أكن عجوزًا خرفًا طيلة حياتي، كان هناك وقت كنت أسافر فيه، وكل تاجر بارع لديه على الأقل بعض العلاقات في تيود، لقد مثلت مرتين أمام أبيك، وفي كل مرة كان يسخر من ذوقي في اختيار الملابس".

قالت سارين وهي تضحك: "لطالما كان قاسي القلب مع التجار الزائرين".

كانت أراضي رويال تحيط بمرج كبير مفتوح من العشب قد أقيم عليه منصة رقص خشبية مؤقتة. كان هناك ممرات مسيجة تؤدي من المنصة إلى أحواض الزهور التي تفتحت حديثًا، وجسر يمر من فوق برك، ومنحوتات معروضة. كانت المشاعل مصطفة حول المنصة لتوفر إضاءة كاملة، ومن المخطط أن تُطفأ قبل الخسوف، ولكن إن سارت الأمور كما خططت لها سارين فلن تكون موجودة هنا لرؤيته.

صاحت سارين: "الملك! هل هو هنا؟".

قال رويال وهو يشير ناحية حديقة منحوتات مغلقة إلى جانب المنصة: "بالطبع". بالكاد ميزت سارين هيئة آيادون بالداخل وإيشن بجانبه.

استرخت سارين، إن وجود آيادون هنا هو الهدف من حفل الليلة، إن كبرياء الملك لن يسمح له بتفويت حفل قد أقامه أحد دوقاته، إن كان قد حضر تيلري فمن المؤكد أنه سيحضر حفل رويال.

قال رويال مفكرًا كأنما يُخاطب نفسه: "تُرى ما علاقة الملك بمخططات صغيرتي سارين؟ ربما أرسلت شخصًا ما ليُلقي نظرة على جناح الملك أثناء وجوده هنا، ربما سيونها؟".

ولكن في هذه اللحظة ظهر السيون محلقًا على مسافة ليست ببعيدة، فنظرت سارين إلى رويال نظرة ماكرة.

قال رويال: "حسنًا، ربما ليس السيون، فهذا سيكون واضحًا للغاية على أي حال".

تمايل آش في تحية وهو يقترب قبل أن يقول: "سيدتي".

سألته سارين: "ما الذي عرفته؟".

"لقد فقدت الطاهية بالفعل إحدى الخادمات بعض ظهيرة اليوم يا سيدتي. يزعمون أنها قد هربت لتلحق بأخيها الذي نُقل مؤخرًا إلى أحد قصور الملك الإقليمية، ولكن الرجل يُقسم أنه لم يرها أو يسمع عنها".

عقدت سارين حاجبيها، ربما قد تسرعت بالفعل في الحكم على الطاهية ومساعداتها. قالت: "لا بأس، أحسنت صُنعًا".

سألها رويال في ريبة: "ما الأمر؟".

قالت سارين: "لا شيء". وهذه المرة كانت صادقة تمامًا.

ولكن رويال أومأ برأسه في تفهم. قالت سارين لنفسها: *إن مشكلة أن يكون المرء بارعًا هو أن الجميع يفترضون أنه يخطط لشيء طيلة الوقت.*

قالت سارين: "أُريدك أن تُبقي عينك على الملك". وعندما لاحظت ابتسامة رويال الفضولية قالت: "على الأرجح سيقضي معظم وقته في الجزء الاستثنائي المخصص له في الحفل. ولكن إن قرر أن يتحرك فلتخبرني على الفور".

قال آش: "أمرك يا سيدتي". ثم حلَّق ليتخذ مكانًا خفيًّا جوار أحد المشاعل حيث يحجب ضوء اللهب ضوءه.

أومأ رويال برأسه مرة أخرى، من الواضح أنه يستمتع بوقته في محاولة سبر أغوار خطط سارين.

قالت سارين في محاولة لتشتيت انتباه الدوق: "إذن هل ترغب في الانضمام إلى التجمع الخاص بالملك؟".

هز رويال رأسه وقال: "بقدر ما أرغب في مشاهدة آيادون وهو ينكمش على نفسه في حضورك إلا أنني لا أوافق مطلقًا على الطريقة التي ينأى بها بنفسه عن الآخرين. أنا المضيف بسببك، ويجب على المضيف أن يختلط بضيوفه. كما أن وجودي بالقرب من آيادون الليلة سيكون أمرًا لا يُطاق، إنه يبحث عن شخص ليحل محل البارون إيدان، وكل نبيل صغير في الحفل يفعل كل ما بوسعه من أجل أن ينال اللقب".

قالت سارين: "كما تشاء". ثم تركت رويال يصطحبها إلى المنصة المفتوحة، حيث كانت مجموعة من العازفين تعزف الموسيقى، وبعض الأشخاص يرقصون في ثنائيات، ولكن الغالبية العظمى كانوا متحلقين في دائرة ويتبادلون الحديث.

ضحك رويال فنظرت سارين إلى حيث ينظر؛ كان شودن وتورينا يرقصان في منتصف المنصة، وكل منهما مفتون تمامًا بالآخر.

سألته سارين وهي تراقب الفتاة ذات الشعر الناري والشاب الجيندوي: "ما الذي يُضحكك؟".

قال رويال بابتسامة خبيثة: "إن من أعظم مباهجي في مثل هذا العمر أن أرى أحد الشباب يثبت أنه منافق؛ بعد كل تلك السنوات التي أقسم فيها أنه لن يسمح لنفسه بالارتباط، وبعد كل الحفلات الراقصة اللانهائية التي كان يتذمر فيها من ملاحقة النساء له، يذوب قلبه وعقله كأي رجل آخر".

"أنت رجل عجوز لئيم يا مولاي".

قال رويال: "وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الأمر، فالشباب اللئام لا يثيرون الاهتمام، والعجائز الطيبون يثيرون الملل. انتظريني هنا، سأحضر لكِ شيئًا لتشربيه".

ابتعد الدوق بينما ظلت سارين تُراقب الشابين يرقصان، كانت النظرة في عيني شودن حالمة للغاية بشكل مثير للغثيان حتى إنها اضطرت لأن تشيح بنظرها. ربما كانت كلمات دايورا دقيقة أكثر مما تود سارين أن تعترف. تشعر سارين بالغيرة، ليس لأنها كانت تفكر في أي احتمالات رومانسية مع شودن، ولكن لأنه منذ وصولها أريلون كان شودن واحدًا من أكثر مؤيديها حماسًا، فكان من الصعب أن تُشاهده وهو يولي امرأة أخرى اهتمامه، حتى لو كان لسبب مختلف تمامًا.

كان هناك سبب آخر، سبب أعمق وأصدق، إنها تغار من تلك النظرة في عيني شودن، كانت تحسده على فرصة الارتباط العاطفي والوقوع في الحب والانغماس في فرحة رومانسية عارمة.

كانت هذه هي الأحلام التي لطالما راودت سارين منذ أن بلغت سن المراهقة، ولكن عندما نضجت سارين أدركت أن هذه الأشياء لن تكون من نصيبها أبدًا. في البداية تمردت ولعنت شخصيتها العدائية، كانت تعرف أنها ترهب رجال البلاط، لذا أجبرت نفسها لبعض الوقت على تبني شخصية أكثر لينًا وخضوعًا، وكانت النتيجة هي خطبتها وقرب زواجها من شاب يدعى جرايو.

لا تزال تتذكر الرجل ـ أو بالأحرى الفتى ـ بشفقة، كان جرايو هو الوحيد المستعد لتجربة حظه مع سارين ذات المزاج المعتدل، مخاطرًا بنيل السخرية من أقرانه، لم تكن العلاقة مبنية على الحب، ولكنها أحبت جرايو رغم ضعف إرادته. كان يتصرف بنوع من التردد الطفولي، إكراه مبالغ فيه على أن يفعل الصواب، أن ينجح في عالم يفهم فيه معظم الناس الأشياء أفضل منه.

في النهاية فسخت خِطبتها، ليس لأن العيش مع جرايو بليد العقل سيدفعها للجنون، ولكن لأنها قد أدركت كم تظلمه، لقد استغلت سذاجة جرايو وهي تعرف تمام المعرفة أنه يورط نفسه في شيء يفوق قدرته على الفهم. كان من الأفضل له أن يتحمل ازدراء الرفض في اللحظة الأخيرة بدلًا من أن يقضي بقية حياته مع امرأة ستنغص عليه عيشه.

هذا القرار قد حكم عليها بأن تصير عانسًا، وانتشرت شائعات مفادها أنها قد خدعت جرايو لكي تجعله يبدو أحمق، وأن الشاب المحرج قد ترك البلاط ليعيش في إقطاعيته لثلاثة أعوام منغلقًا على نفسه كأنه ناسك. بعد هذا لم يجرؤ أي رجل على أن يخطب ود ابنة الملك.

لقد هربت من تيود في هذه المرحلة وانغمست في سلك أبيها الدبلوماسي فسافرت في بعثات دبلوماسية إلى كل مدن أوبيلون العظمى، من عرش الويرن[٣٩] في فيوردن وحتى سيراڤين عاصمة سڤوردن. كان احتمال ذهابها إلى أريلون قد أثار اهتمامها بالطبع، ولكن أباها ظل متشبثًا بمنعها من الذهاب إلى هناك، إنه يكاد لا يسمح لجواسيسه بالذهاب إلى ذلك البلد، ناهيك بابنته الوحيدة.

ورغم هذا استطاعت المجيء في النهاية، وقررت أن الأمر كان يستحق العناء، إن خطبتها لرايودن كانت فكرة جيدة، بغض النظر عن نهايتها المريعة، عندما كانا يتبادلان الخطابات سمحت لنفسها أن تشعر بالأمل مرة أخرى. لقد تحطم هذا الأمل في نهاية المطاف، ولكنها لا تزال تحتفظ بذكراه، لقد نالت أكثر مما كانت تحلم أن تناله.

قال رويال عند عودته وهو يناولها كأسًا من النبيذ الجادوري الأزرق: "تبدين وكأن أعز أصدقائك قد مات للتو".

تنهدت سارين وقالت: "لا، بل زوجي فحسب".

أومأ رويال برأسه في تفهم وقال: "ربما من الأفضل أن نذهب إلى مكان آخر، مكان لا يُمكننا أن نرى فيه بمثل هذا الوضوح نشوة البارون الشاب".

"اقتراح رائع يا مولاي".

---

[٣٩] عرش الويرن: اسم يُطلق على عاصمة فيوردن.

تحركا على طول الحدود الخارجية للمنصة، بينما رويال يومئ برأسه لكل من يثني على هذا الحفل الرائع. كانت سارين تمشي إلى جانب الرجل العجوز وحيرتها تزداد من النظرات المتجهمة التي تتلقاها من بعض النبيلات اللاتي تمر من أمامهن. مرت بضع دقائق قبل أن تُدرك سبب هذا العداء، لقد نسيت تمامًا مكانة رويال باعتباره أفضل رجل صالح للزواج في أريلون. العديد من النسوة جئن هذه الليلة وهن يتوقعن أن يكون الدوق وحيدًا، وعلى الأقل قد خططن لوقت طويل لكيفية محاصرة الرجل العجوز بنية تملقه ونيل حظوته. لقد أفسدت سارين أدنى فرصة لهن في هذا.

ضحك رويال وهو يتأمل وجهها وقال: "إذن فقد فهمتِ الأمر، أليس كذلك؟".

"لهذا لا تقيم أي حفلات، أليس كذلك؟".

أومأ الدوق برأسه وقال: "رغم أن التعامل معهن يكون صعبًا في حفل رجل آخر، فيكاد يكون من المستحيل أن أكون مضيفًا جيدًا مع هؤلاء النسوة المشاكسات".

قالت سارين: "كن حذرًا يا سيدي، كان شودن يشكو من نفس الأمر بالضبط في تلك المرة التي اصطحبني فيها إلى حفلة راقصة، وانظر أين انتهى به المطاف".

قال رويال: "كان شودن يفكر في الأمر بالطريقة الخاطئة، لقد كان يهرب منهن فحسب، والجميع يعرف أنه مهما حاولت الهرب فسيكون هناك دومًا من هو أسرع منك. ولكني على الجانب الآخر لا أهرب، بل أجد متعة أكبر في التلاعب بعقولهن الصغيرة الجشعة".

كانت سارين على وشك أن توبخه، ولكنها بترت حديثها مع اقتراب زوجين مألوفين. كان لوكل يرتدي زيه الأنيق المعتاد؛ سترة زرقاء مطرزة بالذهب، وسروالًا أسود. بينما جالا - زوجته ذات الشعر الأسود - ترتدي فستانًا خزاميًّا بسيطًا، ويبدو من ياقته العالية أنه من طراز جيندوي.

قال لوكل بابتسامة عريضة وهو يحني رأسه للدوق: "لم أرَ في حياتي ثنائيًا غير متوافق مثل هذا الثنائي الذي أراه الآن".

سأله الدوق: "من؟ دوق عجوز متغضن ورفيقته الشابة الجميلة؟".

قال لوكل ضاحكًا: "كنت أُشير إلى التباين في الطول يا مولاي".

نظر رويال لأعلى ثم رفع حاجبيه، فقد كان رأسه يصل إلى كتفيها، ثم قال: "عندما تكون في مثل عمري فستقبل بما يمكنك أن تناله".

قال لوكل وهو يخفض بصره لينظر إلى زوجته الجميلة ذات العينين السوداوين: "أعتقد أن هذا حقيقي بغض النظر عن العمر يا مولاي، علينا فقط أن نقبل بما تقرر النساء منحه لنا، وأن نعتبر أنفسنا محظوظين من أجل هذا العطاء".

أحست سارين بالغثيان، أولًا شودن، والآن لوكل. إنها بالتأكيد ليست في حالة مزاجية تسمح لها بالتعامل مع ثنائيات العشاق هذه الليلة.

أحس الدوق بما يعتمل في صدرها، فودع لوكل متذرعًا بأنه بحاجة إلى تفقد طاولات الطعام في أجزاء أخرى من الحديقة. عاد لوكل وجالا إلى رقصهما بينما اصطحب رويال سارين للابتعاد عن المنصة المضيئة ليعودا إلى ظلمة الليل وضوء المشاعل المتراقص.

قال الدوق: "سيكون عليك أن تتخطي الأمر يا سارين، لا يمكنك أن تهربي في كل مرة ترين فيها شخصًا في علاقة مستقرة".

قررت سارين ألا تشير إلى أن حب الشباب لا يكاد يكون مستقرًا، واكتفت بأن قالت: "لا أكون دومًا هكذا يا مولاي، ولكنني قد مررت بأسبوع عصيب، امنحني فقط بضعة أيام وسأعود إلى شخصيتي المعتادة ذات القلب الحجري".

ربما أحس رويال بمرارتها فقد اختار بحكمة ألا يجيب عن هذا التعليق، وبدلًا من هذا نظر إلى الجانب بحثًا عن مصدر صوت ضحك مألوف.

يبدو أن الدوق تيلري قد اختار ألا ينضم إلى القسم الخاص بالملك في الحفل، بل على النقيض تمامًا، لقد وقف ليستمتع بالحوار مع مجموعة كبيرة من النبلاء في فناء محاط بسياج صغير، على الجانب الآخر من منصة الرقص المقابل لتجمع آيادون الخاص. بدا الأمر وكأنه يرغب في أن يبدأ حفلته الشخصية الخاصة.

قال رويال بصوت خافت كأنما يردد أفكار سارين الخاصة: "هذا لا يبشر بخير".

قالت سارين: "أتفق معك". ثم راحت تحصي بسرعة عدد من يتملقون تيلري، وهي تحاول أن تميز مرتبة كل واحد منهم، قبل أن تنظر مرة أخرى ناحية قسم آيادون من الحفل. كانت أعدادهم متساوية تقريبًا ولكن يبدو أن آيادون يحظى بنبلاء أكثر أهمية... في الوقت الحالي على الأقل.

قال رويال: "هذه نتيجة أخرى لم نحسب حسابها لثورتك الغاضبة مع الملك، كلما ازداد عدم اتزان آيادون صارت الخيارات الأخرى أكثر إغراءً".

عقدت سارين حاجبيها عندما ضحك تيلري مرة أخرى، كان صوته مرحًا ومُطمئنًا، ولم يبدُ كرجل قد سقط للتو أهم داعميه؛ الجيورن هراثن.

تساءلت سارين: "ما الذي يخطط له؟ كيف سيتمكن الآن من الاستيلاء على العرش؟".

هز رويال رأسه، وبعد لحظة من التأمل نظر لأعلى وبدا أنه يُخاطب الهواء وهو يقول: "ما الأمر؟".

التفتت سارين فرأت آش يقترب، ثم جفلت عندما أدركت أنه لم يكن آش، بل سيونًا آخر.

قال السيون وهو ينخفض حتى كاد أن يلمس الأرض: "يقول بستاني إن أحد ضيوفك قد سقط في البركة يا سيدي". كان صوته صارمًا وخاليًا من المشاعر.

سأله رويال ضاحكًا: "من؟".

قال السيون: "اللورد ريدين يا مولاي، يبدو أن النبيذ كان أقوى من اللازم بالنسبة له".

ضيقت سارين عينيها وهي تنظر في عمق كرة الضوء محاولة أن تميز الآيون المتوهج؛ خُيِّل إليها أنه أوبا.

تنهد رويال وقال: "على الأرجح أخاف الأسماك التي في الماء، شكرًا لك يا أوبا، فلتحرص على أن ينال ريدين بعض المناشف، وأن يوصله أحد إلى البيت إن تطلب الأمر. ربما في المرة التالية لن يخلط بين مياه البرك والخمر".

تمايل السيون بطريقة رسمية مرة أخرى، ثم حلق مبتعدًا لينفذ أوامر سيده.

قالت سارين: "لم تخبرني من قبل أن لديك سيونًا يا سيدي".

قال رويال: "معظم النبلاء لديهم سيونات يا سمو الأميرة، ولكن لم يعد من الرائج جلبها معنا أينما ذهبنا، فالسيونات تذكر الناس بإيلانتريس".

"إنه يبقى هنا في بيتك إذن؟".

أومأ رويال برأسه وقال: "أوبا يُشرف على حدائق مقاطعتي، أعتقد أنه مناسب على أي حال، فاسمه يعني الزهرة".

نقرت سارين على وجنتها وهي تفكر في النبرة الرسمية الصارمة في صوت أوبا، إن السيونات التي عرفتها في تيود كانت أكثر حميمية مع سادتها، بغض النظر عن شخصيتها، ربما لأنهم هنا ينظرون إلى السيونات بريبة وكراهية.

قال رويال وهو يشبك ذراعه بذراعها: "كنت جادًّا عنما قلت إنني أُريد تفقد طاولات الطعام".

استسلمت له سارين وهو يصطحبها معه.

بينما يقتربان من طاولات تقديم الطعام نادى صوت صاخب: "رويال أيها العجوز، أنا مندهش لأنك تعرف كيف تقيم حفلًا! كنت أخشى أنك ستحاول أن تحشرنا في ذلك الصندوق الذي تسميه بيتًا".

قال رويال: "آهان، كان عليَّ أن أدرك أنني سأجدك بالقرب من الطعام".

كان الكونت البدين يرتدي روبًا أصفر ويُمسك بصحن من البسكويت والمحار، ولكن طبق زوجته لم يكن به إلا عدد قليل من شرائح الفاكهة. لقد فقدت سيادين الوزن بشكل ملحوظ في تلك الأسابيع التي ترددت فيها على دروس سارين في المبارزة.

قال الكونت ضاحكًا: "بالطبع، هذا أفضل جزء في أي حفل!". ثم أومأ برأسه ناحية سارين وقال: "كنت سأحذركِ يا سمو الأميرة من أن تتركي هذا الوغد العجوز يفسدك، ولكني أخشى أنك قد تفعلين الشيء ذاته معه".

قالت سارين في استنكار مصطنع: "أنا؟ أي خطر يُمكن أن أمثله؟".

قال آهان ساخرًا: "اسألي الملك".

https://t.me/fantazynov 

ثم حشا فمه بقطعة من البسكويت قبل أن يقول: "في الواقع اسأليني أنا، انظري ماذا فعلتِ بزوجتي المسكينة، إنها ترفض تناول الطعام!".

قالت سيادين: "أنا مستمتعة بالفاكهة يا آهان، أعتقد أن عليك أن تجرب بعضها".

قال آهان: "ربما سأجرب طبقًا منها بعد أن أنتهي من طبقي". ثم زفر وقال: "هل رأيتِ ما فعلتِه يا سارين، لم أكن لأسمح بهذا الشيء المسمى مبارزة لو كنت أعرف أنك ستفسدين جسم زوجتي".

سألته سارين في دهشة: "أفسده؟".

قال آهان وهو يضع المزيد من المحار في طبقه: "أنا من جنوب أريلون أيتها الأميرة، بالنسبة لنا الجسد الجميل هو الجسد الممتلئ، لا يريد الجميع أن تبدو زوجاتهم وكأنهن يتضورن جوعًا". ثم أدرك أنه ربما قال ما لا يصح قوله، فصمت قليلًا قبل أن يضيف: "لم أقصد الإهانة".

عقدت سارين حاجبيها، إن آهان رجل لطيف حقًّا، ولكنه أحيانًا ما يتكلم ويتصرف دون تفكير. ترددت سارين وهي لا تعرف كيف تجيب بشكل لائق.

تدخل الدوق الرائع رويال لإنقاذها قائلًا: "حسنًا يا آهان، علينا أن نواصل جولتنا، لدي الكثير من الضيوف لتحيتهم. وبالمناسبة ربما ترغب في أن تخبر قافلتك بالإسراع".

نظر آهان إلى رويال الذي بدأ في السير مبتعدًا بصحبة سارين ثم سأله فجأة بجدية تامة: "قافلة؟ عن أي قافلة تتحدث؟".

قال الدوق بلا مبالاة: "بالطبع أتحدث عن القافلة التي تحمل الساورميلون من دولادل إلى سفوردن. لقد أرسلت شحنة منها بنفسي قبل أسبوع، ومن المفترض أن تصل هناك صباح

الغد، أخشى أن قافلتك ستصل إلى سوق مشبعة بهذه الفاكهة، كما أن ثمارك ستكون تامة النضج".

سب آهان والطبق يرتجف في يده فسقط المحار دون أن يلاحظ على العشب أسفله ثم قال: "كيف تمكنت من فعل هذا بحق دومي؟".

سأله رويال: "ألم تكن تعرف؟ كنت شريكًا في مشروع لوكل، لقد حصلت على كل الثمار غير الناضجة من شحنته في الأسبوع الماضي، ويجب أن تكون قد نضجت بحلول الوقت الذي تصل فيه إلى سڤوردن".

هزَّ آهان رأسه وهو يضحك بصوت خفيض ثم قال: "لقد نلت مني مرة أخرى يا رويال، ولكن فلتنظر ما أنا فاعل، في يوم من الأيام سأنال منك، وستندهش للغاية، حتى إنك لن تقدر على النظر لنفسك أسبوعًا".

قال رويال وهو يترك طاولة خدمة تقديم الطعام وراءه: "أتطلع لهذا".

ضحكت سارين بينما صوت سيادين وهي توبخ زوجها يصل إلى مسامعها، ثم قالت: "أنت حقًّا رجل أعمال بارع كما يقولون، أليس كذلك؟".

بسط رويال يديه بتواضع ثم قال: "أجل، بارع للغاية".

ضحكت سارين.

أكمل رويال: "ولكن ابن عمك الشاب هذا قد وضعني في موقف محرج، ليس لديَّ أدنى فكرة كيف أبقى شحنة الساورميلون سرًّا، من المفترض أن يخبرني عملائي في دولادل بمثل هذه الأشياء. لم أشترك في الصفقة إلا لأن لوكل قد لجأ إليَّ من أجل رأس المال".

"إذن من حسن الحظ أنه لم يذهب لآهان بدلًا منك".

وافقها رويال قائلًا: "من الجيد بالفعل. لو ذهب إلى آهان لما توقف عن التباهي أمامي، فهو يسعى إلى التفوق عليَّ منذ عقدين من الزمان. يومًا ما سيُدرك أنني أتظاهر بالعبقرية لكي أزعزع ثقته في نفسه، وحينها لن تكون الحياة مسلية بنفس القدر".

واصلا السير والحديث مع الضيوف والاستمتاع بحدائق رويال الرائعة، كانت أحواض الزهور التي تفتحت مبكرًا مضاءة ببراعة بالمشاعل والمصابيح وحتى الشموع. ولكن الشيء الأكثر إثارة للإعجاب كان أشجار كروسوود المزينة أغصانها بأزهار وردية وبيضاء، ومضاءة من الخلف بمصابيح تمتد على طول الجذوع. كانت سارين مستمتعة بوقتها حتى أنها كادت ألا تشعر بمرور الوقت، ولكن ظهور آش المفاجئ ذكرها بالهدف الحقيقي من الليلة.

صاح آش: "سيدتي! الملك يُغادر الحفل!".

تشتت انتباهها على الفور عن أزهار الكروسوود وهي تسأله: "هل أنت واثق؟".

"أجل يا سيدتي، لقد غادر خلسة وهو يزعم أنه بحاجة لاستخدام الحمام، ولكنه بدلًا من هذا أمر بإحضار عربته".

قالت سارين لرويال باقتضاب: "المعذرة يا مولاي، عليَّ أن أذهب".

سألها رويال في دهشة بينما تسير عائدة نحو البيت: "سارين؟". ثم ناداها بإلحاح أكبر: "سارين! لا يمكنك الذهاب".

"المعذرة يا مولاي ولكن هذا الأمر مهم".

حاول أن يلحق بها ولكن ساقيها كانتا أطول، كما أن الدوق هو مضيف الحفل، ولا يمكنه أن يختفي في منتصفها.

دارت سارين حول جانب بيت رويال في الوقت المناسب لكي ترى الملك يستقل عربته. سبَّت وهي تسأل نفسها لمَ لم يخطر ببالها أن توفر وسيلة مواصلات خاصة بها؟ تلفتت حولها بشكل محموم تبحث عن عربة للاستيلاء عليها، وبينما تختار واحدة ابتعدت عربة الملك بينما حوافر الخيل تضرب أحجار الرصف.

قال آش محذرًا: "سيدتي، الملك ليس في العربة".

تجمدت سارين وسألته: "ماذا؟".

"لقد تسلل من الجانب الآخر، واختفى في الظلال على الجانب الآخر من الطريق، هذه العربة مجرد تمويه".

لم تضع سارين وقتها في استجواب السيون، فحواسه أكثر حدة من حواس البشر. قالت وهي تتحرك نحو الاتجاه الصحيح: "هيا بنا، لا أرتدي الملابس الملائمة للتسلل، لذا سيكون عليك أن تراقبه وتخبرني أين يذهب".

قال آش: "أمرك يا سيدتي". خفت ضوؤه إلى مستوى يكاد يكون غير ملحوظ، ثم حلَّق وراء الملك، فلحقت به سارين بوتيرة أبطأ.

واصلا التقدم بهذه الطريقة، حيث ظل آش قريبًا من الملك، وسارين تتبعه على مسافة أقل إثارة للانتباه. كانوا يقطعون الأرض المحيطة بقصر رويال بسرعة كبيرة، ثم خرجوا إلى مدينة كاي. كان آيادون يتحرك بدقة عبر الأزقة فأدركت سارين لأول مرة أنها ربما تعرض نفسها للخطر، لا يتنقل النساء بمفردهن بعد حلول الظلام، حتى في كاي التي تعد من أكثر المدن أمانًا في أوبيلون. فكَّرت في العودة عدة مرات، وكادت أن تندفع بعيدًا في حالة من الذعر عندما تعثر رجل سكير في الظلام بجانبها، ورغم هذا واصلت المضي قُدُمًا. لن تحصل إلا على

فرصة واحدة لتكتشف ما يخطط له آيادون. وكان فضولها أقوى من خوفها... في الوقت الحالي على الأقل.

أحس آش بالخطر فنصحها أن تتركه يتبع الملك وحده، ولكنها واصلت السير في عزيمة. كان السيون معتادًا على طبيعة سارين فلم يجادلها أكثر من هذا. كان يتحرك جيئة وذهابًا بينها وبين الملك، باذلًا قصارى جهده في مراقبة سارين بينما يتعقب آيادون في الوقت ذاته.

في نهاية المطاف أبطأ السيون من حركته وهو يعود إلى سارين ويقول متخوفًا: "لقد دلف إلى شبكة المجاري يا سيدتي".

سألته سارين في ذهول: "شبكة المجاري؟".

"أجل يا سيدتي، إنه ليس وحده، فقد التقى برجلين متخفيين بعد أن غادر الحفل وانضم إليه ستة آخرون عند مدخل المجاري".

سألته في خيبة أمل: "ولِمَ تلحق بهم إلى الداخل؟ لن نكون قادرين قط على تعقبهم".

"للأسف يا سيدتي".

جزت سارين على أسنانها في غيظ، ثم قالت وهي تتقدم إلى الأمام: "لا شك أنهم سيتركون آثارًا في الوحل، يجب أن تكون قادرًا على أن تتبع أثرهم".

قال آش مترددًا: "أنا مُصر على أن تعودي إلى حفل الدوق يا سيدتي".

"مستحيل يا آش".

قال آش: "إن واجبي الرسمي هو حمايتك يا سيدتي، لا يمكنني أن أسمح لكِ بأن تتسللي عبر المجاري في منتصف الليل، كنت مخطئًا بالسماح لكِ بالوصول إلى هذا الحد، إن مسئوليتي أن أوقف هذا الأمر قبل أن يتفاقم".

سألته سارين في نفاد صبر: "وكيف ستفعل هذا؟".

"يُمكنني الاتصال بوالدك".

قالت سارين: "أبي يعيش في تيود يا آش، ما الذي يمكنه أن يفعله؟".

"يمكنني أن أذهب لأحضر لورد إيونديل أو واحدًا من الآخرين".

"وتتركني أضيع في المجاري وحدي؟".

قال آش: "لن تفعلي شيئًا بهذه الحماقة يا سيدتي". ثم صمت قليلًا وهو يحوم في الهواء مترددًا وآيونه خافت للغاية حتى إنه كان شفافًا، وأخيرًا قال: "حسنًا، سأعترف أنك حقًّا بهذه الحماقة".

ابتسمت سارين وقالت: "هيا بنا، كلما كانت الآثار حديثة العهد كان تعقبها أسهل بالنسبة لك".

اقتادها آش في وجوم عبر الشارع الذي سرعان ما انتهى بقنطرة حجرية مغطاة بالفطر. تقدمت سارين بعزيمة دون أن تبالي بالضرر الذي سيُلحقه الوحل بفستانها.

لم يستمر ضوء القمر إلا حتى المنعطف الأول، فوقفت سارين في الظلمة الرطبة الخانقة وقد أدركت أنها ليست حمقاء بما يكفي لتدلف إلى متاهة غير محددة الاتجاهات دون توجيه. لحسن الحظ اقتنع آش بخدعتها، رغم أنها لم تكن واثقة إن كان عليها أن تشعر بالإهانة من مستوى الحماقة المتغطرسة الذي يعتقد أنها قد تصل إليه.

زاد آش من سطوع ضوئه قليلًا، كانت المجاري عبارة أنبوب أجوف، إحدى البقايا من الأيام التي كان فيها سحر إيلانتريس يوفر الماء الجاري لكل بيت في كاي. الآن تستخدم المجاري للتخلص من القمامة والفضلات، التي تُطرد من خلال تحويل مجرى نهر أريديل بشكل دوري، وهو الشيء الذي بدا واضحًا أنه لم يحدث منذ وقت طويل، لأن الوحل الرطب في قاع الممر كان يصل إلى كاحليها. لم ترغب في التفكير في طبيعة مكونات هذا الوحل، ولكن الرائحة الكريهة النفاذة كانت دليلًا قويًا.

بدت كل الممرات متشابهة بالنسبة لسارين، ولكن شيئًا واحدًا كان يطمئنها، وهو قدرة السيون على الإحساس بالاتجاهات. كان من المستحيل أن تضيع وهي برفقة آش، لطالما عرفت السيونات أين هي، ويمكنها أن تشير بدقة إلى اتجاه أي مكان كانت فيه.

كان آش يتقدمها وهو يحلق بالقرب من سطح الوحل ثم قال: "هل تسمحي لي يا سيدتي أن أعرف كيف أدركتِ أن الملك سيتسلل من حفل رويال؟".

قالت موبخة: "ظننت أنك ستتمكن من تخمين الأمر يا آش".

"دعيني أؤكد لكِ يا سيدتي أنني قد حاولت".

"حسنًا، في أي يوم من الأسبوع نحن؟".

قال السيون وهو ينعطف: "المايدال؟".

"بالضبط، وما الذي يحدث كل أسبوع في المايدال؟".

لم يُجبها آش على الفور، ثم سألها: "يلعب أبوكِ الشيندا مع اللورد إيودين؟". كان صوته يحمل نبرة غير معتادة من السخط، فقد كان صبر آش المعهود يتلاشى مع أحداث الليلة وتصرفاتها المتهورة.

قالت سارين: "لا، في كل أسبوع في يوم المايدال عند الساعة الحادية عشرة أسمع صوت احتكاك في الممر الذي يمر من جدار غرفتي ويؤدي إلى جناح الملك".

أصدر السيون صوت تنهد خافت يدل على الفهم.

قالت سارين: "لقد سمعت الضوضاء في بعض الليالي الأخرى، ولكن المايدال كان هو اليوم الوحيد الثابت".

قال السيون: "لذا طلبتِ من رويال أن يقيم حفلًا الليلة متوقعة أن الملك سيلتزم بجدوله الزمني".

قالت سارين وهي تحاول ألا تنزلق في الوحل: "بالضبط، وكان عليَّ أن أجعله حفلًا في وقت متأخر لكي يبقى الناس حتى منتصف الليل على الأقل، وسيوفر الخسوف عذرًا مناسبًا. كان على الملك أن يأتي إلى الحفل، فكبرياؤه لن يسمح له بعدم الحضور، ولكن من الواضح أن موعده الأسبوعي مهم لكي يغامر بترك الحفل باكرًا من أجله".

قال آش: "لا يعجبني هذا يا سيدتي، أي نفع قد يعود على الملك من وجوده في المجاري عند منتصف الليل؟".

قالت سارين وهي تنفض عن نفسها خيوط عنكبوت: "هذا بالضبط ما أنوي اكتشافه". كان هناك فكرة واحدة تدفعها للتقدم عبر الوحل والظلمة، احتمال لا تكاد تجرؤ على الاعتراف به لنفسها، ربما لا يزال الأمير رايودن على قيد الحياة، ربما لم يسجنه آيادون في السراديب، بل في المجاري، قد لا تكون سارين أرملة في نهاية المطاف.

قالت عندما سمعت ضوضاء تأتي من الأمام: "اخفض ضوءك يا آش، أعتقد أنني أسمع أصواتًا".

خفض ضوءه حتى كاد أن يصير مخفيًّا. كان هناك تقاطع أمامهما مباشرة، وضوء مشعل يتراقص من النفق المؤدي إلى اليمين. اقتربت سارين من الزاوية ببطء، وهي تنوي أن تختلس النظر، ولكنها لسوء الحظ لم تنتبه أن الأرضية قد انحدرت قبل التقاطع مباشرة فانزلقت قدماها. لوحت بذراعيها في يأس، وبالكاد استطاعت أن تحافظ على توازنها، ولكن في هذه اللحظة انزلقت بضع أقدام عبر المنحدر للأسفل حتى توقفت في القاع.

وجدت سارين نفسها في منتصف التقاطع مباشرة فرفعت نظرها ببطء.

كان الملك آيادون يحدق إليها مذهولًا مثلها.

همست سارين: "بحق دومي الرحيم". كان الملك يقف وراء مذبح مشهرًا في يده سكينًا ملطخًا بالدماء، كان عاريًا تمامًا باستثناء الدماء التي تلطخ صدره. ومقيد إلى المذبح امرأة شابة قد نُزعت أحشاؤها بعد أن شُقَّ جذعها من الرقبة إلى ما بين الساقين.

سقط السكين من يد آيادون ليغوص في الوحل بالأسفل بصوت مكتوم. حينها فقط لاحظت سارين عشرات الأشكال ذات الأرواب السوداء الواقفة وراءه، وقد حيكت في ثيابهم الأحرف الدولادية، وكل واحد منهم يحمل خنجرًا طويلًا. انقض العديد منهم ناحيتها بخطوات سريعة. ترددت سارين ما بين رغبة جسدها في التقيؤ وإلحاح عقلها على الصراخ.

وأخيرًا تغلبت عليها رغبتها في الصراخ.

تعثرت للوراء وهي تنزلق عبر الوحل فأسرع الأشخاص ناحيتها وأعينهم تبرق بشراسة من تحت أغطية الرأس. ركلت سارين وقاومت في الوحل وهي لا تزال تصرخ بينما تحاول الوقوف على قدميها، حتى كادت ألا تنتبه إلى صوت خطوات الأقدام القادم من يمينها.

لقد جاء إيونديل.

لمع سيف الجنرال العجوز في الضوء الخافت، فقطع الذراع التي كانت تمتد لتمسك بكاحل سارين. تحرك أشخاص آخرون عبر الممر أيضًا، رجال يرتدون زي فيلق إيوينديل. كان هناك أيضًا رجل في ثوب أحمر؛ ديلاف، الكاهن الديريثي. إنه لم ينضم إلى القتال، بل تنحى جانبًا وهو يراقب ما يحدث باهتمام شديد.

حاولت سارين أن تقف مرة أخرى وهي تشعر بالذهول، ولكن انتهى بها المطاف بالانزلاق في الوحل مرة أخرى. أمسكت يد بذراعها لتساعدها على الوقوف. كان وجه رويال المتغضن يبتسم في ارتياح وهو يجذب سارين لتقف على قدميها.

قال: "ربما في المرة القادمة ستخبريننا بما تخططين له أيتها الأميرة".

***

أدركت سارين ما حدث فنظرت إلى آش نظرة اتهام وقالت: "أنت أخبرته".

قال السيون وهو ينبض: "لقد أخبرته بالتأكيد يا سيدتي". كانت سارين جالسة في مكتب رويال بصحبة آش ولوكل، ترتدي الروب الذي استعاره لها الدوق من إحدى خادماته. كان قصيرًا للغاية بالطبع، ولكنه أفضل من الفستان المخملي المغطى بأوحال المجاري.

مالت سارين إلى الوراء على أريكة رويال المبطنة وهي تدثر نفسها بالبطانية ثم سألته: "متى؟". كان الدوق قد أمر بإعداد الحمام لها، وكان شعرها لا يزال مبللًا فأحست بالبرودة مع هواء الليل.

قال رويال وهو يخطو إلى الحجرة: "لقد اتصل بأوبا، بمجرد أن غادرتِ الحفل". كان يحمل ثلاثة أكواب يتصاعد منها البخار، أعطاها واحدًا وآخر للوكل، قبل أن يجلس.

قالت سارين في دهشة: "بهذه السرعة؟".

قال آش: "كنت أعرف أنك لن تعودي مهما قلت".

تمتمت: "أنت تعرفني حق المعرفة". ثم ارتشفت رشفة من كوبها، كان المشروب عبارة عن جارها فيوردية[40]، وكان هذا جيدًا، فهي لم تكن راغبة في النوم بعد.

قال آش: "سأعترف دون جدال بعدم قدرتي على إثنائك عن أي شيء يا سيدتي".

سألته: "إذن لماذا حاولت إيقافي قبل أن تصحبني إلى المجاري؟".

قال آش مفسرًا: "كنت أُماطل لأكسب بعض الوقت، فقد أصر الدوق على المجيء بنفسه، وكانت مجموعته تتحرك ببطء".

قال رويال: "قد أكون بطيئًا ولكني لن أسمح لنفسي أن أفوت شيئًا قد خططتِ له يا سارين. يقولون إن العمر يجلب الحكمة، ولكنه لم يمنحني سوى الإحساس المؤرق بالفضول".

سألته سارين: "وماذا عن جنود إيونديل؟".

قال لوكل: "كانوا في الحفلة بالفعل". كان قد أصر على أن يعرف كل ما حدث بمجرد أن رأى سارين تتسلل إلى بيت رويال مغطاة بالوحل. "لقد رأيت بعضهم يتبادلون أطراف الحديث مع الضيوف".

قال رويال: "لقد دعوت ضباط إيونديل إلى الحفل، على الأقل الموجودين منهم في المدينة".

قالت سارين: "حسنًا، إذن بعد أن هربت اتصل آش بسيونك وأخبره أنني أُطارد الملك".

قال رويال ضاحكًا: "هذه الفتاة الحمقاء ذاهبة لتتسبب في قتل نفسها، أعتقد أن هذه كانت كلماته بالضبط".

---

[40] الجارها: مشروب يحتوي على الكافيين، أصله من فيوردن.

"آش!".

قال السيون وهو ينبض في حرج: "أعتذر يا سيدتي، لقد كنت أشعر بالغضب إلى حد ما".

قالت سارين: "على أي حال اتصل آش برويال الذي جمع إيونديل ورجاله من الحفل، ثم تبعتموني إلى المجاري حيث أرشدكم سيونكم".

أنهى رويال الحديث قائلًا: "حتى سمعك إيونديل تصرخين. أنتِ سيدة محظوظة للغاية لأنك تحظين بولاء هؤلاء الرجال يا سارين".

قالت سارين: "أعرف هذا، هذه هي المرة الثانية هذا الأسبوع التي يُثبت فيها سيفه أنه مفيد. في المرة التالية التي أرى فيها آيادون ذكرني أن أركله لأنه أقنع النبلاء بأن التدريب العسكري شيء أدنى من مستواهم".

ضحك رويال وقال: "قد تضطرين لأن تقفي في طابور طويل لكي تركليه أيتها الأميرة. أشك أن كهنة المدينة ـ ديريثيين أو كوراثيين ـ سيسمحون للملك بأن يفلت بتورطه في الباطنية الجسكرية".

قال آش بصوت خافت: "والتضحية بتلك المرأة المسكينة".

تغيرت نبرة المحادثة فجأة عندما تذكروا طبيعة ما يناقشونه. ارتجفت سارين مع صورة المذبح المغطى بالدماء، والجثة التي عليه. قالت لنفسها في حزن: *آش محق، هذا ليس وقت المزاح*.

سأل لوكل: "هذا ما كان يفعله إذن؟".

أومأت سارين برأسها وقالت: "أحيانًا ما تتضمن الطقوس الباطنية أضحيات، لا شك أن آيادون كان يريد شيئًا بشدة".

قال روريال: "يزعم صديقنا الديريثي أنه الآن لديه بعض المعرفة بالأمر، فيبدو أنه يعتقد أن الملك كان يتضرع إلى الأرواح الجسكرية لكي تدمر شخصًا ما من أجله".

سألت سارين: "أنا؟". أحست بقشعريرة باردة رغم تدثرها بالبطانية.

أومأ روريال برأسه وقال: "يقول الأرتيث ديلاف إن التعليمات كانت مكتوبة على المذبح بدماء تلك المرأة".

ارتجفت سارين ثم قالت: "على الأقل نعرف الآن ما حدث للخادمات والطاهيات اللائي اختفين من القصر".

أومأ روريال برأسه وقال: "أعتقد أنه كان متورطًا مع الباطنية لوقت طويل، ربما حتى منذ الريود، ومن الواضح أنه كان قائد تلك الفرقة بعينها".

سألته سارين: "ماذا عن الآخرين؟".

قال روريال: "نبلاء صغار، لم يكن آيادون ليُشرك في الأمر شخصًا يُمكن أن يتحداه".

قالت سارين وهي تعقد حاجبيها: "مهلًا، لماذا أتى ذلك الكاهن الدريثي على أي حال".

نظر روريال إلى كوبه في توتر ثم قال: "كان هذا خطئي، لقد رآني أجمع رجال إيونديل فلحق بنا، وكنت في عجلة من أمري لذا لم يكن هناك وقت للتعامل معه".

أخذت سارين رشفة من شرابها وهي متجهمة، إن أحداث الليلة لم تسِر على النحو الذي خططت له بالتأكيد.

فجأة دلف آهان عبر الباب وهو يصيح: "راج دومي يا سارين! أولًا تعارضين الملك، ثم تنقذينه، والآن تسقطينه من على عرشه. هل يمكنك أن تحسمي موقفك من فضلك؟".

**جذبت سارين ركبتيها إلى صدرها وأراحت رأسها عليهما، ثم تنهدت وقالت: "ليس هناك فرصة لإخفاء الأمر إذن".**

**قال رويال: "لا، لقد رأى الكاهن الديريثي ما حدث، وقد أخبر نصف المدينة بالفعل".**

**قال آهان وهو يهز رأسه: "من المؤكد أن تيلري هو من سيتولى مقاليد الحكم الآن".**

**قالت سارين وصوتها مكتوم بفعل البطانية: "أين إيونديل؟".**

**قال آهان: "يحتجز الملك في السجن".**

**"وشودن؟".**

**قال لوكل: "لا يزال يحرص على أن تعود النسوة إلى بيوتهن بأمان".**

**قالت سارين وهي ترفع رأسها وتزيح الشعر عن عينيها: "حسنًا، سيكون علينا أن نتصرف من دونهما. أخشى أيها السادة أنني قد دمرت للتو فترة السلام القصيرة التي حظينا بها. إن أمامنا الكثير من التخطيط، ومعظمه سيتمحور حول الخروج بأقل الخسائر الممكنة".**

# الفصل الثالث والثلاثون

شيء ما قد تغير. رمش هراثن بعينيه وهو ينفض عن نفسه آخر بقايا حلم اليقظة، لم يكن واثقًا من قدر الوقت الذي مر، ولكن الظلمة قد حلت، ظلام دامس باستثناء بعض المشاعل القليلة المتناثرة فوق سور إيلانتريس. لم يكن هناك حتى ضوء القمر.

كان يغرق في الشرود أكثر وأكثر مؤخرًا، عقله ضبابي وهو راكع في وضع التضرع ذاته. إن ثلاثة أيام وقت طويل على أن يقضيه المرء في الصلاة.

كان يشعر بالعطش، وبالجوع أيضًا، ولكنه كان يتوقع هذا، لقد صام من قبل، ومع ذلك كان الأمر مختلفًا هذه المرة، بدا جوعه أكثر إلحاحًا، وكأن جسده يحاول تحذيره من شيء ما. كان يعرف أن وجوده في إيلانتريس له علاقة بإحساسه بعدم الارتياح. كان هناك يأس مخيم على المدينة، إحساس بالقلق في كل حجر متشقق خبيث.

فجأة ظهر الضوء في السماء، نظر هراثن لأعلى في رهبة وهو يرمش بعينين متعبتين. كان القمر يظهر ببطء من الظلمة، أولًا كان على هيئة منجل فضي، ثم بدأ حجمه يزداد. لم يكن يدرك أن خسوفًا قمريًّا سيحدث هذه الليلة، لقد توقف عن الاهتمام بهذه الأشياء منذ رحيله عن دولادل. كانت الديانة الوثنية بهذه الأمة تولي حركة الأجرام السماوية اهتمامًا خاصًّا، وعادة ما تجري طقوس الباطنية في مثل هذه الليالي.

وبينما هراثن رابض في باحة إيلانتريس أدرك أخيرًا ما الذي حث الجسكريين على تأمل الطبيعة بانبهار ديني. كان هناك شيء جميل حيال ربة السماوات، وشيء غامض حيال خسوفها. بدا

الأمر وكأنها تغادر لبعض الوقت، تسافر لمكان آخر، بدلًا من كونها تختفي تحت ظل الكوكب كما يزعم العلماء السڨورديون. كاد هراثن أن يشعر بسحرها.

صار قادرًا على أن يفهم كيف يمكن لثقافة بدائية أن تعبد القمر، ولكنه لا يستطيع أن يشارك في هذه العبادة، ورغم هذا تساءل؛ هل هذه هي الرهبة التي يجب أن يشعر بها تجاه إلهه؟ هل هناك خلل في إيمانه لأنه لا ينظر لجادث بنفس المزيج من الخوف والفضول والتساؤل الذي ينظر به الجسكريون إلى القمر؟

لم يشعر يومًا بمثل هذه المشاعر، فهو لم يكن قادرًا على أن يشعر بالتبجيل بشكل غير عقلاني، إنه يفهم الأمر، فحتى لو كان يحسد الرجال الذين يمكنهم أن يسبحوا بحمد إله دون فهم لتعاليمه فإن هراثن لا يستطيع أن يفصل بين الحقائق والدين. يسبغ جادث على الرجال النعم التي يراها مناسبة لهم، وقد وهبه الذكاء العقلاني، لا يمكنه مطلقًا أن يقتنع بالإخلاص الديني الساذج.

لم يكن هذا ما يطمح إليه هراثن، ولكنه كان الإجابة، فوجد فيه الراحة والقوة. إنه ليس متعصبًا دينيًّا، ولن يكون يومًا متحمسًا بشكل متطرف. إنه في نهاية المطاف يتبع الشو-ديريث لأنه رجل عقلاني، يجب أن يكون هذا كافيًا.

لعق هراثن شفتيه الجافتين، لم يعرف كم سيمضي عليه قبل أن يرحل عن إيلانتريس، ربما يستغرق نفيه أيامًا أخرى. لم يكن راغبًا في أن يُظهر أن لديه احتياجات جسدية، ولكنه يعرف أنه بحاجة إلى بعض التغذية، مد يده ليُمسك بسلة القرابين. كان الطعام المغطى بالوحل قد تعفن، ولكن هراثن أكله على أي حال، ليُنهي أخيرًا صيامه. التهم الطعام كله؛ الخضراوات الذابلة، والخبز المتعفن، واللحم، وحتى بعض الذرة. وقد لانت الحبوب الصلبة قليلًا بسبب وجودها لفترة طويلة في وحل إيلانتريس. وفي النهاية تجرع قارورة النبيذ كلها في جرعة واحدة طويلة.

ألقى بالسلة جانبًا، على الأقل لن يكون قلقًا بشأن النباشين الذين سيأتون لسرقة قرابينه. رغم أنه لم يرَ أيًّا منهم منذ الهجوم السابق. حمد جادث على هذه الفترة من الراحة، إنه يشعر بالضعف والجفاف، حتى إنه قد لا يقدر على صد هجوم آخر.

كاد القمر أن يظهر بالكامل، فحدق هراثن لأعلى وقد استعاد رباطة جأشه، إنه يفتقر إلى الحماس ولكن لديه قدرًا كبيرًا من العزيمة. لعق هراثن شفتيه المبللتين في هذه اللحظة، ثم استأنف صلواته، سيفعل ما كان يفعله دومًا، سيبذل قصارى جهده في خدمة إمبراطورية الرب جادث.

إن الرب لا يتوقع منه شيئًا آخر.

# الفصل الرابع والثلاثون

كان رايودن مخطئًا بشأن رجال شايور، لم يأتِ إلا عدد قليل منهم في تلك الليلة لطهو طعامهم، ولم يكن في أعينهم سوى بريق خافت من الوعي، أما البقية ـ غالبية أتباع شايور ـ فلم يأتِ منهم أحد.

ولكنهم جاؤوا لاحقًا بدافع مختلف.

راقب العديد منهم يسحبون كتلة حجرية كبيرة على إحدى زلاجات ماريش، لقد ذهبت عقولهم وضمرت قدرتهم على التفكير العقلاني بطريقة ما. بينما استعاد عدد قليل منهم عقله ولو جزئيًا، ولكن البقية بدا أن حالتهم ميؤوس منها تمامًا، لم يتمكنوا من الربط ما بين النار والطهو، فاكتفوا بالوقوف وهم يصرخون أمام الحبوب، غاضبين ومرتبكين بسبب عدم قدرتهم على التهامها.

لا، هؤلاء الرجال لم يقعوا في الفخ، ولكنهم قد جاؤوا على أي حال، لأن رايودن قد أسقط ربتهم من على عرشها.

لقد دخل منطقة شايور وهرب دون أن يمسَّه أذى، إن لديه السلطة على الطعام، يمكن أن يجعله غير صالح للأكل بالنسبة لشخص، ويجعله لذيذًا بالنسبة لشخص آخر، وقد هزم جنوده عصابة شايور مرة تلو الأخرى. بالنسبة لعقولهم البدائية لم يكن هناك سوى شيء واحد يُمكن فعله عندما يواجه ربتهم إله أقوى؛ تبديل الدين.

لقد جاؤوا إليه في الصباح التالي لمحاولته استعادة عقولهم. كان يمشي بمحاذاة سور إيلانتريس الجديدة الدفاعي القصير، ثم رآهم يتسللون عبر أحد شوارع المدينة الرئيسية، فرفع عقيرته بالنداء معتقدًا أنهم قد قرروا أخيرًا شن هجوم منظم.

ولكن رجال شايور لم يأتوا للقتال، بل جاؤوا ليمنحوه هدية؛ رأس ربتهم السابقة، أو على الأقل شعرها. ألقى الرجل المجنون الذي يتقدمهم بالشعر المستعار الذهبي عند قدمي رايودن، وكان منبت الشعر ملطخًا بالدماء الإيلانترية الراكدة الداكنة.

ورغم أن رجاله قد بحثوا عن جثة شايور إلا أنهم لم يجدوا لها أثرًا. بعد أن ألقى الرجال الجامحون فروة ربتهم التي سقطت من عليائها أحنوا رؤوسهم حتى لمست الأرض في تضرع. إنهم الآن يفعلون كل ما يطلبه منهم رايودن، وفي المقابل يكافئهم بفتات الطعام، كما قد يفعل المرء مع حيوانه الأليف.

كان يشعر باضطراب شديد لأنه يستخدم البشر كأنهم وحوش، لقد بذل جهودًا أخرى لاستعادة تفكيرهم العقلاني، ولكن بعد يومين فقط أدرك أن الأمر ميؤوس منه. هؤلاء الرجال قد تخلوا عن عقلانيتهم ولن تعود إليهم بغض النظر عن كون المُلام هو السيكولوجيا أم الدور.

والمدهش هو أنهم كانوا يحسنون التصرف، بل وخاضعين إلى حد كبير، لم يبدُ أن الألم يؤثر عليهم، وكانوا يؤدون أي مهمة مهما كانت شاقة. إن أمرهم رايودن بأن يدفعوا مبنى حتى يسقط فإنه يتوقع أنه سيعود بعد بضعة أيام ليجدهم لا يزالون واقفين أمام نفس الجدار وهم يدفعون الحجر الذي لا يلين. ولكن رايودن لم يثق بهم قط رغم خضوعهم الظاهري، لقد قتلوا سايولين، بل وقتلوا سيدتهم السابقة. إنهم هادئون فحسب لأن هذا ما يأمرهم به إلههم الحالي.

قال جالادون وهو ينضم إليه: "كايانا".

وافقته كاراتا قائلة: "لم يتبقَّ لديهم الكثير من العقل، أليس كذلك؟".

كان كايانا هو الاسم الذي أطلقه جالادون عليهم، ويعني المجانين.

قال رايودن: "يا لهم من مساكين".

أومأ جالادون برأسه ثم قال: "هل أرسلت في طلبنا يا سول؟".

"أجل فعلت، تعاليا معي".

***

إن القوة العاملة المتزايدة المتمثلة في الكايانا وفرت لماريش وعماله وسائل لإعادة بناء بعض الأساس الحجري، وبالتالي الحفاظ على مواردهم الخشبية المتضائلة بالفعل. كانت طاولة رايودن الجديدة بداخل الكنيسة هي الطاولة نفسها التي استخدمها ليجعل تان يتذكر أيام عمله في نحت الحجر. كان هناك شق كبير يقطعها من المنتصف، وقد رُمِّم بالإسمنت، ولكن عدا هذا كانت سليمة بشكل ملحوظ، والنقوش متآكلة ولكنها واضحة.

كانت الطاولة تحمل عدة كتب. إن الترميم الأخير لإيلانتريس الجديدة قد تطلب إشراف رايودن، مما جعل من الصعب عليه أن يتسلل إلى المكتبة المخفية، لذا جلب عدة مجلدات. اعتاد الناس رؤيته بصحبة الكتب، ولم يفكروا في سؤاله عن الأمر، رغم أن هذه الكتب لا تزال تحتوي على أغلفة جلدية.

كان يدرس الآيوندور بإحساس متزايد بالعجلة، فقد كان الألم يتضاعف، وأحيانًا يهجم على رايودن بشراسة، مما يجعله ينهار وهو يصارع عذابه. كان لا يزال محتملًا، ولو بالكاد، ولكنه يزداد سوءًا. لقد مضى خمسة أسابيع منذ مجيئه إلى إيلانتريس، ولكنه يشك أنه سيشهد مُضي خمسة أسابيع أخرى.

تنهد جالادون وهو يرى رايودن يقترب من مجلد مفتوح ثم قال: "لا أفهم سبب إصرارك على أن تشاركنا كل تفاصيل الآيوندور يا سول، بالكاد أفهم نصف ما تخبرنا به".

قال رايودن: "يجب أن تجبر نفسك على تذكر هذه الأشياء يا جالادون، فأنا أعرف أنك تملك الذكاء الكافي لهذا مهما زعمت العكس".

قال جالادون معترفًا: "ربما، ولكن هذا لا يعني أنني أستمتع بالأمر، الآيوندور هواياتك وليس هوايتي".

قال رايودن: "اسمعني يا صديقي، أنا أعرف أن الآيوندور يحوي سر لعنتنا، مع مرور الوقت وقراءة الكتب يُمكننا أن نكتشف الدلائل التي نحتاج إليها، ولكن إن حدث شيء لي فيجب أن يكون هناك شخص ما ليُكمل العمل".

قال جالادون ساخرًا: "أنت تقترب من أن تكون من الهويد بقدر ما أقترب أنا من أن أكون فيورديًّا".

قال رايودن لنفسه: *أنا أُخفي الأمر جيدًا*. ثم قال: "هذا لا يهم، من الحماقة ألا يكون لدينا خطة احتياطية. سأكتب هذه الأشياء ولكني أريد منكما أنتما الاثنين أن تسمعا ما سأقوله".

تنهد جالادون وقال: "حسنًا يا سول، ما الذي اكتشفته؟ متغيرًا آخر لمضاعفة نطاق تأثير أحد الآيونات؟".

ابتسم رايودن وقال: "لا، هذا شيء أكثر إثارة للاهتمام، لقد عرفت لمَ إيلانتريس مغطاة بالوحل".

تنبه جالادون وكاراتا على الفور، ثم سألته كاراتا وهي تنظر إلى الكتاب المفتوح: "حقًّا؟ هل يفسر هذا الكتاب الأمر؟".

قال رايودن: "لا، إنه مزيج من عدة أشياء، ولكن العنصر الأساسي هو هذا". كان يشير إلى رسمة توضيحية.

سأله جالادون: "آيون آش؟".

قال رايودن: "بالضبط، أنت تعرف أن بشرة الإيلانتريين كانت فضية حتى زعم البعض أنها كانت تتوهج".

قال جالادون: "كانت تتوهج بالفعل، ليس بضوء ساطع، ولكن عندما كان أبي يدخل غرفة مظلمة كان بمقدورك أن تميز هيئته".

قال رايودن: "حسنًا، الدور هو المسئول عن الأمر، فكل جسد إيلانتري يكون متصلًا باستمرار بالدور، والرابط نفسه موجود بين إيلانتريس والدور، رغم أن الباحثين لا يعرفون السبب. لقد امتزج الدور بالمدينة بأسرها، مما جعل الحجر والخشب يتوهجان كأن نيرانًا هادئة تحترق بداخلهما".

قالت كاراتا: "لا شك أن هذا التوهج جعل النوم صعبًا".

قال رايودن: "يُمكنك تغطيته، ولكن تأثير ضوء المدينة كان مذهلًا للغاية، حتى إن الكثير من الإيلانتريين اعتبروه أمرًا طبيعيًّا، واعتادوا النوم حتى مع الوهج".

قال جالادون بلا اكتراث: "هذا أمر مثير للاهتمام، ولكن ما علاقة كل هذا بالدور؟".

قال رايودن: "هناك أنواع من الفطر والعفن تعيش على الضوء يا جالادون. ولكن ضوء الدور كان مختلفًا عن الضوء العادي فجذب نوعًا مختلفًا من الفطريات، من الواضح أن طبقة رقيقة وشفافة قد نمت على معظم الأشياء، ومن الواضح أن الإيلانتريين لم يبالوا بتنظيفها، فقد كانت

غير محسوسة من الناحية العملية، وفي الواقع كانت تعزز من الوهج. كان العفن صلبًا ولم يصنع الكثير من الفوضى حتى مات".

قالت كاراتا: "تلاشى الضوء...".

أومأ رايودن برأسه وقال: "فتعفن الفطر، وبما أن الفطر كان يومًا يغطي المدينة بأسرها فإن الوحل الآن يغطي المدينة بأسرها".

سأله جالادون وهو يتثاءب: "إذن ما المغزى من كل هذا؟".

قال رايودن: "هذا خيط آخر في الشبكة، دليل يُخبرنا عما حدث عندما ضرب الريود، علينا أن نقتفي الأثر إلى الوراء يا صديقي. الآن فقط نبدأ في تحديد أعراض حدث قد وقع قبل عشر سنوات، ربما بعد أن نفهم كل شيء قد فعله الريود يمكننا حينها أن نخمن سبب حدوثه".

قالت كاراتا: "إن تفسير الوحل منطقي أيها الأمير، لطالما عرفت أن هناك شيئًا غير طبيعي حيال هذه الأوساخ، كنت أقف بالخارج في المطر أراقب أمواجًا من الماء ترتطم بجدار حجري دون أن تنظف منه لطخة واحدة".

قال رايودن:"إن الوحل زيتي، فيتنافر مع الماء.هل سمعتِ كاهار يتحدث عن صعوبة كشط الأوحال؟".

أومأت كاراتا برأسها وهي تتصفح المجلد ثم قالت: "هذه الكتب تحتوي على الكثير من المعلومات".

قال رايودن: "هذا صحيح، رغم أن الباحثين الذين كتبوها جعلوها مبهمة بشكل مثير للغيظ، إن الأمر يتطلب قدرًا كبيرًا من الدراسة للعثور على إجابات لأسئلة محددة".

سألته كاراتا: "مثل ماذا؟".

عقد رايودن حاجبيه وهو يقول:"حسنًا، على سبيل المثال لم أجد كتابًا يشرح كيفية إنشاء السيونات".

سألته كاراتا في دهشة: "ولا أي كتاب منها على الإطلاق؟".

هز رايودن رأسه وقال: "لطالما افترضت أن السيونات تُنشأ باستخدام الآيوندور، ولكن إن كان الأمر هكذا فإن الكتاب لا يشرح الطريقة، الكثير من الكتب تتحدث عن تمرير سيونات مشهورة من شخص لآخر، ولكن هذا كل شيء".

سألته كاراتا وهي تعقد حاجبيها: "تمرير؟".

قال رايودن: "منح السيون لشخص آخر. إن كان لديك سيون فيمكنك أن تمنحيه إلى شخص آخر، أو يمكنك أن تحددي الشخص الذي يجب أن ينتقل إليه السيون ويخدمه بعد موتك".

سألته: "إذن، فيمكن لواحد من العوام أن يقتني سيونًا؟ لطالما ظننت أن الأمر مقتصر على النبلاء".

هز رايودن رأسه وقال: "الأمر يتوقف على المالك السابق".

قال جالادون: "رغم أنه من غير المحتمل أن يمرر أحد النبلاء سيونه إلى فلاح غير ذي شأن. السيونات مثل الثروة تميل للبقاء في العائلة، كولو؟".

عقدت كاراتا حاجبيها وهي تقول: "إذن... ماذا يحدث إن مات المالك دون أن يحدد من سينتقل إليه السيون؟".

صمت رايودن ثم هز كتفيه ونظر إلى جالادون.

قال جالادون: "لا تنظر إليَّ يا سول، لم أمتلك سيونًا من قبل".

قال رايودن معترفًا: "لا أعرف، أخمن أنه سيختار سيده التالي بنفسه".

قالت كاراتا: "وماذا لو لم يرغب في هذا؟".

قال رايودن: "لا أعتقد أنه سيكون لديه خيار، هناك... شيء حيال السيون وسيده؛ إنهما مرتبطان بطريقة ما، فعلى سبيل المثال يُصاب السيون بالجنون عندما يصيب الشايود سيده. أعتقد أن السيونات قد أُنشئت للخدمة، هذا جزء من سحرها".

أومأت كاراتا برأسها.

نادى صوت بينما صاحبه يقترب: "سيدي سبيريت!".

رفع رايودن حاجبًا وهو يغلق الكتاب.

قال داش وهو يُسرع عبر الباب: "سيدي". كان الإيلانتري الطويل يبدو مرتبكًا أكثر منه قلقًا.

سأله رايودن: "ما الأمر يا داش".

قال داش: "إنه الجيورن يا سيدي". ثم لمعت عيناه في حماسة وهو يقول: "لقد شُفي".

# الفصل الخامس والثلاثون

"لم يمضِ على وجودك هناك سوى خمسة أسابيع وقد أطحتِ بالملك من على عرشه بالفعل. لا تدعي أحدًا يقول إنك لا تعملين بسرعة يا إين". رغم كلمات والدها المرحة كان وجهه مكتسيًا بالقلق. إنه يعرف. مثلما تعرف هي. أن الفوضى التي تعقب الإطاحة بحكومة يمكن أن تكون خطيرة على الفلاحين والنبلاء على حد سواء.

قالت سارين في احتجاج: "ليس الأمر وكأنني قصدت هذا. بحق دومي الرحيم لقد حاولت أن أُنقذ ذلك الأحمق، لم يكن من المفترض به أن يتورط مع الباطنية".

ضحك أبوها وقال: "لم يكن يُفترض بي أن أُرسلك إلى هناك، كنتِ سيئة بما يكفي عندما سمحنا لكِ بزيارة أعدائنا".

قالت سارين: "أنت لم تُرسلني إلى هنا يا أبي، كانت هذه فكرتي".

قال إيڤينتيو: "أنا مسرور لمعرفة أن رأيي مهم للغاية من وجهة نظر ابنتي".

أحست سارين بنفسها تلين بعض الشيء، ثم تنهدت وقالت: "المعذرة يا أبي، لقد كنت على حافة الانهيار منذ... أنت لا تعرف كم كان الأمر مروعًا".

"بل أعرف للأسف. بحق دومي، كيف يُمكن أن يولد وحشًا مثل الباطنية من رَحِم ديانة بريئة مثل الجسكرية؟".

أجابته سارين وهي تهز رأسها: "بنفس الطريقة التي يمكن أن تولد بها الشو-ديريث والشو-كوراث من تعاليم رجل جيندوي واحد".

تنهد إيڤينتيو: "إذن فقد مات آيادون؟".

سألته سارين في دهشة: "هل سمعت بالأمر؟".

قال أبوها: "لقد أرسلت جواسيس جدد إلى أريلون مؤخرًا، لن أترك ابنتي وحدها في بلد على حافة الدمار دون أن أُبقي عيني عليها على الأقل".

سألته سارين في فضول: "من؟".

قال أبوها: "لست بحاجة لأن تعرفي".

قالت سارين: "لا شك أن معهم سيونًا، وإلا فلم تكن لتعرف بشأن آيادون، فهو لم يشنق نفسه إلا الليلة الماضية".

قال إيڤينتيو وقد بدا مستمتعًا بالأمر: "لن أُخبرك يا إين، لأنك إن عرفتِ من هو فستستغلينه من أجل أهدافك الخاصة".

قالت سارين: "لا بأس، ولكن عندما ينتهي هذا الأمر فمن الأفضل أن تُخبرني من هو".

"أنتِ لا تعرفينه".

قالت سارين مرة أخرى وهي تتظاهر بعدم الاكتراث: "لا بأس".

ضحك أبوها ثم قال: "إذن أخبريني بشأن آيادون، كيف استطاع الحصول على حبل بحق دومي؟".

قالت سارين مخمنة وهي تضع مرفقيها على المكتب: "لا شك أن اللورد إيونديل قد رتب الأمر، إن الكونت يفكر كمحارب، وكان هذا حلًّا فعالًا للغاية، لن يكون علينا أن نجبره على التخلي عن عرشه، والانتحار يعيد بعض الكرامة إلى النظام الملكي".

"تبدين متعطشة للدماء يا إين".

ارتجفت سارين وقالت: "أنت لم ترَ الأمر يا أبي، إن الملك لم يقتل تلك الفتاة فحسب، بل كان... مستمتعًا بالأمر".

قال إيڤينتيو: "فهمت. تقول مصادري إن الدوق تيلري على الأرجح هو من سيعتلي العرش".

قالت سارين: "ليس إن كنا قادرين على منع الأمر، إن تيلري أسوأ من آيادون، حتى لو لم يكن مواليًا للديريثية فسيكون ملكًا فظيعًا".

"لن تكون الحرب الأهلية في مصلحة أحد يا إين".

وعدته سارين: "لن يصل الأمر إلى هذا الحد يا أبي. أنت لا تفهم كيف أن تفكير هؤلاء الناس أبعد ما يكون عن التفكير العسكري، لقد عاشوا لقرون تحت حماية إيلانتريس، ويعتقدون أن وجود عدد من الحراس البدناء على سور المدينة كافٍ لتثبيط عزيمة الغزاة، إن قواتهم العسكرية الوحيدة تقتصر على فيلق اللورد إيونديل، الذي أمر بأن يجتمع فيلقه في كاي. قد نكون قادرين على تتويج رويال قبل أن يفكر شخص آخر في الأمر".

"لقد اتحدتم وراءه إذن؟".

قالت سارين مفسرة: "إنه الشخص الوحيد بالغ الثراء حتى يواجه تيلري، ولم يكن لدي وقت كافٍ للقضاء على نظام آيادون الأحمق المبني على منح الألقاب بناءً على الثروة، هذا ما اعتاد عليه الناس، لذا سنضطر لاستخدامه، في الوقت الحالي على الأقل".

جاء طرق على الباب، ثم دلفت خادمة تحمل صينية طعام. كانت سارين قد عادت للعيش في القصر، بعد أن أمضت ليلة واحدة فقط في إقطاعية رويال، رغم مخاوف حلفائها. إن القصر يمثل رمزًا، وتأمل أن يمنحها سلطة. وضعت الخادمة الصينية على الطاولة ثم غادرت.

قال أبوها: "هل هذا هو الغداء؟". بدا وكأنه يمتلك حاسة سادسة فيما يتعلق بالطعام.

قالت سارين وهي تقطع جزءًا من رغيف خبز الذرة: "أجل".

"هل هو جيد؟".

ابتسمت سارين وقالت: "ليس من المفترض أن تسأل يا أبي، هذا سيصيبك بالإحباط".

تنهد إيڤينتيو وقال: "أعرف، إن أمك لديها شغف جديد، حساء الأعشاب الهراجية".

سألته: "هل هو جيد؟". كانت أمها ابنة دبلوماسي تيودي، وقد ترعرعت لجزء كبير من حياتها في جيندو، ونتيجة لذلك فإن لديها تفضيلات غريبة للطعام، تفرضها على القصر كله.

"إنه فظيع".

قالت سارين: "هذا مثير للشفقة، والآن أين وضعت الزبد؟".

تنهد أبوها.

قالت سارين موبخة: "أنت تعرف أن عليك إنقاص وزنك يا أبي". لم يكن الملك ضخمًا من ناحية العضلات أو الدهون مثل أخيه كين، ولكنه كان سمينًا بعض الشيء.

قال إيڤينتيو: "لا أرى سببًا لهذا، هل تعرفين أنه في دولادل يعتبرون الشخص البدين جذابًا؟ إنهم لا يبالون بمفاهيم جيندو عن الصحة، وهم سعداء تمامًا. إلى جانب هذا؛ أين ثبت أن الزبد يجعل المرء بدينًا؟".

قالت سارين: "أنت تعرف أن هذا ما يقوله الجيندويون، كل ما يحترق ليس صحيًّا".

تنهد إيڤينتيو وقال: "لم أتناول كأسًا من النبيذ منذ عشر سنوات".

"أعرف يا أبي، هل نسيت أنني كنت أعيش معك؟".

"أجل، ولكنها لم تجبرك على البقاء بعيدًا عن الخمر".

قالت سارين: "أنا لست بدينة. الكحول يحترق".

قال إيڤينتيو متذمرًا: "وكذلك حساء الأعشاب الهراجية، على الأقل إن جففتِه، لقد جربت هذا".

ضحكت سارين وقالت: "أشك أن أمي كانت سعيدة بهذه التجربة الصغيرة".

"لقد نظرت إليَّ بواحدة من نظراتها التي تعرفينها جيدًا".

قالت سارين وهي تتذكر ملامح أمها: "أجل أعرفها". كانت سارين قد قضت وقتًا طويلًا في الرحلات الدبلوماسية في السنوات القليلة الأخيرة، فلم تعد تعاني الحنين إلى الديار، ولكن حبذا لو تعود إلى تيود، وخصوصًا بالأخذ في الاعتبار سلسلة المفاجآت والكوارث التي لا نهاية لها، والتي حفلت بها الأسابيع القليلة الماضية.

وأخيرًا قال أبوها: "حسنًا، أنا مضطر للذهاب من أجل اجتماع البلاط يا إين. أنا مسرور لأنك تتصلين بأبيك العجوز المسكين من آن لآخر، وخصوصًا لتخبريه عندما تطيحين بأمة بأسرها. أوه، هناك شيء آخر؛ بمجرد أن عرفنا بانتحار آيادون استولى سينالان على واحدة من أسرع سفني وأسرع إلى أريلون، من المفترض أن يصل في غضون بضعة أيام".

سألته سارين في حيرة: "سينالان؟ ما علاقة البطريرك بما يحدث؟".

"لا أعرف، ولم يُخبرني، ولكن عليَّ الذهاب. أحبك يا إين".

"وأنا أيضًا أحبك يا أبي".

***

**قال رويال معترفًا وهو جالس في حجرة تناول الطعام ببيت كين: "أنا لم ألتقِ بالبطريرك من قبل، هل يشبه الأب أومين؟".**

**قالت سارين بحزم: "لا، إن سينالان لا يكترث إلا لمصلحته الشخصية، ولديه ما يكفي من الغرور لجعل جيورن ديريشي يبدو متواضعًا".**

**قال إيونديل باستنكار: "أنتِ تتحدثين عن أبي كنيستنا أيتها الأميرة!".**

**قالت سارين: "هذا لا يعني أنني مضطرة للإعجاب به".**

**امتقع وجه إيونديل وهو يمد يده غريزيًا إلى قلادة آيون أومي التي تحيط بعنقه.**

**قالت سارين متجهمة: "لست مضطرًا لدرء الشر يا إيونديل، فأنا لن أكفر بدومي لمجرد أنه وضع أحمق على رأس كنيسته. حتى الحمقى يحتاجون إلى نيل فرصة لخدمة الدين".**

**نظر إيونديل إلى يده ثم خفضها في خجل، ولكن رويال كان يضحك بصوت خافت.**

**سألته سارين: "ما الأمر؟".**

**قال الرجل العجوز مبتسمًا: "كنت أفكر في شيء ما يا سارين، لا أعتقد أنني التقيت بشخص من قبل. سواء كان رجل أو امرأة. معتد بآرائه مثلك"**

**قالت سارين: "إذن فقد كنت تعيش في برج عاجي يا سيدي الدوق. أين لوكل على أي حال؟".**

**لم تكن طاولة كين مريحة مثل مكتب رويال، ولكن لسبب ما يشعرون جميعًا بأكبر قدر من الارتياح عندما يكونون في حجرة تناول الطعام في بيت كين. فبينما يضيف معظم الناس**

اللمسات الشخصية إلى مكاتبهم أو حجرات الاستقبال في بيوتهم كان شغف كين هو الطعام، فكانت حجرة تناول الطعام هي المكان الذي يعبر فيه عن هوايته، كانت الحجرة مزينة بتذكارات من رحلات كين، والتي تتضمن كل شيء، بدءًا من الخضراوات المجففة، وحتى فأس كبيرة مزخرفة، فمنحت إحساسًا مريحًا بالألفة. لم يكن هناك أي نقاش حول هذا الموضوع، لقد تقبلوا جميعًا هذه الحجرة بشكل طبيعي عندما اجتمعوا فيها لأول مرة.

اضطروا للانتظار لبضع لحظات أخرى قبل أن يقرر لوكل أن يعود أخيرًا. في النهاية سمعوا الباب يُفتح ويُغلق، ثم ظهر وجه ابن عمها الودود في الحجرة، وبصحبته آهان وكين.

سألتهم سارين: "حسنًا؟".

قال لوكل: "إن تيلري ينوي بلا شك أن يستولي على العرش".

قال إيونديل: "لن يحدث هذا ما دام فيلقي يدعم رويال".

قال آهان وهو يُلقي بجسده البدين على أحد الكراسي: "لسوء الحظ يا عزيزي الجنرال فيلقك ليس هنا، بالكاد لديك اثنا عشر رجلًا تحت إمرتك".

قالت سارين: "هذا أكثر مما لدى تيلري".

قال آهان: "ليس بعد الآن، إن حرس مدينة إيلانتريس قد تركوا مواقعهم ليعسكروا أمام قصر تيلري".

قال إيونديل ساخرًا: "إن الحرس مجرد نادٍ للهواة الذين يريدون التظاهر بأنهم محترفون".

قال آهان: "هذا حقيقي، ولكن هناك أكثر من ستمئة شخص في هذا النادي. حتى أنا سأقف في وجهك عندما تكون النسبة خمسين إلى واحد. أخشى أن يكون توازن القوى قد تغير لصالح تيلري".

وافقه رويال قائلًا: "هذا لا يبشر بخير. إن ثروة تيلري المتفوقة كانت مشكلة كبيرة من قبل، ولكن الآن...".

قال لوكل: "يجب أن يكون هناك حل ما".

قال رويال معترفًا: "لا أرى حلًّا".

تجهم الرجال وهم غارقون في التفكير. لقد ظلوا جميعًا يفكرون في هذه المشكلة طوال يومين، حتى لو كان لديهم ميزة التفوق العسكري فإن الأرستقراطيين الآخرين سيترددون في دعم رويال، لأنه الأقل ثراءً.

بينما تتفحص سارين كل واحد منهم على حدة وقع بصرها على شودن، لقد بدا مترددًا أكثر منه قلقًا.

سألته سارين بهدوء: "ما الأمر؟".

قال مترددًا: "أعتقد أنني ربما لدي حل".

قال آهان: "فلتتحدث يا رجل".

قال شودن: "حسنًا، لا تزال سارين ثرية للغاية، لقد ترك لها رايودن ما لا يقل عن خمسمئة ألف ديو[٤١]".

قال لوكل: "لقد ناقشنا هذا من قبل يا شودن، إنها تملك الكثير من المال، ولكنها لا تزال أقل ثراءً من رويال".

وافقه شودن قائلًا: "هذا صحيح، ولكن معًا سيكونان أكثر ثراءً بكثير من تيلري".

---

[٤١] ديو: هو الآيون المعبر عن الذهب، وهو اسم العملة الأساسية في أريلون.

خيم الصمت على الحجرة.

قال آش من ورائهم: "إن عقد زواجك باطل من الناحية العملية يا سيدتي، لقد فُسخ بمجرد أن قتل آيادون نفسه، ومن ثم أزاح نسله من على العرش. في اللحظة التي يصير فيها شخص آخر الملك - سواء تيلري أو رويال - فإن المعاهدة ستنتهي، ولن تظلي أميرة أريلية".

أومأ شودن برأسه وقال: "إن اتحدت ثروتك مع ثروة اللورد رويال فإن هذا لن يمنحكما فحسب المال الكافي للوقوف ضد تيلري، بل سيُضفي الشرعية على مطلب الدوق أيضًا. ستكونين مخطئة إن ظننتِ أن النسب ليس مهمًّا في أريلون، سيفضل النبلاء منح ولائهم لأحد أقارب آيادون".

نظر إليها رويال بنظرة جد طيب وقال: "عليَّ أن أعترف أن اقتراح شودن له وجاهته، سيكون هذا الزواج سياسيًّا بحتًا يا سارين".

أخذت سارين نفسًا عميقًا وهي تشعر أن الأحداث تجري بسرعة كبيرة، ثم قالت: "أفهم يا سيدي، سنفعل ما يجب علينا فعله".

وهكذا للمرة الثانية في غضون شهرين فحسب وجدت سارين نفسها مخطوبة وتستعد للزواج.

***

قال رويال معتذرًا: "أخشى أن هذا لم يكن رومانسيًّا للغاية". كان الاجتماع قد انتهى واصطحب رويال سارين سرًا عائدًا إلى القصر الملكي. أما البقية - بما فيهم آش - فقد أدركوا أن الاثنين بحاجة إلى التحدث على انفراد.

قالت سارين بابتسامة شاحبة: "لا بأس يا مولاي، وهكذا يُفترض أن يكون الزواج السياسي، جافًّا ومفتعلًا، لكنه نافع إلى حد كبير".

"أنتِ نفعية للغاية".

"يجب عليَّ أن أكون هكذا يا سيدي".

قال رويال عاقدًا حاجبيه: "هل يجب عليكِ مواصلة مناداتي بسيدي يا سارين؟ ظننت أننا تجاوزنا هذا".

قالت سارين: "المعذرة يا رويال، ولكن من الصعب عليَّ أن أفصل بين السياسة وحياتي الشخصية".

أومأ رويال برأسه وقال: "لقد عنيت ما قلته يا سارين، سيكون هذا اتحاد مصالح بشكل بحت، ولا تخشي أن تصيري ملزمة بأي شيء آخر".

لاذت سارين بالصمت في العربة للحظة وهي تُصغي إلى ضربات حوافر الخيل، ثم قالت: "يجب أن يكون هناك ورثة".

ضحك رويال ضحكة قصيرة ثم قال: "لا يا سارين، شكرًا لكِ، ولكن لا. حتى لو كان هذا ممكنًا من الناحية الجسدية فلا يمكنني أن أفعله. أنا رجل عجوز، ولا يمكن أن أعيش أكثر من بضع سنوات أخرى. هذه المرة لن يمنعك عقد الزواج من أن تتزوجي مرة أخرى بعد موتي. سيمكنك أخيراً بعد رحيلي أن تختاري الرجل الذي تفضلينه، وبحلول ذلك الوقت سنكون استبدلنا بنظام آيادون السخيف نظامًا أكثر استقرارًا، وسيرث العرش أطفالك من زوجك الثالث".

زوجٍ ثالث! يتحدث رويال وكأنه قد مات بالفعل، وأنها قد صارت أرملة مرتين. قالت: "حسنًا، إن صارت الأمور كما تفترض فعلى الأقل لن أجد صعوبة في جذب زوجٍ، سيكون العرش جائزة مغرية، حتى لو كنت مرتبطة به".

اكتسى وجه رويال بالجدية وهو يقول: "هذا شيء آخر كنت أنوي مناقشته معك يا سارين".

"ما هو؟".

"أنتِ تقسين كثيرًا على نفسك، لقد سمعت الطريقة التي تتحدثين بها، التي تفترضين بها أنه لا أحد يريدك".

قالت سارين ببساطة: "صدقني لا أحد يريدني".

هز رويال رأسه وقال: "أنتِ بارعة في الحكم على الشخصيات يا سارين، باستثناء شخصيتك. عادة ما تكون آراؤنا في أنفسنا غير واقعية، قد ترين نفسك امرأة عجوزًا يا صغيرتي، ولكنك شابة وجميلة. لقد واجهتِ سوء الحظ في الماضي ولكن هذا لا يعني أن عليك التخلي عن المستقبل".

نظر إليها في عينيها. على الرغم من تظاهره بالطيش كان هذا الرجل يتحلى بالحكمة والتفهم. وعدها رويال قائلًا: "ستجدين شخصًا يحبك يا سارين، أنت جائزة، جائزة أكبر من العرش الذي سترتبطين به".

احمر وجه سارين خجلًا وهي تطرق برأسها، ومع ذلك... كانت كلماته مشجعة. ربما لا يزال لديها أمل، ربما ستكون حينها في منتصف الثلاثينيات من عمرها، ولكن سيكون لديها على الأقل فرصة واحدة لكي تجد الرجل المناسب.

قال رويال: "المهم أن زفافنا يجب أن يكون في أقرب وقت إن كنا نريد أن نهزم تيلري، في يوم جنازة آيادون، فمن الناحية العملية لا ينتهي حكم آيادون إلا بعد دفنه".

أربعة أيام، ستكون خِطبة قصيرة بالفعل.

قال رويال: "أخشى أن الضرورة قد وضعتك في هذا الموقف، ليس بالسهل عليكِ بالتأكيد أن تفكري في الزواج من مثل هذا العجوز الهرم".

وضعت سارين يدها على يد الدوق وقد ابتسمت لنبرة صوته اللطيفة ثم قالت: "بأخذ كل شيء في الاعتبار يا سيدي أعتقد أنني محظوظة للغاية، هناك عدد قليل من الرجال في هذا العالم سيعتبرون أن إجبارهم على الزواج شرفًا".

ابتسم رويال ابتسامة متغضنة وعيناه تلمعان ثم قال: "من المؤسف أن آهان متزوج بالفعل، أليس كذلك؟".

رفعت سارين يدها وضربته ضربة مازحة على كتفه وهي تقول: "لقد تلقيتُ ما يكفي من الصدمات العاطفية في أسبوع واحد يا رويال، سأكون ممتنة إن لم تجعلني أشعر بالغثيان أيضًا".

ضحك الدوق طويلًا، ولكن بعد أن سكنت ضحكاته المرحة تعالى صوت آخر، صوت صراخ. توترت سارين، ولكنها لم تكن صرخات غضب أو ألم، بل بدت صرخات فرحة وحماس. نظرت في حيرة من نافذة العربة فرأت حشدًا من الناس يندفعون عبر أحد التقاطعات في الشارع.

سألها رويال: "ما الذي يحدث بحق دومي؟".

اقتربت العربة من الحشد فتمكنت سارين من أن تميز رجلًا طويلًا يقف في منتصفه.

قالت سارين في ذهول: "ولكن... ولكن هذا مستحيل".

سألها رويال وهو يضيق عينيه: "ماذا تقصدين؟".

قالت بعينين متسعتين: "إنه هراثن، لقد غادر إيلانتريس!". ثم أدركت شيئًا آخر، كان وجه الجيورن خاليًا من البقع وقد استعاد لونه الطبيعي. "بحق دومي الرحيم، لقد شُفي!".

# الفصل السادس والثلاثون

عندما أشرق فجر اليوم الخامس من منفى هراثن أدرك أنه قد ارتكب خطأً، سيموت في إيلانتريس، إن خمسة أيام وقت طويل على أن يبقى المرء دون أن يشرب، وكان يعرف أنه لا يوجد ماء في مدينة الملعونين.

لم يندم على قراراته، فقد تصرف بأكثر الطرق منطقية. ربما كان منطقًا يائسًا، ولكنه كان عقلانيًا، لو استمر في كاي لازداد عجزًا كل يوم. لا، من الأفضل له أن يموت من الجفاف.

تزايد هذيانه مع مرور اليوم الخامس، في بعض اللحظات كان يرى ديلاف يضحك عليه، وفي أحيان أخرى يرى الأميرة التيودية تفعل الشيء ذاته. بل إنه ذات مرة رأى جادث نفسه، وجهه أحمر متوهج بحرارة خيبة الأمل الإلهية وهو ينظر إلى هراثن. ولكن سرعان ما تغيرت الهلاوس، لم يعد يرى وجوهًا، ولم يعد يشعر بالإهانة أو الاحتقار، فوجد نفسه يواجه شيئًا أكثر بشاعة بكثير.

ذكريات دير داخور.

أحاطت به من جديد حجيرات الدير الجوفاء المظلمة. تردد صدى الصرخات عبر الممرات الحجرية السوداء. صرخات ألم وحشي مختلطة بترانيم مهيبة. كانت للترانيم قوة غريبة، فركع الصبي هراثن في خضوع ينتظر وهو جاثم في حجيرة لا يزيد اتساعها عن خزانة، والعرق يتصبب من فوق عينيه المذعورتين، وهو يعرف أنهم سيأتون من أجله في النهاية.

دير راثبور يُدرب المغتالين، ودير فييلدور يدرب الجواسيس، ودير داخور... دير داخور يدرب الشياطين.

***

انقطع هذيانه في وقت ما آخر النهار، ليحرره لبعض الوقت، كقطة تسمح لفريستها بالفرار مرة أخيرة قبل أن توجه لها ضربة قاتلة. نهض هراثن بجسده الضعيف من على الأحجار الصلبة، وملابسه الملبدة ملتصقة بالسطح اللزج، دون أن يتذكر متى اتخذ وضعية الجنين. تنهد هراثن وهو يفرك بيده رأسه القذر الملطخ بالوحل، حركة غير مجدية ولكنها مجرد محاولة غريزية لإزالة الأوساخ. احتكت أصابعه بشيء شائك خشن؛ شعر نابت.

اعتدل هراثن في جلسته على الفور، وقد منحته الصدمة بعض القوة. مد أصابعه المرتجفة ليبحث عن قارورة النبيذ ثم مسحها قدر استطاعته بكمه القذر، قبل أن ينظر إلى انعكاسه الضبابي، كانت الصورة مشوهة وغير واضحة، ولكنها كانت كافية. لقد تلاشت البقع، ورغم أن جلده مغطى بالأوساخ إلا أنه كان نضرًا وخاليًا من الشوائب كما كان قبل خمسة أيام.

لقد تلاشى مفعول عقار فورتون أخيرًا.

كان قد بدأ يعتقد أن فورتون نسي جعل الآثار مؤقتة. كان من المدهش إلى حد كبير أن يتمكن الرجل الهروفي من صنع عقار يجعل جسد المرء يحاكي الجسد الإيلانتري، ولكن هراثن قد أساء الحكم على صانع العقاقير، لقد نفذ ما طلبه منه، حتى لو استمرت التأثيرات لفترة أطول من المتوقع.

ولكن لا يزال من الممكن أن يموت هراثن بالطبع إن لم يخرج من إيلانتريس بسرعة. اعتدل واقفًا وهو يجمع آخر ما تبقى له من قوة قد عززها الأدرينالين ثم صرخ ناحية مركز الحرس بالأعلى: "انظروا! شاهدوا قوة ومجد الرب جادث! لقد شُفيت".

لم يأته جواب، ربما كانت المسافة أبعد من أن يصلها صوته، ولكنه عندما نظر على طول السور لاحظ شيئًا، لم يكن هناك حرس، لا دوريات مراقبة تقطع السور جيئة وذهابًا، ولا أدنى أثر

للرماح التي تدل على وجودهم. لقد كانوا هناك في اليوم السابق... أم أنه كان اليوم قبل السابق؟ لقد صارت الأيام الثلاثة الماضية شيئًا ضبابيًّا في عقله، مجموعة ممتدة من الصلوات، والهلاوس، وغفوات الإرهاق من آن لآخر.

أين ذهب الحرس؟ إنهم يعتبرون أن واجبهم المقدس هو حراسة إيلانتريس، كأنما يمكن لأي شيء أن يهددهم من هذه المدينة المتعفنة. إن حرس مدينة إيلانتريس يمارسون وظيفة عديمة الجدوى، ولكن هذه الوظيفة تمنحهم الشهرة، لن يتخلى الحرس عن مواقعهم أبدًا.

باستثناء أنهم قد تخلوا عنها بالفعل. بدأ هراثن يصرخ مرة أخرى فشعر بالقوة تتسرب من جسده، إن لم يكن الحرس موجودين لفتح البوابات فقد حُكم عليه بالهلاك. أحس بشيء من السخرية يدغدغ عقله، إن الإيلانتري الوحيد الذي شُفي سيموت بسبب مجموعة من الحرس المهملين غير الأكفاء.

فجأة أصدرت البوابة صريرًا وهي تنفتح، هل هو هذيان آخر؟ ولكن حينها أطل رأس من الفجوة؛ قائد الحرس الجشع الذي كان هراثن يجزل له العطاء.

سأله الحارس في تردد: "سيدي...؟". ثم نظر إلى هراثن من رأسه إلى أخمص قدميه بعينين متسعتين قبل أن يأخذ نفسًا حادًّا ويقول: "بحق دومي الكريم! إنها حقيقة؛ لقد شُفيتَ!".

استجمع هراثن ما يقدر عليه من قوة وقال: "لقد سمع الرب جادث تضرعي أيها القائد، لقد نُزع دنس إيلانتريس عن جسدي".

اختفى رأس قائد الحرس للحظة، ثم ببطء انفتحت البوابة على مصراعيها لتكشف عن مجموعة من الحرس المتوجسين.

"هيا بنا يا سيدي".

اعتدل هراثن واقفًا على قدميه، لم يكن قد لاحظ حتى أنه قد سقط على ركبتيه، ثم بدأ يمشي نحو البوابة بساقين مرتجفتين. التفت ليضع راحة يده على الخشب، جانب قذر وملطخ بالأوساخ، والآخر لامع ونظيف. ثم نظر وراءه إلى إيلانتريس، كان هناك هيئات متجمعة لتراقبه من على أحد المباني.

همس هراثن: "فلتستمتعوا بلعنتكم يا أصدقائي". ثم أشار للحرس أن يغلقوا الباب.

قال قائد الحرس: "أتعرف، لا يُفترض بي أن افعل هذا، فبمجرد أن يُلقى برجل في إيلانتريس...".

قال هراثن: "جادث يُكافئ هؤلاء الذين يطيعونه أيها القائد، وعادة ما يكون هذا على أيدي عباده".

برقت عينا قائد الحرس فأحس هراثن بالامتنان فجأة لأنه كان يرشو هذا الرجل. سأله: "أين بقيتكم أيها القائد؟".

قال قائد الحرس بفخر: "يحمون الملك الجديد".

سأله هراثن: "الملك الجديد؟".

"لقد فاتك الكثير يا مولاي، اللورد تيلري يحكم أريلون الآن، أو على الأقل سيحكمها بمجرد أن تنتهي جنازة آيادون".

في حالته الضعيفة لم يستطع هراثن أن يفعل شيئًا سوى أن يقف في صدمة، آيادون مات؟ تيلري يستحوذ على السلطة؟ كيف يُمكن لخمسة أيام أن تجلب مثل هذه التغيرات الجذرية؟

قال هراثن بحزم: "هيا بنا، يُمكنك أن تشرح لي الأمر في طريقنا إلى الكنيسة".

***

احتشد الناس من حوله وهو يمشي، فلم يكن قائد الحرس يمتلك عربة، ولم يرغب هراثن في الانتظار حتى يجلب له أحدهم عربة. كانت بهجة نجاح خطته كافية في الوقت الحالي لمنحه القوة على مواصلة السير.

ساعدته الحشود أيضًا، فمع انتشار الخبر جاء الناس - الخدم والتجار والنبلاء على حد سواء - ليحدقوا إلى الإيلانتري المتعافي. كانوا يفسحون له الطريق وهم يتأملونه بنظرات تتراوح ما بين الذهول والتبجيل، بينما بعضهم يمد يده ليلمس روبه الإيلانتري في رهبة.

رغم احتشاد الناس كانت رحلته خالية من الأحداث، باستثناء اللحظة التي نظر فيها عبر شارع جانبي ليتعرف على رأس الأميرة التيودية وهو يطل من نافذة إحدى العربات. في هذه اللحظة أحس هراثن بشعور من الإنجاز ينافس شعوره في اليوم الذي كُرِّس فيه جيورنًا. لم يكن شفاؤه شيئًا غير متوقع فحسب، بل شيئًا لا يمكن فهمه، من المستحيل أن تكون سارين قد وضعت خططًا تحسبًا لهذا. ولأول مرة يشعر هراثن بالسيطرة التامة على مجريات الأمور.

عندما وصل هراثن للكنيسة التفت إلى حشد الناس رافعًا يديه. كانت ملابسه لا تزال متسخة، ولكنه وقف بشموخ كأن الأوساخ هي وسام فخر. تشير الأوساخ إلى معاناته، وتُثبت أنه قد ذهب إلى هاوية اللعنة وعاد منها بروح سليمة.

صرخ: "يا شعب أريلون! هل تعرفون اليوم من هو السيد! دعوا الدين الذي يمنح العناية الإلهية يهدي قلوبكم وأرواحكم. إن الرب جادث هو الإله الوحيد في سيكلا، إن كنتم بحاجة إلى دليل على هذا فانظروا إلى يديّ النظيفتين من العفن، ووجهي النقي الذي لا تشوبه شائبة، ورأسي الخشن بالشعر النابت. لقد اختبرني الرب جادث، وقد اعتمدت عليه فباركني. لقد شُفيت!".

خفض يديه فتعالى هدير الحشد في استحسان. ربما شك العديد من الناس في الدين مع سقوط هراثن الظاهري، ولكنهم سيعودون وقد تجدد تفانيهم. كل من يعتنقون الدين سيصير إيمانهم أقوى من أولئك الذين اعتنقوه قبلهم.

دلف هراثن إلى الكنيسة فبقي الناس في الخارج. كان هراثن يمشي بتعب متزايد وقد بدأت الطاقة التي منحها له حماس اللحظة تتلاشى تحت وطأة إرهاق خمسة أيام. هوى على ركبتيه أمام المحراب، وقد أحنى رأسه في صلاة صادقة.

لم يزعجه أن المعجزة كانت بفضل عقار فورتون، فلطالما عرف هراثن أن معظم المعجزات المزعومة إما ظاهرة طبيعية وإما نتيجة لتدخل بشري. إنها من صنيع جادث كما أن كل الأشياء من صنيعه، فيستخدم الظواهر الطبيعية لتعزيز إيمان البشر.

أثنى هراثن على الرب لمنحه القدرة على التفكير في الخطة، وسبل تنفيذها، وتهيئة الظروف لنجاحها. إن وصول قائد الحرس كان بالتأكيد نتيجة المشيئة الإلهية؛ أن يترك هذا الرجل معسكر تيلري في الوقت الذي يحتاجه فيه هراثن، وأن يسمع صراخه من وراء الخشب السميك، من المستحيل أن يكون كل هذا محض مصادفة. ربما لم يُنزل جادث لعنة الشايود على هراثن، ولكن بالتأكيد له يد في نجاح الخطة.

أنهى هراثن صلاته وهو يشعر بالاستنزاف، فدفع نفسه للوقوف على قدميه. وبينما يفعل هذا سمع أحد أبواب الكنيسة يُفتح من ورائه، وعندما التفت رأى ديلاف واقفًا عند المدخل. تنهد هراثن، كان يأمل تجنب هذه المواجهة حتى ينال قسطًا من الراحة.

ولكن ديلاف ألقى بنفسه على ركبتيه أمام هراثن وهو يهمس: "سيدي الهرودن".

رمش هراثن بعينيه في دهشة ثم قال: "أجل أيها الأرتيث؟".

قال ديلاف معترفًا: "لقد شككت فيك يا سيدي الهرودن، ظننت أن الرب جادث قد لعنك لعجزك، والآن أرى أن إيمانك أقوى بكثير مما ظننت. أعرف الآن لم وقع عليك الاختيار لترتقي إلى مرتبة الجيورن".

قال هراثن وهو يحاول أن يمنع الإرهاق من التسلل إلى صوته: "اعتذارك مقبول أيها الأرتيث. كل البشر ينتابهم الشك في أوقات الابتلاء، لا شك أن الأيام التي تلت نفيي كانت صعبة عليك وعلى الكهنة الآخرين".

"كان يجب علينا أن نتحلى بإيمان أكثر".

"فلتتعلم من هذه الأحداث إذن أيها الأرتيث، وفي المرة التالية لا تسمح لنفسك بأن ينتابها الشك. يمكنك أن تنصرف".

تحرك ديلاف لينصرف، ولكن بينما الرجل ينهض تفحص هراثن عينيه، كان فيهما الاحترام، ولكن لم يكن هناك نفس القدر من التوبة الذي يحاول الأرتيث أن يظهره. لقد بدا عليه الحيرة أكثر من أي شيء آخر. إنه مندهش ومضطرب، ولكنه ليس مسرورًا، لم تنتهِ المعركة بعد.

كان يشعر بتعب شديد على أن يقلق بشأن ديلاف في الوقت الحالي. مشى هراثن بخطوات متعثرة إلى حجرته وفتح الباب. كانت متعلقاته متكومة في إحدى زوايا الحجرة، كأنما استعدادًا للتخلص منها. أحس هراثن فجأة بالتخوف فهرع ناحية الكومة. وجد صندوق السيون تحت كومة من الملابس، وقد كُسر قفله. فتح هراثن غطاء الصندوق بأصابع مرتجفة، ثم أخرج العلبة المعدنية الموضوعة بالداخل. كان الجزء الأمامي من العلبة مُغطى بالخدوش والانبعاجات.

في عجالة فتح هراثن العلبة، كانت العديد من الروافع منثنية، والقرص عالق، ولكنه أحس بارتياح كبير عندما سمع تكة القفل وهو ينفتح. رفع الغطاء بيدين متوترتين، كانت السيون

تطفو بالداخل دون انزعاج، وإلى جانبها قوارير السم الثلاثة المتبقية. قارورتان منها قد تشققتا، فتسربت محتوياتهما إلى قاع العلبة.

سأل هراثن: "هل فتح أي شخص هذه العلبة منذ آخر مرة تحدثت فيها معكِ؟".

أجابته السيون بصوتها الحزين: "لا يا سيدي".

قال هراثن: "جيد". ثم أغلق الغطاء بحدة.

***

كان الظلام قد حل عندما استيقظ، كان جسده متعبًا ولكنه أجبره على النهوض. هناك جزء حيوي من خطته لا يمكنه أن ينتظر. استدعى كاهنًا معينًا، وصل بعدها بوقت قصير. كان الكاهن المُسمى دوثجن رجلًا طويل القامة يتمتع ببنية فيوردية قوية وعضلات منتفخة تحت روبه الديريثي الأحمر.

قال دوثجن: "أجل يا سيدي؟".

سأله هراثن: "لقد تدربتَ في دير راثبور، أليس كذلك أيها الأرتيث؟".

أجابه الرجل بصوت عميق: "هذا صحيح يا سيدي".

قال هراثن: "رائع". ثم مد إليه بقنينة السم الأخيرة وقال: "أنا بحاجة إلى مهاراتك الخاصة".

سأله الكاهن: "لمن هذا يا سيدي؟". مثل كل من يتخرج من راثبور كان دوثجن مغتالًا محترفًا، لقد تلقى تدريبًا متخصصًا أكثر بكثير مما تلقاه هراثن في دير غاجان، المكان الذي ذهب إليه هراثن بعدما ثبت أن داخور أكثر من قدرته على التحمل. لا يمكن أن يستخدم الكهنة المتدربين في راثبور دون إذن الويرن إلا جيورن أو راجنات. ابتسم هراثن.

# الفصل السابع والثلاثون

حدث الأمر بينما رايودن يقرأ، لم يسمع نفسه وهو يشهق في صدمة وألم، ولم يشعر بنفسه وهو يهوي من مقعده في نوبة صرع متشنجة. كل ما شعر به هو الألم، عذاب حاد سقط عليه فجأة بشكل انتقامي. بدا الأمر أشبه بمليون حشرة صغيرة، تلتصق بجسده من الداخل والخارج لتأكله حيًا. سرعان ما أحس أنه لا يملك جسدًا. كان الألم هو جسده، هو الشعور الوحيد، ولم يكن قادرًا على أن يفعل شيئًا سوى الصراخ.

ثم أحس بالأمر يلوح من فوقه في عقله الباطن، كسطح أملس هائل بلا صدع أو تجويف. يضغط عليه بإلحاح ويضرب بالألم في كل عصب من جسده، كمزارع يدفع بشوكة عبر الأرض. كان شاسعًا، يجعل الرجال والجبال والعوالم تبدو ضئيلة بالمقارنة به. لم يكن شريرًا، لم يكن عاقلًا حتى. لم يكن غاضبًا أو حاقدًا. كان ساكنًا متجمدًا تحت وطأة ضغطه الهائل. أراد أن يتحرك أن يذهب إلى مكان ما، أن يجد أي متنفس من هذا الضغط، ولكن لم يكن هناك مخرج.

بدأت رؤية رايودن تصفو ببطء مع انحسار القوة. كان مستلقيًا على أرضية الكنيسة الرخامية الباردة، محدقًا إلى أسفل طاولته، ويطل عليه من فوقه وجهان ضبابيان.

سأله صوت متلهف كأنما من مكان بعيد: "سول؟ بحق الدولوكين! هل يمكنك أن تسمعني يا رايودن؟".

انقشعت ضبابية الرؤية، فرأى ملامح كاراتا ـ التي تكون عادة صارمة ـ مكتسية بالقلق، بينما كان جالادون يستشيط غضبًا.

قال رايودن بصوت مبحوح وهو يشعر بالخجل: "أنا بخير". سيُدركان مدى ضعفه، وأنه لم يستطِع تحمل الألم بعد أن أمضى شهرًا واحدًا في إيلانتريس.

ساعده الاثنان على الجلوس، فبقي على الأرض للحظة قبل أن يشير إلى أنه يُريد الجلوس على الكرسي. كان يشعر بالألم في جسده كله، كأنما حاول أن يرفع عشرات الأوزان المختلفة في وقت واحد. تأوه وهو يستقر على المقعد الحجري غير المريح.

سأله جالادون وهو يجلس على كرسيه: "ما الذي حدث يا سول؟".

وضع رايودن رأسه بين يديه وهو يتكئ بمرفقيه على الطاولة ثم قال: "إنه الألم، كان أكثر من قدرتي على التحمل للحظة، ولكني بخير الآن بعد أن انحسر".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "ما الذي تتحدث عنه يا سول؟".

قال رايودن وهو يلهث: "إنه الألم، ألم الجروح والكدمات، لعنة الحياة هنا في إيلانتريس".

قال جالادون: "الألم لا يأتي في دفقات يا سول، إنه يبقى ثابتًا".

قال رايودن في تعب: "إنه يأتي في دفقات بالنسبة لي".

هز جالادون رأسه وقال: "هذا مستحيل، كولو؟ عندما تسقط ضحية الألم فإنك تفقد عقلك، هذا ما يحدث دومًا، كما أنه ليس من المعقول أن يكون قد تراكم عليك ما يكفي من الجروح والكدمات لكي تنضم إلى الهويد".

"قلت هذا من قبل يا جالادون، ولكن هذا ما يحدث معي، يهجم الألم فجأة كأنما يحاول أن يدمرني ثم يتراجع، ربما أنا أسوأ من كل شخص آخر في التعامل مع الأمر".

قالت كاراتا بنبرة مترددة: "كنت تتوهج أيها الأمير".

نظر إليها رايودن في صدمة وقال: "ماذا؟".

قال جالادون: "هذا صحيح يا سول، بعد أن انهرت بدأت تتوهج، كأنك آيون. بدا وكأن...".

فغر رايدون فاه قليلًا ثم قال: "كأن الدور يحاول أن يعبر من خلالي". كانت القوة تبحث عن منفذ، سبيل للخروج، لقد حاولت أن تستخدمه كأنه آيون. "لماذا أنا؟".

قال جالادون: "بعض الناس يكونون أقرب للدور من غيرهم يا سول. في إيلانتريس يمكن للبعض أن يصنعوا آيونات أقوى مما يصنعه البعض الآخر، وبعضهم يبدو أكثر... ترابطًا مع القوة".

قالت كاراتا: "وأيضًا أيها الأمير، ألست أنت أفضل من يعرف الآيونات؟ نحن نراك تتدرب عليها كل يوم".

أومأ رايودن برأسه ببطء وكاد أن ينسى ألمه، ثم قال: "يقولون إنه أثناء الريود سقط أقوى الإيلانتريين أولًا، لم يقاوموا عندما أحرقهم الغوغاء".

قال جالادون: "كأن هناك شيئًا يجتاحهم، كولو؟".

المفارقة هي أن رايودن أحس بالارتياح، فبقدر ما يؤذيه الإحساس بالألم، كان عدم ثقته بنفسه هو ما يقلقه أكثر، ولكنه ليس حرًّا بعد. قال: "الهجمات تزداد سوءًا، وإن استمرت على هذا المنوال فستغلبني في نهاية المطاف، إن حدث هذا...".

قال جالادون وهو يومئ برأسه في وجوم: "ستلحق بالهويد".

قال رايودن: "سوف يدمرني الدور، سيُمزق روحي في محاولة يائسة للتحرر. إنه ليس شيئًا حيًّا، بل مجرد قوة، وحقيقة أنني لست ممرًا يُمكن عبوره لن تجعله يتوقف عن المحاولة. وعندما يدمرني تذكرا قسمكما".

أومأ جالادون وكاراتا برأسيهما، سيأخذانه إلى البركة في الجبال. ومعرفة أنه سيكون في أيديهما الأمينة إن سقط تحت وطأة ألمه كانت كافية لأن تجعله يواصل المضي قُدمًا، كافية لجعله يتمنى . ولو قليلًا . أن يوم فشله ليس ببعيد.

قال جالادون: "ولكن هذا لن يحدث يا سول، أعني لقد شُفي هذا الجيورن، ربما شيء ما يحدث، ربما شيء ما قد تغير".

تردد رايودن ثم قال: "هل شُفي حقًّا؟".

سألته كاراتا: "ما الذي تعنيه؟".

قال رايودن: "كان هناك الكثير من الضجة عند خروجه من المدينة، إن كنتُ الويرن فما كنت لأرغب أن يكون هناك إيلانتري ديريثي يتسكع في الأرجاء ويجلب العار لدیانتي، كنت سأرسل مبعوثًا ليخرجه ثم يُخبر الجميع أنه قد شُفي قبل أن يعيده لإخفائه في فيوردن".

قالت كاراتا معترفة: "نحن لم نُلقِ نظرة فاحصة على الرجل بعد أن شُفي".

بدا جالادون محبطًا بعض الشيء مع هذا المسار من المحادثة، إنه مثل الآخرين في إيلانتريس قد تلقى جرعة من الأمل بعد شفاء هراثن. لم يقل رايودن أي شيء صريح لتثبيط تفاؤل الناس، ولكن بداخله كان أكثر تحفظًا تجاه الأمر. لم يُشفَ أي شخص آخر منذ رحيل الجيورن.

كانت بشرى تبعث على الأمل ولكن رايودن كان يشك نوعًا ما أن هذا سيعني تغييرًا كبيرًا بالنسبة للإيلانتريين. إنهم بحاجة للعمل وتحسين حياتهم وليس انتظار معجزة خارجية.

عاد إلى القراءة من جديد.

# الفصل الثامن والثلاثون

راقبت سارين الجيورن في استياء، لم يعد هراثن يُلقي خطبه في الكنيسة الديريثية، فقد كان عدد الناس كبيرًا للغاية، وبدلًا من هذا صار يجمعهم عند حافة المدينة، حيث يُمكنه أن يقف فوق جدار كاي الحدودي، الذي يبلغ ارتفاعه خمسة أقدام، بينما يجلس أتباعه عند قدميه لينصتوا إليه. كان الجيورن يعظ بحماسة وحيوية أكثر من ذي قبل، فقد صار قديسًا في الوقت الحالي. لقد عانى الشايود وأثبت أنه متفوق على هذه اللعنة.

اعترفت سارين رغمًا عنها أنه خصم مثير للإعجاب. كان يرتدي دروعه ويقف كتمثال معدني دموي فوق الحشود.

قالت: "لا شك أن الأمر كان خدعة ما".

قال لوكل الواقف إلى جانبها: "بالطبع يا ابنة العم، إن ظننا خلاف هذا فيجب علينا أن ننضم للشو-ديريث. أنا شخصيًّا سأبدو فظيعًا في اللون الأحمر".

قالت سارين بلا اكتراث: "إن وجهك وردي للغاية".

قال شودن: "إن كانت خدعة يا سارين فأنا متحير في تفسيرها". كان ثلاثتهم يقفون على هامش التجمع الصباحي. لقد جاؤوا ليروا بأنفسهم الأعداد المذهلة التي تجذبها خطب هراثن، حتى في يوم جنازة الملك.

قالت سارين: "ربما استخدم مساحيق تجميل".

قال شودن: "ولم تؤثر فيها طقوس الغسل؟".

قال لوكل: "ربما الكهنة متواطئون في الأمر".

سأله شودن: "هل حاولت من قبل أن ترشو كاهنًا ديريثيًّا يا لوكل؟".

تلفت لوكل حوله في توتر ثم قال: "أفضل ألا أجيب عن هذا السؤال، شكرًا لك".

قالت سارين: "تبدو وكأنك تصدق هذه المعجزة يا شودن".

قال شودن: "أنا لا أستبعد الأمر، لِمَ لا يُبارك الرب واحدًا من أتقيائه؟ إن الإقصاء الديني هو إضافة كوارثية وديريثية إلى الشو-كيسج".

تنهدت سارين ثم أشارت لصديقيها كي يلحقا بها وهي تشق طريقها عبر الحشود الخارجية ناحية العربة التي تنتظرهم. سواء كانت خدعة أو لا فقد أحكم هراثن قبضته على الناس بشكل مقلق، إن تمكن من وضع حليف له على العرش فسينتهي الأمر، ستصير أريلون أمة ديريثية، ولن يتبقى إلا تيود، وهذا على الأرجح لن يستمر لوقت طويل.

كان رفيقاها بلا شك يفكران في الأمر ذاته، فكان وجه كل من لوكل وشودن مكتسيًا بالاضطراب والتفكير العميق. صعدوا العربة في صمت، ولكن لوكل التفت إليها أخيرًا وملامحه الحادة مضطربة. سألها بنبرة من يشعر بالإهانة: "ما الذي قصدتِه بأن وجهي وردي للغاية؟".

***

كان صاري السفينة يحمل شارة تيود الملكية، آيون تيو ذهبي على خلفية زرقاء. لم يكن هناك قارب يُبحر في الماء أسرع من القوارب التيودية الطويلة والنحيلة، التي تُسمى بالقوارب المستقيمة.

أحست سارين أن من واجبها أن تمنح البطريرك استقبالًا أفضل مما تلقته عندما وصلت إلى هذا الميناء. لم تكن تحب الرجل، ولكن هذا لا يعد مبررًا للفظاظة، ولهذا جلبت شودن ولوكل وإيونديل، والعديد من جنود الكونت كحرس شرفي.

اقتربت السفينة الرفيعة من الرصيف بسلاسة، وبمجرد أن رست ألقى البحارة بمنزلق الهبوط. خطا رجل يرتدي روبًا أزرق متجاوزًا البحارة، ثم هبط المنزلق الخشبي بخطوات واثقة. لحق به أكثر من عشرة من الحاشية والكهنة الأقل مكانة، فقد كان البطريرك يحب أن يحظى برعاية جيدة. مع اقتراب سينالان خبَّأت سارين وجهها بانحناءة مدروسة.

كان البطريرك رجلًا طويلًا بملامح رقيقة، شعره الذهبي طويل كشعر امرأة، ويمتزج بحرملة ذهبية كبيرة ترفرف من خلفه، وروبه الأزرق مطرز بالكثير من الخيوط الذهبية حتى إنه من الصعب أحيانًا رؤية القماش من تحتها. كان وجهه يحمل ابتسامة صبور عطوف لشخص يريدك أن تعرف أنه متسامح مع دونيتك.

ما إن اقترب منها سينالان حتى قال: "سمو الأميرة! لقد مر وقت طويل منذ أن رأت عيناي العجوزان ملامحك الجميلة".

بذلت سارين قصارى جهدها لكي تبتسم وهي تنحني أمام البطريرك و"عينيه العجوزين". لم يكن سينالان قد تجاوز الأربعين من عمره، ورغم ذلك يحاول أن يجعل نفسه يبدو أكبر عمرًا وأكثر حكمة مما هو عليه.

قالت: "إن أريلون كلها مباركة بحضورك، قداستك".

أومأ برأسه كأنما ليقول إنه يفهم كم أنهم جميعًا محظوظون. ثم نظر ناحية شودن والبقية وقال: "من هم رفاقك؟".

"ابن عمي لوكل، والبارون شودن، والكونت إيونديل، من أريلون، قداستك".

سألها سينالان: "بارونات وكونتات فحسب؟". بدت عليه خيبة الأمل بوضوح.

قالت سارين: "الدوق رويال يُرسل تحياته يا مولاي، إنه مشغول بالتحضير لدفن الملك آيادون".

قال سينالان: "فهمت". كان شعره الغزير الذي لم يمسه الشيب يخفق مع نسيم البحر. تمنت سارين مرات عديدة أن يكون شعرها بنصف نعومة شعر البطريرك. "أفترض أنني لست متأخرًا على حضور الجنازة؟".

قالت سارين: "لا، قداستك. ستكون الجنازة بعد الظهيرة".

قال سينالان: "حسنًا، هيا بنا يمكنك الآن أن تصحبيني إلى مسكني".

***

قال لوكل معترفًا بمجرد أن عادوا إلى العربة: "كان هذا... مخيبًا للآمال". كان البطريرك قد مُنح عربته الخاصة، مجاملة من رويال، وقد خففت الهدية من استيائه من غياب الدوق.

قالت سارين: "إنه ليس تمامًا ما توقعته، أليس كذلك؟".

قال شودن: "ليس هذا ما قصده لوكل".

نظرت سارين إلى لوكل وقالت: "ما الذي قصدته؟".

هز لوكل كتفيه فهفهفت خصلتان من شعره على وجنتيه وقال: "كنت أتوقع شيئًا أكثر إمتاعًا".

قال إيونديل مفسرًا وهو يبدو مستاءً: "كان يتطلع إلى هذا اللقاء منذ أن سمعك تصفين البطريرك يا سمو الأميرة، لقد افترض أنكما... ستتجادلان أكثر".

تنهدت سارين، ثم نظرت إلى لوكل نظرة ساخطة وهي تقول: "إن عدم إعجابي بالرجل لا يعني أنني سأختلق معه شجارًا يا ابن العم. لا تنسَ أنني كنت واحدة من أفضل الدبلوماسيين في بلاط أبي".

أومأ لوكل برأسه في استسلام.

قال شودن: "سأعترف يا سارين أن تحليلك لشخصية البطريرك يبدو دقيقًا، وهذا يجعلني أتساءل كيف يُمكن لرجل مثله أن يقع عليه الاختيار لشغل مثل هذا المنصب المهم".

قالت سارين لتشرح الأمر باختصار: "عن طريق الخطأ. لقد نال سينالان المنصب قبل خمسة عشر عامًا تقريبًا، عندما كان بالكاد في مثل عمرك، كان هذا بعد أن صار وولفدين هو الويرن، وشعر قادة الشو-كوراث بالتهديد من عنفوان الشباب لديه. ولسبب ما وضعوا في أذهانهم أنهم بحاجة إلى انتخاب بطريرك صغير السن مثل وولفدين إن لم يكن أصغر، وكانت النتيجة هي سينالان".

رفع شودن حاجبًا.

قالت سارين: "أتفق معكم، ولكن يجب أن ألتمس لهم العذر، يُقال إن وولفدين كان أوسم رجل يجلس على عرش فيوردن، وأراد القادة الكوراثيون رجلًا يثير الإعجاب بنفس القدر".

قال لوكل ساخرًا: "هناك فارق كبير بين وسيم وجميل يا ابنة العم. نصف النساء اللائي سيرين الرجل سيحببنه، والنصف الآخر سيشعرن بالغيرة فحسب".

طوال المحادثة كان اللورد إيونديل يزداد شحوبًا بشكل ملحوظ، وأخيرًا استطاع أن يتمالك نفسه ليعبر عن استيائه قائلًا: "تذكروا أيها السادة أن هذا هو الوعاء المقدس الذي اختاره دومي".

قال لوكل ساخرًا: "لم يكن بمقدوره أن يختار وعاءً أكثر جمالًا". فوكزته سارين في ضلوعه بمرفقها.

قالت معتذرة: "سنحاول أن نجعل تعليقاتنا أكثر احترامًا يا إيونديل، إن مظهر البطريرك ليس مهمًّا على أي حال، أنا مهتمة أكثر بمعرفة سبب مجيئه".

سألها شودن: "ألا تعد جنازة ملك سببًا كافيًا؟".

قالت سارين: "ربما". ولكنها لم تبدُ مقتنعة". وبينما العربة تُبطئ أمام الكنيسة الكوراثية قالت: "هيا بنا، دعونا نحرص على أن يستريح قداسته في أسرع وقت ممكن، ستكون الجنازة في غضون ساعتين، ويبدو أنني سأتزوج بعدها".

***

لم يترك الملك أي وريث واضح، وكانت إيشن لا تزال مضطربة العقل بسبب فضيحة زوجها وموته، لذا حمل الدوق رويال على عاتقه عبء ترتيبات الجنازة.

قال الدوق: "سواء كان قاتلًا وثنيًّا أو لا، فقد كان آيادون صديقي ذات يوم، لقد جلب الاستقرار لهذا البلد في وقت كان يحتاج فيه إلى الاستقرار، ولهذا فهو يستحق على الأقل دفنًا لائقًا".

لقد طلب أومين ألا يستخدموا كنيسته من أجل المراسم، لذا قرر رويال استخدام قاعة عرش الملك، وهو الاختيار الذي جعل سارين تشعر بشيء من عدم الارتياح؛ قاعة العرش هو نفس المكان الذي سيُقام فيه حفل الزفاف. ولكن رويال رأى أن استخدام نفس القاعة من أجل رحيل الملك القديم وتولي الملك الجديد فيه شيء من الرمزية.

كانت الزينة ذات ذوق رفيع، ولم يكن مبالغًا فيها، فقد كان رويال مقتصدًا بطبيعته، وقد خطط لترتيبات وألوان تناسب كلًّا من الجنازة والزفاف. كانت أعمدة القاعة مغلفة بأشرطة بيضاء، وكان هناك مجموعات عديدة من الزهور، معظمها من زهور الأبرتين البيضاء.

دلفت سارين إلى القاعة وهي تنظر جانبًا بابتسامة، فبالقرب من مقدمة القاعة وبجانب أحد الأعمدة كان المكان الذي وضعت فيه حامل اللوحة ذات يوم. بدا أن هذا كان منذ زمن بعيد، رغم أنه لم يمضِ إلا أكثر من شهر بقليل. لحسن الحظ نسي النبلاء الأيام التي كانوا فيها ينظرون إليها على أنها فتاة ساذجة، وصاروا ينظرون إليها بشيء أشبه بالانبهار. إنها المرأة التي تلاعبت بالملك ثم خدعته وأخيرًا أطاحت به من عرشه. لن يحبوها أبدًا كما أحبوا رايودن، ولكنها ستقبل إعجابهم كبديل أدنى.

رأت سارين الدوق تيلري يقف جانبًا مرتديًا ملابس متأنقة أكثر من اللازم، وقد بدا الرجل الأصلع مستاءً، بدلًا من أن يكون ببساطة غير مكترث. كان رويال قد أعلن عن زواجه من سارين قبل ساعات قليلة فحسب، مما منح تيلري المتعجرف بعض الوقت للتفكير في الرد. نظرت سارين إلى عيني تيلري وقد أحست بالإحباط في ملامح الرجل. كانت تتوقع منه شيئًا ما، محاولة لمنع زواجهما، ولكنه لم يتحرك، ما الذي يمنعه؟

ما إن وصل رويال حتى سكنت الحركات وحل الصمت على الحشد. مشى رويال إلى مقدمة القاعة حيث كان تابوت الملك مغلقًا بإحكام، ثم بدأ في الحديث.

كانت خطبة قصيرة، تحدث رويال عن كيف أقام آيادون دولة من رماد إيلانتريس، وكيف منحهم جميعًا ألقابهم، وحذرهم من ارتكاب نفس خطأ الملك، ونصحهم ألا ينسوا دومي في أوقات الرخاء والثراء. واختتم حديثه بأن دعاهم ألا يتحدثوا بالسوء عن المتوفى، وأن يتذكروا أن دومي هو من سيحاكم روح آيادون وأن هذا ليس من شأنهم.

وما إن انتهى من حديثه حتى أشار إلى بعض جنود إيونديل لكي يحملوا التابوت، ولكن قبل أن يقطعوا أكثر من بضع خطوات تقدم شخص آخر إلى الأمام.

قال سينالان: "لدي شيء أود إضافته".

تجمد رويال في موضعه في دهشة. ابتسم سينالان ليُظهر أسنانه المثالية للحاضرين. كان قد بدَّل ملابسه بالفعل وصار يرتدي روبًا يشبه الروب الأول إلا أن به شريطًا ذهبيًّا عريضًا يمتد على صدره وظهره بدلًا من التطريزات.

قال رويال: "بالطبع، قداستك".

همس شودن: "ما الذي يسعى إليه؟".

اكتفت سارين بأن هزت رأسها بينما سينالان يمشي ليقف وراء التابوت. تأمل الحشد بابتسامة متعالية وهو يخرج لفافة من كُم روبه بشكل درامي.

قال سينالان: "قبل عشر سنوات وبعد اعتلاء الملك آيادون العرش جاءني وأدلى بهذا التصريح، يمكنكم أن تروا ختمه بالأسفل، وكذلك ختمي. لقد أمر بأن أعرض هذا على أريلون في جنازته، أو بعد خمس عشرة سنة من كتابة هذه المخطوطة، أيهما أقرب".

تحرك رويال عبر جانب القاعة حتى وقف إلى جانب سارين وشودن، وعيناه تُظهران الفضول والاهتمام. في مقدمة القاعة فض سينالان اللفافة المختومة.

رفع سينالان الورقة أمامه كأنها تحفة أثرية برَّاقة، وبدأ يقرأ: "أيها السادة والسيدات في أريلون، فلتعرفوا وصية ملككم الأول آيادون من كاي، أقسم بصدق أمام دومي وأسلافي وأي آلهة آخرين قد يراقبوننا أن هذا الإعلان قانوني. سواء كنتُ ميتًا أو غير قادر على الاستمرار

كملك لكم لسبب آخر فلتعرفوا أنني أصدرت هذا المرسوم بعقل سليم، وأنه مُلزم وفقًا لقوانين أمتنا.

آمر أن تبقى جميع ألقاب النبلاء كما هي، وأن يتوارثوها جيلًا بعد جيل، من أب لابن، كما هو شائع في الأمم الأخرى، لن تظل الثروة مقياسًا لنبل الرجل، وهؤلاء الذين احتفظوا بمراتبهم لوقت طويل قد أثبتوا جدارتهم. هذه الوثيقة المرفقة هي وثيقة تسن قوانين الميراث على غرار القوانين المماثلة في تيود، فلتكن هذه الوثيقة قانون بلدنا".

خفض سينالان الورقة أمام الحشد المذهول. ولم يكن هناك صوت إلا زفيرًا هادئًا من وراء سارين. وأخيرًا بدأ الناس يتحدثون بنبرات خفيضة متحمسة.

قال رويال بصوت خافت: "إذن هذا ما كان يخطط له طيلة الوقت، كان يعرف أن نظامه غير مستقر وقد تعمد أن يكون هكذا. تركهم يصارعون بعضهم بعضًا ليرى من سيكون قويًّا بما يكفي. أو خائنًا بما يكفي. لأن ينجو".

قال شودن: "خطة جيدة، حتى لو كانت غير إنسانية. ربما استهنا بدهاء آيادون".

كان سينالان لا يزال واقفًا أمام الحشد وهو ينظر إلى النبلاء نظرة العارف ببواطن الأمور.

سأل شودن: "لماذا اختاره؟".

قالت سارين: "لأن سلطته مُطلقة، حتى هراثن لن يجرؤ على التشكيك في كلمة البطريرك، حتى الآن على الأقل. إن قال سينالان أن هذا الأمر قد صدر قبل عشر سنوات مضت فسيكون كل شخص في أريلون مُلزمًا بتصديقه".

سألها شودن: "هل يغير هذا من خططنا؟".

قال رويال وهو ينظر ناحية تيلري الذي صار متجهمًا أكثر من ذي قبل: "لا على الإطلاق، بل سيعزز من مطالبنا، وسيكتسب التحادي مع عائلة آيادون مصداقية أكبر".

بينما البطريرك يُلقي ببعض العبارات البديهية حول حكمة تبني نظام الميراث قالت سارين: "لا يزال تيلري يُزعجني، لقد ضعف مزعمه بالتأكيد، ولكن هل سيقبل الأمر؟".

قال رويال مبتسمًا: "سيكون مضطرًا لقبوله، لن يجرؤ أي من النبلاء على اتباعه الآن. إن إعلان آيادون يمنحهم الشيء الذي لطالما أرادوه؛ ألقابًا ثابتة. لن يُخاطر النبلاء بتتويج رجل ليس لديه حق الدم في المطالبة بالعرش. إن شرعية إعلان آيادون ليست أمرًا مهمًّا، ورغم هذا سيتصرف الجميع كأنها عقيدة الكنيسة".

وأخيرًا سُمح لجنود إيونديل بالتقدم وحمل التابوت. لم يكن هناك سابقة لدفن ملك في أريلون، لذا استعان رويال بثقافة تيود الأشبه بثقافتهم. يُفضل التيوديون الاحتفالات الكبيرة، وغالبًا ما يدفنون أعظم ملوكهم مع حمولة سفينة من الثروات، هذا إن لم يدفنوا السفينة نفسها. كان من الواضح أن شيئًا كهذا غير مناسب لشخص مثل آيادون، فاستعان رويال بأفكار أخرى. إن الموكب الجنائزي التيودي يكون طويلًا ومرهقًا، فغالبًا ما يطلبون من الحاضرين أن يمشوا ساعة أو أكثر للوصول إلى مكان الدفن، فاستعان رويال بهذا التقليد مع تعديل طفيف.

كان هناك طابور من العربات ينتظر خارج القصر. بالنسبة لسارين كان استخدام العربات شيئًا مهينًا، ولكن شودن كان لديه وجهة نظر مقنعة.

كان الجيندوي قد قال: "رويال يُخطط لأن يعرض على النبلاء أن يعتلي العرش هذا المساء، ولا يمكنه أن يطلب من سادة أريلون المرفهين وسيداتها أن يمشوا في مسيرة إجبارية طويلة إلى خارج المدينة".

أضافت سارين في قرارة نفسها: *ولم القلق بشأن الإهانة؟ فهذا على أي حال ليس سوى آيادون.*

باستخدام العربات لم يستغرق الأمر سوى خمس عشرة دقيقة للوصول إلى موقع الدفن. في البداية بدا الأمر وكأن هناك فجوة كبيرة محفورة في الأرض، ولكن بنظرة متمعنة أدركت أنه منخفض طبيعي في الأرض وقد جعله شخص ما أكثر عُمقًا. مرة أخرى كانت طبيعة رويال المقتصدة وراء هذا الاختيار.

لم يُبالغ رويال في المراسم قبل أن يأمر بإنزال التابوت في الحفرة، ثم بدأت مجموعة كبيرة من العمال في ردم الحفرة.

كانت سارين مندهشة من عدد النبلاء الذين بقوا لمراقبة الأمر. كان الطقس باردًا في الآونة الأخيرة، مع هبوب الرياح الباردة من الجبال. كان الرذاذ معلقًا في الهواء، والغيوم تحجب الشمس، كانت تتوقع أن يبدأ النبلاء في التقاطر مبتعدين بمجرد أن يبدأ العمال في الردم.

ولكنهم بقوا ليراقبوا العمل، أما سارين التي اتشحت بالسواد مرة أخرى فقد ضمت شالها على جسدها لتحمي نفسها من البرد. كان هناك شيء في أعين هؤلاء النبلاء، فقد كان آيادون أول ملك لأريلون، وكان حكمه - رغم قصر مدته - بداية عهد جديد. سيتذكر الناس اسم آيادون لقرون، وسيعلمون الأطفال كيف اعتلى العرش في أرض قد مات آلهتها.

هل يجب أن يتفاجأ أي شخص من أنه قد تحول إلى الباطنية؟ مع كل ما رآه؛ مجد إيلانتريس قبل الريود، ثم موت عهد كان يظن أنه أبدي، فهل من العجب أنه قد سعى للسيطرة على الفوضى، التي بدا أنها تحكم أرض الآلهة؟ فكرت سارين أنها قد فهمت آيادون أفضل بعض الشيء بينما تقف في رطوبة البرد تُراقب التراب يغلف تابوته ببطء.

لم يبدأ نبلاء أريلون في الرحيل أخيرًا إلا عندما انتهى العمال من الردم وتسوية التراب. كان موكبهم هادئًا أثناء رحيلهم، وبالكاد لاحظوا وجود سارين. وقفت لوقت أطول وهي تنظر إلى قبر الملك في ضباب ما بعد الظهيرة غير المعتاد. لقد رحل آيادون وحان الوقت من أجل قيادة جديدة في أريلون.

وضع رويال يده برفق على كتفها، فالتفتت لتنظر إلى عينيه المواسيتين، قبل أن يقول: "يجب أن نستعد يا سارين".

أومأت سارين برأسها وسمحت له باصطحابها بعيدًا.

***

جثت سارين على ركبتيها أمام المحراب في الكنيسة الكوراثية المألوفة ذات السقف الخفيض، كانت وحدها، فمن المعتاد أن تصلي العروس صلاة خاصة لدومي قبل عقد الزواج.

كانت مكسوة بالأبيض من رأسها حتى أخمص قدميها، مرتدية الفستان الذي جلبته من أجل زواجها الأول، ثوبًا محتشمًا بياقة عالية، قد اختاره لها والدها، وقفازًا حريريًّا أبيض يصل إلى كتفيها، وعلى وجهها حجاب سميك. ووفقًا للتقاليد لا يجب رفعه حتى تدخل القاعة التي ينتظرها فيها عريسها.

لم تكن متيقنة مما يجب أن تقوله في صلاتها، تعتبر سارين نفسها متدينة، ولكنها لم تكن بقدر إخلاص إيونديل. ورغم هذا كانت معركتها من أجل تيود هي في الواقع معركة من أجل الديانة الكوراثية. إنها تؤمن بدومي، وتنظر إليه بتبجيل، وتؤمن بالمعتقدات التي علمها إياها الكهنة، حتى لو كانت عنيدة بعض الشيء.

أحست في هذه اللحظة أن دومي قد استجاب أخيرًا لدعواتها، قد منحها زوجًا، رغم أنه لم يكن الزوج الذي توقعته على الإطلاق. قالت لنفسها: *ربما كان يجب أن أكون أكثر تحديدًا.*

ومع ذلك لم تشعر بأي مرارة وهي تفكر في الأمر، فقد كانت تعرف طيلة حياتها أن قدرها هو الزواج السياسي وليس الحب. إن رويال واحد من ألطف الرجال الذين عرفتهم، حتى لو كان عجوزًا بما يكفي لأن يكون أباها، أو حتى جدها. ومع ذلك فقد سمعت عن حالات زواج سياسي أكثر تباينًا بكثير، فقد كان معروفًا عن ملوك جيندو أنهم يتخذون زوجات صغيرات قد لا تتجاوز أعمارهن الثانية عشر.

لذا كانت صلاتها صلاة شكر، فهي تعرف النعمة عندما تراها، وبزواجها من رويال ستكون ملكة أريلون، وتعرف أن وعد الدوق حقيقي؛ إن قرر دومي أن يقبض روح رويال في غضون سنوات قليلة، فسيكون لديها فرصة أخرى.

أضافت وهي تنهي صلاتها البسيطة: *أرجوك اجعلنا سعيدين فحسب.*

كانت النسوة المرافقات لها ينتظرن بالخارج، معظمهن من بنات النبلاء. كانت كايسي هناك، تبدو وقورًا للغاية في فستانها الأبيض الصغير، وكذلك كانت تورينا. أمسكتا بطرف فستان سارين الطويل وهي تمشي المسافة القصيرة إلى عربتها، ثم أمسكتا به مرة أخرى عندما نزلت منها ودلفت إلى القصر.

كانت أبواب قاعة العرش مفتوحة ورويال يقف في حلة بيضاء في مقدمة القاعة. كان ينوي الجلوس على العرش بمجرد انتهاء الحفل. إن لم يقدم الدوق مطالبه بطريقة قوية لا جدال فيها فحينها قد لا يرتدع تيلري عن محاولة الاستيلاء على السلطة.

كان الأب أومين ذو الجسد الضئيل يقف إلى جوار العرش، ممسكًا بمجلد الدو-كورات الكبير. كان هناك نظرة حالمة على وجهه، فمن الواضح أن الكاهن القصير يستمتع بحفلات الزفاف. كان سينالان يقف إلى جانبه ويشعر بالغيظ لأن سارين لم تطلب منه ترأس المراسم. لم

تُبالِ حقًّا، فعندما كانت تعيش في تيود كانت تفترض دومًا أن البطريرك هو من سيُزوجها، ولكن الآن وقد أُتيحت لها الفرصة أن يزوجها كاهن تحبه بالفعل، فلن تتخلى عن هذه الفرصة.

خطت إلى داخل القاعة فالتفتت إليها كل الأعين، كان عدد الموجودين في الحفل أكثر من الذين كانوا في الجنازة. كانت جنازة آيادون حدثًا سياسيًّا مهمًّا، ولكن زواج رويال أكثر أهمية. قد يرى النبلاء أنه من المهم أن يبدؤوا عهد حكم رويال بالمستوى اللائق من الإطراء المتملق.

حتى الجيورن كان حاضرًا. فكرت سارين أنه من الغريب أن يبدو وجه هراثن بمثل هذا الهدوء، فزواجها من رويال سيكون عقبة أساسية أمام مخططاته لتبديل الدين. ولكن في الوقت الحالي أبعدت سارين الكاهن الفيوردي عن تفكيرها. لقد انتظرت هذا اليوم لوقت طويل، وحتى لو لم يكن هذا ما كانت تحلم به فإنها ستستمتع به قدر الإمكان.

أخيرًا وبعد طول انتظار، وبعد مرتين كان فيهما الأمر وشيكًا، فإنها ستتزوج حقًّا. ومع هذه الفكرة التي جعلتها تشعر بالخوف والانتصار على حد سواء رفعت حجابها.

تعالت الصرخات على الفور.

مدت سارين يدها لتنزع حجابها وهي تشعر بالحيرة والخجل، معتقدة أن هناك شيئًا خاطئًا حياله. ولكنها عندما نزعت الحجاب خرجت معه خصلات شعرها. حدقت سارين في ذهول إلى خصلات الشعر الطويلة، بدأت يداها ترتجفان ثم رفعت عينيها. كان رويال مذهولًا وسينالان غاضبًا، وحتى أومين كان يُمسك بقلادته الكوراثية في صدمة.

تلفتت سارين في ذعر فعثرت على إحدى المرايا العريضة على جانبي قاعة العرش. لم يكن الوجه الذي يُبادلها التحديق هو وجهها، بل كان شيئًا مثيرًا للاشمئزاز مغطى ببقع سوداء، تتناقض مع فستانها الأبيض. لم يكن هناك إلا القليل من الشعر لا يزال متشبثًا برأسها المريض.

بشكل غامض لا يمكن تفسيره أصابها الشايود.

# الفصل التاسع والثلاثون

كان هراثن يراقب عددًا من الكهنة الكوراثيين يقتادون الأميرة المذهولة من القاعة الصامتة ثم قال: "هذا هو حكم جادث المقدس".

كان الدوق رويال جالسًا على حافة منصة العرش، واضعًا رأسه بين يديه. بدا البارون الجيندوي الشاب كأنه يُريد أن يلحق بالكهنة ويطلب منهم تحرير سارين. وكان الكونت العسكري إيونديل يبكي علانية. تفاجأ هراثن عندما أدرك أنه غير مبتهج بحزنهم. كان سقوط الأميرة سارين ضروريًّا، ولكنه لم يكن يُبالي بأصدقائها، أو على الأقل كان من المفترض ألا يُبالي بهم. لِمَ يشعر بانزعاج كبير لأن أحدًا لم يذرف الدموع عندما سقط ضحية الشايود؟

كان هراثن قد بدأ يعتقد أن تأثير السم سيظهر بعد فوات الأوان، وأن زواج سارين ورويال المفاجئ سيكتمل دون أن يعوقه شيء. ربما كان سقوط سارين ليصير كارثيًّا بعد الزواج بالطبع، إلا إن كان رويال ينوي اعتلاء العرش هذا المساء. كان احتمالًا غير مريح، وهو الاحتمال الذي لن يتاح لهراثن أن يراه يتحقق لحسن الحظ. لا يمكن لرويال أن يتوج نفسه الآن، فهو لا يفتقر إلى الحق الشرعي فحسب، ولكن لأن ثروته أقل من ثروة تيلري أيضًا. لقد تفحص هراثن عقد الزواج، وهذه المرة لم يكن الموت يعني إتمام الزواج. شق هراثن طريقه إلى الخارج عبر الحشد المذهول، يجب عليه أن يتصرف بسرعة، سيزول مفعول جرعة سارين في غضون خمسة أيام. التقت عينا الدوق تيلري بعيني هراثن أثناء مروره وهو يومئ إليه بابتسامة تقدير. لقد تلقى الرجل رسالة هراثن فلم يحاول أن يمنع الزواج، والآن سيُكافأ على إيمانه.

لقد كاد غزو أريلون أن يكتمل.

# الفصل الأربعون

قال رايودن وهو يحمي عينيه من ضوء الشمس بينما ينظر إلى أعلى سور إيلانتريس: "لا شك أن هناك طريقة للصعود إلى أعلى السور". أثناء الساعات القليلة الماضية كانت الشمس قد أشرقت لتبدد ضباب الصباح، ولكنها لم تجلب معها الدفء.

قال جالادون عاقدًا حاجبيه: "لا يمكنني أن أرى طريقة يا سول، فهذه الأسوار عالية للغاية".

قال رايودن: "يبدو أنك نسيتَ يا صديقي أن الأسوار لم تُبنَ لإبقاء الناس بالداخل، أو حتى لإبقاء الأعداء بالخارج، لقد بنى الإيلانتريون القدماء سلالم ومنصات مشاهدة على الجزء الخارجي من السور، يجب أن يكون هناك سلالم ومنصات أخرى بالداخل هنا".

تنهد جالادون، فمنذ اختفاء الحرس من على الأسوار بشكل غامض أراد رايودن أن يجد طريقة للصعود. تنتمي الأسوار إلى إيلانتريس وليس للعالم الخارجي، وربما بالصعود إلى الأعلى يمكنهم معرفة ما يحدث في كاي.

كان يشعر بالانزعاج لغياب الحراس، فرغم أن اختفاءهم يقلل من احتمال أن يلاحظ شخص ما إيلانتريس الجديدة لم يستطع رايودن أن يفكر إلا في سببين فقط لترك الجنود مواقعهم على الأسوار. وكان الاحتمال الأرجح هو الأكثر إثارة للقلق أيضًا. هل يُمكن أن يكون الشرق قد قرر أخيرًا غزوهم؟

يعرف رايودن أن الغزو محتمل للغاية، فالويرن رجل انتهازي للغاية على أن يتخلى للأبد عن غنيمة مثل أريلون ما بعد الريود. ستُهاجم فيوردن في نهاية المطاف، وإن سقطت أريلون أمام حرب الويرن المقدسة، فسيحرص الكهنة الديريثيون على تدمير إيلانتريس.

لم يُفصح رايودن عن مخاوفه أمام الإيلانتريين الآخرين، ولكنه كان يتصرف بناءً على هذه المخاوف. إن تمكن من وضع رجاله فوق الأسوار، فسيكون لديه تحذير مسبق في حال اقتراب أي جيش. وربما مع هذا التحذير المسبق يكون لدى رايودن وقت لإخفاء قومه. ربما يكون أفضل أمل لهم هو واحدة من المدن الثلاثة المهجورة الخربة خارج إيلانتريس. سيقودهم إلى هناك إن سنحت له الفرصة.

هذا على افتراض أنه سيكون في حالة تسمح له بمساعدتهم. لقد واجهه الدور مرتين في الأيام الأربعة الأخيرة، لحسن الحظ كانت عزيمته تزداد قوة مع ازدياد الألم. على الأقل يفهم الآن ألمه.

قال جالادون وهو يشير إلى جزء بارز: "هناك".

أومأ رايودن برأسه، كان هناك احتمال أن هذا العمود الحجري يحتوي على بيت درج. قال: "هيا بنا".

كانا بعيدين عن إيلانتريس الجديدة، التي أقاموها في وسط المدينة لإخفائها عن أعين المتطفلين من فوق السور. لا يزال الوحل يغطي كل شيء هنا في إيلانتريس القديمة. ابتسم رايودن، لقد صارت الأوساخ والأوحال مثيرة للاشمئزاز بالنسبة له مرة أخرى. لقد كاد أن ينسى لفترة من الوقت كم هي مقززة.

لم يبتعدا كثيراً، فما إن أشار جالادون ناحية بيت الدرج حتى ظهر رسول من إيلانتريس الجديدة من شارع جانبي من ورائهما، كان الرجل يتحرك بسرعة كبيرة وهو يلوح ناحية رايودن.

قال الرجل: "سيدي سبيريت".

سأله رايودن وهو يلتفت إليه: "ما الأمر يا تينرايو؟".

"لقد أُلقي بوافد جديد إلى المدينة يا سيدي".

أومأ رايودن برأسه، كان يفضل أن يلتقي بكل وافد جديد شخصيًا. ثم سأل جالادون: "هلَّا ذهبنا".

وافقه الدولادي قائلًا: "يُمكن للأسوار أن تنتظر".

***

اتضح أن الوافد الجديد امرأة، كانت تجلس وظهرها إلى البوابة، وهي تضم ركبتيها إلى صدرها ورأسها مدفون في روبها القرباني.

قال داش الذي كان يقف للمراقبة عندما وصلت الوافدة الجديدة: "إنها مشاكسة يا سيدي. لقد راحت تصرخ عند البوابة لعشر دقائق كاملة بعد أن ألقوا بها، ثم ألقت بسلة القربان ناحية السور، وهوت جالسة على الأرض كما تراها الآن".

أومأ رايودن برأسه. يكون معظم الوافدين الجدد مصدومين للغاية على أن يفعلوا ما هو أكثر من التجول في المكان، ولكن هذه المرأة تتحلى بالقوة.

أشار رايودن إلى الآخرين ليبقوا في الوراء، لم يرغب في أن يجعلها متوترة بجلب حشد من الناس. خطا ناحيتها حتى وقف أمامها مباشرة، ثم جلس القرفصاء لينظر إلى عينيها.

قال بلطف: "مرحبًا، يمكنني أن أخمن أنك قضيتِ يومًا سيئًا".

رفعت المرأة رأسها، وعندما رأى رايودن وجهها كاد أن يفقد توازنه، كان جلدها مبقعًا وقد تساقط شعرها، ولكنها كانت تمتلك نفس الوجه ونفس العينين الواسعتين الماكرتين؛ الأميرة سارين، زوجته.

قالت بصوت حزين وقد افترت عن شفتيها ابتسامة باهتة متهكمة: "ليس لديك أدنى فكرة عن الأمر يا سبيريت".

قال رايودن: "أُراهن أنني أفهم الأمر أكثر مما تعتقدين. أنا هنا لجعل الأمور أقل كآبة".

سألته سارين وقد اكتسى صوتها بالمرارة فجأة: "ماذا؟ هل ستسرق القرابين التي منحها لي الكهنة؟".

قال رايودن: "حسنًا، سأفعل إن كنتِ تصرين على هذا، رغم أنني لا أعتقد أننا بحاجة إليها. شخص ما كان لطيفًا بما يكفي لأن يجلب لنا كميات كبيرة من الطعام قبل بضعة أسابيع".

نظرت إليه سارين نظرة عدائية، فهي لم تنسَ خيانته.

قال وهو يمد لها يده: "تعالي معي".

"لم أعد أثق بك يا سبيريت".

"هل كنتِ تثقين بي من قبل؟".

صمتت سارين للحظة ثم هزَّت رأسها وقالت: "لقد أردت أن أثق بك، ولكني كنت أعرف أنه لا يجب عليَّ هذا".

قال لها: "إذن لم تمنحيني فرصة حقًّا، أليس كذلك؟". ثم قرب يده منها أكثر وهو يقول: "تعالي معي".

تأملت عينيه للحظة. وأخيرًا مدت يدها الرقيقة ذات الأصابع الرفيعة، ووضعتها في يده لأول مرة لتسمح له بأن يساعدها على الوقوف على قدميها.



# الفصل الواحد والأربعون

أقل ما يوصف به التغير المفاجئ هو أنه مذهل، أحست سارين كأنها قد خطت من الظلمة إلى ضوء الشمس، ومن ماء أسن إلى هواء دافئ. كانت قذارة وأوساخ إيلانتريس تنتهي عند خط واضح، ومن ورائه كانت أحجار الرصف بيضاء ناصعة. في أي مكان آخر ستكون نظافة الشارع شيئًا ملحوظًا، وإن كانت شيئًا مألوفًا، ولكن هنا بينما عفن إيلانتريس وراءها أحست سارين كأنما خطت فجأة إلى فردوس دومي.

توقفت أمام البوابة الحجرية وهي تحدق إلى المدينة التي بداخل مدينة، وعيناها متسعتان في عدم تصديق. كان الناس يتحدثون ويعملون، وكل منهم يحمل علامات لعنة إيلانتريس على جلده، ولكن كل واحد منهم ترتسم على وجهه ابتسامة لطيفة أيضًا. لم يكن أي منهم يرتدي الأسمال البالية التي افترضت أنها الثياب الوحيدة المتاحة في إيلانتريس، بل كانت ملابسهم البسيطة عبارة عن سروايل وتنانير وأقمصة. كانت الملابس صارخة الألوان، ثم أدركت في دهشة أنها الألوان التي قد اختارتها، ما اعتقدت أنه مهين كان الناس يرتدونه في سعادة، وكانت الألوان الصفراء والحمراء والخضراء الزاهية تُبرز بهجتهم.

لم يكن هؤلاء الناس هم من رأتهم قبل أسابيع قليلة فحسب؛ مثيرين للشفقة ويتسولون من أجل الطعام. لقد بدوا وكأنهم ينتمون إلى قرية ريفية من حكاية ما، أشخاص يعبرون عن مرح نابع عن نفوس طيبة، كانت سارين تعتقد أنه غير واقعي في العالم الحقيقي. ومع ذلك كانوا يعيشون في مكان يعرف الجميع أنه أكثر فظاعة من العالم الحقيقي.

"ماذا...؟".

ابتسم سبيريت ابتسامة عريضة وهو لا يزال يُمسك بيدها بينما يقتادها عبر البوابة إلى القرية. "مرحبًا بك في إيلانتريس الجديدة يا سارين، حيث ستكتشفين أن كل ما افترضتِه خاطئ".

"يمكنني أن أرى هذا".

اقتربت منهما امرأة إيلانترية قصيرة، وكان فستانها مزيجًا من الألوان الخضراء والصفراء الزاهية. نظرت إلى سارين بعين ناقدة ثم قالت: "أشك أن لدينا أي شيء يناسب حجمها يا لورد سبيريت".

ضحك سبيريت وهو ينظر إلى طول سارين ثم قال: "فلتبذلي قصارى جهدك يا ماري". ثم مشى ناحية مبنى خفيض السقف إلى جانب البوابة، كان الباب مفتوحًا فاستطاعت سارين أن ترى بالداخل صفوفًا من الملابس المعلقة على مشاجب. أحست بالحرج وقد أدركت فجأة ما ترتديه، فقد كان ثوبها الأبيض ملطخًا بالفعل بالطين والوحل.

قالت ماري وهي تصطحبها إلى مبنى آخر: "تعالي يا عزيزتي، دعينا نرى ما يمكننا فعله".

كانت المرأة تعاملها كأم رؤوم، وفي النهاية وجدت فستانًا يُناسب سارين إلى حد معقول، أو على الأقل تنورة زرقاء تكشف نصف ربلتها، وكِنزة حمراء زاهية. بل وكان هناك حتى ملابس داخلية، رغم أنها كانت مصنوعة من مواد لامعة. ولكن سارين لم تشتكِ، فأي شيء كان أفضل من روبها المتسخ بالوحل.

بعد أن ارتدت سارين ملابسها نظرت إلى نفسها في مرآة طويلة، كان نصف بشرتها لا يزال بلونه الطبيعي، ولكن هذا لم يسهم إلا في جعل البقع السوداء صارخة أكثر. افترضت أن بشرتها ستزداد قتامة مع مرور الوقت حتى تصير رمادية مثل الإيلانتريين الآخرين.

سألت سارين في تردد: "مهلًا، من أين جلبتم المرآة؟".

قالت ماري وهي تفتش في الجوارب والأحذية: "إنها ليست مرآة يا عزيزتي، بل قطعة حجرية مسطحة. جزء من طاولة كما أعتقد. مغلفة بصفائح رقيقة من الفولاذ".

أمعنت سارين النظر فاستطاعت أن ترى الطيات حيث تتداخل صفائح الفولاذ مع بعضها بعضًا. هذا صنع مرآة مذهلة بأخذ كل شيء في الاعتبار، لا شك أن الحجر أملس للغاية.

قالت سارين: "ولكن من أين...". صمتت سارين وقد أدركت من أين حصلوا على صفائح فولاذية رقيقة إلى هذا الحد، لقد أرسلتها سارين بنفسها وهي تعتقد مرة أخرى أنها تتغلب على سبيريت الذي طلب عدة صفائح معدنية كجزء من الرشوة التي يتلقاها.

اختفت ماري لدقيقة ثم عادت ومعها جورب وحذاء من أجل سارين، كلاهما مختلف اللون عن كِنزتها وتنورتها. قالت: "ها نحن ذا، كان عليَّ أن أختلس هذين من الرجال".

أحست سارين بوجهها يحمر خجلًا وهي تقبل الحذاء والجورب.

ضحكت ماري وقالت: "لا تهتمي يا عزيزتي، من المنطقي أن يكون لديكِ قدمان كبيرتان، فدومي يعرف أنك تحتاجين إليهما لدعم كل هذا الطول! كدت أنسى، هناك شيء أخير".

رفعت المرأة قطعة قماشية برتقالية أشبه بالوشاح وقالت: "من أجل رأسك". ثم أشارت ماري إلى قطعة قماشية مماثلة ملفوفة حول رأسها وقالت: "إنها تساعدنا على أن ننسى ما حدث لشعرنا".

أومأت سارين برأسها في امتنان، ثم قبلت الوشاح وربطته حول رأسها. كان سبيريت في انتظارها بالخارج مرتديًا سروالًا أحمر وقميصًا أصفر، ثم ابتسم عندما رآها تقترب.

نظرت سارين لأسفل متفحصة مزيج الألوان ثم قالت معترفة: "أشعر كأنني قوس قزح مجنون".

ضحك سبيريت ثم مد لها يده واقتادها متوغلًا في المدينة. دون أن تشعر وجدت نفسها تُقيِّم طوله، قالت لنفسها بشكل عابر: *إنه طويل بما يكفي، وإن كان بالكاد يُناسب طولي.* ثم أدركت ما تفكر فيه فوبخت نفسها؛ العالم بأسره يتداعى من حولها وكل ما يمكنها فعله هو تقييم طول رجل يمشي إلى جوارها.

كان يقول: "... ستعتادين على فكرة أننا جميعًا نبدو مثل طيور السيكابيرد[٤٢] في الربيع. لن تزعجك الألوان مُطلقًا بعد أن ترتديها لفترة من الوقت، أنا أجدها منعشة للغاية بعد كل الألوان الباهتة الرتيبة في إيلانتريس القديمة".

بينما يمشيان شرح لها سبيريت فكرة إيلانتريس الجديدة، لم تكن كبيرة للغاية، ربما خمسين مبنى في المجمل، ولكن تلاصق المباني جعلها تبدو متحدة أكثر. بدا أن هناك حركة مستمرة من حولها رغم أنه لم يكن هناك الكثير من الناس في البلدة؛ خمسمئة أو ستمئة على الأكثر. الرجال يعملون على الجدران أو الأسقف، والنساء يعملن في الحياكة أو التنظيف، وحتى الأطفال يركضون في الشوارع. لم يخطر على بالها من قبل أن الشايود قد يصيب الأطفال مثلما يُصيب الكبار.

كان الجميع يحيون سبيريت أثناء مروره، فينادونه بابتسامات مرحبة. كان هناك قبول حقيقي في كلماتهم، وهم يُظهرون مستوى من الحب والاحترام نادرًا ما ترى سارين قائدًا يتلقى مثله، حتى أبوها المحبوب عمومًا لديه معارضون. بالطبع كان الأمر أسهل مع مثل هذا العدد القليل من السكان، ولكنها أحست بالإعجاب رغم هذا.

مرا بجانب رجل لا يمكن تحديد عمره. كانت الوجوه في إيلانتريس لا تفصح عن عدد السنوات . جالسًا على كتلة حجرية. كان قصيرًا ببطن كبير ولم يحيهما، ولكن عدم اهتمامه لم يكن من

---

[٤٢] السيكابيرد: طائر ذو ريش زاهي الألوان موطنه الأصلي سهول دولادل.

باب الفظاظة، فقد كان تركيزه منصبًّا على شيء صغير في يده. كان هناك عدد من الأطفال يقفون حول الرجل يراقبونه بأعين متلهفة وهو منكب على عمله. أثناء مرور سارين وسبيريت مد الرجل بهذا الشيء إلى طفلة من الأطفال، كان حصانًا حجريًّا منحوتًا بشكل جميل. صفقت الفتاة في حماس ثم قبلت القطعة الفنية بين أصابعها بفرح. ركضت الطفلة بينما النحات يمد يده ليختار صخرة أخرى من على الأرض. بدأ نحت الحجر بأداة قصيرة، وبينما تنظر سارين عن كثب أدركت ماهيتها.

قالت: "أحد مساميري! إنه يستخدم أحد المسامير المنثنية التي أرسلتها لك!".

قال سبيريت: "ماذا؟ أوه، أجل. يجب عليَّ أن أخبرك يا سارين أننا قضينا وقتًا طويلًا ونحن لا نعرف ما يجب أن نفعله بهذا الصندوق تحديدًا. كان صهرها سيستغرق الكثير من الوقود، هذا على افتراض أننا لدينا الأدوات اللازمة للصهر. كانت تلك المسامير واحدة من أكثر ألاعيبك براعة".

احمر وجه سارين خجلًا، إن هؤلاء الناس يصارعون للنجاة في مدينة معدومة الموارد، وقد كانت سخيفة للغاية، حتى إنها أرسلت لهم مسامير منثنية. قالت: "المعذرة، كنت أخشى أن تصنعوا أسلحة من الفولاذ".

قال سبيريت: "كنتِ محقة في حذرك، فأنا بالفعل قد خنتك في النهاية".

قالت سارين على الفور: "أنا واثقة من أنه كان لديك سبب وجيه".

أومأ برأسه وقال: "كان لدي بالفعل، ولكن هذا لم يكن مهمًّا كثيرًا في ذلك الوقت، أليس كذلك؟ لقد كنتِ محقة بشأني، أنا كنت ـ وما زلت ـ طاغية، لقد منعت الطعام عن جزء من السكان وخرقت اتفاقيتنا وتسببت في موت بعض من أفضل الرجال".

هزت سارين رأسها وهي تقول بحزم: "أنت لست طاغية، وهذا المجتمع يثبت ذلك، الناس يحبونك ولا يمكن أن يكون هناك طغيان حيث يوجد الحب".

ابتسم ابتسامة شاحبة ولكن عدم الاقتناع كان باديًا في عينيه، ثم نظر إليها بتعبير مبهم وهو يقول: "حسنًا، أفترض أن الوقت الذي قضيتِه أثناء ابتلائك لم يكن بلا طائل، لقد اكتسبتُ شيئًا مهمًّا للغاية".

سألته سارين: "الإمدادات؟".

"شيء آخر بالإضافة إلى هذا".

صمتت سارين للحظة وهي تنظر إلى عينيه، ثم نظرت إلى النحات وقالت: "من يكون؟".

قال سبيريت: "اسمه تان، رغم أنك قد تعرفينه باسم آندين".

سألته سارين في دهشة: "زعيم العصابة؟".

أومأ سبيريت برأسه وقال: "كان تان واحدًا من أمهر النحاتين في أريلون قبل أن يصيبه الشايود، وبعد أن جاء إلى إيلانتريس نسي نفسه لبعض الوقت، ولكنه تذكرها في النهاية".

تركا النحات يمارس عمله بينما سبيريت يُريها القطاعات القليلة الأخيرة من المدينة. مرا بجوار مبنى كبير أشار إليه باسم قاعة المبتلين، منعها الحزن في صوته من أن تسأله عن الأمر، رغم أنها رأت العديد من سيونات الشايود التي فقدت عقلها تحوم في الأرجاء فوق سطحه.

أحست سارين بطعنة مفاجئة من الحزن وهي تقول لنفسها: *لا شك أن آش هكذا الآن.* تذكرت السيونات المجنونة التي كانت تراها من آن لآخر تحوم في أرجاء إيلانتريس. رغم ما رأته فقد كانت تأمل طوال الليل أن آش سيجدها، لقد حبسها الكهنة الكوراثيون في زنزانة ما وهم

ينتظرون، فيبدو أنه لا يُلقى بالإيلانتريين الجدد إلى المدينة إلا مرة واحدة في اليوم، فظلت واقفة بجانب النافذة وهي تأمل أنه سيأتي.

انتظرته بلا طائل، فمع الارتباك الذي ساد حفل الزفاف لم تستطع أن تتذكر آخر مرة رأته فيها، لم يكن راغبًا في دخول الكنيسة لذا ذهب لينتظرها في قاعة العرش. هل رأته بالداخل عندما وصلت قاعة العرش؟ هل سمعت صوته يُناديها بين الأصوات المصدومة الأخرى؟ أم أنها ببساطة تسمح للأمل بأن يضلل ذاكرتها؟

هزت سارين رأسها وهي تتنهد، ثم تركت سبيريت يقتادها بعيدًا عن قاعة المبتلين. كانت تنظر وراءها طيلة الوقت، تختلس النظر لأعلى متوقعة أن ترى آش هناك. لطالما كان بالقرب منها.

قالت لنفسها وهي تنحي حزنها جانبًا: *على الأقل لم يمت، إنه على الأرجح في المدينة في مكان ما، يمكنني أن أجده... ربما أُساعده بطريقة ما.*

واصلا السير فسمحت سارين لذهنها بأن يتشتت وهي تتأمل المشهد من حولها، لم تعد قادرة على التفكير في آش أكثر من هذا. سرعان ما اقتادها سبيريت عبر عدة ساحات مفتوحة، وعندما أمعنت سارين النظر أدركت أنها حقول بلا شك. كان هناك براعم صغيرة قد ظهرت في أكوام من التراب متراصة بحرص في صفوف، ويمشي بينها عدد من الرجال يفتشون عن الأعشاب الضارة. كان هناك رائحة مميزة في الهواء.

اشتمت سارين الرائحة ثم قالت: "سمك؟".

ضحك سبيريت وهو يقول: "سماد، هذه المرة نحن من تغلبنا عليكِ، لقد طلبنا سمك الترايك ونحن نعرف تمام المعرفة أنك ستبحثين عن أقرب برميل سمك متعفن لتضعيه في الشحنة".

قالت سارين: "يبدو لي أنكم قد تغلبتم عليَّ مرات أكثر بكثير مما كنت أظن". ثم تذكرت في خجل الأوقات التي قضتها في الشماتة بسبب مكرها في إساءة تأويل المطالب. يبدو أنه بغض

النظر عن محاولتها لإفساد الأمر فإن قاطني إيلانتريس الجديدة كانوا يجدون طريقة لاستخدام كل هداياها عديمة النفع.

"لم يكن لدينا خيار أيها الأميرة، كل شيء مما قبل الريود في إيلانتريس كان متعفنًا أو فاسدًا، حتى الأحجار بدأت في التفتت. بغض النظر عن مدى سوء حالة الموارد من وجهة نظرك، فقد كانت أكثر نفعًا من أي شيء قد تبقى في المدينة".

قالت سارين في أسى: "لقد كنت مخطئة".

قال سبيريت: "لا تبدئي في هذا الحديث مرة أخرى، إن بدأتِ تشعرين بالأسف على نفسك فسأحتجزك مع جالادون ساعة في حجرة واحدة حتى تعرفي ما هو التشاؤم الحقيقي".

"جالادون؟".

قال سبيريت: "إنه الرجل الضخم الذي التقيتِ به لفترة وجيزة عند البوابة".

سألته سارين في دهشة: "الدولادي؟". وقد تذكرت الإيلانتري الضخم ذا الوجه العريض واللكنة الدولادية الثقيلة.

"هو بعينه".

قالت: "دولادي متشائم؟ لم أسمع عن شيء كهذا من قبل".

ضحك سبيريت وهو يصطحبها إلى داخل مبنى مهيب ضخم، شهقت سارين منبهرة من جماله، تصطف على جوانبه العديد من الأقواس الدقيقة الحلزونية، وأرضيته مصنوعة من رخام أبيض، ونقوش الجدران كانت أكثر تعقيدًا من تلك الموجودة في المعبد الكوراثي في تيوراث.

قالت وهي تمرر أصابعها على الأنماط الرخامية المتداخلة: "إنها كنيسة".

"أجل، إنها كذلك بالفعل، كيف عرفتِ هذا؟".

قالت وهي تنظر إليه بعينين يغشاهما التأنيب: "هذه المشاهد مأخوذة مباشرة من الدو–كوراث. شخص ما لم يكن منتبهًا في مدرسة الكنيسة".

تنحنح سبيريت وقال: "حسنًا...".

قالت سارين وهي تتأمل المنحوتات من جديد: "لا تحاول إقناعي بأنك لم تذهب، من الواضح أنك رجل نبيل، لا شك أنك كنت تذهب إلى الكنيسة لتحافظ على المظهر اللائق حتى لو لم تكن متدينًا".

"سيدتي فطنة للغاية، أنا بالطبع عبد متواضع لدومي، ولكني سأعترف أن ذهني كان يشرد أحيانًا أثناء العظات".

قالت سارين ببساطة: "من تكون إذن؟". أخيرًا سألته السؤال الذي كان يؤرقها منذ أول مرة قابلت سبيريت فيها قبل أسابيع.

صمت لحظة ثم قال: "الابن الثاني للورد مزرعة آين، إقطاعية صغيرة للغاية جنوب أريلون".

قد تكون الحقيقة، فهي لم تكلف نفسها عناء حفظ أسماء اللوردات الصغار، كان من الصعب بما يكفي حفظ أسماء الدوقات والكونتات والبارونات. وأيضًا قد تكون كذبة، فقد بدا سبيريت أنه على الأقل قد يكون رجلًا سياسيًا، وسيعرف كيف يقول كذبة مقنعة. على أي حال لقد تعلم بالتأكيد بعض المهارات القيادية الممتازة، وهي السمات التي وجدت أن الأرستقراطية الأريلية تفتقر إليها إلى حد كبير.

نظرت إليه وهي تسأله: "منذ متى... ". ثم تجمدت واختنقت أنفاسها في حلقها.

كان سبيريت يتوهج.

كان ضوء شبحي ينبعث من مكان بداخله، حتى إنها تمكنت من أن ترى ظلال عظامه أمام قوة ما هائلة تحترق بداخل صدره. كان فاغرًا فاه في صرخة صامتة، ثم انهار أرضًا وهو يرتجف، بينما الضوء يتوهج.

أسرعت سارين نحوه ثم ترددت وهي لا تعرف ما يجب أن تفعله. جزَّت على أسنانها وهي تمسك به، ثم رفعت رأسه لكي تمنع التشنجات من أن تضرب برأسه مرارًا وتكرارًا على الأرضية الرخامية الباردة. ثم أحست بشيء ما.

أحست بنبضات في ذراعيها وقشعريرة باردة تسري في جسدها. كان هناك شيء ضخم، شيء هائل بشكل غير معقول يضغط على جسدها. بدا أن الهواء نفسه يندفع مبتعدًا عن جسد سبيريت. لم تعد قادرة على رؤية عظامه، وقد صار الضوء ساطعًا للغاية، بدا الأمر وكأنه يتحلل إلى بياض نقي. كانت لتعتقد أنه قد تلاشى لولا أنها تشعر بثقله بين ذراعيها. انتفض مرة أخيرة ثم ارتخى جسده.

ثم صرخ.

صرخة واحدة باردة وثابتة، اندفعت من فمه في صيحة متحدية. تلاشى الضوء على الفور، فأحست سارين أن قلبها ينبض في تناغم في صدرها، والعرق يغمر ذراعيها، وأنفاسها عميقة وسريعة.

بعد بضع لحظات ارتعش جفنا سبيريت قبل أن يفتحهما، وببطء عاد الفهم إلى عينيه. ابتسم بضعف وهو يريح رأسه على ذراعها، ثم قال: "عندما فتحت عينيّ ظننت أنني قد مت هذه المرة بالتأكيد".

سألته في قلق: "ما الذي حدث؟ هل يجب أن أذهب لأجلب المساعدة؟".

"لا، لقد صار هذا شيئًا معتادًا مؤخرًا".

سألته سارين ببطء: "معتادًا؟ بالنسبة لنا جميعًا؟".

ضحك سبيريت بضعف وقال: "لا، أنا فحسب، أنا الشخص الذي يريد الدور تدميره".

سألته: "الدور؟ ما علاقة الجسكرية بالأمر؟".

ابتسم وقال: "أميرتي الجميلة باحثة في الأديان أيضًا؟".

قالت سارين ببساطة: "الأميرة الجميلة تعرف الكثير من الأشياء. أُريد أن أعرف لماذا يعتقد عبد متواضع لدومي أن الروح العليا الجسكرية تحاول تدميره؟".

ساعدت سبيريت على الجلوس، قبل أن يقول بصوت متعب: "الأمر له علاقة بالآيوندور".

"الآيوندور؟ هذه أسطورة وثنية". لم يكن هناك الكثير من الاقتناع في صوتها، ليس بعد ما رأته للتو.

رفع سبيريت حاجبًا وهو يقول: "إذن من المقبول بالنسبة لكِ أن تصيب أجسادنا لعنة فلا تموت، ولكن ليس من المعقول أن يعمل سحر قديم؟ ألم أرَ معكِ سيونًا؟".

قالت سارين: "الأمر مختلف...". ثم بترت جملتها وهي تفكر من جديد في آش.

ولكن سبيريت جذب انتباهها مرة أخرى على الفور، رفع يده وبدأ يرسم فظهرت خطوط في الهواء تتتبع حركة إصبعه.

إن التعاليم الكوراثية طيلة عشر سنوات ماضية قد بذلت قصارى جهدها للتقليل من سحر إيلانتريس رغم وجود السيونات. كانت السيونات مألوفة كأنها أرواح طيبة أرسلها دومي لتمنح الحماية والطمأنينة. ما تعلمته سارين وما آمنت به هو أن سحر إيلانتريس كان في مجمله خدعة.

ولكنها الآن تواجه احتمالًا أن الحكايات ربما كانت حقيقة.

همست: "علمني، أُريد أن أعرف".

***

لم تسمح سارين لنفسها بالبكاء إلا بعد حلول الليل بوقت طويل. كان سبيريت قد قضى معظم اليوم يشرح لها كل ما يعرفه عن الآيوندور، يبدو أنه قد أجرى بحثًا مكثفًا حول هذا الموضوع. كانت سارين تُنصت ببهجة بسبب صحبته وأيضًا لأن الأمر يشتت تفكيرها. ودون أن تشعر بمرور الوقت كان الغسق قد حل خارج نوافذ الكنيسة، فأرشدها سبيريت إلى مسكنها.

في هذه اللحظة كانت تجلس متكومة على نفسها ترتجف من البرد. كانت المرأتان الأخريان في الحجرة تنامان نومًا عميقًا، دون أن تبالي أي منهما بأن تتغطى ببطانية رغم البرودة القارسة. لم يبدُ أن الإيلانتريين الآخرين يلاحظون التغير في درجة الحرارة مثلما تلاحظه سارين. يزعم سبيريت أن أجسادهم في نوع ما من الركود وأنها قد توقفت عن العمل، في انتظار أن ينتهي الدور من تحويلها. ومع ذلك بدا الجو باردًا بشكل مزعج بالنسبة لسارين.

لم يساعد الجو الكئيب على تحسين حالتها المزاجية، فبينما كانت متكومة على نفسها بجانب الجدار الحجري الصلب تذكرت النظرات، تلك النظرات الفظيعة. معظم الإيلانتريين الآخرين قد تحولوا أثناء الليل، وربما اكتشف الناس ما حدث لهم دون صخب كبير، أما سارين فقد عُرضت أمام الطبقة الأرستقراطية بأسرها، وفي حفل زواجها؛ أسوأ توقيت ممكن.

كان الأمر محرجًا بشكل مروع، وعزاؤها الوحيد أنها ربما لن ترى أيًا منهم مرة أخرى. لم تلتمس الكثير من العزاء من هذه الفكرة، لأنها بنفس المنطق لن ترى أباها أو أمها أو أخاها مرة أخرى، مثلما لن ترى كين وعائلته. كانت طيلة حياتها تكبت إحساسها بالحنين إلى الديار، ولكن هذا الإحساس تفجر بداخلها في هذه اللحظة.

اقترن بهذا معرفتها بأنها قد فشلت. لقد سألها سبيريت عن أخبار الخارج فأدركت أن الموضوع مؤلم بالغاية بالنسبة لها. إنها تعرف أن تيلري ربما صار ملكًا بالفعل، وهذا يعني أن هراثن سيبدل دين بقية أريلون بسهولة.

سالت دموعها بصمت، بكت على الزفاف، وعلى أريلون، وعلى جنون آش، وعلى العار الذي لا شك أن العزيز رويال قد أحس به. كانت أفكارها عن والدها هي الأسوأ على الإطلاق، فكرة أنها لن تشعر مرة أخرى بحبه ومزاحه اللطيف، وأنها لن تشعر مرة أخرى بدعمه الغامر غير المشروط، أثقلت قلبها بإحساس قوي من الفزع.

جاء صوت هامس متردد: "سيدتي؟ أهذه أنتِ يا سيدتي؟".

رفعت بصرها في صدمة وهي تحاول أن ترى من بين دموعها. هل تتخيل سماع أصوات؟ لا شك أنها تتخيل الأمر، فليس من الممكن أنها تسمع صوت...

"سيدة سارين؟".

*إنه صوت آش.*

ثم رأته يطفو بالداخل إلى جانب النافذة وآيونه خافت للغاية حتى إنه يكاد أن يكون غير مرئي. سألته في تعجب: "آش؟".

صاح السيون وهو يقترب منها بسرعة: "بحق دومي المبارك!".

قالت وهي تمسح دموعها بيد مرتجفة قد خدرتها الصدمة: "آش! أنت لم تُقسم باسم الرب من قبل!".

قال آش وهو ينبض في حماس: "إن كان هو من جلبني إليكِ إذن فسأكون أول سيون يؤمن بدينه".

بالكاد منعت نفسها من أن تمد يديها وتعانق كرة الضوء. قالت: "أنت تتحدث يا آش! ليس من المفترض أن تكون قادرًا على الحديث. من المفترض أن تكون...".

قال آش: "مجنونًا، أجل يا سيدتي، أعرف هذا، ولكني لا أشعر بأي اختلاف عن ذي قبل".

قالت سارين: "هذه معجزة".

قال السيون: "إنه أمر عجيب بالفعل، ربما يجب عليَّ أن أفكر في اعتناق الشو-كوراث".

ضحكت سارين وقالت: "لن يسمح سينالان بالأمر، ولكن رفضه لأي شيء لم يوقفنا من قبل، أليس كذلك؟".

"ولا مرة واحدة يا سيدتي".

أراحت سارين ظهرها على الجدار وهي قانعة بالاستمتاع ببساطة بسماع صوته المألوف.

"ليس لديكِ أدنى فكرة عن الارتياح الذي أشعر به لعثوري عليكِ يا سيدتي. أنا أبحث منذ الأمس، وكنت قد بدأت أخشى أن شيئًا فظيعًا قد حدث لكِ".

قالت سارين: "لقد حدث لي شيء فظيع بالفعل". ولكنها كانت تبتسم وهي تقول هذه الكلمات.

قال السيون: "بل أعني شيئًا أكثر فظاعة يا سيدتي. لقد رأيت الأشياء الشنيعة التي يمكن أن تحدث في هذا المكان".

قالت سارين: "لقد تغيرت إيلانتريس يا آش، لم أفهم بعد كيف فعل سبيريت هذا، ولكنه جلب النظام إلى إيلانتريس".

"أيًّا كان ما فعله فأنا أباركه ما دام قد أبقاكِ بأمان".

فجأة خطر لها شيء ما؛ إن كان آش لا يزال على قيد الحياة، فإن سارين لديها رابط بالعالم الخارجي، إنها لم تنفصل تمامًا عن كين والآخرين.

سألته: "هل تعرف ما يفعله الآخرون؟".

"لا يا سيدتي، فبعد ما حدث في حفل الزفاف قضيت ساعة أطالب البطريرك بإطلاق سراحك. لا أعتقد أنه قد أحس بخيبة الأمل بسبب إصابتك بالشايود. بعد هذا أدركت أنني قد خسرتك فذهبت إلى بوابة إيلانتريس، ولكن من الواضح أنني جئت متأخرًا على أن أراكِ وهم يلقون بكِ إلى داخل المدينة. عندما سألت الحرس إلى أين توجهتِ رفضوا إخباري بأي شيء، قالوا إنه محظور عليهم الحديث عن هؤلاء الذين صاروا إيلانتريين، وعندما أخبرتهم أنني سيونك ظهر عليهم عدم الارتياح وتوقفوا عن الحديث معي. اضطررت لأن أغامر بدخول المدينة دون أي معلومات، وكنت أبحث عنكِ منذ ذلك الحين".

ابتسمت سارين وهي تتخيل السيون المهيب . الذي يعد في جوهره مخلوقًا وثنيًّا . يتجادل مع رأس الديانة الكوراثية. قالت: "أنت لم تأتِ متأخرًا على رؤيتي وهم يلقون بي إلى داخل المدينة يا آش، بل جئت مبكرًا للغاية. من الواضح أنهم لا يلقون بالناس إلا في وقت معين من اليوم، وقد كان الزواج في وقت متأخر للغاية، فقضيت الليلة في الكنيسة، ثم نقلوني إلى إيلانتريس بعد ظهر اليوم".

قال السيون: "فهمت".

"في المستقبل يمكنك على الأرجح أن تجدني هنا، في هذا القطاع النظيف من المدينة".

قال آش: "هذا مكان مثير للاهتمام، لم آتِ إلى هنا من قبل، لقد كان مخفيًّا جيدًا عن أعين الناظرين من الخارج. لِمَ تختلف هذه المنطقة عن المناطق الأخرى؟".

قالت: "سترى بنفسك، فلتعد غدًا".

سألها آش باستنكار: "أعود يا سيدتي؟ أنا لا أنوي تركك".

قالت سارين: "لوقت قصير يا صديقي، أنا بحاجة إلى أخبار من كاي، كما أنه عليك إخبار الآخرين بأنني بخير".

"أمرك يا سيدتي".

فكرت سارين للحظة؛ لقد بذل سبيريت جهدًا كبيرًا ليحرص على ألا يعرف أي شخص بالخارج بشأن إيلانتريس الجديدة، لا يمكنها أن تخونه بكشف السر دون الرجوع إليه، حتى لو كانت تثق في الأشخاص الذين سيخبرهم آش. قالت: "أخبرهم أنك عثرت عليَّ، ولكن لا تقل لهم أي شيء عما رأيته هنا".

قال آش بصوت مرتبك: "أمرك يا سيدتي، ولكن مهلًا يا سيدتي، أبوك يُريد الحديث معك". بدأ السيون ينبض ثم ذاب الضوء وتقاطر قبل أن يتشكل في هيئة رأس إيڤينتيو الكبير البيضاوي.

سألها إيڤينتيو في قلق شديد: "إين؟".

"أنا هنا يا أبي".

قال: "حمدًا لدومي، هل أنتِ بخير يا سارين".

قالت لتطمئنه وقد عادت إليها قوتها: "أنا بخير يا أبي". أدركت فجأة أن باستطاعتها أن تفعل أي شيء وأن تذهب إلى أي مكان ما دام بمقدورها أن تتواصل مع إيڤينتيو.

"اللعنة على سينالان! لم يحاول حتى أن يخلصكِ منهم. لو لم أكن شديد التدين لقطعت رأسه دون تردد".

قالت سارين: "يجب أن نكون منصفين يا أبي، لو كان من الممكن إلقاء ابنة فلاح في إيلانتريس فلا يجب أن تكون ابنة ملك استثناءً".

"لو كان ما تخبرني به التقارير صحيحًا فلا يجب إلقاء أي شخص في هذه الهاوية".

قالت سارين: "الأمر ليس سيئًا بالقدر الذي تظنه يا أبي، لا يُمكنني أن أشرح لك، ولكن الوضع مبشر بالخير أكثر مما كنا نعتقد".

"مبشر بالخير أو لا فسأخرجك من ذلك المكان".

قالت سارين: "لا يا أبي! إن حركت جنودك إلى أريلون فلن تترك تيود دون دفاع فحسب، بل ستحول حليفنا الوحيد إلى عدو أيضًا".

قال إيڤينتيو: "لن يظل حليفًا إلى وقت طويل، إن كانت توقعات جاسوسي دقيقة. سينتظر الدوق تيلري بضعة أيام لتعزيز قوته، ولكن الجميع يعرفون أنه سيستولي على العرش قريبًا، كما أن علاقته وطيدة بذلك الجيورن هراثن. لقد حاولتِ يا إين ولكن أريلون قد ضاعت. سآتي لآخذك، لا أحتاج حقًّا لعدد كبير من الرجال، وبعدها سأعود وسأستعد للغزو. بغض النظر عن عدد الرجال الذين سيحشدهم الويرن فلن يقدر أبدًا على جعلهم يتخطون أسطولنا، تمتلك تيود أفضل السفن".

"ربما يمكنك أن تتخلى عن أريلون يا أبي، ولكني لا أستطيع هذا".

قال إيڤينتيو محذرًا: "لا تبدئي هذا الحديث يا سارين، أنتِ لستِ أريلية أكثر مما أنا...".

قالت سارين بحزم: "أنا أعني ما قلته يا أبي، لن أترك أريلون أبدًا".

"آيدوس دومي، هذا جنون يا سارين! أنا أبوكِ وملككِ، سأُعيدكِ سواء أردتِ هذا أم لا".

تمالكت سارين نفسها، إن العناد لن يجدي نفعًا مع إيڤينتيو. قالت بنبرة مليئة بالحب والاحترام: "لقد علمتني أن أكون جريئة يا أبي، لقد جعلتني أكثر قوة مما تكون عليه الفتيات عادة. في بعض الأحيان ألعنك، ولكني في معظم الأوقات أُباركك لأنك شجعتني، لقد منحتني الحرية لكي أكون نفسي، هل ستحرمني من هذا الآن بأن تسلبني حق الاختيار؟".

لاذ رأس أبيها الأشيب بالصمت للحظة في الغرفة المظلمة.

قالت سارين بهدوء: "لن تكتمل دروسك حتى تسمح لي بهذا يا أبي. إن كنت تؤمن حقًّا بالمُثُل التي علمتني إياها فيجب أن تسمح لي باتخاذ هذا القرار".

أخيرًا قال: "هل تحبينهم إلى هذا الحد يا إين؟".

"لقد صاروا شعبي يا أبي".

"كان هذا منذ أقل من شهرين".

"الحب ليس متعلقًا بالوقت يا أبي، يجب عليَّ البقاء في أريلون، إن كانت ستسقط فيجب أن أسقط معها، ولكني لا أعتقد أنها ستسقط، يجب أن تكون هناك طريقة لإيقاف تيلري".

قال أبوها: "ولكنك عالقة في تلك المدينة يا سارين، ما الذي يمكنك فعله من هناك؟".

"سيكون آش رسولي، لم يعد بإمكاني أن أقودهم، ولكن ربما يمكنني مساعدتهم. وحتى لو لم أستطع مساعدتهم فيجب عليَّ البقاء هنا".

أخيرًا تنهد أبوها بعمق وقال: "فهمت. إن حياتك ملكك يا سارين، لطالما آمنتُ بهذا، حتى لو نسيته من آن لآخر".

"أنت تحبني يا أبي، ونحن نحمي من نحب".

قال إيڤينتيو: "وسأحميكِ دومًا، لا تنسِ هذا يا ابنتي".

ابتسمت سارين وقالت: "لن أنساه أبدًا".

"آش". قالها إيڤنتيو آمرًا ليستدعي وعي السيون إلى المحادثة.

قال آش وصوته العميق به نبرة احترام وتوقير: "أجل يا سيدي الملك".

"ستراقبها وتحميها، وسيكون عليك الاتصال بي إن تعرضت لأذى".

أجابه آش: "كما فعلت دومًا، وكما سأفعل دومًا، يا سيدي الملك".

"سأضع الأسطول في نمط دفاعي على أي حال يا سارين، فلتدعي أصدقاءك يعرفون أننا سنُغرق دون تردد أي سفن تقترب من المياه التيودية. لقد انقلب العالم بأسره ضدنا، ولا يمكنني المخاطرة بسلامة شعبي".

وعدته سارين قائلة: "سأحذرهم يا أبي".

"طابت ليلتك إذن يا إين، فليباركك دومي".

# الفصل الثاني والأربعون

لقد أمسك هراثن بزمام الأمور من جديد، كبطل من الملاحم السفوردية القديمة، هبط إلى العالم السفلي بجسده وعقله وروحه، ثم عاد رجلًا أقوى من ذي قبل. لقد كسر قبضة ديلاف، يمكن لهراثن الآن أن يرى السلاسل التي استخدمها ديلاف لتقييده، والتي شكَّلها من إحساس هراثن بالحسد وانعدام ثقته بنفسه. كان قد أحس بالتهديد من حماس ديلاف، لأنه جعله يشعر بأن إيمانه أدنى، ولكن الآن صارت عزيمته راسخة، كما كانت عندما وصل أريلون بادئ الأمر. سيكون مُخلِّص هذا الشعب.

اضطر ديلاف آسفًا للتراجع، ووعد الأرتيث على مضض بألا يعقد اجتماعات أو خطبًا دون إذن صريح من هراثن. وفي مقابل تسميته رسميًّا كبير الأراتثة في الكنيسة وافق ديلاف على أن يحرر كل أوديفاته من قسمهم، وبدلًا من هذا جعلهم يقسمون له بقسم الكروندت الأقل إلزامًا. ولكن التغيير الأكبر لم يكن في أفعال الأرتيث، بل في ثقة هراثن. ما دام هراثن يعرف أن إيمانه قوي مثل إيمان ديلاف فلن يكون الأرتيث قادرًا على التلاعب به.

ولكن ديلاف لن يتوانى عن سعيه لتدمير إيلانتريس. قال الأرتيث في إلحاح وهما يمشيان ناحية الكنيسة: "إنهم مدنسون!". كانت خطبة هذه الليلة ناجحة للغاية، وقدَّر هراثن أن ثلاثة أرباع نبلاء أريلون المحليين مؤيدون للديانة الديريثية. سيتوج تيلري في غضون أسبوع، وما إن يستقر حكمه قليلًا فسيعلن تحوله إلى الشو-ديريث. لقد صارت أريلون في قبضة هراثن، وما زال أمامه قرابة ستة أسابيع على انتهاء مهلة الويرن.

قال هراثن مخاطبًا ديلاف وهما يمشيان معًا: "لقد أدى الإيلانتريون الغرض المرجو منهم أيها الأرتيث". كانت الليلة باردة، ولكن ليس بما يكفي لتجعل أنفاس المرء تتحول إلى بخار.

"لمَ تمنعني من التنديد بهم يا سيدي؟". كان صوت ديلاف مريرًا، فبعد أن منعه هراثن من الحديث بشأن إيلانتريس صارت خطب الأرتيث عديمة الجدوى تقريبًا.

قال هراثن وهو يواجه غضب ديلاف بالمنطق: "لم يعد هناك فائدة من التنديد بإيلانتريس، لا تنسَ أن كراهيتنا كان لها غرض، ولكن الآن وقد أثبت جادث أنه يبسط سلطته المطلقة على إيلانتريس فقد أظهرنا بشكل فعال أن إلهنا حقيقي بينما دومي إله مزيف. إن الناس يفهمون هذا في عقلهم اللاواعي".

"ولكن الإيلانتريين لا يزالون مدنسين".

"إنهم خبثاء وهراطقة، وهم بالتأكيد مدنسون. لكنهم في الوقت الحالي غير مهمين أيضًا. نحن بحاجة إلى التركيز على الديانة الديريثية نفسها، أن نظهر للناس كيف يمكنهم أن يربطوا أنفسهم بجادث بأن يقسموا بالولاء لك أو لأي من الأراتثة الآخرين. إنهم يشعرون بقوتنا، وواجبنا أن نظهر لهم كيف يشاركوننا هذه القوة".

سأله ديلاف: "وندع إيلانتريس تُفلت من العقاب؟".

قال هراثن: "لا، بالتأكيد لا. سيكون هناك وقت كافٍ للتعامل معها بعد أن تصير هذه الأمة وملكها في قبضة جادث".

ابتسم هراثن في قرارة نفسه وهو يتجاهل عبوس وجه ديلاف.

قال هراثن لنفسه: *إنه يُدرك أن الأمر قد انتهى، لقد تمكنتُ من إدخال الناس في الدين دون ثورة دموية.* ولكن كان على هراثن أن يذكر نفسه أن الأمر لم ينتهِ بعد، لقد صارت أريلون ملكه، ولكن هناك أمة واحدة متبقية.

لدى هراثن خطط من أجل تيود.

# الفصل الثالث والأربعون

كان الباب مُغلقًا بمزلاج من الداخل ولكن البوابة الخشبية كانت جزءًا من إيلانتريس الأصلية، فتعرضت لنفس العفن الذي أصاب بقية المدينة كالوباء. قال جالادون إن الفساد قد جعل المفصلات تسقط بلمسة واحدة. كان بيت الدرج المُظلم مخفيًا بالداخل، وقد تراكم على الدرج غبار عشر سنوات. كان هناك مجموعة واحدة من آثار الأقدام على الغبار، آثار لا يُمكن أن تصنعها إلا قدمان كبيرتان كقدمي جالادون.

سأله رايودن وهو يتجاوز حطام الباب المتداعي: "هل يصل الدرج إلى القمة؟".

قال جالادون: "كولو، وهي مغطاة بالحجر على طول الطريق، باستثناء بعض الشقوق المتناثرة التي يتسلل منها الضوء، خطوة خاطئة واحدة ستجعلك تسقط متدحرجًا على مجموعة من الدرجات الطويلة والمؤلمة كواحدة من حكايات هاماتي".

أومأ رايودن برأسه ثم بدأ في صعود الدرج، فلحق به الدولادي. لا شك أن بيت الدرج هذا كان مُضاءً بالسحر الإيلانتري قبل الريود، ولكن الآن لم يعد هناك شيء يخترق الظلمة إلا رماح رفيعة من الضوء تتسلل عبر الشقوق المتناثرة. كانت الدرجات تدور حول الجدار الخارجي للمبنى، وكانت المنحنيات الخفيضة مرئية بخفوت عندما يُحدق المرء إلى المنتصف. كان هناك درابزين في الماضي، ولكنه قد تداعى منذ زمن بعيد.

كانا مضطرين للتوقف كثيرًا من أجل الراحة، فجسداهما الإيلانتريان غير قادرين على تحمل المجهود الشاق. ولكنهما في نهاية المطاف وصلا إلى القمة، كان الباب الخشبي بالأعلى جديدًا،

على الأرجح قد استبدله الحرس بعد تعفن الباب الأصلي. لم يكن هناك مقبض، وهو لم يكن بابًا حقًّا، بل حاجزًا.

قال جالادون: "هذا أبعد مدى وصلت إليه يا سول. لقد صعدت كل هذه الدرجات اللعينة فقط لأكتشف أنني بحاجة إلى فأس لكي أمضي قُدُمًا".

قال رايودن: "لهذا السبب جلبنا هذا". ثم أشهر الفأس التي استخدمها تان في محاولة إسقاط المبنى على رايودن. بدأ الاثنان العمل وتناوبا على تقطيع الخشب.

حتى مع استخدام الأداة كان اختراق الباب مهمة شاقة، أحس رايودن بالتعب بعد بضع ضربات، وبالكاد بدت كل ضربة أنها تخدش الخشب. في النهاية تمكنا من خلع أحد الألواح الخشبية، ومع حماس الانتصار تمكنا أخيرًا من صنع فجوة كبيرة بما يكفي للمرور منها.

كان المشهد يستحق الجهد المبذول. لقد صعد رايودن أعلى أسوار إيلانتريس عشرات المرات، ولكنه لم يشعر من قبل أن مشهد كاي يبدو بهذا الجمال. كانت المدينة هادئة، فأحس أن مخاوفه من الغزو كانت سابقة لأوانها. ابتسم رايودن وهو يستمتع بإحساسه بالإنجاز، أحس كأنما قد صعد جبلًا وليس درجًا بسيطًا. لقد صارت أسوار إيلانتريس مرة أخرى ملك هؤلاء الذين بنوها.

قال رايودن وهو يستريح على الحاجز: "لقد نجحنا".

قال جالادون وهو يخطو ليقف إلى جواره: "لقد تطلب الأمر وقتًا طويلًا".

قال رايودن ببساطة: "بضع ساعات فحسب". إن لذة الانتصار قد أنسته معاناة العمل.

"لا أقصد اختراق الباب، هذا هو اليوم الثالث الذي أحاول فيه أن أجعلك تصعد إلى هنا".

"كنت مشغولًا".

تنهد جالادون وتمتم بشيء غير مسموع.

"ماذا قلت؟".

"قلت إن طائر فيرين ذا رأسين لن يغادر عشه أبدًا".

ابتسم رايودن، كان يعرف هذا المثل الجيندوي، فطيور الفيرين ثرثارة ويُمكن سماعها في كثير من الأحيان تصرخ في بضعها بعضًا عبر مستنقعات جيندو، يُستخدم هذا المثل في الإشارة إلى شخص قد وجد هواية جديدة، أو قصة حب جديدة.

قال رايودن وهو ينظر إلى جالادون: "بحقك، أنا لست بهذا السوء".

"إن المرة الوحيدة التي رأيتكما فيها أنتما الاثنين تفترقان هي عندما كان واحدًا منكما مضطرًّا للذهاب إلى الحمام يا سول. كانت لتأتي معك لو لم أختطفك في غفلة من الأعين".

قال رايودن بشكل دفاعي: "حسنًا، إنها زوجتي".

"وهل تنوي إخبارها بهذه الحقيقة؟".

قال رايودن ببساطة: "ربما، لا أُريدها أن تشعر بأي إلزام".

"بالطبع لا تريد هذا".

قال رايودن دون أن يزعجه تعليق الدولادي: "جالادون يا صديقي، إن شعبك سيشعر بالخزي لمعرفة مدى افتقارك إلى الرومانسية". إن دولادل مشهورة بأنها مرتع للحكايات الرومانسية الميلودرامية والحب المحرم".

زفر جالادون لسماع هذا التعليق معبرًا عن رأيه في الميول الرومانسية لدى المواطن الدولادي العادي، ثم التفت ليتفحص مدينة كاي قبل أن يقول: "ها نحن ذا بالأعلى يا سول، ماذا نفعل الآن؟".

قال رايودن: "لا أعرف، أنت من أجبرني على المجيء إلى هنا".

"ولكن البحث عن بيت الدرج كان فكرتك في المقام الأول".

أومأ رايودن برأسه وهو يتذكر محادثتهما القصيرة قبل يومين. تساءل: *هل مر حقًا كل هذا الوقت؟* بالكاد لاحظ مرور الوقت، ربما لأنه كان يقضي معظم وقته مع سارين. ولكنه مع ذلك لم يشعر بأدنى إحساس بالذنب.

قال جالادون مشيرًا نحو المدينة وهو يضيق عينيه: "هناك".

قال رايودن وهو ينظر إلى حيث يشير الدولادي: "ماذا؟".

قال جالادون: "أرى علمًا، إنهم حرسنا المفقودون".

بالكاد ميز رايودن شيئًا أحمر في الأفق؛ راية. سأله: "هل أنت واثق؟".

قال جالادون: "تمام الثقة".

ضيق رايودن عينيه ثم تعرف على المبنى الذي ترفرف الراية من فوقه فقال: "إنه قصر الدوق تيلري، ما علاقة حرس مدينة إيلانتريس به؟".

قال جالادون: "ربما هو رهن الاعتقال".

قال رايودن: "لا، الحرس ليسوا قوة تنفيذ قانون".

سأله جالادون: "لماذا إذن تركوا الأسوار؟".

هز رايودن رأسه وقال: "لست واثقًا، ولكن هناك خطب ما".

***

عاد رايودن وجالادون عبر الدرج غارقين في أفكارهما.

كان هناك طريقة واحدة لمعرفة ما يحدث مع الحرس، فسارين هي الإيلانترية الوحيدة التي أُلقيت إلى إيلانتريس بعد اختفاء الحرس، لذا هي الوحيدة القادرة على تفسير الوضع السياسي الحالي في المدينة.

ولكن سارين كانت لا تزال تُمانع الحديث عن الخارج، إن هناك شيئًا ما قد حدث في الأيام القليلة التي سبقت نفيها يؤلمها للغاية، وقد أحس رايودن بحزنها لذا تجنب الإلحاح عليها في الأمر، ولم يرغب في أن يغامر بجعلها تنفر منه. الحقيقة هي أنه حقًّا يستمتع بوقته مع سارين، إن فطنتها تجعله يبتسم، وذكاؤها يفتنه، وشخصيتها تمنحه الشجاعة. بعد عشر سنوات من التعامل مع النسوة اللائي لا يفكرن إلا في مدى حسن مظهرهن في فساتينهن، وهي حالة السذاجة المفروضة عليهن التي رسَّختها زوجة أبيه ضعيفة الشخصية. كان رايودن مستعدًّا للتعامل مع امرأة لا ترتعد عند أول بادرة مواجهة، امرأة تُشبه ما يتذكره عن أمه قبل أن تموت.

ولكن هذه الشخصية التي لا تلين كانت هي ذاتها ما يمنعه من معرفة ما يحدث بالخارج، لا يُمكن لأي قدر من الإقناع الخفي . أو حتى التلاعب المباشر . أن ينتزع من فم سارين حقيقة واحدة رُغم إرادتها. ولكنه لم يعد قادرًا على أن يكون حساسًا أكثر من هذا، فتصرفات الحرس الغريبة مقلقة، أي تغير في السلطة قد يشكل خطرًا كبيرًا على إيلانتريس.

عندما وصلا إلى آخر الدرج سارا ناحية وسط المدينة، كانت المسافة طويلة نسبيًّا، ولكن رايودن قطعها بسرعة وهو يفكر فيما قد رأياه. رغم سقوط إيلانتريس أمضت أريلون السنوات العشرة الماضية في سلام نسبي، على الأقل على المستوى الدولي. لم تواجه أريلون في ضعفها

خطرًا خارجيًّا كبيرًا مع وجود حليف في الجنوب، وأسطول تيود الذي يجوب المحيط الشمالي، والجبال إلى الشرق. أما على المستوى المحلي فقد أحكم آيادون قبضة قوية على القوة العسكرية، مما دفع بالنبلاء ناحية الخلاف السياسي بدلًا من المواجهة العسكرية.

كان رايودن يعرف أن السلام لا يمكن أن يدوم طويلًا، حتى لو رفض والده أن يرى هذه الحقيقة، إن قرار رايودن بالزواج من سارين كان مدفوعًا إلى حد كبير بفرصة إبرام معاهدة رسمية مع تيود، مما يمنح أريلون على الأقل قدرة على الاستعانة ولو جزئيًّا بأسطول تيود. لم يكن الأريليون معتادين على القتال، فقد ترعرعوا مسالمين بفضل قرون من الحماية الإيلانترية، سيكون الويرن الحالي أحمق إن لم يهجم قريبًا، كل ما يحتاج إليه هو ثغرة.

سيوفر الصراع الداخلي هذه الثغرة، إن كان الحرس قد قرروا خيانة الملك فإن الحرب الأهلية ستدفع بأريلون إلى حالة من الفوضى مرة أخرى، كما يشتهر الفيورديون باستغلالهم لمثل هذه الأحداث. يجب على رايودن أن يعرف ما يحدث وراء تلك الأسوار.

في النهاية وصل هو وجالادون إلى وجهتهما، ليس إيلانتريس الجديدة، بل المبنى الخفيض المتواضع الذي يمثل الممر المؤدي إلى المكان المقدس. لم يقل جالادون كلمة عندما عرف أن رايودن اصطحب سارين إلى المكتبة، فقد بدا أن الدولادي يتوقع حدوث هذا.

بعد بضع لحظات كان رايودن وجالادون يدلفان إلى المكتبة الموجودة تحت الأرض. لم يكن هناك سوى بضعة مصابيح مشتعلة على الجدران. في محاولة لتوفير الوقود. ولكن رايودن تمكن بسهولة من تحديد هيئة سارين الجالسة في إحدى الزوايا الخلفية منكبة على مجلد تمامًا حيث تركها.

مع اقترابهما صار وجهها أكثر وضوحًا، ولم يستطع رايودن أن يمنع نفسه من ملاحظة جمالها مرة أخرى. كانت البقع السوداء التي تميز البشرة الإيلانترية معتادة بالنسبة له، فلم يعد

يلاحظها حقًّا. أما جسد سارين فقد بدا أنه يتكيف جيدًا مع الشايود، عادة ما تظهر علامات أكثر على التدهور مع مرور بضعة أيام فقط؛ تجاعيد وغضون تظهر على الجلد، وما تبقى من البشرة باللون الطبيعي يتخذ لونًا أبيض شاحبًا. ولكن لم يظهر على سارين أيًّا من هذه العلامات، كانت بشرتها ناعمة ونضرة مثل اليوم الذي جاءت فيه إلى إيلانتريس.

تزعم أن الآلام الناجمة عن إصاباتها لا تستمر كما يُفترض، ولكن رايودن كان واثقًا أن هذا فقط لأنها لم تكن مضطرة للعيش خارج إيلانتريس الجديدة. العديد من الوافدين الجدد الذين جاؤوا مؤخرًا لم يجربوا أسوأ آلام إيلانتريس، فالعمل والجو الإيجابي يجعلانهم لا يركزون على إصاباتهم. إنها لم تجرب الجوع أيضًا، وهذا لحسن حظها لأنها جاءت في وقت يُتاح فيه للجميع فرصة تناول الطعام، على الأقل مرة كل يوم. لن تدوم مؤنهم أكثر من شهر، ولكن لم يكن هناك داعٍ للتخزين، فالتضور جوعًا ليس مميتًا بالنسبة للإيلانتريين، إنه فقط غير مريح.

أجمل ما فيها كان عينيها، الطريقة التي تتفحص بها كل شيء باهتمام شديد، لا تنظر سارين فحسب، بل تمعن النظر، عندما تتحدث يكون هناك فكرة وراء كلماتها. هذا الذكاء هو الشيء الذي رأى رايودن أنه الأكثر جاذبية في الأميرة التيودية.

نظرت إليهما وهما يقتربان وعلى وجهها ابتسامة متحمسة، قالت: "سبيريت! لن تخمن ما الذي عثرت عليه".

قال رايودن معترفًا: "أنتِ محقة". لم يكن متيقنًا من الطريقة التي يجب أن يطرح بها موضوع معرفة المعلومات عن الخارج.

رفعت سارين الكتاب لتريه الكعب المكتوب عليه موسوعة سيور للسياسة والخرافات. رغم أن رايودن قد جلب سارين إلى المكتبة في محاولة لإشباع فضولها تجاه الآيوندور إلا أنها أجلت البحث في هذا الموضوع بمجرد أن وجدت رفًّا كاملًا من الكتب المتعلقة بالنظريات السياسية.

ربما كان جزءًا من سبب تغير اهتمامها كان انزعاجها من الآيون دور، إنها لا تستطيع أن ترسم الآيونات في الهواء، لا يمكنها حتى أن تجعل الخطوط تظهر إثر أصابعها. كان رايودن متحيرًا في البداية، ولكن جالادون أوضح أن مثل هذا الشيء لم يكن نادر الحدوث، فحتى قبل الريود كان بعض الإيلانتريين يستغرقون سنوات لتعلم الآيوندور. إن بدأ المرء الخط الأول بانحراف طفيف فلن يظهر أي شيء، إن نجاح رايودن الفوري كان شيئًا خارقًا للعادة.

ولكن سارين لم ترَ الأمر بهذه الطريقة، كانت من النوع الذي ينزعج عندما يستغرق وقتًا للتعلم أكثر من أي شخص آخر. زعمت أنها ترسم الآيونات على أكمل وجه، وفي الحقيقة لم يستطع رايودن أن يرى أي عيوب في رسمها. رفضت الحروف أن تظهر فحسب، ولم يتمكن أي قدر من سخط الأميرة أن يُقنعها بأن تكون مطيعة.

لذا وجهَّت سارين اهتمامها إلى الأعمال السياسية، رغم أن رايودن قد خمَّن أن المطاف سينتهي بها هناك على أي حال. إنها مهتمة بالآيوندور ولكنها مفتونة بالسياسة، وكلما جاء رايودن إلى المكتبة للقراءة أو التدرب على الآيونات تختار سارين كتابًا لمؤرخ قديم أو عبقري دبلوماسي وتبدأ في قراءته في الزاوية.

"... إنه مذهل، لم أقرأ أي شيء يفضح خطابة فيوردن وتلاعبها بمثل هذا العُمق".

هز رايودن رأسه، مُدركًا أنه كان مكتفيًا بالتحديق إليها، مستمتعًا بملامحها بدلًا من أن يولي الاهتمام إلى كلماتها. كانت تقول شيئًا عن الكتاب، كيف يكشف أكاذيب فيوردن السياسية.

عندما صمتت لتلتقط أنفاسها قال لها: "كل حكومة تكذب من آن لآخر يا سارين".

قالت وهي تقلب صفحات الكتاب: "هذا صحيح، ولكن ليس بهذا القدر الهائل. على مدار الثلاثمئة عام الماضية، منذ أن تبنت فيوردن الديانة الديريثية، كان الويرنات يغيرون بوضوح

تاريخ بلدهم وأدبه، ليجعلوا الأمر يبدو وكأنها دومًا كانت تجسيدًا للمشيئة الإلهية. انظر إلى هذا". رفعت الكتاب مرة أخرى، وهذه المرة لتُريه صفحة من الأبيات الشعرية.

"ما هذا؟". 

"الملك ويرن، القصيدة الكاملة المكونة من ثلاثة آلاف بيت".

قال رايودن: "لقد قرأتها". يُقال إن ويرن هي أقدم قطعة أدبية مسجلة، أقدم حتى من الدو-كاندو؛ الكتاب المقدس الذي نبعت عنه الشو-كيسج، ومن ثم الشو-ديريث والشو-كوراث.

قالت سارين وهي تهز رأسها: "ربما قرأتَ نسخة من الملك ويرن، ولكن ليس هذه النسخة، إن النسخ الحديثة من القصيدة تُشير إلى جادث بطريقة ديريثية تقريبًا. النسخة الموجودة في هذا الكتاب تُظهر أن الكهنة أعادوا كتابة النسخة الأصلية من الأدب ليجعلوا الأمر يبدو وكأن ويرن كان ديريثيًّا، رغم أنه عاش قبل تأسيس الشو-ديريث بوقت طويل. حينها كان جادث ـ أو على الأقل الإله الذي يحمل نفس الاسم الذي تبنته الشو-ديريث ـ إلهًا غير ذي أهمية كبيرة يعتني بالصخور تحت الأرض.

الآن بعد أن صارت فيوردن متدينة لا يُمكنهم جعل أعظم ملوكهم التاريخيين يبدو وثنيًّا، لذا أعاد الكهنة كتابة كل القصائد. لا أعرف كيف حصل هذا الرجل المدعو سيور على النسخة الأصلية من ويرن، ولكن إن خرجت هذه النسخة إلى النور فستكون مصدر إحراج كبيرًا بالنسبة لفيوردن". كانت عيناها تلمعان بمكر.

تنهد رايودن ثم اقترب من مكتب سارين وانحنى لينظر إلى عينيها. في أي وقت آخر لم يكن ليحب شيئًا أكثر من الجلوس والاستماع إلى حديثها، ولكن للأسف كان هناك أشياء أكثر إلحاحًا في ذهنه.

نظرت إليه وهي تضيق عينيها ثم وضعت الكتاب جانبًا وقالت: "حسنًا، ما الأمر؟ هل أنا مملة إلى هذا الحد؟".

قال رايودن: "لا، على الإطلاق، ولكنه التوقيت الخاطئ فحسب. الأمر وما فيه... لقد صعدت أنا وجالادون أعلى سور المدينة".

اكتسى وجهها بالحيرة وهي تسأله: "وماذا حدث؟".

قال رايودن: "وجدنا حرس مدينة إيلانتريس يحيطون بقصر الدوق تيلري، كنا نأمل أن تكوني قادرة على إخبارنا بالسبب. أعرف أنك تمانعين الحديث عن الخارج، ولكني أشعر بالقلق، وأحتاج لمعرفة ما يحدث".

جلست سارين وهي تتكئ بذراعها إلى سطح المكتب وقد رفعت يدها وهي تنقر بسبابتها على وجنتها كما تفعل عادة عندما تفكر. وأخيرًا تنهدت وقالت: "حسنًا، أعتقد أنني لم أكن منصفة، لم أرغب في أن أقلقكم بما يحدث في الخارج".

قال رايودن: "بعض الإيلانتريين الآخرين قد لا يكونون مهتمين يا سارين، وهذا لأنهم يعرفون أننا لا نستطيع تغيير ما يحدث في كاي، ولكن أنا أُفضِّل أن أعرف ما الذي يحدث في الخارج".

أومأت سارين برأسها وقالت: "لا بأس، يُمكنني الحديث عن الأمر الآن. أعتقد أن الجزء الأهم يبدأ عندما أطحت بالملك آيادون من على عرشه، وهو بالطبع سبب شنقه لنفسه".

هوى رايودن بجسده جالسًا على الكرسي وعيناه متسعتان.

# الفصل الرابع والأربعون

بينما سارين تتحدث كانت تشعر بالقلق بشأن ما قاله سبيريت، فمن دونها لم يكن للآخرين أي حق شرعي في المطالبة بالعرش، حتى رويال صار في حيرة من أمره، فلا يمكنهم أن يفعلوا شيئًا سوى مراقبة تيلري وهو يُحكم سيطرته على النبلاء. كانت تتوقع أن تتلقى أنباء تتويج تيلري بحلول نهاية اليوم.

احتاجت إلى بضع لحظات لكي تُدرك كم أذهلت كلماتها سبيريت، لقد سقط جالسًا على أحد الكراسي بالحجرة وعيناه متسعتان. وبَّخت نفسها على قلة لباقتها، فعلى أي حال هذا الذي تتحدث عنه هو ملك سبيريت. لقد حدث الكثير في البلاط في الأسابيع القليلة الماضية، حتى إنها فقدت حساسيتها.

قالت سارين: "أعتذر، ما قلته كان فظًّا، أليس كذلك؟".

سألها سبيريت بصوت خافت: "آيادون مات؟".

أومأت سارين برأسها وقالت: "اتضح أنه متورط مع الباطنية الجسكرية، وعندما خرج هذا للعلن شنق نفسه بدلًا من أن يواجه عاره". لم تتحدث عن دورها في الأمر بالتفصيل، فلم يكن هناك حاجة لمزيد من التعقيد.

كرر سبيريت: "الجسكرية؟". ثم تجهم وجهه وجز على أسنانه وهو يقول: "لطالما ظننت أنه أحمق، ولكن... إلى أي مدى كان... متورطًا؟".

قالت سارين وهي تشعر بالغثيان: "كان يُضحي بالطاهيات والخادمات". كان هناك سبب لتفاديها تفسير مثل هذه الأمور.

لاحظ سبيريت شحوبها فقال: "أنا آسف".

قالت سارين: "لا بأس". ولكنها كانت تعرف أنه بغض النظر عن كل ما سيحدث لاحقًا وعن المسار الذي ستسلكه حياتها فإن صورة آيادون وهو يُضحي بالفتاة في الظلال لن تبارح مخيلتها.

سألها سبيريت: "تيلري هو الملك إذن؟".

قالت سارين: "سيصير الملك قريبًا، وربما يكون قد توجوه بالفعل".

هز سبيريت رأسه وقال: "ماذا عن الدوق رويال، إنه أكثر منه ثراءً ويحظى باحترام أكثر. من المفترض أن يكون هو الأحق بالعرش".

قالت سارين: "لم يعد الأكثر ثراءً، فقد دعمت فيوردن ثروة تيلري، إنه من الموالين للديانة الديريثية، وهو ما أخشى أن يكون قد زاد من مكانته الاجتماعية".

قطَّب سبيريت جبينه وهو يقول: "هل كون المرء مواليًا للديانة الديريثية يجعله يحظى بالشعبية؟ لقد فاتني الكثير، أليس كذلك؟".

"منذ متى وأنت هنا؟".

أجابها سبيريت ببساطة: "منذ عام". كان هذا يُطابق ما قاله لها بعض الإيلانتريين الآخرين. لا أحد يعرف على وجه اليقين كم مضى على سبيريت في المدينة، ولكنهم جميعًا يخمنون أنه عام على الأقل. لقد انتزع السلطة من العصابات المنافسة في الأسابيع الأخيرة الماضية، ولكن لم يكن هذا شيئًا يمكن للمرء أن ينجزه بدون قدر كبير من التخطيط والعمل.

تمتم سبيريت: "أخمن أن هذا يُجيب عن كيفية اكتساب تيلري لدعم الحرس، لطالما كانوا متلهفين لدعم الشخص الأكثر شعبية في أي وقت من الأوقات".

أومأت سارين برأسها وقالت: "لقد انتقلوا إلى قصر الدوق قبل وقت قصير من إلقائي هنا".

قال سبيريت: "حسنًا، سيكون عليك أن تخبريني بكل شيء من البداية، أحتاج إلى أكبر قدر من المعلومات يُمكنك أن تمنحيني إياه".

وهكذا شرحت له كل شيء، بدأت بسقوط الجمهورية الدولادية وتزايد خطر فيوردن، أخبرته عن خطبتها للأمير رايودن، وعن تغلغل الديانة الديريثية في أريلون. وبينما تتحدث أدركت أن سبيريت يفهم المناخ السياسي لأريلون باستيعاب أكثر مما كانت تظنه ممكنًا، فسرعان ما فهم الآثار المترتبة على وصية آيادون، كما أنه يعرف الكثير بشأن فيوردن، رغم أنه لم يكن لديه معرفة عملية بمدى خطورة كهنتها. كان قلقًا أكثر حيال الجنود الذين يأتمرون بأمر الويرن.

الأكثر إثارة للإعجاب هو فهمه لسادة أريلون ونبلائها المتعددين. لم تكن سارين بحاجة لأن تصف له شخصياتهم وطباعهم، فسبيريت يعرفهم بالفعل، في الواقع بدا أنه يفهمهم أكثر من سارين نفسها. عندما سألته عن هذا الأمر أخبرها ببساطة أنه في أريلون من المهم معرفة كل نبيل يحمل لقب بارون أو ما أسمى منه. في كثير من الأحيان لا يكون أمام النبلاء الأقل شأنًا وسيلة للتقدم سوى إبرام صفقات وتوقيع عقود مع الأرستقراطيين الأكثر نفوذًا، لأنهم يتحكمون في الأسواق.

شيء واحد قد صدمه بعد صدمته بموت الملك.

قال في عدم تصديق: "كنتِ ستتزوجين رويال؟".

ابتسمت سارين وقالت: "أنا أيضًا لا يُمكنني تصديق الأمر، لقد وضعنا الخطة في عجالة".

قال سبيريت: "رويال؟ الوغد العجوز! لا شك أنه استمتع تمامًا باقتراح هذه الفكرة".

قالت سارين: "رأيت أن الدوق رجل نبيل لا تشوبه شائبة".

نظر إليها سبيريت نظرة تقول "كنت أظنك تجيدين الحُكم على الأشخاص".

أكملت سارين قائلة: "على أي حال، لم يقترح هو الأمر، بل اقترحه شودن".

قال سبيريت: "شودن؟". وبعد لحظة من التفكير أومأ برأسه وقال: "أجل يبدو هذا كشيء يُمكن أن يفكر فيه، رغم أنني لا أستطيع أن أتخيله يذكر كلمة زواج، إن مفهوم الزواج نفسه يخيفه".

قالت سارين: "ليس بعد الآن، إنه يزداد قربًا من ابنة آهان".

سألها سبيريت بذهول أكبر: "شودن وتورينا؟". ثم تأمل سارين بعينين متسعتين وقال: "مهلًا، كيف كنتِ ستتزوجين رويال؟ ظننت أنك متزوجة بالفعل".

زفرت سارين وقالت: "من رجل ميت".

"ولكن عقد الزواج يقول إنك لا يُمكن أن تتزوجي مرة أخرى".

سألته سارين وهي تضيق عينيها: "كيف عرفت بهذا؟".

"لقد شرحتِ الأمر منذ دقائق فحسب".

"لم أفعل".

"بل فعلتِ بالتأكيد. ألم تفعل يا جالادون؟".

الدولادي الضخم الذي كان يقلب في صفحات كتاب سارين السياسي لم ينظر إليه حتى وهو يقول: "لا تنظر إليَّ يا سول، لن أتورط في الأمر".

قال سبيريت وهو يُبعد عينيه عن صديقه: "على أي حال، كيف كنتِ ستتزوجين رويال؟".

سألته سارين: "ولِمَ لا، أنا لم أعرف رايودن هذا قط، يقول الجميع إنه كان أميرًا رائعًا، ولكن ما الذي أُدين به إليه؟ لقد فُسخ عقدي مع أريلون بوفاة آيادون. السبب الوحيد الذي جعلني أُبرم المعاهدة في المقام الأول هو إقامة رابط ما بين أريلون ووطني. لِمَ أحترم عقدًا مع رجل ميت بينما يُمكنني أن أُبرم عقدًا أفضل مع ملك أريلون القادم؟".

"إذن فقد وافقتِ على الزواج من الأمير من أجل السياسة فحسب؟". بدت نبرته حزينة لسبب ما، كأن علاقتها مع ولي عهد أريلون تنعكس مباشرة على طبقتها الأرستقراطية.

قالت سارين: "بالطبع، أنا أتنفس السياسة يا سبيريت، لقد فعلت ما هو في مصلحة تيود، وللسبب ذاته كنت سأتزوج رويال".

أومأ برأسه وهو لا يزال يبدو حزينًا.

تجاهلت سارين غيظ سبيريت، فبأي حق يشكك في دوافعها؟ وأكملت حديثها قائلة: "وهكذا كنت في قاعة العرش أستعد للزواج من الدوق عندما أصابني الشايود".

سألها سبيريت: "أصابك حينها؟ حدث هذا في حفل زفافك؟".

أومأت سارين برأسها وقد أحست فجأة بعدم الأمان، يبدو أنها في كل مرة تكون فيها على وشك أن تجد القبول يحدث شيء كارثي يجعلها منعزلة مرة أخرى.

قال جالادون ساخرًا: "حسنًا، الآن نعرف لماذا لم ترغب في الحديث عن الأمر، كولو؟".

وضع سبيريت يده على كتفها وقال: "أنا آسف".

هزَّت سارين رأسها وقالت: "لقد انتهى الأمر، علينا فقط أن نقلق بشأن تتويج تيلري، فمع دعم فيوردن له...".

"يُمكننا أن نقلق بشأن تيلري، ولكني لا أعتقد أن هناك شيئًا يمكننا فعله. أتمنى فقط لو أن هناك طريقة للاتصال بالخارجِ".

فجأة أحست سارين بالخجل بينما عيناها تنظران إلى حيث يختبئ آش في ظلال الحجرة وآيونه يكاد أن يكون خفيًّا. اعترفت قائلة: "قد يكون هناك طريقة".

نظر سبيريت لأعلى بينما سارين تشير إلى آش، الذي يتوهج وضوء الآيون يتمدد إلى كرة مشعة تحيط به. بينما السيون يحلق للأسفل ليطفو فوق مكتبها نظرت سارين إلى سبيريت في حرج.

سألها في إعجاب: "سيون؟".

سألته سارين: "ألست غاضبًا مني لإخفاء أمره؟".

ضحك سبيريت وقال: "لأكون صادقًا يا سارين كنت أتوقع أنك تحجبي بعض الأشياء عني. أنتِ تبدين من النوع الذي يحتاج إلى أسرار، حتى لو كان غرضك الوحيد هو أن يكون لديك أسرار تحتفظين بها".

احمر وجه سارين خجلًا مع هذا التعليق الفطن ثم قالت: "اذهب يا آش واسأل كين والآخرين، أُريد أن أعرف في اللحظة التي يُعلن فيها تليري نفسه ملكًا".

قال آش وهو يحلق مبتعدًا: "أمرك يا سيدتي".

لاذ سبيريت بالصمت، لم يعلق على افتقار آش لجنون الشايود، وهو الأمر الذي لا يمكن تفسيره، ولكن ربما لم يعرف سبيريت أن آش هو السيون الخاص بسارين.

انتظرا في صمت، ولم تقاطع سارين أفكار سبيريت. كانت قد منحته قدرًا هائلًا من المعلومات، وكان باستطاعتها أن ترى عقله يُمحصها من وراء عينيه.

إنه يخفي أشياء عنها أيضًا، هذا لا يعني أنها لا تثق به، فمهما كانت الأسرار فلديه على الأرجح سبب وجيه للاحتفاظ بها. لقد انخرطت في السياسة لفترة طويلة، حتى إنها لم تعد تشعر بالإهانة لأن شخصًا يحجب عنها أسرارًا.

هذا لا يعني بالطبع أنها لن تسعى لمعرفة ما يمكنها معرفته. حتى الآن لم يكن آش قادرًا على أن يكتشف شيئًا عن الابن الثاني لحاكم مزرعة آين، ولكنه كان مقيدًا للغاية في تحركاته، لم تسمح له بالكشف عن نفسه إلا لكين والآخرين، لم تكن تعرف سبب نجاته مما لم تنجُ منه السيونات الأخرى، ولكنها لم تكن تريد أن تخسر أي ميزة قد يمنحها لها وجوده.

من الواضح أن جالادون الدولادي قد أدرك أنهما لن يذهبا إلى أي مكان قريبًا، فاقترب من أحد الكراسي وجلس عليه، ثم أغمض عينيه وبدا أنه غرق في النوم. قد يكون متشائمًا بما لا يتفق مع طبيعة شعبه، ولكنه لا يزال دولاديًّا. قيل إن أفراد شعبه مسترخون للغاية حتى إنهم قادرون على أن يغرقوا في النوم في أي وقت وأي وضع.

تفحصت سارين الرجل الضخم، لم يبدُ أن جالادون معجب بها، ولكنها لم تستطع الجزم بهذا لأنه كان متذمرًا طيلة الوقت. أحيانًا ما يبدو وكأنه بئر من المعرفة، ولكن في مواضع أخرى يكون جاهلًا، وغير مكترث بهذه الحقيقة. يبدو أنه يتقبل كل شيء، ولكنه في الوقت ذاته يشتكي من كل شيء.

بحلول الوقت الذي عاد فيه آش كانت سارين قد أولت اهتمامها من جديد إلى كتاب الخبايا السياسية. كان على السيون أن يتنحنح لكي تُدرك وجوده. نظر سبيريت إلى أعلى ، ولكن الدولادي استمر في الغطيط حتى وكزه صديقه بمرفقه في معدته. ثم جلس ثلاثتهم وهم ينظرون إلى آش.

سألته سارين: "حسنًا؟".

قال آش: "لقد انتهى الأمر يا سيدتي، تيلري هو الملك".

# الفصل الخامس والأربعون

كان هراثن واقفًا في ضوء القمر أعلى سور إيلانتريس وهو يتفحص الفجوة بفضول. كان أحد الحواجز التي تؤدي إلى بيت الدرج مكسورًا ومشوهًا وقد انتُزِع منه أحد الألواح الخشبية. كانت الفجوة تُشبه إلى حد كبير تلك التي تصنعها القوارض، قوارض إيلانترية تسعى للهرب من جحرها. كان هذا أحد أقسام السور التي يُبقيها الحرس نظيفة. وبعض آثار الأقدام الموحلة القادمة من بيت الدرج منحت دليلًا واضحًا على أن هؤلاء الموجودين بالأسفل قد صعدوا للأعلى مرات عديدة.

مشى هراثن مبتعدًا عن بيت الدرج، ربما كان هو الوحيد الذي يعلم بشأن الفجوة، فلا يحرس إيلانتريس الآن إلا حارسان أو ثلاثة، ونادرًا ما يمرون في دوريات على ممشى السور. لم يخبر الحرس مؤقتًا بشأن الفجوة، لا يهم إن تسلل الإيلانتريون خارجين من مدينتهم، فهم لن يقدروا على الذهاب إلى أي مكان على أي حال، فمظهرهم مميز للغاية، علاوة على هذا لم يكن راغبًا في أن يزعج الناس بمخاوف بشأن إيلانتريس، يريد أن يبقى تركيزهم منصبًّا على ملكهم الجديد، والتحالف الذي سيُعلنه قريبًا.

مشى على السور، إيلانتريس إلى يمينه، وكاي إلى يساره. تراءى تركيز ضئيل من الضوء في عتمة الليل، القصر الملكي الذي صار بيت تيلري. كان النبلاء الأريليون المتلهفون لإظهار إخلاصهم لملكهم الجديد حاضرين كلهم تقريبًا في حفل تتويجه، وكل رجل يسعى جاهدًا لإثبات ولائه. من الواضح أن الدوق السابق المتعجرف يستمتع بهذا الاهتمام.

واصل هراثن مشيه في الليلة الهادئة، وقدماه تُصدران قعقعة على الأرضية الحجرية. لقد جرى حفل تتويج تيلري بالبهرجة المتوقعة. إن الدوق السابق الذي قد صار ملكًا كان رجلًا يسهل

فهمه، والرجال الذين يُمكن فهمهم يُمكن التلاعب بهم، دعه يستمتع بهذا الإلهاء الآن، في الغد سيأتي وقت سداد الديون.

لا شك أن تيلري سيُطالب هراثن بالمزيد من المال قبل أن يعتنق الشو-ديريث، سيعتقد تيلري أنه ذكي، وسيفترض أن التاج يمنحه وسيلة للضغط على فيوردن، سيتظاهر هراثن بالاستياء من المطالب المالية، بينما يُدرك ما لن يُدركه تيلري أبدًا؛ السلطة ليست في الثروة، بل في السيطرة، فالمال لا قيمة له أمام رجل يرفض أن يبيع نفسه. لن يفهم الملك أبدًا أن الويرنيات التي يطلبها لن تمنحه السلطة، ولكنها بدلًا من هذا ستضعه تحت سلطة شخص آخر، فبينما يتخم نفسه بالعملات تفلت أريلون من بين يديه.

هز هراثن رأسه وهو يشعر بشيء من الذنب، لقد استغل تيلري لأن الملك جعل من نفسه أداة رائعة، ولكن لن يكون هناك إيمان حقيقي في قلب تيلري، لن يكون هناك قبول حقيقي لجادث أو إمبراطوريته، ستكون وعود تيلري خاوية مثل سلطة عرشه، ومع ذلك سيستغله هراثن، كان الأمر منطقيًّا. وكما أدرك هراثن فإن قوة الإيمان تكمن في منطقه. قد لا يؤمن تيلري ولكن أطفاله ـ الذين سينشؤون ديريثيين ـ سيؤمنون. إن إيمانًا أجوف لشخص واحد قد يجلب الخلاص لمملكة.

بينما يمشي وجد هراثن عينيه تنجذبان باستمرار إلى شوارع إيلانتريس المُظلمة. حاول أن يركز أفكاره على تيلري وغزو أريلون الوشيك، ولكن كان هناك مسألة أخرى تدغدغ عقله.

اعترف هراثن لنفسه على مضض أنه أراد أن يمشي على سور إيلانتريس هذه الليلة لسبب آخر، كان يشعر بالقلق على الأميرة، هذه المشاعر تزعجه، ولكنه لا يستطيع أن ينكر إحساسه بها. كانت سارين خصمًا رائعًا، وهو يعلم كم يُمكن أن تكون إيلانتريس خطيرة. كان يُدرك هذا عندما أمر بتسميمها، ولكنه قرر أن المكسب الذي سيجنيه يستحق المخاطرة، ولكن بعد ثلاثة أيام بدأت عزيمته تتزعزع، إنه يحتاجها على قيد الحياة لأكثر من سبب.

وهكذا راقب هراثن الشوارع وهو يأمل بحماقة أنه قد يراها بالأسفل ويريح ضميره بأنها لم تتعرض لأذى. بالطبع لم يرَ أي شيء من هذا القبيل، في الواقع لم يبدُ أن هناك أي إيلانتري في الشوارع هذا المساء. لم يعرف هراثن إن كانوا قد انتقلوا إلى أجزاء أخرى من المدينة، أم أن هذا المكان قد صار عنيفًا للغاية حتى إنهم دمروا أنفسهم، كان يأمل ألا يكون الخيار الثاني صحيحًا من أجل سلامة الأميرة.

فجأة سمع صوتًا يقول: "أنت الجيورن هراثن".

دار هراثن على عقبيه وعيناه تبحثان عن هذا الذي اقترب منه دون أن يراه أو يسمعه، كان هناك سيون يحوم من ورائه يتوهج بحيوية في الظلام. ضيق هراثن عينيه ليقرأ الآيون في منتصفه؛ ديو.

قال هراثن: "أنا هو".

قال السيون بصوته الرخيم: "لقد جئت بالنيابة عن سيدي إيڤينتيو، إنه يرغب في الحديث معك".

ابتسم هراثن، كان يتساءل عن المدة التي سيستغرقها إيڤينتيو قبل أن يتواصل معه. قال: "أنا متشوق لسماع ما سيقوله جلالة الملك".

نبض السيون كأن الضوء ينسحب إلى الداخل، لتظهر الخطوط العريضة لرأس رجل بوجه بيضاوي وذقن ممتلئ.

قال هراثن وهو يومئ برأسه إيماءة بسيطة: "جلالة الملك، كيف يُمكن أن أخدمك؟".

قال إيڤينتيو بفتور: "لا حاجة للمجاملات العقيمة أيها الجيورن، أنت تعرف ما أريده".

"ابنتك".

أومأ الملك برأسه وقال: "أعرف أنك تملك سلطة ما على ذلك المرض. ما الذي تريده نظير شفاء سارين؟".

قال هراثن في تواضع: "أنا نفسي لا أملك سلطة، فمن شفاني هو الرب جادث".

صمت الملك لحظة ثم قال: "إذن ما الذي يريده جادث لكي يشفي ابنتي؟".

قال هراثن: "قد يقتنع الرب إن منحته شكلًا من أشكال التشجيع، فالكفار لا ينالون المعجزات يا جلالة الملك".

أحنى الملك إيڤينتيو رأسه ببطء، من الواضح أنه يعرف ما سيطلبه هراثن. لا شك أنه يحب ابنته حبًّا جمًّا.

وعده إيڤينتيو قائلًا: "سيكون الأمر كما تريد أيها الكاهن، إن عادت ابنتي بأمان من تلك المدينة فسأعتنق الشو-ديريث. أعرف أنني سأضطر إلى هذا في النهاية على أي حال".

ابتسم هراثن ابتسامة عريضة ثم قال: "سأرى إن كنتَ قادرًا على... تشجيع الرب جادث لكي يعيد الأميرة يا جلالة الملك".

أومأ إيڤينتيو، كان وجهه وجه رجل منهزم. أنهى السيون الاتصال ثم حلَّق مبتعدًا بصمت.

ابتسم هراثن، لقد وضع اللبنة الأخيرة في بناء خطته، لقد اتخذ إيڤينتيو قرارًا حكيمًا، بهذه الطريقة على الأقل تمكن من أن يطلب شيئًا نظير تبديل دينه، رغم أنه شيء كان سيناله على أي حال.

نظر هراثن إلى إيلانتريس، وهو يتوق أكثر من ذي قبل لعودة سارين له بدون أذى. يبدو أنه في غضون الأشهر القليلة القادمة سيكون قادرًا على أن يُسلم الويرن ليس أمة وثنية واحدة بل أمتين.

# الفصل السادس والأربعون

كان هناك أوقات تمنى فيها رايودن أن يموت أبوه، لقد رأى رايودن معاناة الناس، وكان يعرف أن أباه هو المسؤول، لقد أثبت آيادون أنه قد نجح بالخداع، وأنه كان عازمًا على سحق الآخرين. كان يستمتع بمشاهدة النبلاء يتشاجرون بينما مملكته تنهار. ستكون أريلون أفضل حالًا من دون الملك آيادون.

ولكن عندما وردت إليه أنباء موت أبيه أحس رايودن بالحزن رغمًا عنه، أراد قلبه أن ينسى آيادون الذي عرفه طيلة الخمس سنوات الماضية، وأن يتذكر بدلًا من هذا آيادون الذي عرفه في طفولته. كان أبوه أنجح تاجر في كل أريلون، يحترمه بنو بلدته ويحبه ابنه. لقد بدا رجلًا يتحلى بالشرف والقوة، سيظل جزء من رايودن هو ذلك الطفل الذي رأى أباه أعظم الأبطال.

كان هناك شيئان ساعداه على نسيان ألم الخسارة، سارين والآيونات. عندما لا يكون مع أحدهما يكون مع الآخر. لقد صارت إيلانتريس الجديدة تدير نفسها بنفسها، والناس يجدون مشاريعهم الخاصة ليبقوا أنفسهم مشغولين، ونادرًا ما يكون هناك جدال يتطلب اهتمامه، لذا صار يأتي إلى المكتبة كثيرًا، ليرسم الآيونات بينما سارين تقرأ الكتب.

قالت سارين: "المفاجئ أن هناك القليل من المعلومات عن فيوردن الحديثة". كانت تطل برأسها من بين مجلد ضخم، حتى إنها كادت أن تحتاج إلى مساعدة رايودن لحمله.

قال رايودن وهو يرسم آيون إيه: "ربما لم تجدي الكتاب المناسب بعد".

كانت تجلس على مكتبها المعتاد وإلى جوار كرسيها كومة من الكتب، بينما يقف هو موليًا ظهره إلى الجدار، وهو يتدرب على مجموعة جديدة من مُعدِّلات الآيونات.

قالت سارين بلا اقتناع: "ربما. يبدو أن كل شيء هنا يتعلق بالإمبراطورية القديمة، هناك كتاب واحد عن إعادة البناء التاريخي يتحدث عن تاريخ فيوردن في المئة عام الأخيرة. لقد افترضت أن الإيلانتريين سيدرسون الديانات الأخرى بعناية، على الأقل لمعرفة ما الذي يواجهونه".

قال رايودن: "حسبما فهمت فإن الإيلانتريين لم يمانعوا حقًّا وجود منافسة". بينما يتحدث انزلقت إصبعه لينقطع الخط، تماسك الآيون في الهواء للحظة ثم تلاشى، فقد أفسد هذا الخطأ البناء بالكامل. تنهد قبل أن يُكمل الشرح: "لقد أدرك الإيلانتريون أنهم متفوقون بوضوح على أي شيء آخر، حتى إنهم لم يكونوا بحاجة للقلق بشأن الأديان الأخرى. معظمهم لم يبالوا حقًّا إن كانوا يُعبدون أم لا".

فكرت سارين في هذا التعليق ثم نظرت إلى كتابها وهي تدفع جانبًا الطبق الفارغ الذي كان يحتوي على نصيبها من الطعام لهذا المساء. لم يُخبرها رايودن أنه قد ضاعف حصتها من الطعام كما يفعل مع كل وافد جديد في أسبوعه الأول. لقد تعلم من التجربة أن التخفيض التدريجي في كمية الطعام التي يتناولها المرء يساعد العقل على التكيف مع الجوع.

بدأ يرسم مرة أخرى، وبعد بضع لحظات انفتح باب المكتبة، وعندما دخل جالادون سأله رايودن: "هل لا يزال بالأعلى هناك؟".

أجابه الدولادي: "كولو، لا يزال يصرخ في وجه إلهه".

"تقصد يُصلي".

هز جالادون كتفيه ثم جلس على كرسي إلى جانب سارين وقال: "أعتقد أن إلهًا سيسمعه مهما كان حديثه خافتًا".

رفعت سارين بصرها من على الكتاب وقالت: "هل تتحدثان عن الجيورن؟".

أومأ رايودن برأسه وقال: "إنه يقف على السور فوق البوابة منذ الصباح الباكر، من الواضح أنه يتضرع إلى إلهه لكي يشفينا".

جفلت سارين وقالت: "يشفينا؟".

قال رايودن: "شيء من هذا القبيل، لا يمكننا سماعه جيدًا".

قالت بنظرة مرتابة: "يشفي الإيلانتريين؟ هذا تحول عجيب".

هز رايودن كتفيه وهو يواصل الرسم. انتقى جالادون كتابًا عن الزراعة وبدأ يتصفحه، طيلة الأيام القليلة الماضية كان يبحث عن طريقة للري قد تعمل في ظل ظروفهم الاستثنائية.

بعد بضع دقائق عندما أوشك رايودن على الانتهاء من رسم الآيون ومُعدِّلاته أدرك أن سارين وضعت كتابها جانبًا وتراقبه باهتمام. هذه النظرة المتفحصة جعلته يُخطئ مرة أخرى، فتلاشى الآيون قبل حتى أن يُدرك ما فعله. كانت لا تزال تراقبه عندما رفع يده وبدأ يرسم آيون إيه مرة أخرى.

وأخيرًا سألها: "ما الأمر؟".

كانت أصابعه قد رسمت بشكل غريزي العلامات الثلاثة الأولى التي تمثل بداية كل آيون، خطًّا بالأعلى وخطًّا إلى الجانب السفلي ونقطة في المنتصف.

قالت: "لقد كنت ترسم نفس الآيون طوال الساعة المنصرمة".

"أحاول أن أرسمه بشكل صحيح".

"ولكنك فعلت هذا، عشر مرات على الأقل".

هز رايودن كتفيه وقال: "هذا يساعدني على التفكير".

سألته بفضول: "التفكير في ماذا؟". من الواضح أنها قد أحست بالملل في الوقت الحالي من الإمبراطورية القديمة.

"مؤخرًا أفكر بشأن الآيوندور نفسه، لقد فهمت معظم النظريات، ولكني ما زلت لم أقترب من اكتشاف ما الذي يحتجز الدور. أشعر أن الآيونات قد تغيرت وأن الأنماط القديمة قد تغيرت بعض الشيء، ولكن لا يُمكنني حتى تخمين سبب حدوث هذا".

قالت سارين ببساطة: "ربما هناك خطب ما بشأن الأرض". مالت إلى الوراء في كرسيها فارتفعت قائمتاه الأماميتان عن الأرض.

"ما الذي تقصدينه؟".

قالت سارين في تخمين: "حسنًا لقد قلتَ إن هناك رابطًا بين الآيونات والأرض، رغم أنه حتى أنا يُمكنني إخبارك بهذا".

سألها رايودن مبتسمًا وهو يرسم: "حقًّا؟ هل يتضمن تدريبك كأميرة بعض الدروس عن السحر الإيلانتري؟".

قالت سارين وهي ترفع رأسها في حركة درامية: "لا، ولكنه تضمن تدريبًا على الآيونات، لكي تبدأ كل آيون يجب أن ترسم صورة أريلون، لقد تعلمت هذا وأنا فتاة صغيرة".

تجمد رايودن وتوقفت يده في منتصف خط وهو يقول: "قولي هذا مرة أخرى".

قالت سارين: "ماذا؟ أوه إنها خدعة سخيفة، كان معلمي يستخدمها لكي يحثني على الانتباه. أترى؟ يبدأ كل آيون بالطريقة نفسها، خط في الأعلى يمثل الساحل، وخط في الجانب السفلي يُشبه جبال أتاد، ونقطة في المنتصف تشير إلى بحيرة ألونوي".

اعتدل جالادون واقترب لينظر إلى آيون رايودن الذي لا يزال متوهجًا، ثم قال: "إنها محقة يا سول، يبدو إلى حد ما مثل أريلون، ألم تقل كتبك أي شيء عن هذا الأمر؟".

قال رايودن مندهشًا: "لا، ولكنها تزعم أن هناك رابطًا بين الآيونات وأريلون، ولكنها لم تذكر قط أن الأحرف تمثل الأرض بالفعل، ربما كان المفهوم بديهيًّا للغاية".

أمسك جالادون بكتابه، وهو يفرد شيئًا كان مطويًّا على ظهر الكتاب، خريطة أريلون. قال: "فلتواصل الرسم يا سول وإلا فسيتلاشى الآيون".

فعل رايودن ما قاله مُجبِرًا أصابعه على العودة إلى الحركة. رفع جالادون الخريطة بينما اقتربت سارين لتقف إلى جانبه، وراحا ينظران عبر الورقة الرقيقة ناحية الآيون المتوهج.

صاح جالادون: "بحق الدولوكين! إن الأبعاد هي نفسها بالضبط يا سول، بل إنها تميل بنفس القدر".

أنهى رايودن رسم الآيون بحركة أخيرة ثم انضم إلى الاثنين الآخرين لينظر إلى الخريطة، ثم نظر إلى سارين وقال: "ولكن ما الخطأ إذن؟ الجبال لا تزال موجودة وكذلك الساحل والبحرية".

هزَّت سارين كتفيها وقالت: "لا تنظر إليَّ أنت الخبير هنا، لا يمكنني حتى أن أرسم الخط الأول بشكل صحيح".

أولى رايودن اهتمامه من جديد إلى الآيون، وبعد بضع لحظات ومض قليلًا ثم اختفى، وقد حُجزت قدراته لسبب غير مفهوم. إن كانت فرضية سارين صحيحة فإن الآيونات مرتبطة بأريلون أكثر مما افترض، أيًّا كان ما يمنع الآيوندور فلا شك أنه يؤثر على الأرض أيضًا.

نظر إلى سارين وهو ينوي أن يثني عليها بسبب اكتشافها لهذا الدليل ولكن الكلمات اختنقت في حلقه، كان هناك شيء غير معتاد، البقع السوداء على وجه الأميرة كانت ذات لون مختلف، مزيج من الأزرق والبنفسجي كالكدمات، وبدا أنها تتلاشى أمام عينيه.

صاح: "بحق دومي الرحيم! انظر إليها يا جالادون!".

التفت الدولادي متأهبًا، ثم تغير وجهه من القلق إلى الذهول.

سألتهما الأميرة وهي تنظر إليهما في توتر: "ما الأمر؟".

سأله جالادون: "ما الذي فعلته يا سول؟".

قال رايودن بإصرار: "لم أفعل شيئًا". ثم نظر إلى الموضع الذي اختفى فيه الآيون قبل أن يقول: "لا شك أن شيئًا قد شفاها".

ثم وضع قطع الأحجية مع بعضها بعضًا؛ لم تقدر سارين قط على رسم الآيونات، كانت تشتكي من البرد ولا تزال تصر على أن جروحها لا تؤلمها. مد رايودن يده وتحسس وجه سارين، كان جلدها دافئًا، دافئًا للغاية حتى بالنسبة لإيلانتري جديد لم يبرد جسده تمامًا بعد. أزاح الوشاح من على رأسها وبأصابع مرتجفة تحسس الشعر النابت الأشقر الذي يكاد أن يكون خفيًّا.

همس قائلًا: "آيدوس دومي". ثم أمسك بيدها وجذبها إلى خارج المكتبة.

***

قالت سارين في احتجاج وهما يدلفان إلى الباحة أمام بوابة إيلانتريس: "أنا لا أفهم يا سبيريت".

قال لها: "أنتِ لم تكوني إيلانترية قط يا سارين، لقد كانت خدعة، نفس الخدعة التي استخدمها الجيورن لكي يبدو إيلانتريًّا. هناك شيء ما يُمكن لهراثن أن يفعله ليجعل المرء يبدو وكأن الشايود قد أصابه".

قالت محتجة: "ولكن...".

أمسك بها رايودن وهو ينظر إلى عينيها وقال: "فكري يا سارين!". كان الجيورن لا يزال يعظ فوق السور أعلاهما، وصوته العالي مشتت بفعل المسافة البعيدة. "إن زواجك من رويال كان سيضع خصمًا للشو-ديريث على العرش، كان على هراثن أن يوقف ذلك الزواج، وقد فعل هذا بأكثر طريقة محرجة يُمكنه أن يُلفقها. أنتِ لا تنتمين إلى هنا".

جذبها من ذراعها مرة أخرى محاولًا أن يقتادها ناحية البوابة ولكنها قاومت وهي تجذب ذراعها بقوة تضاهي قوته وقالت محتجة: "أنا لن أذهب".

التفت رايودن إليها في دهشة وقال: "ولكن عليك الذهاب، هذه إيلانتريس يا سارين، لا أحد يريدك أن تكوني هنا".

قالت بصوت متحدٍّ حازم: "لا يهمني، سوف أبقى".

"أريلون بحاجة إليكِ".

"أريلون ستكون أفضل حالًا بدوني، إن لم أتدخل لظل آيادون على قيد الحياة، ولما استولى تيلري على العرش".

لاذ رايودن بالصمت، إنه يريدها أن تبقى، بل يتوق لأن تبقى، ولكنه سيفعل أي شيء ليخرجها من إيلانتريس، إن المدينة تعني الموت. كانت الأبواب تُفتح، لقد تعرف الجيورن على فريسته.

نظرت سارين إلى رايودن بعينين واسعتين وهي تمد يدها ناحيته، كادت البقع أن تختفي تمامًا، إنها جميلة.

قال رايودن بغلظة مصطنعة: "هل تعتقدين أننا يُمكننا أن نتحمل إطعامك أيتها الأميرة؟ هل تفترضين أننا سنهدر طعامًا على امرأة ليست منا؟".

قالت سارين بحدة: "هذا لن ينجح يا سبيريت، يُمكنني أن أرى الحقيقة في عينيك".

قال رايودن: "إذن فلتصدقي هذه الحقيقة، حتى مع الاقتصاد الشديد في حصص الطعام لن يكون هناك ما يكفي من طعام إلا لبضعة أسابيع أخرى، نحن نزرع المحاصيل، ولكن الأمر سيستغرق شهورًا قبل أن نتمكن من حصادها، وخلال ذلك الوقت سوف يتضور الرجال والنساء والأطفال جوعًا ما لم يتمكن أحد بالخارج من تزويدنا بالمزيد من المؤن".

ترددت ثم ألقت نفسها بين ذراعيه، وهي تلتصق بصدره.

همس بدوره: "أريلون تحتاج إليكِ يا سارين، إن كان ما تقولينه صحيحًا فإن أحد الموالين لفيوردن يجلس على العرش، وربما لم يتبقَّ لإيلانتريس الكثير من الوقت، أنت تعرفين ما سيفعله بنا الكهنة الديريثيون إن سنحت لهم الفرصة، الأمور تسير على نحو خاطئ للغاية في أريلون، وأنتِ الشخص الوحيد الذي أثق أنه سيُصلحها يا سارين".

نظرت إلى عينيه وقالت: "سوف أعود".

كان هناك رجال في ملابس باللونين الأصفر والبني يحيطون بهما ويفصلونهما أحدهما عن الآخر. دفعوا رايودن جانبًا فسقط على أحجار الرصف الزلقة، بينما يجذبون سارين بعيدًا عنه. ظل رايودن مستلقيًا على ظهره وهو يشعر بالوحل اللزج من تحته، ناظرًا لأعلى ناحية رجل في دروع حمراء قانية. كان الجيورن يقف بهدوء في هذه اللحظة، ثم استدار ولحق بسارين خارج المدينة قبل أن تُغلق البوابة من ورائه بدوي مرتفع.

# الفصل السابع والأربعون

أُغلقت البوابة بقوة، وهذه المرة لم تكن لاحتجاز سارين بداخل إيلانتريس، بل خارجها. راحت المشاعر تنهش روحها كقطيع من الذئاب الغاضبة، وكل شعور يحاول أن يجذب انتباهها. قبل خمسة أيام مضت ظنت أن حياتها قد تدمرت، فراحت ترجو وتصلي وتتوسل لدومي لكي يشفيها. والآن تجد نفسها تتوق للعودة إلى لعنتها، ما دام سبيريت هناك.

ومع ذلك اتخذ دومي القرار بالنيابة عنها. إن سبيريت محق، لا يُمكنها العيش في إيلانتريس أكثر مما يمكنه هو العيش خارج المدينة، إن عالميهما مختلفان تمامًا، وكذلك متطلبات جسديهما.

وُضعت يد على كتفها فنفضت سارين عن نفسها إحساسها بالخدر وهي تلتفت. لم يكن هناك الكثير من الرجال الذين تضطر لثني رقبتها للنظر إليهم لأعلى. كان هذا هراثن.

قال بنبرة لا تحمل لكنة ثقيلة: "لقد حفظك جادث أيتها الأميرة".

انتفضت سارين لتبعد ذراعه عنها وهي تقول: "لا أعرف كيف فعلت هذا أيها الكاهن، ولكني أعرف شيئًا واحدًا على وجه اليقين؛ أنا لا أدين لإلهك بأي شيء".

قال هراثن بوجه صارم: "أبوك لا يشاطرك الرأي أيتها الأميرة".

"بالنسبة لرجل يزعم دينه أنه ينشر الحقيقة فإن أكاذيبك فجة بشكل مدهش".

ابتسم هراثن ابتسامة صفراء وقال: "أكاذيب؟ لم لا تذهبين وتتحدثين معه؟ يمكنني أن أقول بطريقة ما إنك قد منحتِنا تيود. إن تبديل دين الملك غالبًا ما يعني تبديل دين المملكة أيضًا".

قالت سارين والشك يتسلل إلى قلبها: "مستحيل!". عادة ما يكون الجيورنات أكثر حذرًا على أن يكذبوا أكاذيب مباشرة.

قال هراثن وهو يخطو خطوة للأمام، ويمد إليها يده المغطاة بالقفاز: "لقد قاتلت بحكمة وذكاء أيتها الأميرة، ولكن الحكمة الحقيقية تكمن في معرفة متى يكون استمرار القتال عديم الجدوى. تيود ملكي، وقريبًا ستكون أريلون ملكي أيضًا. لا تكوني مثل طائر الستونلارك، تحاولي حفر حفرة في رمال الشاطئ المبتلة، بينما المد يدمر كل ما تصنعينه. فلتعتنقي الشو-ديريث ليكون لما تصنعينه هدفًا أكثر من مجرد التباهي.

"أفضل الموت على أن أفعل هذا!".

قال الجيورن: "لقد متِّ بالفعل وأنا أعدتك للحياة". ثم خطا خطوة أخرى للأمام فتراجعت سارين مبتعدة عنه وهي ترفع يديها إلى صدرها.

فجأة لمع الفولاذ في ضوء الشمس، وصار طرف سيف إيونديل موضوعًا على عنق هراثن. أحست سارين بذراعين ضخمتين وقويتين تضمانها، بينما صوت أجش يصيح بسعادة إلى جانبها.

صاح كين وهو يرفعها عن الأرض في عناق: "فليتبارك اسم دومي!".

قال هراثن وطرف السيف لا يزال يضغط على لحمه: "فليتبارك اسم جادث. لقد ترك دومي هذه المرأة لتتعفن".

قال إيونديل وهو يصوب سيفه بتهديد: "لا تنطق بكلمة أخرى أيها الكاهن".

ابتسم هراثن ساخرًا ثم تحرك بسرعة أكبر مما يمكن أن تتتبعها عينا سارين، فانحنى الجيورن للوراء ليُبعد رأسه عن نطاق السيف، وفي الوقت ذاته ركل يد إيونديل بقدمه ليُسقط السيف.

دار هراثن حول نفسه بينما حرملته الحمراء تخفق من ورائه قبل أن يلتقط السيف من الهواء. انعكس ضوء الشمس على الفولاذ بينما هراثن يلوح بالسيف. كسر طرف السيف على أحجار الرصف ثم أمسك به كما يمسك ملك بصوجانه، قبل أن يتركه يسقط، فعاد المقبض مرة أخرى إلى قبضة إيونديل المذهول. خطا الكاهن للأمام متجاوزًا الجنرال المرتبك.

همس هراثن: "الزمن يتحرك كالجبال يا سارين". كان قريبًا منها للغاية حتى إن دروع صدره كادت أن تحتك بذراعي كين الذي يضمها ليحميها. "إنه يتحرك ببطء شديد حتى إن معظمنا لا يلاحظ مروره، ولكنه مع هذا سيحطم أولئك الذين لا يتحركون أمامه".

وما إن قال هذا حتى دار على عقبيه، فخفقت حرملته في وجهي إيونديل وكين، قبل أن يخطو مبتعدًا.

راقب كين هراثن يبتعد والكراهية في عينيه، ثم التفت أخيرًا إلى إيونديل وقال: "هيا بنا أيها الجنرال، دعنا نأخذ سارين إلى البيت لكي تستريح".

قالت سارين: "لا يوجد وقت للراحة يا عماه، أُريد منك أن تجمع حلفاءنا، يجب أن نجتمع في أقرب وقت ممكن".

رفع كين حاجبًا وقال: "سيكون هناك وقت لهذا لاحقًا يا إين، أنتِ لستِ في حالة تسمح لكِ...".

قالت: "لقد حصلت على عطلة جميلة يا عماه، ولكن هناك عمل يجب إنجازه. ربما عندما ينتهي الأمر سأكون قادرة على الهرب عائدة إلى إيلانتريس، في الوقت الحالي يجب أن نقلق بشأن منع تيلري من إعطاء بلدنا للويرن. أرسل الرسل إلى رويال وآهان، أُريد أن ألتقي بهما في أسرع وقت ممكن".

بدا عمها مذهولًا تمامًا.

ابتسم إيونديل وقال: "حسنًا، إنها تبدو بخير بالفعل".

***

كان الطهاة في بيت والدها قد تعلموا شيئًا واحدًا؛ عندما تريد سارين أن تأكل فيجب أن تأكل.

قال لوكل وهي تُنهي طبقها الرابع: "يجب أن تأكلي بسرعة أكبر يا ابنة العم، يبدو أنك بالكاد حظيت بوقت لتذوق هذا الطبق".

تجاهلته سارين وهي تشير إلى كين كي يجلب الطبق الشهي التالي. لقد قيل لها إنه لو تضور المرء جوعًا لوقت طويل فإن معدته ستنكمش مما يقلل من كمية الطعام التي يمكنه تناولها. إن الرجل الذي وضع هذه النظرية كان سيلوح بيديه في استسلام إن رأى سارين وهي تلتهم الطعام بشراهة.

كانت جالسة على الطاولة على الناحية المقابلة للوكل ورويال. كان الدوق العجوز قد وصل للتو، وعندما رأى سارين اعتقدت للحظة أنه سينهار من الصدمة. ولكن بدلًا من هذا صلى صلاة لاهثة لدومي قبل أن يجلس صامتًا على الكرسي المقابل لها.

قال الدوق رويال بإعجاب: "يُمكنني بصدق أن أقول إنني لم أرَ امرأة من قبل تأكل هذا القدر من الطعام". كان لا يزال هناك لمحة من عدم التصديق في عينيه وهو ينظر إليها.

قال لوكل: "إنها عملاقة تيودية، لا أعتقد أنه من المنصف أن نقارن بين سارين وأي امرأة طبيعية".

قالت سارين وهي تلوح ناحيتهما بشوكتها: "لو لم أكن مشغولة بتناول الطعام لأسمعتكما ردي". لم تُدرك مقدار جوعها حتى دخلت مطبخ كين، حيث كانت روائح الولائم الماضية لا

تزال عالقة في الهواء كضباب لذيذ. الآن فقط تقدر أهمية أن يكون لدى المرء طاهٍ قد جاب العالم مثل عمها.

دخل كين وهو يحمل مقلاة من اللحم الساخن والخضراوات في صلصة حمراء. قال: "إنه طبق جيندوي يسمى رايدومو ماي، والاسم يعني اللحم ذا الجلد الناري. أنتِ محظوظة لأن لدي المكونات المناسبة، فمحصول فلفل الرايدل في جيندو كان سيئًا في الموسم الماضي و...". بتر جملته عندما بدأت سارين تكدس اللحم في طبقها، ثم تنهد وسألها: "أنتِ لا تُبالين، أليس كذلك؟ لم تكوني لُتبالي حتى لو طهوت الطعام في ماء غسل الصحون".

قالت سارين: "أنا أتفهم يا عمَّاه، فأنت تتفانى من أجل فنك".

جلس كين وهو ينظر إلى الأطباق الفارغة المتناثرة على الطاولة ثم قال: "لقد ورثتِ بالتأكيد شهية العائلة".

قال لوكل: "إنها فتاة ضخمة، وتحتاج إلى قدر كبير من الوقود لتحريك هذا الجسد".

حدجته سارين بنظرها من بين قضماتها.

تساءل كين: "ألن تتباطأ مُطلقًا؟ تكاد أن تنفد مني المؤن".

قالت سارين: "في الواقع أعتقد أن هذا سيفي بالغرض. أنتم لا تفهمون طبيعة الوضع هناك أيها السادة، لقد استمتعت بوقتي، ولكن لم يكن هناك الكثير من الطعام".

قال لوكل: "أنا مندهش لأن هناك أي طعام على الإطلاق، فالإيلانتريون يأكلون بشراهة".

قال كين: "ولكنهم لا يحتاجون إلى تناول الطعام، لذا يُمكنهم تخزينه".

واصلت سارين الأكل دون أن تنظر إلى عمها وابن عمها، ولكنها كانت تتساءل في قرارة نفسها: كيف يعرفان هذا القدر بشأن الإيلانتريين؟

قال رويال: "أيًّا ما كانت الأوضاع هناك أيتها الأميرة فإننا نحمد دومي على عودتك بأمان".

قالت سارين: "إنها ليست معجزة كما تظن يا رويال، هل أحصى أي شخص عدد الأيام التي قضاها هراثن في إيلانتريس؟".

قال لوكل بعد لحظة من التفكير: "أربعة أيام أو خمسة".

"أُراهنكم أنها كانت خمسة أيام، نفس الوقت الذي استغرقته ما بين إلقائي إلى هناك وحتى شفائي".

أومأ رويال برأسه وقال: "إن الجيورن له علاقة بالأمر. هل تحدثتِ مع أبيكِ بعد؟".

أحست سارين باضطراب في معدتها وقالت: "لا، أنا... سأتحدث معه قريبًا".

جاء طرق على الباب وبعد لحظات دخل إيونديل وهو يجر وراءه شودن. كان الشاب الجيندوي في الخارج يتنزه مع تورينا.

عندما دلف البارون ارتسم على وجهه ابتسامة عريضة على غير العادة، ثم قال: "كان يجب أن نعرف أنك ستعودين يا سارين، إن كان هناك شخص يُمكنه أن يذهب إلى الجحيم ويعود سليمًا فسيكون أنتِ".

قالت سارين وهي ترفع يدها لتتحسس رأسها الأصلع: "لست سليمة تمامًا. هل عثرت على أي شيء؟".

قال إيونديل وهو يُناولها شعرًا أشقر مستعارًا قصيرًا: "هذا أفضل ما استطعت العثور عليه يا سيدتي. الأشياء الأخرى معظمها كان سميكًا للغاية حتى أكاد أُقسم أنها مصنوعة من شعر الخيل".

نظرت سارين إلى الشعر المستعار بعين ناقدة، بالكاد يُمكن أن يصل إلى كتفيها، ولكن هذا أفضل من الصلع. في تقديرها كانت خسارة شعرها هي أعظم خسارة تكبدتها في منفاها، سيستغرق شعرها سنوات لكي ينمو إلى الطول اللائق مرة أخرى.

قالت وهي تخبئ الشعر المستعار حتى تجد وقتًا لارتدائه بشكل لائق: "من المؤسف أن أحدًا لم يجمع شعري".

قال لوكل وهو يتناول آخر قطعة من اللحم في المقلاة: "نحن لم نكن نتوقع عودتك بالضبط يا ابنة العم. على الأرجح كان لا يزال عالقًا بحجابك عندما أحرقناه".

"أحرقتموه؟".

قال كين: "إنها التقاليد الأريلية يا إين، عندما يُلقى شخص ما في إيلانتريس نحرق كل متعلقاته".

سألته سارين بضعف: "كل شيء؟".

قال كين في حرج: "أخشى هذا".

أغلقت سارين عينيها وهي تزفر، ثم قالت وهي تنظر إليهم: "لا عليكم. أين آهان؟".

قال رويال: "في قصر تيلري".

قالت سارين عاقدة حاجبيها: "ما الذي يفعله هناك؟".

هز كين كتفيه وقال: "فكرنا أنه يجب علينا أن نرسل على الأقل واحدًا منا لكي يتقرب إلى الملك الجديد. إن كنا سنضطر للتعامل معه فربما من الأفضل أن نرى أي نوع من التعاون يُمكن أن نتوقعه".

تأملت سارين رفاقها، رغم بهجتهم الواضحة لرؤيتها أحست بشيء آخر في التعابير المرتسمة على وجوههم؛ الهزيمة. لقد عملوا بِجِدٍّ لمنع تيلري من الوصول إلى العرش، وقد فشلوا في هذا. أحست سارين في قرارة نفسها أنها بالكاد تعترف بحاجتها إلى التعامل مع المشاعر العديدة ذاتها. أحست بالغثيان، لم تستطع أن تقرر ما الذي تريده، كان كل شيء مضطربًا للغاية. لحسن الحظ كان نداء الواجب يُرشدها، كان سبيريت محقًّا؛ أريلون في خطر شديد، لم ترغب حتى في التفكير في الأشياء التي قالها هراثن عن أبيها. كانت تعرف فقط أنه مهما حدث فإن عليها أن تحمي أريلون، من أجل إيلانتريس.

قالت سارين لتخاطب الحاضرين الذين خيم عليهم الصمت: "تتحدثون كأنه لا يوجد أي شيء آخر يُمكننا فعله بشأن مطالبة تيلري بالعرش".

قال لوكل: "ما الذي يُمكننا فعله؟ لقد جلس تيلري على العرش، والنبلاء يؤيدونه".

قالت سارين: "وكذلك الويرن. إن إرسالكم لآهان كان فكرة رائعة، ولكني أشك أنكم ستجدون أي تسامح في حُكم تيلري، بالنسبة لنا أو بالنسبة لبقية أريلون. أيها السادة كان يجب أن يكون رايودن هو الملك، وأنا زوجته، أشعر بالمسؤولية تجاه شعبه، وقد عانوا تحت وطأة حكم آيادون، وإن سلم تيلري هذه المملكة للويرن فإن أريلون لن تكون أكثر من مجرد مقاطعة فيوردية أخرى".

سألها شودن: "ما الذي تحاولين أن تشيري إليه يا سارين؟".

"أننا يجب أن نتخذ إجراءً ضد تيلري، أي إجراء في مقدورنا".

لاذوا جميعًا بالصمت، حتى تحدث رويال أخيرًا: "هذا مختلف عما كنا نفعله من قبل يا سارين. كنا نعارض آيادون ولكننا لم نخطط لإزاحته عن عرشه، إن اتخذنا أي إجراء مباشر ضد تيلري فسنكون خونة للتاج".

قالت سارين: "سنكون خونة للتاج ولكننا لن نكون خونة للشعب. نحن في تيود نحترم الملك لأنه يحمينا، إنها صفقة أو اتفاق رسمي. لم يفعل آيادون أي شيء لحماية أريلون، لم يبنِ جيشًا ليردع فيوردن، ولم يضع نظامًا قانونيًّا يضمن معاملة رعاياه معاملة عادلة، ولم يُبالِ بشأن الرعاية الروحانية لأمته، ويخبرني حدسي بأن تيلري سيكون أسوأ منه".

تنهد رويال وقال: "لا أعرف يا سارين، لقد أطاح آيادون بالإيلانتريين للاستيلاء على السلطة، والآن تقترحين أن نفعل الشيء ذاته. ما القدر الذي يُمكن أن يتحمله هذا البلد قبل أن ينهار؟".

سألته سارين: "وما القدر الذي تعتقد أن هذا البلد سيتحمله من تلاعب هراثن به؟".

نظر السادة المجتمعون إلى بعضهم بعضًا، ثم قال شودن: "دعينا نؤجل هذا الأمر يا سارين، أنتِ تتحدثين في أمور صعبة، أمور لا يمكن أن يُباشرها المرء دون تفكير عميق".

قالت سارين: "أتفق معك". كانت تتوق لأن ترتاح هذه الليلة، ولأول مرة منذ أسبوع تقريبًا ستشعر بالدفء أثناء نومها.

أومأ السادة قبل أن ينهضوا ويذهب كل واحد منهم في طريقه. ولكن رويال لم ينصرف على الفور. قال لها: "يبدو أنه لم يعد هناك أي سبب لمواصلة خطبتنا يا سارين، أليس كذلك؟".

"بلى يا سيدي، إن استولينا على العرش الآن فسيكون بالقوة وليس بالتلاعب السياسي".

أومأ الرجل العجوز برأسه في حزن ثم قال: "كان الأمر أجمل من أن يكون حقيقة على أي حال يا عزيزتي. طابت ليلتك إذن".

قالت سارين وهي تبتسم بلطف بينما الدوق العجوز يُغادر: "طابت ليلتك". ثلاث خِطبات بلا زواج، إنها تحقق بالفعل رقمًا قياسيًّا سيئًا. تنهدت وهي تراقب رويال يُغلق الباب، ثم التفتت إلى كين الذي كان ينظف الطاولة من بقايا وجبتها بعناية.

قالت: "لقد انتقل تيلري إلى القصر، وأُحرقت متاعي، أجد نفسي فجأة بلا مسكن، هل يُمكنني أن أقبل العرض الذي عرضته عليَّ قبل شهرين بالانتقال والعيش هنا يا عماه؟".

قال كين ضاحكًا: "ستكون زوجتي منزعجة للغاية إن لم تفعلي هذا يا إين، لقد قضت الساعة المنصرمة في تجهيز غرفة من أجلك".

***

جلست سارين على سريرها الجديد وقد ارتدت أحد قمصان نوم عمتها، ثم ضمت ساقيها بإحكام إلى صدرها وأطرقت برأسها في انكسار.

ومض آش للحظة بينما وجه أبيها يختفي، والسيون يعود إلى شكله الطبيعي. لاذ بالصمت لوقت طويل، قبل أن يقول: "أنا آسف يا سيدتي".

أومأت سارين برأسها الأصلع فاحتك بركبتيها، لم يكن هراثن يكذب أو حتى يُبالغ، لقد تحول والدها إلى الشو-ديريث.

لم يكن هناك حفل رسمي بعد، وليس هناك أي كهنة ديريثيين في تيود، ولكن بمجرد أن ينتهي هراثن من أريلون فسيسافر إلى وطنها ويطلب من أبيها القسم الرسمي بنفسه. هذا القسم

سيضع إيڤينتيو في أسفل التسلسل الهرمي الديريثي، مما يجبره على أن يطيع أهواء حتى أبسط كاهن.

لم يغير من عزيمة أبيها أي قدر من الغضب أو الشرح، إن إيڤينتيو رجل صادق، وقد أقسم لهراثن أنه إذا أعاد سارين بأمان فسيبدل دينه. سيفي الملك بوعده سواء كان خداع الجيورن وراء لعنتها وشفائها أم لا.

وأينما يذهب إيڤينتيو فستتبعه تيود، سيستغرق الأمر وقتًا، فشعب تيود ليس قطيعًا من الأغنام، ولكن عندما يتدفق الأراتثة إلى وطنها فسيُنصت الناس إلى ما كانوا يعارضونه من قبل، وهذا فقط لأنهم يعرفون أن ملكهم ديريثي. لقد تغيرت تيود إلى الأبد.

وقد فعل كل هذا من أجلها، بالطبع يزعم أنه يعرف أن هذا هو الأفضل لمصلحة البلد، فبغض النظر عن قوة تيود البحرية فإن الأعداد الهائلة التي ستكون ضمن الحملة الفيوردية الشرسة ستخترق الأسطول في النهاية. يزعم إيڤينتيو أنه لن يخوض حربًا خاسرة.

أجل هذا هو نفس الرجل الذي علَّم سارين أن المبادئ دومًا ما تستحق أن يقاتل المرء من أجل حمايتها. لقد أقسم إيڤينتيو أن الحقيقة لا تتبدل، وأنه لا يوجد معركة ـ حتى معركة ميؤوس منها ـ تذهب سدى إن كانت للدفاع عن الحق. ولكن من الواضح أن حبه لها أقوى من الحقيقة. أحست بالإطراء، ولكن هذا الشعور أصابها بالغثيان، ستسقط تيود بسببها، ستصير مجرد مقاطعة فيوردية أخرى، ولن يكون ملكها أكثر من خادم للويرن.

لقد لمَّح إيڤينتيو إلى أنه عليها أن تدفع أريلون إلى أن تحذو حذوها، رغم أنها أحست من صوته أنه كان فخورًا بها عندما رفضت هذا. ستحمي أريلون، وإيلانتريس، ستناضل لكي يبقى دينها، لأن أريلون ـ أريلون المريضة المسكينة ـ هي الملاذ الأخير للشو-كوراث. وبينما كانت أريلون ذات يوم بلد يقطنه الآلهة، فقد صارت الآن الملجأ الأخير لدومي نفسه.

https://t.me/fantazynov

# الفصل الثامن والأربعون

كان هراثن جالسًا في حجرة الانتظار بالقصر وهو يشعر باستياء متزايد. كانت أمارات تغير الحكومة واضحة من حوله، بدا من اللافت للنظر أن رجلًا واحدًا يمكنه أن يمتلك هذا القدر من المفروشات والسجاد والديباج. كانت حجرة الجلوس بالقصر مغطاة بالكثير من الأقمشة، حتى إن هراثن اضطر لدفع جبلًا من الوسائد جانبًا قبل أن يجد حافة حجرية يُمكنه أن يجلس عليها.

كان جالسًا بالقرب من المدفأة الحجرية وهو يجز على أسنانه بينما يُراقب النبلاء المجتمعين. كما هو متوقع صار تيلري فجأة رجلًا مشغولًا للغاية. يُريد كل نبيل وصاحب أرض وتاجر طموح في المدينة أن يعرب عن "تبجيله" للملك الجديد. كان العشرات جالسين في حجرة الجلوس، ومعظمهم دون مواعيد مُسبقة. لم يقدروا على إخفاء نفاد صبرهم، ولكن أيًّا منهم لم يكن شجاعًا بما يكفي للتعبير عن انزعاجه من هذه المعاملة.

لم يُبالِ هراثن بانزعاجهم، ولكن الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يغفره هو ضمه لهذه المجموعة. كان الرعاع الذين يُفترض أنهم نبلاء مجموعة متملقة لا تُطاق. أما هراثن فكان مدعومًا بقوة مملكة الويرن وإمبراطورية جادث، القوة ذاتها التي منحت تيلري الثروة التي احتاجها للمطالبة بالعرش.

ومع ذلك كان هراثن مجبرًا على الانتظار. كان الأمر جنونيًّا وفظًّا ولا يُصدق، ولكن هراثن لم يكن لديه خيار سوى أن يتحمل، فرغم أنه مدعوم بقوة الويرن لم يكن لديه جنود ولا قوة لكي يتحكم في تصرفات تيلري. لا يُمكنه أن يندد بالرجل علنًا، ورغم سخط هراثن كانت غريزته السياسية أكثر حذرًا من أن تسمح له بفعل شيء كهذا. لقد عمل بجد لكي يجعل رجلًا

مواليًا لهم يجلس على العرش، وسيكون من الحماقة أن يترك كبرياءه يُفسد مثل هذه الفرصة. سينتظر هراثن وسيتسامح مع هذه الإهانة لفترة من الوقت، حتى ينال الجائزة في النهاية.

دلف إلى الحجرة خادم يرتدي ثيابًا حريرية فاخرة، الثياب الرسمية المزخرفة التي تُمثل رُسُل تيلري الشخصيين. انتبه كل الموجودين في الحجرة، وعدد كبير منهم اعتدلوا واقفين وهم يهندمون ثيابهم.

أعلن الخادم: "الجيورن هراثن".

انتظر النبلاء بينما اعتدل هراثن واقفًا وشق طريقه عبرهم بلا اكتراث. حان الوقت أخيرًا.

كان تيلري في انتظاره وراء الباب. توقف هراثن بعد أن عبر الباب مباشرة وهو ينظر إلى الحجرة في استياء. كانت ذات يوم مكتب آيادون، وقد كانت تُعبر في ذلك الوقت عن العقلية العملية لرجل الأعمال؛ كل شيء كان منظمًا وموضوعًا في مكانه، وكان أثاث الحجرة مريحًا دون حاجة إلى البذخ.

ولكن تيلري قد غيَّر كل هذا، كان الخدم يقفون على جانبي الحجرة، وإلى جوارهم عربات مكوم عليها أطعمة غريبة فاخرة، قد اشتراها من التجار في سوق أريلون، بينما يتكئ تيلري على كومة ضخمة من الوسائد والحرير بابتسامة لطيفة على وجهه ذي الوحمة البنفسجية. كان السجاد يُغطي الأرضية والجداريات القماشية تتداخل في بعضها بعضًا على الجدران.

قال هراثن في قرارة نفسه: *هذا هو الرجل الذي أُجبرت على التعاون معه*... ولكن استياءه لم يظهر على وجهه. على الأقل كان آيادون رجلًا عمليًّا.

قال تيلري وهو يبتسم: "مرحبًا بك يا هراثن".

قال هراثن وهو يُخفي اشمئزازه: "جلالة الملك، كنت آمل أن نتحدث على انفراد".

تنهد تيلري وقال: "لا بأس". ثم لوح بيده ليصرف الخدم، الذين غادروا وهم يُغلقون الباب وراءهم.

قال تيلري: "والآن، ما الذي جاء بك؟ هل أنت مهتم بالرسوم المفروضة على تجاركم الذين يبيعون بضاعتهم في سوق أريلون؟".

عقد هراثن حاجبيه وقال: "لديَّ أمور أكثر أهمية للنظر فيها يا جلالة الملك، ومن المفترض أن تنظر فيها أنت أيضًا. لقد جئت لتحقيق وعد تحالفنا".

سأله تيلري بلا اكتراث: "أي وعد يا هراثن؟ أنا لم أقطع وعودًا".

إذن فقد بدأت اللعبة. قال هراثن: "أن تعتنق الديانة الديريثية، كانت هذه هي صفقتنا".

قال تيلري: "أنا لم أُبرم صفقة كهذا، لقد عرضت عليَّ التمويل وأنا قبلته، لم أقل إلا أنني سأكون ممتنًّا لهذا الدعم".

قال هراثن: "لن أتشاجر معك أيها التاجر". تساءل كم من المال سيطلبه تيلري لكي "يتذكر" اتفاقهما. "أنا لست متملقًا لكي أنجر إلى هذا الفخ. إن لم تفعل ما ينتظره جادث فسأجد شخصًا آخر، لا تنسَ ما حدث لمن كان جالسًا على العرش قبلك".

قال تيلري ساخرًا: "لا تنسب لنفسك الفضل في شيء ليس لك يد فيه أيها الكاهن، فقد كان سقوط آيادون حسبما أذكر بسبب الأميرة التيودية، كنت أنت في إيلانتريس في ذلك الوقت. والآن إن كانت فيوردن ترغب في أن يكون هناك شخص ديريثي جالس على عرش أريلون فيمكننا ترتيب هذا الأمر، ولكن بالثمن المناسب".

قال هراثن لنفسه: *أخيرًا*. جز على أسنانه متظاهرًا بالغضب، وانتظر اللحظة المناسبة. ثم تنهد وقال: "حسنًا، كم تريد...".

**قاطعه تيلري قائلًا: "ولكن هذا ليس ثمنًا يمكنك أن تدفعه".**

**تجمد هراثن في موضعه وقال: "ماذا تقول؟".**

**قال تيلري: "أجل، الثمن يجب أن يدفعه شخص أكثر منك... سلطة. كما ترى لقد تعلمت أن الكهنة الديريثيين لا يمكنهم أن يكلفوا الرجال بمناصب توازي مناصبهم في التسلسل الهرمي للكنيسة".**

**أحس هراثن بقشعريرة باردة وقد بدأ يستوعب ما يرمي إليه تيلري. همس قائلًا: "لا يُعقل أن تكون جادًّا".**

**قال تيلري: "أنا أعرف أكثر مما تظن يا هراثن، هل تعتقد أنني مجرد أحمق جاهل بتقاليد الشرق؟ الملوك ينحنون للجيورنات، ما السلطة التي سأحوذها إن تركتك تحولني إلى مجرد عبد ديريثي؟ لا، هذا لا يناسبني، لا أُخطط لأن أنحني في كل مرة يأتي فيها أحد كهنتك لزيارتي، سأعتنق ديانتك، ولكني لن أفعل هذا إلا بوعد بأن أنال مرتبة كنسية تتناسب مع مرتبتي المدنية، لن أكون الملك تيلري فحسب، بل الجيورن تيلري".**

**هز هراثن رأسه في دهشة، كم من السهل على هذا الرجل أن يزعم أنه ليس "جاهلًا" بتقاليد الشرق، بينما حتى الأطفال الفيورديين يعرفون ما يكفي من العقيدة للضحك على مثل هذا الاقتراح السخيف. قال في جزل: "سيدي تيلري ليس لديك أدنى فكرة...".**

**قاطعه تيلري قائلًا: "لقد قلتُ إنه ليس هناك شيء يُمكنك فعله من أجلي يا هراثن، لقد سعيت لعقد صفقة مع سلطة أعلى".**

**عاد إلى هراثن تخوفه فقال: "ما الذي ترمي إليه؟".**

قال تيلري بابتسامة عريضة: "الوين، لقد أرسلت إليه رسولًا قبل عدة أيام، أُبلغه فيها بمطالبي، لم يعد هناك حاجة إليك يا هراثن، يُمكنك الانصراف".

وقف هراثن في موضعه مذهولًا، هذا الرجل قد أرسل رسالة إلى الويرن نفسه... لقد أملى تيلري مطالبه على الوصي على كل الخلق؟ همس هراثن وقد أدرك خطورة المأزق الذي صار فيه: "أنت رجل أحمق". عندما يتلقى الويرن تلك الرسالة...

قال تيلري مرة أخرى وهو يشير ناحية الباب: "انصرف!".

أطاع هراثن الأمر في حالة من الذهول.



# الفصل التاسع والأربعون

في البداية بقي رايودن بعيدًا عن المكتبة لأنها تذكره بسارين، ثم وجد نفسه ينجذب عائدًا إليها لأنها تذكره بسارين.

بدلًا من التفكير في خسارته ركّز رايودن على الرابط الذي فكرت فيه سارين، درس الآيونات واحدًا تلو الآخر وهو يلاحظ تشابهها مع المعالم الجغرافية. آيون إينو . الحرف الذي يعبر عن الماء . يتضمن خطًّا متعرجًا يُماثل تعرجات نهر أريديل. الحرف المعبر عن الخشب . آيون دي . يتضمن عدة دوائر تمثل الغابات الجنوبية.

كانت الآيونات عبارة عن خرائط للأرض، كل واحد منها هو تجسيد مختلف لنفس الصورة العامة، وكل واحد لديه نفس العلامات الثلاثة الأساسية؛ خط الساحل وخط الجبل ونقطة بحيرة ألونوي. غالبًا ما يكون هناك خط بالأسفل ليمثل نهر كالومو، الذي يفصل أريلون عن دولادل.

بعض الملامح أثارت حيرته تمامًا، لمَ لدى آيون ميا . الحرف المعبر عن التفكير . خطّان متقاطعان في مكان ما في منتصف مزرعة إيون؟ لمَ يتميز آيون ري بأربع وعشرين نقطة تبدو عشوائية؟ ربما يحتوي أحد مجلدات المكتبة على الإجابات، ولكنه حتى الآن لم يجد شيئًا يفسر الأمر.

صار الدور يهاجمه على الأقل مرتين كل يوم، وكل معركة تبدو وكأنها الأخيرة، وفي كل مرة يبدو أضعف بعض الشيء بعد انتهاء الصراع، كما لو أن طاقته بئر متناهية تتناقص مع كل مواجهة. لم يكن السؤال هو إن كان سيسقط أم لا، بل إن كان سيكتشف قبل أن يحدث هذا أم لا.

***

ضرب رايودن بقبضته على الخريطة في غضب، لقد مر خمسة أيام منذ رحيل سارين، ولا يزال غير قادر على إيجاد الجواب. أحس كأن هذا سيستمر إلى الأبد، أن يكون قريبًا بشكل مؤلم من سر الآيوندور ومع ذلك لا يقدر على اكتشافه.

تطايرت الخريطة التي كانت قد عُلِّقت على الجدار بالقرب من مكتبه، فثبَّتها بيده وهو يتفحص خطوطها. كانت حوافها قد تآكلت مع مرور الزمن، وبدأ الحبر يتلاشى. شهدت الخريطة مجد إيلانتريس وسقوطها. تمنى لو أن بإمكانها أن تتكلم، أن تهمس له بالأسرار التي تعرفها.

هز رأسه وهو يجلس على كرسي سارين فارتطمت قدمه بإحدى أكوام الكتب التي وضعتها. تنهد وهو يميل إلى الوراء في الكرسي وبدأ يرسم ملتمسًا العزاء من الآيونات. كان قد انتقل مؤخرًا إلى تقنية آيوندور جديدة أكثر تقدمًا، لقد أوضحت النصوص أن الآيونات تكون أكثر قوة عند الانتباه، ليس إلى طول الخط وميله فقط، بل وإلى سمكه كذلك. رغم أن كل الآيونات ستعمل إن كانت الخطوط كلها بنفس السمك إلا أن تباين الأماكن المناسبة يضفي المزيد من القوة والسيطرة.

وهكذا تدرب رايودن بحسب التعليمات مستخدمًا الخنصر لرسم الخطوط الصغيرة، والإبهام لرسم الخطوط الأكبر. كان بمقدوره أن يستخدم أدوات مثل العصا أو الريشة ليرسم الخطوط. كان المعتاد هو استخدام الأصابع، ولكن شكل الآيون كان أكثر أهمية بكثير من الأدوات المستخدمة لرسمه. على أي حال كان الإيلانتريون يستخدمون الآيوندور لنحت رموز دائمة في الصخر والحجر، حتى إنهم صنعوا الآيونات من الأسلاك وقطع الخشب وعديد من المواد الأخرى. من الواضح أنه من الصعب تشكيل أحرف الآيوندور من الأشياء المادية، ولكن يظل للآيونات نفس التأثير، سواء كانت مرسومة في الهواء أو مصهورة من الفولاذ.

كانت تدريباته عديمة الجدوى، فمهما رسم الآيونات ببراعة لا يعمل أي منها. استخدم أظافره ليرسم بعض الخطوط الدقيقة حتى تكاد أن تكون غير مرئية، ثم رسم خطوطًا أخرى بثلاث أصابع جنبًا إلى جنب، تمامًا كما توضح النصوص. وكان كل شيء بلا فائدة، كل ما حفظه وكل ما فعله. لِمَ يُكلف نفسه هذا العناء؟

جاء صوت خطوات أقدام ثقيلة من الردهة، كان أحدث اختراعات ماريش حذاءً ذا نعل جلدي سميك مدعم بالمسامير. راقب رايودن من خلال آيونه شبه الشفاف بينما الباب ينفتح وجالادون يدخل.

قال الدولادي: "لقد جاء سيونها مرة أخرى يا سول".

"ألا يزال هنا؟".

هز جالادون رأسه وقال: "لقد غادر على الفور تقريبًا، أراد مني أن أخبرك أنها قد أقنعت اللوردات أخيرًا بالتمرد في وجه الملك تيلري".

تُرسل لهم سارين السيون كل يوم لتبلغهم بتقرير عن أنشطتها، وكان هذا الأمر نعمة ونقمة. يعرف رايودن أنه يجب أن يعرف بكل ما يحدث في الخارج، ولكنه في الوقت ذاته يتوق إلى الجهل النسبي الخالي من التوتر الذي كان عليه من قبل. حينها لم يكن عليه سوى القلق بشأن إيلانتريس، الآن عليه أن يقلق بشأن المملكة كلها. وهي الحقيقة التي كان عليه أن يتحملها إلى جانب المعرفة المؤلمة بأنه لا يوجد شيء يُمكنه أن يفعله للمساعدة.

"هل قال آش متى ستأتي دفعة الإمدادات التالية؟".

"الليلة".

قال رايودن: "عظيم. هل قال إن كانت ستأتي بنفسها؟".

هز جالادون رأسه وقال: "نفس الشروط كالسابق يا سول".

أومأ رايودن برأسه وهو يُبعد الحزن عن ملامحه، لم يكن يعرف الطريقة التي تستخدمها سارين لتوصيل الإمدادات، ولكن لسبب ما لا يُسمح لرايودن والآخرين بأخذ الصناديق إلا بعد ذهاب من أوصلوها.

قال جالادون ساخرًا: "دع الكآبة يا سول، إنها لا تُناسبك. يتطلب الأمر قدرًا كبيرًا من التشاؤم لكي يصل المرء إلى درجة معتبرة من الاكتئاب".

لم يستطع رايودن منع نفسه من الابتسام وهو يقول: "المعذرة، يبدو لي أنه بغض النظر عن محاولتنا لدفع المشكلات بعيدًا فإنها تتشبث بنا بنفس القدر من القوة".

"ما زلت لم تحرز أي تقدم مع الآيوندور؟".

قال رايودن: "لا، لقد قارنت الخرائط القديمة بالخرائط الجديدة بحثًا عن أي تغيير في الساحل أو سلسلة الجبال، ولكن لم يبدُ أن أي شيء قد تغير. لقد حاولت رسم الخطوط الأساسية بدرجات ميل مختلفة، ولكن كان هذا بلا جدوى. لا تظهر الخطوط ما لم أضعها في الميل الصحيح، نفس الميل المعتاد. حتى البحيرة في نفس المكان ولم تتغير، لا يُمكنني أرى أي اختلاف".

قال جالادون: "ربما لم يتغير شيء من الخطوط الأساسية يا سول، ربما نحتاج إلى إضافة شيء".

"فكرت في هذا، ولكن ما هو؟ أنا لا أعرف أي أنهار أو بحار جديدة، وبالتأكيد ليس هناك أي جبال جديدة في أريلون". أنهى رايودن الآيون الذي يرسمه ـ آيون إيه ـ بضربة ساخطة من إبهامه. نظر إلى منتصف الآيون، المركز الذي يمثل أريلون ومعالمها، لا شيء قد تغير.

باستثناء... عندما حدث الريود تشققت الأرض. صاح رايودن: "الصدع!".

قال جالادون في شك: "الصدع؟ ولكنه حدث بسبب الريود يا سول وليس العكس".

قال رايودن في حماس: "ولكن ماذا لو كان العكس؟ ماذا لو أن الزلزال حدث قبل الريود مباشرة؟ لقد تسبب في صدع إلى الجنوب، وفجأة صارت كل الآيونات عديمة الجدوى، صارت جميعها بحاجة إلى خط إضافي لكي تعمل، إن كل سحر الآيوندور. ومن ثم إيلانتريس. سينهار على الفور".

ركز رايودن على الآيون المعلق في الهواء أمامه، وبيد مترددة حرك إصبعه على الحرف المتوهج في المكان الذي يوجد فيه الصدع تقريبًا. لم يحدث شيء، لم يظهر أي خط، ومض الآيون ثم اختفى.

قال جالادون: "أخمن أن هذه هي نهاية الأمر يا سول".

قال رايودن وهو يرسم الآيون من جديد: "لا". راحت أصابعه تضرب وتدور في الهواء، متحركًا بسرعة لم يُدرك من قبل أنه قادر على تحقيقها، فأعاد تكوين الآيون في غضون ثوانٍ. توقف في النهاية ويده متجمدة بالأسفل تحت الخطوط الثلاثة الأساسية، يكاد أن يشعر...

ضرب الآيون بإصبعه وشق الهواء فظهر إثر هذا خط صغير ليقطع الآيون.

ثم هاجمه الدور بتدفق هادر من القوة، وهذه المرة لم يرتطم بأي جدار، بل تفجر عبر رايودن كالنهر. شهق والقوة تغمره للحظة، لقد انفجرت حرة كوحش كان محبوسًا في مكان ضيق لفترة طويلة، لقد كادت أن تبدو... مبتهجة.

ثم تلاشى الأمر فتعثر وهوى على ركبتيه.

سأله جالادون في قلق: "سول؟".

هز رايودن رأسه غير قادر على تفسير الأمر، لا يزال إبهام قدمه يؤلمه، لا يزال إيلانتريًّا، ولكن الدور قد تحرر. لقد... أصلح شيئًا ما، لن يهاجمه الدور مرة أخرى.

ثم سمع صوتًا كتأجج النيران، الآيون الذي قد رسمه كان يتوهج بضوء ساطع، صاح رايودن وهو يشير إلى جالادون أن ينحني بينما الآيون ينثني على نفسه وتتشوه خطوطه وهي تدور في الهواء، حتى شَكَّل قرصًا. ظهرت نقطة صغيرة من ضوء أحمر في منتصف القرص، ثم راحت تتمدد وصوت التأجج يتعالى ليصير صاخبًا. صار الآيون دوامة من النار، كان رايودن قادرًا على أن يشعر بالحرارة فتعثر إلى الوراء.

انفجر الآيون فقذف لسانًا من اللهب مر من فوق رأس جالادون مباشرة. ارتطم لسان اللهب برف الكتب مما أدى إلى تدميره في انفجار هائل، تطايرت الكتب والصفحات المشتعلة في الهواء، لترتطم بالجدران وأرفف الكتب الأخرى.

اختفى لسان اللهب فتلاشت الحرارة على الفور، فأحس رايودن بالعرق يتصبب على جسده، كانت بعض قصاصات الورق المحترقة لا تزال تهوي ناحية الأرض ببطء، وكل ما تبقى من رف الكتب هو كومة من الفحم المشتعل.

سأله جالادون: "ماذا حدث؟".

أجابه رايودن في دهشة: "أعتقد أنني دمرت للتو قسم علم الأحياء".

***

قال جالادون وهو يجلس على كومة من الكتب شبه المحترقة: "أقترح في المرة القادمة يا سول ألا تختبر نظرياتك باستخدام آيون إيه". لقد أمضيا الساعة الأخيرة في تنظيف المكتبة والتيقن من إطفاء كل شعلة لهب.

قال رايودن وقد جعلته سعادته الغامرة لا يكترث بالدفاع عن نفسه: "أتفق معك، ولكن تصادف أن هذا كان الآيون الذي كنت أتدرب عليه، لم يكن الأمر ليصير دراميًّا للغاية لو لم أضع عليه الكثير من المعدِّلات".

أجال جالادون نظره في المكتبة، كان هناك ندبة سوداء تشير إلى مكان الرف المحترق وقد تناثرت عدة كومات من المجلدات شبه المحترقة في أرجاء الحجرة.

سأل رايودن: "هلا جربنا آيونًا آخر؟".

قال جالادون ساخرًا: "بشرط ألا ينطوي الأمر على حريق".

أومأ رايودن برأسه ثم رفع يده ليرسم آيون آش. أنهى الحرف الذي على هيئة صندوق مزدوج ثم أضاف خط الصدع، قبل أن يخطو للوراء وينتظر في قلق.

راح الآيون يتوهج، وقد بدأ الضوء من عند طرف خط الساحل، ثم تأجج عبر الآيون بالكامل كألسنة لهب تجتاح بركة من الزيت. تحولت الخطوط في البداية إلى اللون الأحمر، ثم إلى اللون الأبيض الساطع، كمعدن في مصهر. استقر اللون لتغرق الحجرة في وهج خافت.

همس جالادون: "لقد نجح الأمر يا سول، بحق الدولوكين، لقد نجح بالفعل!".

أومأ رايودن برأسه في حماس ثم اقترب من الآيون مترددًا ليضع يده عليه. لم يكن هناك حرارة، تمامًا كما يوضح الكتاب. ولكن كان هناك شيء واحد خاطئ.

قال: "إنه ليس ساطعًا كما يجب أن يكون".

سأله جالادون: "ما الذي يجعلك متيقنًا من هذا؟ إنه أول آيون تراه يعمل".

هز رايودن رأسه وقال: "لقد قرأت بما يكفي لأن أعرف، إن آيون آش كبيرًا بهذا الحجم يجب أن يكون ساطعًا بما يكفي لإنارة المكتبة بأسرها، ولكنه بالكاد مضيء كمصباح".

مد يده ونقر الآيون في منتصفه، فتلاشى الوهج على الفور، ثم اختفت خطوط الآيون واحدًا تلو الآخر، كأنما تمحوها إصبع غير مرئي. ثم رسم آيون آش آخر، وهذه المرة أضاف كل معدلات زيادة القوة التي يعرفها. عندما استقر هذا الآيون أخيرًا بدا أكثر سطوعًا من الآيون الأول، ولكنه لم يكن قريبًا من السطوع الذي يجب أن يكون عليه.

قال رايودن: "لا يزال هناك أمر ما، يجب أن يكون الآيون ساطعًا للغاية فلا نقدر على النظر إليه".

سأله جالادون: "هل تعتقد أن الخطأ في خط الصدع؟".

"لا، من الواضح أنه كان جزءًا كبيرًا من المشكلة. الآيوندور يعمل الآن، ولكن شيئًا ما يعيق قوته. لا شك أن هناك شيئًا آخر، ربما خط آخر نحتاج إلى إضافته".

أطرق جالادون بعينيه لينظر إلى ذراعيه، حتى على بشرته الدولادية البنية الداكنة كان من السهل تمييز البقع الإيلانترية المريضة. "فلتجرب آيون الشفاء يا سول".

أومأ رايودن برأسه ثم رسم آيون آين في الهواء. أضاف المعدلات التي تحدد أن الهدف هو جسد جالادون بالإضافة إلى ثلاث علامات لزيادة القوة، أنهى الآيون بخط صدع صغير فومض الآيون قليلًا ثم تلاشى.

سأل رايودن: "هل شعرت بأي شيء؟".

هز الدولادي رأسه ثم رفع ذراعه ليتفحص جرحًا في مرفقه، كان قد أصيب به قبل بضعة أيام عندما انزلق في أحد الحقول، فوجده كما هو.

قال جالادون في خيبة أمل: "لا يزال الألم موجودًا يا سول، وقلبي لا ينبض".

قال رايودن: "لم يتصرف الآيون كما ينبغي، لقد اختفى كذي قبل، عندما لم نكن نعرف عن خط الصدع، لم يتمكن الدور من أن يجد هدفًا لقوته".

قال جالادون بصوت محبط مرير: "إذن ما الفائدة يا سول؟ سنظل نتعفن في هذه المدينة".

وضع رايودن يده على كتف الدولادي ليواسيه وهو يقول: "الأمر ليس عديم الفائدة يا جالادون، لدينا قوة الإيلانتريين، قد لا يعمل بعضها، ولكن هذا قد لا يعني إلا أننا لم نجرب بما فيه الكفاية. فكِّر في الأمر! هذه هي القوة التي منحت إيلانتريس جمالها، القوة التي كانت تغذي كل أريلون. لا تتخلَّ عن الأمل وقد اقتربنا إلى هذا الحد".

نظر إليه جالادون ثم ابتسم بأسى وقال: "لا يمكن لأحد أن يستسلم بينما يرافقك يا سول، أنت ترفض بشكل قاطع أن تترك المرء يستسلم لليأس".

***

مع تجربتهما المزيد من الآيونات صار من الواضح أنه لا يزال هناك شيء يحجب الدور، يمكنهما أن يجعلا كومة من الورق تطفو، ولكن ليس كتابًا كاملًا. لقد حولا أحد الجدران إلى اللون الأزرق، ثم أعاداه إلى لونه الطبيعي، وتمكن رايودن من تحويل كومة من الفحم إلى بضع حبات من الذرة. كانت النتائج مشجعة ولكن العديد من الآيونات فشلت تمامًا.

على سبيل المثال أي آيون يستهدف أيهما يومض قبل أن يتلاشى دون أدنى تأثير. كانت الآيونات قادرة على استهداف ملابسهما ولكن ليس جسديهما. كسر رايودن طرف ظفر إبهامه، وحاول أن يجعله يطفو، ولكنه لم ينجح على الإطلاق. الفرضية الوحيدة التي يُمكن أن يطرحها هي نفس الفرضية التي طرحها من قبل.

راقب ورقة تطفو أمامه قبل أن تشتعل فيها النيران، يبدو أنه من الممكن ربط الآيونات معًا. قال مفسرًا: "إن أجسادنا متجمدة في منتصف تحولها يا جالادون. لم ينتهِ الشايود منا بعد، أيًّا كان ما يمنع الآيونات من الوصول إلى قدراتها الكاملة فإنه يمنعنا أيضًا من أن نصير إيلانتريين حقيقيين. يبدو أنه لا يمكن لأي آيون أن يؤثر فينا حتى ينتهي تحولنا".

قال جالادون وهو يتدرب على آيون آش: "ما زلت لا أفهم ذلك الانفجار الأول يا سول". لا يعرف الدولادي سوى عدد قليل من الآيونات، وواجهت أصابعه الغليظة صعوبة في رسمها بدقة، وبينما يتحدث ارتكب خطأً طفيفًا فتلاشى الحرف على الفور. عقد حاجبيه ثم أكمل سؤاله: "لقد بدا قويًّا للغاية، لمَ لم ينجح أي آيون آخر بعده بنفس الكفاءة؟".

قال رايودن: "أنا لست واثقًا". قبل بضع لحظات كان قد رسم من جديد في تردد آيون إيه بنفس المعدلات، ليصنع طلسمًا معقدًا كان من المفترض أن يُشكل لسانًا آخر من اللهب. بدلًا من هذا بالكاد أصدر الآيون ما يكفي من النار لتدفئة كوب من الشاي. شك أن الانفجار الأول له علاقة باندفاع الدور من خلاله... تعبيرًا عن الحرية التي طال انتظارها.

قال رايودن: "ربما هناك نوع ما من التراكم في الدور، مثل مستودع من الغاز الطبيعي محتبس أعلى كهف، وأول آيون رسمته قد استنزف هذا المخزون".

هز جالادون كتفيه، كان هناك الكثير مما لا يفهمه. جلس رايودن للحظة لتقع عيناه على أحد المجلدات، فخطرت له فكرة.

اندفع إلى كومة كتب الآيوندور واختار مجلدًا كبيرًا يبدو أنه لا يحتوي على شيء سوى صفحة تلو الأخرى من الرسومات البيانية للآيونات. كان قد ترك جالادون وراءه وهو على وشك أن يقول شيئًا، فلحق به بتعبير متجهم ثم أطل من فوق كتف رايودن على الصفحة التي اختارها.

كان الآيون متشعبًا ومعقدًا، حتى إن رايودن اضطر لقطع عدة خطوات إلى الجانب بينما يرسمه، وقد تجاوزت المعدلات والمحددات الآيون المركزي بكثير. كانت ذراعه تؤلمه بحلول الوقت الذي انتهى فيه من الرسم، فبدا البناء المعلق في الهواء كجدار من خطوط متوهجة، ثم بدأ يسطع بينما النقوش تدور وتحيط بجسد رايودن. صرخ جالادون في دهشة مع الضوء الساطع المفاجئ.

في غضون بضع ثوانٍ تلاشى الضوء وأدرك رايودن من وجه جالادون أنه قد نجح.

"سول... لقد نجحت، لقد شفيت نفسك".

هز رايودن رأسه وقال: "للأسف لا، إنه مجرد وهم، انظر". ثم رفع يديه اللتين كانتا لا تزالان رماديتين ومبقعتين باللون الأسود. ولكنه وجهه كان مختلفًا. اقترب من اللوح المعدني المصقول الموضوع على طرف أحد الأرفف لينظر إلى انعكاسه. كانت الصورة الضبابية تُظهر وجهًا غير مألوف. صحيح أنه خالٍ من البقع، ولكنه لا يُشبه وجهه الحقيقي قبل أن يصيبه الشايود على الإطلاق.

سأله جالادون: "وهم؟".

أومأ رايودن برأسه وقال: "إنه مبني على آيون شايو، ولكن هناك الكثير من الأشياء الممتزجة مع الآيون الأساسي، حتى إنه يكاد أن يكون غير مهم".

"ولكن ظننت أن الآيونات لا يمكنها أن تستهدف الإيلانتريين".

قال رايودن وهو يلتفت: "هذا صحيح، إنه يستهدف قميصي. الوهم مثل قطعة من الثياب، إنه لا يغطي إلا جلدي، ولا يغير أي شيء".

"وفيم سينفعنا هذا؟".

ابتسم رايودن وقال: "سيُخرجنا من إيلانتريس يا صديقي".

# الفصل الخمسون

"ما الذي استغرقك كل هذا الوقت؟".

قال آش وهو يحلق داخلًا من نافذة العربة: "لم أستطع أن أجد سبيريت يا سيدتي، لذا كان عليَّ أن أوصل الرسالة إلى السيد جالادون، وبعد هذا ذهبت لأتحقق من الملك تيلري".

نقرت سارين على وجنتها في انزعاج وقالت: "كيف حاله إذن؟".

"جالادون أم الملك يا سيدتي؟".

"الملك".

قال السيون بنبرة مستاءة: "إن جلالته مشغول بالاسترخاء في قصره بينما نصف نبلاء أريلون ينتظرونه بالخارج. أعتقد أن أكبر شكوى لديه الآن هي أنه لم يتبقَّ عدد كافٍ من الشابات في خدم القصر".

قالت سارين وهي تهز رأسها: "لقد استبدلنا أحمق بآخر. كيف تمكن هذا الرجل من أن يحوز ما يكفي من المال لكي يصير دوقًا؟".

قال آش: "لم يفعل يا سيدتي، كان معظم الفضل لأخيه، وقد ورث تيلري الرجل بعد موته".

تنهدت سارين وهي تتكئ للوراء بينما تتعثر العربة بأحد المطبات، ثم قالت: "هل يذهب هراثن إلى هناك؟".

"في كثير من الأحيان يا سيدتي، من الواضح أنه يزور الملك يوميًا".

سألت سارين في سخط: "ما الذي ينتظرانه؟ لِمَ لَمْ يبدل تيلري دينه حتى الآن؟".

"لا أحد يعرف على وجه اليقين يا سيدتي".

عقدت سارين حاجبيها، إن استمرار اللعبة يجعلها في حيرة من أمرها، كان معروفًا أن تيلري يحضر الاجتماعات الديريثية، ولم يكن هناك سبب يدفعه للحفاظ على التظاهر بكونه كوراثيًّا محافظًا. سألته في تخوف: "ألا يوجد أي أخبار جديدة حول ذلك الإعلان الذي يُفترض أن الجيورن قد صاغه؟".

أجابها: "لا يا سيدتي". فأحست بالارتياح. تزعم الشائعات أن هراثن يُخطط لسن قانون يجبر كل أريلون على التحول إلى الشو–ديريث وإلا فالعقاب هو السجن. رغم أن التجار تظاهروا بأن كل شيء على ما يرام وهم يقيمون سوق أريلون الربيعي إلا أن المدينة بأسرها كانت على حافة الانهيار العصبي، مع إحساس بالتوتر الشديد.

كانت سارين قادرة على تخيل المستقبل بسهولة، سيُرسل الويرن أسطولًا من الكهنة إلى أريلون، ومن ورائهم رهبانه المحاربون. سيكون تيلري في البداية مواليًا، ثم سيعتنق الدين، ولن يكون في النهاية أكثر من مجرد بيدق. في غضون بضع سنوات ستصير أريلون بلدًا من المؤمنين بالديريثية، وبالتالي مجرد امتداد لفيوردن نفسها. ما إن يضع هراثن قانونه موضع التنفيذ فسيسارع الكهنة في اعتقال سارين والبقية، سيحتجزونهم، أو على الأرجح سيعدمونهم. وبعدها لن يكون هناك من يعارض فيوردن، سينتمي العالم المتحضر بأسره إلى الويرن، وسيتحقق أخيرًا حلم الإمبراطورية القديمة.

ولكن رغم كل هذا كان حلفاؤها يتجادلون ويتناقشون، لا يصدق أي منهم أن تيلري سيوقع على وثيقة تجبر الناس على تبديل دينهم، مثل هذه الفظائع لا تحدث في واقعهم. إن أريلون مملكة مسالمة، حتى الثورات المزعومة قبل عقد من الزمان لم تكن بمثل هذا التخريب، ما لم

يكن المرء إيلانتريًّا. يريد أصدقاؤها أن يتحركوا بحذر، وهي تتفهم حيطتهم، بل إنها شيء حميد، ولكن توقيتهم سيئ للغاية. لحسن الحظ ستنال فرصة للتدرب على المبارزة هذا اليوم، فهي بحاجة للتنفيس عن القليل من العدوانية.

وكأنما استجابة لأفكارها توقفت العربة أمام قصر رويال. بعد انتقال تيلري إلى القصر الملكي نقل النسوة مكان تدريبهن إلى حدائق الدوق العجوز، كان الجو دافئًا مؤخرًا ويحمل نسيمًا عليلًا كأن الربيع قد قرر أن يبقى هذه المرة وقد رحب الدوق رويال بهن.

تفاجأت سارين لإصرار النسوة على مواصلة التدرب على المبارزة، ولكن السيدات قد أظهرن القوة في عزيمتهن. سيستمر هذا الاجتماع مرة كل يومين كما يجري الأمر منذ أكثر من شهر. من الواضح أن سارين لم تكن الوحيدة التي تحتاج إلى فرصة للتنفيس عن إحباطها بالسيف.

ترجلت عن العربة وهي ترتدي بدلة التدريب المعتادة والشعر المستعار الجديد. وبينما تدور حول المبنى استطاعت أن تميز صليل سيوف الساير في الأرض الواقعة وراء القصر. كانت منصة حديقة رويال مكانًا ممتازًا للتدريب، لما توفره من ظل وأرضية خشبية. كانت معظم النسوة قد وصلن بالفعل فاستقبلن سارين بالابتسامة والمجاملات المتبادلة. لم تكن أي منهن قد تجاوزت بعد عودتها المفاجئة من إيلانتريس، فقد صرن ينظرن إليها باحترام وخوف أكثر من ذي قبل. أومأت لهن سارين برأسها في مودة ولطف. إنها تحب هؤلاء النسوة حتى لو لم يكن بمقدورها أن تكون واحدة منهن.

ولكن رؤيتهن قد ذكرتها بالإحساس الغريب بالخسارة الذي لا يزال ينتابها بعد مغادرتها إيلانتريس. لم تكن تفتقد سبيريت فحسب، فقد كانت إيلانتريس هي المكان الوحيد الذي أحست أنه يقبلها قبولًا غير مشروط. لم تكن أميرة، بل كانت شيئًا أفضل بكثير؛ فردًا من مجتمع يكون كل شخص فيه له دور فعَّال. لقد أحست بالدفء من هؤلاء الإيلانتريين ذوي البشرة ممتزجة الألوان، والرغبة في أن يقبلوها في حياتهم وأن يمنحوها جزءًا من أنفسهم.

هناك في قلب أكثر مدينة ملعونة في العالم أقام سبيريت مجتمعًا يجسد التعاليم الكوراثية. تبشر الكنيسة ببركات الاتحاد، لذا كانت مفارقة ساخرة أن الأشخاص الوحيدين الذين يطبقون هذه المثل هم هؤلاء الذين قد لُعنوا.

هزَّت سارين رأسها وهي تضرب بسيفها للأمام في طعنة تدريبية لتبدأ الإحماء. لقد أمضت معظم حياتها الراشدة في سعي دؤوب وراء القبول والحب، وعندما عثرت على كليهما أخيرًا تركتهما وراءها.

لا تعرف كم أمضت في تدريباتها، فقد اندمجت في مجموعة من الضربات المتعاقبة بمجرد انتهائها من الإحماء. كانت أفكارها تتمحور حول إيلانتريس ودومي ومشاعرها ومفارقات الحياة التي لا يُمكن فهمها. كانت تتصبب عرقًا بحلول الوقت الذي أدركت فيه أن النسوة الأخريات قد توقفن عن المناوشة.

نظرت سارين إليهن في دهشة، كن جميعًا مجتمعات في جانب المنصة، يثرثرن فيما بينهن، وينظرن إلى شيء لا تستطيع سارين أن تراه. تحركت إلى الجانب في فضول حتى منحها طولها ميزة النظر إلى الشيء الذي يحظى باهتمامهن، فأدركت أنه رجل.

كان يرتدي ثيابًا حريرية فاخرة باللونين الأزرق والأخضر، وعلى رأسه قبعة مريشة، كان له بشرة بنية فاتحة لأرستقراطي دولادي، لم تكن بشرته داكنة مثل بشرة شودن، ولكنها ليست فاتحة مثل بشرة سارين. كان وجهه مستديرًا وعليه أمارات السعادة، وتحيط به هالة من التأنق وعدم المبالاة. إنه دولادي بالفعل. كان الخادم أسمر البشرة الذي يقف إلى جانبه ضخم الجسد مفتول العضلات، كمعظم الدولاديين الأدنى مرتبة. لم ترَ أيًّا من الرجلين من قبل.

سألت سارين: "ما الذي يحدث هنا؟".

قال آش وهو يحلق مقتربًا منها: "اسمه كالو يا سيدتي، وقد وصل قبل بضع لحظات، من الواضح أنه أحد الدولاديين الجمهوريين القلائل، الذين هربوا من مذبحة العام الماضي. كان مختبئًا في جنوب أريلون حتى وقت قريب عندما سمع أن الملك آيادون يبحث عن رجل ليأخذ ممتلكات البارون إيدان".

عقدت سارين حاجبيها، كان هناك شيء يزعجها حيال الرجل. فجأة انفجرت النسوة في الضحك على أحد تعليقاته، يقهقهن كأن هذا الدولادي رجل مألوف ذو مكانة من رجال البلاط. بحلول الوقت الذي سكنت فيه الضحكات كان الدولادي قد لاحظ وجود سارين.

قال كالو وهو ينحني بشكل منمق: "أوه، لا شك أنك الأميرة سارين، يقولون إنك أجمل امرأة في كل أوبيلون".

أجابته سارين ببطء: "لا تصدق كل ما يقوله الناس يا سيدي".

وافقها وهو ينظر إلى عينيها: "بالطبع، لا أصدق سوى الحقائق".

احمر وجه سارين خجلًا رغمًا عنها. لا تحب الرجال الذين يمكنهم فعل هذا بها. قالت سارين وهي تضيق عينيها: "أخشى أنك قد فاجأتنا يا سيدي، فقد كنا نتدرب بحماس، ولسنا في وضع يسمح لنا باستقبالك كما يليق بالسيدات".

قال كالو: "أعتذر عن وصولي المفاجئ يا سمو الأميرة". ورغم كلماته المهذبة إلا أنه بدا غير مكترث بمقاطعته لما يبدو بوضوح أنه اجتماع خاص. "بمجرد وصولي إلى هذه المدينة العظيمة ذهبت أولًا لأُقدم احترامي للقصر الملكي، ولكن قيل لي إن عليَّ أن أنتظر أسبوعًا على الأقل لأقابل الملك نفسه. وضعت اسمي في القائمة، ثم طلبت من سائق عربتي أن يصطحبني في جولة في أرجاء مدينتكم الجميلة. لقد سمعت عن الدوق المرموق رويال، فقررت أن آتي لزيارته، وكانت دهشتي كبيرة لرؤيتي كل هذه النسوة الجميلات في حديقته".

كانت سارين على وشك أن تعلق تعليقًا ساخرًا، ولكن قاطعها وصول الدوق رويال. من الواضح أن الرجل العجوز قد أدرك أخيرًا أن هناك دولاديًّا جوالًا قد اقتحم ممتلكاته. مع اقتراب الدوق انحنى له كالو في واحدة من انحناءاته المضحكة وهو يلوح بقبعته الكبيرة أمامه. ثم راح يمدح الدوق ويخبره كم يشرفه أن يقابل رجلًا مبجلًا مثله.

قالت سارين لآش بصوت خافت: "لا يعجبني هذا الرجل".

قال آش: "بالطبع يا سيدتي، فأنتِ لم تكوني قط على وفاق مع الأرستقراطيين الدولاديين".

قالت سارين بإصرار: "ليس هذا فحسب، ولكن شيئًا حياله يبدو زائفًا، إنه لا يتحدث بلكنة".

"معظم مواطني الجمهورية يتحدثون الآيونية بطلاقة، وخصوصًا إن كانوا يعيشون بالقرب من الحدود. لقد التقيت بالعديد من الدولاديين الذين يتحدثون دون أدنى لكنة".

اكتفت سارين بعقد حاجبيها، وبينما تراقب الرجل أدركت ما الذي يزعجها. إن كالو نمطي للغاية، إنه يمثل كل شيء يُقال عن الأرستقراطيين الدولاديين؛ متغطرسًا بحماقة، مبالغًا في التأنق والتهذيب، وغير مبالٍ تمامًا بكل شيء تقريبًا. إن كالو هذا أشبه بصورة نمطية لا يجب أن توجد، تجسيدًا حيًّا للنبيل الدولادي المثالي.

انتهى كالو من التعريف بنفسه ثم انتقل إلى السرد الدرامي لقصة وصوله، كان رويال يُنصت لكل هذا مبتسمًا، فقد تعامل الدوق مع الكثير من الدولاديين، ومن الواضح أنه يعرف أن أفضل طريقة للتعامل معهم هي الابتسام والإيماء من آن لآخر.

قدمت إحدى النساء قدحًا لكالو فابتسم وهو يشكرها قبل أن يتجرع النبيذ دُفعة واحدة دون أن يتوقف عن سرد حكايته، فقد عاد على الفور إلى مواصلة الحديث. لا يتحدث الدولاديون بأفواههم فحسب، بل يستخدم الواحد منهم جسده كله في سرد الحكاية. كان

الحرير والريش يتمايلون بينما كالو يصف دهشته لمعرفة أن الملك آيادون قد مات وأن هناك ملكًا جديدًا على العرش.

"ربما يود سيدي أن ينضم إلينا". قالتها سارين لتقاطع كالو، وهي عادة الطريقة الوحيدة لدخول محادثة مع دولادي.

رمش كالو بعينيه في دهشة، وقد انقطع تدفق كلماته للحظة وجيزة، ثم سألها في تردد: "أنضم إليكن؟". كان باستطاعة سارين أن تشعر بارتباكه قبل أن يعود إلى تقمص الشخصية من جديد. تزايد يقينها من أن هذا الرجل ليس ما يدعيه، ولحسن الحظ خطر على بالها طريقة لاختباره.

قالت سارين: "بالطبع يا سيدي، يُقال إن المواطنين الدولاديين هم أمهر مبارزين في العالم، أفضل حتى من الجادوريين. أنا متيقنة من أن السيدات هنا سينبهرن برؤية محترف حقيقي وهو يبارز".

قال كالو: "أنا ممتن غاية الامتنان لعرضك يا سمو الأميرة الكريمة، ولكني لا أرتدي الملابس اللائقة...".

قاطعته سارين قائلة: "ستكون مباراة سريعة يا سيدي". ثم أمسكت بحقيبتها وأخرجت اثنين من أفضل سيوف الساير، تلك التي لها أطراف حادة بدلًا من الكرات البسيطة. شقت الهواء بأحد السيفين في ضربة احترافية وهي تنظر إلى الدولادي مبتسمة.

قال الدولادي: "لا بأس، دعينا نتبارى إذن".

توقفت سارين وهي تحاول أن تقيم إن كان الرجل يخادعها أم لا. لم تكن تنوي أن تقاتله حقًّا، وإلا لما اختارت النصلين الخطيرين. فكرت للحظة ثم هزَّت كتفيها بلا اكتراث قبل أن تُلقي إليه بأحد السيفين. إن كان يُخادع فستفضحه بطريقة محرجة للغاية، وربما مؤلمة.

نزع كالو سترته ذات اللون الفيروزي اللامع ليكشف من تحتها عن القميص الأخضر المكشكش، ثم لدهشتها اتخذ وقفة المبارزة، رافعًا يده من ورائه، وهو يرفع طرف الساير بشكل هجومي.

قالت سارين: "حسنًا". ثم هاجمت.

قفز كالو إلى الوراء مع انقضاضها، وهو يدور حول الدوق رويال المذهول، ويتفادى ضربات سارين. كان هناك العديد من الصرخات الخائفة من النسوة بينما سارين تندفع من بينهن وهي تضرب بنصلها ناحية الدولادي المراوغ. سرعان ما خرجت إلى ضوء الشمس وهي تقفز من على المنصة الخشبية لتستقر بقدمين حافيتين على العشب الناعم.

رغم صدمة النسوة مما حدث حرصن على ألا يفوتن ضربة واحدة. كانت سارين قادرة على أن تراهن يلحقن بها هي وكالو بينما يتحركان ناحية الباحة في منتصف حدائق رويال.

كان الدولادي بارعًا بشكل مفاجئ، ولكنه لم يكن محترفًا. لقد أمضى الكثير من الوقت وهو يصد هجماتها، وكان من الواضح أنه غير قادر على أن يفعل شيئًا سوى الدفاع. إن كان حقًّا واحدًا من الأرستقراطيين الدولاديين فإنه إذن واحد من أسوأ المبارزين. لقد قابلت سارين عددًا من المواطنين الجمهوريين الذين كانوا أسوأ منه، ولكن في المتوسط كان بإمكان ثلاثة من كل أربعة أن يهزموها.

تخلى كالو عن تظاهره باللامبالاة وصب تركيزه على منع سيف سارين من تمزيقه إربًا. قطعا الطريق المؤدي إلى الباحة بينما كالو يتراجع بضع خطوات مع كل ضربة يصدها. بدا مندهشًا عندما خطا على القرميد بدلًا من العشب، قبل أن يصل إلى النافورة المركزية في حدائق رويال.

تقدمت سارين بحماس أكبر عندما تعثر كالو في الأرضية القرميدية، وأجبرته على التراجع حتى اصطدم فخذه بحافة النافورة ذاتها. لم يكن هناك أي مكان آخر يُمكن أن يذهب إليه، أو هكذا

اعتقدت. راقبت في دهشة الدولادي وهو يقفز إلى الماء، وبركلة من ساقه نثر الماء ناحيتها، ثم قفز خارجًا من النافورة إلى يمينها.

شق سيف سارين الماء، بينما كالو يقطع الهواء إلى جانبها. أحست بطرف نصلها يضرب شيئًا لينًا فأطلق النبيل صرخة ألم خافتة تكاد أن تكون غير مسموعة. دارت سارين على عقبيها وهي ترفع نصلها لتضرب مرة أخرى، ولكن كالو كان جاثيًا على ركبتيه وقد غرس سيفه في الأرض اللينة وهو يرفع زهرة صفراء زاهية ناحية سارين.

قال بصوته الدرامي: "آه يا سيدتي، لقد عثرتِ على نقطة ضعفي. لم أكن من قبل قادرًا على أن أواجه امرأة جميلة في نزال، فقلبي يذوب وركبتاي ترتجفان ويرفض سيفي أن يهاجم". ثم أحنى رأسه وهو يقدم إليها الزهرة، فتنهدت النسوة المجتمعات من ورائه بشكل حالم.

خفضت سارين سيفها في تردد، من أين حصل على هذه الزهرة؟ تنهدت وهي تقبل الهدية، كلاهما يعرف أن عذره لم يكن سوى طريقة ملتوية للهرب من موقف محرج، ولكن كان على سارين أن تحترم دهاءه. لم ينجح فقط في تجنب الظهور بمظهر أحمق، ولكنه في الوقت ذاته أثار إعجاب النسوة بحسه الرومانسي اللبق.

تفحصت سارين الرجل عن كثب وهي تبحث عن الجرح، كانت واثقة من أن نصلها قد خدش وجهه عندما قفز من النافورة، ولكن لم يكن هناك أدنى أثر للضربة. نظرت إلى طرف سيفها في تردد، لم يكن هناك دماء عليه، لا شك أنها أخفقت في إصابته رغم كل شيء.

صفقت النساء لهذا العرض وطلبن من الرجل المتأنق في إلحاح أن يعود معهن إلى المنصة. بينما كالو يغادر نظر إليها مبتسمًا، لم تكن تلك الابتسامة السخيفة المتأنقة كذي قبل، بل ابتسامة العارف ببواطن الأمور، ابتسامة بدت لسبب ما مألوفة بشكل مدهش. انحنى في واحدة من انحناءاته السخيفة قبل أن يسمح لهن باصطحابه.

# الفصل الواحد والخمسون

كانت خيام السوق عبارة عن مزيج من الألوان الزاهية في وسط المدينة، سار بينها هراثن وقد لاحظ باستياء البضائع غير المباعة والشوارع الخاوية. العديد من التجار كانوا من الشرق، لقد أنفقوا الكثير من المال لشحن بضائعهم إلى أريلون من أجل سوق الربيع، إن فشلوا في بيع هذه البضائع ستكون خسائرهم ضربة مالية قد لا يتعافون منها أبدًا.

معظم التجار يرتدون الملابس الفيوردية ذات الألوان الداكنة، وكانوا يحنون رؤوسهم في احترام أثناء مروره. لقد أمضى هراثن وقتًا طويلًا بعيدًا عن وطنه، أولًا في دولادل ثم في أريلون، حتى إنه كاد أن ينسى المعاملة باحترام لائق. حتى وهم يحنون رؤوسهم كان هراثن قادرًا على أن يرى القلق في أعين هؤلاء التجار. لقد خططوا لهذا السوق لأشهر، واشتروا بضاعتهم، وأجروا السفن، قبل موت الملك آيادون بكثير. حتى مع هذه الاضطرابات لم يكن لديهم خيار سوى محاولة بيع ما يقدرون عليه.

كانت عباءة هراثن تخفق من ورائه وهو يتجول في السوق، ودروعه تقعقع بأريحية مع كل خطوة. كان يُظهر ثقة لا يشعر بها، محاولًا أن يمنح التجار قدرًا من الإحساس بالأمان. لم تكن الأمور على ما يرام على الإطلاق، إن مكالمته العاجلة مع الويرن عبر السيون كانت بعد فوات الأوان، لقد وصلته رسالة تيلري بالفعل. لحسن الحظ لم يُظهر الويرن إلا قدرًا ضئيلًا من الغضب تجاه غطرسة تيلري.

لم يعد هناك متسع من الوقت، لقد أشار الويرن إلى أنه لا يصبر كثيرًا على الحمقى، وأنه لن يمنح أجنبيًا لقب جيورن. ولكن اجتماعات هراثن اللاحقة مع تيلري لم تسر على ما يرام،

فرغم أنه بدا عقلانيًّا أكثر من اليوم الذي طرد فيه هراثن لا يزال الملك يعترض على كل مقترحات التعويض المادي. إن مماطلته في تبديل دينه قد أربكت بقية أريلون.

كانت السوق الخالية من الزبائن تجسيدًا لحالة الاضطراب التي تعصف بنبلاء أريلون. فجأة لم يعودوا واثقين إن كان من الأفضل أن يبدوا الولاء للديانة الديريثية أم لا، لذا اكتفوا بالاختباء. قل عدد الحفلات والتجمعات، وأحجم الناس عن الذهاب إلى الأسواق، واكتفوا بالانتظار ليروا ما سيفعله ملكهم، إن كل شيء متوقف على قرار تيلري.

قال هراثن لنفسه: *ستنال مرادك يا هراثن، لا يزال لديك شهر، لديك الوقت الكافي للإقناع والمداهنة والتهديد، سيفهم تيلري حماقة مطلبه وسيبدل دينه.*

ورغم طمأنته لنفسه أحس هراثن أنه على حافة الهاوية. إنه يلعب لعبة توازن خطيرة، إنه لم يُحكم قبضته حقًّا على نبلاء أريلون، ليس بعد، معظمهم لا يزالون مهتمين بالمظهر أكثر من الجوهر. إن كان سيسلم أريلون إلى الويرن فسيسلمه في أفضل الأحوال مجموعة من المتدينين غير المخلصين، ويأمل أن يكون هذا كافيًا.

توقف هراثن عندما رأى حركة بالقرب من خيمة إلى جانبه. كانت الخيمة عبارة عن هيكل أزرق كبير بتطريز باهظ، وإلى جانبه سرادقات كالأجنحة، وكان النسيم يجلب روائح البهارات والدخان؛ تاجر بخور.

عقد هراثن حاجبيه، كان واثقًا من أنه قد رأى الرداء الديريثي الأحمر بينما شخص يحني رأسه ويدلف إلى الخيمة. من المفترض أن يكون الأراتثة في خلوة تأملية في ذلك الوقت، لا أن يتسكعوا للتبضع. قرر هراثن أن يكتشف الكاهن الذي قد عصى أمره، فخطا قاطعًا الممر ودخل الخيمة.

كان المكان مظلمًا بالداخل، فقد حجبت الجدران القماشية السميكة أشعة الشمس. كان هناك مصباح واحد مشتعل في أحد جوانب الخيمة، ولكن الهيكل الكبير كان مكدسًا بالصناديق والبراميل والسلال، حتى إن هراثن لم يستطع أن يرى سوى الظلال. وقف للحظة وعيناه تعتادان الضوء الخافت، لم يبدُ أن هناك أي شخص بداخل الخيمة، ولا حتى تاجر.

خطا للأمام وهو يتحرك عبر موجات من الرائحة الحلوة النفاذة، فروائح الرمل الحلو والصابون والزيوت كانت جميعها تعطر الهواء، فارتبك عقله بفعل الروائح العديدة المتداخلة. بالقرب من نهاية الخيمة وجد مصباحًا وحيدًا موضوعًا على صندوق رماد، بقايا بخور محترق. خلع هراثن قفازه ثم مد يده ليفرك المسحوق الناعم بين أصابعه.

سأله صوت: "الرماد أشبه بحطام سلطتك، أليس كذلك يا هراثن؟".

دار هراثن على عقبيه وقد جفل إثر الصوت، كان هناك شخص يقف وراءه في الخيمة تكتنفه الظلال، ويرتدي الروب الديريثي المألوف.

سأله هراثن: "ما الذي تفعله هنا؟". ثم أولى ظهره لديلاف لينفض الرماد عن يده ويرتدي قفازه من جديد.

لم يُجبه ديلاف، بل اكتفى بالوقوف في الظلمة، ووجهه غير المرئي يثير أعصابه بنظرته المحدقة.

قال هراثن وهو يلتفت إليه: "ديلاف؟ لقد سألتك سؤالًا".

همس ديلاف: "لقد فشلت هنا يا هراثن، ذلك الأحمق تيلري يتلاعب بك، يتلاعب بك أنت، جيورن من الشو-ديريث. الرجال لا يفرضون مطالبهم على الإمبراطورية الفيوردية. لا يُفترض أن يحدث هذا".

أحس هراثن بوجهه يحتقن غضبًا فقال في حدة: "ما الذي تعرفه أنت عن مثل هذه الأشياء؟ اتركني وشأني أيها الأرتيث".

ولكن ديلاف لم يتحرك من موضعه، بل قال: "أعترف أنك كنت قاب قوسين أو أدنى، ولكنك أضعت الانتصار بسبب حماقتك".

قال هراثن: "هذا هراء!". ثم شق طريقه متجاوزًا الرجل الضئيل عبر الظلمة متوجهًا ناحية المخرج وهو يقول: "معركتي أبعد ما تكون عن الانتهاء، لا يزال لدي وقت".

سأله ديلاف: "حقًّا؟". ومن طرف عينه رأى هراثن ديلاف يقترب من الرماد ويمرر أصابعه من خلاله وهو يقول: "لقد تسلل كل شيء من بين أصابعك، أليس كذلك يا هراثن؟ إن انتصاري سيكون جميلًا للغاية في وجه فشلك".

توقف هراثن ثم ضحك وهو ينظر إلى ديلاف قائلًا: "انتصار؟ أي انتصار يُمكنك تحقيقه؟ أي...؟".

ابتسم ديلاف، وفي ضوء المصباح الشاحب كانت الظلال تكتنف وجهه المبتسم. كان التعبير المرتسم على وجهه مليئًا بالحماسة والطموح والتعصب الديني، نفس التعبير الذي رآه هراثن في ذلك اليوم الأول قبل وقت طويل، فأحس هراثن بالاضطراب حتى إن السؤال مات على شفتيه. في الضوء المتراقص لم يبدُ الأرتيث رجلًا على الإطلاق، بل سفراكيس قد بُعث لتعذيب هراثن.

ألقى ديلاف بحفنة الرماد ثم خطا متجاوزًا هراثن، قبل أن يفتح باب الخيمة ويخرج إلى الضوء.

تساءل هراثن بصوت خافت للغاية على أن يسمعه الأرتيث: "أي انتصار يا ديلاف؟".

# الفصل الثاني والخمسون

قال رايودن متأوهًا بينما جالادون يغرس الإبرة في وجنته: "هذا مؤلم!".

قال الدولادي آمرًا وهو يشد الخيط بإحكام: "كف عن الانتحاب".

قال رايودن: "كاراتا أفضل منك بكثير في هذا". كان جالسًا أمام مرآة في جناحهما في قصر رويال، وهو يميل برأسه إلى الجانب ويراقب جالادون وهو يخيط جرح السيف.

قال الدولادي متذمرًا: "حسنًا، فلتنتظر إذن حتى نعود إلى إيلانتريس". ثم أكَّد على ملحوظته بوخز رايودن مرة أخرى.

تنهد رايودن وقال: "لا، لقد انتظرت وقتًا طويلًا بالفعل، يمكنني أن أشعر بهذا الجرح يتسع قليلًا في كل مرة أبتسم فيها. ألم تكن قادرة على إصابتي في ذراعي؟".

قال جالادون: "لإننا إيلانتريون يا سول، إن كان هناك شيء سيئ يُمكن أن يحدث لنا فسيحدث. من حسن حظك أنك لم تصب إلا بهذا الجرح، بل في الواقع من حسن حظك أنك تمكنت من القتال بجسدك هذا".

قال رايودن وهو يثبت رأسه بينما الدولادي يخيط الجرح: "لم يكن الأمر سهلًا، لذا كان عليَّ أن أنهيه بسرعة".

"حسنًا أنت تقاتل أفضل مما توقعت".

قال رايودن: "لقد جعلت إيونديل يعلمني في الماضي عندما كنت أحاول أن أجد طريقة أثبت بها أن قوانين أبي حمقاء. اختار إيونديل المبارزة لأنه اعتقد أنها أكثر ما سينفع رجلًا سياسيًّا مثلي. لم أكن سأتصور أنني سأستعين بها في نهاية المطاف لأمنع زوجتي من تمزيقي إربًا".

ابتسم جالادون ساخرًا بينما يخز رايودن مرة أخرى فجز الأخير على أسنانه ليقاوم الألم. كانت الأبواب كلها مغلقة وقد أُسدلت الستائر، لأن رايودن كان مضطرًّا للتخلي عن تنكره الإيهامي ليسمح لجالادون بخياطة الجرح. كان الدوق لطيفًا بما يكفي لأن يستقبلهما في بيته، بدا أن رويال هو الوحيد من بين أصدقاء رايودن القدامى الذي أثارت شخصية كالو اهتمامه بدلًا من أن تثير انزعاجه.

قال جالادون وهو يخيط الغرزة الأخيرة: "انتهيت يا سول".

أومأ رايودن برأسه ثم نظر إلى نفسه في المرآة، كان قد بدأ يصدق أن الوجه الدولادي الوسيم هو وجهه. هذا شيء خطير، عليه أن يتذكر أنه لا يزال إيلانتريًّا، مع كل الآلام ونقاط الضعف التي تميز بني جنسه، رغم الشخصية اللامبالية التي يتبناها.

كان جالادون لا يزال متنكرًا، إن آيون الأوهام يعمل طالما تركه رايودن وشأنه. لا يمكن أن يدمر الآيونات إلا إيلانتري آخر، حتى لو أُلقيت في الهواء أو سقطت في الوحل. تزعم الكتب أن الآيون المنقوش في الغبار سيستمر في العمل حتى لو جُرِّف النمط أو مُحي.

إن الأوهام مرتبطة بملابسهم، ما يسمح لهم بتغيير ثيابهم كل يوم دون الحاجة لإعادة رسم الآيون. كان وهم جالادون عبارة عن دولادي غير مميز بوجه عريض، وهي الصورة التي عثر عليها رايودن في ظهر أحد الكتب. أما وجه رايودن فكان اختياره أصعب بكثير.

تساءل رايودن وهو يُمسك بكتاب الآيوندور ليعيد صناعة وهمه: "ما رأيك في شخصيتي؟ هل أن مقنع؟".

هز جالادون كتفيه ثم جلس على فراش رايودن وقال: "لم أكن لأصدق أنك دولادي، ولكن يبدو أنهم صدقوك. لا أعتقد أنك كنت قادرًا على أن تختار خيارًا أفضل على أي حال، كولو؟".

أومأ رايودن برأسه وهو يرسم الآيون، إن النبلاء الأريليين معروفون جيدًا، وستكتشف سارين على الفور محاولته للتظاهر بأنه من تيود. كان الخيار الوحيد المتبقي له هو دولادل على افتراض أنه يريد أن يتحدث باللغة الآيونية. كان من الواضح ـ من خلال محاولاته الفاشلة لتقليد لكنة جالادون ـ أنه لن يكون مقنعًا بالتظاهر بأنه دولادي من الطبقات الأدنى، حتى نطقه لكلمة بسيطة مثل "كولو" جعل جالادون ينفجر في نوبة من الضحك. لحسن الحظ كان هناك عدد لا بأس به من المواطنين الدولاديين الأقل شهرة ـ قد كانوا عُمَدًا لبلدات صغيرة، أو أعضاء في مجالس غير مهمة ـ يتحدثون الآيونية بطلاقة. لقد التقى رايودن بالعديد من هؤلاء الأشخاص، ولا يتطلب تقليد شخصيتهم سوى التظاهر بالبهرجة واللامبالاة.

كان اقتناء الملابس صعبًا بعض الشيء، حيث تطلب الأمر من رايودن ـ في تنكر آخر ـ أن يذهب لشرائها من سوق أريلون. ولكن منذ وصوله الرسمي كان قادرًا على أن يقتني بعض الملابس المصممة تصميمًا أفضل. فكَّر أنه قد لعب دور الدولادي جيدًا، ولكن لم يقتنع الجميع بالأمر.

قال رايودن وهو ينهي الآيون ويراقبه بينما يدور حوله ويتشكل على وجهه: "أعتقد أن سارين ترتاب في الأمر".

"إنها أكثر تشككًا من معظم الناس".

قال رايودن: "هذا صحيح". كان ينوي أن يخبرها عن هويته بأسرع وقت ممكن، ولكنها كانت ترفض أي محاولة من "كالو" لأن يختلي بها، بل إنها رفضت تلقي الرسالة التي أرسلها لها وأعادتها له دون أن تفتحها.

لحسن الحظ كانت الأمور تجري على نحو أفضل مع بقية النبلاء. منذ أن ترك رايودن إيلانتريس قبل يومين وعهد إلى كاراتا بالاعتناء بإيلانتريس الجديدة تمكن من شق طريقه إلى المجتمع الأريلي الراقي بسهولة فاجأته شخصيًا. كان النبلاء منشغلين للغاية بشأن حكم تيلري على أن يتساءلوا عن خلفية كالو، بل في الواقع لقد تعلقوا به بحماسة مفاجئة. من الواضح أن اللهو العابث الذي جلبه على تجمعاتهم قد منح النبلاء فرصة للضحك ونسيان فوضى الأسابيع الماضية، وسرعان ما صار ضيفًا لا يمكن الاستغناء عنه في أي مناسبة.

كان الاختبار الحقيقي هو أن يتمكن من الوصول إلى اجتماعات رويال وسارين السرية، إن كان يريد أن يفعل أي خير من أجل أريلون فيجب أن تقبله تلك المجموعة الخاصة، إنهم الأشخاص الذين يعملون على تحديد مصير البلد. كان جالادون يشك في احتمال تحقيق رايودن لهدفه، ولكن جالادون يشكك في كل شيء بالطبع. ابتسم رايودن في قرارة نفسه، فقد كان هو من بدأ هذه الاجتماعات في المقام الأول، وبدا من المفارقة أن يبذل مجهودًا ليسمحوا له بحضور اجتماعاتهم من جديد.

مرة أخرى غطى وجه كالو وجهه، ثم ارتدى رايودن قفازه الأخضر الذي يحوي الوهم الذي يجعل ذراعيه تبدوان غير إيلانتريتين. ثم دار على عقبيه ليواجه جالادون وهو يقول: "ها قد عاد كالو العظيم".

"أرجوك يا سول، ليس ونحن وحدنا، فأنا أوشكت كثيرًا على أن أخنقك أمام الناس".

ضحك رايودن وقال: "يا لها من حياة، تحبني جميع النساء ويحسدني جميع الرجال".

قال جالادون ساخرًا: "تقصد، تحبك كل النساء ما عدا واحدة".

قال رايودن مبتسمًا وهو يجذب الستائر: "حسنًا لقد دعتني لمبارزتها في أي وقت أريده".

قال جالادون: "حتى لو كان هذا لمجرد أن تنال فرصة أخرى لطعنك. يجب أن تكون ممتنًا لأنها ضربتك على وجهك حيث يُغطي الوهم الجرح، لو طعنتك من خلال ثيابك لكان من الصعب أن تفسر لِمَ لم ينزف الجرح، كولو؟".

فتح رايودن باب الشرفة ثم خطا إلى الخارج ليلقي نظرة على حدائق رويال، وعندما انضم له جالادون تنهد وقال: "قل لي، لماذا في كل مرة ألتقي فيها بسارين تكون مصممة على كراهيتي؟".

قال جالادون: "لا شك أنه الحب".

ضحك رايودن ساخرًا وقال: "حسنًا، على الأقل هذه المرة تكره كالو بدلًا من شخصيتي الحقيقية. أفترض أنه يمكنني أن أغفر لها هذا، لقد كدت أصل إلى المرحلة التي أكرهه فيها بدوري".

جاء صوت طرقات على الباب جذبت انتباههما، نظر إليه جالادون ثم أومأ برأسه، كان تنكرهما مكتملًا. مشى جالادون الذي يلعب دور الخادم ليفتح الباب، كان رويال يقف بالخارج.

قال رايودن وهو يقترب منه بابتسامة عريضة باسطًا ذراعيه: "أتمنى أن يومك طيب كيومي يا سيدي".

قال رويال: "إنه كذلك أيها المواطن كالو. هل يمكنني الدخول؟".

قال رايودن: "بالطبع، بالطبع، فهذا بيتك في المقام الأول. نحن مدينون للطفك بشكل لا يوصف، وأنا متيقن من أنني لن أتمكن أبدًا من سداد دينك".

قال رويال: "لا تقل هذا أيها المواطن، ولكن بالحديث عن السداد فستكون مسرورًا لمعرفة أنني أبرمت صفقة جيدة لبيع حاملات المصابيح التي منحتني إياها، لقد أودعت رصيدك في حساب في مصرفي، يجب أن يكون كافيًا لكي تعيش حياة رغدة لعدة سنوات على الأقل".

صاح رايودن: "رائع، يجب أن نبحث على الفور على مكان آخر لنقيم به".

قال الدوق وهو يرفع يديه: "لا، لا، فلتبقيا هنا قدر ما تشاءان، أنا لا أستقبل إلا القليل من الزوار في مثل هذه السن الكبيرة، حتى إن هذا البيت الصغير عادة ما يبدو كبيرًا للغاية".

قال رايودن بأسلوبه الدولادي الذي يفتقر إلى اللباقة: "إذن سنبقى ما دمت تتحملنا!". يُقال إنه في اللحظة التي تدعو فيها دولاديًّا للبقاء فإنك لن تتخلص منه أبدًا، أو من عائلته.

قال رويال وهو يخطو إلى الشرفة: "قل لي أيها المواطن، أين عثرت على دزينة من حاملات المصابيح المصنوعة من الذهب الخالص".

قال رايودن: "إرث عائلي، لقد انتزعتها من جدران القصر، حتى بينما الناس يحرقونه".

قال رويال وهو يتكئ إلى سور الشرفة: "لا شك أنه كان أمرًا فظيعًا".

قال رايودن مكتئبًا: "أسوأ من فظيع". ثم ابتسم وقال: "ولكن هذه الأوقات قد ولت يا سيدي، لدي بلد جديد وأصدقاء جدد! أنتم عائلتي الآن".

أومأ رويال برأسه بشرود ثم ألقى نظرة حذرة ناحية جالادون.

قال رايودن: "أرى أن هناك شيئًا ما يشغل عقلك يا لورد رويال، لا تخشَ من التحدث عن الأمر، كان ديندو العزيز معي منذ ولادتي، وهو يستحق ثقة أي رجل".

أومأ رويال برأسه ثم التفت لينظر إلى إقطاعيته قبل أن يقول: "أنا لم أذكر الأوقات العصيبة في وطنك اعتباطًا أيها المواطن. قلت إن الأمر قد انتهى، ولكن أخشى أن الرعب قد بدأ للتو بالنسبة لك".

طقطق رايودن بلسانه وقال: "آه، أنت تتحدث عن المشكلات المتعلقة بالعرش".

قال رويال: "أجل أيها المواطن، تيلري ليس حاكمًا قويًا، أخشى أن أريلون ستلقى قريبًا نفس مصير دولادل. إن ذئاب فيوردن تكشر عن أنيابها في وجهنا، وقد اشتمت رائحة الدماء، ولكن نبلاءنا يتظاهرون بأنهم لا يرون سوى كلاب صيد تعمل لصالحهم".

قال رايودن: "أوقات مضطربة حقًا، أين يمكنني أن أذهب لأحظى بحياة مسالمة بسيطة؟".

"أحيانًا يجب علينا أن نصنع حياتنا المسالمة بأنفسنا".

سأله رايودن وهو يحاول أن ينحي الحماس عن صوته: "ما الذي تقصده؟".

"آمل أيها المواطن أنني لا أجرحك عندما أُشير إلى أن الآخرين يرونك عابثًا إلى حد ما".

قال رايودن ضاحكًا: "آمل أنهم يرونني هكذا يا سيدي، فأنا أكره أن أعتقد أنني كنت ألعب دور الأحمق هباءً".

ابتسم رويال وقال: "أشعر فيك بفطنة لا تخفيها حماقتك تمامًا أيها المواطن. قل لي؛ كيف استطعت الهرب من دولادل؟".

قال رايودن: "أخشى أن هذا سر يجب أن يبقى طي الكتمان يا سيدي، هناك من سيدفعون الثمن باهظًا إن كُشف عن دورهم في هربي".

أومأ رويال برأسه وقال: "أنا أتفهم هذا، الجزء المهم هو أنك قد نجوت حينما لم ينجُ أبناء بلدك. هل تعرف عدد اللاجئين الذين عبروا الحدود عندما سقطت الجمهورية؟".

أجابه رايودن: "أخشى أنني لا أعرف هذا يا سيدي، فقد كنت مشغولًا بعض الشيء في ذلك الوقت".

قال رويال: "لا أحد، ولا واحد أعرفه باستثنائك. سمعت أن الجمهوريين كانوا مصدومين للغاية على أن يفكروا في الهرب".

قال رايودن وهو يرفع يديه: "إن قومي ليسوا سريعي التصرف يا سيدي، وفي هذه الحالة كان سلوكنا المتراخي هو الذي مهد طريق سقوطنا. لقد اجتاحتنا الثورة بينما نناقش ما يجب أن نتناوله على العشاء".

"ولكنك هربت".

وافقه رايودن: "أنا هربت".

"لقد مررت بالفعل بما قد نعانيه، وهذا سيجعل نصيحتك لا تقدر بثمن، بغض النظر عما قد يعتقده الآخرون".

قال رايودن بحذر: "هناك طريقة للهرب من مصير دولادل يا سيدي، رغم أنها قد تكون خطيرة، وقد تشمل... تغييرًا في القيادة".

قال رويال محذرًا: "أنت تتحدث عن أشياء خطيرة".

"لقد مررت بالكثير يا سيدي، ولن أخشى بعض الخطر الإضافي، إن كان هذا سيوفر لي وسيلة لأن أعيش ما بقي من حياتي في سلام".

قال رويال: "لا يُمكنني أن أضمن حدوث هذا".

"وأنا لا يمكنني أن أضمن لك أن هذه الشرفة لن تسقط فجأة لترسلنا إلى هلاكنا، كل ما يُمكنني فعله هو أن أعتمد على الحظ وعلى فطنتنا لحمايتنا".

أومأ رويال برأسه وقال: "هل تعرف بيت التاجر كين؟".

"أجل".

"فلنلتقِ هناك الليلة عند غروب الشمس".

أومأ رايودن برأسه بينما الدوق يودعه وينصرف. ومع إغلاق الباب غمز رايودن لجالادون وقال: "وأنت ظننت أنني لا أستطيع أن أفعلها".

قال جالادون ساخرًا: "لن أشكك فيك أبدًا مرة أخرى".

قال رايودن وهو يجذب باب الشرفة ليغلقه ويعود إلى الغرفة: "السر كان رويال يا صديقي. إنه قادر على أن يكشف أي تظاهر، ولكن على عكس سارين لا يكون سؤاله الجوهري هو "لماذا يحاول هذا الرجل خداعي؟" بل "كيف يمكنني أن أستفيد مما أعرفه؟" لقد منحته تلميحات فاستجاب لها".

أومأ جالادون برأسه وقال: "حسنًا، لقد اخترقت صفوفهم، ماذا ستفعل الآن؟".

**قال رايودن: "سأجد طريقة لكي أضع رويال على العرش بدلًا من تيلري". ثم أخرج قطعة قماشية وعلبة بها مستحضر تجميل بني، وضع بعضًا منه على القطعة القماشية ثم وضعها في جيبه.**

**قال جالادون وهو يرفع حاجبًا ويومئ ناحية القطعة القماشية: "ما هذا؟".**

**"شيء آمل أنني لن أضطر لاستخدامه".**

# الفصل الثالث والخمسون

تساءلت سارين وهي تقف عند الباب المؤدي إلى مطبخ كين: "ما الذي يفعله هنا؟". كان الأحمق كالو جالسًا بالداخل يرتدي مزيجًا من الألوان الحمراء والبرتقالية المبهرجة، بينما يتحدث بحماس مع كين ورويال دون أن يبدو عليه أنه قد لاحظ وجودها.

أغلق لوكل الباب من ورائها ثم نظر إلى الدولادي بنفور واضح. كان ابن عمها معروفًا بأنه واحد من أطرف الرجال وأكثرهم بهجة في كاي، ولكن سرعان ما طغت شهرة كالو على شهرة لوكل شخصيًّا، ليشعر التاجر الشاب بالمرارة وهو في المرتبة الثانية.

تمتم لوكل: "لقد دعاه رويال لسبب ما".

سألته سارين ربما بصوت أعلى مما ينبغي: "هل أُصيب رويال بالجنون؟ ماذا لو كان هذا الدولادي اللعين جاسوسًا؟".

سألها كالو بمرح: "جاسوس لصالح من؟ أنا لا أعتقد أن ملكنا المتعجرف لديه الفطنة السياسية الكافية لتوظيف جواسيس، ودعيني أؤكد لكِ أنه بغض النظر عن مدى إثارتي لغيظك أيتها الأميرة فإني أُثير غضب الفيورديين أكثر بكثير. سيفضل ذلك الجيورن أن يقتل نفسه على أن يدفع لي نظير المعلومات".

احمر وجه سارين في إحراج، مما جعل كالو ينفجر في نوبة أخرى من الضحك.

قال رويال: "أعتقد يا سارين أنك ستجدين آراء المواطن كالو مفيدة، هذا الرجل يرى الأشياء بطريقة مختلفة عن الأريليين، كما أن له نظرة جديدة على الأحداث في كاي. أتذكر أنك قد

استخدمتِ حجة مشابهة عندما انضممتِ إلينا في بادئ الأمر. لا تقللي من قيمة كالو فقط لأنه غريب الأطوار بعض الشيء بشكل يُشعرك بعدم الراحة".

عقدت سارين حاجبيها ولكنها لم تعترض على هذا التوبيخ، إن ملاحظات الدوق لها ثقلها، فمن المفيد أن يكون هناك منظور جديد، ولسبب ما يبدو أن الدوق يثق في كالو، يمكنها أن تشعر بالاحترام المتبادل بينهما. اعترفت على مضض أن الدوق ربما رأى في كالو شيئًا لم تره، فالدولادي على أي حال قد أقام مع الدوق لعدة أيام.

كان آهان متأخرًا كالعادة، بينما شودن وإيونديل يتبادلان أطراف الحديث بهدوء وهما جالسان إلى الطاولة، فكان حديثهما تناقضًا صارخًا مع أسلوب كالو النابض بالحياة. جلب كين المقبلات؛ رقائق البسكويت مع بعض القشدة البيضاء، ورغم إصرارها على ألا يعد العشاء كان من الواضح أن كين لا يمكنه أن يسمح باجتماع هذا العدد الكبير من الناس دون أن يمنحهم شيئًا ليأكلوه. ابتسمت سارين كانت تشك في أن مؤامرات الخيانة الأخرى تتمتع بوجبات خفيفة شهية.

بعد بضع دقائق دخل آهان وهو يتهادى في مشيته دون أن يكلف نفسه عناء الطرق على الباب. ألقى بجسده الثقيل على مقعده المعتاد ثم شرع في الهجوم على رقائق البسكويت.

قالت سارين بصوت حاد لتقاطع كالو: "ها قد اكتمل عددنا". التفتت جميع الرؤوس إليها فقالت: "أنا واثقة من أنكم جميعًا قد فكرتم كثيرًا في مأزقنا، هل يرغب أي منكم في البدء؟".

قال آهان: "سأبدأ أنا. ربما يُمكن إقناع تيلري بألا يتحول إلى الشو-ديريث".

تنهدت سارين وقالت: "ظننت أننا قد ناقشنا هذا يا آهان، إن تيلري لا يجادل في تحويل دينه أم لا، بل ينتظر لكي يرى قدر المال الذي يُمكن أن يحصل عليه من الويرن".

قال رويال وهو يهز رأسه: "أتمنى لو كان لدينا المزيد من القوات، يُمكننا أن نهدد تيلري إن كان لدينا جيش كافٍ. ما فرصة أن ننال الدعم من تيود يا سارين؟".

قالت سارين وهي تجلس: "هذا ليس محتملًا. تذكروا أن أبي قد اعتنق الشو-ديريث، كما أن تيود لديها قوات بحرية مذهلة، ولكن ليس لديها قوات برية، عدد سكان دولتنا قليل، فنحن ننجو بإغراق أعدائنا قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى اليابسة".

قال شودن مقترحًا: "سمعت أن هناك قوات مقاومة في دولادل، وهم يتحرشون بالقوافل من حين لآخر".

التفتت الأعين ناحية كالو، الذي رفع يديه باسطًا راحتيه وقال: "صدقوني يا أصدقائي، أنتم لا تريدون مساعدتهم، إن الرجال الذين تتحدثون عنهم هم في الغالب جمهوريون سابقون مثلي، يمكنهم مبارزة أحدهم الآخر ببراعة مذهلة، ولكن الساير لا يفيد كثيرًا في وجه جندي مدرب، وخصوصًا إن كان إلى جانبه خمسة من أصدقائه. لقد تمكنت المقاومة من النجاة فقط لأن الفيورديين كسالى للغاية على أن يطردوهم من المستنقعات".

قال شودن عاقدًا حاجبيه: "ظننت أنهم مختبئون في الكهوف في سهوب دلاودل".

قال كالو بسلاسة: "هناك مجموعات متفرقة من المقاومة". ولكن سارين أحست بلمحة من عدم اليقين في عينيه. قالت لنفسها بينما المحادثة تمضي قدمًا: *من أنت؟*

قال لوكل: "أعتقد أننا يجب أن نشرك الشعب في الأمر، لقد أشار تيلري إلى أنه ينوي المحافظة على نظام المزارع، إن شجعنا العوام على دعم قضيتنا فسيكونون مستعدين للوقوف في وجهه".

قال إيونديل: "قد ينجح الأمر، فخطة السيدة سارين بأن أشارك المحصول مع الفلاحين لديَّ قد منحتهم مذاقًا من الحرية، وقد ازدادت ثقتهم في أنفسهم خلال الأسابيع القليلة الماضية، ولكن الأمر سيستغرق وقتًا طويلًا، فأنت لا تُدرب الناس على القتال بين عشية وضحاها".

قال رويال: "أتفق معك، سيكون تيلري قد اعتنق الديريثية قبل أن ننتهي من تدريبهم بوقت طويل، وسيصير تصريح هراثن قانونًا".

قال لوكل: "يمكنني أن أتظاهر بكوني ديريثيًّا لفترة من الوقت، على الأقل بينما أخطط لإسقاط الملك".

قالت سارين وهي تهز رأسها: "إن منحنا الشو-ديريث موطئ قدم كهذا في أريلون فلن نتخلص منها أبدًا".

قال آهان: "إنها مجرد ديانة يا سارين، أعتقد أننا يجب أن نركز على المشكلة الحقيقية".

سألته سارين: "ألا تعتقد أن الشو-ديريث مشكلة حقيقية يا آهان؟ لمَ لا تحاول أن تشرح هذا لجيندو ودولادل؟".

قال رويال: "إنها محقة، فيوردن تستخدم الشو-ديريث كوسيلة لفرض السيطرة، إن استطاع هؤلاء الكهنة تبديل دين أريلون فسيحكم الويرن هنا، بغض النظر عمن نضعه على العرش".

قال شودن متسائلًا: "إذن فتجهيز جيش من الفلاحين لم يعد خيارًا مطروحًا؟".

قال رويال: "الأمر سيستغرق وقتًا طويلًا".

أضاف كالو: "كما أعتقد أننا لا نريد أن نزج بهذا البلد إلى الحرب، لقد رأيت ما يمكن لثورة دموية أن تفعله بأمة، إنها تحطم الروح المعنوية للشعب بينما يقاتلون بعضهم بعضًا، قد يكون الرجال في حرس مدينة إيلانتريس حمقى، ولكنهم لا يزالون أبناء بلدكم، وستتلطخ أيديكم بدمائهم".

تأملت سارين هذا التعليق الذي صدر من كالو دون أدنى لمحة من بهرجته المعتادة، شيء ما حياله يجعلها تزداد ريبة.

قال لوكل في سخط: "ماذا نفعل إذن؟ لا يمكننا أن نقاتل تيلري، ولا يمكننا أن ننتظر حتى يُبدل دينه، فماذا يمكننا أن نفعل؟".

قال إيونديل بهدوء: "يمكننا أن نقتله".

سألته سارين: "ما رأي بقيتكم؟". لم تكن تتوقع أن يُطرح هذا الاقتراح في وقت مبكر من الاجتماع.

وافقه كين مُظهرًا صرامة لم تعهدها سارين فيه من قبل: "هذا له وجاهته، سيحل اغتيال تيلري الكثير من المشكلات".

خيم الصمت على الحجرة فأحست سارين بمذاق مرير وهي تتفحص وجوه الرجال، إنهم يعرفون ما تعرفه، لقد قررت قبل بدء هذا الاجتماع بوقت طويل أن هذا هو الحل الوحيد.

همس كالو: "آه، قتل رجل واحد لإنقاذ أمة".

هز كين رأسه وقال: "يبدو أنه البديل الوحيد".

قال الدولادي: "ربما، رغم أنني أتساءل إن كنا لا نقلل من شأن شعب أريلون".

قال لوكل: "لقد ناقشنا هذا الأمر بالفعل، ليس لدينا وقت كافٍ لتجييش الفلاحين".

قال كالو: "ليس الفلاحين فحسب أيها الشاب لوكل، ولكن النبلاء، ألم تشعروا بترددهم في دعم تيلري؟ ألم تروا عدم الارتياح في أعينهم؟ ملك بلا دعم لا يكون ملكًا على الإطلاق".

سأله كين: "وماذا عن الحرس؟".

قال كالو: "أتساءل إن كنا لا نقدر على استمالتهم، بالتأكيد يمكن إقناعهم بأن يدركوا أن ما فعلوه ليس صحيحًا".

فكرت سارين وهي تعقد حاجبيها أن "أنتم" قد صارت "نحن"، كادت أن تُمسك بالأمر، هناك شيء مألوف في كلماته...

قال رويال: "إنه اقتراح مثير للاهتمام".

قال كالو: "الحرس والنبلاء يدعمون تيلري لأنهم لا يرون بديلًا آخر، لقد لحق العار باللورد رويال بعد حفل الزفاف الفاشل، والسيدة سارين قد أُلقيت إلى إيلانتريس. ولكن الآن قد رُفع الحرج، ربما يُمكننا أن نُظهر للحرس النتيجة النهائية المترتبة على قرارهم، الاحتلال من فيوردن واستعبادهم لشعبنا، وسيدركون أنهم يدعمون الرجل الخاطئ، امنحوا الناس خيارًا صادقًا وأعتقد أنهم سيختارون بحكمة".

هذا هو؛ لقد عرفت سارين هذا الإيمان في مكان آخر، هذا الاعتقاد الخالص في الخير الجوهري في نفوس جميع البشر، وحينها أدركت فجأة المكان الذي رأت فيه كل هذا من قبل، فلم تستطع أن تمنع نفسها من أن تقفز واقفة وهي تشهق في دهشة.

***

جفل رايودن على الفور وقد أدرك خطأه، لقد تخلى عن شخصية كالو بسرعة كبيرة، وسمح بظهور قدر كبير من شخصيته الحقيقية. لم يُلاحظ الآخرون هذا التغير، ولكن سارين - العزيزة المتشككة سارين - لم تكن متساهلة للغاية. نظر إلى صدمتها وعينيها المتسعتين فأدرك أنها قد عرفت. لقد تعرفت عليه بطريقة ما رغم أنها لم تقضِ معه إلا وقتًا قصيرًا، بينما لم يتعرف أصدقاؤه المقربون عليه.

قال لنفسه: *أوه، لا* .

***

تساءل رويال: "سارين؟ هل أنتِ بخير أيتها الأميرة؟".

تلفتت سارين حولها بخجل، وهي تقف أمام كرسيها، ولكنها سرعان ما نسيت حرجها وهي تنظر من جديد إلى كالو الغامض.

قالت: "لا يا سيدي، لا أعتقد أنني بخير، أعتقد أنني بحاجة إلى استراحة".

قال لوكل: "ولكننا حقًّا لم نمضِ وقتًا طويلًا...".

أسكتته سارين بنظرة منها. ولم يجرؤ أي شخص آخر على تحدي غضبها.

قال رويال ببطء: "فلنحصل على استراحة إذن".

قال كين وهو ينهض من كرسيه: "حسنًا، لقد أعددت بعض لفائف اللحم الهراجية وتركتها لتبرد، سأذهب لإحضارها".

كانت سارين مضطربة للغاية حتى إنها بالكاد فكرت في توبيخ عمها لأنه أعد وجبة رغم أنها قد طلبت منه صراحةً ألا يفعل هذا. نظرت إلى كالو نظرة معبرة، ثم ابتعدت عن الطاولة كأنها في طريقها إلى الحمام. انتظرت في مكتب كين للحظة قبل أن يأتي إليها المحتال المغلوب على أمره.

أمسكت سارين بقميصه ثم دفعته ناحية الجدار وهي تقرب وجهها من وجهه.

سألته: "سبيريت؟ ما الذي تفعله هنا بحق دومي العظيم؟".

نظر سبيريت إلى الجانب بقلق ثم قال: "لا تتحدثي بصوت عالٍ يا سارين! كيف سيتصرف هؤلاء الرجال من وجهة نظرك إن اكتشفوا أنهم يجلسون مع إيلانتري؟".

سألته وقد تحول غضبها إلى حماس مع اكتشاف أنه هو حقًّا: "ولكن... كيف؟".

مدت يدها لتُمسك بأنفه الذي كان طويلًا للغاية على أن يكون أنفه الحقيقي، ثم تفاجأت عندما مرت أصابعها من أرنبة أنفه كأنها ليست هناك.

قال سبيريت على الفور: "لقد كنتِ محقة بشأن الآيونات يا سارين، إنها خرائط لأريلون، كل ما كان عليَّ فعله هو أن أضيف خطًّا واحدًا، وبعدها عاد النظام كله للعمل".

"خط واحد؟".

قال سبيريت مفسرًا: "الصدع، لقد تسبب في الريود، كان تغيرًا كافيًا في التضاريس، حتى إن وجوده تطلب أن يتجلى في الآيونات".

قالت سارين: "لقد نجح الأمر!". ثم تخلت عن قميصه ولكمته بغيظ في جانبه وهي تقول: "كنت تكذب عليَّ!".

تأوه سبيريت وقال: "أرجوكِ لا تلكميني، هل نسيتِ أن جسدي لا يتعافى؟".

شهقت سارين وقالت: "هذا لم...؟".

سألها سبيريت: "يتغير عندما أصلحنا الآيوندور؟ لا ما زلت إيلانتريًّا تحت هذا الوهم، هناك خطب آخر في الآيوندور".

قاومت سارين رغبتها في لكمه مرة أخرى وهي تقول: "لمَ كذبت عليَّ؟".

ابتسم سبيريت وقال: "هل ستقولين إن الأمر لم يكن أكثر إمتاعًا بهذه الطريقة؟".

"حسنًا...".

ضحك وقال: "أنتِ وحدك من سيعتبر هذا عذرًا مقبولًا يا أميرتي، في الواقع لم أجد فرصة لإخبارك، ففي كل مرة حاولت فيها أن أقترب منكِ في الأيام القليلة الماضية كنتِ تتحاشينني،

وقد تجاهلتِ الرسالة التي أرسلتها إليك. لم يكن بمقدوري أن أقفز أمامك وأنزع عني الوهم ببساطة، لقد جئت إلى كين في الليلة الماضية على أمل أن أراكِ في النافذة".

سألته سارين مبتسمة: "هل فعلت هذا؟".

قال رايودن: "اسألي جالادون، إنه هناك في قصر رويال يلتهم كل الحلوى الجادورية لدى الدوق. هل كنتِ تعرفين أن لديه نقطة ضعف تجاه الحلوى؟".

"الدوق أم جالادون؟".

"كلاهما. اسمعي سيتساءلون عن سبب تأخرنا".

قالت سارين: "دعهم يتساءلون، كل النسوة الأخريات يتوددن إلى كالو كثيرًا، حان الوقت لأن أنال دوري".

بدأ سبيريت في الضحك ثم لمح النظرة الخطيرة في عينيها فبتر ضحكته وقال: "كانت هذه هي الطريقة الوحيدة حقًّا يا سارين، لم يكن أمامي خيار آخر، كان عليَّ أن أتقن دوري".

قالت: "أعتقد أنك أتقنته أكثر من اللازم". ثم ابتسمت وهي غير قادرة على أن تبقى غاضبة.

من الواضح أنه لمح هذا اللين في عينيها فقد ارتخت ملامحه وهو يقول: "عليكِ أن تعترفي أن الأمر كان ممتعًا في بعض الأوقات. لم يكن لديَّ أدنى فكرة أنك مبارزة بهذه البراعة".

ابتسمت سارين بمكر وقالت: "مواهبي متعددة يا سبيريت، ومن الواضح أن هذا الأمر ينطبق عليك أيضًا، لم يكن لدي فكرة أنك ممثل بارع، لقد نجحت في أن تجعلني أكرهك!".

قال سبيريت وهو يطوقها بذراعيه: "من الجيد أن يشعر المرء بالتقدير".

فجأة أحست بمدى قربه منها، كان جسده بدرجة حرارة الغرفة، وهذه البرودة غير الطبيعية كانت مثيرة للأعصاب، ولكن بدلًا من أن تُبعد نفسها عنه أراحت رأسها على كتفه وقالت: "إذن، لماذا جئت؟ يجب أن تكون هناك في إيلانتريس الجديدة لتجهز شعبك، لمَ غامرت بالخروج إلى كاي؟".

قال: "لأجلك".

ابتسمت. كانت هذه هي الإجابة الصحيحة.

أكمل قائلًا: "ولكي أمنعكم من ذبح بعضكم بعضًا، هذا البلد في حالة من الفوضى بالتأكيد، أليس كذلك؟".

تنهدت سارين وقالت: "أتحمل جزءًا من مسؤولية الأمر".

مد سبيريت يديه ليضعهما على عنقها ثم أدار وجهها لكي تنظر إلى عينيه، كان وجهه مختلفًا ولكن العينين هما نفس العينين؛ عميقتان وزرقاوان. كيف ظنت ولو للحظة أنه شخص آخر؟

"ليس مسموحًا لكِ بلومِ نفسكِ يا سارين، لقد نلتُ ما يكفي من هذا من جالادون. لقد أحسنتِ صنيعًا هنا، أفضل حتى مما كنت أتخيل. لقد افترضت أن هؤلاء الرجال سيتوقفون عن الاجتماع بعد رحيلي".

هزت سارين رأسها لتفيق من شرودها في عينيه وقالت: "ما الذي قلته؟ بعد رحيلك...؟".

نادتهما الأصوات من الحجرة الأخرى، فغمز سبيريت لها وعيناه تلمعان، ثم قال: "يجب أن نعود، ولكن... دعينا نقول إن هناك شيئًا آخر أُريد أن أخبرك به، وبمجرد أن ينتهي هذا الاجتماع يمكننا أن نتحدث بخصوصية أكثر".

أومأت سارين برأسها وهي تكاد أن تشعر بالدوار؛ سبيريت في كاي، والآيوندور يعمل. مشت عائدة إلى حجرة تناول الطعام وجلست إلى الطاولة، وبعد لحظات دلف سبيريت إلى الحجرة، ولكن كان هناك كرسي لا يزال شاغرًا.

تساءلت سارين: "أين آهان؟".

عقد كين حاجبيه وقال بنبرة مريرة: "لقد رحل".

قال لوكل ضاحكًا وهو ينظر إلى سارين مبتسمًا: "يزعم الكونت أن شيئًا قد أكله لم يكن ملائمًا له، لذا... انصرف".

قال كين متذمرًا: "هذا مستحيل، لم يكن هناك أي شيء في رقائق البسكويت يمكن أن يؤدي إلى اضطراب معدته".

قالت سارين مبتسمة: "أنا واثقة من أنها لم تكن رقائق البسكويت يا عماه، لا شك أنه شيء قد أكله قبل أن يأتي".

قال لوكل ليوافقها ضاحكًا: "دومي يعرف أن هذا الرجل يأكل كثيرًا، حتى إنه من العجب ألا يمرض كل ليلة بحسب قوانين الاحتمالات البحتة".

قال رويال: "حسنًا، يجب أن نُكمل من دونه، فلا أحد يعرف إلى متى سيظل متوعكًا".

قالت سارين وهي تستعد للبدء من جديد: "أتفق معك".

ولكن رويال سبقها إلى البدء فاعتدل واقفًا ببطء وقد بدا جسده العجوز ضعيفًا بشكل مفاجئ، تنهد الدوق وهو يهز رأسه ثم قال: "إذا سمحتم لي فلديَّ ما أقوله".

أومأ النبلاء برؤوسهم وقد أحسوا بجدية الدوق.

"لن أكذب عليكم، لم أتردد مرة واحدة في التفكير في أننا يجب أن نتخذ إجراءً ضد تيلري، لقد أمضينا أنا وهو السنوات العشرة الماضية كخصمين في التجارة. إنه رجل سافر ومبذر، وسيكون ملكًا أسوأ من آيادون، إن استعداده لأخذ تصريح هراثن السخيف بعين الاعتبار كان الدليل النهائي الذي أحتاج إليه.

لا، إن سبب مطالبتي بالمزيد من الوقت قبل أن نلتقي لم يكن للتساؤل عما إذا كان يجب التخلص من تيلري، كان سبب مطالبتي بالمزيد من الوقت هو أنني أنتظر... وصول بعض المتعاونين معي".

سألته سارين: "متعاونين؟".

قال رويال: "مغتالون، رجال قد استأجرتهم من فيوردن، ليس كل الناس في ذلك البلد مخلصين تمامًا إلى ربهم، بعضهم قد أقسموا على الولاء للذهب بدلًا منه".

سألته سارين: "أين هم؟".

قال رويال: "يقيمون في حانة ليست ببعيدة".

قالت سارين في حيرة: "ولكن قبل أسبوع واحد فحسب كنت تحذرنا من أن نجعل سفك الدماء سبيلنا في إنجاح تمردنا".

أطرق رويال برأسه وقال: "كان إحساسي بالذنب هو من يتحدث يا سارين، فكنت قد أرسلت في طلب هؤلاء الرجال بالفعل، ولكني غيرت رأيي، هذا الشاب الدولاد...".

قاطع حديث رويال صوت أقدام تخطو عبر بهو البيت، لقد عاد آهان. فكرت سارين في قرارة نفسها وهي تلتفت؛ *غريب، لم أسمع صوت غلق الباب الأمامي.*

لم تجد أن آهان هو الواقف عند الباب، وبدلًا من هذا واجهها مجموعة من الجنود المسلحين، وفي مقدمتهم رجل متأنق؛ الملك تيلري.

قفزت سارين واقفة ولكن صرخة الدهشة ضاعت بين صيحات أخرى مماثلة. خطا تيلري جانبًا ليسمح لدزينة من حرس مدينة إيلانتريس في ملابسهم الرسمية بأن يملؤوا الحجرة، ومن ورائهم الكونت آهان البدين.

قال رويال: "آهان! ما الذي فعلته؟".

قال الكونت بابتهاج ووجه الممتلئ يهتز ضحكًا: "لقد نلت منك أخيرًا أيها العجوز، قلت لك إنني سأنال منك. فلتمزح كما تشاء بشأن حالة قوافلي في سڤوردن الآن أيها العجوز اللعين الأحمق، فلنرَ كيف سيكون حال قوافلك بينما تقضي السنوات القادمة في السجن".

هز رويال رأسه الأشيب في أسى وقال: "أيها الأحمق. لا تُدرك متى يتوقف الأمر عن كونه لعبة؟ نحن لم نعد نلعب بالفاكهة والحرير".

قال آهان وهو يلوح بإصبعه في انتصار: "فلتحتج كما تشاء، ولكن عليك أن تعترف أنني قد نلت منك! لقد كنت أنتظر هذا لشهور، لم أستطع قط أن أُقنع آيادون بأن يأخذ تحذيراتي على محمل الجد، هل يمكنك أن تصدق أنه اعتقد أنك غير قادر على خيانته؟ لقد زعم أن صداقتكما أعمق من هذا".

تنهد رويال ثم نظر إلى تيلري الذي كان يبتسم ابتسامة عريضة، وبدا من الواضح أنه يستمتع بالحوار الدائر. قال رويال: "وا أسفاه عليك يا آهان، لطالما كنتَ مولعًا بالتصرف دون تفكير".

كانت سارين مذهولة فلم تستطع أن تتحرك أو تتحدث. كان من المفترض أن يكون الخونة رجالًا بأعين ماكرة وتصرفات خبيثة، لم تستطع أن تربط الأمر بصورة آهان، إنه متعجرف متهور، ولكنها قد أحبته، كيف يُمكن لشخص تحبه أن يفعل شيئًا فظيعًا كهذا؟

فرقع تيلري بإصبعيه فتقدم جندي إلى الأمام وغرس سيفه في بطن الدوق رويال. شهق رويال ثم هوى متكومًا على الأرض وهو يتأوه.

قال تيلري: "هذه هي الأحكام التي يُصدرها ملككم".

صرخ آهان واتسعت عيناه في وجهه البدين وهو يقول: "لا! لقد قلت السجن!". ثم أسرع متجاوزًا تيلري وهو ينتحب بينما يجثو على ركبتيه إلى جانب رويال.

سأله تيلري: "هل قلتُ هذا؟". ثم أشار إلى اثنين من جنوده وقال: "أنتما الاثنان، اجمعا بعض الرجال واعثروا على هؤلاء المغتالين، ثم...". نقر على ذقنه مفكرًا، قبل أن يقول: "ألقوا بهم من فوق أسوار إيلانتريس".

حياه الرجلان التحية العسكرية ثم أسرعا خارجين من الحجرة.

قال تيلري: "أما بقيتكم فاقتلوا هؤلاء الخونة، وابدؤوا بالأميرة العزيزة، ليعرف الناس أن هذا عقاب من يحاول أن يغتصب العرش".

صرخ شودن وإيونديل في وقت واحد: "لا!".

بدأ الجنود في التحرك فوجدت سارين نفسها وراء جدار حماية قد شكله شودن وإيونديل ولوكل. كان إيونديل هو الوحيد الذي يحمل سلاحًا، ولكنهم يواجهون عشرة رجال.

قال صوت من على الناحية الأخرى من الطاولة: "من المثير للاهتمام أنك ذكرت اغتصاب العرش أيها الدوق تيلري، فقد كان لدي انطباع أن العرش ينتمي إلى عائلة آيادون".

نظرت سارين إلى مصدر الصوت فوقعت عيناها على سبيريت، أو على الأقل الشخص الذي يرتدي ثياب سبيريت. كان له البشرة الآيونية الشاحبة، والشعر البني الرملي، والعينان الزرقاوان الحادتان، عينا سبيريت، ولكن هذا الوجه لم يُظهر أي أمارة على دنس إيلانتريس. ألقى بقطعة

قماشية على الطاولة فكانت باستطاعتها أن ترى اللطخات البنية عليها كأنما يريدهم أن يصدقوا أنه ببساطة قد مسح مساحيق التجميل ليكشف عن وجه مختلف تمامًا من تحتها.

شهق تيلري وهو يتعثر إلى الوراء حتى التصق بالجدار ثم قال بصوت مختنق: "الأمير رايودن! لا! أنت ميت، قالوا لي إنك قد مت!".

أحست سارين بالخدر وهي تفكر؛ *رايودن!* كانت تحدق إلى الرجل المسمى سبيريت وهي تتساءل عن حقيقته، وعما إن كانت قد عرفته حقًّا.

نظر سبيريت إلى الجنود وسألهم: "هل ستجرؤون على قتل ملك أريلون الحقيقي؟".

تراجع الحرس إلى الوراء وقد اكتست وجوههم بالحيرة والخوف.

صرخ تيلري وهو يدور على عقبيه ويفر من الحجرة: "احموني يا رجال!". راقب الجنود قائدهم وهو يهرب ثم انضموا إليه بشكل مهين، تاركين المتآمرين وشأنهم.

قفز سبيريت ـ رايودن ـ من على الطاولة متجاوزًا لوكل ثم دفع آهان المنتحب من طريقه ليجثو إلى جانب كين؛ الشخص الوحيد الذي فكر في محاولة علاج جرح رويال. كانت سارين تراقب من ورائهم في ذهول وقد شُلَّت حواسها. كان من الواضح أن إسعاف كين للجرح لن يكون كافيًا لإنقاذ الدوق، لقد اخترق السيف جسد الرجل تمامًا، صانعًا جُرحًا مؤلمًا، ومميتًا بالتأكيد.

شهق الدوق رويال: "رايودن! لقد عدت إلينا!".

قال رايودن وهو يطعن الهواء بإصبعه: "ابقَ ساكنًا يا رويال". تدفق الضوء من طرف إصبعه عندما بدأ يرسم.

قال الدوق بمشقة: "كان يجب أن أعرف أنه أنت. كل هذا الحديث السخيف عن الثقة بالناس، هل يُمكنك أن تصدق أنني كنت قد بدأت أتفق معك؟ كان يجب أن أرسل هؤلاء المغتالين لتنفيذ مهمتهم منذ لحظة وصولهم".

قال سبيريت بصوت متهدج: "إن كل هذا لا يُناسب رجلًا طيبًا للغاية مثلك يا رويال".

عاد التركيز إلى عيني رويال وهو يدرك لأول مرة الآيون الذي يرسمه سبيريت من فوقه. قال بأنفاس مبهورة: "هل عادت المدينة الجميلة أيضًا؟".

لم يجبه سبيريت، وبدلًا من هذا صبَّ تركيزه على آيونه. كان يرسم بطريقة مختلفة عن ذي قبل، فقد كانت أصابعه تتحرك بسرعة ومهارة أكثر، أنهى رسم الآيون بخط صغير بالقرب من أسفله، فبدأ يتوهج بدفء ليغمر رويال بضوئه، وبينما سارين تُراقب الأمر بدا أن حواف جرح رويال تلتئم قليلًا. اختفى خدش من على وجه رويال، ثم تلاشت العديد من بقع الشيخوخة من جلد رأسه.

ثم خفت الضوء بينما الجرح لا يزال ينزف دمًا مع كل نبضة ضعيفة من قلب الدوق المحتضر.

سب رايودن وقال: "إن الآيون ضعيف للغاية". ثم بدأ في يأس يرسم آيونًا آخر وهو يقول: "وأنا لم أدرس كل معدلات الشفاء، لا أعرف كيف أستهدف جزءًا معينًا من الجسد".

مد رويال ذراعه المرتجفة ليُمسك بيد سبيريت، فتلاشى الآيون قبل أن يكتمل، لأن حركة الدوق جعلت سبيريت يرتكب خطأً. لم يبدأ سبيريت في الرسم من جديد بل أطرق برأسه وهو ينتحب. قال رويال: "لا تبكِ يا بني، إن عودتك مباركة. لا يُمكنك أن تُنقذ هذا الجسد العجوز المُتْعَب، ولكن يمكنك أن تنقذ المملكة. سأموت في سلام وأنا أعرف أنك هنا لتحميها".

أمسك سبيريت بوجه الرجل العجوز بين يديه وهو يقول هامسًا: "لقد أحسنت صنيعًا معي يا رويال". انتاب سارين إحساس قوي بأنها تتطفل عليهما. "لولا اعتناؤك بي لصرتُ مثل أبي".

قال رويال: "لا يا بني، لقد كنتَ مثل أمك منذ البداية. فليباركك دومي".

أشاحت سارين بنظرها بينما احتضار الدوق يتحول إلى مشهد مروع مع تشنج جسده وتدفق الدماء من بين شفتيه. عندما نظرت من جديد ترقرقت الدموع في عينيها، كان رايودن لا يزال جاثيًا على ركبتيه بجانب جثة الرجل العجوز. وأخيرًا أخذ نفسًا عميقًا واعتدل واقفًا، ثم التفت لينظر إلى بقيتهم بعينين صارمتين رغم حزنهما. أحست سارين إلى جانبها بشودن وإيونديل ولوكل يجثون على ركبهم ويحنون رؤوسهم في تبجيل.

قال إيونديل متحدثًا بالنيابة عنهم جميعًا: "ملكي".

أدركت سارين فجأة في صدمة: "زوجي".

# الفصل الرابع والخمسون

قال هراثن: "فعل ماذا؟".

جفل الكاهن إثر رد الفعل المفاجئ من هراثن فتلعثم وهو يكرر الرسالة، ولكن هراثن قاطعه قبل أن يُكمل.

دوق مزرعة آيال قد مات؟ وبأمر من تيلري؟ أي تصرف عشوائي هذا؟ عرف هراثن من التعبير المرتسم على وجه الرسول أن هناك المزيد، لذا أشار للرجل أن يُكمل. سرعان ما أدرك أن هذا الإعدام لم يكن عشوائيًا على الإطلاق، بل في الواقع كان منطقيًا تمامًا. لم يُصدق هراثن حُسن حظ تيلري، قيل إن رويال رجل ماكر للغاية، لذا فإن القبض على الدوق متلبسًا بتهمة الخيانة كان أمرًا مفيدًا لتيلري بشكل مدهش.

ولكن ما قاله الرسول بعد ذلك كان صادمًا أكثر. تقول الشائعات إن الأمير رايودن قد عاد من القبر.

جلس هراثن مذهولًا وراء مكتبه، ثم خفقت جدارية قماشية بينما الرسول يخرج ويُغلق الباب وراءه.

قال لنفسه: *تمالك نفسك، يمكنك التعامل مع هذا الأمر.* إن شائعة عودة رايودن كاذبة بالتأكيد، ولكن كان على هراثن أن يعترف بأنها ضربة قوية. إنه يعرف بأن الأمير كان مشهورًا بأنه قديس، وكان الناس ينظرون إلى رايودن بدرجة من الحب المؤله لا تُمنح إلا للموتى. إن تمكنت سارين من أن تجد شبيهًا له بطريقة ما فيُمكنها أن تزعم أنه زوجها وتواصل سعيها للمطالبة بالعرش حتى بعد موت رويال.

قال هراثن لنفسه وهو يبتسم في احترام: *إنها تتحرك بسرعة حقًا.*

لا يزال قتل تيلري لرويال يُزعج هراثن. فإن قتل الدوق دون محاكمة أو اعتقال سيجعل النبلاء الآخرين أكثر تخوفًا. ربما لم يفت الأوان بعد لإقناع تيلري بأن يصوغ على الأقل مذكرة تنفيذ حكم بالإعدام. هذا سيريح عقلاء الأرستقراطيين الآخرين إن تمكنوا من قراءة هذه الوثيقة.

***

رفض تيلري أن يقابله، كان هراثن واقفًا في حجرة الانتظار مرة أخرى وهو يحدق إلى اثنين من حراس تيلري، وكل منهما يعقد ذراعيه على صدره. كان الرجلان ينظران إلى الأرض في حرج، من الواضح أن شيئًا ما قد أزعج تيلري كثيرًا حتى إنه يرفض مقابلة أي زوار على الإطلاق.

لن يسمح هراثن له بأن يتجاهله، ورغم أنه لا يستطيع أن يشق طريقه إلى الحجرة بالقوة، ولكن يمكنه أن يجعل نفسه مصدر إزعاج حتى يوافق تيلري في النهاية على مقابلته. لذا أمضى الساعة الأخيرة وهو يطلب مقابلته كل خمس دقائق.

في الواقع لقد حان الوقت لكي يقدم طلبًا آخر. قال آمرًا: "فلتسأل الملك أيها الجندي إن كان سيُقابلني".

تنهد الجندي كما فعل في المرات التي قدم فيها هراثن الطلب ذاته، ولكن أطاعه الجندي وفتح الباب قبل أن يدلف إلى الداخل ليبحث عن سيده. بعد بضع لحظات عاد الرجل.

تجمد السؤال في حلق هراثن، إنه لم يكن الرجل ذاته.

أشهر الرجل سيفًا وهاجم الحارس الثاني، فتعالى صليل المعدن على المعدن في حجرة انتظار الملك. ثم بدأ الرجل يصرخ في مزيج من الغضب والمعاناة.

سب هراثن؛ معركة في الليلة الوحيدة التي يترك فيها دروعه وراءه. جز على أسنانه ثم أسرع متجاوزًا الحارسين المتقاتلين ليدلف إلى الحجرة.

كانت النيران مشتعلة في الجداريات القماشية، والرجال يتقاتلون بمشقة في المساحة الضيقة. كان هناك عدة حراس صرعى عند الباب المقابل، بعضهم يرتدي الثياب البنية والصفراء التي تميز حرس مدينة إيلانتريس، بينما الآخرون باللونين الفضي والأزرق، لوني فيلق الكونت إيونديل.

تفادى هراثن بضع هجمات متحاشيًا النصال، أو مسقطها بضرباته من أيدي الرجال. يجب عليه أن يجد الملك، إن تيلري مهم للغاية على أن...

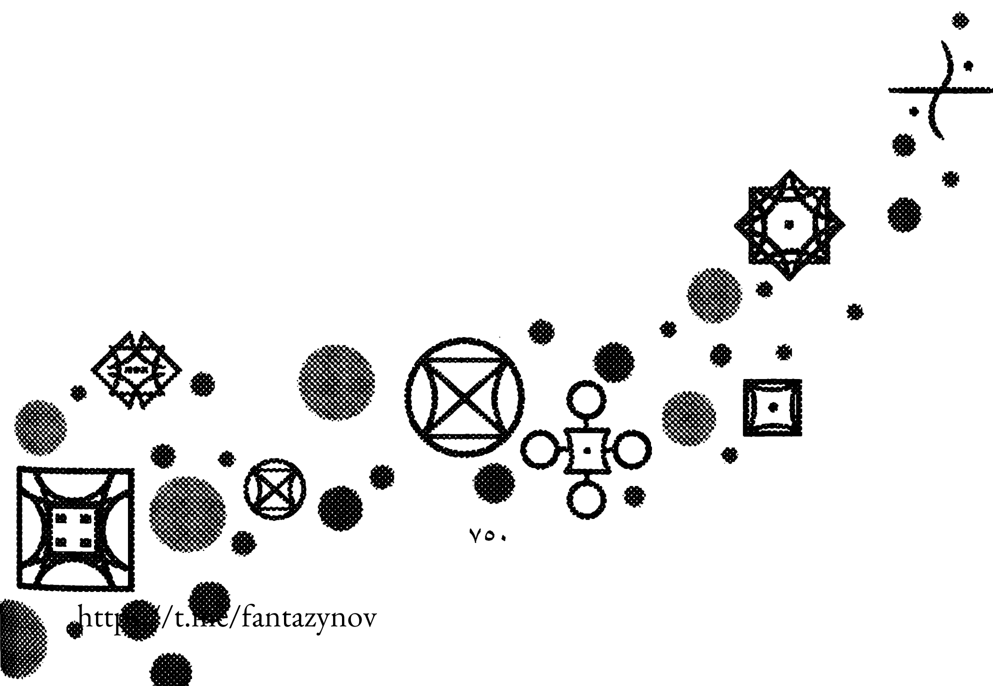
تجمد الزمن عندما رأى هراثن الملك من بين المعركة الدائرة، وأشرطة قماشية محترقة تتساقط من الديباج أعلاه. كانت عينا تيلري شاخصتين في خوف بينما يندفع نحو الباب المفتوح في الجزء الخلفي من الحجرة، ولكن سيف إيونديل وجد عنق تيلري قبل أن يقطع الملك أكثر من بضع خطوات.

سقطت جثة تيلري مقطوعة الرأس عند قدمي الكونت إيونديل. نظر إليه الكونت بعينين واجمتين، ثم انهار إلى جواره ممسكًا بجرح في جانبه.

وقف هراثن صامتًا في المعركة وقد نسي الفوضى في تلك اللحظة وهو ينظر إلى الجثتين، لقد فعل كل ما فعله لكي يتجنب تغيير السلطة تغييرًا دمويًّا.

# الجزء الثالث

# روح إيلانتريس



خريطة آيسحان ساو الجديدة

# لأريلون

بعد الريود

أتو
أكي
كاي
توا
إلى تيود
بحر فيوردن
آيالد
إيلانتريس
ديو
آيال
ناي
إيون
نهر أريديل
أري
ري
كونديون
ساو
كاي
آيور
سيو
إنو
إينا
فاي
بحيرة ألونوي
آيدو
كاي
آها
أتا
إيش
إدو
آياد
أوبا
تي
أور
كالتي
آين
إيه
فيلافو
دا
كا
نهر كالومو
إيون



# الفصل الخامس والخمسون

بدا من غير الطبيعي أن يرى رايودن إيلانتريس من الخارج، إنه ينتمي إلى المدينة، أحس كأنما يقف خارج جسده وينظر إليه من منظور شخص آخر، لا ينبغي أن ينفصل عن إيلانتريس، تمامًا مثلما لا ينبغي أن تنفصل روحه عن جسده.

كان واقفًا بصحبة سارين أعلى بيت كين الأشبه بالحصن في شمس الظهيرة. إن التاجر الذي يتمتع بالبصيرة وقدر صحي من الريبة قد بنى قصره ليكون قلعة أكثر منه بيتًا في أعقاب المذبحة التي وقعت قبل عشر سنوات. كان المبنى مربع الشكل، بأسوار حجرية مستقيمة، ونوافذ ضيقة، ومبنيًا على قمة تل. كان السقف به نمط من الأحجار يمتد على طول حافته، يُشبه إلى حد كبير الحواجز التي توجد أعلى سور أي مدينة. كان رايودن متكئًا على واحد من تلك الأحجار، بينما تقف سارين بالقرب منه وهي تحيط خصره بذراعيها وهما يتأملان المدينة.

بعد موت رويال بوقت قصير أغلق كين أبواب بيته بالمزاليج وأخبرهم أن لديه مخزونًا من المؤن يكفيهم لسنوات. كان رايودن يشك في أن هذه الأبواب ستصمد أمام هجوم شرس، ولكنه رحب بمشاعر الأمان التي يمنحها لهم كين. لم يعرفوا كيف سيكون رد فعل تيلري على ظهور رايودن، ولكن الأرجح هو أنه سيتخلى عن تظاهره وسيطلب مساعدة فيوردن. ربما يشعر حرس مدينة إيلانتريس بالتردد تجاه مهاجمة رايودن، ولكن القوات الفيوردية لن يكون لديها مثل هذا الرادع.

تمتمت سارين وهي تقف إلى جانب رايودن: "كان يجب عليَّ أن أستنبط الأمر".

رفع رايودن حاجبيه وهو يقول: "ماذا؟". كانت سارين ترتدي أحد فساتين دايورا، لم يكن بالطبع طويلًا بما يكفي بالنسبة لها، ولكن رايودن أحب القدر الذي يكشفه من ساقيها. وكانت تضع الشعر المستعار الأشقر القصير، الذي صففته بطريقة تجعلها تبدو أصغر سنًّا مما هي عليه، فبدت كأنها طالبة في المدرسة بدلًا من كونها امرأة ناضجة. قال رايودن لنفسه مستدركًا: *طالبة مدرسة طولها ستة أقدام.*

رفعت سارين رأسها لتنظر إلى عينيه قائلة: "لا أصدق أنني لم أستطع استنتاج الأمر. حتى إنني كنت متشككة بشأن اختفائك، وأقصد هنا اختفاء رايودن. لقد افترضت أن الملك قد قتلك، أو على الأقل نفاك".

قال رايودن: "أنا واثق من أنه كان يود هذا، لقد حاول أن يقصيني مرات عديدة، ولكني عادة ما كنت أتملص من الأمر".

قالت سارين وهي تريح رأسها على كتفه: "كان الأمر واضحًا للغاية! كل هذا التستر والإحراج... إنه منطقي تمامًا".

قال رايودن: "من السهل رؤية الإجابات بمجرد حل اللغز يا سارين. لست متفاجئًا من أن أحدًا لم يربط بين اختفائي وإيلانتريس، هذا ليس شيئًا قد يفترضه الأريليون. لا يتحدث الناس عن إيلانتريس، وبالتأكيد لن يرغبوا في أن يربطوا بينها وبين من يحبونهم، سيفضلون أن يصدقوا أنني مت على أن يكون الشايود قد أصابني".

قالت سارين: "ولكني لست أريلية، وليس لدي نفس التحيزات".

قال رايودن: "لقد عشتِ معهم، ولا يمكنكِ منع نفسكِ من التأثر بطبيعتهم، كما أنكِ لم تعيشي بالقرب من إيلانتريس، ولم تعرفي كيف يعمل الشايود".

زفرت سارين وقالت: "وأنت يا زوجي تركتني في جهلي".

قال محتجًا: "لقد منحتكِ تلميحًا".

"أجل، قبل أن تكشف عن نفسك بخمس دقائق".

ضحك رايودن ثم ضمها إليه، فبغض النظر عن كل شيء آخر قد حدث كان مسرورًا لأنه اتخذ قراره بمغادرة إيلانتريس. هذا الوقت القصير الذي يقضيه مع سارين يستحق كل هذا العناء.

بعد بضع دقائق أدرك شيئًا فقال: "ولكني لست كذلك".

"لستَ ماذا؟".

"زوجك، أو على الأقل هناك موضع خلاف في هذه العلاقة. ينص عقد الخطبة على أن زواجنا سيكون مُلزمًا إن مات أحد الطرفين قبل الزفاف، ولكني لم أمت، لقد ذهبت إلى إيلانتريس، ورغم أنهما في الأساس الشيء ذاته إلا أن كلمات العقد كانت محددة".

نظرت إليه سارين والقلق في عينيها، فضحك وقال: "أنا لا أحاول التملص من الأمر يا سارين، بل أقول إن علينا أن نجعل الأمر رسميًّا لكي يطمئن الجميع".

فكَّرت سارين للحظة ثم أومأت برأسها في حماس وقالت: "بالتأكيد، لقد خُطبت مرتين أثناء الشهرين الماضيين ولم أنل حفل زفاف. تستحق الفتاة حفل زفاف لائقًا".

وافقها رايودن قائلًا: "حفل زفاف يليق بملكة".

تنهدت سارين وهي تنظر من جديد إلى كاي، بدت المدينة باردة وخاوية من الحياة، تكاد أن تكون مهجورة. إن الاضطراب السياسي يدمر اقتصاد أريلون تمامًا كما دمر حُكم آيادون روحها، وحيثما كان من المفترض أن يكون هناك حركة تجارية مزدحمة، لم يكن هناك إلا عدد قليل من المارة يمشون في الشوارع بحذر. كان الاستثناء الوحيد هو ساحة المدينة الكبيرة، التي

تضم خيام سوق أريلون. فبينما قرر بعض التجار أن يقللوا من خسائرهم بالانتقال إلى تيود لبيع ما يمكنهم بيعه هناك قرر عدد مفاجئ منهم البقاء وكانت سفنهم لا تزال ترسو في ميناء كاي. ما الذي يمكن أن يقنع عددًا كبيرًا منهم بالبقاء لمحاولة الإلحاح في بيع البضائع إلى أشخاص يرفضون الشراء؟

كان المكان الوحيد الذي يُظهر أي علامة على النشاط هو القصر الملكي. كان حرس مدينة إيلانتريس يذهبون ويجيئون في المكان طوال الصباح كحشرات تشعر بالقلق. كانت سارين قد أرسلت سيونها ليتحقق من الأمر، ولكنه لم يعد بعد.

قالت سارين بصوت خافت: "لقد كان رجلًا صالحًا".

سألها رايودن: "رويال؟ أجل، كان كذلك. كان الدوق هو القدوة التي احتجت إليها عندما أثبت أبي أنه غير جدير بهذا".

ضحكت سارين ضحكة خافتة ثم قالت: "عندما عرفني كين على رويال قال لي إنه ليس واثقًا إن كان الدوق سيساعدنا لأنه يحب أريلون أم لأنه فقط يشعر بالملل".

قال رايودن: "العديد من الناس يعتبرون دهاء رويال علامة على الخداع، ولكنهم كانوا مخطئين، كان رويال فطنًا ويستمتع بالتآمر، ولكنه كان رجلًا وطنيًّا. لقد علمني أن أؤمن بأريلون رغم عثراتها العديدة".

قالت سارين: "كان أشبه بجد عجوز ماكر، وكاد أن يصير زوجي".

قال رايودن: "ما زلت غير قادر على تصديق الأمر، لقد أحببت رويال... ولكن أن أتخيله متزوجًا؟ ومنكِ؟".

ضحكت سارين وقالت: "لا أعتقد أننا صدقنا الأمر أيضًا، هذا بالطبع لا يعني أننا لم نكن لنتمم الزواج".

تنهد رايودن وهو يفرك كتفيها ثم قال: "لو كنت أعرف أنني تركت أريلون في أيدٍ أمينة لوفرت على نفسي قدرًا كبيرًا من القلق".

سألته: "وماذا عن إيلانتريس الجديدة؟ هل تعتني كاراتا بها؟".

قال رايودن: "إيلانتريس الجديدة تعتني بنفسها دون متاعب، ولكني أرسلت جالادون إلى هناك هذا الصباح مع تعليمات بأن يبدأ في تعليم الناس الآيوندور. إن فشلنا هنا فلا أُريد أن أترك إيلانتريس غير قادرة على حماية نفسها".

"على الأرجح لم يتبقَّ الكثير من الوقت".

قال رايودن: "وقتًا كافيًا للحرص على أن يتعلموا آيونًا أو اثنين، إنهم يستحقون معرفة سر قوتهم".

ابتسمت سارين وقالت: "لطالما عرفت أنك ستجد الإجابة، لن يترك دومي تفاني قومك يذهب هباءً".

ابتسم رايودن، في الليلة الماضية جعلته يرسم عشرات الآيونات ليثبت أنها تعمل حقًّا، ولكنها لم تكن كافية لإنقاذ أريلون. أحس رايودن بصخرة من الإحساس بالذنب تجثم على صدره، ربما كان ليقدر على إنقاذ رويال لو كان يعرف المعدلات المناسبة، إن جرحًا في الأمعاء يستغرق وقتًا طويلًا لكي يقتل رجلًا. كان رايودن سيقدر على أن يعالج كل عضو على حدة، ثم يجعل الجلد يلتئم. بدلًا من هذا لم يكن قادرًا إلا على رسم آيون شامل قد أثر على جسد رويال كله، وقوة الآيون - التي كانت ضعيفة بالفعل - قد تشتت كثيرًا بسبب استهدافها لهدف واسع النطاق، حتى إنها لم تُجدِ نفعًا.

ظل رايودن مستيقظًا حتى وقت متأخر من الليل وهو يحفظ المعدلات، إن الشفاء بالآيوندور يعد فنًّا معقدًا وصعبًا، ولكنه كان مصممًا على أن يحرص على ألا يموت أي شخص آخر بسبب عدم كفاءته. قد يستغرق منه الأمر شهورًا من الحفظ، ولكنه سيتعلم المعدل الخاص بكل عضو وعضلة وعظمة.

من جديد راحت سارين تتأمل المدينة، كانت تُمسك بخصر رايودن بإحكام، فلم تكن تحب المرتفعات، وخصوصًا إن لم يكن هناك شيء تتشبث به. نظر رايودن إلى أعلى رأسها وقد تذكر فجأة شيئًا من دراساته الليلية.

مد يده وجذب شعرها المستعار، قاومت المادة اللاصقة قبل أن ينخلع الشعر في يده، ليكشف عن الشعر النابت من تحته. التفتت إليه سارين في تساؤل بعينين منزعجتين، ولكنه كان قد بدأ الرسم بالفعل.

لم يكن آيونًا معقدًا، ولا يتطلب منه سوى أن يحدد الهدف والتأثير الذي يريده والمدة الزمنية. عندما انتهى من الرسم بدأ شعرها ينمو. انسدل من على رأسها كزفير بطيء. وفي غضون بضع دقائق انتهى الأمر وصار شعرها الذهبي يصل من جديد إلى منتصف ظهرها.

مررت سارين أصابعها عبر شعرها في عدم تصديق، ثم نظرت إلى رايودن وعيناها الرماديتان تترقرقان بالدموع. همست وهي تضمه إليها: "شكرًا لك، أنت لا تعرف ما يعنيه لي هذا".

بعد دقيقة ابتعدت عنه وهي تحدق إليه باهتمام قبل أن تقول: "فلتريني نفسك".

سألها رايودن: "وجهي؟".

أومأت سارين برأسها.

قال مترددًا: "لقد رأيتِه من قبل".

"أعرف، ولكني صرت معتادة أكثر من اللازم على هذا الوجه، أُريد أن أرى وجهك الحقيقي".

منعه التصميم في عينيها من أن يجادل، فتنهد وهو يمد يده لينقر بسبابته على ياقة قميصه الداخلي. بالنسبة له لم يتغير شيء، ولكنه أحس بسارين تتيبس مع تلاشي الوهم. انتابه فجأة إحساس بالخجل وبدأ في عجالة يرسم الآيون مرة أخرى، ولكنها منعته.

قالت وهي تمرر أصابعها على وجهه: "إنه ليس فظيعًا كما تعتقد يا رايودن. يُقال إن أجسادكم كالجثث، ولكن هذا ليس صحيحًا، ربما تغضن جلدك قليلًا وتغير لونه، ولكن لا يزال هناك لحم من تحته".

لمست أصابعها جرحًا على وجنته فشهقت وقالت: "أنا من فعل هذا، أليس كذلك؟".

أومأ رايودن برأسه وقال: "كما قلتُ لكِ من قبل، لم يكن لدي أدنى فكرة عن مدى براعتك في المبارزة".

مررت سارين إصبعها على الجرح وقالت: "لقد أحسست بارتباك شديد حينما لم أجد الجرح. لِمَ يُظهر الوهم تعابير وجهك ولكنه لا يُظهر جرحًا؟".

قال رايودن: "الأمر معقد، يجب عليك أن تربطي كل عضلة في الوجه مع قرينتها في الوهم. أنا نفسي لم أتمكن من استيعاب الأمر، جميع المعادلات موجودة في كتاب من كتبي".

"ولكنك بدلت الوهم بسرعة في الليلة الماضية، لتتغير من كالو إلى رايودن".

ابتسم وقال: "هذا لأنني كنت مغطى بوهمين، واحد مرتبط بقميصي الداخلي والآخر بمعطفي، ما إن أزلت الوهم الموجود بالأعلى حتى ظهر الوهم الموجود أسفله. أنا مسرور لأنه يُشبهني بما يكفي لأن يتعرف عليَّ الآخرون. بطبيعة الحال لم يكن هناك أي معدلات تصف كيفية إنشاء وجهي، لذا كان عليَّ أن أكتشف هذا بنفسي".

"لقد أبليت حسنًا".

ابتسم وقال: "لقد استخدمت وجهي الإيلانتري كأساس أبني عليه الوهم. أنتِ امرأة محظوظة، لديك رجل يمكنه أن يغير وجهه في أي وقت، لن تشعري بالملل أبدًا".

قالت سارين ساخرة: "يعجبني هذا الوجه، فهذا هو الوجه الذي أحبني عندما ظن الجميع أنني إيلانترية قد نزع عنها كل مراتبها وألقابها".

سألها رايودن: "تعتقدين أن بإمكانك الاعتياد على هذا الوجه؟".

"كنت سأتزوج رويال الأسبوع الماضي يا رايودن. كان رجلًا عجوزًا طيبًا، ولكنه كان قبيحًا للغاية، حتى إن الصخور تبدو وسيمة عندما يقف إلى جانبها".

ضحك رايودن، فرغم كل شيء ـ تيلري وهراثن ومقتل رويال المسكين ـ كان قلبه مبتهجًا.

قالت سارين وهي تنظر ناحية القصر من جديد: "ماذا سنفعل؟".

بينما رايودن يلتفت لينظر إلى حيث تنظر دفعها للأمام. كان رد فعل سارين هو أن أحكمت قبضتها على كتف رايودن في هلع، فانغرست أصابعها في لحمه. قالت: "لا تفعل هذا!".

قال وهو يحيط كتفها بذراعه: "عذرًا، نسيت بشأن خوفك من المرتفعات".

قالت وهي لا تزال متشبثة بذراعه: "أنا لا أخاف من المرتفعات، بل أشعر بالدوار فحسب".

قال رايودن: "بالطبع". ثم ضيق عينيه وهو ينظر ناحية القصر. بالكاد تمكن من تمييز مجموعة من الجنود تفعل شيئًا في الأراضي الواقعة أمام المبنى، كانوا يضعون بطانيات أو ملاءات من نوع ما.

قالت سارين: "إن المشهد بعيد للغاية، أين آش؟".

رفع رايودن يده ورسم في الهواء أمامهما آيون ناي؛ حرف دائري كبير. عندما انتهى من الرسم تموج الهواء داخل دائرة آيون ناي كالماء، قبل أن يصفو لتظهر صورة مكبرة للمدينة. وضع رايودن راحته في منتصف الدائرة ثم حرَّك الآيون حتى صار موجهًا ناحية القصر. تلاشت ضبابية الصورة فصارا قادرين على رؤية الجنود بتفاصيل دقيقة، حتى إنهما كانا قادرين على قراءة شارات الرتب.

قالت سارين بينما رايودن يرفع الآيون قليلًا: "هذا مفيد". كان الجنود بالفعل يضعون ملاءات وبداخلها ما يبدو أنه جثث. أحس رايودن بالبرودة تتزايد بداخله وهو يحرك القرص على طول صف الجثث. كانت آخر جثتين مألوفتين.

شهقت سارين عندما ظهر بوضوح وجهي تيلري وإيونديل الميتين.

# الفصل السادس والخمسون

قال آش: "لقد هاجم في الليلة الماضية يا سيدتي".

كان بقية أعضاء المجموعة. كين ولوكل وشودن. مجتمعين أعلى البيت يراقبون بينما رايودن يركز الآيون المكبر على المحارق الجنائزية التي تُبنى في باحة القصر.

كان البارون شودن جالسًا في أسى على السطح الحجري وهو يهز رأسه في عدم تصديق. أمسكت سارين بيد الشاب الجيندوي في محاولة لمواساته، رغم أنها تدرك بشكل مؤلم كم كان اليومان الماضيان عصيبين بالنسبة له. لقد اتضح أن حماه المستقبلي خائن، وقيل إن تورينا قد اختفت، والآن مات أعز أصدقائه.

قال كين وهو يقف إلى جانب رايودن: "كان رجلًا شجاعًا".

قال رايودن: "لم يكن هناك أدنى شك في هذا، ولكن رغم ذلك كانت تصرفاته حمقاء".

قالت سارين وهي تُبعد بصرها عن شودن المكلوم: "لقد فعل هذا بدافع الشرف يا رايودن، لقد قتل تيلري رجلًا عظيمًا الليلة الماضية، وقد سعى إيونديل للانتقام من أجل الدوق".

هز رايودن رأسه وقال: "دومًا ما يكون الانتقام دافعًا أحمق يا سارين، الآن لم نخسر رويال فحسب بل خسرنا إيونديل أيضًا. أما الشعب فقد واجه موت ملكين في غضون أسابيع قليلة".

تركت سارين المناقشة تنتهي. إن رايودن يتحدث كحاكم وليس كصديق، لا يمكنه أن يلتمس العذر لإيونديل حتى في الموت، بسبب الموقف الذي وضعهم فيه الكونت.

لم يُطل الرجال مراسم حرق ضحايا المعركة، فاكتفوا بإشعال المحرقة ثم أدوا التحية العسكرية بشكل جماعي، بينما الجثث تحترق. أيًّا ما يمكن أن يُقال عن الحرس، فإنهم قد أدوا هذا الواجب بجدية وشرف.

قال رايودن: "انظروا هناك". كان يوجه آيونه ناحية مجموعة من قرابة خمسين جنديًّا قد انفصلت عن المجموعة الرئيسية، حيث تركوا المحرقة وأسرعوا على صهوات خيولهم ناحية بيت كين. كانوا جميعًا يرتدون الحرامل البنية التي تميز ضباط حرس مدينة إيلانتريس.

قال كين: "هذا قد ينذر بالسوء".

قال رايودن: "وربما يبشر بالخير".

هز كين رأسه وقال: "كان يجب أن نهدم المدخل، ونتركهم يحاولون أن يخترقوا بابًا وراءه طن من الأحجار".

قال رايودن: "لا، احتجازنا بالداخل لن ينفعنا بشيء، أُريد أن أُقابلهم".

قال كين: "هناك سبل أخرى للخروج من المبنى".

قال رايودن: "ومع ذلك لا تهدم مدخل بيتك قبل أن آذن لك، هذا أمر".

جز كين على أسنانه للحظة ثم أومأ برأسه وقال: "سأفعل يا رايودن، ليس لأنه أمر منك، بل لأنني أثق بك. ربما يدعوك ابني ملكًا، ولكني لا أقبل حكم أي رجل".

نظرت سارين إلى عمها في دهشة مصدومة، لم ترَه من قبل يتحدث بهذه الطريقة، عادة ما يكون مرحًا كدب سيرك سعيد. ولكن في هذه اللحظة كان وجهه جامدًا وواجمًا يغطيه شعيرات خفيفة سمح لها بأن تبدأ في النمو بمجرد أن عرف بموت آيادون. لقد رحل الطاهي الفظ المطيع وحل محله رجل يبدو كأدميرال أشيب في أسطول والدها.

قال رايودن: "شكرًا لك يا كين".

أومأ عمها برأسه. كان الخيالة يقتربون بسرعة وهم ينتشرون ليحيطوا بحصن كين الواقع أعلى التل. عندما لاحظ أحد الجنود وجود رايودن على السطح حث حصانه على الاقتراب بضع خطوات أخرى.

صاح الرجل: "لقد سمعنا شائعات أن اللورد رايودن ولي عهد أريلون لا يزال على قيد الحياة. إن كان هذا حقيقيًّا فدعوه يتقدم، إن بلدنا بحاجة إلى ملك".

استرخى كين بوضوح، أما رايودن فقد تنفس الصعداء. وقف ضباط الحرس في صف واحد وهم لا يزالون على صهوات خيولهم، وحتى من على هذه المسافة تمكن رايودن من أن يرى وجوههم. كانوا منهكين ومرتبكين، ومع ذلك يشعرون بالأمل.

قال رايودن مخاطبًا أصدقائه: "يجب علينا أن نتحرك بسرعة قبل أن يتمكن ذلك الجيورن من الرد، أرسلوا الرسل إلى النبلاء، أُخطط أن يكون تتويجي في غضون ساعة".

***

خطا رايودن إلى قاعة العرش بالقصر، وبجانب منصة العرش تقف سارين وبطريرك الديانة الكوراثية الذي يبدو شابًّا. لم يلتقِ رايودن بالرجل إلا في هذه اللحظة ولكن وصف سارين له كان دقيقًا. كانت أبرز سماته شعرًا ذهبيًّا طويلًا، وابتسامة تزعم أنه يعرف أشياء رغم أنه لا يعرفها، وهالة من التعالي. ولكن رايودن يحتاج إليه، إن الإعلان المترتب على اختيار بطريرك الشو-كوراث لتتويجه سيكون سابقة مهمة للغاية.

ابتسمت سارين ابتسامة مشجعة بينما رايودن يقترب، لقد أدهشه أنها لا تزال قادرة على العطاء بالأخذ في الاعتبار كل ما مرت به. انضم إليها على المنصة ثم التفت ليتأمل نبلاء أريلون.

تعرف على معظم الوجوه، العديد منهم كانوا يدعمونه قبل نفيه، الآن كان معظمهم في حيرة من أمرهم، لقد كان ظهوره مفاجئًا تمامًا كموت تيلري. انتشرت شائعات بأن رايودن كان وراء الاغتيال، ولكن لم يبدُ أن معظم الناس يبالون بهذا. كانت أعينهم زائغة من الصدمة، وبدأ يظهر عليهم علامات الإجهاد بفعل الضغط العصبي المتواصل.

وعدهم رايودن في صمت: *سيتغير الأمر الآن، لا مزيد من التساؤلات، لا مزيد من عدم اليقين، سنشكل جبهة موحدة مع تيود، وسنواجه فيوردن.*

قال رايودن: "سيداتي وسادتي، شعب أريلون، إن مملكتنا المسكينة قد عانت كثيرًا طيلة العشر سنوات الماضية، دعونا نضع الأمور في نصابها الصحيح مرة أخرى. مع هذا التاج أعدكم...".

تجمد في موضعه وقد أحس... بقوة، في البداية ظن أن الدور يهاجمه، ثم أدرك أنه شيء آخر، شيء لم يشعر به من قبل، شيء خارجي.

شخص آخر يتلاعب بالدور، راح يبحث بين الحشد وهو يُخفي دهشته، حتى وقعت عيناه على شخص ضئيل يرتدي روبًا أحمر يكاد أن يكون خفيًّا بين النبلاء. إن القوة تأتي منه.

فكَّر رايودن في دهشة؛ *كاهن ديريثي؟* كان الرجل يبتسم، وكان شعره أشقر تحت غطاء رأسه. *ماذا؟*

تغيرت الحالة المزاجية السائدة بين المجتمعين، أُغشي على عدد كبير منهم على الفور، ولكن معظمهم راحوا يحدقون في ذهول وصدمة، ولكنهم بشكل ما كانوا غير متفاجئين. لقد تعرضوا للكثير من الصدمات مؤخرًا، حتى إنهم كانوا يتوقعون طيلة الوقت حدوث شيء فظيع. أدرك رايودن أن وهمه قد تلاشى دون أن يحتاج للتحقق من الأمر.

شهق البطريرك بينما التاج يسقط من يده، ثم أسرع مبتعدًا بخطوات متعثرة. نظر رايودن من جديد إلى الحشد وهو يشعر بقبضة باردة تعتصر معدته، لقد كان قريبًا للغاية.

***

صاحت سارين وهي واقفة إلى جانبه: "انظروا إليه يا نبلاء أريلون! انظروا إلى الوجه الذي كان سيصير ملككم. انظروا إلى بشرته الداكنة ووجهه الإيلانتري! ثم قولوا لي؛ هل هذا مهم حقًّا؟".

خيم الصمت على الحشد.

قالت سارين: "لعشر سنوات حكمكم طاغية لأنكم رفضتم إيلانتريس، كنتم تتمتعون بالمزايا والثراء، ولكنكم بطريقة ما كنتم الأكثر اضطهادًا، لأنكم لم تتمكنوا قط من أن تشعروا بالأمان. هل تستحق الألقاب أن يكون ثمنها حريتكم؟

هذا الرجل الذي أحبكم عندما سعى الجميع لسرقة كبريائكم، أسألكم هذا السؤال؛ هل كون المرء إيلانتريًّا يجعله ملكًا أسوأ من آيادون أو تيلري؟".

ثم جثت على ركبتيها وقالت: "أنا شخصيًّا أقبل حكمه".

راقب رايودن الحشد في توتر، ثم بدأوا يجثون واحدًا تلو الآخر. بدأ الأمر بشودن ولوكل اللذين كانا واقفين بالقرب من مقدمة الحشد، ولكن سرعان ما انتشر الأمر بين الآخرين. جثا الناس مثل الموجة، بعضهم في ذهول، وبعضهم في استسلام، ومع ذلك جرؤ بعضهم على أن يكونوا سعداء.

مدت سارين يدها وأمسكت بالتاج الذي سقط أرضًا. كان تاجًا بسيطًا، مجرد حلقة ذهبية صُنعت في عجالة، ولكنه يمثل الكثير. كان سينالان لا يزال مذهولًا لذا حملت أميرة تيود واجبه على عاتقها ثم رفعت يديها ووضعت التاج على رأس رايودن.

صاحت: "ها هو ذا ملككم!".

بدأ بعض الأشخاص يهللون بالفعل.

***

رجل واحد لم يكن يهلل وهو يصدر صوتًا كالفحيح، بدا على ديلاف وكأنه يريد أن يشق طريقه عبر الحشد ليمزق رايودن إربًا بيديه العاريتين، ولكن منعه من التقدم الناس الذين تصاعد هتافهم من بضع صيحات متناثرة إلى صيحة استحسان عامة. تلفت الكاهن حوله في بغضاء ثم شق طريقه عبر الحشد ليهرب عبر الباب ومن ثم إلى المدينة المظلمة.

تجاهلت سارين الكاهن وبدلًا من هذا نظرت إلى رايودن وهي تقول: "تهانئي يا جلالة الملك". ثم قبلته بلطف.

قال رايودن في عجب: "لا يمكنني أن أصدق أنهم قد قبلوني".

قالت سارين: "لقد نبذوا الإيلانتريين قبل عشرة أعوام، ثم أدركوا أن الرجل يمكن أن يكون وحشًا بغض النظر عن مظهره. إنهم مستعدون أخيرًا لقبول حاكم، ليس لأنه إله أو لأن لديه مال، ولكن لأنهم يعرفون أنه سيُحسن قيادتهم".

ابتسم رايودن وقال: "وبالطبع سيُساعد في الأمر إن كانت زوجته تعرف كيف تُلقي خطبة مؤثرة في اللحظة المناسبة".

"هذا صحيح".

التفت رايودن عبر الحشد ناحية ديلاف وهو يلوذ بالفرار ثم قال: "من كان هذا؟".

قالت سارين بلا اكتراث: "واحد من كهنة هراثن. أتخيل أن يومه كان سيئًا. معروف عن ديلاف كراهيته للإيلانتريين".

لم يبدُ على رايودن أنه يعتقد أنها محقة في تقليلها من شأن الكاهن. قال لها: "هناك خطأ ما يا سارين، لمَ تلاشى وهمي؟".

"ألم تفعل أنت هذا؟".

هز رايودن رأسه وقال: "أعتقد... أعتقد أن ذلك الكاهن هو من فعلها".

"ماذا؟".

"لقد أحسست بالدور في اللحظة التي تلاشى فيها آيوني، وكان يأتي من ذلك الكاهن". ثم جزَّ على أسنانه لحظة قبل أن يقول: "هل يمكنني أن أستعير آش".

قالت سارين: "بالتأكيد". ثم أشارت للسيون لكي يقترب.

سأله رايودن: "هل يُمكنك أن تُرسل رسالة من أجلي يا آش؟".

قال السيون: "أجل يا سيدي".

قال رايودن: "اذهب إلى جالادون في إيلانتريس الجديدة، وأخبره بما حدث، ثم نبهه أن يكون مستعدًّا من أجل شيء ما".

"من أجل ماذا يا سيدي".

قال رايودن: "لا أعرف، أخبره فقط أن يكون مستعدًّا، وقل له إنني أشعر بالقلق".



# الفصل السابع والخمسون

كان هراثن يراقب بينما "رايودن" يخطو إلى قاعة العرش، لم يطعن أحد في ادعاء هذا المحتال، هذا الرجل. سواء كان رايودن أو لا. سيصير الملك قريبًا. كانت حركة سارين ضربة رائعة؛ اغتيال تيلري، ووضع متظاهر على العرش... إن خطط هراثن في خطر جسيم.

نظر هراثن إلى هذا المحتال وقد شعر بموجة غريبة من الكراهية عندما رأى الطريقة التي تنظر بها سارين إلى الرجل. استطاع هراثن أن يرى الحب في عينيها، هل يُمكن لهذا الإعجاب الأحمق أن يكون حقيقيًا؟ من أين جاء هذا الرجل فجأة؟ وكيف تمكن من أن يأسر سارين التي عادة ما تكون فطنة للغاية؟

على أي حال بدت أنها قد منحته قلبها. أدرك هراثن بشكل منطقي أن غيرته حمقاء، كانت علاقة هراثن بالفتاة مبنية على العداء وليس العاطفة، لمَ يغار من رجل آخر؟ لا، يجب أن يكون هراثن أكثر تعقلًا، لم يتبقَّ سوى شهر واحد قبل أن تجتاح جيوش الشو-ديريث المتحدة أريلون، وتذبح الناس... بما فيهم سارين. يجب على هراثن أن يعمل بسرعة إن أراد أن يجد طريقة لتبديل دين المملكة في مثل هذا الوقت القصير المتبقي.

تراجع هراثن إلى الوراء عندما بدأ رايودن مراسم التتويج. العديد من الملوك يأمرون بسجن أعدائهم كأول مرسوم ملكي، ولم يرغب هراثن في أن يمنح وجوده تذكيرًا لهذا المحتال.

ولكنه كان قريبًا بما يكفي من المقدمة لكي يشاهد التحول. أحس هراثن بالحيرة من هذا المشهد، من المفترض أن يأتي الشايود فجأة، ولكن ليس هكذا. هذا الإحساس بالغرابة أجبره على إعادة النظر في كل افتراضاته؛ ماذا لو أن رايودن لم يمت؟ ماذا لو أنه كان مختبئًا في

إيلانتريس طيلة الوقت؟ لقد وجد هراثن طريقة لكي يتظاهر بكونه إيلانتريًّا، ماذا لو أن هذا الرجل فعل الشيء ذاته؟

لقد صدم هذا التحول هراثن، ولكنه أحس بصدمة أكبر عندما لم يفعل شعب أريلون شيئًا حيال الأمر. ألقت سارين خطبتها فاكتفى الناس بالوقوف في بلادة، لم يمنعوها من تتويج الملك الإيلانتري.

أحس هراثن بالغثيان، ثم دار على عقبيه، وبالصدفة رأى ديلاف يشق طريقه مبتعدًا عبر الحشد. أسرع هراثن في إثره، ولأول مرة يشارك ديلاف اشمئزازه. كان مندهشًا من أن شعب أريلون يمكنه أن يتصرف بمثل هذه اللاعقلانية.

وفي هذه اللحظة أدرك هراثن خطأه، كان ديلاف محقًّا، لو أن هراثن قد ركَّز أكثر على إيلانتريس لأحس الناس بالاشمئزاز من تتويج رايودن ملكًا. لقد أهمل هراثن أن يغرس في أتباعه إحساسًا حقيقيًّا بمشيئة جادث المقدسة، وكانت النتيجة هي جماعة متقلبة يمكنها أن تعود إلى عاداتها القديمة بالسرعة التي تركتها بها.

راح هراثن يخطو عبر شوارع كاي الآخذة في الإظلام بسرعة عبر المساء وهو يقول لنفسه: *إنه ذلك الموعد النهائي اللعين!* لم تكن ثلاثة أشهر مدة كافية لبناء تبعية مستقرة.

أمامه كان ديلاف ينعطف عبر شارع جانبي، توقف هراثن في مكانه، لم يكن هذا هو الطريق المؤدي للكنيسة، بل إلى وسط المدينة. تغلب فضول هراثن على اكتئابه فانعطف ليلحق بالأرتيث وقد بقي وراءه بعيدًا بما يكفي لكيلا يصل إلى مسمعيه صوت ضربات قدميه المدرعتين على الأرضية الممهدة بالحصى. لم يكن بحاجة إلى القلق، فقد كان الأرتيث يخطو عبر ظلام الليل وقد انصب تركيزه على هدف ما دون أن يُبالي بالنظر وراءه.

كاد الغسق أن ينقضي، فاكتنفت الظلمة ساحة السوق. فقد هراثن أثر ديلاف في الضوء الخافت فتوقف في موضعه وهو يتلفت حوله ناظرًا إلى الخيام الصامتة.

فجأة ظهرت الأضواء من حوله.

انبعث الضوء من مئة مشعل في غمضة عين، من داخل عشرات الخيام المختلفة. عقد هراثن حاجبيه ثم فتح عينيه على اتساعهما عندما بدأ الرجال يتدفقون من الخيام، وضوء المشاعل ينعكس على ظهورهم العارية.

تراجع هراثن إلى الوراء متعثرًا في رعب، إنه يعرف هذه الأشكال المشوهة، أذرع كأغصان الأشجار الثخينة، جلد مشدود بقوة فوق حوافٍ غريبة، ورموز لا توصف.

رغم أن الليل كان هادئًا إلا أن الذكريات راحت تعوي في أذني هراثن. كانت الخيام والتجار مجرد تمويه، لهذا السبب جاء العديد من الفيورديين إلى سوق أريلون رغم الفوضى السياسية، ولهذا السبب بقوا عندما رحل الآخرون. لم يكونوا تجارًا على الإطلاق، بل محاربين. لقد بدأ غزو أريلون قبل موعده بشهر.

لقد أرسل الويرن رهبان داخور.

# الفصل الثامن والخمسون

استيقظ رايودن على أصوات غريبة، ظل جالسًا وهو يشعر بالارتباك للحظة في قصر رويال، لم يكن من المقرر عقد حفل الزفاف قبل ظهيرة اليوم التالي، لذا اختار رايودن أن ينام في غرفة كالو في قصر رويال بدلًا من البقاء في بيت كين، حيث كانت سارين قد شغلت غرفة نوم الضيوف بالفعل. في النهاية سينتقلان إلى القصر، ولكن لم ينتهِ تنظيفه بعد من بقايا عهد تيلري.

جاءت الأصوات مرة أخرى، أصوات قتال.

قفز رايودن من فراشه وفتح نوافذ الشرفة على الفور، ليحدق من وراء الحدائق إلى كاي. كان الدخان يتصاعد في سماء الليل، وقد اندلعت النيران في جميع أرجاء المدينة. كانت الصرخات مسموعة، تتصاعد من الظلام كصرخات الملعونين، وصوت صليل المعدن على المعدن يأتي من مكان قريب.

ارتدى رايودن سترة في عجالة، ثم اندفع عبر القصر. عندما انعطف عند زاوية وجد مجموعة من الحراس يقاتلون من أجل حياتهم في مواجهة مجموعة من... الشياطين.

كانت صدورهم عارية، وبدت أعينهم كأنما تتأجج بالنيران. بدا أنهم رجال، ولكن جلدهم كان مشدودًا ومشوهًا، كأنما هناك قطعة من المعدن قد نُحتت وغرست بطريقة ما تحت الجلد. أصاب سيف أحد جنود رايودن واحدًا منهم، ولكن السيف بالكاد ترك علامة، مجرد خدش حيثما كان يجب أن يقطع. كان هناك عشرات الجنود قد سقطوا صرعى على الأرضية، ولكن

الشياطين الخمسة بدوا سالمين. راح بقية الجنود يقاتلون في رعب، أسلحتهم عديمة الجدوى وهم يسقطون صرعى واحدًا تلو الآخر.

تراجع رايودن إلى الوراء متعثرًا في رعب. اندفع قائد الشياطين ناحية جندي، متفاديًا ضربته بسرعة غير بشرية، ثم طعنه بسيف خبيث المظهر.

تجمد رايودن في موضعه، لقد تعرف على واحد من هؤلاء الشياطين، كان جسده مشوهًا كالبقية لكن وجهه كان مألوفًا، إنه ديلاف، الكاهن الفيوردي.

ابتسم ديلاف وهو ينظر إلى رايودن. أسرع رايودن ناحية أحد أسلحة الجنود الصرعى، ولكنه كان بطيئًا للغاية. اندفع ديلاف عبر الغرفة متحركًا مثل الريح ثم هوى بقبضته على معدة رايودن. شهق رايودن من الألم وسقط أرضًا.

قال المخلوق آمرًا: "أحضروه".

***

قالت سارين وهي تغلق غطاء آخر صندوق من الإمدادات: "فلتحرص على أن توصلها الليلة".

أومأ الشحاذ برأسه وهو يلقي نظرة متخوفة ناحية سور إيلانتريس، الذي لا يبعد إلا بضعة أقدام.

قالت سارين: "لا تخف هكذا يا هُويد، لديكم ملك جديد الآن، ستتغير الأوضاع في أريلون".

هز هُويد كتفيه، لقد رفض الشحاذ أن يقابل سارين بالنهار رغم أن تيلري قد مات، لقد أمضى قوم هُويد عشر سنوات يخافون آيادون ومزارعه، ولم يعتادوا على التصرف دون أن تغلفهم ظلمة الليلة، بغض النظر عن مدى مشروعية مقاصدهم. كانت سارين ستستعمل شخصًا آخر

من أجل توصيل الشحنة، ولكن هُويد ورجاله يعرفون بالفعل كيف وأين يودعون الصناديق، كما أنها ستفضل ألا يكتشف سكان أريلون ما الموجود في هذه الشحنة تحديدًا.

قال هُويد بفطنة: "هذه الصناديق أثقل من الصناديق السابقة يا سيدتي". كان هناك سبب لتمكنه من النجاة لعقد من الزمان في شوارع كاي دون الإمساك به.

قالت سارين وهي تمد له بكيس من النقود: "إن ما تحويه الصناديق ليس من شأنك".

أومأ هُويد برأسه ووجهه مختفٍ في ظلمة غطاء رأسه. لم ترَ سارين وجهه من قبل، ولكنها افترضت من صوته أنه أكبر منها في السن.

ارتجفت في الليل وهي متلهفة للعودة إلى بيت كين. من المفترض أن يكون الزفاف في اليوم التالي، وقد واجهت سارين صعوبة في احتواء حماسها، فرغم المحن والصعاب والانتكاسات جلس أخيرًا ملك شريف على عرش أريلون. وبعد سنوات من الانتظار وجدت سارين أخيرًا شخصًا يرغب قلبها في الزواج منه وليس عقلها فحسب.

قال هُويد: "طابت ليلتك إذن يا سيدتي". ثم لحق بطابور الشحاذين الذين كانوا يصعدون ببطء درجات سور إيلانتريس.

أومأت سارين برأسها لآش وقالت: "اذهب وأخبرهم أن الشحنة قادمة يا آش".

قال آش: "أمرك يا سيدتي". ثم حلق مبتعدًا ليلحق بهُويد وشحاذيه.

ضمت سارين شالها على جسدها وهي تصعد عربتها، ثم أمرت الحوذي بالعودة إلى البيت. كانت تأمل أن يفهم جالادون وكاراتا سبب إرسالها لصناديق مليئة بالسيوف والأقواس. إن تحذير رايودن المتخوف باكرًا هذا اليوم قد أصاب سارين بالاضطراب. انتابها إحساس متواصل بالقلق تجاه إيلانتريس الجديدة، وشعبها المبتهج المتقبل، ولهذا قررت أخيرًا أن تفعل شيئًا ما.

تنهدت سارين بينما العربة تقطع الشارع الساكن. على الأرجح لن تساعدهم الأسلحة كثيرًا، فقاطنو إيلانتريس الجديدة ليسوا جنودًا، ولكنها فعلت ما بوسعها.

توقفت العربة فجأة، وعقدت سارين حاجبيها وفتحت فمها لتسأل الحوذي، ولكنها لاذت بالصمت، فبعد توقف قعقعة العربة صار بإمكانها أن تسمع شيئًا، شيئًا خافتًا بدا مثل... الصرخات. بعد ثانية اشتمت رائحة دخان، فجذبت ستائر العربة لتطل برأسها خارج النافذة. وجدت نفسها تنظر إلى مشهد كأنه من الجحيم بعينه.

كانت العربة متوقفة في أحد التقاطعات، وكان هناك ثلاثة شوارع هادئة، ولكن الشارع الذي أمامها كان متوهجًا بلون أحمر، بينما النيران تتصاعد من المنازل، والجثث تسقط على الأرض المرصوفة بالحصى. كان الرجال والنساء يركضون في الشوارع وهم يصرخون، بينما اكتفى الآخرون بالتحديق في حالة من الذهول والصدمة. من بينهم كان هناك محاربون عراة الجذوع، يلمع جلدهم بالعرق في ضوء النار.

كانت مذبحة؛ الجنود غير المألوفين يقتلون بلا رحمة، فيمزقون الرجال والنساء والأطفال بضربات لا مبالية من سيوفهم. راقبت سارين للحظة في ذهول قبل أن تصرخ في الحوذي أن يعودا أدراجهما. انتزع الرجل نفسه من ذهوله ثم جلد الخيول لكي تستدير.

اختنقت صرخة سارين في حلقها عندما لاحظ واحد من المحاربين عراة الجذع العربة. اندفع الجندي ناحيتهما عندما بدأت العربة في الالتفاف. صرخت سارين لتحذير الحوذي ولكن بعد فوات الأوان، فقد قفز المحارب الغريب ليقطع مسافة لا تصدق، قبل أن يهبط على ظهر أحد الأحصنة، ثم جثم الجندي برشاقة على جسد الحصان، ولأول مرة تتمكن سارين من رؤية التشوهات الوحشية في جسده، والنيران المخيفة في عينيه.

قفزة قصيرة أخرى جعلت الجندي يهبط على سطح العربة، التي ارتجفت بينما الحوذي يصرخ.

فتحت سارين الباب وقفزت إلى الخارج، تعثرت في أحجار الرصف قبل أن تخلع حذاءها في عجالة. في آخر الشارع وبعيدًا عن النار يقع بيت كين، لو أنها فقط تمكنت من أن...

ارتطم جسد الحوذي بالمبنى المجاور لها ثم هوى أرضًا. صرخت سارين وهي تندفع للوراء فكادت أن تتعثر. إلى جانبها كان المخلوق الشيطاني عبارة عن ظل أسود أمام ضوء النار، بينما يقفز من فوق العربة ويمشي ببطء عبر الشارع ناحيتها. رغم أن حركته بدت لا مكترثة إلا أنه كان يتحرك برشاقة وانتباه. كانت سارين قادرة على أن ترى الظلال والفجوات غير الطبيعية تحت جلده، كأن هيكله العظمي مشوهًا ومنحوتًا.

اختنقت صرخة أخرى في حلقها وهي تسرع مبتعدة صاعدة التل ناحية بيت عمها. لم تكن سريعة بما يكفي، إن الإمساك بها سيكون مجرد لعبة لهذا الوحش، يُمكنها أن تسمع خطوات أقدامه من ورائها، تقترب منها أسرع وأسرع. يُمكنها أن ترى الأضواء أمامها، ولكن...

أمسك شيء ما بكاحلها، انتفضت سارين بينما المخلوق ينتزعها بقوة لا تُصدق ليلوي ساقها ويجعلها تدور حول نفسها قبل أن يرتطم جانبها بالأرض. تدحرجت سارين على ظهرها وهي تشهق من الألم.

أطل المخلوق المشوه من فوقها، وكانت قادرة على سماعه يهمس بلغة أجنبية؛ اللغة الفيوردية.

ارتطم شيء ضخم وداكن بالمخلوق فألقى به إلى الوراء. كان هناك هيئتان تتصارعان في الظلام، المخلوق يعوي، ولكن الوافد الجديد يصرخ بصوت أعلى. تحاملت سارين على نفسها لكي تقف، وهي تشعر بالدوار، وتراقب الهيئتين اللتين تكتنفهما الظلال. سرعان ما اقترب ضوء فكشف عنهما، كانت تتوقع رؤية المحارب عاري الجذع، ولكن الشخص الآخر لم تتوقع رؤيته على الإطلاق.

تساءلت سارين: "كين؟".

كان عمها يُمسك بفأس ضخمة بحجم صدر رجل، هوى بها على ظهر المخلوق، بينما يزحف على الأرض الحجرية ليصل إلى سيفه. سب المخلوق في ألم، رغم أن الفأس لم تخترقه كثيرًا. انتزع كين سلاحه ثم رفعه ليهوي به بقوة على وجه الشيطان مباشرة.

تأوه المخلوق ولكنه لم يتوقف عن الحركة، وكذلك لم يتوقف كين عن ضربه. هوى بفأسه مرارًا وتكرارًا محاولًا قطع رأس الوحش، بينما يصرخ بصرخات الحرب التيودية بصوته الأجش. تعالى صوت تحطم عظام، وتوقف المخلوق عن الحركة أخيرًا.

لمس شيء ذراع سارين فصرخت. كان لوكل جاثيًا إلى جوارها وهو يُمسك مصباحًا. حثها قائلًا: "هيا بنا!". وهو يمسك بيدها ويجذبها لتقف على قدميها.

أسرعا ليقطعا المسافة القصيرة التي تفصلهما عن قصر كين، بينما عمها يمشي بتثاقل من ورائهما. اندفعوا عبر البوابة ثم بخطوات متعثرة إلى المطبخ، حيث كانت المجموعة المذعورة تنتظر عودتهم. أسرعت دايورا ناحية زوجها بينما لوكل يصفق الباب.

قال كين آمرًا: "فلتهدم المدخل يا لوكل".

أطاعه لوكل وهو يجذب الرافعة التي لطالما ظنت سارين أنها شمعدان، وبعد ثوانٍ جاء دوي تحطم هائل من عند المدخل، ثم اندفع الغبار عبر باب المطبخ.

ألقت سارين بجسدها على أحد الكراسي، ثم حدقت إلى الحجرة الصامتة، كان شودن موجودًا، وقد تمكن من أن يجد تورينا، التي كانت تبكي بصوت خافت بين ذراعيه. أما دايورن وكايسي وآداين فكانوا متكومين على أنفسهم في زاوية الحجرة مع زوجة لوكل. لم يكن رايودن موجودًا.

قالت سارين وهي تنظر إلى لوكل: "ما... ما هذه الأشياء؟".

هزَّ ابن عمها رأسه وقال: "لا أعرف، لقد بدأ الهجوم منذ وقت قصير، وقد خشينا أن شيئًا قد حدث لكِ. كنا ننتظر بالخارج، ومن الجيد أن أبي قد لمح عربتك عند سفح التل".

أومأت سارين برأسها وهي لا تزال تشعر بشيء من الذهول. كان كين واقفًا وهو يضم زوجته بذراع واحدة وهو ينظر إلى الفأس الدامية في يده الأخرى، ثم همس: "كنت قد أقسمت ألا أحمل هذا السلاح اللعين مرة أخرى".

ربتت دايورا على كتف زوجها، وأدركت سارين رغم صدمتها أنها قد تعرفت على الفأس. كان معلقًا على جدار المطبخ بجانب التذكارات الأخرى من رحلات كين، ومع ذلك كان يحمل السلاح بمهارة فائقة. لم تكن الفأس مجرد حلية أخرى كما افترضت. عندما نظرت عن كثب رأت النقوش والخدوش على نصله، فقد كان محفورًا في الفولاذ آيون على شكل شعار نبالة، آيون ريو؛ الحرف الذي يعني "العقاب".

سألت سارين كأنها تسأل نفسها: "لِمَ قد يحتاج تاجر لمعرفة كيفية استخدام سلاح كهذا؟".

هز كين رأسه وقال: "لن يحتاج تاجر لهذا".

كانت سارين تعرف شخصًا واحدًا قد استخدم آيون رايو، رغم أنه كان أسطورة أكثر منه رجلًا. همست: "يسمونه دريوك، القرصان كاسر الخناجر".

قال كين بصوته الأجش: "لطالما كان هذا خطأً، الاسم الحقيقي دريوك مكسور الحنجرة".

قالت سارين وهي تنظر إلى عيني كين: "لقد حاول أن يسرق عرش تيود من أبي".

قال كين وهو يشيح ببصره: "لا، لقد أراد دريوك ما هو حق له، لقد حاول أن يسترجع العرش الذي سرقه منه أخوه إيفينتيو، سرقه على حين غرة من دريوك الذي كان يضيع حياته بحماقة في رحلات ترفيهية".

***

خطا ديلاف إلى داخل الكنيسة وقد تهللت أساريره بالرضا، ألقى أحد رهبانه برايودن المغشى عليه إلى جانب الجدار المقابل.

قال ديلاف: "هكذا يجب أن تتعامل مع الهراطقة يا عزيزي هراثن".

أشاح هراثن بوجهه الممتقع عن النافذة وهو يقول: "أنت تذبح البلدة بأسرها يا ديلاف! ما المغزى؟ أين مجد جادث في هذا؟".

صرخ ديلاف وعيناه تتأججان: "لا تجادلني!". لقد حرر حماسه الديني المستعر من عقاله أخيرًا.

أشاح هراثن بنظره، فمن بين كل الألقاب في التسلسل الهرمي للكنيسة الديريثية لا يوجد إلا لقبان يفوقان الجيورن، لقب الويرن، ولقب الجراجدت؛ قائد الدير. عادة ما لا يوضع الجراجدتات في الحسبان، لأنهم عمومًا لا يتدخلون فيما يجري في العالم خارج أديرتهم، ولكن يبدو أن هذا قد تغير.

مرر هراثن عينيه على صدر ديلاف العاري، ليرى النمط الملتوي الذي كان مختبئًا دومًا تحت روب الأرتيث. انقبضت معدة هراثن وهو ينظر إلى الخطوط والمنحنيات التي تجري كعروق منتفخة تحت جلد الرجل. يعرف هراثن أنها عظام، عظام صلبة لا تلين. لم يكن ديلاف مجرد راهب، ولم يكن مجرد جراجدت، إنه راهب وجراجدت من الدير صاحب أكثر شهرة مخيفة في فيوردن؛ داخور، جماعة العظام.

إن الصلوات والتراتيل المستخدمة في خلق رهبان داخور سرية حتى إن الجيورنات لا يعرفونها. بعد بضعة أشهر من دخول الصبي إلى جماعة داخور تبدأ عظامه في النمو والالتواء لتتخذ أنماطًا غريبة كتلك التي تحت جلد ديلاف، بطريقة ما فإن كل نمط من هذه الأنماط يمنح صاحبها قدرات مثل زيادة السرعة والقوة. اجتاحت صور شنيعة عقل هراثن، صور كهنة يرتلون عليه

وذكرى ألم فظيع يتنامى بداخله، ألم عظامه بينما يُعاد تشكيلها. كان الأمر أكثر من قدرته على التحمل؛ الظلمة، الصرخات، العذاب. ترك هراثن الدير بعد بضعة أشهر فحسب ليلتحق بدير آخر.

ولكنه لم يترك وراءه ذكرياته الكابوسية، فلا يمكن للمرء أن ينسى داخور بسهولة.

همس هراثن: "إذن فقد كنتَ فيورديًّا طيلة الوقت؟".

سأله ديلاف وهو يبتسم بسخرية: "لم تشك في الأمر قط، أليس كذلك؟ كان عليك أن تُدرك الأمر، فمن الأسهل أن أتظاهر بكوني أريليًّا يتحدث الفيوردية على أن يتعلم رجل حقيقي من أريلون التحدث باللغة المقدسة بمثل هذه الطلاقة".

أحنى هراثن رأسه، وقد أدرك واجبه بوضوح، إن ديلاف يفوقه مرتبة. لا يعرف المدة التي قضاها ديلاف في أريلون. يعيش الداخوري حياة طويلة بشكل غير طبيعي. ولكن من الواضح أن ديلاف يخطط لدمار كاي منذ عقود.

قال ديلاف ضاحكًا: "أنت لم تفهم دورك الحقيقي، أليس كذلك يا هراثن؟ لم يُرسلك الويرن لتُدخل أريلون في الدين".

نظر إليه هراثن في دهشة، إن معه خطابًا من الويرن يقول عكس هذا.

قال ديلاف: "أجل، أعرف بشأن الأوامر التي وُجهت إليك أيها الجيورن، فلتقرأ هذا الخطاب مرة أخرى في وقت ما، لم يرسلك إلى أريلون لتُدخل الناس في الدين، بل أرسلك لتحذرهم من دمارهم الوشيك. لقد كنت مجرد إلهاء، شيئًا ينشغل به أشخاص مثل إيڤينتيو أثناء التحضير لغزو المدينة، وقد أديت مهمتك على أكمل وجه".

سأله هراثن: "إلهاء...؟ ولكن الناس...".

قال دِيلاف: "لم تكن النية قط هي إنقاذهم، لطالما كان الويرن ينوي تدمير أريلون، إنه بحاجة إلى مثل هذا النصر ليحكم قبضته على البلدان الأخرى، فرغم جهودك إلا أن سيطرتنا على دولادل لا تزال واهية، يجب أن يعرف العالم ماذا يحدث لأولئك الذين يجدفون على جادث".

قال هراثن وهو يشعر بالغضب يتنامى بداخله: "هؤلاء الناس لا يجدفون، إنهم حتى لا يعرفون جادث! كيف نتوقع منهم أن يكونوا صالحين إن لم نمنحهم فرصة لاعتناق الدين!".

اندفعت يد ديلاف لتصفع هراثن الذي تعثر إلى الوراء وقد اشتعل الألم في وجنته بفعل الضربة التي وجهتها يد قوية بشكل غير طبيعي، وقد زادتها العظام الإضافية صلابة.

قال ديلاف بحدة: "لقد نسيت إلى من تتحدث أيها الجيورن، هؤلاء الناس مدنسون، وحدهم الأريليون والتيوديون يُمكنهم أن يصيروا إيلانتريين، إن دمرناهم فسنمحو هرطقة إيلانتريس إلى الأبد!".

تجاهل هراثن الألم النابض في وجنته، وبينما الخدر ينتشر في جسده أدرك أخيرًا مدى عمق الكراهية في نفس ديلاف. "ستذبحهم جميعًا؟ ستقتل شعبًا بأسره؟".

قال ديلاف مبتسمًا: "إنها الطريقة الوحيدة لكي نكون متيقنين".

# الفصل التاسع والخمسون

استيقظ رايودن على آلام جديدة، كان أكثرها حدة في مؤخرة رأسه، ولكن كان هناك آلام أخرى؛ خدوش وكدمات وجروح في جسده بالكامل.

للحظة أحس أن الألم أكثر من قدرته على الاحتمال، كل ألم يطعنه بحدة، دون أن يهدأ أو يضعف. لحسن الحظ أنه قد أمضى أسابيع ليتعامل مع هجمات الدور بالغة القوة، وبالمقارنة مع هذه اللحظات الساحقة من المعاناة بدت آلام جسده المعتادة أضعف، مهما بلغت قسوتها. المفارقة الساخرة هي أن القوة التي كادت أن تدمره قد سمحت له في هذه اللحظة أن يكبح جماح الجنون.

كان يشعر بالدوار ولكنه استطاع أن يشعر بمن يحمله ويلقيه على شيء صلب؛ سرج حصان. فقد الإحساس بالوقت بينما الحصان يمشي خببًا، فاضطر للمقاومة ضد ظلمة فقدان الوعي. كان هناك أصوات من حوله، ولكنها تتحدث بالفيوردية التي لا يفهمها.

توقف الحصان، ثم فتح رايودن عينيه متأوهًا عندما جذبته يد من على الحصان لتضعه أرضًا.

قال صوت باللغة الآيونية: "استيقظ أيها الإيلانتري".

رفع رايودن رأسه وهو يرمش بعينيه في ارتباك. كان الوقت لا يزال ليلًا، وباستطاعته أن يشم رائحة الدخان الكثيف. إنهم عند سفح تل... تل كين. كان البيت المحصن على بعد بضعة أذرع، ولكنه بالكاد تمكن من تمييزه. كانت رؤيته ضبابية وكل شيء مبهم.

قال في قرارة نفسه: *بحق دومي الرحيم، فلتكن سارين بأمان.*

صاح ديلاف: "أعرف أنك قادرة عل سماعي أيتها الأميرة، انظري من معي هنا، دعينا نعقد صفقة".

حاول رايودن أن يقول: "لا!". ولكن الصرخة خرجت منه متحشرجة، إن الضربة التي تلقاها على رأسه قد أتلفت شيئًا في دماغه، بالكاد يمكنه أن يُبقي نفسه منتصبًا، ناهيك بالتحدث، وأسوأ ما في الأمر هو معرفته بأنه لن يتحسن أبدًا.

لا يمكن لجسده أن يتعافى، فبعد أن أصابه الدوار لن يتركه أبدًا.

***

قال كين بصوت خافت: "أنتِ تعرفين أنه لا يمكننا التفاوض معه".

كانا يراقبان ديلاف ورايودن المضطرب عبر واحدة من نوافذ كين الضيقة.

أومأت سارين برأسها في صمت وهي تشعر بقشعريرة باردة. لم يكن رايودن بخير، إنه يقف مترنحًا ويبدو فاقدًا الاتزان في ضوء النار. "بحق دومي الرحيم، ما الذي فعلوه به؟".

قال كين وهو يشيح بنظره عن النافذة: "لا تنظري يا إين". كانت فأسه الضخمة. فأس دريوك القرصان. على أهبة الاستعداد في الزاوية.

همست سارين: "لا يمكنني أن أُبعد نظري، على الأقل يجب أن أتحدث معه، أن أودعه".

تنهد كين ثم أومأ برأسه وقال: "حسنًا، دعينا نصعد إلى السطح، ولكن مع أول بادرة لوجود أقواس سنتراجع ونُغلق على أنفسنا هنا".

أومأت سارين برأسها في وجوم، ثم صعد كلاهما الدرج إلى السطح. عندما اقتربت من حافة السطح نظرت إلى الأسفل ناحية ديلاف ورايودن. إن كان بمقدورها أن تقنع الكاهن بأن

يأخذها بدلًا من رايودن فستفعل هذا. ولكنها خمنت أن ديلاف سيُطالب بجميع من في البيت، ولا يمكن لسارين أن توافق على شيء كهذا مُطلقًا. كانت دايورا والأطفال منكمشين على أنفسهم في القبو تحت رعاية لوكل، لن تخونهم سارين، مهما كان الأسير الذي يحتجزه ديلاف.

فتحت فمها لتتكلم وهي تعرف أن كلماتها على الأرجح ستكون آخر كلمات يسمعها رايودن.

***

قال ديلاف آمرًا: "اذهبوا!".

كان هراثن يقف متفرجًا في ذعر بينما سارين تسقط في فخ ديلاف. انقض رهبان داخور إلى الأمام قافزين من مخابئهم على طول قاعدة المبنى. قفزوا إلى الجدران وبدا أن أقدامهم تلتصق بأدنى موطئ قدم يجدوه بين القرميد وشقوق رمي الأسهم. كان عدد كبير من الرهبان يتدلون بالفعل من الجزء الخلفي من السطح، ثم تأرجحوا لأعلى ليقطعوا مسار الهرب في وجه سارين.

كان هراثن قادرًا على أن يسمع صرخات سارين المذعورة عندما أدركت هي ورفيقها المأزق الذي تورطا فيه. كان الأوان قد فات، وبعد بضع لحظات كان واحد من الرهبان يقفز من على السطح وبين ذراعيه الأميرة المغلوبة على أمرها.

قال ديلاف آمرًا: "اجلب لي سيونك يا هراثن".

امتثل هراثن للأمر بأن فتح العلبة المعدنية وترك كرة الضوء تطفو بحرية. لم يكلف هراثن نفسه عناء سؤال الراهب عن كيفية معرفته بشأن السيون؛ إن الداخوريين هم المحاربون المفضلون لدى الويرن، وسيكون زعيمهم مطلعًا على الكثير من الأسرار.

قال ديلاف: "أُريد التحدث مع الملك إيڤينتيو أيتها السيون".

أطاعته السيون وضوؤها يتشكل على هيئة رأس رجل ممتلئ بوجه يكسوه الكبرياء. قال إيڤينتيو: "أنا لا أعرفك، من أنت لتتصل بي في منتصف الليل؟".

قال ديلاف: "أنا الرجل الذي بحوزته ابنتك أيها الملك". ثم وكز سارين في جانبها فصرخت الأميرة رغمًا عنها.

تلفت رأس إيڤينتيو كأنما يبحث عن مصدر الصوت، رغم أنه لن يكون قادرًا على رؤية أي شيء إلا وجه ديلاف. سأله: "من أنت؟".

"أنا ديلاف، جراجدت دير داخور".

همس إيڤينتيو: "بحق دومي الرحيم...".

ضيق ديلاف عينيه وهو يبتسم في شر قائلًا: "ظننت أنك قد بدلت دينك يا إيڤينتيو. لا يهم، فلتوقظ جنودك وتجمعهم على متن سفنهم، سأصل إلى تيوراس في غضون ساعة من الآن، وإن لم أجدهم مستعدين من أجل إعلان الاستسلام الرسمي فسأقتل الفتاة".

صرخت سارين: "لا يا أبي! لا يمكن الوثوق به!".

تساءل إيڤينتيو في قلق: "سارين؟".

قال ديلاف: "ساعة واحدة يا إيڤينتيو". ثم لوح بيده في الهواء بلا اكتراث فتلاشى وجه الملك المرتبك ليظهر من جديد الشكل الكروي الأملس للسيون.

قال هراثن باللغة الفيوردية: "هل ستقتل التيوديين أيضًا".

قال ديلاف: "لا، سينفذ تلك الإعدامات آخرون، أنا سأقتل الملك فحسب ثم سأحرق السفن التيودية بينما لا يزال البحارة على متنها. ما إن يتدمر الأسطول سيتمكن الويرن من إنزال جيوشه على شاطئ تيود، وسيستخدم البلد كساحة معركة ليُثبت قوته".

قال هراثن وهو يشعر بالغثيان: "أنت تعرف أن هذا غير ضروري، لقد نلتُ منه، كان إيڤينتيو في قبضتي".

قال ديلاف: "ربما قد بدَّل دينه يا هراثن، ولكنك ستكون ساذجًا إن ظننت أنه سيسمح لك بإنزال قواتنا على أرضه".

همس هراثن: "أنت وحش، ستذبح مملكتين لتُشبع جنون الارتياب لديك. ما الذي حدث ليجعلك تكره إيلانتريس لهذا الحد؟".

صاح ديلاف: "اصمت! هل تعتقد أنني سأتردد في قتلك أيها الجيورن؟ القانون لا ينطبق على الداخوريين!". حدق الراهب إلى هراثن بعينين متوعدتين ثم ببطء بدأ يهدأ وهو يتنفس بعمق بعد أن لاحظ أسيريه مرة أخرى.

كان رايودن الذي لا يزال فاقدًا للاتزان يمشي بخطوات متعثرة ناحية زوجته التي يحتجزها داخوري صامت. مد الأمير يده ناحيتها وذراعه ترتعش.

قال ديلاف وهو يستل سيفه: "أوه، لقد نسيت بشأنك". ثم ابتسم ساخرًا وهو يغرس النصل في معدة رايودن.

***

اجتاح الألم رايودن كطوفان مفاجئ من الضوء، لقد باغتته هذه الطعنة.

ولكنه أحس بها. تأوه وهو يهوي على ركبتيه، كان العذاب لا يوصف، حتى مقارنة بالألم الذي كان يتراكم بداخله طيلة شهرين. أمسك بطنه بيدين مرتعشتين، كان قادرًا على أن يشعر بالدور، لقد بدا... قريبًا.

همس رايودن وشفتاه تشكلان مانترا الهويد: "خذلتها... خذلت حبيبتي. خذلتها...".

قال ديلاف: "اجلبوها". كانت الكلمات بالفيوردية، وبالكاد استوعبت سارين أنه قال شيئًا.

سأله أحد الرهبان: "وماذا عن البقية؟".

قال ديلاف: "اجمعوهم مع بقية قاطني هذه البلدة الملعونة وخذوهم إلى إيلانتريس. ستجدون الإيلانتريين بالقرب من وسط المدينة، في مكان يبدو أكثر نظافة".

قال الراهب: "لقد عثرنا عليهم يا سيدي الجراجدت، لقد بدأ رجالنا الهجوم بالفعل".

قال ديلاف في فحيح من البهجة: "أحسنتم. احرصوا على أن تجمعوا جثثهم، الإيلانتريون لا يموتون بسهولة مثل الرجال العاديين، ولا نريد أن نسمح لأي منهم بالهرب".

"أمرك يا سيدي الجراجدت".

"وعندما نجمع كل الجثث في مكان واحد. جثث الإيلانتريين والإيلانتريين المستقبليين. فلتتلُ طقوس التطهير ثم تحرقهم جميعًا".

قال المحارب وهو يحني رأسه: "أمرك يا سيدي الجراجدت".

قال ديلاف: "هيا بنا يا هراثن، ستصحبني إلى تيوراس".

أُصيبت سارين بحالة من الذهول وعدم التصديق وهم يجرونها بعيدًا بينما تراقب رايودن حتى اختفى عن نظرها في ظلمة الليل.

# الفصل الستون

كان جالادون مختبئًا في الظلال، حريصًا على ألا يتحرك حتى يمر الجيورن ورفاقه عراة الصدور غير المألوفين. ثم أشار إلى كاراتا قبل أن يتسلل ناحية جسد رايودن ويقول: "سول؟".

لم يتحرك رايودن.

قال جالادون بصوت متهدج: "بحق الدولوكين يا سول! لا تفعل هذا بي!".

همس رايودن: "خذلتها... خذلت حبيبتي...". مانترا المبتلين. لقد التحق رايودن بالهويد.

هوى جالادون على ركبتيه بقوة على أحجار الرصف الصلبة، وجسده كله يرتجف بينما ينتحب بلا دموع. كانت الساعة المنصرمة مرعبة. كان جالادون وكاراتا في المكتبة يخططان لكيفية اقتياد الناس بعيدًا عن إيلانتريس، ثم سمعا الصرخات حتى من على هذه المسافة البعيدة، وبحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى إيلانتريس الجديدة كان الجميع هناك قد صاروا من الهويد. وعلى حد علمه كان هو وكاراتا آخر اثنين واعيين من الإيلانتريين.

وضعت كاراتا يدها على كتفه وقالت: "يجب أن نذهب يا جالادون، هذا المكان لم يعد آمنًا".

قال جالادون وهو يعتدل واقفًا: "لا، لقد قطعت وعدًا ويجب أن أوفي به". ثم نظر ناحية منحدر الجبل جنوب كاي، المنحدر الذي يحوي بركة ماء استثنائية. ثم انحنى لأسفل وعقد سترته حول رايودن ليغطي الجرح، ثم رفع صديقه على كتفه.

قال جالادون: "لقد جعلني رايودن أُقسم له أنني سأمنحه السكينة، وبعد أن أعتني به سأفعل الشيء ذاته بنفسي. نحن آخر اثنين يا كاراتا، لم يعد لنا مكان في هذا العالم".

أومأت المرأة برأسها ثم تحركت لتشارك جالادون عبئه، وبعدها بدأ الاثنان معًا رحلتهما التي ستنتهي في العدم.

***

لم يقاوم لوكل، لم يعد هناك فائدة من المقاومة، ولكن أباه كان على النقيض منه، لقد تطلب الأمر ثلاثة فيودريين لتقييد كين وإلقائه على صهوة حصان. وحتى حينها تمكن الرجل من أن يصوب ركلة واحدة تجاه رأس يمر من جواره، وفي النهاية ضربه أحد الجنود على جمجمته بحجر فسقط كين فاقدًا الوعي.

أبقى لوكل أمه وزوجته بالقرب منه بينما المحاربون يقتادونهم كالقطيع ناحية إيلانتريس. كان هناك طابور طويل من الناس، النبلاء يجتمعون من نواصي كاي، ملابسهم ممزقة ووجوههم شعثاء. كان الجنود يراقبون الأسرى بحذر كأن أيًّا منهم قد تبقى لديه أدنى شجاعة أو إرادة ليحاول الهرب. معظم الناس لم يرفعوا حتى وجوههم وهم يُدفعون عبر الشوارع.

كانت كايسي ودايورن متشبثين بلوكل بأعين متسعة خائفة. كان لوكل يُشفق عليهما أكثر من غيرهما لصغر سنهما. كان آداين يمشي من ورائه ويبدو غير مكترث، كان يعد الخطوات ببطء وهو يتحرك: "ثلاثمئة وسبعة وخمسون، ثلاثمئة وثمانية وخمسون، ثلاثمئة وتسعة وخمسون...".

كان لوكل يعرف أنهم يزحفون نحو إعدامهم، لقد رأى الجثث المتراصة في الشوارع، وأدرك أن هؤلاء الرجال لا يريدون مجرد الحكم، إنهم هنا لارتكاب مذبحة، ولا تكتمل أي مذبحة بينما لا يزال هناك ضحايا على قيد الحياة.

فكر في أن يقاوم، أن يستولي على سيف في محاولة بطولية يائسة، ولكنه في النهاية اكتفى بجر قدميه مع الآخرين. كان يعرف أنه سيموت، ويعرف أنه لا يوجد شيء يُمكنه فعله لمنع هذا، إنه ليس محاربًا، وأفضل ما يُمكن أن يأمل فيه هو نهاية سريعة.

***

كان هراثن واقفًا إلى جانب ديلاف، ساكنًا تمامًا كما أمره. كانوا يقفون في دائرة؛ خمسون داخوري وسارين وهراثن، مع راهب وحيد في المنتصف. رفع الداخوريون أيديهم، ثم وضع الرجال الواقفون إلى جوار هراثن أيديهم على كتفه. راح قلبه يخفق بقوة عندما بدأ الرهبان يتوهجون والنقوش العظمية تحت جلودهم تضيء. كان هناك إحساس مروع بينما كاي تختفي من حولهم.

ثم ظهروا من جديد في مدينة غير مألوفة، البيوت المتراصة على جانبي الشارع القريب كانت طويلة ومتصلة، بدلًا من البيوت الخفيضة المنفصلة في كاي. لقد وصلوا إلى تيووراس.

كانت المجموعة لا تزال تقف في دائرة، ولكن لم يفت هراثن ملاحظة أن الرجل الذي كان موجودًا في مركز الدائرة قد اختفى. ارتجف هراثن وقد عادت إليه صور من شبابه، هذا الراهب كان وقودًا، لقد احترق جسده وروحه، تضحية نظير نقلهم الفوري إلى تيووراس.

خطا ديلاف إلى الأمام ليتقدم رجاله عبر الشارع. على حد علم هراثن كان ديلاف قد جلب معظم رهبانه معه، تاركًا أريلون في رعاية الجنود الفيورديين العاديين، وعدد قليل من المشرفين الداخوريين.

لقد هُزمت أريلون وإيلانتريس، والمعركة التالية هي تيود. أدرك هراثن من عيني ديلاف أن الراهب لن يرضى حتى يُقتل كل شخص من أصل آيوني.

اختار ديلاف مبنى بسقف مسطح وأشار إلى رجاله لكي يتسلقوا صاعدين إليه. كان الأمر سهلًا بالنسبة لهم، فقد ساعدتهم قوتهم المعززة ورشاقتهم على القفز والاندفاع عبر أسطح لا يمكن لأي رجل طبيعي أن يتسلقها. أحس هراثن براهب يرفعه ويُلقي به على كتفه، ثم ابتعدت الأرض بينما الراهب يصعد به على جانب الجدار، بينما يحمله دون أدنى صعوبة على الرغم

من دروعه المعدنية. إن الداخوريين مسوخ غير بشرية، ولكن لا يستطيع المرء من أن يمنع نفسه من الانبهار بقوتهم.

أسقط الراهب هراثن بشكل مهين على السطح، فقعقعت دروعه على الحجر. بينما هراثن يلملم شتات نفسه ويعتدل واقفًا على قدميه وقعت عيناه على عيني الأميرة. كان وجه سارين عاصفة من الكراهية، إنها تلومه بالطبع، ولا تدرك أن هراثن بطريقة ما أسير مثلها.

وقف ديلاف على حافة السطح ليتفحص المدينة، كان هناك أسطول من السفن يرسو في خليج تيوراس الهائل.

قال هراثن وهو يجلس القرفصاء: "لقد جئنا مبكرًا، سننتظر".

***

كاد جالادون أن يتخيل أن المدينة يعمها السلام. وقف على صخرة على جانب الجبل ليراقب ضوء الصباح يزحف ببطء عبر كاي، كما لو أن يدًا خفية تسحب الظل الداكن للوراء. كاد أن يُقنع نفسه أن الدخان المتصاعد يأتي من المداخن وليس من رماد حطام المباني. كاد أن يصدق أن النقاط المتراصة في الشوارع ليست جثثًا، بل شجيرات أو صناديق، وأن الدم القاني في الشوارع هو خدعة من ضوء الشمس في الصباح الباكر.

أشاح جالادون بوجهه عن المدينة، ربما تبدو كاي مسالمة، ولكنه كان سلام الموت، وليس سلامًا نابعًا عن السكينة، لن يفيد المرء أن يحلم بشيء غير هذا. ربما لو كان أقل ميلًا للوهم لما سمح لرايودن بأن يخرجه من بالوعات إيلانتريس، لما سمح لتفاؤل رجل واحد أن يغير عقله، لما بدأ يصدق بأن الحياة في إيلانتريس يمكن أن تكون أي شيء سوى الألم، لما جرؤ على الأمل.

لسوء الحظ قد استمع إليه، مثل الرولو سمح لنفسه بأن يستسلم لأحلام رايودن، لقد ظن ذات يوم أنه لم يعد يشعر بالأمل، أنه قد طرده بعيدًا، حذرًا من حيله المتقلبة. كان يجب أن يتركه هناك، فبدون الأمل لم يكن ليقلق بشأن خيبة الأمل.

تمتم جالادون وهو ينظر إلى رايودن الذي فقد عقله: "بحق الدولوكين يا سول، لقد قلبت حياتي رأسًا على عقب بالتأكيد".

وأسوأ ما في الأمر هو أنه لا يزال يأمل، لا يزال الضوء الذي أشعله رايودن يومض في صدر جالادون، مهما حاول بقوة أن يُطفئه. لا تزال صور تدمير إيلانتريس الجديدة واضحة في ذاكرته؛ ماريش وقد صُنعت فجوة كبيرة في صدره، تان الحرفي الهادئ تحطم وجهه تحت حجر كبير، ولكن أصابعه لا تزال ترتعش، كاهار العجوز الذي نظَّف كل إيلانتريس الجديدة عمليًّا بنفسه قد فقد ذراعًا وكلتا ساقيه.

كان جالادون قد وقف وسط المذبحة يصرخ في رايودن لأنه تخلى عنهم وتركهم وراءه، لقد خانهم أميرهم من أجل سارين.

ومع ذلك لا يزال يأمل.

كان الأمل مثل قارب صغير يرتعد في ركن من روحه، خائفًا بفعل الغضب والنقمة واليأس. ومع ذلك في كل مرة يحاول فيها أن يُمسك بالأمل ينزلق من بين أصابعه، هربًا إلى جزء آخر من قلبه. كان هذا هو ما دفعه إلى ترك الموتى وراءه، أن يزحف خارجًا من إيلانتريس الجديدة للبحث عن رايودن، معتقدًا لسبب غير عقلاني أن الأمير لا يزال قادرًا على إصلاح كل شيء.

قال جالادون لنفسه بمرارة: *أنت الأحمق يا جالادون وليس رايودن، إنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يكون هكذا، ولكن أنت أكثر عقلانية من هذا.*

ومع ذلك لا يزال يأمل، جزء من جالادون لا يزال يؤمن أن رايودن بطريقة ما سيعيد الأمور إلى نصابها الصحيح. كانت هذه هي اللعنة التي أصابه صديقه بها، بذرة التفاؤل الخبيثة التي ترفض اجتثاثها من جذورها. لا يزال جالادون يأمل، وعلى الأرجح سيأمل حتى اللحظة التي يستسلم فيها للبركة.

في صمت أومأ جالادون إلى كاراتا ثم حملا رايودن على استعداد لقطع المسافة القصيرة التي تفصلهما عن البركة. في غضون بضع دقائق سيكون قد تخلص من الأمل واليأس كليهما.

***

كانت إيلانتريس مظلمة، حتى رغم طلوع الفجر، كانت الأسوار الطويلة تُلقي ظلًّا، وتحجب ضوء الشمس، وتطيل مدة الليل لبضع لحظات. هنا على جانب من ساحة الدخول الواسعة أودع الجنود لوكل والنبلاء الآخرين. كانت مجموعة أخرى من الفيوردين تعد كومة هائلة من الحطب، وتحمل مخلفات المباني وقطع الأثاث إلى المدينة.

المدهش هو أنه لم يكن هناك سوى عدد قليل من الشياطين المحاربين، كان هناك ثلاثة منهم فحسب يشرفون على العمل، أما بقية الرجال فكانوا جنودًا عاديين، ويغطي دروعهم معاطف حمراء تشير إلى كونهم رهبانًا ديريثيين. كانوا يعملون بسرعة وهم يتحاشون النظر إلى أسراهم، ومن الواضح أنهم يحاولون ألا يفكروا كثيرًا في الغرض الذي سيستخدم فيه الحطب.

حاول لوكل بدوره ألا يفكر في هذا.

التصقت به جالا وجسدها يرتجف من الخوف. حاول لوكل أن يقنعها بأن تتوسل من أجل حريتها بسبب دمائها السڤوردية، ولكنها لم تفعل هذا، كانت هادئة للغاية، وغير حازمة، حتى أن البعض قد يعتقدون مخطئين أنها ضعيفة، ولكن إن كان بمقدورهم رؤيتها في هذه اللحظة وهي تختار طواعية البقاء مع زوجها، رغم أن هذا يعني الموت الحتمي، لأدركوا خطأهم. من

بين كل ما ناله لوكل من اتفاقيات وصفقات وإشادات كان الفوز بقلب جالا أغلى جائزة قد نالها.

اقتربت عائلته منه؛ دايورا وطفلاها، لم يكن لديهم مكان يلجؤون إليه بعد أن فقد كين وعيه. وحده آداين وقف بعيدًا عنهم محدقًا إلى كومة الحطب، بينما يواصل التمتمة ببعض الأرقام لنفسه.

تفحص لوكل حشد النبلاء محاولًا أن يبتسم، وأن يمنحهم التشجيع، رغم أنه في قرارة نفسه لم يشعر بالثقة، ستكون إيلانتريس مقبرتهم. وبينما ينظر لاحظ لوكل شخصًا يقف بالقرب من مؤخرة المجموعة، مختفيًا بين الجثث، كان يتحرك ببطء وهو يلوح بيديه أمامه.

فكر لوكل: *شودن؟* كان الجيندوي قد أغلق عينيه ويداه تتحركان بانسيابية في نمط ما. راقب لوكل صديقه في حيرة وهو يتساءل إن كان الجيندوي قد فقد عقله، ثم تذكر الرقصة الغريبة التي أداها شودن في اليوم الأول من تدريبات سارين على المبارزة، التشايشان.

كان شودن يحرك يديه ببطء، دون أن يُعطي أدنى تلميح عن عاصفة الغضب الموشكة. راقبه لوكل بعزيمة متزايدة وشيء من التفهم. إن شودن ليس محاربًا، وكان يتدرب على رقصته من أجل الرياضة لا القتال، ولكنه لن يترك أحباءه يقتلون دون قتال ما، إنه يفضل الموت وهو يقاوم على الجلوس والانتظار، آملًا أن القدر سيُرسل إليهم معجزة.

أخذ لوكل نفسًا وهو يشعر بالخجل. تلفت حوله فوقعت عيناه على ساق طاولة أسقطها أحد الجنود بالقرب منه، عندما يحين الوقت لن يقاتل شودن وحده.

***

كان رايودن يطفو بلا شعور أو إدراك، الوقت لا يعني شيئًا بالنسبة له، إنه هو الوقت، إنه جوهره. من آن لآخر يطفو ناحية السطح، أو ما كان يسميه ذات يوم الوعي، ولكن عندما يقترب يشعر بالألم فيتراجع. كان العذاب مثل سطح بحيرة، إن اخترقه فسيعود الألم ويغلفه.

ولكن في هذه المرات التي يقترب فيها من سطح الألم يخيل إليه أنه قد رأى صورًا، تصورات قد تكون حقيقة، ولكنها على الأرجح مجرد انعكاسات لذاكرته. رأى وجه جالادون، قلقًا وغاضبًا في الوقت ذاته. رأى كاراتا، عينيها مثقلتين باليأس. رأى جبلًا مغطى بالشجيرات والصخور.

كان كل شيء غير مادي بالنسبة له.

***

"كثيرًا ما أتمنى لو أنهم تركوها تموت".

رفع هراثن بصره، كان صوت ديلاف شاردًا كأنه يُخاطب نفسه، ولكن كانت عينا الكاهن مصوبتين ناحية هراثن.

سأله هراثن في تردد: "ماذا؟".

"لو أنهم تركوها تموت فحسب...". خفت صوت ديلاف حتى تلاشى. كان جالسًا على حافة السطح يراقب السفن تتجمع بالأسفل، ووجهه غارق في الذكرى. لطالما كانت مشاعره غير متزنة. لا يمكن لرجل أن يحافظ على اشتعال حماسه الديني بمستوى ديلاف لوقت طويل دون أن يلحق ضررًا شعوريًّا بعقله. على الأرجح بعد بضع سنوات أخرى سيصير ديلاف مجنونًا تمامًا.

قال ديلاف: "كنت في الخمسين من عمري بالفعل حينها يا هراثن. هل تعرف هذا؟ لقد عشت قرابة سبعين عامًا، رغم أن جسدي لا يبدو أكبر من عشرين عامًا. لقد اعتقدتْ أنني أوسم رجلًا قد رأته في حياتها، رغم أن جسدي كان ملتويًا ومشوهًا ليناسب هيئة الأريليين".

بقي هراثن صامتًا، لقد سمع مثل هذه الأشياء، أن تراتيل الداخور يمكنها أن تغير من هيئة الشخص، ولا شك أن الأمر كان مؤلمًا للغاية.

تمتم ديلاف وهو يضم ساقيه إلى صدره بإحكام: "عندما مرضتْ أخذتها إلى إيلانتريس، كنت أعرف أنها وثنية، أنها مهرطقة. ولكن حتى أربعين سنة كداخوري لم تكن كافية لإبقائي بعيدًا، ليس وأنا أعتقد أن إيلانتريس يُمكنها أن تنقذها. قالوا إن إيلانتريس يُمكنها الشفاء، بينما الداخور لا يُمكنه هذا، فأخذتها إلى هناك".

لم يعد الراهب ينظر إلى هراثن وقد صارت عيناه زائغتين. همس قائلًا: "لقد غيروها، قالوا إن التعويذة جرت على نحو خاطئ، ولكني أعرف الحقيقة، كانوا يعرفونني ويكرهونني، وإلا فلمَ وضعوا لعنتهم على سيالا؟ لقد تحول جلدها إلى اللون الأسود وسقط شعرها وبدأت تحتضر. كانت تصرخ في الليل أن الألم ينهشها من الداخل، وفي النهاية ألقت بنفسها من على سور المدينة".

تحول صوت ديلاف إلى رثاء حزين وهو يقول: "عثرتُ عليها بالأسفل، لا تزال حية. كانت لا تزال حية رغم سقوطها، فأحرقتها. لم تتوقف عن الصراخ، لا تزال تصرخ حتى الآن، يُمكنني سماعها، ستصرخ حتى تفنى إيلانتريس".

***

وصلوا إلى الحافة التي تقع البركة وراءها، فأنزل جالادون رايودن أرضًا. استلقى الأمير بلا حراك على الحجر، ورأسه يتدلى قليلًا من على حافة الجرف، وعيناه الخاويتان تحدقان إلى ما

وراء مدينة كاي. اتكأ جالادون بظهره إلى صخرة بجانب باب النفق المؤدي إلى إيلانتريس بالأسفل. هوت كاراتا بجسدها إلى جواره في إنهاك. سينتظران لحظة ثم يذهبان إلى العدم.

***

ما إن جُمع الحطب حتى بدأ الجنود في إعداد كومة جديدة، وهذه الكومة كانت من الجثث. ذهب الجنود ليفتشوا في أرجاء المدينة بحثًا عن جثث الإيلانتريين الذين قد قتلوا. أدرك لوكل شيئًا وهو يراقب الكومة تتنامى، لم يكونوا جميعًا موتى، في الواقع معظمهم لم يكونوا كذلك.

معظمهم كانوا مصابين بجروح خطيرة للغاية، حتى إنها أصابت لوكل بالغثيان عند النظر إليها، ومع ذلك كانت أذرعهم وسيقانهم ترتعش، وشفاهم تتحرك. قال لوكل لنفسه: *إيلانتريون حقًا هم أولئك الذين تظل عقولهم حية بعد موتهم.*

ازدادت كومة الجثث ارتفاعًا، كان هناك المئات منها، كلهم من الإيلانتريين الذين كانوا يُجمعون في المدينة لعشرة أعوام. لم يُقاوم أي منهم، لقد سمحوا ببساطة بأن يكدسوا، وأعينهم لا مبالية، حتى صارت كومة الجثث أكبر من كومة الحطب.

همس آداين فجأة وهو يبتعد عن حشد النبلاء: "سبع وعشرون خطوة حتى الجثث".

مد لوكل يده ناحية أخيه، ولكن كان هذا بعد فوات الأوان. صرخ جندي لكي يتراجع آداين مع الآخرين، ولكن آداين لم يستجب. في غضب ضرب الجندي آداين في صدره ليصنع جرحًا كبيرًا في صدره. تعثر آداين ولكنه واصل السير. لم تتدفق دماء من الجرح. فتح الجندي عينيه على اتساعهما ثم قفز للوراء وهو يشير بيده لدرء الشر. اقترب آداين من كومة الإيلانتريين ثم انضم إليهم فهوى بجسده بينهم واستلقى ساكنًا.

لقد كُشف سر آداين أخيرًا بعد خمس سنوات، لقد التحق بقومه.

***

قال ديلاف مبتسمًا ابتسامة وحشية شيطانية: "أنا أتذكرك يا هراثن، أتذكرك وأنت صبي عندما جئت إلينا. كان ذلك قبل أن أغادر إلى أريلون مباشرة. كنت خائفًا حينها، تمامًا مثلما أنت خائف الآن. لقد هربت منا، وشاهدتُ رحيلك في رضا، فأنت لم يكن من المفترض أن تصير داخوريًّا أبدًا، أنت ضعيف للغاية".

أحس هراثن بقشعريرة باردة وهو يقول: "كنتَ هناك؟".

قال ديلاف: "كنتُ جراجدت بالفعل، ألا تذكرني؟".

حينها نظر هراثن إلى عيني الرجل فأحس ببريق من الذكرى، تذكر عينين شيطانيتين في جسد طويل لرجل لا يرحم. تذكر الترانيم، تذكر النيران، تذكر الصرخات. صرخاته. ووجهًا يطل من فوقه، كانتا العينين ذاتهما.

شهق هراثن وقال: "أنت!".

"أنت تتذكر".

قال هراثن والقشعريرة الباردة تجتاح جسده: "أتذكر، كنتَ من أقنعني بالرحيل. في الشهر الثالث طلبتَ من أحد رهبانك أن يستخدم سحره لينقلك إلى قصر الويرن، أطاعك الراهب متخليًا عن روحه لينقلك مسافة كنت قادرًا على أن تقطعها في خمس عشرة دقيقة".

همس ديلاف: "الطاعة المطلقة مطلوبة يا هراثن، إن وجود الاختبارات وضرب الأمثلة من آن لآخر يحض البقية على الولاء". ثم صمت للحظة وهو ينظر إلى الخليج، لقد رسا الأسطول منتظرًا كما أمر ديلاف. تفحص هراثن الأفق، كان باستطاعته أن يرى عدة نقاط داكنة، قمم صوارٍ، إن جيش الويرن قادم.

**قال ديلاف آمرًا وهو ينهض واقفًا على قدميه: "هيا بنا، لقد نجحنا، لقد رسا الأسطول التيودي. لن يكونوا قادرين على منع أسطولنا من أن يرسو. لم يتبقَّ أمامي سوى مهمة واحدة؛ قتل الملك إيڤينتيو".**

***

**ظهرت رؤيا في عقل رايودن الخامل، حاول أن يتجاهلها ولكنها لسبب ما رفضت الرحيل. لقد رآها من خلال سطح ألمه المتلألئ، صورة بسيطة.**

**كان آيون رايو؛ مربع كبير تحيط به أربع دوائر وخطوط تربطها جميعًا بالمركز، إنه آيون مستخدم على نطاق واسع، وخصوصًا بين الكوراثيين بسبب معناه؛ الروح.**

**كان عقل رايودن يطفو في أبدية بيضاء فحاول أن يتجاهل صورة آيون رايو، إنه شيء من وجود سابق، غير مهم ومنسي. لم يعد بحاجة إليه، ولكن عندما سعى لمحو الصورة ظهرت صورة أخرى في موضعها.**

**إيلانتريس؛ أربعة أسوار تشكل مربعًا، والمدن الأربعة الخارجية تحيط بها، وحدودها على شكل دوائر، وطريق مستقيم يؤدي من كل مدينة إلى إيلانتريس.**

***بحق دومي الرحيم!***

***

**فتح الجنود عدة براميل من الزيت فراقبهم لوكل في اشمئزاز وهم يبدؤون في صبها على كومة الجثث. كان هناك ثلاثة محاربين عراة الجذوع يقفون إلى الجانب وهم يغنون ترنيمة ما بلغة أجنبية بدت غليظة وغير مألوفة على أن تكون فيوردية. قال لوكل في قرارة نفسه وقد أدرك الأمر: *سيكون دورنا هو التالي.***

قال لوكل آمرًا عائلته: "لا تنظروا". ثم أشاح بوجهه بينما الجنود يعدون إيلانتريس من أجل المحرقة.

***

كان الملك إيڤينتيو واقفًا على مسافة قريبة ويحيط به عدد قليل من الحرس الشرفيين، ثم أحنى رأسه عندما اقترب ديلاف. ابتسم الراهب وهو يعد سكينه. كان إيڤينتيو يعتقد أنه يدفع ببلده للاستسلام، لم يدرك أنه يقدمه ليكون أضحية.

كان هراثن يمشي إلى جانب ديلاف وهو يفكر بشأن الضرورة والواجب. صحيح أن الرجال سيموتون، ولكن خسارتهم ستكون بلا معنى. ستصير الإمبراطورية الفيوردية أقوى بكثير بعد انتصارها على تيود. سيتزايد الإيمان في قلوب الناس، سيكون نفس الشيء الذي فعله هراثن من قبل في أريلون، لقد حاول أن يدخل الناس في الدين لأسباب سياسية، مستخدمًا الألاعيب السياسية وإقبال الناس على ما يحظى بالشعبية. لقد رشا تيلري لكي يبدل دينه دون أن يبذل أدنى جهد لإنقاذ روح الرجل. لقد فعل الشيء ذاته. ما قيمة أمة من الكافرين مقارنة بكل عظمة الشو-ديريث؟

حتى وهو يفكر في الأمر بشكل منطقي أحس بالغثيان في معدته.

*لقد أُرسلت لإنقاذ هؤلاء الناس، لا لذبحهم!*

كان ديلاف يُمسك بالأميرة سارين من عنقها وفمها مكمم. نظر إيڤينتيو إليها وابتسم ليُطمئنها بينما يقتربون منه. لم يكن قادرًا على أن يرى السكين في يد ديلاف.

همس ديلاف: "كنت أنتظر هذه اللحظة". في البداية ظن هراثن أن الكاهن يشير إلى تدمير تيود، ولكن ديلاف لم يكن ينظر إلى الملك بل إلى سارين وهو يضع نصل السيف على عنقها.

همس ديلاف في أذن سارين، وبالكاد كان هراثن قادرًا على سماع صوته: "أنتِ مرض أيتها الأميرة، قبل أن تأتي إلى كاي حتى الأريليون كانوا يكرهون إيلانتريس، أنتِ السبب أنهم نسوا بغضهم ذلك، لقد تورطتِ مع المدنسين، حتى إنك انحدرتِ إلى مستواهم. أنتِ أسوأ منهم، فأنتِ لست ملعونة، ولكنك تسعين وراء اللعنة. كنت أفكر في قتل أبيك أولًا بينما تنظرين، ولكني الآن أرى أن الأمر سيكون أسوأ بكثير إن فعلت العكس. فلتفكري في إيڤينتيو العجوز وهو يشاهدكِ تموتين، فلتتأملي هذه الصورة بينما أرسلك إلى هاوية عذاب جادث الأبدية".

كانت تبكي، والدموع تلطخ كمامتها.

***

شق رايودن طريقه بصعوبة تجاه الوعي، كان الألم يضربه ككتلة ضخمة من الحجر، مما يعطل تقدمه، بينما ينكص عقله في عذاب. ألقى بنفسه في وجه الألم فاجتاح جسده العذاب الشديد. كان يشق طريقه ببطء عبر السطح الذي يقاومه، حتى وصل بشق الأنفس إلى وعي بالعالم الموجود خارج نفسه.

أراد أن يصرخ، أن يصرخ مرارًا وتكرارًا. كان الألم لا يصدق، ولكن إلى جانب الألم أحس بشيء آخر، أحس بجسده، إنه يتحرك، يُجرُّ على الأرض. اجتاحت الصور عقله مع عودة البصر إليه، كان يُجذب ناحية شيء دائري وأزرق....البركة.

قال لنفسه في يأس: *لا! ليس بعد! أنا أعرف الإجابة!*

***

صرخ رايودن فجأة وهو يرتجف، فتفاجأ جالادون كثيرًا حتى أنه أسقط الجسد.

تعثر رايودن للأمام محاولًا أن يقف على قدميه فسقط مباشرة في البركة.

# الفصل الواحد والستون

أحاط ديلاف الأميرة بيده ليضغط بخنجره على عنقها، فاتسعت عينا إيڤينتيو في رعب.

شاهد هراثن الخنجر وهو يبدأ في قطع جلد سارين. فكَّر في فيوردن، فكَّر في كل ما فعله، الأشخاص الذين أنقذهم، فكَّر في الصبي الصغير المتلهف لإثبات إيمانه بالدخول إلى الكهنوت. الاتحاد.

صرخ هراثن: "لا!". ثم دار على عقبيه وهوى بقبضته على وجه ديلاف.

تعثر ديلاف للحظة وهو يخفض سلاحه في دهشة، ثم نظر الراهب في غضب وهو يهوي بخنجره على صدر هراثن.

انزلق السكين على درع هراثن ليحتك بشكل عديم التأثير بالفولاذ المطلي. تأمل ديلاف درع الصدر بعينين مذهولتين ثم قال: "ولكن هذه الدروع من أجل التباهي فحسب...".

قال هراثن: "كان يجب أن تعرف بحلول هذا الوقت يا ديلاف". ثم رفع ساعده المغطى بالدروع ليضرب بها وجه الراهب. قاومت العظام غير الطبيعية قبضة هراثن ولكنها تحطمت بصوت مُرضٍ تحت الفولاذ. "أنا لا أفعل أي شيء من أجل التباهي فحسب".

سقط ديلاف فجذب هراثن سيف الراهب من غمده وهو يصرخ: "فلتطلق سفنك يا إيڤينتيو! جيوش فيوردن لم تأتِ من أجل احتلالكم، بل من أجل ذبحكم. فلتتحرك على الفور إن كنت تريد أن تنقذ شعبك!".

سب إيڤينتيو: "راج دومي!". وصرخ ليجلب قادته العسكريين، ثم صمت للحظة قبل أن يقول: "ابنتي...".

قال هراثن بحدة: "سأساعد الفتاة! فلتنقذ مملكتك أيها الأحمق!".

رغم أن الأجساد الداخورية سريعة بشكل غير طبيعي، إلا أن عقولهم لا تتعافى من الصدمة أسرع من البشر الطبيعيين. إن مباغتتهم قد منحت هراثن بضع ثوانٍ حيوية. امتشق سيفه وهو يدفع سارين ناحية أحد الأزقة، ثم تراجع ليسد المدخل.

***

احتضن الماء رايودن، كان هناك شيء حي يُمكنه سماعه بوضوح وهو يُناديه في عقله: *تعالَ، سأُحررك*. بدا كأب يمنح ابنه الطمأنينة، يُريد أن يزيل ألمه وأحزانه، تمامًا كما كانت أمه تفعل ذات يوم.

توسل الصوت إليه: *تعالَ، يُمكنك أخيرًا أن تستسلم*.

قال رايودن في قرارة نفسه: *لا، ليس بعد*.

***

انتهى الفيورديون من إغراق الإيلانتريين بالزيت، ثم جهزوا مشاعلهم. طيلة هذا الوقت كان شودن يحرك ذراعيه في أنماط دائرية منضبطة دون أن يُضاعف من سرعتها كما كان يفعل في تدريبات المبارزة. بدأ رايودن يفكر إن كان شودن لا يُخطط للهجوم على الإطلاق، بل يعد نفسه من أجل الأمر المحتوم.

وفجأة انفجر شودن في الحركة، اندفع البارون الشاب إلى الأمام وهو يدور كراقص، بينما يهوي بقبضته على صدر راهب محارب مترنم. كان هناك صوت تشقق مسموع، ثم دار شودن

حول نفسه مرة أخرى ليصفع الراهب على وجهه. دار رأس الشيطان حول نفسه بالكامل فجحظت عيناه مع كسر عنقه الذي يدعم رأسه.

وقد فعل شودن كل هذا وعيناه مغلقتان. لم يكن لوكل متيقنًا ولكن خُيِّل إليه أنه رأى شيئًا آخر؛ وهجًا خافتًا يتبع حركات شودن في عتمة الفجر.

صرخ لوكل صرخة حرب . لتشجيع نفسه أكثر من كونها لإخافة أعدائه . ثم أمسك بساق الطاولة وهوى بها ناحية أحد الجنود. ارتدت الساق الخشبية من على خوذة الرجل، ولكن الضربة الأولى كانت قوية بما يكفي لإصابته بالدوار، لذا تبعها لوكل بضربة عنيفة على وجهه. سقط الجندي أرضًا فالتقط لوكل سلاحه.

الآن معه سيف، يتمنى فقط لو يعرف كيف يستخدمه.

***

كان الداخوريون أكثر سرعة وقوة وصلابة، ولكن هراثن كان أكثر إصرارًا. لأول مرة منذ سنوات يتفق قلبه وعقله. أحس بالقوة، نفس القوة التي أحس بها في اليوم الأول لوصوله أريلون، الثقة في قدرته على إنقاذ شعبها.

تمكن من صدهم، ولكن بالكاد. ربما هراثن ليس راهبًا داخوريًّا، ولكنه سياف لا يشق له غبار، وما يفتقر إليه نسبيًا في القوة والسرعة يعوضه بالمهارة. لوح بسيفه وغرسه مباشرة بين عظمتين بارزتين. تجاوز النصل الضلوع المتضخمة ليخترق القلب. شهق الداخوري وهو يسقط أرضًا بينما هراثن يحرر سيفه. ولكن رفاق الراهب أجبروا هراثن على التراجع بشكل دفاعي عبر الزقاق.

أحس بسارين تتعثر من ورائه، قبل أن تنتزع الكمامة من على فمها وتقول: "إن عددهم كبير للغاية! لن تتمكن من مقاتلتهم جميعًا".

إنها محققة، ولكن لحسن الحظ تحركت موجة عبر حشد المحاربين، وسمع هراثن أصوات القتال تأتي من على الجانب الآخر، لقد انضم حرس إيڤينتيو الشرفيون إلى المعركة.

قالت سارين وهي تجذبه من كتفه: "تعالَ معي". خاطر هراثن بأن يُلقي نظرة خاطفة وراءه، كانت الأميرة تشير إلى باب موارب بعض الشيء يؤدي إلى المبنى المجاور لهما.

أومأ هراثن برأسه وهو يصد هجومًا آخر، قبل أن يستدير على عقبيه ويبدأ في الركض.

***

اندفع رايودن خارجًا من الماء وهو يلهث من أجل الهواء برد فعل غريزي. قفز جالادون وكاراتا إلى الوراء في دهشة. كان رايودن يشعر بالسائل الأزرق البارد يسيل من على وجهه، لم يكن ماءً بل شيئًا آخر، شيء أكثر كثافة، لم يكترث به كثيرًا وهو يزحف خارجًا من البركة.

همس جالادون في دهشة: "سول!".

هز رايودن رأسه وهو غير قادر على الإجابة. كانا يتوقعان أن يتحلل، لا يعرفان أن البركة لا يمكنها أن تأخذه ما لم يكن راغبًا في هذا.

وأخيرًا قال بصوت مبحوح وهو يقف على قدميه مترنحًا: "هيا بنا".

***

رغم انقضاض لوكل الحماسي وهجوم شودن القوي إلا أن بقية قاطني البلدة اكتفوا بالوقوف والمراقبة في ذهول متبلد. وجد لوكل نفسه يقاتل ثلاثة جنود بشكل يائس. إن السبب الوحيد لبقائه على قيد الحياة هو أنه كان يراوغ ويركض أكثر من الهجوم الفعلي. وعندما جاءت المساعدة أخيرًا كانت من مصدر غير متوقع؛ النساء.

عدد كبير من المبارزات اللاتي دربتهن سارين أمسكن بقطع من الحطب أو السيوف التي سقطت أرضًا واصطففن وراء لوكل وهن يضربن بانضباط وبراعة أكثر حتى مما يمكنه التظاهر به. عززت المفاجأة من حدة انقضاضهم، وللحظة ظن لوكل أنهم قد يتحررون حقًّا.

ثم سقط شودن وهو يصرخ بينما سيف يصيب ذراعه، وما إن انقطع تركيز الجيندوي حتى انقطعت رقصته الحربية، ثم أخرجته ضربة بسيطة بالهراوة على رأسه من المعركة. سقطت بعده الملكة العجوز إيشن وقد انغرس سيف في صدرها. صرختها المريعة ومشهد الدماء وهي تتدفق على فستانها أصابا النسوة الأخريات بالتوتر، فتوقفن عن القتال وألقين أسلحتهن.

أُصيب لوكل بجرح كبير في فخذه عندما أدرك أحد خصومه أنه لا يملك أدنى فكرة عن كيفية استخدام سلاحه.

صرخ لوكل في ألم ثم سقط على الأرض الحجرية المرصوفة وهو يُمسك بساقه. لم يُبالِ الجندي حتى بالإجهاز عليه.

***

اندفع رايودن هابطًا جانب التل بسرعة مخيفة، كان الأمير يقفز ويندفع كأنه لم يكن فعليًّا في غيبوبة قبل بضع دقائق. إن انزلق بهذه الوتيرة، إن خطا خطوة واحدة خاطئة، فلن يتوقف عن التدحرج حتى يرتطم بسفح الجبل الشمالي الغربي.

قال جالادون وهو يبذل قصارى جهده لمجاراته: "بحق الدولوكين!". بهذا المعدل سيصلون سور إيلانتريس الجنوبي في غضون دقائق.

***

اختبأت سارين إلى جانب منقذها غير المتوقع، ساكنة تمامًا في الظلمة.

نظر هراثن إلى الأعلى عبر ألواح الأرضية، كان هو من اكتشف باب القبو فجذبه ليفتحه، ثم دفعها من خلاله. وجدوا في الأسفل عائلة مذعورة منكمشة على نفسها في الظلمة. انتظروا جميعًا في صمت وتوتر بينما الداخوري يتحرك في أرجاء البيت قبل أن يغادر عبر الباب الأمامي.

في النهاية أومأ هراثن برأسه وقال: "هيا بنا". قبل أن يمد يده للأعلى ويرفع باب القبو.

قال سارين للعائلة: "فلتبقوا هنا، ولا تصعدوا حتى تكونوا مضطرين لهذا".

قعقعت دروع الجيورن وهو يتسلق درجات السلم، قبل أن يطل برأسه في حذر إلى الحجرة. أشار لسارين أن تلحق به، ثم انتقل إلى المطبخ الصغير في الجزء الخلفي من البيت، وبدأ يخلع دروعه ويلقي بها أرضًا. رغم أنه لم يفسر الأمر إلا أن سارين فهمت تصرفه، إن دروع الجيورن الحمراء القانية يسهل تمييزها للغاية على أن تستحق قيمتها الوقائية.

بينما يفعل هذا اندهشت سارين من الثقل الواضح للمعدن، فقالت: "كنت تسير في الأرجاء طيلة هذه الأشهر في دروع حقيقية؟ ألم يكن هذا صعبًا؟".

انتزع درع ساقه الأخيرة، كانت منبعجة والطلاء الأحمر مخدوش. قال وهو يُلقيها لتسقط على الأرض مقعقعة: "إنه عبء واجبي، واجب لم أعد أستحقه".

نظر إلى درع الساق ثم هزَّ رأسه، قبل أن ينتزع ملابسه الداخلية القطنية السميكة المستخدمة في تبطين الدروع. وقف عاري الصدر لا يرتدي إلا سروالًا رقيقًا يصل إلى ركبته، وكمًا طويل من القماش يغطي ذراعه اليُمنى.

تساءلت سارين: *لمَ يُغطي ذراعه؟ قطعة أخرى من زي الكاهن الديريثي؟* ولكن كان هناك أسئلة أخرى أكثر إلحاحًا.

سألته: "لِمَ فعلت هذا يا هراثن؟ لم انقلبت على قومك؟".

تردد هراثن ثم أشاح ببصره وقال: "كانت أفعال ديلاف شنيعة".

"ولكن إيمانك...".

"أنا أؤمن بجادث، إله لا يريد إلا أن يعبده البشر. إن المذابح لا تخدم مشيئته".

"يبدو أن الويرن يفكر بطريقة مختلفة".

لم يُجبها هراثن، وبدلًا من هذا اختار عباءة من صندوق قريب قبل أن يناولها لها، ثم أخذ عباءة أخرى لنفسه وقال: "فلنذهب".

***

عندما وصل رايودن إلى حافة المنحدر كانت النتوءات والتمزقات والخدوش تغطي قدميه، حتى إنه لم يعد يعتبرهما قطعتين من اللحم، بل كانتا ببساطة كتلتين من الألم تحترقان في طرفي ساقيه.

ورغم هذا واصل الركض فهو يعرف أنه إن توقف سيغلبه الألم مرة أخرى. لم يكن حرًّا تمامًا، لقد استعار عقله، وعاد من الخواء لينفذ مهمة واحدة، عندما ينتهي منها سيجذبه الفراغ الأبيض إلى العدم مرة أخرى.

تعثر إلى الأمام نحو بقعة ما بين إيلانتريس وأطلال توا، المدينة الواقعة على الجانب الجنوبي، وهو يشعر بطريقه أكثر من كونه يراه.

***

استلقى لوكل وهو يشعر بالدوار بعدما جذبته جالا إلى الوراء ناحية حشد سكان البلدة المذعورين. كانت ساقه تنبض وهو يشعر بالضعف مع تدفق الدم من الجرح الكبير. لقد ربطت

زوجته الجرح قدر استطاعتها، ولكن كان لوكل يعرف أن هذا بلا طائل، حتى لو تمكنت من وقف النزيف فسيقتلهم الجنود بعد لحظات قليلة على أي حال. راقب في يأس بينما واحد من المحاربين يُلقي بشعلة على كومة الإيلانتريين فاشتعلت النيران في الأجساد المنقوعة بالزيت.

أومأ الرجل الشيطاني ناحية مجموعة من الجنود فاستلوا سيوفهم وبدأوا يقتربون في وجوم من سكان البلدة المنكمشين على أنفسهم.

***

تساءلت كاراتا وهم يمرون من جنوب الزاوية الأقرب من سور مدينة إيلانتريس: "ما الذي يفعله؟". كان رايودن لا يزال يتقدمهما وهو يركض بغير اتزان نحو البوابة الجنوبية تقريبًا.

قال جالادون: "لا أعرف". أمامهما كان رايودن قد أمسك بعصا طويلة من على الأرض وبدأ يركض وهو يجذب العصا الخشبية وراءه.

تساءل جالادون: *ما الذي تسعى إليه يا سول؟* ومع ذلك أحس بالأمل العنيد يتنامى بداخله مرة أخرى. "أيًّا كان ما يفعله يا كاراتا فإنه مهم، ويجب أن نحرص على أن ينتهي منه". بدأ يركض وراء رايودن متتبعًا مسار الأمير.

بعد بضع دقائق أشارت كاراتا ناحية الغرب وهي تقول: "هناك!". كان هناك فرقة من ستة جنود فيورديين، على الأرجح يفتشون أطلال توا بحثًا عن اللاجئين، وهم يمشون بداخلها بمحاذاة السور الحدودي. لاحظ قائد الجنود رايودن فرفع يده.

قال جالادون وهو يندفع وراء رايودن بقوة مفاجئة: "هيا بنا، مهما حدث يا كاراتا لا تدعيهم يوقفونه!".

***

بالكاد سمع رايودن الرجال وهم يقتربون، ولم يتعرف على جالادون وكاراتا اللذين يركضان وراءه إلا للحظة وجيزة وهما يلقيان بنفسيهما بيأس ناحية الجنود. إن صديقيه غير مسلحين، حذره صوت في عقله الباطن أنهما لن يوفرا له الكثير من الوقت.

واصل رايودن الركض وهو يُمسك العصا بأصابع متيبسة. لم يكن واثقًا من أنه سيعرف عندما يصير في المكان الصحيح، ولكنه عرف، لقد أحس به.

*لم يتبقَّ إلا القليل بعد.*

أمسكت به يد، وصاح فيه صوت بالفيوردية. تعثر رايودن وسقط أرضًا، ولكنه أبقى العصا ساكنة، ولم يتركها تنزلق ولو بوصة واحدة. بعد لحظة سمع صوت تأوه قبل أن تُطلق اليد سراحه.

*لم يتبقَّ إلا القليل بعد!*

كان الرجال يتقاتلون من حوله، بينما جالادون وكاراتا يجذبان انتباه الجنود، أطلق رايودن صيحة غضب بدائية وهو يزحف كطفل بينما يحفر خطه في الأرض. ضربت أحذية الأرض بجانب يد رايودن، على بعد بوصات قليلة من سحق أصابعه، ولكنه واصل الحركة.

رفع بصره عندما اقترب من النهاية، كان هناك جندي يُنهي الضربة التي فصلت رأس كاراتا عن جسدها. سقط جالادون مع سيفين في معدته. وكان هناك جندي يشير ناحية رايودن.

جزَّ رايودن على أسنانه، ثم أنهى الخط الذي يرسمه في التراب.

ارتطم جسد جالادون الضخم بالأرض، وتدحرج رأس كاراتا على الطريق الحجري الذي يؤدي إلى بوابة إيلانتريس الجنوبية، وقطع الجندي خطوة.

تفجر الضوء من الأرض.

انفجر من التراب كنهر فضي، ليتناثر في الهواء على طول الخط الذي رسمه رايودن. غلَّفه الضوء، ولكنه كان أكثر من مجرد ضوء، بل النقاء الجوهري، القوة الصافية، الدور. اجتاحه وغمره كسائل دافئ.

ولأول مرة منذ شهرين اختفى الألم.

***

استمر الضوء على طول خط رايودن الذي يتصل بالطريق، ثم تبع الطريق جنوبًا منبثقًا من الأرض ليُكمل في دائرة حتى أحاط بالمدينة الجنوبية تمامًا. وكل أنقاضها التي نُسيت بالكامل في السنوات العشرة التي انقضت منذ الريود. ولكنه لم يتوقف، اندفعت القوة شمالًا على طول الطريق لتُغطي سور مدينة إيلانتريس العظيم أيضًا، ومن هناك تحرك إلى كاي، وأطلال المدينتين الخارجيتين الأخريين. سرعان ما صارت المدن الخمسة مغلفة بالضوء، خمسة أعمدة متألقة من الطاقة.

إن مجموع المدن كان آيونًا هائلًا، مركز القوة الإيلانترية، كل ما احتاجه هو خط الصدع ليعمل من جديد.

مربع واحد وأربعة دوائر، آيون رايو، روح إيلانتريس.

***

وقف رايودن في سيل الضوء وملابسه تخفق في قوته المطلقة. أحس بقوته تعود إليه، وآلامه تتبخر كذكريات عابرة، وجروحه تلتئم. لم يكن بحاجة إلى النظر ليعرف أن الشعر الأبيض الناعم قد نما في رأسه، وأن بشرته تخلصت من شوائبها السقيمة ليحل محلها لمعان فضي رقيق.

ثم أحس بالحدث الأكثر بهجة على الإطلاق. كدوي الطبول عاد قلبه للنبض في صدره. الشايود . التحول . قد أكمل عمله أخيرًا.

تنهد رايدون في أسف، ثم خطا من الضوء ليخرج إلى العالم كمخلوق يخرج من الشرنقة بعد اكتمال تحولها. كان جالادون مذهولًا وهو يعتدل واقفًا من الأرض وبشرته بلون فضي معدني داكن.

تعثر الجنود إلى الوراء في ذعر، وعدد منهم يشيرون بأيديهم ليدرؤوا الشر بينما يستغيثون بربهم.

قال رايودن وهو يرفع إصبعًا متوهجة ليشير ناحية الميناء في جهة الشمال الشرقي: "أمامكم ساعة واحدة، اذهبوا".

***

ضم لوكل زوجته وهو يراقب النيران تلتهم وقودها الحي. همس لها بحبه بينما الجنود يتقدمون لتنفيذ مهمتهم الشنيعة. همس الأب أومين من وراء لوكل في صلاة هادئة لدومي من أجل أرواحهم، ومن أجل قاتليهم.

وحينها كمصباح يشتعل فجأة بالنيران تفجرت إيلانتريس بالضوء. ارتجفت المدينة بأسرها، بدا أن أسوارها تتمدد وتتشوه بفعل قوة هائلة. كان الناس بالداخل محتجزين في دوامة من الطاقة، والرياح المفاجئة تجتاح البلدة.

ثم حل السكون على كل شيء، كانوا يقفون في قلب عاصفة بيضاء هائلة، تستعر قوتها في سور من اللمعان يحيط بالمدينة. صرخ قاطنو البلدة في خوف بينما الجنود يسبون وينظرون للأعلى في حيرة ناحية الأسوار الساطعة. لم يكن لوكل يراقب الأسوار، كان فاغرًا فاه في دهشة وهو يحدق إلى محرقة الجثث... وإلى الظلال التي تتحرك بداخلها.

ببطء راحت أجسادهم تتلألأ بنور أكثر سطوعًا وقوة من ألسنة اللهب المحيطة بهم، ثم بدأ الإيلانتريون يخطون خارجين من النيران المتأججة دون أن تمسهم حرارتها بأذى.

كان قاطنو البلدة جالسين في ذهول، ولم يبدُ أن هناك أحدًا قادرًا على الحركة سوى الكاهنين الشيطانين. صرخ أحدهما في إنكار وهو ينقض ناحية الإيلانتريين الخارجين من النار وقد أشهر سيفه.

اندفع وميض من القوة عبر الباحة ليضرب الراهب في صدره، ليدمر المخلوق ويحيله إلى دفقة من الطاقة. سقط السيف على أحجار الرصف بقعقعة تلاها تناثر العظام المتفحمة واللحم المحترق.

التفت لوكل بعينين ذاهلتين ناحية مصدر الهجوم. كان رايودن واقفًا عند بوابة إيلانتريس المفتوحة رافعًا يده. كان الملك يتوهج كشبح عاد من القبر، بشرته فضية وشعره ناصع البياض ووجهه مشرق بالظفر.

صرخ الشيطان الكاهن المتبقي في وجه رايودن باللغة الفيوردية، يلعنه بأنه سڤراكيس. رفع رايودن يده وبهدوء رسم في الهواء، لتترك أصابعه أثرًا أبيض متوهجًا يضيء بنفس القوة المستعرة التي تحيط بسور إيلانتريس.

توقف رايودن ويده متأهبة بجانب الحرف المتوهج؛ آيون دا، آيون القوة. نظر الملك من خلال الرمز المتوهج وهو يرفع عينيه في تحدٍّ تجاه المحارب الديريثي الوحيد.

سب الراهب مرة أخرى، ثم خفض سلاحه ببطء.

قال رايودن: "خذ رجالك إلى الميناء أيها الراهب، اصعدوا على متن سفنكم وارحلوا. أي شيء ديريثي ـ سواء كان رجلًا أو سفينة ـ سيبقى في بلدي بعد أن تدق الساعة التالية سيذوق قوة غضبي. أتحداكم أن تتركوا لي هدفًا مناسبًا".

كان الجنود يركضون بالفعل متجاوزين رايودن ناحية المدينة، فانسل قائدهم وراءهم. بالمقارنة مع بهاء رايودن بدا جسد الراهب الشنيع مثيرًا للشفقة أكثر من كونه مخيفًا.

راقبهم رايودن وهم يرحلون ثم التفت ناحية لوكل والآخرين وقال: "شعب أريلون، لقد عادت إيلانتريس".

رمش لوكل بعينيه وهو يشعر بالدوار، وتساءل للحظة إن كان ما حدث برمته مجرد رؤيا اختلقها عقله المنهك. ولكن عندما بدأت صيحات الفرح تدوي في أذنيه أدرك أن كل هذا حقيقي، لقد جاءهم الخلاص.

قال: "كان هذا غير متوقع تمامًا". ثم أُغشي عليه مع نزيف دمائه.

***

تحسس ديلاف أنفه المحطم برفق وهو يقاوم رغبته في أن يصرخ من الألم. كان رجاله الداخوريون ينتظرون إلى جواره، لقد ذبحوا حرس الملك بسهولة، ولكنهم بطريقة أو بأخرى لم يفقدوا أثر إيڤينتيو والأميرة فحسب، بل أثر الخائن هراثن أيضًا.

قال ديلاف آمرًا وهو يعتدل واقفًا على قدميه: "اعثروا عليهم!". الشغف، الغضب، صوت زوجته الميتة يُناديه في أذنيه، يتوسل من أجل الانتقام. سوف تناله، لن ينطلق إيڤينتيو بسفنه في الوقت المناسب، كما أن خمسين داخوري يجوبون عاصمته بالفعل، إن الرهبان أنفسهم كانوا جيشًا، كل واحد منهم بقوة مئة رجل.

سيستولون على تيود رغم كل شيء.

# الفصل الثاني والستون

كانت سارين وهراثن يهرولان عبر شوارع المدينة وكل منهما يضم إلى جسده عباءته غير المميزة، وقد جذب هراثن غطاء الرأس ليُخفي شعره الأسود. كان قاطنو تيوراس قد تجمعوا في الشوارع وهم يتساءلون لِمَ جلب الملك الأسطول إلى الخليج. تجول العديد منهم في اتجاه أرصفة الميناء، فاختلطت سارين وهراثن بهؤلاء الأشخاص في انحناء وخضوع، محاولين قدر الإمكان أن يبدوا من العامة.

قال هراثن بصوت خافت: "عندما نصل سأبحث عن طريقة لصعود واحدة من السفن التجارية. ستنسحب من تيود بمجرد أن ينطلق الأسطول. هناك عدة أماكن في هروفِل لا ترى كاهنًا ديريثيًّا إلا مرة كل عدة أشهر، يمكننا أن نختبئ هناك".

همست سارين قائلة: "أنت تتحدث وكأن تيود ستسقط، يمكنك أن تذهب أيها الكاهن، ولكني لن أرحل عن وطني".

قال هراثن بحدة: "إن كنتِ تريدين سلامة وطنك فسترحلين، أنا أعرف ديلاف، إنه رجل مهووس، إن بقيتِ في تيود فسيبقى، وإن غادرتِ فعلى الأرجح سيلحق بكِ".

جزَّت سارين على أسنانها، كانت كلمات الجيورن تبدو منطقية، ولكنه ربما يختلق الأمر ليقنعها بمرافقته، فلم يكن هناك سبب بالطبع لكي يفعل هذه الأشياء، لِمَ يُبالي بسارين؟ لقد كانت عدوه اللدود.

كانا يتحركان ببطء، محاولين ألا يتفرقا عن الحشد إن تحركا بسرعة كبيرة. همست سارين: "أنت لم تُجب عن سؤالي الذي طرحته عليك من قبل أيها الكاهن؛ لماذا انقلبت على ديانتك؟".

ظل هراثن يمشي في صمت للحظة، ثم قال: "أنا... لا أعرف يا امرأة. لقد آمنت بالشو-ديريث منذ أن كنت طفلًا، لطالما استهوتني بنيتها ونظامها. لقد التحقت بالكهنوت، و... اعتقدت أنني مؤمن، ولكني اكتشفت أن الشيء الذي كنت أؤمن به لم يكن الشو-ديريث في نهاية المطاف. لا أعرف ما هو".

"الشو-كوراث؟".

هز هراثن رأسه وقال: "الأمر ليس بهذه البساطة، الإيمان ليس مجرد أن يكون المرء كوراثيًا أو ديريثيًا، ليس هذا أو ذاك فحسب، ما زلت أؤمن بالتعاليم الديريثية، مشكلتي مع الويرن وليست مع الرب".

***

أحس هراثن بالذعر من إظهار ضعفه أمام الفتاة، لذا سرعان ما أغلق قلبه في وجه المزيد من الأسئلة. أجل لقد خان الشو-ديريث، أجل إنه خائن، ولكنه لسبب ما صار يشعر بالسكينة بعد أن اتخذ هذا القرار. لقد تسبب في سفك الدماء والموت في دولادل، ولن يسمح بحدوث هذا مرة أخرى.

كان قد أقنع نفسه أن سقوط الجمهورية كان مأساة ضرورية، ولكنه الآن قد تخلى عن هذا الوعد، إن ما فعله في دولادل لم يكن أكثر أخلاقية مما يحاول ديلاف أن يفعله هنا في تيود. المفارقة الساخرة هي أن سعي هراثن لتقبل الحقيقة قد عرَّضه للإحساس بالذنب تجاه فظائعه السابقة.

ولكن شيئًا واحدًا فقط كان يمنعه من الإحساس بالذنب، معرفة أنه بغض النظر عن أي شيء آخر سيحدث له، وبغض النظر عما قد فعله، فيمكنه أن يقول إنه الآن يتبع الحقيقة بقلبه، يمكنه أن يموت ويواجه جادث بشجاعة وفخر.

مرت هذه الفكرة بخاطره قبل أن يشعر بطعنة ألم في صدره، مد يده ليتحسس موضع الألم في دهشة، ثم تأوه وهو يرفع يده لينظر إليها، كانت أصابعه ملطخة بالدماء. أحس بقدميه ضعيفتين فهوى بجسده ليتكئ إلى أحد المباني متجاهلًا صيحة سارين الفزعة. في حيرة نظر إلى الحشد فوقعت عيناه على وجه قاتله، إنه يعرف الرجل، اسمه فيون، الكاهن الذي أبعده هراثن عن كاي ليعود إلى الديار في اليوم الأول لوصوله، كان هذا قبل شهرين. كيف عثر فيون عليه؟ كيف...؟ هذا مستحيل.

ابتسم فيون ثم ذاب بين الحشد.

بينما الظلمة تُحكم خناقها تجاهل هراثن كل الأسئلة، وبدلًا من هذا امتلأ بصره ووعيه بوجه سارين القلق، المرأة التي قد دمرته. بسببها قد نبذ أخيرًا الأكاذيب التي آمن بها طيلة حياته.

لن تعرف أبدًا أنه قد أحبها في النهاية.

قال في قرارة نفسه: *وداعًا أيتها الأميرة. فليرحم جادث روحي. لم أفعل إلا ما كان بوسعي.*

***

شاهدت سارين الضوء يتلاشى من عيني هراثن.

صرخت: "لا!". ثم ضغطت بيدها على الجرح في محاولة عقيمة لأن توقف نزيف الدم. "إياك أن تتركني وحدي هنا يا هراثن!".

لم يُجبها. لقد تصارعت معه من أجل مصير بلدين، ولكنها لم تعرف قط من هو حقًّا. لن تعرف أبدًا.

تعالت صرخة مذعورة فجفلت سارين وهي تعود إلى العالم الواقعي. كان الناس مجتمعين من حولها وقد روعهم مشهد رجل يحتضر في الشارع. أدركت سارين في ذهول أنها صارت مركز

الاهتمام. رفعت يدها وهي تتراجع للوراء كأنما لتختبئ، ولكن كان هذا بعد فوات الأوان. ظهر عدد من الرجال عراة الصدور من أحد الأزقة للتحقق من سبب هذا الاضطراب. كانت هناك دماء على وجه أحدهم؛ أثر لأنف مكسور.

***

أسرع فيون مبتعدًا عن الحشد مبتهجًا من سهولة اغتياله الأول. قالوا له إن الأمر سيكون بسيطًا، يحتاج لأن يطعن رجلًا واحدًا، وبعدها سيقبلونه في دير راثبور، حيث سيتدرب ليصير مغتالًا.

قال لنفسه: *كنتَ محقًّا يا هراثن، لقد منحوني بالفعل دورًا جديدًا لكي أخدم جادث، دورًا مهمًّا.*

المفارقة هي أن الرجل الذي أمروه بقتله تبين أنه هراثن نفسه، كيف عرف الويرن أن فيون سيجد هراثن هنا، في شوارع تيوراس من بين كل الأماكن؟ على الأرجح لن يعرف فيون أبدًا، فالرب جادث يتصرف بطرق تعجز عقول البشر عن فهمها. ولكن فيون أدى واجبه، لقد انتهت فترة تكفيره عن ذنبه.

وبخطوات مرحة عاد فيون إلى الحانة التي يقيم بها وطلب وجبة الإفطار.

***

قال لوكل بصوت متألم: "لا تهتم بي، أنا على وشك الموت، فلتهتم بالآخرين".

قال رايودن: "كف عن الانتحاب". ثم رسم آيون آين في الهواء فوق جرح لوكل، وأنهاه بخط الصدع فالتأم الجرح في ساق التاجر على الفور. لم يكن رايودن يعرف هذه المرة المعدلات

الصحيحة فحسب، بل كان لدى آيوناته قوة إيلانتريس من ورائها، فمع بعث المدينة استعاد الآيوندور قوته الأسطورية.

نظر لوكل إلى ساقه ثم جرب ثنيها وهو يتحسس موضع الجرح قبل أن يعقد حاجبيه ويقول: "أتعرف؛ كان من الأفضل أن تترك ندبة، لقد مررت بالكثير من الصعاب لكي أُصاب بهذا الجرح، كان عليك أن ترى كم كنت شجاعًا. سيُصاب أحفادي بخيبة الأمل لأنني لا أمتلك أي ندوب لأُريهم إياها".

قال رايودن وهو يعتدل واقفًا ويمشي مبتعدًا: "ولكنهم على الأقل سيعيشون".

قال لوكل من ورائه: "ما خطبك؟ ظننت أننا قد انتصرنا".

قال رايودن لنفسه: *لقد انتصرنا، ولكنني فشلت*. لقد فتشوا المدينة ولم يكن هناك أدنى أثر لسارين أو ديلاف أو هراثن، كان رايودن قد أسر جنديًّا ديريثيًّا قد ضل طريقه وسأله عن مكانهم، ولكن الرجل توسل قائلًا إنه لا يعرف، فأطلق رايودن سراحه في اشمئزاز.

راح يراقب في وجوم الناس وهم يحتفلون، فرغم الموتى ورغم الدمار شبه التام لكاي كانوا سعداء. لقد طُردت فيوردن وعادت إيلانتريس، وحلت من جديد أيام الآلهة. ولكن لسوء الحظ لم يستطع رايودن أن يستمتع بحلاوة انتصاره، ليس من دون سارين.

اقترب منه جالادون ببطء، مبتعدًا عن مجموعة من الإيلانتريين، كان الشعور السائد على جزء كبير من حشد الناس ذوي البشرة الفضية هو الارتباك، فعدد كبير منهم قد كان في حالة الهويد لسنوات، ولا يعرف شيئًا عن الأحداث الجارية.

بدأ الدولادي حديثه قائلًا: "سوف يكونون...".

فجأة قاطع صوت حديثه، صوت تعرف عليه رايودن: "سيدي رايودن!".

تساءل رايودن: "آش؟". بينما يفتش عن السيون.

قال آش وهو يندفع عبر الباحة: "جلالة الملك! لقد تحدث سيون معي للتو. الأميرة! إنها في تيوراس يا سيدي، مملكتي تتعرض للهجوم أيضًا!".

سأله رايودن في ذهول: "تيوراس؟ كيف وصلتْ إلى هناك بحق دومي؟".

***

تراجعت سارين للوراء وهي تبحث في يأس عن سلاح. كان قاطنو البلدة قد لاحظوا ديلاف ومحاربيه، ورأوا الأجساد الغريبة المشوهة والأعين الخبيثة فتفرقوا في ذعر. رد فعل سارين الغريزي حثها على اللحاق بهم، ولكن هذه الحركة ستضعها في يد ديلاف مباشرة. تفرق محاربو الراهب الضئيل على الفور ليقطعوا سبل الهرب في وجه سارين.

اقترب منها ديلاف، وجهه ملطخ بالدماء الجافة، وجذعه العاري يتصبب عرقًا في هواء تيود البارد، والأنماط المعقدة منتفخة تحت جلده على ذراعيه وصدره، وشفتاه منثنيتان في ابتسامة قاسية. في هذه اللحظة أدركت سارين أن هذا الرجل هو أكثر شيء مرعب قد تراه في حياتها على الإطلاق.

***

صعد رايودن إلى أعلى سور إيلانتريس قاطعًا درجتين في المرة الواحدة، وعضلاته الإيلانترية التي قد تعافت صارت تتحرك بسرعة أكبر وبلا كلل، أكثر حتى مما كانت عليه قبل الشايود.

ناداه جالادون في قلق وهو يسرع صاعدًا وراءه: "سول!".

لم يُجبه رايودن. صعد أعلى السور وشق طريقه عبر حشود الناس الواقفين لينظروا إلى بقايا كاي. تفرقوا عندما أدركوا من يكون، بينما جثا بعضهم على ركبتيه وهو يتمتم: "جلالة

الملك". كانت أصواتهم مبهورة فقد رأوا فيه عودة حياتهم السابقة. حياة مفعمة بالأمل والرفاهية، ومليئة بالطعام الوفير وأوقات الفراغ. حياة كادوا أن ينسوها بعد عقد من الطغيان.

لم يولِهم رايودن اهتمامًا وهو يواصل السير حتى وقف على قمة السور الشمالي الذي يطل على بحر فيوردن الأزرق الواسع. على الجانب الآخر من هذه المياه توجد تيود، وسارين.

قال رايودن آمرًا: "أيها السيون، فلترني الاتجاه الدقيق لعاصمة تيود من هذه النقطة".

راح آش يحوم للحظة، ثم توقف أمام رايودن مشيرًا إلى نقطة في الأفق وهو يقول: "إن أردت أن تُبحر إلى تيوراس يا سيدي فسيكون عليك أن تُبحر عبر هذا الاتجاه".

أومأ رايودن برأسه واثقًا في إحساس السيون الفطري بالاتجاهات. ثم بدأ يرسم آيون تيا بيدين محمومتين، وأصابعه تخط الأنماط التي حفظها عن ظهر قلب دون أن يفكر قط أنه سيحتاجها ذات يوم. الآن بينما إيلانتريس تغذي قوة الآيونات فلم تعد الخطوط تظهر ببساطة عندما يرسمها، بل كانت تتفجر. تدفق الضوء من الآيون كأن أصابعه تمزق فجوات عبر سد عظيم، دون أن تسمح إلا لقليل من الماء بأن يمر من خلالها.

أخيرًا لحق به جالادون فقال: "سول! ما الذي يحدث يا سول؟".

ثم تعرف على الآيون فسبَّ وهو يقول: "بحق الدولوكين يا رايودن، أنت لا تعرف ما الذي تفعله!".

قال رايودن دون أن يتوقف عن الرسم: "سأذهب إلى تيوراس".

قال جالادون محتجًّا: "ولكن لقد أخبرتني بنفسك يا سول عن مدى خطورة آيون تيا. ما الذي قلته؟ إن لم تعرف بالضبط المسافة التي تحتاج لقطعها فيمكنك أن تقتل نفسك، لا يمكنك أن تخوض هذا الأمر بشكل أعمى، كولو؟".

"ولكنه السبيل الوحيد يا جالادون، يجب عليَّ أن أحاول على الأقل".

هزَّ جالادون رأسه وهو يضع يده على كتف رايودن، بينما يقول: "إن محاولة عديمة الجدوى لن تُثبت أي شيء سوى غبائك يا سول. هل تعرف حتى كم تبعد تيود؟".

أنزل رايودن يده إلى جانبه ببطء، إنه ليس عالمًا جغرافيًّا، يعرف أن تيود على مسافة أربعة أيام من الإبحار، ولكنه لا يعرف عمليًا كم يساوي هذا من الأميال أو الأقدام. يجب عليه أن يصنع إطارًا مرجعيًّا من أجل آيون تيا، أن يمنحه قياسًا ما لكي يعرف إلى أي مدى يجب أن يُرسله.

أومأ جالادون برأسه وهو يربت على كتف رايودن، ثم قال آمرًا: "جهزوا سفينة!". مُخاطبًا مجموعة من الجنود؛ آخر بقايا حرس مدينة إيلانتريس.

قال رايودن لنفسه في حزن: *سيكون هذا بعد فوات الأوان! ما فائدة القوة. ما فائدة إيلانتريس. إن كنت لا أقدر على استخدامها لحماية من أحبها؟*

قال صوت من وراء رايودن: "مليون وأربعة وخمسون ألفًا واثنان وأربعون".

التفت رايودن في دهشة، كان آداين واقفًا على مسافة قصيرة، وبشرته تتألق بوهج إيلانتريس الفضي، دون أن تفصح عيناه عن أي من الخلل العقلي الذي كان يُثقله بعبئه منذ مولده، وبدلًا من هذا كان يحدق إلى الأمام بذهن صافٍ.

قال رايودن: "آداين، أنت...".

الآن بعد أن شُفي الشاب بدا شبيهًا بلوكل بشكل غريب، خطا للأمام وقال: "أنا... أشعر كأنما حياتي كلها كانت حُلمًا يا رايودن. أتذكر كل شيء قد حدث، ولكني لم أستطِع أن أتفاعل، لم أستطع أن أقول شيئًا. هذا قد تغير، ولكن شيئًا واحدًا بقي كما هو، عقلي...

لطالما كنت قادرًا على حساب عدد..."
همس رايودن: "خطوات الأقدام".

كرر آداين: "مليون وأربعة وخمسون ألفًا واثنان وأربعون، هذا هو عدد الخطوات حتى تيوراس، فلتحسب اتساع خطوتي ثم استخدم نصف هذا كوحدة حسابية لك".

صاح آش في خوف: "فلتسرع يا مولاي، إنها في خطر، ماي يراقب الأميرة الآن ويقول إنها قد استسلمت. أوه، بحق دومي! فلتسرع!".

قال رايودن في حدة وهو يجثو على ركبتيه ليحسب خطوة آداين بقطعة من القماش: "أين أيها السيون؟".

قال آش: "بالقرب من الميناء يا سيدي، إنها تقف في الطريق الرئيسي المؤدي إلى الميناء".

قال رايودن وهو يرسم خطًّا في الآيون بطول نصف خطوة الفتى: "آداين!".

قال آداين: "مليون وأربعة وخمسون ألفًا وأربعمئة وواحد، هذا سيأخذك إلى الميناء". ثم رفع بصره وهو يعقد حاجبيه قائلًا: "أنا... لست متيقنًا كيف أعرف هذا، لقد ذهبت إلى هناك ذات يوم وأنا طفل، ولكن...".

قال رايودن لنفسه: يجب *أن يكون هذا كافيًا*. ثم رفع يده ورسم مُعدِّلًا بجانب آيونه يُخبره أن ينقله مسافة مليون وأربعة وخمسون ألفًا وأربعمئة وواحد مقدار طول الخط.

قال جالادون: "هذا جنون يا سول!".

نظر رايودن إلى صديقه ثم أومأ برأسه في موافقة قبل أن يلوح بيده بقوة ليرسم خط الصدع على الآيون.

**قال رايودن عندما بدأ آيون تيا يرتجف وينفث النور أمامه: "ستكون مسؤولًا عن أريلون حتى أعود يا صديقي". ثم مد يده وأمسك بمركز الآيون المرتجف، فتشبثت به أصابعه كأنه شيء صلب.**

**تلا صلاته قائلًا: *آيدوس دومي، إن كنت قد سمعت صلواتي من قبل فلتهدني السبيل الآن.* وبينما يأمل أن تكون الزاوية التي حددها آش صحيحة أحس بقوة الآيون تندفع وتغلف جسده، وفي اللحظة التالية اختفى العالم.**

***

**ألصقت سارين ظهرها بالجدار القرميدي الصلب، كان ديلاف يقترب منها بعينين جذلتين، متقدمًا ببطء بينما رهبانه يضيقون الخناق حول سارين.**

**لقد انتهى الأمر، لم يعد هناك مكان لتهرب إليه.**

**فجأة ارتطم رذاذ من الضوء بأحد الرهبان، فتطاير المخلوق في الهواء. راقبت سارين في ذهول جسد الراهب وهو يتقوص أمام عينيها قبل أن يسقط أرضًا بارتطام قوي. تجمد الرهبان الآخرون في صدمة.**

**اندفع شخص بين الرهبان المذهولين مسرعًا ناحية سارين. كانت بشرته فضية وشعره ناصع البياض ووجهه...**

**"رايودن؟".**

**زمجر ديلاف، ثم صرخت سارين عندما اندفع الكاهن ناحية رايودن بسرعة خارقة للطبيعة. ولكن بطريقة ما استجاب رايودن بنفس السرعة، فدار وتراجع للوراء متفاديًا هجوم ديلاف، ثم اندفعت يد الملك لترسم آيونًا في الهواء بسرعة خاطفة.**

اندفعت من الآيون دفقة من الضوء، فانحرف الهواء وتشوه من حولها. أصابت الصاعقة ديلاف في صدره فانفجرت لتقذف بالراهب إلى الوراء. ارتطم ديلاف بجانب المبنى قبل أن ينهار أرضًا ثم تأوه الكاهن وهو يقف بمشقة على قدميه.

سب رايودن ثم اندفع قاطعًا المسافة القصيرة التي تفصله عن سارين قبل أن يُمسك بها وهو يقول آمرًا: "فلتتشبثي بي". وبيده الأخرى رسم آيونًا آخر في الهواء. كانت الأنماط التي يصنعها رايودن حول آيون تيا معقدة، ولكن يده كانت تتحرك ببراعة، فانتهى من الرسم بمجرد وصول رجال ديلاف إليهما.

انتفض جسد سارين تمامًا كما حدث عندما جلبهم ديلاف إلى تيوراس. غلفها الضوء وهو يرتجف وينبض، وبعد لحظة قصيرة عاد العالم. تعثرت سارين في ارتباك ثم سقطت بجسدها على أحجار الرصف التيودية المألوفة.

رفعت بصرها في دهشة، فعلى مسافة ما يقرب من خمسين قدمًا عبر الشارع كان بإمكانها أن ترى رهبان ديلاف عراة الصدور يقفون في دائرة مرتبكة. ثم رفع أحدهم يده ليشير ناحية رايودن وسارين.

سب رايودن وهو يقول: "آيدوس دومي! لقد نسيت ما قالته الكتب! تزداد الآيونات ضعفًا كلما ابتعد المرء عن إيلانتريس".

سألته سارين وهي تقف على قدميها: "ألا يُمكنك أن تعيدنا إلى الديار؟".

قال رايودن: "لا يمكنني هذا باستخدام الآيونات". ثم أمسك بيدها وبدأ يركض.

كان عقلها مليئًا بالأسئلة حتى إن العالم بأسره بدا خليطًا مشوشًا؛ ما الذي حدث لرايودن؟ كيف تعافى من الجرح الذي أصابه به ديلاف؟ نَحَّت الأسئلة جانبًا، يكفيها أنه قد عاد.

***

بشكل محموم راح رايودن يفتش عن سبيل للهرب، ربما يمكنه وحده أن يتفوق عدوًا على رجال ديلاف، ولكن ليس وهو مضطر لجر سارين وراءه. انتهى الشارع عند الميناء، حيث كانت سفن تيود الحربية الضخمة تتحرك بثقل من الخليج لتشتبك مع الأسطول الذي يحمل راية فيوردن. كان هناك رجل يرتدي الروب الملكي الأخضر، يقف على الجانب البعيد من الميناء ويتحدث إلى اثنين من تابعيه؛ الملك إيڤينتيو، والد سارين. لم يرهما الملك، وبدلًا من هذا استدار ليمشي في عجالة عبر زقاق جانبي.

صرخت سارين: "أبي!". ولكن المسافة كانت كبيرة للغاية.

كان رايودن قادرًا على أن يسمع صوت خطوات الأقدام تقترب منهما، فدار على عقبيه وهو يدفع سارين إلى ورائه بينما يرفع ذراعيه ليرسم آيون دا بكل يد من يديه. كان الآيونان أضعف في تيود، ولكنهما لا يزالان فعالين.

رفع ديلاف يده ليوقف رجاله، فتجمد رايودن غير مستعد لأن يشتبك في معركة نهائية ما لم يكن مضطرًا لهذا. ما الذي ينتظره ديلاف؟

تدفق الرهبان عراة الصدور من الأزقة والشوارع. ابتسم ديلاف وهو ينتظر تجمع محاربيه. في غضون بضع دقائق نمت مجموعته من اثني عشر إلى خمسين، وانخفضت احتمالات رايودن من سيئة إلى ميؤوس منها.

تمتمت سارين بينما تخطو إلى الأمام لتقف إلى جانب رايودن: "أنت لم تكن فرقة إنقاذ كافية". كانت تحدق إلى مجموعة المسوخ بهالة من التحدي والازدراء.

رسمت جرأتها المفاجئة الابتسامة على شفتي رايودن ثم قال: "في المرة التالية سأتذكر أن أجلب جيشًا معي".

***

اندفع رهبان ديلاف فأكمل رايودن آيونيه المتطابقين مرسلًا دفقتين قويتين من الطاقة، ثم بدأ الرسم من جديد على الفور.

ومع ذلك بينما سارين تُمسك بخصره بيدين متوترتين أدركت أن رايودن لن ينتهي قبل أن يصل المحاربون بسرعتهم الخارقة.

ارتجف الميناء بقوة عاصفة فتشقق الخشب وانشطرت الأحجار، بينما تجتاح سارين رياح عاتية، فتشبثت برايودن الذي كان جسده أكثر استقرارًا بطريقة ما، لتحمي نفسها من الوقوع أرضًا. وعندما فتحت عينيها أخيرًا وجدت نفسها محاطة بمئات الأشخاص ذوي البشرة الفضية.

صاح جالادون آمرًا بصوته الجهوري: "آيون دا!".

ارتفعت مئتا يد في الهواء لترسم الآيونات، قرابة نصفهم ارتكبوا خطأً فتلاشت آيوناتهم، ولكن عددًا كافيًا منهم أنهى الرسم فاندفعت موجة من الدمار ناحية رجال ديلاف. كانت قوية للغاية حتى إنها مزَّقت تمامًا الرهبان القلائل الذين كانوا في المقدمة.

انهارت الجثث أرضًا بينما أُلقي بالبقية إلى الوراء. تعثر الرهبان المتبقون وهم يتوقفون فجأة ويحدقون إلى الإيلانتريين.

أعاد الداخوريون جمع صفوفهم ثم تحولوا عن رايودن وسارين ليهاجموا هذا العدو الجديد.

***

كان ديلاف هو الوحيد من بين رجاله الذي فكر أن يخفض رأسه، أما البقية الذين يثقون بغطرسة في قوتهم فقد سمحوا للضربات القوية أن تصيبهم.

*حمقى!* قالها ديلاف في قرارة نفسه وهو يتدحرج مبتعدًا. كل داخوري مبارك بمهارات وقدرات استثنائية، جميعهم لديهم قوة معززة وعظام تكاد أن تكون غير قابلة للتدمير، ولكن ديلاف وحده يحمل القوة التي تجعله يقاوم هجمات الدور، القدرة التي تطلب صنعها موت خمسين رجلًا. أحس. بدلًا من أن يرى. بتمزق رجاله إثر هجوم الإيلانتريين.

كان الرهبان المتبقون أقل عددًا من الإيلانتريين بشكل مرعب. لقد هاجموا بشجاعة محاولين أن يقتلوا أكبر قدر ممكن من الإيلانتريين الخبثاء. لقد تدربوا على نحو جيد، وسيموتون وهم يقاتلون، وكان ديلاف يتوق للانضمام إليهم.

ولكنه لم يفعل هذا. البعض يظنه مجنونًا ولكنه ليس أحمق، إن الصرخات في رأسه تطلب الانتقام، ولا يزال هناك طريقة متبقية، طريقة للانتقام من الأميرة التيودية وإيلانترييها، طريقة لتنفيذ أوامر الويرن، طريقة لتغيير مجرى هذه المعركة.

أسرع ديلاف مبتعدًا ثم تعثر عندما ارتطمت دفقة من الطاقة بظهره. تماسكت تحصيناته العظمية فلم يُصب بأذى من الهجوم.

عندما دلف إلى الميناء قبل بضع لحظات كان قد رأى الملك إيڤينتيو يختفي في زقاق جانبي، فاندفع ناحية الزقاق نفسه.

سيتعقب فريسته.

***

قالت سارين وهي تشير ناحية ديلاف الهارب: "رايودن!".

قال رايودن: "دعيه يذهب، لم يعد قادرًا على أن يؤذينا".

قالت سارين وهي تجذبه ناحية الزقاق: "ولكن هذا هو الطريق الذي ذهب منه والدي".

سب رايودن وقال في قرارة نفسه: *إنها محققة.* ثم اندفع وراء ديلاف. لوحت له سارين ولكنه تركها وراءه ليسمح لساقيه الإيلانتريتين المعززتين أن يحملاه نحو الزقاق بسرعة خارقة. لم يره الإيلانتريون الآخرون وهو يرحل، فواصلوا قتال الرهبان.

دلف رايودن إلى الزقاق وبالكاد قد أحس بأي تعب، وفي اللحظة التالية عرقله ديلاف. ظهر جسد الراهب القوي من ناصية تكتنفها الظلال ليرطم رايودن في جدار الزقاق.

صرخ رايودن وهو يشعر بضلوعه تتشقق. تراجع ديلاف إلى الوراء وهو يستل سيفه مبتسمًا، ثم اندفع الكاهن للأمام وبالكاد تدحرج رايودن في الوقت المناسب ليتفادى طعنة السيف. ولكن هجمة ديلاف مزَّقت اللحم في ساعد رايودن الأيسر، لتريق الدماء الإيلانترية ذات اللون الأبيض الفضي.

شهق رايودن عندما اجتاح الألم ذراعه، ولكن هذا الألم كان ضعيفًا ويسيرًا مقارنة بآلامه السابقة. نسي الألم على الفور وهو يتدحرج مرة أخرى بينما نصل ديلاف يحاول أن يخترق قلبه. إن توقف قلب رايودن مرة أخرى فسيموت. إن الإيلانتريين أقوياء ويتعافون بسرعة، ولكنهم ليسوا خالدين.

بينما رايودن يتفادى الضربة راح يفتش فيما يتذكره من الآيونات. كان يفكر بسرعة بينما يعتدل واقفًا على قدميه، وبسرعة رسم أمامه آيون إيدو. كان حرفًا بسيطًا لا يتطلب سوى ست ضربات، فأنهاه قبل أن يهجم ديلاف للمرة الثالثة. ومض الآيون ثم ظهر جدار رقيق من الضوء بينه وبين ديلاف.

في تردد اختبر ديلاف الجدار بطرف سيفه، فقاومه الجدار. كلما ضغط المرء أكثر على الجدار استمد قوة أكبر من الدور، ليقاوم بقوة مساوية. لا يمكن لديلاف أن يصل إليه.

ببساطة مد ديلاف ذراعه ونقر على الجدار بيده العارية، ومضت راحة يده للحظة ثم تحطم الجدار وتناثرت شظايا الضوء في الهواء.

لعن رايودن غباءه، كان هذا هو الرجل الذي أفسد وهمه قبل يوم واحد فحسب. بطريقة ما يمتلك ديلاف القدرة على إبطال الآيونات. قفز رايودن للوراء ولكن السيف انقض للأمام بسرعة أكبر. لم يصُب طرفه صدر رايودن، ولكن بدلًا من هذا أصاب يده.

صرخ رايودن عندما اخترق السيف راحة يده اليمنى، ورفع يده الأخرى لتحيط بيده الجريحة، ولكن الجرح في ساعده أحرقه من جديد بقوة متضاعفة. صارت كلتا يديه عاجزتين، لم يعد قادرًا على رسم الآيونات. كان هجوم ديلاف التالي هو ركلة عابرة فتحطمت ضلوع رايودن المتشققة بالفعل. صرخ وهو يهوي جاثيًا على ركبتيه.

ضحك ديلاف وهو يضع طرف سيفه على جانب وجه رايودن، ثم قال: "كان السكاز محقًّا؛ يمكن تدمير الإيلانتريين".

لم يُجبه رايودن.

قال ديلاف بصوت متحمس مسعور: "سأنتصر رغم كل شيء أيها الإيلانتري، بعد أن تهزم أساطيل الويرن الأسطول التيودي سأجمع قواتي وأزحف نحو إيلانتريس".

جاء صوت أنثوي معترض من ورائه يقول: "لا يمكن لأحد أن يهزم الأسطول التيودي أيها الكاهن". ثم لمع نصل وهو يهوي على رأس ديلاف.

صرخ الكاهن، وبالكاد تمكن من رفع سيفه في الوقت المناسب ليصد هجوم سارين، لقد عثرت على سيف في مكان ما وراحت تضرب في نمط من حركة سريعة للغاية، حتى إن رايودن وجد صعوبة كبيرة في تعقبه. ابتسم لمرأى دهشة ديلاف، متذكرًا مدى السهولة التي تغلبت بها الأميرة

على مهارته. كان سلاحها أكثر سمكًا من السابر، ولكنها مع ذلك كانت تستخدمه ببراعة ملحوظة.

ولكن ديلاف لم يكن رجلًا عاديًّا، بدأت أنماط العظام تحت جلده تتوهج وهو يصد هجوم سارين، ثم بدأ يتحرك بسرعة أكبر. سرعان ما توقفت سارين عن التقدم وأُجبرت على الفور على التراجع. انتهت المعركة عندما اخترق سيف ديلاف كتفها، فسقط سيف سارين مقعقعًا على أحجار الرصف، ثم تعثرت وهوت بجسدها إلى جانب رايودن.

همست: "أنا آسفة".

هز رايودن رأسه، لا يمكن لأحد أن يتوقع منها الانتصار في معركة بالسيف ضد شخص مثل ديلاف.

همس ديلاف بتبجيل: "ها قد بدأ انتقامي". ثم رفع سيفه وقال: "يمكنك أن تتوقفي عن الصراخ يا حبيبتي".

ضم رايودن سارين إليه بيد نازفة محاولًا أن يحميها، ثم تجمد، كان هناك شيء يتحرك وراء ديلاف، هيئة في ظلال الزقاق.

عقد حاجبيه فالتفت ديلاف ليتتبع نظرة رايودن، خرج شخص من الظلام وهو يمشي متعثرًا ويُمسك جانبه في ألم. رجل طويل عريض الصدر بشعر أسود وعينين حازمتين. رغم أن الرجل لم يعد يرتدِ دروعه إلا أن رايودن تعرف عليه؛ الجيورن هراثن.

الغريب أن ديلاف لم يبدُ سعيدًا لرؤية رفيقه، دار الراهب الداخوري على عقبيه رافعًا سيفه وعيناه تلمعان بالغضب، ثم قفز وهو يصرخ بشيء ما بالفيوردية، بينما يهوي بسيفه ناحية الجيورن الضعيف بوضوح.

توقف هراثن ثم أخرج ذراعه فجأة من تحت عباءته فارتطم سيف ديلاف بلحم ساعد هراثن.

فتوقف السيف في موضعه.

شهقت سارين إلى جانب رايودن ثم قالت: "إنه واحد منهم".

كان هذا حقيقيًّا، انزلق سيف ديلاف على طول ذراع هراثن ليمزق الكم ويكشف عن الجلد من تحته. لم تكن ذراع رجل طبيعي، بل كانت تُظهر أنماطًا ملتوية تحت الجلد؛ نتوءات العظام التي تميز الرهبان الداخوريين.

من الواضح أن ديلاف أيضًا كان متفاجئًا بهذا الاكتشاف، وقف الراهب مذهولًا بينما هراثن يمد يده ويحيط بعنق ديلاف.

بدأ ديلاف يسب ويتلوى في قبضة هراثن. ولكن الجيورن نصب قامته وشدد قبضته. تحت عباءته كان هراثن عاري الصدر، فاستطاع رايودن أن يرى أن جلد صدره لا يحمل أي علامات داخورية، رغم أنه كان مبللًا بالدماء من جرح في جانبه. وحدها عظام ذراعه لها هذه الأنماط الملتوية الغريبة. لمَ هذا التحول الجزئي؟

وقف هراثن شامخًا متجاهلًا ديلاف، رغم أن الراهب بدأ يضرب ذراع هراثن المعززة بسيفه القصير. ارتدت الضربات عنها فضرب ديلاف جانب هراثن. غاص السيف عميقًا في لحم هراثن، ولكن الجيورن لم يتأوه حتى، وبدلًا من هذا شدد قبضته على عنق ديلاف فشهق الراهب الضئيل وهو يسقط سيفه في ألم.

بدأت ذراع هراثن تتوهج.

بدأت الخطوط الملتوية الغريبة تحت جلد هراثن تتألق بوهج مخيف، بينما الجيورن يرفع ديلاف عن الأرض. تلوى ديلاف وتشنج بينما أنفاسه تتحول إلى لهاث، راح يقاوم من أجل الهرب، محاولًا أن ينتزع أصابع هراثن، ولكن قبضة الجيورن كانت صارمة.

رفع هراثن ديلاف عاليًا، كأنما ليصل به إلى السماوات. كان يحدق لأعلى ناحية السماء، وعيناه زائغتان بشكل غريب، كأنما يقدم ديلاف كقربان مقدس من نوع ما. ظل الجيورن واقفًا هناك لوقت طويل، ساكن الجسد، وذراعه تتوهج، بينما ديلاف يصير مسعورًا أكثر وأكثر.

ثم تعالى صوت تكسر، فتوقف ديلاف عن المقاومة. خفض هراثن الجثة بحركة بطيئة ثم ألقاها جانبًا بينما الوهج يتلاشى من ذراعه. نظر ناحية رايودن وسارين وهو يقف ساكنًا للحظة، ثم هوى جسده إلى الأمام خاليًا من الحياة.

***

عندما وصل جالادون بعد بضع دقائق كان رايودن يحاول عبثًا أن يُشفي جروح سارين بيديه المصابتين. تأمل الدولادي الضخم المشهد ثم أومأ برأسه إلى اثنين من الإيلانتريين ليتفحصا جثتي ديلاف وهراثن. وبعدها جلس جالادون وترك رايودن يخبره كيف يرسم آيون آين. بعد بضع لحظات كانت يدي رايودن وضلوعه قد شُفيت، فبدأ يُساعد سارين.

كانت جالسة في صمت، فرغم جروحها كانت قد تفحصت هراثن بالفعل؛ لقد مات. في الواقع إن أيًّا من الجرحين في جانبيه كان كافيًا لقتله قبل أن يتمكن من كسر عنق ديلاف بوقت طويل. إن شيئًا بشأن علاماته الداخورية قد أبقاه على قيد الحياة. هز رايودن رأسه وهو يرسم آيون الشفاء من أجل كتف سارين. لم يتلقَّ حتى الآن تفسيرًا لسبب إنقاذ الجيورن لهما، ولكنه بارك في صمت تدخل الرجل.

سألت سارين في قلق بينما رايودن يرسم الآيون: "الأسطول؟".

**هز جالادون كتفيه وقال: "يبدو لي أنه يبلي حسنًا. إن أباكِ يبحث عنكِ، لقد جاء إلى الميناء بعد وصولنا بقليل".**

**رسم رايودن خط الصدع فاختفى الجرح في ذراع سارين.**

**قال جالادون: "عليَّ أن أعترف يا سول أنك محظوظ بحق الدولوكين. إن قفزك إلى هنا بشكل أعمى كان أغبى شيء رأيت رجلًا يفعله على الإطلاق".**

**هز رايودن كتفيه ثم ضم سارين إليه وقال: "كان الأمر يستحق. كما أنك قد لحقت بي، أليس كذلك؟".**

**قال جالادون ساخرًا: "طلبنا من آش أن يتصل أولًا ليتيقن من أنك قد وصلت بأمان. نحن لسنا كايانا مثل ملكنا".**

**قالت سارين بحزم: "حسنًا، فليفسر لي أحدكما على الفور ما الذي يجري".**

# الفصل الثالث والستون

هندمت سارين سترة رايودن، ثم تراجعت للوراء وهي تنقر على وجنتها بينما تتفحصه. كانت تفضل البدلة البيضاء عن البدلة الذهبية، ولكن لسبب ما بدا الأبيض شاحبًا وخاليًا من الحياة عندما يوضع إلى جانب بشرته الفضية.

سألها رايودن وهو يرفع ذراعيه على كلا جانبيه: "ما رأيك؟".

قالت بابتهاج: "لا بأس بك".

ضحك وهو يقترب منها ويقبلها ثم قال: "ألا يجب أن تكوني وحيدة في الكنيسة تصلين وتستعدين؟ ما الذي حدث للتقاليد؟".

قالت سارين وهي تدير وجهها لتحرص على ألا يفسد مساحيق تجميلها: "لقد جربتها ذات يوم، وهذه المرة أنوي أن أُبقي عيني عليك، لسبب ما يميل أزواجي المحتملون إلى الاختفاء".

قال رايودن ليُداعبها: "قد يكون هذا شيئًا له علاقة بكِ يا عصا الرما". لقد ضحك طويلًا عندما فسر له أبوها هذا اللقب، ومنذ ذلك الحين صار حريصًا على استخدامه في كل مناسبة ممكنة.



ضربته بلطف قبل أن تُقوِّم حجابها.

قال صوت رخيم: "سيدي، سيدتي". كان آين . سيون رايودن . يُحلق إلى الداخل عبر الباب وهو يقول: "لقد حان الوقت".

أمسكت سارين بذراع رايودن في حزم ثم أومأت ناحية الباب وهي تقول آمرة: "فلتمشِ". هذه المرة لن تتركه يذهب حتى يزوجهما شخص ما.

***

حاول رايودن أن يعير المراسم انتباهًا ولكن شعائر الزفاف الكوراثية كانت طويلة، وعادة ما تكون جافة. كان الأب أومين يُدرك جيدًا أن طلب إيلانتري من كاهن كوراثي أن يترأس حفل زفافه هو سابقة ليس لها مثيل، لذا حرص على أن يعد خطبة مطولة من أجل المناسبة. كالعادة بدت عينا الرجل القصير شاردتين وهو يثرثر بلا انقطاع، كأنما قد نسي أن هناك أي شخص آخر موجود.

لذا ترك رايودن عقله يشرد بدوره. لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير في المحادثة التي أجراها مع جالادون في وقت باكر هذا اليوم؛ محادثة بدأتها قطعة من العظم. كانت العظام التي استخرجوها من جثة الراهب الفيوردي الميت مشوهة وملتوية، ومع ذلك كانت جميلة أكثر من كونها مقززة. بدت كأنها قطعة منحوتة من العاج، أو حزمة من الأعواد الخشبية المنقوشة الملتوية حول نفسها. أكثر شيء مثير للاضطراب هو أن رايودن أقسم أن باستطاعته أن يميز رموزًا مألوفة في النقوش، رموزًا قد تعرف عليها من تعليمه الدراسي؛ حروفًا فيوردية قديمة.

لقد ابتكر الرهبان الفيورديون نسختهم الخاصة من الآيوندور.

هذا القلق ألح على عقله بحيوية شديدة، حتى إنه استولى على انتباهه أثناء حفل زفافه. طيلة هذه القرون كان هناك شيء واحد يمنع فيوردن من غزو الغرب؛ إيلانتريس. إن كان الويرن قد تعلم كيف يصل إلى الدور... ألح على عقل رايودن ذكرى ديلاف وقدرته الغريبة على مقاومة الآيونات، بل وتدميرها. إن كان هناك عدد آخر من الرهبان يمتلكون هذه القوة لكان من السهل أن تنتهي المعركة نهاية مختلفة.

كانت كرة ضوء آين الأشبه بالفقاعة تطفو في استحسان إلى جانب رايودن. كانت استعادة السيون تعويضًا عن الأصدقاء الأعزاء الذين فقدهم رايودن أثناء المعركة الأخيرة لاسترجاع إيلانتريس. سيفتقد كاراتا والآخرين. يزعم آين أنه لا يتذكر أي شيء من وقت جنونه، ولكن هناك شيئًا قد بدا... مختلفًا بعض الشيء حيال السيون، لقد صار أكثر هدوءًا عن المعتاد وأكثر رصانة. خطط رايودن لأن يستجوب الإيلانتريين الآخرين بمجرد أن يجد متسعًا من الوقت، على أمل أن يكتشف المزيد بشأن السيونات. كان يزعجه أنه طيلة دراسته وقراءته وتعلمه لم يكتشف قط كيفية صنع السيونات، هذا إن كانت بالفعل من صنائع الآيوندور.

ولكن لم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذي يشغله، كان هناك أيضًا السؤال عن رقصة التشايشان الغريبة لشودن. ادعى المتفرجون ـ بما فيهم لوكل ـ أن الجيندوي قد تمكن من هزيمة أحد رهبان ديلاف بمفرده... وعيناه مغمضتان. بل يقول البعض إنهم رأوا البارون الشاب يتوهج وهو يقاتل. بدأ رايودن يشك في أن هناك أكثر من طريقة واحدة للوصول إلى الدور... أكثر بكثير. وواحد من هذه الأساليب في يدي أكثر الطغاة وحشية واستبدادًا في أوبيلون؛ الويرن وولفدين الرابع الوصي على كل الخلق.

من الواضح أن سارين قد لاحظت شرود رايودن، لأنها وكزته بمرفقها عندما بدأت خطبة أومين تقترب من نهايتها. لطالما كانت امرأة سياسية، لذا كانت تقف منضبطة ومنتبهة. ناهيك بكونها جميلة.

أديا المراسم وتبادلا القلادتين الكوراثيتين اللتين تحملان آيون أومي وأقسما أحدهما إلى الآخر بحياتهما وموتهما. القلادة التي منحها لسارين قد نُحتت ببراعة من اليشم النقي على يد تان نفسه، وغُطيت بشرائط من الذهب لتتناسب مع شعرها. كانت هدية سارين أقل زخرفة، ولكنها مناسبة بنفس القدر. بطريقة ما كانت قد عثرت على حجر أسود مصقول كما لو أنه معدن، وظلمته العاكسة تُكمل بشرة رايودن الفضية.

وبهذا أعلن أومين أمام كل أريلون أن الملك قد تزوج. تعالى الهتاف فانحنت سارين لتقبله.

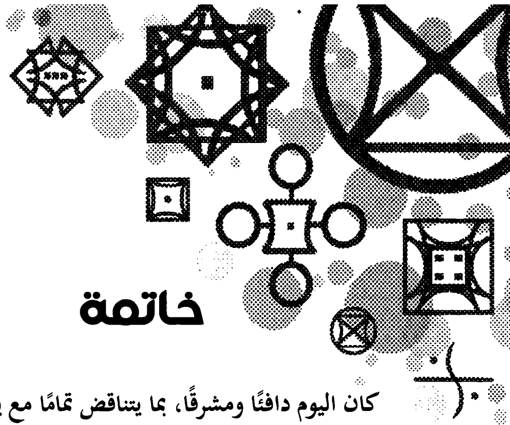
سألها رايودن: "هل كان كل شيء كما كنتِ تأملين؟ قلتِ إنكِ أمضيتِ حياتكِ تتطلعين إلى هذه اللحظة".

أجابته سارين: "كان كل شيء رائعًا، ولكن هناك شيئًا واحدًا أتطلع إليه أكثر حتى من حفل الزفاف".

رفع رايودن حاجبًا.

ابتسمت في مكر وقالت: "ليلة الزفاف".

ضحك رايودن وهو يتساءل ما الذي قد ورط نفسه وبلده فيه بجلب سارين إلى أريلون.



# خاتمة

كان اليوم دافئًا ومشرقًا، بما يتناقض تمامًا مع يوم دفن آيادون. وقفت سارين خارج كاي وهي تتأمل قبر الملك السابق، كل شيء قاتل آيادون من أجله قد انهار. عادت إيلانتريس للحياة، وصار الرق محرمًا. بالطبع يجلس ابنه على عرش أريلون، حتى لو أن هذا العرش قد صار داخل إيلانتريس.

لم يمر سوى أسبوع منذ حفل الزفاف، ولكن الكثير قد حدث. لقد انتهى المطاف برايودن بأن سمح للنبلاء بالاحتفاظ بألقابهم، رغم أنه قد حاول إلغاء النظام كله، لن يقبل الناس الأمر، لقد بدا من غير الطبيعي أن يكون هناك كونتات وبارونات أو سادة آخرون. لذا حرَّف رايودن النظام ليخدم أهدافه الخاصة، حيث جعل كل سيد خادمًا لصالح إيلانتريس، وكلفهم بمسؤولية رعاية الناس في المناطق النائية من البلد. لقد صار النبلاء موزعين للطعام أكثر من كونهم أرستقراطيين، وهو ما كان من المفترض أن يكون عليه الأمر في المقام الأول.

راقبته سارين وهو يتحدث مع شودن ولوكل بينما بشرته تتوهج حتى في ضوء الشمس. إن الكهنة الذين قالوا إن سقوط إيلانتريس قد كشف عن حقيقة قاطنيها لم يعرفوا رايودن، هذه هي شخصيته الحقيقية، منارة متوهجة، ومصدر قوي للفخر والأمل. وبغض النظر عن مدى لمعان بشرته المعدنية فلا يُمكنه أن يُضاهي توهج روحه.

إلى جانب رايودن يقف جالادون صامتًا، وبشرته تتوهج أيضًا ولكن بطريقة مختلفة؛ كانت داكنة أكثر كحديد مصقول، واحدة من بقايا إرثه الدولادي. كان رأس الرجل لا يزال أصلع، وقد تفاجأت سارين لهذه الحقيقة، فكل الإيلانتريين الآخرين قد غطى رؤوسهم شعر أبيض. عندما سألت عن هذا الأمر الغريب اكتفى جالادون بأن هز كتفيه بطريقته المعتادة وهو يتمتم:

"يبدو الأمر معقولًا بالنسبة لي، فقد كنت أصلع منذ أن بلغت العقد الثالث من عمري، كولو؟".

وراء رايودن ولوكل تمكنت من أن تميز هيئة آداين ذات البشرة الفضية، الابن الثاني لدايورا. بحسب لوكل أصاب الشايود آداين قبل خمس سنوات، ولكن العائلة قد قررت إخفاء تحوله باستخدام مساحيق التجميل بدلًا من إلقائه في إيلانتريس.

لم تكن هوية آداين الحقيقية محيرة أكثر من هوية والده الحقيقية. لم يكن كين مستعدًّا لأن يفسر الكثير، ولكن سارين قد رأت ما يؤكد ظنونها في عيني عمها. قبل عشر سنوات قاد أسطوله في وجه أبيها محاولًا أن يستولي على العرش، العرش الذي بدأت تعتقد سارين أنه ربما ينتمي إلى كين من الناحية الشرعية. إن كان صحيحًا أن كين هو الأخ الأكبر، إذن كان من المفترض أن يرث هو العرش وليس إيفينتيو. لا يزال أبوها يرفض الحديث عن الأمر، ولكنها تنوي الحصول على الإجابات التي تحتاج إليها في النهاية.

وبينما تفكر في الأمر لاحظت عربة تقترب من موضع القبر. انفتح الباب فترجلت تورينا ومن ورائها أبوها البدين الكونت آهان. لقد تغير آهان منذ موت رويال، صار يتحدث بصوت مذهول سقيم، وقد خسر الكثير من وزنه بشكل مقلق. لم يسامحه الآخرون على دوره في إعدام الدوق، ولكن ازدراءهم لا يمكن أن يضاهي بغض الذات الذي لا شك أنه يشعر به.

أدرك رايودن أنها تنظر إليه فأومأ برأسه، لقد حان الوقت. خطت سارين لتتجاوز قبر آيادون، وأربعة قبور مثله، المثوى الأخير لرويال وإيونديل وكاراتا ورجل يُدعى سايولين. هذا القبر الأخير لم يكن يحوي جسدًا، ولكن رايودن أصر على أن يُقام مع البقية.

هذه المنطقة ستصير نصبًا تذكاريًّا، طريقة لتذكر هؤلاء الذين قاتلوا من أجل أريلون وكذلك الرجل الذي حاول سحقها. كل درس له وجهان، فمن المهم بالنسبة لهم أن يتذكروا جشع آيادون المقزز بقدر ما يهم أن يتذكروا تضحية رويال.

اقتربت ببطء من القبر الأخير، كانت الأرض مرتفعة كالقبور الأخرى لتشكل ربوة ستُغطى يومًا بالحشائش والخضرة، ولكنها الآن عارية، والتربة لا تزال لينة. لم تكن سارين بحاجة إلى بذل جهد كبير لتشكيلها، إنهم الآن يعرفون جميعًا الدين الذي يدينون به للرجل المدفون تحتها؛ هراثن من فيوردن، الكاهن الأكبر والجيورن المقدس للشو-ديريث. لقد تركوا جنازته لتكون الأخيرة.

التفتت سارين لتُخاطب الحشد، الذي يتقدمه رايودن. قالت: "لن أتحدث طويلًا، فرغم أنني قد تعاملت مع هراثن أكثر من معظمكم إلا أنني لم أعرفه. لطالما افترضت أنه يمكنني أن أفهم رجلًا من خلال كونه عدوًا. وظننت أنني فهمت هراثن. إحساسه بالواجب، وإرادته القوية، وتصميمه على إنقاذنا من أنفسنا.

لم أرَ صراعه الداخلي، لم أستطع معرفة الرجل الذي دفعه قلبه في النهاية إلى رفض كل ما كان يؤمن به في سبيل ما عرف أنه الصواب. لم أعرف قط هراثن الذي قدم حياة الآخرين على طموحه، هذه الأشياء كانت مخفية، ولكنها في النهاية أثبتت أنها الأكثر أهمية بالنسبة له.

عندما تتذكرون هذا الرجل لا تفكروا فيه بوصفه عدوًا، بل فكروا في رجل كان يتوق لحماية أريلون وشعبها. فكروا في الرجل الذي صار عليه، البطل الذي أنقذ ملككم. كنت أنا وزوجي سنقتل على يد الوحش الداخوري لو لم يصل هراثن لينقذنا.

والأكثر أهمية تذكروا هراثن بوصفه الرجل الذي حذَّر التحذير الجوهري الذي أنقذ أسطول تيود. إن احترق الأسطول فتيقنوا من أن تيود لم تكن لتعاني وحدها، كانت جيوش الويرن

**ستنقض على أريلون، سواء كان هناك إيلانتريس أم لا، ولكنتم في هذه اللحظة تقاتلون من أجل حياتكم، هذا إن ظللتم على قيد الحياة".**

**تأملت سارين القبر مليًّا، ومن فوقه دروع حمراء قانية مرتبة بعناية. كانت عباءة هراثن معلقة من مقبض سيف مغروس في التربة اللينة، بينما الحرملة القرمزية تخفق في الريح.**

**قالت سارين: "لا، عندما تتحدثون عن هذا الرجل فلتدعوا الجميع يعرفون أنه قد مات دفاعًا عنا، فليُقال إنه رغم كل شيء فإن هراثن . جيورن الشو-ديريث . لم يكن عدونا، بل كان مُخلِّصنا".**

# عن الآيوندور

عند مناقشة الآيوندور فإن السؤال البديهي الذي يجب طرحه يكون عن المنشأ.

الآيونات نفسها (انظر أدناه) هي أساس كل من اللغة والسحر في أريلون والمناطق المحيطة بها. الغريب أنها مميزة عن اللغة الآيونية، التي يُبرزها نظام الكتابة (الذي يكون عادة نظامًا صوتيًّا) حيث تُكتب بشكل أصغر وأكثر تفصيلًا عن الأحرف اللوجوغرافية العظيمة، إن كنت سأعبر عن الأمر بطريقة غير شعرية فسأقول إن الأمر يبدو وكأن الأحرف العامة هي رعايا تمتثل أمام آلهتها.

المثير للفضول أن الآيونات تُنتج أصواتًا لا تُستخدم في اللغات الشائعة في المنطقة. إن كان المرء سيجرد الآيونات من اللغة. وهو أمر محتمل، حيث يمكن كتابة جميع المفاهيم والأفكار التي تعبر عنها الآيونات باللغة العامة الشائعة. فسيتبقى عائلة لغوية تُشبه إلى حد كبير اللغة الدولادية أكثر مما قد يعتقده المرء.

عندما يضيف المرء إلى هذا حقيقة أن الآيونات تُدمِج أشياء مثل تضاريس أريلون الطبيعية في رسمها يظهر سؤال مهم؛ هل من المحتمل أن الآيونات قد سبقت وصول الشعب الآيوني إلى المنطقة؟ لا شك أن هؤلاء المهاجرين قد عرفوا بشأن الآيونات وتعلموا معانيها ودمجوها في لغتهم الموجودة بالفعل. ولكن من الذي ابتكرها إذن؟ وهل ابتكرها لوصف التضاريس الطبيعية، أم أن التضاريس الطبيعية بطريقة ما تُملي شكل الآيونات وصوتها؟

ليس لديَّ إجابة، ولكن ربما يمكنك أن ترى ما الذي أثار فضولي حيال هذا الشكل من الإنفستيتور[٤٣].

ستجد بالأدنى قائمة بالمفاهيم التي يتفرد بها الآيوندور، وأعتزم أن أفهم يومًا ما العلاقة التي تربط كل هذه الأشياء، ولِمَ هي فريدة إلى حد كبير في هذا العالم وأنظمته السحرية[٤٤].

## الدقة

لكي يعمل الآيون يجب أن يُرسم بدقة مطلقة، وفي الواقع لا تُظهر أبحاثي أن الاستخدامات الأخرى المحتملة للدور تتطلب الدقة أيضًا، أكثر من أي نوع آخر من السحر قد قابلته حتى الآن. يبدو أن هذا يشير إلى التميز، فمعظم الأشكال الأخرى من الإنفستيتور لا تهتم إلا بالتصور. في أي مكان آخر إذا كنت تعتقد أنك تفعل الأمر بشكل صحيح فغالبًا ما ينجح، ولكن هنا فإن أقل خطأ في رسم الآيون سيُبطله.

## النية

كأي شكل آخر من أشكال الإنفستيتور فإن النية مهمة للغاية. لا يمكن لأي إيلانتري أن يرسم آيونًا عن طريق الخطأ، إن هذا غير مرجح إلى حد كبير بسبب تعقيد الآيونات، ولكني

---

[٤٣] الإنفستيتور: هو المصطلح الذي يصف الطاقة التي تتخلل الكوزمير وتُبنى عليها جميع الأنظمة السحرية في الكوزمير.

[٤٤] يُستخدم الدور في الأنظمة السحرية على كوكب سيل مثل الآيوندور والتشايشان والداخور، بالإضافة إلى التزوير وختم الدم في رواية روح الإمبراطور.

جرَّبت الأمر لكي أُشبع فضولي. يجب على المرء أن يكون راغبًا في رسم الآيون، وأن يكون لديه تصور عن الشكل المرغوب، قبل أن يحدث أي شيء.

## مكان الميلاد

يزداد يقيني بأن كل كائن حي على وجه سيل لديه رابط روحي ما بالدور والإنڤستيتور، كما ستجد على معظم الكواكب الأساسية الأخرى التي استقر عليها شظية من شظايا أدونالسيوم[٤٥]. ولكن الشيء الفريد على سيل هو أن ارتباط المرء الروحي بمكان الميلاد يُحدد شكل وطبيعة علاقته بالإنڤستيتور.

ليس لدي أي فرضيات قابلة للتطبيق لتفسير هذا الأمر.

## الاستهلال

رغم أن عامة الناس يرون المشيئة الإلهية فيمن يقع عليه الاختيار ليصير إيلانتريًّا، إلا أنني أجد هذا غير مرجح، بالأخذ في الاعتبار أن آلهتهم قد ماتوا، وبحسب تخميني كان هذا منذ وقت طويل للغاية. أتساءل هل يعرفون أنهم يستخدمون جثث آلهتهم عندما يوجهون سحرهم؟

---

[٤٥] أدونالسيوم: وأحيانًا يُسمى أدو فحسب. هو مخلوق أو قوة غامضة في الكوزمير، يُشتق منه كل الإنڤستيتور. من غير المعروف إن كان اسمًا أم مصطلحًا. عادة ما يُنظر إلى أدونالسيوم على أنه إله، وأنه المسؤول عن خلق الكوزمير. وأحيانًا ما يُشار إليه باسم "قوة الخلق". في لحظة محورية في تاريخ الكوزمير حدث ما يُعرف باسم التحطم، حيث تآمر مجموعة من الأفراد ضد أدونالسيوم وقتلوه. عند موته تحطمت القوة إلى ست عشرة شظية، استولى عليها الأشخاص الحاضرون. كل شظية من هذه الشظايا تحمل جانبًا من طبيعة أدونالسيوم.

إذن كيف يستهل المرء ممارسة الآيوندور؟ لا يبدو أن الأمر مرتبط بنسب العائلة كما يجد المرء على سكادريال، كما أنه ليس قرارًا من الشظية كما هو الحال في نالثيز، حتى أساليب تالدين وڤاكس لا تنطبق هنا. لا أستطيع إلا أن أفترض أن الأمر مبني على صدفة عشوائية، ما لم يكن هناك نمط خفي لم أتمكن من تحديده بعد.

# قائمة الآيونات

القائمة التالية ليست قائمة كاملة بكل الآيونات، ولكنها مجموعة مختارة من الآيونات التي أجدها مهمة، أو توضح الغرض من هذا الدليل الإرشادي. يوجد بين الأقواس أمثلة من الأسماء أو المصطلحات التي تستخدم هذا الآيون بعينه.



## آن

الصدق، الحقيقة
(أندين، تان)



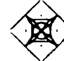
## آلا

الجمال، الوسامة
(سينالان، سيالا)



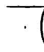
## أتا

الكياسة، السلاسة
(كاراتا، جبال أتاد، آتارا)



## أيو

الشجاعة
(سيون، أيو، جرايو)



## آيون

الأول، اللغة
(آيوندور، آيوني)



## أتي

الأمل
(ماتيس)



## أها

النفس، الهواء
(آهان، داهاد، كاهار)



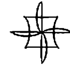
## آلا

الجمال، الوسامة
(سينالان، سيالا)



## أري

الإتحاد، التلاحم
(أريلون، أريد، ماري، وارين)



**أتو**

اتجاه الشمال
(مدينة أتو)



**أكي**

اتجاه الغرب
(مدينة أكي)



**آش**

الضوء، الإنارة
(السيون آش، داش)



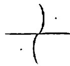
**دا**

القوة، الطاقة



**دايو**

الأول، اللغة
(آيوندور، آيوني)



**إيدو**

الحماية، الأمان



**إينو**

الماء



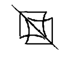
**ديو**

الذهب، المعدن
(عملة الديو، مزرعة ديو)



**إيه**

النار، الدفء



**إيون**

الإرادة، التحمل
(إيونديل، إيونيك)



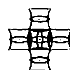
**دي**

الخشب



**إيلا**

التركيز، المركز
(إيلانتريس، إيلاو)



**إيش**

الهبة، العطية
(إيشن، ماريش)



**دَيو**

الثبات، الرسوخ
(السيون ديو، ديولين، ديون)



**إينا**

الطيبة
(تورينا)



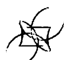
**إيتو**

الجسم، اللحم، العضلات
(كيتول)



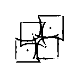
**إيدا**

السمو، التعالي
(إيدان)



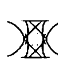
**إين**

الذكاء، الفطنة
(سارين)



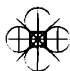
**آياد**

الثقة، الموثوقية
(آيادون)



**آيال**

المساعدة، العون
(رويال)



**كاي**

الهدوء، الجدية
(كايسي)



**أومي**

الحب
(دومي، أومين)



**آيدو**

الرحمة، الغفران
(آيدوس دومي)



**كي**

العدالة
(كين)



**أوبا**

الزهرة
(السيون أوبا، أوبايس، أوبيلون)



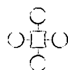
**آين**

الحكمة
(السيون آين، آداين)



**ماي**

الطيبة
(الشرف)



**رايو**

الروح، الجوهر
(رايودن، تينرايو)



**أير**

الزمن، العمر
(دايرين)



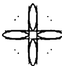
**ميا**

الرعاية، الاهتمام
(ميالا، رامیار)



**ريو**

العقاب، القصاص
(دريوك كاسر الخناجر، الريود)



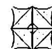
**كاي**

اتجاه الشرق
(مدينة كاي)



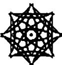
**ناي**

الرؤية، الوضوح



**ري**

الثروة، الرخاء
(تيلري، سوري)



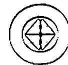
**سايو**

الذكاء، التعلم
(سايولين)



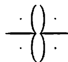
**شيو**

الموت



**تيا**

السفر، الانتقال



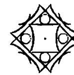
**سيا**

العفة، الوفاء
(سيادين، سيالا)



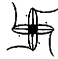
**سوي**

النظام، التنسيق
(سوين)



**توا**

اتجاه الجنوب
(مدينة توا)



**سيو**

الولاء، الخدمة
(سيون، سيور)



**تاي**

مفتوح



**شايو**

التحول، التغير
(شايود، شايور)



**تيو**

ملكي، مهيب
(إيڤينتيو، تيود، تيوراس، تيورن)

كان هُويد الشحاذ جالسًا على جانب جبل وهو يزيل بحرص الضمادات من على وجهه. كان هناك بركة بلورية صغيرة تملأ شقًّا في الصخور إلى جواره. ربما تصل إلى ارتفاع الخصر في أعمق نقاطها، وبالكاد يُمكن اعتبارها بركة، وقد استحم هُويد من قبل في أحواض استحمام أكبر منها.

من أسفله كانت مدينة إيلانتريس تتوهج بضوء رائع. بدا أن الضوء يصعد برقة وثقة نحو السماء.

وأخيرًا أنهى هُويد إزالة الضمادات من على وجهه، ثم خلع قفازه بحركة درامية ولوَّح بذراعيه أمامه باسطًا أصابعه. بدت ذراعيه ويديه كما كانت قبل أن يضع الضمادات باكرًا في اليوم السابق.

قال: "اللعنة".

"لم تتوقع حقًّا أن تجد نفسك قد تحولت؟".

اعترف هُويد قائلًا: "كنت أتوقع هذا نوعًا ما". نظر إلى يديه على أمل أن يرى شيئًا يتوهج تحت الجلد، ولكنه لم يتمكن من تحديد أدنى وميض من الضوء.

"كنت لتشعر بالتأثير باكرًا يا هويد".

قال: "هُويد، هناك فارق مهم".

"هذا ما قلته، هويد".

قال هُويد: "لا يهم". ثم اعتدل واقفًا وبدأ ينفض سرواله في شرود، فتعالت سحابة من الغبار. ملابس شحاذ، لا بأس.

التفت يتأمل رفيقه، كرة مظلمة تحوم في الهواء بحجم بطيخة تقريبًا، إنها تمتص الضوء بطريقة ما، فلم يكن هناك أي حواف واضحة يُمكن أن يميزها هُويد، بل كانت تمتزج بالهواء بطريقة ما، وتشوه كل شيء من حولها، كحجر قد أُلقي على قطعة من الحرير مشدودة بإحكام. كانت محاطة بنمط من الرموز الضبابية، تمتد كطوق من أعلى وإلى الجانب ثم إلى الأسفل قبل أن تعود إلى الأعلى.

قال الشكل الكروي: "حسنًا، ماذا سنفعل الآن؟".

أجابه هُويد وهو يضع الضمادات في جيب خفي: "أتعرف، لقد أكلتُ ضفدعًا حيًّا ذات يوم. حسنًا، كان يُشبه ضُفدعًا إلى حد كبير، ولكن لديه ساقًا إضافية أو اثنتين، وكان لونه بنفسجيًّا، ولكنه بشكل أساسي الشيء ذاته؛ لزج، برمائي، إلخ".

"أنا واثق أن طعمه كان فظيعًا".

ارتجف هُويد وهو يقول: "كان مثيرًا للغثيان من كل النواحي، فقد راح يتلوى بينما أبتلعه. عندما أفكر في حياتي الحافلة تظهر هذه اللحظة بشكل حتمي باعتبارها حضيض تجاربي حتى الآن".

قال الشكل الكروي: "ظننت أنني وصلت إلى الحضيض، وبعدها التقيت بك".

قال هُويد وهو يقف عند الحافة الصخرية للبركة: "تعليق جيد، غير متوقع وساخر، ظننتُ أن أمثالك غير مسموح لهم بالتحلي بحس الدعابة".

قال الشكل الكروي: "هذا هراء، تعتقد أنه لا توجد دعابة لاذعة ولا يمكن إنكارها في حقيقة أننا نعتمد على الجنس البشري؟ الكون بأسره يضحك يا هويد، وسيكون المرء أصم لكيلا يسمع ضحكاته".

ابتسم هُويد.

قال الشكل الكروي: "إذن... الضفدع؟".

أجابه هُويد وهو يرفع إصبعًا: "أفكر في هذه اللحظة وأُدرك شيئًا مهمًّا".

"أن أسوأ تجاربك لا تكون دومًا التجارب التي تتوقعها؟".

"لا، ولكني واثق أن بإمكاني أن أستخدم هذه الفكرة يومًا ما، لذا شكرًا لك". أخذ هُويد نفسًا عميقًا وهو ينظر إلى المدينة المضيئة المتوهجة حتى في وضح النهار. ثم قال: "لا، أُدرك أنه على الرغم من أن ذلك اليوم كان شنيعًا وبائسًا ومثيرًا للغثيان بالنسبة لي... على الأقل لم أكن الضفدع".

لاذ بالصمت وبعد لحظة ضحك الشكل الكروي. أجل إن لديهم نطاقًا من المشاعر أوسع مما افترضه هُويد. سيحتاج إلى أن يكون حريصًا على ألا يسمح لعلاقته مع فرد من جنس - حتى لو كان جنسًا صناعيًّا - أن يرسم وجهة نظره عن الجنس بالكامل.

التفت إلى الشكل الكروي وقال: "هناك جمال في كل كارثة يا صديقي، إن كنت ذكيًّا بما يكفي لكي تجده".

"حقًّا؟ لقد فشلت فشلًا ذريعًا يا هويد، أنت لست واحدًا منهم، وليس لديك القوى التي وعدتنا بأنك ستكتسبها، لم تحقق أي شيء. أي جمال في هذا الموقف؟".

خطا هُويد فوق البركة بإحدى قدميه وقال: "أنت لا تعرفني جيدًا يا صديقي، لذا سأغفر لك مثل هذا السؤال السخيف. الجمال، إنه كامن في حقيقة أن هناك أسرارًا لا تزال مجهولة". ثم ابتسم ابتسامة عريضة وقال: "وأنا أحب الأحجيات الجيدة".

مال للأمام ليسقط في البركة فتناثر الماء. ... ثم اختفى.

# عن المؤلف

**ترعرع براندون ساندرسون في لينكولن في نبراسكا، ويعيش في ولاية يوتا مع زوجته وأطفاله، ويُدرس الكتابة الإبداعية في جامعة بريغام يونغ، بالإضافة إلى إكماله لسلسلة عجلة الزمن من تأليف روبرت جوردن، ومؤلف الروايات الأكثر مبيعًا، مثل ثلاثية ميستبورن، وWarbreaker، ودرب الملوك، وحاز على جائزة هيوجو سنة ٢٠١٣ عن رواية روح الإمبراطور، التي تدور أحداثها في عالم روايته الأولى الشهيرة إيلانتريس. لمزيد من المعلومات عن كل كتبه زُر موقع brandonsanderson.com**

# عن المترجم

أحمد صلاح المهدي كاتب ومترجم وناقد مصري، تخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة، نشرت له خمس روايات ما بين الفانتازيا والرعب والخيال العلمي، ترجمت اثنتان منهم إلى اللغة الإنجليزية وهما "ريم" و"ملاذ: مدينة البعث"، وقد تعاقد مؤخرًا مع دار نشر **Atmosphere Libri** الإيطالية على الترجمة الإيطالية لروايته "ملاذ: مدينة البعث". نُشر له عدد من القصص القصيرة والمقالات الأدبية والنقدية باللغتين العربية والإنجليزية، وترجمت بعضها إلى لغات أخرى كالرومانية والإسبانية. صدر له ترجمات العديد من الروايات المختلفة، مثل سلسلة "القاعدة" من تأليف كاتب الخيال العلمي الشهير أيزاك أزيموف التي تحولت مؤخرًا إلى مسلسل على منصة أبل تي في، و"عين العالم" الجزء الأول من سلسلة "عجلة الزمن" من تأليف روبرت جوردن التي تحولت مؤخرًا إلى مسلسل على منصة أمازون، ورواية روح الإمبراطور من تأليف براندون ساندرسون.

# فهرس الفصول